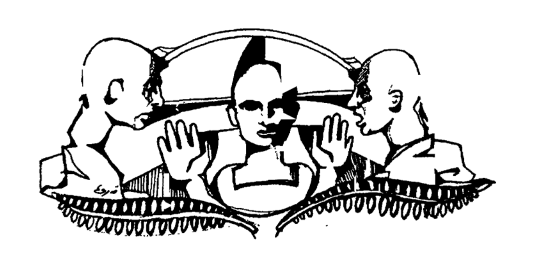
علم النفس الإجتماعى
بين
النظرية والتطبيق



تأليف: د. حسنى الجبالى

علم النفس الاجتماعي
بين
النظرية والتطبيق



تأليف: د. حسنى الجبالي

بسم الله الرحمن الرحيم

ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها

قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها

(صدق الله العظيم)

(من سورة الشمس: ٧: ١٠)

الجزء الأول

(حول النظرية ومنطق البحث)

التعريف والمجالات والأهمية

كيف تنفذ علم النفس الاجتماعي وأخلاقيات التجربة

الفصل الأول : علم النفس الاجتماعي ومجالاته وأهدافه

الفصل الثاني: التطور التاريخي وخلفية علم النفس الاجتماعي

الفصل الثالث: طرق ووسائل البحث في علم النفس الاجتماعي

الفصل الرابع: كيف تنفذ علم النفس الاجتماعي؟ وأخلاقيات التجربة

الفصل الأول

علم النفس الاجتماعي ومجالاته وأهدافه

DEFINTION – OBJECTIVNES ECIVES AND AIMS

خطة الفصل المنهجية

- تعريف علم النفس الاجتماعي.
- علم النفس الاجتماعي كحلقة اتصال بين علم النفس وعلم الاجتماع.
- علم النفس الاجتماعي وعلم النفس البيئي.
- نقطة الاهتمام الأساسية في علم النفس الاجتماعي.
- أهمية علم النفس الاجتماعي لكل من المعلم والإعلامي التربوي والأخصائي الاجتماعي.
- الأهمية العالمية لعلم النفس الاجتماعي.
- موضوعات علم النفس الاجتماعي ومجالاته.

مقدمة المؤلف

إن أوضح حقيقة عن الإنسان هي طبيعته الاجتماعية إلى أقصى حد: فهو يتم ولادته في نطاق عملية اجتماعية، ويتم الاحتفال بعيد ميلاده في جو اجتماعي، وينشأ في جماعة تتصف بروابط وثيقة ومتبادلة بين الأفراد، حيث يعيشون حياتهم في شبكة من التفاعلات الاجتماعية المعقدة ويتطور نمو لعبة اجتماعيا، ويتم تعلمه في وسط اجتماعي. وفي النهاية فإنه يبعث إلى قبره وسط احتفال اجتماعي. وبمعنى آخر، فإن الإنسان أبعد ما يكون عن كائن فردى مستقل يستجيب فقط للمؤثرات فقد تبين أن افتقاد الفرد مهارات التفاعل الاجتماعي الناجحة مع الآخرين يدفعه إلى الانسحاب والعزلة، وبالتالي تضعف مقاومته فينهار تحت وطأة أية ضغوط نفسية. وتنهار قدرته على فهم متطلبات الموقف الاجتماعي، والتحم في سلوكه اللفظي وغير اللفظي، وإخفاء المعلومات والمشاعر غير الملائمة للموقف وهو ما يقصد به "مراقبة الذات". ولهذا السبب فإن علماء النفس يركزون جل اهتمامهم على عملية التفاعل الاجتماعي والتواصل أو نتائج هذا التفاعل، وهدفهم في ذلك بناء مجتمع أفضل يرتكز على فهم واضح لسلوك الفرد والجماعة. كما أن العلم تنظيم اجتماعي وأنه أولا وأخيرا عمل جماعي.

إن جيل الشباب الذي يدرس علم النفس الاجتماعي يعانى من فجوة تفصل بينه وبين مجتمعه وقضايا بيئته. أنهم يتوقعون منا أن نعلمهم شيئا عن أسباب قسوة الإنسان على الإنسان وقضايا البيئة والسلوك -أخبار الحروب والمذابح والإرهاب والاغتصاب والتمرد والشغب والعنف والتلوث والإيدز والتضخم السكاني والإدمان ومشكلات التقدم والعولمة والشرق أوسطية والاغتراب والعمليات المعرفية والصراع وصنع السلام، والتطبيع وفقدان الهوية الثقافية والغزو الاعلامى وغيرها. ونحن نذهب بهم بعيدا فنعلمهم عن الاستبيانات والفنران مع الإفراط في الامبيريقية والوقوف بالعلم عند حدود الوصف والتطرية دون الاهتمام بالتطبيق. وعدم تركيز بحوثهم ودراساتهم على دراسة المشكلات النفسية الاجتماعية وتعزيز دور علم النفس الاجتماعى فى عملية التنمية الاجتماعية.

إن علم النفس الاجتماعي الذي يغمض عينيه بوعي أو بدون وعى عن قضايا مجتمعه وبيئته، فإنه يفقد هويته ويذهب بعيدا عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعمراني دون التصدي لمحاولة تقديم تفسير نفسي واجتماعي للظواهر المرضية التي تزرق المجتمع والبيئة على السواء. فالظواهر الاجتماعية المرضية تعد جزءا لا يتجزأ من الموقف الاجتماعى الكلى، ولا يمكن بحثها إلا فى ضوء الارتباط بالظواهر والمفردات الاجتماعية الأخرى لهذا الموقف. وإن تغيير البنية الفوقية (لا يتم بقوانين وإجراءات تشريعية وقرارات ومراسيم) فالبناء الفوقى يتضمن بناء الأفراد النفسى، وقيمهم واتجاهاتهم وأنماط سلوكهم فى مواجهة مختلف المواقف الاجتماعية.

شبرا في ٢٠٠١/١/٢٩م

د. حسنى الجبالى

تعريف علم النفس الاجتماعي

يمكن تلخيص أهم التعريفات التي تتصدر كتب علم النفس الاجتماعي فيما يلي:

(١) تعريف "ابن خلدون":

يعرفه بأنه هو "علم العمران البشرى" الذي يتضمن السلوك والتجارب للأفراد والجماعات، سببا ونتيجة، بقصد استخراج القوانين التي تحكم هذه التفاعلات الإنسانية، وتعمل فيما بعد على الارتقاء بالمجتمع نحو الأفضل.

وقد سبق كل من "أوجست كونت وإميل دوركايم وليفى برولببول برول فى توضيح محتوى العلم، ومضمونه، وديناميانه، وأهدافه بأسلوب موضوعي وعلمي.

(٢) تعريف "ماكدوجال" ١٩٢٠ MACDOUGAL

يرى أن الموضوع الرئيسي لعلم النفس الاجتماعي، هو كيفية إكساب المجتمع للفرد الذي يعيش فيه خلقا، أو طبعا معينا، واعتبر "ماكدوجال" عملية التنشئة الاجتماعية، بمثابة المحور الرئيسي لعلم النفس الاجتماعي.

(٣) تعريف "كرتش وكرتشفيلد ١٩٤٨ Krech & Cruch Field"

هو العلم الذي يتناول سلوك الفرد في المجتمع، وهما يران أن هذا السلوك يتسم بالتكامل والتفاؤل، لأنه يكون مدفوعا وموجها نحو هدف.

(٤) تعريف "العلماء السلوكيون"

وهم يرون أن علم النفس الاجتماعي، هو واحد من فروع علم النفس العام، ويدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لمثيرات اجتماعية (S.R) أو (م.س). وهو يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي Social Interaction، ونتائج هذا التفاعل، وهدفه بناء مجتمع أفضل، قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة.

(٥) تعريف "كلينبرج"

هو دراسة الفرد في موقف الجماعة، أو بصورة دقيقة، الدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث هو فرد في صلته بآخرين.

(٦) تعريف "بارسون ١٩٥١ Parson"

يشير بأن علم النفس الاجتماعي يهتم بدراسة توقعات الفرد Predictions وتنبؤاته لسلوكه هو وسلوك الآخرين نحوه.

(٧) تعريف "شريف وشريف ١٩٥٦ Sherif & Sherif"

بأنه الدراسة العلمية لخبرات وسلوك الأفراد في علاقتها باستثمارات المواقف الاجتماعية. ويريان ضرورة العناية بالخبرة والسلوك معا حيث أن الاقتصار على سلوك الفرد دون خبرته، يؤدى بالتالي إلى إغفال جانب هام من استجابات الفرد للمواقف الاجتماعية، وهى تلك الجوانب غير الظاهرة منه.

(٨) تعريف "بروشانسكى وسيدنبرج" Proshansky & Siedenberg

بأنه العلم الذي يتناول النشاط الفردي في المجال الاجتماعي. ويشيران إلى أن معظم تعريفات علم النفس الاجتماعي إن لم يكن كلها تؤكد على ناحيتين هامتين هما:

أولا: سلوك الفرد متضمنا خبراته، أي تفكير الإنسان وذكاؤه، ودوافعه، والمواقف والخبرات التي مر بها، واستخدم فيها هذه الجوانب من سلوكه.

ثانيا: المجال الذي يتم فيه هذا السلوك، ويعنى به الموقف الاجتماعي وما فيه من أفراد، أو جماعات، ويتأثر الفرد بما لديه من إمكانيات، وقدرات يتأثر بها، ويؤثر فيها أيضا.

ويلاحظ أن هذا التعريف يشير إلى أن سلوك الفرد يتم في مجال يتضمن البيئة الاجتماعية، ويؤثر فيها ويتأثر بها لأنه ليس منعزلا عنها.

(٩) تعريف أتباع "**المدرسة الديناميكية**"

يرون أن علم النفس الاجتماعي، هو العلم الذي يدرس سلوك الفرد في علاقته بالآخرين، وما ينتج عن ذلك من آثار مباشرة في روابط ديناميكية بين معتقدات الفرد وآرائه وظروف البيئة واستعداداتها.

(١٠) تعريف "**سارجنت وولیامبسون** Sargent & Williamson"

هو الدراسة العلمية للأفراد بوصفهم أعضاء في جماعات، مع تأكيدهما لدراسة العلاقات الشخصية والاجتماعية.

(١١) تعريف "**مصطفى سويف** ١٩٦٢"

أشار إلى أنه "العلم الذي يدرس سلوك الأفراد، كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة، أو بتعبير أخر، أنه: "الدراسة العلمية للسلوك الصادر عن الفرد، تحت تأثير المنبهات الاجتماعية المختلفة، وما بينها من علاقات".

(١٢) تعريف "**لامبرت ولامبرت** ١٩٦٤ Lambert & Lambert"

بأنه الدراسة التجريبية للأفراد في المواقف الاجتماعية والثقافية، ومن ثم يهتم بدراسة كل من الفرد والمجتمع على السواء.

(١٣) تعريف "**روهربرون** ١٩٦٤ Roher Broun"

يهتم علم النفس الاجتماعي بالسلوك أي بالعمليات العقلية للأشخاص. والتي تكون محددة بالتفاعل في الماضي، أو الحاضر بالأشخاص الآخرين.

(١٤) تعريف "**ديوى وهامبر** Dewey & Hamber"

بأنه دراسة تفاعل الفرد – غالبا – بالرموز مع بيئته.

(١٥) تعريف "**حامد زهران**"

بأنه عبارة عن الدراسة العلمية لسلوك الكائن الحي ككائن اجتماعي أي يعيش في مجتمع مع أقرانه، يتفاعل معهم فيتأثر بهم، ويؤثر فيهم، أو يتأثر بسلوكهم، ويؤثر في سلوكهم، ويتناول بالوصف والتجريب والتحليل والفهم خبرات وسلوك الفرد في تفاعله مع الآخرين في المواقف الاجتماعية أو المجال الاجتماعي.

(١٦) تعريف "**هيلجارد** ١٩٦٧ Hillgard"

بأنه ذلك الفرع من علم النفس الذي يهتم بالمشكلات التي تنبثق من التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، وذلك أن سلوك الفرد دائما يتأثر بالسياق الاجتماعي Social Context الذي يحدث فيه.

(١٧) تعريف كل من " ماك ديفيد، هاراي ١٩٦٨ MC- David & Harari"

بأنه الدراسة العلمية لخبرة وسلوك الفرد في علاقته بالأفراد الآخرين والجماعات والثقافة.

(١٨) تعريف "كمبالاينج K.Young"

بأنه دراسة الأفراد في صلتهم البينية المتبادلة، دراسة تهتم بمـــا تحدثـــه هـــذه الصلات البينية من آثار على أفكار الفرد ومشاعره وانفعالاته وعاداته، ويرى أن هذه الصلات البينية تشمل ثلاث فئات:

أ - صلات بين فرد وفرد.

ب - صلات بين فرد وجماعة.

جـ- صلات بين جماعة وجماعة.

(١٩) تعريف "جوردن أولبورت" ١٩٦٨ Gordon Alport

إنه العلم الذي يدرس السلوك الكتلى (الكلى)، الذي يتضمن ثلاث أسس:

أ - التركيب البنائى أو البناء Structure ويشمل العناصر التي يتكون منها الموقف.

ب - عمليات التفاعل أو العلاقات ويطلق عليها Interaction of Process.

جـ- المضمون أو المحتوى Content of Function.

وعلى ضوء هذه الأسس الثلاثة يمكننا دراسة أي موقف اجتماعي. على أنه تركيبه من مجموعة من الأفراد، منتظمة بعضها مع بض، في كل عام، فالمدرسة عبارة عـــن موقف اجتماعي يتكون من التلاميذ، والمدرسين، وناظر المدرسة، والعمال وهكذا.

ويلخص "أولبورت" موقفه من تعريف العلم بقوله: "إن الباحثين في علم النفـــس الاجتماعي – مع استثناءات قليلة– ينظرون إلى مجالهم باعتباره محاولة لفهم وتفسير تأثير فكر وشعور وسلوك الأفراد بوجود (أو حضور) الآخرين، سواء بصورة فعليـــة (أو واقعية) أو بصورة متخيلة (أو ضمنية).

(٢٠) تعريف "شاو، وكونستانزو ١٩٧٠ Shaw & Constanzo"

يقترب من تعريف شريف وشريف ١٩٥٦، فيقولان بأنه الدراسة العلمية لســلوك الفرد كنتيجة للمنبه الاجتماعي.

(٢١) تعريف "هوللندر ١٩٧١ Hollander"

بأنه أحد الميادين العلمية التي تهتم بدراسة سلوك الإنسان دراسة موضوعيـــة. ويهتم بالفرد كشريك في العلاقات الاجتماعية والأحداث المؤثرة. ونجده يركـــز علـــى القيم والاتجاهات، والمعايير، والأدوار، وتماسك الجماعة، والجماعات المرجعية.

(٢٢) أما "لوت – ١٩٧٣ Lott"

فيرى بأنه دراسة سلوك الفرد بوصفه متأثرا بسلوك أفراد، أو جماعـــات أخـــرى داخل إطار ثقافي معين.

(٢٣) تعريف "بروكوفيتش – ١٩٨٦ Berkowitz"

يرى أنه العلم الذي يحاول أن يفهم المؤثرات الحاكمة (لسلوك الفرد) وكيف يفكر أي فرد، أو يشعر بالنسبة للآخرين، أو كيف يتصرف تجاههم.

(٢٤) تعريف كل من "باورون وجرازيانو – ١٩٩١ Baron & Graziano"

ولقد تبنيا تعريف "جوردن أولبورت" حرفيا وإن أضافا بأن حضور الآخرين يمثل "المدخلات Inputs" بالنسبة للفرد، بينما أفكار الفرد نفسه ومشاعرد وسلوكياته تمثل "المخرجات Outputs".

من تحليل محتوى التعريفات السابقة ومما ذكره (**فؤاد البهي السيد**) من أن علم النفس الاجتماعي انتهى في أواخر العشرينات من القرن العشرين، إلى عدد من التعريفات منها:

١ – دراسة الجمهرة، وظاهرة التجمع.

٢ – دراسة الحياة العقلية للجماعة.

٣ – دراسة القوى والمؤثرات الاجتماعية.

٤ – دراسة سلوك الفرد في استجابته لسلوك فرد آخر.

٥ – دراسة السلوك الفردي داخل إطار الجماعة.

٦ – دراسة التنشئة الاجتماعية.

وجدير بالذكر، أن ذلك يزيح الستار عن اختلافات واضحة من حيث بؤرة الاهتمام، أو محور التركيز.

فهناك تعريفات (من خلال تحليل محتوى التعريفات السابقة) اهتمت بالجماعة أكثر من الفرد، وعلى النقيض من ذلك، اهتمت أخرى بالفرد أكثر من اهتمامها بالجماعة، وهناك فريق ثالث وازن من حيث الاهتمام بين كل من الفرد والجماعة معا. ولنا أن نضيف إلى ذلك، مؤكدين بأن كل دراسة نفسية للإنسان تسعى إلى أن تكون جادة، يتحتم عليها أن نتناوله في بينته الطبيعية والاجتماعية معا ومن خلال تبادل التفاعل الرمزي بين كل المنبهات والاستجابات التي تم التعرض لها.

وعلى هذا يمكننا أن نعرف علم النفس الاجتماعي بأنه:

"الدراسة العلمية لسلوك الفرد حينما يتشكل هذا السلوك، تحت تأثير المنبهات الاجتماعية المختلفة وما بينها من علاقات من خلال تبادل التفاعل الرمزي".

ولكي يتم تحليل هذا التعريف، يجدر الإشارة إلى المقصود بالدراسة العلمية، والسلوك، والمنبهات الاجتماعية، والاستجابات الاجتماعية، وأخيرا يجدر الإشارة إلى ما نعنيه بعبارة التفاعل الرمزي.

أولا: يقصد بالدراسة العلمية:

هي كل معرفة منظمة تعتمد في تحصيلها على المنهج العلمي بخطواته المتعاقبة، وما يقوم عليها من أساليب وإجراءات متعددة، يدخل فيها الملاحظة العلمية المنظمة System

Observation، والتجريب (من خلال عناصره: الملاحظة، وبنـــاء الفــروض، وإجـــراء التجارب والقياس Measurement)، أي أن المنهج والنظام (وهو مجموعة من الأشـــياء مرتبطة مع بعضها بعلاقات تحكمها ضوابط وتسعى لتحقيق هدف أو أكثر) هما جوهر هــذه الدراسة.

ثانيا: ويشير مصطلح السلوك:

إلى كل ما يصدر عن الفرد من استجابات، أو كل نشاط يصدر عن الفرد في تفاعله مع البيئة بمختلف صوره، أيا كانت طبيعة هذا النشاط: حسي أو حركي، أو عقلي أو وجدانـــي. أو غير ذلك، ويدخل في أنواع هذا السلوك (النشاط):

(١) كل صور النشاط الظاهر (الجري مثلا).
(٢) أو الكائن (المشاعر والذكريات .. الخ).
(٣) وكذلك كل ما يتحكم الفرد في إصداره (المشي والتفكير.. مثلا).
(٤) وما يفلت بعيدا عن تحكم الفرد (العمليات الحيوية المختلفة، بما فيـــها التغـــيرات الفسيولوجية المصاحبة للنشاط الانفعالي كاحمرار الوجه، وتصبب العـــرق، وجفـــاف الحلق..الخ).

ثالثاً: أما المقصود بالمنبهات الاجتماعية:

فهي تعنى مجموعة الظروف الاجتماعية التي تحيط بالفرد وتؤثر فيه في لحظة مــــا. وهى "منبهات" بمعنى أنها تستثير حواسنا، وتؤثر في وعينا وخبرتنا، وتوجـــه ســلوكنا. بصورة أو بأخرى، وهى "اجتماعية" لأنها تشير إلى العلاقة التي تقوم بين الفرد والآخريـــن من خلال الموقف الاجتماعي.

فالطفل عندما يواجه أباه وأمه معا في موقف ما. فإن سلوكه في هذا الموقف لا يتـأثر بشخصية كل منهما فحسب، ولكنه يتأثر كذلك بالعلاقـــات القائمـــة بينـــهما، فـــهو يشـــعر بالاطمئنان إذا كانت العلاقات بينهما تتسم بالدفء –والأمن– والاستقرار ويشعر بالصراع – والاضطراب– والتمزيق– إذا كانت العلاقات بين الوالدين ممزقة غير دافئة وتـــؤدى إلـــى ظاهرة التصدع الأسرى. كذلك تتأثر علاقات بعضهما ببعض بوجود طفل مشكل يجعل كـــل منهما يرجع الخطأ على الآخر من حيث سبب فشل تربيته. ومعنى ذلك أن هناك نوع مـــن التأثر والتأثير، فكما أن الفرد يتأثر بغيره، فهو في الوقت نفسه يؤثر في غيره.

ويمكن تصنيف "المنبهات الاجتماعية"، إلى منبهات مباشرة ومنبهات غير مباشرة.

أما المنبهات المباشرة، فيقصد بها كما يشير بذلك "سويف ١٩٦٢" ما يدخل في خـبرة الفرد بصورة حية أو واقعية، وحين تتضمن حضور الآخرين، وتؤثر مباشرة فـــي توجيـــه سلوك هذا الفرد وفى تشكيله. وتكون هذه المنبهات المباشرة بسيطة، حين تظـــهر بشـــكل مفاجئ، أو غير متوقع، أو بشكل عارض، أو لفترة زمنية مؤقتة، بحيث لا تشكل رصيـــدا باقيا أو تراكميا في خبرة الفرد. وتكون مركبة حيث يتعرض الفرد لموقف يتضمـــن عـــددا كبيرا ومتشابكا من المنبهات، التي يمكن أن تشمل أشخاص عديدين، إشـــارات. إيمـــاءات. أحاديث (كحالة وجود الشخص في حفل تعارف مثلا)، وهذا النوع من المنبهات المباشـــرة

المركبة هو الأكثر شيوعا، بالمقارنة بالمنبهات المباشرة البسيطة. أما المنبهات غير المباشرة، فهي لكونها غير مباشرة، لا تتضمن بالتالي الحضور الفعلي للآخرين في الموقف الذي تنشط فيه، لتؤثر في توجيه سلوكنا وتشكيله وبالتالي يقصد بها كل ما يمثل:

(أ) وقائع نفسيه. أو (ب) منتجات حضارية. أو (جـ) رموز اجتماعية.

وقد تكون بسيطة، حين تمثل فجأة في ذاكرة الشخص أو وعيه، دون أية عناصر أخرى مصاحبة تشير إلى ملابسات معينة أحاطت بالشخص عند معايشته لها في الماضي.

مثال ذلك: تذكر اسم ما، أو نغمة معينة، أو لوحة فنية، أو رائحة معينة، أو المثول المفاجئ لصورة شخص في الذهن.

– وقد تكون مركبة، حين تكون في صورة وقائع نفسية أكثر تعقيدا مما سبق، كذكريات الشخص وما يمكن أن تثيره فيه من صور ذهنية، أو مشاعر وجدانية متعددة وربما متناقضة، أو تكون منتجات حضارية بأنواعها المختلفة، كالأبنية، والطرق، والآلات..الخ، أو تكون رموزا اجتماعية، حيث يقصد بالرموز أي شئ أو فعل يقوم مقام شئ أو فعل آخر، أو علامة على شئ آخر تم بناءا على مواصفات اجتماعية معينة. كأضواء (إشارات) المرور مثلا، والحركات التعبيرية الاجتماعية (مثل رفع اليد رمزا للتحية، أو طأطأة الرأس رمزا للموافقة) أو تكون رموزا لغوية كالكتابة.. كل هذه رموزا اجتماعية تخدم عملية التواصل أو التفاعل بين الأشخاص أو بين الجماعات.

رابعا: أما المقصود بالاستجابات الاجتماعية:

فيعنى مفهوم الاستجابة إلى كل ما يصدر عن الشخص من أنواع السلوك -مادية أو رمزية- يميل عن طريقها إلى تحقيق إمكانياته، أو خفض التوترات التي تحدد وحدته وتجعله ينشط، ويمكن أن تصنف الاستجابات الاجتماعية. كما يشير بذلك (سويف ١٩٦٢) إلى استجابات مباشرة، وغير مباشرة.

ويقصد بالاستجابات المباشرة: صور السلوك التي تصدر عن الشخص عقب استقباله للمنبهات الواردة عليه مباشرة، وقبل انتقاله من الموقف الذي يتضمن هذه المنبهات، ومن أكثرها شيوعا الاستجابات العادية مثل الكلام، والإيماءات، والابتسام، والضحك، والانفعالات المختلفة..الخ.

أما الاستجابات غير المباشرة وهى تنقسم إلى نوعين:

أ – الاستجابات المرجأة: أي التي تؤجل لفترة من الوقت، تتراوح بين دقائق إلى ساعات وأيام ويمكن أن تصل إلى عدة شهور وسنوات، كما يحدث عند تأجيل رد الإهانة والانتقام كما هو الحال في عادة "الأخذ بالثأر" مثلا في صعيد مصر.

ب – الاستجابة التراكمية: أي تحدث أو تتراكم بفعل تراكم التعرض لتنبيهات متتابعة لمدة طويلة، وهذا النوع من الاستجابات غير المباشرة يلقى أكبر قدر من اهتمام الباحثين في علم النفس الاجتماعي وأمثلة لها: الاتجاهات الاجتماعية، القيم والمعتقدات والمعايير الاجتماعية (١،٢).

خامساً: نأتي أخيرا إلى (مفهوم تبادل التفاعل الرمزي):

والمقصود بمفهوم التفاعل بين كل هذه المنبهات والاستجابات التي تم التعرض لها، وحيث يقصد به عموما التأثير المتبادل بين نظامين أو أكثر، ظاهرتين أو أكثر، فردين أو جماعتين أو أكثر.. الخ، أما التفاعل الاجتماعي بوجه خاص، فيشير إلى تلك العلاقة بين طرفين (فردين أو جماعتين مثلا) التي تجعل من سلوك أي منهما منبها لسلوك الآخر، والتي تتجلى في المواقف الاجتماعية على اختلافها، ويختص تبادل التفاعل الرمزي، أي التفاعل مع الآخرين عن طريق اللغة، وأن الوسائل الرمزية التي يستعين بها الإنسان تتعدد وتتنوع وهى تشتمل على التخاطب "Speech"، والكتابة والإشارة الوجهية والجسمية. والعلامات المختلفة المستعملة من قبل الناس لغرض إيصال بعض الأفكار أو المعاني عبر علاقاتهم بالآخرين.

وأن الرموز هي أطر مرجعية "Frames of reference" تنظم عملية الإدراك الاجتماعي الذهني إزاء ظواهر واقع التفاعل الحاضر، إضافة إلى أحداث وملابسات الحياة الاجتماعية الماضية. فالسلوك الاجتماعي لا ينحصر في لحظة زمنية معينة. كما لا يعتمد على الوجود الحقيقي للأشياء التي ترتبط به أو تمثله. ولا يقتصر أثر الرموز على التفاعل الاجتماعي في صورته التكرارية المستمرة على نمطية واحدة، بل يتعداه إلى مجال التحولات الاجتماعية والنفسية للسلوك التي تصاحب انتقال الفرد من مرحلة إلى مرحلة أخرى عبر دورة الحياة التي يقطعها "Life Cycle" ويتضح دور الرموز الأخير في طقوس الانتقال أو المرورRites of passage (٣) التي تجرى للفرد في كل واحدة من هذه المراحل المتعاقبة التي يجتازها عند ولادته وبلوغه سن اليافعين فالزواج، فدخول مرحلة الأمومة والأبوة، فربيع العمر، ثم وصول سن الشيخوخة فالموت.

ويتضمن التفاعل الرمزي حقيقتان أساسيتان:

(أ) أن عمل الإنسان له دافع Motive، وموجه نحو هدف Goal.

(ب) أن عمل الإنسان متكامل بمعنى أن دوافع الإنسان وانفعالاته، تعمل في تناسق لتؤثر في سلوكه.

وأن الناس يستطيعون الانتساب إلى بعضهم البعض، ليس على أساس صفاتهم الموضوعية كما هي موجودة في الواقع، ولكن من خلال "الانطباعات" أي الأفكار الشخصية:

- التي يخلقها كل فرد منهم لدى الآخرين من خلال عملية التفاعل فيما بينهم كقاعدة للتنبؤ بسلوكهم.

- والتي تكون لدى كل شخص نحو نفسه "النظر إلى مرآة نفسه"، لتمدد بمعرفة هامة تساعده على تحديد كيف يتصرف في العلاقة مع الآخرين.

فمعرفة الفرد بأنه غبي أو ذكي، عجوز أو شاب، وسيم أو قبيح، مقبول أم مرفوض. كل هذه الصفات تعينه على تحديد التصرف المناسب في العلاقة مع الآخرين من خلال إدراك الآخرين ومراقبة تصرفاتهم تجاهه. فهناك على حد تعبير (تشارلز هوتون كولى) نوع من

المرآة الاجتماعية، نرى فيها الناس يقبلوننا أو يرفضوننا ومن هذه المعلومات. فإننا نصل إلى استنتاجات عن طبيعة أنفسنا:

كل منا للآخر بمثابة مرآة -تعكس صورة الآخر عندما يمر أمامها (٤). أي كل ما يجرى أو يدور.

Each to each a looking glass reflects to the other that dott pass.

ولكن حسب شروط الطبقة الاجتماعية

but in termes of social class self apparasial Process.

وهذه ترى فى عملية تقديم الذات بواسطة الفرد ناتج عن ادراكه الدقيق وتفسيرد لردود افعال الاشخاص الآخرين بالنسبة إليه.(٥:١٧١،١٧٢)

علم النفس الاجتماعي كحلقة اتصال بين علم النفس وعلم الاجتماع

يعتبر علم النفس الاجتماعي حلقة الاتصال بين الدراسات النفسية التي تقوم أساسا على دراسة سلوك الفرد لجوانبه المختلفة، وبين الدراسات الاجتماعية التي تركز على سلوك الجماعات بجوانبها المتعددة، وتفاعلاتها المختلفة. فعلم النفس الاجتماعي يدرس تأثير الفرد في الجماعة وتأثير الجماعة في الفرد أي أنه يدرس التفاعلات السلوكية بين الأفراد والجماعات كما تتضح من مجالاته. وبالمقارنة بينهما وبين مجالات كل من علم النفس وعلم الاجتماع. فعلم النفس يهتم منذ نشأته بالفرد ككائن حي محاولا الكشف عن طبيعته والعوامل التي تساعد على تكيفه مع البيئة واكتساب معلوماته. أما علم الاجتماع فيدرس نمو التنظيم الاجتماعي والمبادئ الاجتماعية ويعنى بدراسة الجماعات وتكوينها والعلاقات المتكونة بينها (وليس سلوك الفرد في الجماعة).

فعلم النفس الاجتماعي أكثر تحديدا لأنه يدرس تفاعل الفرد مع الآخرين والعوامل النفسية التي يتضمنها تكوين الجماعات، كذلك يهتم باستجابات الفرد لبعض الجماعات ولأعضائها. وهنا يتركز الاهتمام على التفاعل داخل الجماعة أو بين أعضائها. **Intra-group interaction**، كما قد يعنى باستجابات الفرد للجماعات التي يشعر بعدم انتمائه إليها. أو أنه ليس عضوا من أعضائها، وهنا يتركز الاهتمام على طبيعة تفاعل أو استجابة الأفراد الذين ينتمون إلى جماعات مختلفة **Inter – group interaction**.

كذلك يهتم علم النفس الاجتماعي، بمواقف التفاعل الجمعي، بين الفرد وبين التجمعات الجماهيرية التي تفتقر إلى وجود تنظيم ومعايير متميزة أو التي تخرج عن نطاق الأحداث المعتادة ولا تحدث إلا أوقات الأزمات وفترات عدم الاستقرار، والتغيرات الاجتماعية الكبرى عندما تحدث اهتزازات في المعايير أو القيم، ويتبلور الموقف عن معايير وشعارات جديدة لأنها تمثل تنبيهات اجتماعية مباشرة قد يتفاعل معها الأفراد بطرق مختلفة.

علم النفس الاجتماعي وعلم النفس البيئي

ثمة تقارب وثيق بين اهتمامات علم النفس الاجتماعي وعلم النفس البيئي، وتداخل عميق في طرق البحث المستخدمة في هذين الميدانين. فقد أفاد علم النفس البيئي من إسهامات علم النفس الاجتماعي، وأن تكوين الاتجاهات البيئية وتغيرها ينتمي إلى دراسة

الاتجاهات كأحد الموضوعات الرئيسية في علم النفس الاجتماعي. كذلك تؤثر عوامل البيئة الطبيعية في السلوك الاجتماعي كالعدوان والتواد والإنجاز. هذا التقارب والتداخل بين علم النفس الاجتماعي وعلم النفس البيئي، كان موضوعا لجدل علمي نشر في عدة أعداد من "نشرة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي 'Personality and Social Psychology Bulletin' في عام ١٩٧٦، بشأن استخدام نظريات علم النفس الاجتماعي وطرق البحث فيه في تطوير ميدان علم النفس البيئي، وذلك بين اثنين من العلماء المبرزين في علم النفس الاجتماعي الذين صارا الآن من أقطاب علم النفس البيئي وهما:

"أروين التمان" الذي وافق على استخدام علم النفس الاجتماعي في تطوير علم النفس البيئي – و "هارولد بروشانسكى" الذي يعترض على ذلك. ويعطى "طلعت منصور" مفهوما لعلم النفس البيئي على أنه.

"الدراسة العلمية للعلاقة المتبادلة بين السلوك والبيئة الطبيعية والمشيدة (١٤،١٣:٦)".

فالبداية في هذا هي الإنسان والنهاية هي الإنسان أيضا. وإننا إذا أردنا أن نربى الإنسان تربية بيئية فلنبدأ به وببنائه عقليا ووجدانيا وسلوكيا في هذا الاتجاه. وعندئذ سيكون قادرا ومقتنعا وممارسا للسلوك البيئي المرغوب منه، مما ينعكس في النهاية على البيئة بمختلف مظاهر الحياة فيها. والمربى في حركته اليومية الجزئية، أيا كان نوعها: تعليما أو توجيها أو إدارة أو تخطيطا أو بحثا، هو في الحقيقة مشارك في حركة مجتمعه كله، وكلما زاد وعيه بهذا المجتمع المنتمى إليه وزادت درايته ببيئته الاجتماعية، زادت حركته اليومية الجزئية معنى وقيمة بل زادت فاعلية وسدادا.

علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الشخصية

يشترك علم النفس الاجتماعي وعلم النفس الشخصية في أن كلاهما يركز على الكيان الفردي، وعلى ذلك فهما أيضا وثيقا الصلة. وبالفعل فإن المؤسسة الأمريكية لعلم النفس قد انتهت إلى أنه من الصعوبة بمكان الفصل بين هذين الأمرين وهو ما جعل تلك المؤسسة تقوم بتضمينهما معا في نفس الصحف الصادرة عنها (جريدة علم النفس الاجتماعي والشخصية).

والخلاف بين هذين العلمين يكمن في الطبيعة الاجتماعية التي يتميز بها علم النفس الاجتماعي. فعلماء علم نفس الشخصية يولون اهتماما أكبر للوظائف الداخلية الخاصة في دخائلنا، وهم يهتمون بصورة خاصة بالفروق بين الأفراد في السمات المميزة مثل احترام الذات، العدوانية على سبيل المثال. فبالنسبة لسؤال مثل "لماذا يتميز بعض الأفراد بالعدوانية عن البعض الآخر؟ فإن علماء علم النفس الاجتماعي يركزون أكثر على الطبيعة الإنسانية العامة وعلى كيف يفكر الأفراد عموما ويؤثرون في بعضهم البعض وقد نجح هذا المجال في تجميع قدرا كبيرا من الأدلة فيما يتعلق بكيفية جعل المواقف الاجتماعية تدفع معظم الناس للتصرف إما بصورة طيبة أو بصورة شرسة وكيف يقودهم ذلك إما للانصياع أو التمرد والتصرف باستقلالية أو بجعلهم يحبون أو يميلون لأهوائهم.

هذه ليست الفروق الوحيدة فهناك فروق أخرى بين علم نفس الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، فعلم النفس الاجتماعي تاريخه الفعلي قصير عن علم نفس الشخصية. وكما لاحظ لي شيرست (١٩٨٦) فإن الكثير من أبطال علم نفس الشخصية أمثال سيجموند فرويد، كارل يونج، الفريد أدلر، إبراهام ماسلو قد ماتوا ووراهم الثرى. وعلى النقيض من ذلك، فإن العديد ممن اسهموا في علم النفس الاجتماعي اللهم إلا قلة محدودة لازالوا على قيد الحياة ويتمتعون بالصحة والحيوية. وأيضا فإن علم النفس الاجتماعي يتميز بأن عدد الأبطال المشهورين الذين قاموا بوضع نظرياته الشهيرة عددهم أقل كما أن علم النفس الاجتماعي يضم عددا كبيرا من الأبطال المغمورين الذين قاموا بإسهامات رائعة رغم أنهم لم يقوموا بوضع نظريات اللهم إلا النذر اليسير.

مستويات التفسير:

يصعب على علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وعلم نفس الشخصية شغل الحيز المخصص لدراسة الكائن الإنساني، فهناك العديد من الزوايا العديدة الصالحة للدراسة في الجانب الإنساني. وهذه الجوانب يمكن تقسيمها إلى أفرع دراسة أكاديمية تتفاوت ما بين العلوم الأساسية بدءا من الطبيعة وانتهاء بالفلسفة. وتحديد أي الجوانب أشد التصاقا بالطبيعة الإنسانية ويتوقف وبالضرورة على ما يريد الباحث أن يطرقه ويتحدث عنه.

ولنأخذ جانب في الإنسان على سبيل المثال فقد يصف عالم النفس الحب على أنها حالة تنتاب الإنسان. بينما يسهب الشاعر في سمو التجربة التي قد يسفر الحب عنها. أما عالم الدين فقد يصف الحب على أنه الهدف المبتغى من العلاقات الإنسانية التي وضعها الله.

التفسير المتكامل

علم الدين
الفلسفة
علم الاجتماع
علم النفس الاجتماعي
علم النفس
علم الأحياء
الكيمياء
الطبيعة

التفسير العناصرى

شكل (١): ترتيب جزئى لأفرع العلوم، هذه الأفرع تتراوح من العلوم الانسانية التى تدرس مكونات البناء الخاصة بالطبيعة وحتى الأفرع المتكاملة التى تعنى بدراسة الأنظمة المعقدة.

ولأن شعورا داهما مثل الحب يمكن وضعه فى الغالب ــ وفى نفس اللحظة ــ بأساليب ومستويات مختلفة، لذلك فلا حاجة للذهاب بأن مستوى واحد من شأنه أن يؤدى إلى حيث عرض آخر، وذلك بافتراض أنه ــ وعلى سبيل المثال ــ يمكن أن تؤدى الحالة الذهنية

للمخ الإنسانى إلى الاحساس بعاطفة الحب أو أن العاطفة قد تسبب الحالة الذهنية للمخ الإنسانى لجعل الإنسان يشعر بأنه وقع فى الحب.

إذن فإن البعد العاطفى والنفسى هما وببساطة طريقان لرؤية نفس الحدث.

ولا يصح أن يؤدى التفسير الناجح للوظيفة الإنسانية فى مستوى ما إلى تفويض التفسير الخاص بالمستويات الأخرى. ومن المهم أيضا أن تتذكر أن مستوى ما من التفسير لجانب انسانى، لا يصح أن يحتل مكانة مرموقة عن تفسير لجانب آخر.

كما أن التفسيرات العلمية الناجحة على سبيل المثال لا يصح أن تفوض أو تجهض المناحى الخاصة بالدراسات الأدبية والفلسفية فى الجانب الإنسانى.

نقطة الإهتمام الأساسية فى علم النفس الإجتماعى

إن نقطة الإهتمام الأساسية فى علم النفس الإجتماعى. هو كيف يتأثر سلوك الفرد بالمتغيرات الإجتماعية المختلفة التى تسود بيئته الاجتماعية، أو بمعنى آخر كيف يؤثر الاطار الاجتماعى الذى يعيش الفرد فى كنفه فى ضروب سلوكه المختلفة، سواء تمثل الاطار الاجتماعى فى نطاق ضيق كعلاقة الفرد بفرد آخر، أو نطاق أوسع قليلا مثل الأسرة. أو أكثر اتساعا عن هذا مثل الطبقة الاجتماعية أو الاقتصادية أو المجتمع عامة. فعلم النفس الاجتماعى كما يشير بذلك محمود أبو النيل ـ (٤٨،٤٧:٧) يهتم بدراسة سلوك الفرد وخبرته، والمجال الذى يتم فيه هذا السلوك دراسة علمية تفاعلية.

ويعنى بسلوك الفرد وخبرته كافة العمليات النفسية من تذكر وإدراك وتفكير واتجاهات وميول وذكاء، أما الشق الثانى أى المجال (١) الثقافة والمجتمع الذى يعيش فيه الفرد ويتشكل سلوكه فيه أى يتأثر به ويؤثر فيه. كما يعنى بالمجال أيضا، (٢) الثقافة الفرعية **Subculture** الموجودة فى المجتمع كالريف، والحضر، والبدو وسكان السواحل، وسكان الجبال.

ووجه الاهتمام بالثقافات الفرعية هو معرفة كيف أن جوانب السلوك المختلفة من إدراك وتفكير يختلف تبعا لاختلاف الثقافة الفرعية، أى بين أهل الريف، وأهل الحضر، وبين البدو، وبين سكان السواحل، كذلك فإن المجال يتضمن أكثر من ثقافة واحدة، أى محاولة الكشف عن: كيف أن الذكاء أو الشخصية يختلفان من ثقافة لأخرى بإجراء المقارنات الثقافية **Cultural Comparisons** أو بإجراء الدراسات العبر ثقافية **Cross-Cultural Study** بين الأمريكيين واليابانيين.

أهمية علم النفس الاجتماعى

يقول "**فؤاد البهى السيد**" فى صدد أهمية علم النفس الاجتماعي: "إذا جاز لنا أن نفرض إمكان بحث كل علاقة اجتماعية بحثا علميا موضوعيا، إذا جاز لنا أن نفرض أن شقاء النوع الإنسانى يرجع فى جوهره إلى اختلاف النظم الاقتصادية القائمة فى جميع أنحاء المعمورة: حيث تجحف الناس فى توزيعها للعمل والجهد والثروات. وإذا جاز لنا أن نفرض أن اختلال تلك النظم يصدر من جهل بطبائع الإنسان الاجتماعية.. جاز لنا بعد كل ذلك؛ أن نفرض أن فى مقدرة الأبحاث الاجتماعية النفسية أن تنقذ العالم من الهوة السحيقة التى يوشك أن يتردى فيها، وأن فى مقدورها أيضا أن تنشئ الدعائم الأساسية لحياة اجتماعية

فاضلة نقية (٨). حيث أن خلاص البشرية من منغصاتها يكمن في الدراسة العلمية الاجتماعية للإنسان تلك التى يمكن أن يعبر عنها: "بأننا رغم اختلافنا فى الظاهر، مواطنون في عالم واحد، أصبح من خلال تكنولوجيا الاتصال قرية صغيرة".

أولا: علم النفس الاجتماعي والمعلم:

إن المعلم لا يستطيع أن يستغنى عن المادة التى يقدمها له علم النفس الإجتماعى. بل إننا لا نغالى إذا قلنا عن المعلم يحتاج إلى علم النفس الاجتماعى قدر حاجته إلى علم النفس التعليمى وذلك للأسباب الآتية:

(١) إذا كان علم النفس التعليمى يوقف المعلم على طبيعة عملية التعلم وكيف يتم اكتساب الخبرة المؤدية إلى التعلم، فإن عملية التعلم ذاتها لا تحدث فى فراغ وإنما تحدث فى وسط اجتماعى، وتتأثر بهذا الوسط، وبالعلاقات السائدة بين عناصره البشرية. والمدرسة ذاتها بيئة اجتماعية بالدرجة الأولى، ووظيفتها الأساسية ان تعد التلاميذ للمعيشة فى المجتمع، والتعامل مع أفراده تعاملا يؤدى إلى نموهم من ناحية، وإلى إفادة المجتمع وتقدمه من ناحية أخرى.

(٢) إن المعلم فى حاجة إلى أن يعرف كيف تحدث التنشئة الاجتماعية، للأبناء الصغار. وهى العملية الاجتماعية التى يتطبع من خلالها الطفل بطابع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها. والمعلم نفسه أحد القوى التى تسهم فى عملية التطبيع هذه. وعلى ذلك فإن على المعلم أن يعرف كيف ينشأ الفرد (المتعلم) وكيف يكتسب الخبرات المتاحة له. وأن يفهم جيدا ديناميكية التنشئة، وكيف تؤدى التنشئة الاجتماعية أحيانا إلى شخصية سوية، وتؤدى أحيانا أخرى إلى شخصية غير سوية.

(٣) عندما يتعامل المعلم مع تلاميذ فصله فإنه يتعامل مع جماعة، وعليه أن يعرف خصائص الجماعة، والقواعد التى تحكم الأفراد داخلها، وفى مواقف النشاط، ومواقف التعلم، والمعايير التى تستخدمها الجماعة فى التأثير، والضغط على الأفراد لمسايرة القواعد التى اصطلحت عليها الجماعة. مستفيدا من عوامل التنافس والتعاون بين الأفراد، لدفعهم إلى المشاركة الايجابية فى الموقف التعليمى.

(٤) كما يهدف موضوع ديناميات الجماعة المدرسية إلى تعريف المعلم بالجهود الممكن أن تبذل لتحقيق جو من التوافق والتكيف داخل الجماعة ـ سواء كان ذلك ـ بين التلاميذ أو بين المدرسين أو بين التلاميذ والمدرسين.

(٥) كما يهدف إلى مد المعلم ببعض المهارات الخاصة بكيفية قياس وتشخيص ديناميات الجماعة من خلال عرض بعض الأسس والأساليب الخاصة بذلك كقياس اتجاهات الجماعة وقيمها والعلاقات الاجتماعية فيها.

(٦) من الأهداف التربوية الهامة، والتى يحرص المعلمون على تحقيقها فى المجال التربوى "اكتشاف العناصر القيادية" التى يتوافر لديها مقومات القيادة الديمقراطية وتدريب هذه العناصر حتى تصقل إمكانياتها القيادية، كذلك على المعلم أن يعرف طبيعة عملية القيادة، وكيف يمكن التمييز بين القيادة التلقائية وبين التسلط الذى قد يمارسه بعض التلاميذ. وعلى المعلم أن يتعرف على المواقف التعليمية التى من شأنها أن تدرب

التلاميذ ذوى الاستعدادات القيادية على ممارسة القيادة وتعلم بعض المهارات الاجتماعية من أجل إقامة علاقات اجتماعية ناجحة مع المحيطين به (القدرة على تكوين صداقة) وبالشكل الذى لا يتعارض مع حريته فى التعبير عن رأيه والدفاع عن حقوقه (القدرة على توكيد الذات).

(٧) إلى جانب أن علم النفس الاجتماعى يجعل المعلم فى مقدوره أن يوظف الخلفية الاجتماعية التى تكمن وراء سلوك التلاميذ داخل الفصل، وينبه إلى أن هذه الخلفية هى التى تقدم مؤشرات من شأنها أن تلقى الضوء على الأسباب التى تجعل التلاميذ ينصرفون ويتفاعلون ويتحركون. من هنا تتجلى أهمية فهم المعلم لعملية التنشئة الاجتماعية للتلاميذ وطبيعة العوامل الاجتماعية التى تحدد وتشكل سلوك الأبناء داخل الفصل الدراسى.

(٨) لقد أكدت دراسة (شونرت Schunert) عام ١٩٥١، أن معرفة المعلم بشخصية التلميذ قد تؤدى إلى تحسن التحصيل، وخاصة إذا أعين المعلم على استخدام هذه المعلومات على نحو معين ينمى فيه ما يسميه علماء النفس الاجتماعيون "الإدراك الاجتماعى" أو "إدراك الأشخاص من ناحية، وما يسميه علماء القياس النفسى "الذكاء الاجتماعى" (٩:١٢٧،١٢٨) .

ويستخدم مصطلح "الإدراك" فى علم النفس الاجتماعى استخداما مغايرا عن استخدامه فى علم النفس التجريبى، فهو فى علم النفس التجريبى يعنى قدرة المرء على تنظيم التنبيهات الحسية الواردة إليه عن طريق الحواس المختلفة، ومعالجتها ذهنيا فى إطار الخبرات السابقة والتعرف عليها، وإعطائها معانيها ودلالاتها المعرفية المختلفة. أما فى علم النفس الاجتماعى فيتركز الاهتمام على إدراك الفرد للآخرين فى إطار عمليات التفاعل الاجتماعى. وهى عمليات معقدة ومركبة وتعتمد على خصائص الموقف الذى يتم فيه التفاعل، وعلى نوع العلاقات التى تصل ما بين المتفاعلين فى ذلك الموقف. وعلى فكرة الفرد عن إدراك زميله له. ويعرف كاهن ـ ١٩٨٤ ـ Kahn . A.S "الإدراك الاجتماعى بأنه يعنى: عملية تكوين انطباعات عن الآخرين، وتقويمهم والحكم على سلوكهم وخصالهم (سواء ما يتعلق بمشاعرهم أو مقاصدهم، أو شخصيتهم أو استعداداتهم.. الخ). كما أنه يتضمن وضع الفرد للأشخاص الآخرين وتصنيفهم فى فئات ذات معنى (كأن يصنف الفرد الآخرين على أساس: المظهر الجسمى أو ملامح الوجه، أو فى ضوء بعض المتغيرات السيكولوجية.. مثل: العداوة.. والكراهية أو التسامح والحب (١٠) وأن الاشخاص الأكثر مهارة اجتماعية يتميزون بالادراك الدقيق للأخرين والفهم الجيد للتعبيرات الوجهية والانفعالية للآخرين.

كل هذه المواقف تحتاج من المعلم الذى يريد أن يؤدى عمله بنجاح أن يكون على إلمام كامل بعلم النفس الاجتماعى. ويكفى أن طبيعة عمل المعلم هى أنه قائدا لجماعة من التلاميذ، سواء كانت جماعة فصل أم جماعة نشاط مدرسى، فهو يعمل على توفير المواقف التعليمية من خلالها بجانب المعلومات، المفاهيم العلمية، المهارات والاتجاهات الاجتماعية التى تمثل جزءا أساسيا من إعدادهم للحياة الاجتماعية.

ثانياً: علم النفس الاجتماعي والإعلامي التربوي

إننا فى حاجة إلى أن نضع التلاميذ فى قالب الأحداث، ووسط الأخبار ولا نبتعد بهم عنها، ولا نحول بينهم وبيننا.. إنها تترامى إليهم، فمهما حاولنا عزلهم عن الأحداث فإن الطفل المعاصر فى هذا العالم الذى أصبح قرية صغيرة، لن يكون أبدا "روبنسون كروزو" أو حى بن يقظان" يعيش فى جزيرة مهجورة، بل إنه يتلقى الأخبار، بل وينقلها، ويذيعها، ويتجاوز ذلك إلى التعقيب والتعليق عليها. لذا فإن التدريب على تلقى الأخبار يجب أن يبدأ من المنطلقات الثلاث، البيت، والمدرسة، والبيئة متضافرة مع ما تقدمه وسائل الاعلام واجهزته، ذلك هم الاخرون ذوى الشأن فى حياة الطفل. **Significant others**

الإعلام التربوى بمفهومه الواسع هو: استخدام كافة أساليب التكنولوجيا الإتصالية الحديثة (المسموعة والمرئية والمنشورة واللقاءات الميدانية) لتوعية المواطن وإمداده بكافة (الأراء، والمعلومات، والخبرات، والاتجاهات، والمعتقدات، وصقل مواهبه) التى من شأنها أن تمس ناحية من النواحى (التربوية، أو الاجتماعية، أو النفسية، او التعليمية) وكذا التناول الاعلامى للمشكلات الاجتماعية والظواهر المرضية بشكل مباشر من خلال الاتصال الشخصى أو غير مباشر من خلال الإتصال الجماهيرى" (١١:١٦٥).

قبل أن نوضح كيف يستفيد الإعلامى التربوى من دراسته لعلم النفس الاجتماعى. ينبغى أن نزيح الستار عن الأهداف التى يسعى الإعلام التربوى إلى تحقيقها، ومن خلالها تتضح أهمية دراسة العلم، وهى على النحو التالى:

١-دعم التكامل التربوى، القائم بين المنزل والمدرسة بخلق وسائل اتصال فعالة تنقل وجهات النظر بين الطرفين. فصحيفة المدرسة التى تدخل منزل التلاميذ تساهم فى نقل وجهة نظر التلاميذ والمدرسين إلى الأهل، ولو ساهم الأباء فى تحريرها أو طرحوا مشاكلهم لأطلع الطرف الآخر الذى هو الهيئة التدريسية على كثير من التفصيلات التى تدفع العملية التعليمية للأمام، ولا يقتصر التكامل على العملية التعليمية وحدها، فإن تقارب الأفكار وردم الهوة بين تفكير الأجيال ونظرتها للحياة، يمكن أن يتحقق عن طريق تلك الوسائل. وهذا يتطلب من أخصائى الاعلام التربوى الإلمام بأساليب التنشئة الاجتماعية والسياسية والثقافية للأطفال الصغار، كما أن فهم الخلفية النفسية والاجتماعية للفئات تساعد على تقديم إعلام ناجح ومؤثر.

٢-تنمية روح التعاون وإذابة الفردية والأنانية وتشكيل الكائن الاجتماعى المتفاعل مع من حوله، وكسر الجمود الذى بدأ يسيطر على الحياة المدرسية نتيجة تطبيق "التعليم البنكى" القائم على إيداع المعلومات داخل عقول التلاميذ وطلب استدعائها فى وقت ما "وقت الامتحان"، والآثار النفسية والاجتماعية التربوية الناجمة عن ذلك. ويسهم الاعلام التربوى داخل المدرسة وخارجها، فى علاج ما ينجم من آثار سيئة على المواطن من خلال أسلوب التعلم البنكى، القائم على إيداع المعلومات داخل عقول التلاميذ وطلب استدعائها فى وقت ما "وقت الامتحان" والآثار النفسية والاجتماعية والتربوية الناجمة عن ذلك. ويهم الاعلام التربوى داخل المدرسة وخارجها، فى علاج ما ينجم من آثار سيئة على المواطن من خلال أسلوب التعليم البنكى لرفع أو تحسين

خصائص ونوعية المواطن من خلال تبصير المواطن بأهمية المشـــاركة فـــى وضـــع القرار، وتعويده على ذلك منذ الطفولة، ومن ثم يؤمن بجدوى المشاركة ويمارسها دون انتظار لأى توجيه، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالتنمية والقيـــم. وتدريـــب الأطفـــال والمراهقين على اتخاذ القرار عن طريق المشاركة، من خلال إعداد برامج يتم الاعلان عنها عن طريق الإذاعة، أو الصحافة المدرسية، أو الندوات العامة فى مكتبة المدرسة، أو من خلال عروض تقدم على المسرح المدرسى. وهناك أكثر مـــن طريقـــة لتعزيـــز المشاركة وتنشيط جماعة الفصل، تبدأ بشئ بسيط للتعبير عن الراى من خلال "إنشـــاء صندوق اقتراحات" أو "ركن المنازعات" حيث يستطيع أن يتوجه طالبان للتوصل إلى حل لخلافاتهما أو "لجنة عدالة" يقوم فيها اخصائى الاعلام التربوى بالمدرسة بدور الوسيط. أو تعليق كتابى فى إحدى صحف المدرسة الحائطية، أو الإذاعة المدرسية عن الوضـــع الراهن للامتحانات التقليدية وكيفية تحسينها (١١: ١٦٦، ١٦٧).

ويذكرنا البرنامج التليفزيونى المصرى الناجح **"البرلمان الصغير"** . كيف يســـهم الاعلام التربوى فى كيفية مساعدة الأطفال على فهم ان الناس يصنعون القواعد لمســـاعدة أنفسهم على الحياة مع بعضهم البعض، من خلال مناقشة ووضع هذه القواعد.

ويملك علم النفس الاجتماعى مجموعة من المفاهيم تلعب دورا بارزا فى تشـــكيل رؤية الفرد وأسلوب اتخاذه لقراراته. ويقف على راس هذه المفاهيم. بل ربمـــا يتخطاهـــا جميعا فى الأهمية ــ مفهوم "الاتجاهات" ذلك المفهوم من المفاهيم التى تلعب دورا أساســـيا فى تشكيل الرأى حيث تعد هى المصدر الحقيقى لذلك الرأى. ويعود بنا هذا المنظـــور إلـــى تعريف "أولبورت" للإتجاه من كونه "حالة من الاستعداد أو التأهب العصبى أو العقلى، تنتظم من خلاله خبرة الفرد وتكون بمثابة تأثير توجيهى أو دينامى لاســـتجابته تجـــاه المواقـــف المختلفة التى تعرض له". وجدير بالذكر أن مفهوم الاتجاه مفهوم ذو أهمية خاصة لتحديـــد العلاقة بين الفرد من جهة والوسط الاجتماعى المحيط به من جهة أخرى. فالإتجاه المعـــبر عنه فى شكل كلمة أو سلوك او إشارة أو إيمائة ما هو إلا الرأى فى أدق معانيه، وكل ذلـــك يستفيد منه أخصائى الاعلام التربوى، لأنه يعد أساسيا فى تحليل الرأى العام.

أيضا يلعب "مفهوم التوافق" دورا أساسيا فى مجال الرأى العام. فيذهب "ريزمـــان وجليزر **Riesman and Glazer**" إلى أن اعتناق الفرد لرأى ما ــ مهما كانت طبيعته ــ من شأنه أن يخدم غرض التوافق الاجتماعى لدى هذا الفرد. فهناك عوامل نفسية عديـــدة تدفع الفرد لأن يربط مصيره بمصائر أقرب الأفراد إليه، ولا يشذ عنهم غالبا ســـواء كـــان هؤلاء الأفراد هم جماعاته الأولية كأفراد أسرته، أو جماعته الثانوية كجماعات الفصـــل أو النشاط المدرسى، أو الجيران أو أعضاء حزب سياسى أو نقابى، وهى الجماعات التى قد لا يعرف أفرادها بصفة مباشرة أو الذين يعرفهم بصفة شـــخصية ولكنـــه يعتـــبر أن كيانـــه ومصلحتـــه مرتبطـــة بـــهم.. ويلجـــأ الفـــرد إلـــى ذلـــك حمايـــة لذاتـــه الشـــخصية أو الاجتماعية(١٣،١٢: ٢٨، ٢٩).

ويؤكد (دانيال يافكليوفيتش **Daniel Yankelovich**) بدوره على أهمية العوامل النفسية فى تشكيل الرأى العام فيذهب إلى أن الرأى العام يحتاج إلى عدة اعتبـــارات مـــن

أهمـــها تنميــة فـــهم أفضـــل للعلاقـــة بيـــن الآراء والاتجاهـــات والقيـــم والمعتقـــدات (١٤: ١٨٩، ١٣: ٣٣) وكلها مفاهيم يتسنى لأخصائى الاعلام التربوى الإفادة من دراستها من خلال علم النفس الاجتماعى.

٣-إن الإعلام التربوى مبنى على عملية الاتصال، والاتصال يمكن اعتباره عملية اجتماعية أو ظاهرة اجتماعية، سواء اعتبرناه عملية أو ظاهرة اجتماعية، فإنه من الضرورى أن ندرك أن كل ظاهرة اجتماعية عبارة عن نتاج تفاعل الأفراد أو الجماعات. ترتيبا علـى ما سبق فإن الاتصال كمفهوم يشير إلى العلاقة التى تكون بين النـــاس داخـل نسـق اجتماعى Social System معين يختلف من حيث الحجم ومن حيث نـــوع الأنشـطة السائدة فيه، بمعنى أن هذا النسق قد يكون مجرد علاقة ثنائية نمطية بيـــن شـخصين (محرر وقارئ.. مذيع ومستمع.. مقدم برامج ومشاهد) ولكى يكون هناك إتصال فعـال بين اخصائى الاعلام التربوى والمتلقين الحاملين لتاريخ حياتهم فى داخلهم، وجب عليه الالمام بموضوعين أساسيين فى علم النفس الاجتماعى وهمـــا التفـاعل الاجتمـاعى والتنشئة الاجتماعية، ويعتبر التعلم الاجتماعى الذي يقوم علـى النمذجـة والمحاكـاة والعبرة حجر الزاوية فى تشكيل السلوك من خلال وسائل الاعلام المختلفة عن طريـق الملاحظة المرسلة أى التى تتم عن طريق وسيلة إتصال.

٤-يذهب "أرنست ديشتر Ernest Dichter" فى رؤيته المستقبلية لبحوث الرأى العام إلى ضرورة دراسة المكونات الانفعالية Emotional Components لاتجاهات الأفـــراد تجاه المشكلة موضوع الدراسة مثل "ظاهرة الدروس الخصوصية، الأغانى الهابطـة ــ عدم أدلاء الشباب بأصواتهم فى الانتخابات عن طريق مقاييس تعد لذلك لتحديد مـا إذا كان المستجيب لا يفكر على الاطلاق فى تلك المشكلة أم انه يهتم بها أم أنها تسـتغرقة إلى حد بعيد (١٣: ٣٣). وعلى اخصائى الاعلام التربوى أن يفسر نتائج هذه الدراسات من خلال المجتمع والطابع القومى لأفراده والأثر الاجتماعى للقيم المرغوبة أو المقبولة من هؤلاء الأفراد، ومدى تكيفهم النفسى والاجتماعى والسياسى فى البيئة.

٥-تدعيم الأنشطة المدرسية المختلفة بالمشاركة فيها ونقدها وتقييمها والكتابة عنها: مما يعطيها دفعا كبيرا وينقلها من مجرد تمضية لأوقات الفراغ إلى عامل أساسى فى نجاح العملية التربوية ذاتها (١٥). ويمكن اعتبار لجان الاعلام التربوى (الصحافة والإذاعـة والمسرح المدرسى) دينامو النشاط المدرسى فهى ذات علاقة فعالة ومباشـــرة ببقيـة لجان النشاط المدرسى الأخرى.

ويتطلب تحقيق هذا الهدف إلمام اخصائى الاعلام الـــتربوى بخصـــائص وديناميـات الجماعة والعمليات الاجتماعية (البناءة) لترسيخها والتأكيد عليها فـــى عملـه بالمدرسـة والعمليات الاجتماعية (الهدامة) لاستبعادها وتحويل التنافس من عامل هدم إلى عامل حـافز على النشاط، والإفادة من العوامل التى تؤدى إلى توحد الفرد مع جماعة الصحافة بالمدرسة ومن ديناميات القيادة وكيفية اختيار العناصر القيادية الاعلامية وأساليب صقلـــها. وكلـها موضوعات هامة فى علم النفس الإجتماعي يفيد منها اخصائى الاعلام الـــتربوى. فخلـق الكوادر الإعلامية المتخصصة تحتاج إلى إعداد طويل يبدأ من إعلام المدرسة.

٦-حل المشكلات النفسية والاجتماعية التى يعانى منها التلاميذ. فمن يشعر بالخجل داخل الفصل لا يشعر به أمام الميكروفون الإذاعى فى حجرة مغلقة، ومن يكتب مقالا أو اكثر لصحيفة المدرسة يشعر بأهميته الشخصية (توكيد الذات كمهارة اجتماعية) ويبدأ بالتحرر من عوامل الخجل. ومن خلال اعطائه حرية التعبير اللغوى والفنى من خلال المسرح المدرسى ومجلات الحائط وصحافة المدرسة تنمى لديه التفكير الناقد الذى يبعده عن التعصب والسقوط فى براثن الإدمان والتطرف والإرهاب "الثالوث المدمر".

٧-تستطيع الصحافة المدرسية أن تلعب دورا فعالا وايجابيا فى المجتمع الذى توجد فيه من خلال قيامها بعرض بعض المعلومات والموضوعات الاجتماعية التى تؤكد القيم الاجتماعية الإيجابية لدى التلاميذ مثل الأمانة والعدل والنظام والتواضع والرحمة والاحسان والصدق والإنتماء وتحمل المسئولية والتعاون والإيثار. ولا يتوقف دور الإذاعة والصحافة المدرسية والمسرح المدرسى التربوى عند عرض القيم الإيجابية فحسب وإنما يتعدى دورها إلى محاربة السلبية المنتشرة بين بعض أفراد المجتمع. مثل اللامبالاة، والأنانية، والرشوة، وعدم احترام النظام الذي يقوم عليه المجتمع. والسلبية وعدم تحمل المسئولية، وعدم المشاركة الايجابية للشباب فى الإدلاء بأصواتهم لاختيار ممثليهم سواء فى الاتحادات أو المجالس الشعبية والمحليات.

٨-من خلال "نظرية التسمية" أو "نظرية العلامة" او "البطاقة" أو "الفيش" يمكن لاخصائى الاعلام التربوى من خلال علاقاته المهنية مع تلاميذه ومجلس الآباء والمعلمين- مساعدتهم فى تحديد المعانى التى يجب أن تنسب ولا تكون ظالمة إلى الآخرين لتكوين إتجاه "سلبى" من حيث الإحجام عن تكوين علاقات اجتماعية مع من يخرق القانون او يتجاوز أى سلوك طبيعى داخل أو خارج المؤسسة التعليمية. وعلى سبيل المثال فإن علامات أو أسماء تقرن بأشخاص مثل (مسجل خطر- عاهرة- إرهابى- متطرف دينى أو مشعوذ أو روش- عبدة شيطان- مدمن مخدرات- مريض بالإيدز) كلها تثير معانى قوية. يجب إيضاحها من خلال الصحافة والإذاعة والمسرح المدرسى، لتظل مرشدا وهاديا لسلوك الطلاب وجماهير الحى المجاور للمدرسة والآباء والمعلمين نحو الشخص الذى يحمل هذه الصفات. لتشكيل آرائهم واتجاهاتهم نحوه. فإن تصرفات الناس تشكلها المعانى التى يحملونها عن العالم المادى والاجتماعى.

٩-المسرح المدرسى ساحة اجتماعية Social Orena هو ذلك الشعور بأننا جزء من مناسبة اجتماعية ما، أو من واقعة ما، تحدث الآن أمامنا. ويمكن فهم العديد من الظواهر التى تحدث فى المسرح من خلال المصطلحات التى استخدمها علماء علم النفس الاجتماعى لوصف النشاطات والاحداث الجماعية بشكل عام من خلال العمليات الاجتماعية فى المسرح وتطبيق تلك المبادئ والتى رسخت فى علم النفس الاجتماعى على الخبرة المسرحية (١٦:٩٣) .

١٠- المناخ النفسى الذى يتوجب من اخصائى الاعلام التربوى اشاعته فى جماعة الصحافة والإذاعة المدرسية والتى يقوم بقيادتها (مثلما يقوم المعلم بقيادة جماعة الفصل)، هذا المناخ النفسى الذى يشيع فى الجماعة Group Climare من شأنه ان

يحدد مدى دقة الإدراك الاجتماعى بين أعضاء هذه الجماعة التى يشرف على نشاطها. وذلك بناء على تكوين "حالة إدراكية Perceptual set" معينة تكون سلوك أعضاء الجماعة فى تفاعلها الاتصالى معه أولا كقائد لها، ثم تكون سلوك أعضاء الجماعة فى تفاعلها الاتصالى بين بعضهم الآخر أو بين الجماعة وغيرها من الجماعات الأخرى وانعكاسات سلوكه القيادى على خصائص السلوك الاتصالى بين أعضاء هذه الجماعة ويستفيد اخصائى الاعلام التربوى كثيرا من دراسته لعلم النفس الاجتماعى فى كيفية اشاعة هذا المناخ الاجتماعى النفسى الصحى.

ثالثاً: اهمية علم النفس الاجتماعى للاخصائى الاجتماعى

يستعين الاخصائى الاجتماعى بعلم النفس الاجتماعى فى فهمه ودراسته لأهمية تنمية العلاقات الإنسانية الديمقراطية -سواء داخل المدرسة او فى المصنع وفى تأكيده على اهمية المشاركة فى إتخاذ القرار وحافز التسهيل الاجتماعى، وفى فهمه ودراسته وتوجيهه للتماسك الاجتماعى، وفى اهمية فهم الإجواء الاجتماعية (الديمقراطية والأوتوقراطية والفوضوية) سواء أكان عمله فى المدرسة للتأكد على علاقة القبول والتقبل والاقبال بينه وبين التلاميذ لإمكانية حل مشكلاتهم وفى المصنع لزيادة الانتاج كما وكيفا واشباع حاجة البشر، وفى تأكيده على العلاقات الاجتماعية البناءة وفهمه للاتجاهات النفسية للأفراد سواء فى المدرسة أو فى المصنع وكيفية تعديلها إذا لزم الأمر من خلال فهمه لظاهرة التعصب. ولعل الظواهر الشبابية فى العالم المعاصر، وكذلك الحركات الإرهابية التى كثرت الآن على مستوى المجتمعات فى الكرة الأرضية، تصبح من الضرورى للأخصائى الاجتماعى أن يدرك أهمية العامل السيكولوجى والاجتماعى على كل حياة الفرد والجماعة وتحركاتهما ويفيد بذلك كثيرا فى دراسة الحالة سواء كانت فرد أو جماعة فى مجال علم النفس الاجتماعى والمساعدة فى تناول المشكلات الاجتماعية بالتحليل والتشخيص وتقديم النصح وتحديد نوع السلوك الذى يتم دراسته من قبل الأفراد الذين يدخلون كأطراف فى نطاق هذه المشكلة ونوع الجماعات موضوع الدراسة والظروف النوعية للسياق الاجتماعى الذى تحدث فيه المشكلات. ومحاولة تهيئة الظروف البيئية التى تخفف من الضغوط النفسية، وبالتالى تقيهم من الوقوع فى الصراعات والأمراض النفسية والعصبية.

رابعاً: الأهمية العامة العالمية لعلم النفس الاجتماعى

بدأت أهمية علم النفس الاجتماعية العالمية منذ نشأته المتشائمة بالانذار من المشكلات الحتمية للمستقبل وتطورت متفائلة إلى بناء ذلك المستقبل، ومعالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية ومشكلات النقد وحرية الأسواق، وتجنب العدوان والعنف والحرب لتحقيق الطمأنينة والسلام وكدعامة أساسية باعتباره السبيل الأمثل لحل كافة صراعات العالم والمشكلة الأزلية للشرق الأوسط وحسمها، وهكذا تسعى القيادة المصرية بقبوله كاتجاه عام تنادى به وتعمل على تحقيقه من خلال تقريب الفجوة بين الأطراف المشتركة فى مباحثات السلام بكافة الوسائل السلمية. ودراسة الإتجاه وهو موضوع أساسى فى علم النفس الاجتماعى لا تقتصر على جانب معين فى حياة الإنسان الفرد. بل المجتمع ككل وإنما تمتد هذه الدراسات لتمسك بأبعاد الحياة الإنسانية برمتها وبجوانبها المتعددة النفسية، الاجتماعية

والسياسية. هذه الجوانب قد تبدو منفصلة على المستوى الظاهرى، إلا أن التعمق فى النظر إلى طبيعة الحياة الإنسانية يجدها متماسكة بشكل يصعب معه فهم إحداها إلا بالتعرف (على الأقل) على الجوانب الأخرى فيها. فالظاهرة التى قد تبدو نفسية فى جانب منها.. هى ظاهرة اجتماعية بالضرورة فى جانب آخر، وقد تكون جانبها الثالث ظاهرة سياسية، وليس الأمر بغريب طالما أننا بصدد دراسة الإنسان سواء كان فى علاقة هذا الإنسان بنفسه او فى علاقته بالآخر سواء كان الآخر (فرد أو جماعة أو مجتمع) فعملية تكوين الإتجاه هى نتائج للعلاقة الديالكتيكية بين الفرد والمجتمع، فهو يؤثر فيه ويتأثر به، وينتج عن هذا ما يمكن أن نسميه بالعقل الجماعى أو عقل الجماعة على حد تعبير (ماكدوجال ١٩٢٠). وتبرز الأهمية العالمية لعلم النفس الاجتماعي فيما يلى:

(١) الإنذار من المشكلات الحتمية للمستقبل:

لقد أشار بعض المفكرين مثل (هربرت سبنسر، ١٨٢٠-١٩٠٣) إلى خطورة محاولة الناس توجيه التغير الاجتماعى او التعجيل به، حيث ان عملية التطور الاجتماعى كما يرى المفكرون وقتئذ تخضع لعوامل طبيعية، وليس للإنسان دخل فيها، بإعتبارها عملية طويلة المدى. وبذلك تتضح أهمية علم النفس الاجتماعى فى أنه ينذر الناس بما سيحدث فى المستقبل دون تدخل فى مجرى الأحداث، والإنذار هنا لا يقل أهمية عن عملية توجيه النشاط الاجتماعى الذى تبناها علم النفس الاجتماعى فى تطوره الحديث. والإنذار يعتمد على التنبؤ العلمى بأحداث الغد من خلال توعية الإنسان بضرورة أن يكون إتجاهه على أسس واضحة تفوق الانفعالية والعاطفية.

(٢) بناء المستقبل:

ذهب (أوجست كونت) من خلال نظرة تفاؤلية إلى أنه فى استطاعة الإنسان أن يصلح من شأنه بدراسة الجوانب الإجتماعية من الظواهر النفسية، ألم يتمكن الناس عن طريق إصلاح أحوال معيشتهم العادية عن طريق دراسة العلوم الطبيعية، وعن طريق دراسة العلوم البيولوجية الحيوية، ألم يتمكنوا من إصلاح أحوالهم الصحية؟ لماذا إذن لا نتوقع الخير من وراء علم النفس الاجتماعى؟

(٣) معالجة المشكلات الاقتصادية والسياسية:

غالبا ما تنشأ الأزمات الاقتصادية والسياسية عن ضعف الثقة بين فرد وفرد آخر. وبين جماعة وجماعة أخرى، بين أمة وأمة أخرى. والثقة حالة أخرى نفسية يمكن لعلم النفس الاجتماعى أن يدرسها، وان يعلم بعوامل قوتها وضعفها ونواحى توجيهها وإصلاحها وقد تنشا هذه الأزمات عن مطامع فرد او جماعة تجاد فرد أو جماعة أخرى أو عن مفاهيم خاطئة حول هذه الجماعة أو إتجاد عدائى.

وجميعها موضوعات يمكن لعلم النفس الاجتماعى أن يدلى بدلوه فيها ومن ثم يسهم فى علاج المشكلات الاقتصادية والسياسية.

(٤) معالجة مشكلات النقد وحرية الأسواق:

من خلال دراسة النشاط الاقتصادى كنوع من التفاعل الاجتماعى بين الأفراد والجماعات تحكمه ديناميات نفسية واجتماعية، تخضع بدورها للتوجيه الهادف نحو الحد

من تكتل الثروات فى أيدى قلة من المجتمع، مما يؤدى إلى فقدان الثقة بين افراده كما تشير لنا بذلك نواتج الإنفتاح الاستهلاكى من إنتشار السمسرة والاتجار فى العملة والتى قادت المجتمع فى وقت ما إلى خلل فى العلاقات الاجتماعية بين أفراده.

(٥) معالجة مشكلات العدوان والحروب:

الإنسان فى علاقاته الاجتماعية السلمية والعدوانية هو مناط البحث فى علم النفس الاجتماعى كما تفسر عن ذلك مظاهر التنشئة الاجتماعية. ولعل الدراسة العميقة الرائدة التى قام بها **قدرى حفنى** عن الشخصية الاسرائيلية (الاشكنازيم) ما يشير به إلى ان أطفال الاشكنازيم يبدون عدوانية تفصح عن نفسها فى غالبية مواقف حياتهم، وتصبح علاقاتهم بكافة من يرتبطون بهم، مما يحول دون توافقهم أو سواءهم وفقا للمعايير المتفق عليها. وهى تأتى فى مقدمة الدراسات النفسية الاجتماعية فى هذا المقام (١٧:٩.٠١). أما فيما يتعلق فى بحث ودراسة السلوك العدوانى الفردى والجماعى، فلعل أبرز الآثار السلبية التى أفرزها العدوان العراقى على الكويت، كما يشير بذلك "عويد المشمعان هو ظاهرة العنف التى برزت بشكل واضح بعد التحرير، فالعدوان العراقى عندما غزا الكويت وعمل ما عمل من تدمير وتخريب وسبب كثيرا من الإحباطات والذى هو المصدر الأساسى ولذلك كبت هذه الاحباطات فى نفسه. والسبب يعود بالدرجة الأولى انه إذا رد على من تسبب فى احباطه فسيجد العقاب من الجنود العراقيين فهو بذلك يكبت هذا الشئ، ولكن برز هذا السلوك بعدما إنتهى المصدر الأساسى الذى تسبب فى احباطه فبدأ يحول هذا المصدر إلى اشخاص آخرين يكونون أقل تسببا من الضرر عليه، وقد اعتبر ذلك من نوع الإزاحة أو التحويل Dis Placement بمعنى نقل أو تحويل العنف إلى اشخاص معينين أوأشياء. وأعطانا مثال بذلك الموظف الذى يغضب من رئيسه فى العمل إذ لا يستطيع مهاجمة رئيسه خوفا من الطرد أو الفصل ومن ثم يحول غضبه إلى زوجته أو أولاده فى البيت. وذلك نوع من تحريف العدوان(١٨:٥٠٢)، لكن (مصطفى زيور) فى دراسته الرائدة (أضواء على المجتمع الاسرائيلى ــ دراسة فى التحليل النفسى ١٩٦٨م)، تساءل عن كيف تحول طابع هوية الآنا اليهودى من الاستكانة عقب الاضطهاد النازى إلى العنف العدوانى ضد الفلسطينيين.. وكيف انقلب الرعديد إلى سفاح ثم إلى جندى مقاتل؟.

يذهب (زيور) فى عرضه للإجابة عن هذا التساؤل إلى القول بأن التحول الذى حدث فى طابع الأنا اليهودى مرده إلى ما يعرف فى التحليل النفسى بالتوحد بالمعتدى Identification with the aggresson أى أن مواقف تنقلب بالنقيض إلى مواقف ضد مواقف تنقلب فيها الأسباب إلى نتائج والمتغيرات المستقلة إلى تابعة كما نسميها فى مناهج البحث. فالمقاتل الإسرائيلى توحد فى البداية بالجلاد النازى، ونقل ذلك كله إلى موقف جديد أو علاقة جديدة هى علاقة اليهودى بالعربى الفلسطينى، إن التوحد بالمعتدى إذن حيلة لا شعورية تصطنع للتغلب على الخوف من المعتدى ويتجسد هذا التوحد فى المعتدى فى اصطناع القوة الى كانت الأداء فى يد المعتدى لكى يتحول الاسرائيلى التائه من مضطهد (بفتح الطاء) إلى مضطهد (بكسر الطاء) يتصرف بقسوة ووحشية. (١٤٦ك١٩).

تصل فى النهاية إلى أن أهتمام علم النفس الاجتماعى بدراسة الخير والشر فى علاقات الإنسان الاجتماعية، يمكن أن تجنب العالم ويلات هذه الحروب..

وهكذا يؤكد (**قردى حنفى**) فى مستهل عرضه لموقع دراسته (الشخصية الإسرائيلية فى علم النفس حيث يتعرض لآراء علماء النفس فى أزمة علم النفس المتمثلة فى عدم التصدى للمشكلات الاجتماعية الملحة.. فنجده يقول:

(.. وإذا كان كولمان قد أبرز تحاشى العلوم الإنسانية التصدى للمشكلات الاجتماعية الملحة فى العالم المعاصر؛.. أما عالم النفس الأمريكى (فيورشتاين) فإنه لا يقف بالقضية عند حدود إحجام علم النفس عن التصدى للمشكلات الاجتماعية المعاصرة، بل إنه يصل إلى حد الإتهام الصريح بقوله "يكفى أن يتحدث المرء إلى مناضل زنجى من أبناء الجيتو، أو إلى طالب ثائر.. إلى أحد الرافضين لأداء الخدمة العسكرية لكى تتضح له ضآلة ما قدمه علم النفس لتلك القطاعات الكبيرة من أبناء أمتنا. ترى أين كانت جهود علم النفس والعنصرية تتفشى لعشرات من السنين قبل صدور قرارات المحكمة العليا بشأن التفرقة العنصرية؟ ترى ما طبيعة الدور الذى لعبه علم النفس من أجل محاربة الفقر والعنصرية والعسكرية؟.. إن علماء النفس لا يحتلون مكانة بارزة بين قادة التحرك من أجل تقوية ودعم النضال ضد تفشى الظلم الاجتماعى، بل إنهم أكثر ميلا إلى العمل والتعاون مع المؤسسات التعليمية غير الديمقراطية والنظم الاجتماعية المتعصبة عنصريا، والسلطة النامية للتحالف الصناعى العسكرى المعادى لتحالف الجماهير الشعبية (٩:١٧، ١٠:٢٠).

وهكذا تبدو أهمية علم النفس الإجتماعى فى بحث ودراسة السلوك العدوانى الفردى والجماعى، والكشف عن العوامل التى تؤدى إلى ظهوره، أو اختفائه تمهيدا للتحكم فى نزواته (٢١:١١-١٣).

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا ونطرحه أمام علماء النفس الاجتماعى ألا وهو:

" ما الذى قدمه علم النفس الاجتماعى لحل معضلة قبول شعب إبادد غيره مثلما حدث من قبول شعب بلجراد إبادة شعب كوسوفا فى علميات التطهير العرقى والإبادة الجماعية. وقبول الروس إبادة شعب الشيشان؟!

موضوعات علم النفس ومجالاته

صنفت مجلة (الخلاصة النفسية الأمريكية) The American Psychological Abstracts موضوعات هذا الميدان ومجالاته فى سبعة مجالات:

١- الثقافة والعمليات الاجتماعية: وتشتمل على الأجناس والدين والأسرة والتغير الاجتماعى.

٢- الرأى العام والاتجاهات النفسية: ويرتبط بها تكوين الاتجاهات وتغييرها والتأثير على السلوك.

٣- الجماعات وعمليات العلاقات المتبادلة: وتتضمن الدافعية والتنشئة الاجتماعية ووسائل الاتصال.

٤- السلوك الجنسى: ويتضمن كل ما يرتبط به من علاقات كسلوك اجتماعى.

٥- الاتصال : كاللغة، ووسائل التعبير، ووسائل الاتصال الجماعية.

٦-الدراسات الجمالية والفنية.

٧-التدخين، وتعاطى المخدرات، وإدمان الخمر (١٨،١٧:٢٢).

ولنا أن نضيف إليها ما استجد من ظواهر اجتماعية نفسية مرضيـــة مثـــل التطـــرف والإرهاب والعنف – والسيكوباتية الجديدة- القيم المهزوزة ـ البغاء وتجـــارة الجنـــس- عبادة الشيطان وقضايا البيئة مثل التلوث والمشكلة السكانية ـ الصراع وصنع السلام.

الفصل الثاني

التطور التاريخي وخلفية علم النفس الاجتماعي

HISTORICAL BACKGROUND

خطة الفصل المنهجية

- الخلفية التاريخية

أولاً: اليونان (أفلاطون ـ أرسطو)

ثانياً: إسهامات العلماء العرب

(الفارابى ـ ابن خلدون ـ ابن سينا ـ ابو الحسن الماوردى ـ أبو حامد الغزالــى ـ أبو على بن مسكويه ـ رفاعه رافع الطهطاوى ـ الإمام محمد عبده)

ثالثا: محاولات الفلاسفة تحديد مصدر السلوك الاجتماعى.

(توماس هوبز ـ آدم سميث ـ جيرمى بنتام)

رابعا: بدايات التصور لعلم نفس اجتماعى

(أوجست كونت، لازاروس وستينتال ـ فلهلم فونت).

خامساً: علم النفس الاجتماعى كعلم.

- الكتابات الأكاديمية.
- إسهامات معاصرة.

التطور التاريخى وخلفية علم النفس الاجتماعى

لا ينشأ علم من العلوم إلا تعبيرا عن حاجة اجتماعية ملحة.. أسئلة يطرحها الواقع الاجتماعى المعاش ولا يجد إجابة عليها من العلوم القائمة آنذاك. فهى إما عاجزة عن الإجابة عنها أو لا تدخل فى مجال اهتمامها، وبذلك يتهيأ المسرح لدخول علم جديد يتلقى أسئلة ويقدم إجابات أيضا، هكذا يقدم (خيرى حافظ) للدراسة العميقة التى قدمها (قدرى حفنى) فى كتابة القيم (التاريخ الاجتماعى لعلم النفس) والتى يشير فيها (قدرى حفنى) من أن نشأة علم النفس كانت تعبيرا عن حاجة اجتماعية ملحة -فبظهور النظام الرأسمالى ظهرت مشكلة الاغتراب نتاجا طبيعيا لهذا النظام، وبالتالى نشأت الحاجة فى قيام علم جديد هو "علم النفس" لمواجهة شعور الإنسان بالاغتراب "شرعية وجوده" بقيام معمل فونت سنة ١٨٧٩. **ترى، كيف نشأ علم النفس الاجتماعى، وما هى الحاجة إلى نشأته وقيامه؟** إن الإجابة على هذا السؤال تدفعنا إلى عرض المعالم الرئيسية فى تاريخ علم النفس الاجتماعى منذ البدايات الفلسفية وصولا إلى مزيد من التحديد حتى أصبحت له ملامحه المنفردة مرورا بالأسماء التى ساهمت فى صناعة هذا العلم.

فعلم النفس الاجتماعى شأن سائر العلوم الإنسانية نشأ على أرض فلسفية.

أولاً: اليونان: (القرن الرابع قبل الميلاد)

لقد عنى فلاسفة اليونان بالتأمل فى طبيعة الصلة بين الفرد والمجتمع وهناك من الباحثين من يرى أن هذا العلم يرجع إلى المحاولات التى قدمها (أفلاطون وأرسطو) عن جوهر الطبيعة البشرية وأن البذور الأولى للعلم بدأت على أرض الفلسفة الثرية التى كانت أكثر انتظاما وأقرب إلى روح التفكير المنطقى القابل للتعميم وسوف نكتفى فى عرضنا للفكر اليونانى القديم **بإبراز بعض أراء أفلاطون وأرسطو فى هذا الموضوع.**

(١) **افلاطون** (٤٢٧ – ٤٣٧ ق.م):

تحدث فى كتابه (الجمهورية) عن علاقات الأفراد وعن تنظيم العلاقة بين الرئيس والمرؤوس واعتبر أن (المجتمع) أساس السلوك الإنسانى وأشار إلى أثر كل من العادات والتقاليد فى المجتمع، وكيف أن هذه التقاليد يتناقلها الأفراد وأنها تحدد سلوكهم، وهو يرى أن الدولة تنشأ لأن الفرد لا يستطيع ان يعتمد على نفسه، فهو يحتاج إلى مساعدة الآخرين، لذلك ينضوى الناس تحت لواء جماعات صغيرة تتعاون على إشباع حاجات أفرادها، وهو يعرض لأشكال القيادة التى يتصورها لجمهوريته مصنفا إياها بعدد من التصنيفات. أهمها قيادة سادة، وقيادة عسكرية، وقيادة قلة، وقيادة شعبية، وقيادة مستبدة، ويتحدث فى موضوع الزعامة Leadership فيقول لا يجوز أن تكون الميزة الرئيسية للحاكم هى علمه بعادات المجتمع ورغباته وقدرته على أن يسوس المجتمع وفقا لذلك بل يجب أن يكون على علم بالخبر بكيفية تطبيقه فى تنشئة الصغار وتقويم أعضاء المجتمع. وأن المجتمع فى نظره جماعة حية أو مجموع منظم من الأفراد (تنتظمهم علاقات مستقرة إلى حد بعيد) له

موارده الخاصة ونظمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ويسعى وراء أهداف عامة مشتركة. ولقد أطلق عليه (البورت) صاحب المنظور اللاعقلانى والتقاليد فى علم النفس الاجتماعى، وقد كان خوفه من الديمقراطية هو خوفه من السلوك اللاعقلانى للجماهير.

(٢) **أرسطو** (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م):

ذكر فى كتابيه (الخطابة والسياسة) بأن الإنسان مدنى بالطبع وبأنه حيوان اجتماعى وأعتبر أن الغريزة هى أساس السلوك، ولقد أشار إلى الطابع القومى للشعوب على أساس أن الطبيعة تعمل على التمييز بين الناس فتجعل بعضهم مرتفعى الذكاء والبعض الآخر على النقيض من ذلك، وبعضهم شجعان والبعض الآخر جبناء، ثم يتحدث أرسطو عن الصداقة فى كتابه "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس" وبين أن الصداقة هى حد وسط بين خلقين. فالصديق هو الشخص الذى يعرف كيف يكون مقبولا من الآخرين كما ينبغى. أما الشخص الذى يبالغ حتى يكون مقبولا لدى الجميع إلى الدرجة التى تجعله لا يعارض فى أى شئ حتى لا يسئ إلى الآخرين فهو المساير، وذلك إن كان يفعل هذا بدون سعى إلى منفعة شخصية وإنما لولعه بالإرضاء. أما إن كان يهدف من مسايرته إلى مصلحة شخصية فهو المتملق. وعلى الضد يصف أرسطو الشخص الذى لا يكترث بالقبول من جانب الآخرين بأنه الشرس، والعسر والمشاغب، والصعب فى المعيشة ولا يحبذ أرسطو إلا الوضع الوسط وأن الصداقة عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للآخر، مع العلم بتلك المشاعر المتبادلة فيما بينهما وأن الصديق هو من يعيش معك، والذى يتحد وإياك فى الأذواق، والذى تسره مسراتك وتحزنه أحزانك وبذلك تقوم الصداقة على المعاشرة. والتشابه، والمشاركة الوجدانية. وهى إحدى الحاجات الضرورية للحياة فهى ضرورية للشباب لأنها تمده بالنصائح التى تحميه من الزلل، وهى مهمة للشيخ تعينه حيث يتقدم العمر، ويضعف البدن. وينبه أرسطو إلى أهمية عنصر الزمن مشيرا إلى أن الصداقة الحقة لا تتكون بسرعة أبدا، كما نبه إلى بعض الظروف المؤثرة فى الصداقة ومنها تباعد الأمكنة، فالغيبة الطويلة جدا يمكن أن تنهى الصداقة بفعل النسيان. ويرى أن الصداقة الحقة تقتصر على شخص واحد، لأن الروابط المتعددة لا تكون بالعمق المطلوب وأنه من الصعب على الشخص ان يكون على وفاق فى الخلق مع أناس كثيرين ثم يتناول أرسطو تأثير المكانة الاجتماعية فيقرر بأن الصداقة تقوم فى الأساس على المساواة فى المكانة الاجتماعية، ويشير إلى أن الناس لا يصيرون أصدقاء عندما تتفاوت مراكزهم، وعندما تتسع المسافات بينهم من جهة الفضيلة أو الثروة أو أى شئ آخر ويشير إلى أن تشابه الصديقين هو الذى يحفظ الصداقة من الشقاق والخلاف (١: ٢٢٠–٢٧٢).

ولقد تحدث عن سمات الشخصية وعلاقتها بالصداقة، موضحا عددا من السمات التى من شأنها ان تدعم الصداقة وتقويها أو تضعف منها وتعوق قيامها (٢: ٢٩).

فالإهتمام الشديد بالذات (أو ما يسمى حاليا بالميول النرجسية) يعوق قدرة الشخص على عقد صداقة حقيقية، لأنه لن يجد متعة فى الآخر. كما أن التقدم فى السن نحو

الشيخوخة وحب العزلة لدى بعض الأشخاص يصحبها انخفاض فى عقد الصداقات كما أن السن المبكرة تكون أميل إلى التقلب فلا تساعد على عقد صداقات وطيدة على عكس سمة الاستقرار فى الشخصية فهى تزيد من عقد الصداقات واعتبر الأسرة هى الجماعة الأولى وتتكون من الزوج والزوجة، وهى أقل عقلا من الزوج والأبناء، وهم يمثلون الإستمرارية. والعبيد وهم ضرورة اجتماعية لخدمة أفراد الأسرة، وإن الإنسان لا يصب غضبه إلا على راس من يستحق الإنتقام، وهو لا يصب غضبه على من هم أعلى مكانه منه وأعظم سلطانا، وما سبق من إشارة دليل تأكيده على وجود الفوارق بين الناس والشعوب (٣:١٣٤،١٣٥).

ثانياً: إسهامات العلماء العرب (٤:٤٠،٥٠) (٥:٣١،٣٣) (٣:٥)

(١) **الفارابى: (٨٧٠ – ٩٥٠م):**

تحدث عن التفاعل الاجتماعى بين الأفراد وعن أسس السلوك الاجتماعى فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة). وتناول بالتفصيل السمات الشخصية للقائد أو الزعيم والتى صنفها إلى إثنى عشر سمة منها: ملاءمة الجسم، الفطنة، الفهم، الذكاء، حب التعلم، الاعتدال فى طلبه الملذات، كما تعرض الفارابى لظاهرة تماسك الجماعة **group cohesion** فيرى أن أسس هذا التماسك هو الإشتراك فى اللغة واللسان والإشتراك فى المنزل. وهذه الأسس تخص الجماعات الكبيرة الحجم أما الجماعات الصغيرة فمن أسس التماسك بين أعضائها: طول التلاقى والاشتراك فى طعام يؤكل ولذه ما والاشتراك فى شر يدهمهم والاشتراك فى الامكنة. وأشار إلى أن الحياة الاجتماعية المثالية تعتمد على التعاون، وقد شبه المدينة الفاضلة بجسم إنسان صحيح تتعاون أجزاؤه بعضها مع بعض، وأن الإنسان بفطرته فى حاجة إلى الآخرين للكمال إلا بوجوده فى جماعة. والفارابى بذلك يؤكد على أن "الجماعة قدر الإنسان".

(٢) **ابن خلدون (١٣٣٢ – ١٤٠٦م):**

ومن أشهر مؤلفاته (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرها من ذوى السلطان الأكبر). وقد ذكر فى مقدمته الشهيرة كيف أن الإنسان الفرد يستطيع أن يؤكد ذاته من خلال التفاعل الاجتماعى وقد تنبه إلى ضرورة التفاعل الاجتماعى بإعتباره حجر الزاوية فى العمران الحضارى، ولن يكون هناك تقدم أو عمران إلا اعتمادا على هذا التفاعل. ويتفق مع (أرسطو) بوجود ميل فطرى بين الناس للتجمع، حيث يرى أن الإنسان كائن مزود بحاجات اجتماعية وفى حاجة لأن يعيش فى جماعة تساعده على توفير حاجاته من الغذاء والسكن والكساء. ويعرض لجوانب من علم النفس الاجتماعى قائلا:

"لابد من رادع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم. ويتحدث عن الطابع القومى للشعوب فيقول: أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر. أهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف

على شهواتهم منها وقد تلوثت أنفسهم بكثير من المذمومات وبعدت عليهم طـرق الخـير ومسالكه، وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه فى المقدار الضرورى لا فى الترف، ولا فى شئ من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها، وهم ابعد عما ينطبع فى النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها.. وأن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة مـن أهل الحضر، أن السبب فى ذلك أن أهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحـة والدعـة وانغمسوا فى النعيم والترف ووكلوا أمرهم فى المدافعة عن أنفسهم وأموالهم إلى واليـهم والحاكم الذى يعرفهم، وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحى وبعدهـم عن الحكمية قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلفونها إلى سواهم ولا يثقون منها بغـيرهم فمنهم دائما يحملون السلاح، كما أن طبيعة الموقع الجغرافى من كونه شمالا أو جنوبـا أو صحراويا أو ساحليا أو جبليا له تأثيره على السكان ونشاطهم الاجتماعى واتجاهاتهم نحـو العمل والانتاج وهو ما يعبر عنه بالطابع القومى للشخصية.

(٣) **ابن سينا:**

عالج كثيرا من الموضوعات فى علم النفس الاجتماعى كأثر الآخر فى تكوين الشـعور بالذات، وفى اضطراب الذات وكيف يكون الاضطراب له علاقة بتفاعل الفرد مع الجماعـة. كما أن له اكتشافاته فيما يسمى بالتفاعل الرمزى. والإدراك الحسى لديه هو همزة الالوصل بين الفرد والسياق الاجتماعى الذى يعيش فيه وهو النافذة التى يطل منها الإنسـان علـى العالم الخارجى والذى يتضمن الأشياء والآخرين.

(٤) **أبو الحسن الماوردى** (٩٧٤ – ١٠٦٠) شيخ الشافعية:

أبرز أفكاره ما قاله فى التنشئة الاجتماعية متناولا آدابها فى الصغر والكبر فيصنفـها إلى نوعين مما: أدب المواضعة والاصطلاح وأدب الرياضة والاسـتطلاع، ومعنـى ذلـك مجموعة القواعد التى اصطلح عليها الأدباء والعقلاء فيما يتعلـق بموضوعـات الخطـاب وهينات الآرياء، ويقول بأن مخالفة ما أتفق عليه من قواعد مجانب للأدب. ومن المسـائل التى يطرحها الماوردى (٣٦٤ ــ ٤٥٠هــ) فى فصل المؤاخاة مـن كتـاب .. أدب الدنيـا والدين) اختلاف مذاهب الناس فى كثرة الأصدقاء وأهمية الاعتدال فى درجة التعلق ومحبـة الصديق أو عند معاتبته عندما يقع خلاف ما. حيث يرى أن كثرة العتـاب سـبب للقطيعـة (٦:١٧١،١٧٩).

(٥) **أبو حامد الغزالى** (١٠٥٨ – ١١١٠م):

وله وجهة نظر فى اجتماع الناس وهو أن بقاء الفرد وسلامته شـرطان لمسـاعدته. ويتوقف بقاء الإنسان على سد حاجاته الأساسية من مأكل ومشرب وهو وحده لا يسـتطيع ان يجهز كل هذه الحاجات، ولذا يتحتم على الناس جميعا التعاون فيما بينهم ولـهذا فـإن وجود المجتمع الإنسانى نتيجة حتمية لعجز الفرد على سد حاجاته الأساسية. وقـد قسـم الغزالى الناس إلى ثلاث أصناف فهم إما أصدقاء أو معاريف (وهم من تربطنا بهم علاقة لا

تصل إلى درجة الصداقة) أو مجاهيل (تجمعنا ظروف بهم دون معرفة سابقة) وأوضح آداب التعامل مع كل صنف فى كتابه "بداية الهداية" ٤٥٠ – ٥٠٥ هـ (٧:١٤٣،١٥٦).

(٦) **أبو على بن مسكويه:**

كان لآراء (أفلاطون وأرسطو) تاثيرا واضحا على ابن على بن مسكوية، يتضح ذلك فى كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" وفى كتابه هذا يسعى إلى علاج حالة الفرد والجماعة بدراسته أسس بناء الجماعة ويتناول فيه النفس الإنسانية التى تبحث عن الخير لأنها خيرة ومفكرة بطبعها، فيقول:

"إن المجتمع الإنسانى هو الطريق لتحقيق الخير للأفراد لأنه يصعب على الإنسان الفرد القيام بكافة الأنواع الكثيرة من الخير". ويعرض لتصوره عن الأمم وما يتميز به بعضها عن بعض فيقول "يتفاضل الناس بين أمم لا تتميز عن القرود إلا بمرتبة يسيرة وأمم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم فيحدث منهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل، وإلى هذا الموضوع ينتهى فعل الطبيعة التى وكلها الله عز وجل بالمحسوسات ثم بهذا القبول المطروحة عن أثر البيئة والوراثة على الفرد والجماعة.

ولعل من اطرف ما جاء فى كتاباته دعوته إلى تقليل عدد الأصدقاء "ولتكتف بواحد إن وجد" (٨).

(٧) **رفاعه رافع الطهطاوى:**

- من أشهر كتبه "المرشد الأمين للبنات والبنين" وفيه يشير إلى ما ذهب إليه بعدد عدد من علماء النفس أمثال (سكينر Skinner – جان بياجيه) وغيرهما من أن اللغة هى وسيلة الاتصال الاجتماعى، وفى ذلك يقول رفاعه "لو لم يكن الإنسان مخلوقا لتأنس مع إخوته، والاجتماع مع أقرانه ليضع معهم هيئة اجتماعية وحالة عمران تمدنه، لم يكن لتخصيص الحكمة الإلهية له بصفة الناطقية كبير مزية، والناطقية هى المقصود بها اللغة، والتى منّ الله بها على الإنسان ليتصل بالآخرين ويتناول مسئوليات رئيس الدولة أو قائد الجماعة، وعن ضرورة الاجتماع محددا إياها فى تنظيم أمور الجماعة وإقرار العدل واجتناب الفوضى، وانصاف المظلوم من الظالم وردع أهل الفساد عن المظالم. ويرى أن الجنس البشرى مضطر إلى التآلف والتجمع فى إتمام معيشته وانتظام حال نفسه فيحتاج إلى سياسة تقييم أمره على الاستقامة.
- وعن التنشئة الاجتماعية للطفل يذكر رفاعة الطهطاوى "أن الهدف من تربية الطفل إذكاء فكره وقدرته على الابتكار"، ويعرفها بقوله: "فن تنمية الأعضاء الحسية والعقلية، وطريقة تهذيب الجنس الإنسانى ذكرا أو أنثى حسب أصول معروفة يستفيد منها الصبى ويتبعها ويتخذها عادة".
- وعن التنافس بين أعضاء الجماعة، يطرح وجهة نظره قائلا "ربما ظهر ببادئ الرأى أن التنافس رفيق الطمع وشقيق الحسد، مع أنه ليس فيه شئ من هاتين

المثليتين بل بينه وبينها بون بعيد فى الأثر والعيش، إذ ليس الغرض من التنافس حصر الفضائل فى صاحبه وبل مجرد التقدم فى المعارف، والدخول مع الأقران فى ميدان التسابق ليبادر كل منهم بالسعى واللحاق".

(٨) **الإمام محمد عبده:**

عالج كثيرا من الموضوعات منها تماسك الجماعة الذى يرى أن من أهم مقوماته هو توحيد هدف الجماعة ووجود وسائل الوصول لهذا الهدف كذلك أبرز أثر العوامل الاقتصادية بالنواحى النفسية والاجتماعية مثل علاقة الفرد بنفسه وعلاقته بالآخرين وعلاقاته بالنواحى الاقتصادية لعملية التربية والتنشئة الاجتماعية واكتساب الفضائل ويبرز لنا (محمد عبده) الفرق بين الإتجاه اللفظى والإتجاه العلمى الذى أشار إليه فيما بعد عالم النفس (كورى) وهو من الجوانب التى تثير نقاشا وتساؤلا فى موضوع الإتجاهات فيقول "ومن الناس من إذا ذاكرته فى المنافع العامة والمصالح أخذ يشرح غوامضها ويبين الواجب منها والطرق الموصلة إلى جانب المنافع ورفع الضار بالوسائل المادية التى تقدم حال الأمم وارتفاع شأنها من رفع منار العدالة وبث روح العلم وتقرير المساواة وما شاكل ذلك، ثم إذا فرض إليه أمر من تلك المصالح رأيته أبعد الناس عن الخير وأقربهم إلى الشر، وإستنكف عن المساواة واستهجن معنى العدالة وإن كان يعبر عن نفسه بلفظها، وهو يتطرق إلى الطابع القومى للشعوب مستحدثا عن الأمة العربية فى صدر الإسلام لما مال عنصرها إلى التحبب فى خلق المرأة وحملتها شهامة النفس على الجولان فى ميادين الغزو والفتوح والإقدام والظفر وانبسالة والانتصار(٩:٢٥،٢٦).

ويرى علماء المسلمون أن الطبيعة البشرية تحتوى على استعدادات متوازنة من الخير والشر (ونفس وما سواها، فالهمها فجورها وتقواها) وأن البينة والوراثة معا يحددان اتجاه الإنسان وسلوكه. ويؤكد العلماء المسلمون مفهوم التوازن فى دينامية التفاعل الاجتماعى والسلوك بقولهم أن المغالاة فى حقوق الفرد كما تفعل معظم الدول الغربية، دون الاهتمام بحقوق الجماعة تؤدى إلى الفوضى واضطراب العمران البشرى. وأن المغالاة فى حقوق الفرد تؤى إلى (الاستبداد) كما تفعل الدول الشرقية، وأن الموازنة بين الفرد والجماعة فى السلوك والحقوق والواجبات تؤدى إلى العدالة والحرية والديمقراطية (١٠:٢٣).

ثالثاً: محاولات الفلاسفة تحديد مصدر السلوك الاجتماعى (١١:٢١،٢٣)

(١) **توماس هوبز** (١٦٥١) انجلترا:

شغلت حياته النصف الأخير من القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر. أشار إلى أن الإنسان يسعى إلى القوة ومن الخطأ الاعتراف بغريزة اجتماعية تضطرد إلى الاجتماع بغيرد والتعاون معهم -ولكن الأساس أن الإنسان يفترس الإنسان وان الكل فى حرب ضد الكل ولهذا فقد أعمل الإنسان عقله بحثا عن وسائل لحفظ حياته. وأشتهر بفكرة مفادها أن الإنسان أنانى بالطبع، وشرير بالفطرة، وعدوانى وركز على مبدأ اللذة والألم: وهو بذلك يحمل نظرة تشاؤمية نحو الإنسان ومغفلا أن الجماعة قدرة ويتفق معه فى هذه النظرة التشاؤمية نحو الإنسان (فرويد) زعيم مدرسة التحليل النفسى.

(٢) **آدم سميث** (١٧٧٦) إنجلترا:

ألف كتابين أحدهما عنوانه "نظرية العواطف الأخلاقية" والثانى "ثروة الأمم" وفى الكتاب الأول يشير إلى ما يطلق عليه التفاعل الاجتماعى، فالتعاطف يقصد به انفعالنا لعواطف الغير إذ أنها تنتقل إلينا بالعدوى فنسعد او نبكى لما يحدث للآخرين من حولنا.

(٣) **جيرمى بنتام** (١٧٤٨ – ١٨٤٢) انجلترا:

يرى أن الناس يسعون إلى اللذة ويبتعدون عن الألم ويمكن قياس اللذة من وجهة نظرة بمقاييس أهمها الجانب الاجتماعى كالخوف والذى يستولى على الناس عند ارتكابهم الجرائم والعقوبة التى ينالها مرتكبيها والتى تتعاوض مع مبدأ اللذة، ممـا يجعـل الفـرد يخضـع للقوانين التى يراها وخضوع الفرد للقوانين مبنى على أساس. أن منفعة المجموع تشـكل أساس المنافع الفردية.

رابعاً: بدايات التصور لعلم نفس اجتماعى

(١) **أوجست كونت** (١٨٥٤) فرنسا:

نشر كتابه "نظام السياسة الوضعية" ووضع هذا المصطلح الذى يساوى لديه اسم "علـم النفس الاجتماعى".

(٢) **لازاروس** (١٨٢٤ ــ ١٩٠٣) ستينتال (١٨٢٣ــ١٨٩٩) ألمان:

ويعتبرهما البعض بأنهما مؤسسا علم النفس الاجتماعى. فقد ساهما فى اكتشاف مـا يعرف بوسائل الاتصال وأصدرا مجلة تخصصت فى دراسة الجماهير أو علم النفس القومى، والذى يهتم بدراسة الطابع القومى للشعوب وتهتم هذه الدراسات بوجه خـاص بـالنواحى المتعلقة باللغة والعادات. وإهتما بالعوامل النفسية التى تفسر سلوك الجماعة كافة. وبحثـا فى العوامل التى تفسر سلوك كل نوع من أنواع الجماعات.

(٣) **فلهلم فوندت** (W.Wundt) – (١٨٦٢) المانيا:

وضع كتابا فى سيكولوجية الجماهير، وكان قد سبق وحدد ملامحه الأساسية فى كتـب آخر لتفسير العمليات العقلية العليا والسلوك الإنسانى.

خامساً: علم النفس الاجتماعى كعلم

تبلور علم النفس الاجتماعى إلى حد، سمح باعتباره علما من العلوم فى النصف الأول من القرن العشرين، حيث ظهر كتاب العالم الانجليزى (مكدوجال) "مقدمة فى علـم النفـس الاجتماعى ١٩٠٨". وقد حاول أن يقدم نظرية عامة لتفسير السلوك فى الحياة الاجتماعيى. وأشار إلى أن الغرائز استعداد نفسى عضوى موروث يوجه أفعالنا وانفعالاتنا ومدركاتنـا، وهى أساس الطبيعة البشرية كما أنها أساس حياة الإنسان الاجتماعيـة. وبظـهور كتـاب (ماكدوجال) بدأت مشكلة الدوافع تأخذ طريقها إلى مباحث علم النفس الاجتماعى وتطـورت من غرائز (ماكدوجال) إلى الاتجاهات النفسية التى أصبحت الموضوع الرئيسى فـى علـم النفس الاجتماعى لأنها هى التى تنظم استجابات الفرد نحو البيئة وتسهل تفاعله الاجتماعى مع الآخرين. وبدأت أيضا مشكلة النزعات الفطرية العامة التى تتلخـص فـى الاسـتهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد تأخذ طريقها إلى التجريب العلمى وخاصة فى الخمسينات من

هذا القرن، وذلك عندما نشر (ايزنك) نتائج أبحاثه التجريبية على الاستهواء فى كتابة "الغث والثمين فى علم النفس" Sense and Nonsense in Psychology.

ويعتبر عام ١٩٠٨ عام له دلالته من وجهة نظر (سامسون ــ Samson) فى التطور التاريخى لعلم النفس الاجتماعى، ففى هذا العام أيضاً ظهر كتاب (روس ــ Ross) فى علم النفس الاجتماعى وقد أكد فيه على أهمية التفاعل الإنسانى وسلوك الجماهير، وما قد يقوم عليه من إيحاء وتقليد، وهكذا ظهرت مشكلة التفاعل النفسى الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد. ويتألف كتابه إلى حد كبير من تطبيق "قوانين التقليد" على حوادث زمنية. ولقد كان متأثرا أشد التاثر بتارد Tarde.

ويعد "بوجاردس Bogardus" المؤسس الحقيقى لعلم النفس الاجتماعى وخاصة فى كتابه "أسس علم النفس الاجتماعى" الذى نشره سنة ١٩٣١، كذلك أبحاثه فى التباعد النفسى الاجتماعى الذى نشره عام ١٩٣٣م (١١:١٢، ١٧). وإلى (كيرت ليفين) ــ المهاجر من ألمانيا إلى الولايات المتحدة فى الثلاثينيات ــ يرجع إليه فضل كبير فى إدخال نزعة أبحاث الجماعات فى علم النفس الاجتماعى، هذا علاوة على فضله فى استخدام الطريقة التجريبية فى العلوم الاجتماعية. وهو يرى أن السلوك الاجتماعى سلوكا طبيعيا أى يخضع لقوانين محددة. وهذه القوانين يجب البحث عنها فى المجال النفسى والقوى الاجتماعية. تلك التى تعتبر محددات للسلوك. ودراسة الجماعات تتوقف على تحديد وقياس هذه القوى (١٢:٨٦)، ١٣:١٧). وتعد تجربة "تريبليت ــ ١٨٩٧ــ Triplett" أول تجربة معملية فى علم النفس الاجتماعى، وتناولت اثر العوامل الديناموجية أو اثر تواجد فرد آخر مع الشخص أو عدم تواجده، أو أثر التنافس أو عدم التنافس فى أداء عمل حركى (١٤:٦٧)، بين أطفال يقومون بلف كرة صيد السمك مجتمعين وفرادى، وقارن بين نتائج المرتين.

الكتابات الأكاديمية:

(١) ١٨٩٠ "مبادئ علم النفس": وليم جيمس.
(٢) ١٨٩٠ "قوانين المحاكات": جبريل تارد. "Tarde"
(٣) ١٨٩٥ "الحشد": جوستاف لوبون. Le Bon
(٤) ١٩٠٠ "علم النفس الاعلانى فى الدراسات النفسية": جال.
(٥) ١٩٠٨ "مقدمة فى علم النفس الاجتماعى": وليم ماكدوجال.
(٦) ١٩٢٥ "قياس المسافة الاجتماعية للأشخاص من الجنسيات المختلفة": بوجاردس. Bogardus
(٧) ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ "قياس الاتجاهات": ثرستون.
(٨) ١٩٣٦ "قياس الرأى العام": جورج جالون.
(٩) ١٩٣٧ "علم النفس الاجتماعى التجريبى": مورفى Murphy ومورفى.
(١٠) ١٩٤٠ "ابتكار أسلوب لقياس الاتجاه مفتوح الطرف: رينيه ليكرت. Lekart

(١١) ١٩٥١ "طرق البحث فى العلاقـــات الاجتماعيــة": يــاهودا Jahoda ودويتـــش Deutach وكوك Cook.

إسهامات معاصرة

(١) حركة (مورينو – عام ١٩٣٤) :

للقياس السوسيومترى كوسيلة لقياس تقدير العلاقات التى تنشأ بين الأفراد فى جماعة لها طابع سيكولوجى وهى العلاقات التى تنشأ فى ظل التفاعل الحر والمباشر فى فترة كافية من الزمن دون قيود أو ضوابط محددة. ومثالها سؤال مجموعة أفراد فى جماعة (من هـــم أحب أو ابغض الأشخاص إليهم؟) وقد ابتكر (مورينو) أيضا وسيلة لتوضيح نتائج الاختبـــار السوسيومترى بصورة معبرة، بحيث يمكن التعرف على طبيعة العلاقات فى الجماعة ومكانة كل فرد داخلها بشكل واضح ومباشر وسمى هـــذه الوســيلة "السوســيوجرام" أو خريطـــة العلاقات.

(٢) حركة العلاقات الانسانية فى الصناعة (ألتون مايو)

ولد فى استراليا عام ١٨٨٠ واستقر فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٩٢٦ حيـــث عين رئيسا لقسم البحوث الصناعية فى جامعة هارفارد بشـــيكاغو بيـــن عـــامى ١٩٢٤. ١٩٢٧.

وقد اشتهر بدراساته فى (مصنع هاوثورن) التابع لشركة (جنرال اليكتريك) عن أهمية العلاقات الإنسانية فى الصناعة. وقد أصدر كتابا يحمل عنوانا بالغ الدلالة هو "المشـــكلات الاجتماعية للحضارة الصناعية" تعرض فيه باستفاضة لما طرأ على المجتمع الحديث مـــن اضطراب وقلق نتيجة تفكك علاقات الجماعة الأولية القديمة مشيرا إلى أنه فى ظـــل تلـــك العلاقات القديمة كان تركيب جماعة العمل يقترب كثيرا من تركيب جماعة الاصدقاء القدامى الذين تربطهم علاقات اقرب للدوام والاستمرار والتى تفتقد إليها جماعة العمل فى المجتمـــع الحديث (١٥:٧-١٥).

تطور علم النفس الاجتماعى

منذ بعد الحرب العالمية الثانية، حتى الوقت الحاضر

تلخص أحدث محاولة تأريخ لهذه الفترة (See: Baron And Graziano بـــارون وجرازيانو – ١٩٩١) معالم هذا التطور حتى عام ١٩٨٠، ومن أهم الانجازات التى عـــرض لها فى هذا الصدد ما يأتى:

- إنشاء (كيرت ليفين Kurt Liewn) مركز بحوث ديناميات الجماعة فـــى معـــهد ماساشوستس للتكنولوجيا (N.I.T.) عام ١٩٤٥م الذى نقل مقره إلـــى جامعـــة ميتجشان مؤخرا.
- نشر (هوفلاند ومعاونيه بجامعة بيـــل – Hovland et al., 1949) لمجموعـــة تجاربهم فى تغيير الاتجاهات، ومقاومة الدعاية المضادة، والتى بدأت فى ظـــروف الحرب العالمية الثانية واستمرت بعدها.

- نشر (ارورنو وزملائه – Adoron, et al., 1950) لبحثـــهم فـــى "الشـــخصية التسلطية"
- تقديم (ليون فستنجر Festinger, 1957) نظريته فى "التنافر المعرفى" بعد نجاحه فى تأصيلها، خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٥٠م حتى عام ١٩٥٧م.
- نشر (هايدر Heider., 1958) لكتابه فى "سيكولوجية العلاقات بيـــن الأشـــخاص والذى قدم فيها أول جهد نظرى تأصيلى فيما يتصل بـــالإدراك الاجتمـــاعى علـــى أساس مفهوم "التعليل" الذى سبق طرحه فى عام ١٩٤٤م.
- نشر (ثيبوت وكيلى Thibaut and Kelley) لبحثهما فى علم النفس الاجتماعى للجماعات، متضمنا وصفهما لنظرية "التبادل الإجتماعى".
- تقديم (دارلى ولاتانى – Darley and Latane, 1968) تفسيرهما فيما يتصـــل بسلوك تقديم العون فى المواقف الطارئة، أو مواقف الاستنجاد. على أساس مفهوم "شيوع المسئولية (١٦: ٢٠،٢١).

ويمكننا أن نكشف عن ثلاثة اتجاهات أساسية فـــى التـــاريخ الحديـــث لعلـــم النفـــس الاجتماعى.

- أول كل شئ انه اتخذ صفة "**العلم المقارن**" بصورة متزايدة. إذ لقد إنتشرت القناعة بأن الانماط السلوكية لا يمكن أن تفهم بصورة ملائمة إذا نحن لم ندرسها فـــى جـــو ثقافى واحد، وهكذا تستخدم بصورة واسعة معلومات انثروبولوجية واجتماعية متصلة بثقافات وجماعات مختلفة.
- الأمر الثانى، هو أن هذا العلم يصبح، أكثر فأكثر "**علما تجريبيا**" ولذلـــك وجدنـــا دوائر متزايدة الاتساع من علم النفس الاجتماعى، تبحث الآن بأساليب يمكن وصفـــها بأنها موضوعية وتجريبية و(فى حدود الامكان) كمية.

وأخيرا فإن علم النفس الاجتماعى قد أخذ على نفسه بصورة أوضح أن يكـــون علمـــا "تطبيقيا" له معنى عملى، وله تطبيقات فى مجال العلاقات البشرية. وجدير بالملاحظـــة أن هذه الاتجاهات الثلاثة لا تتنافى بطبيعة الحال فيما بينها، بل إنها تتكامل. فدراسة العلاقـــات بين العروق والفروق الطبقية تمثل مجالا تظهر فيه بوضوح هذه الاتجاهـــات الثلاثـــة، أى الاتجاهات المقارنة والتجريبية والتطبيقية.. وسيتضح لنا ذلك عندما نتحدث عن الاتجاهـــات النفسية والزعامة وما إلى ذلك.

الفصل الثالث

طرق ووسائل "تكنيكات"

البحث فى علم النفس الاجتماعى

خطة الفصل المنهجية

- مقدمة
- الطريقة العلمية

أهم طرق البحث المستخدمة فى علم النفس الاجتماعى

- أولاً: الملاحظة كأداة أو وسيلة:

(١) الملاحظة بالمشاركة.

(٢) الملاحظة دون المشاركة.

- ثانياً: المناهج الوصفية:

(١) الدراسات الإرتباطية.

(٢) الدراسات المسحية.

(٣) الدراسات الوبائية.

- ثالثا: البحوث التجريبية، وشبه التجريبية وبحوث الحالة المنفردة.

مقـدمـة INTRODUCTION

يمكن تعريف البحث فى علم النفس الاجتماعى بأنه نشاط إرادى قصدى يـهدف إلـى ابتكار حلول للمشاكل النفسية الاجتماعية للمجتمع، وأن أهم ميزة يتميز بها هذا العلم هـو اتباعه الطريقة العلمية فى دراسة السلوك الاجتماعى، كما ان هذا النمط من النشاط البشرى يخضع بالضرورة لمنهج فى العمل قائم على الملاحظة والتجربة. وقبل أن نوضح ما الـذى تعنيه الطريقة العلمية، يجدر بنا الإشارة بادئ ذى بدء عن مفهوم العلم ووظائفه.

ما العلم؟ وما وظائفه؟

هناك تعريفات عديدة للعلم، ولكن أكثرها شيوعا على المستوى الدولى ذلك التعريـف الذى أقرته اليونسكو فى الجلسة العشرين لمؤتمرها العام فى ٢٧نوفمبر ١٩٧٨، ووافـق عليه ممثلو جميع دول العالم الأعضاء فى اليونسكو، والذى يقول:

"العلم هو النشاط الذى يقوم الانسان من خلالـه بمحـاولات منظمـة، لكـى يـدرس بموضوعية الظواهر القابلة للملاحظة بقصد اكتشافها وفهمها فهما كاملا، وفهم أسـبابها، غالبا ما يعبر عنها برموز رياضية يمكن استخدامها لصالح المعرفـة. ولفـهم العمليـات والظواهر التى تحدث فى الطبيعة وفى المجتمع". ويعنى هذا التعريف ما يلى:

- إن العلم نشاط إنسانى يعبر عن حاجة الانسان إلى معرفة وفهم ووصف وتفسـير مـا حوله من ظواهر فى بيئته ومجتمعه، يتفاعل معها ويؤثر فيها وتؤثر فيه.
- وجوب تكرار محاولات الانسان حتى يتم الفهم الكامل والوصول إلى الأسباب الحقيقيـة الكامنة وراء الظواهر المدروسة، أو ارتباطها بظواهر أخرى.
- إن فهم هذه الظواهر وتفسيرها واكتشاف أسبابها لا يخضع لتخمينـات أو لتقديـرات شخصية، وإنما يخضع لمقاييس وطرق بحث معينة، وأساليب محددة للبرهنة والإثبات. بمعنى أن تكون هذه الدراسة موضوعية.
- أن تكون الظواهر التى يدرسها العلم قابلة للملاحظة أى تخضـع للقيـاس والاختبـار والتجريب الذى هو أساس العلم.
- أن العلم ذا طبيعة تراكمية، أى يبدأ من المعرفة المتاحة كما وكيفا وينتـهى بإضافـة نتائج دراسة الظاهرة.
- هذه التراكمية تجعل العلم فى حالة استمرارية وأن مسيرته مستمرة ومتسعة كما وكيفا مع الزمن.
- يجب صياغة خلاصة الملاحظة والمعرفة والفهم والتفسير والتعليل فى رموز رياضية. لأن الرياضيات لغة عالمية يفهمها جميع أهل التخصص فى الموضوع الـذى يتناولـه العلم، ويمكن لهم إعادة اختبار ما تقوله للتأكد منه.

يقول (كيرلنجر – Kerlinger) (١) فى العالم العلمى.. توجد رؤيتان عريضتان عن

مفهوم العلم:

الرؤية الثابتة Static والرؤية الديناميكية Dynamic

والرؤية الثابتة عن العلم.. هى الرؤية التى يفضلها الأفراد العاديون، حيث ينظرون إلى العلم على أنه نشاط يمد العالم بمعلومات منظمة، ويوصف عمل العالم (الباحث) بأنه الكشف عن حقائق جديدة، يضيفها إلى الكم الموجود من المعارف، أى أن العلم هو تراكم لعدد من الاكتشافات، ويكون التركيز ـ أساسا ـ على المعرفة الموجودة وما يضاف إليها.

وبالمقارنة.. نجد الرؤية الثانية (وهى الرؤية الديناميكية) تنظر إلى العلم على أنه نشاط، يقوم به العلماء. بناء على هذه الرؤية، فمن المهم أن يوجد كم تراكمى من المعارف، ولكن ما يهم هنا حقيقة، هو الاكتشافات التى يحققها العلماء، أى أن يكون التركيز الأساسى على طبيعة العلم وتشجيع العلماء على الاكتشاف.

أما وظائف العلم فتتلخص فيما يلى (٢)

١-يساعد على رؤية المشكلات وتحديدها، وإثارة الأسئلة البحثية، وعلى فرض الفروض.

٢-يستخدم فى اختبار صحة الفروض. ويساعد على إجراء التجارب وتكرارها للتحقق من دقتها، ويسهم فى تجميع الحقائق والبيانات.

٣-يساعد على تنظيم المعلومات وتصنيفها، وبناء النظريات واستخلاص التعميمات.

٤-يساعد فى توثيق المعلومات، والتأريخ للأحداث بطريقة أكاديمية.

٥-يساعد على بناء أدوات البحث، وتحديد منهج البحث وطرقه المناسبة.

٦-يساعد على الجوانب التنفيذية، وتطبيق نتائج البحوث وتعميمها.

٧-يسهم فى الجوانب الإعلامية والتربوية.

٨-يساعد الإنسان على استخدام المعلومات والمعارف وتطبيقها.

٩-يعطى الباحث متعة شخصية، وإعتزاز بالنفس ، وتذوقا للحياة.

الطريقة العلمية The scientific Method

تعنى الطريقة العلمية فى مفهومها العلمى الدقيق: القواعد التى تتبع فى ترتيب الإجراءات للتوصل إلى الاجابة عن تساؤلات البحث، وذلك للحصول على متغيرات البحث، وما يتبع ذلك من التوصل للقوانين والنظريات التى تؤدى إلى التعميم الصحيح. أو للتوصل إلى الحلول الناجحة للمشكلات النفسية الاجتماعية القائمة التى يتصدى لها البحث.

ومن أبسط تعريفات الطريقة العلمية ما جاء فى قاموس العلوم السلوكية وحيث تعرف كما يلى:

"إنها وسائل وإجراءات الملاحظة الطبيعية والتجريب التى يستخدمها العلماء للتعامل مع الحقائق والبيانات وتفسيرها تبعا لمبادئ ومفاهيم معينة" (٣).

ويذهب كل من (بورج وجال Borg and Gall -١٩٧٩) إلى أن هناك شيئان لابد من توافرهما أولا حتى تأتى الطريقة العلمية بثمارها تتعلقان بالباحث وهما:

(١) الموضوعية Objectivity

(٢) عادة التفكير الناقد Critical Thinking

وإذا كانت أهم خصائص العلم هى طبيعته الأمبيريقية.. فإن الخاصية التى تلى ذلك مباشرة، هى مجموعة إجراءاته المحددة، التى تبين كيف أمكن التوصل إلى النتائج، وما تتصف به هذه الاجراءات من وضوح، بحيث يتمكن أى باحث من أن يعيد تماما ما قام به زميل له، أى يستطيع التحقق من نتائج توصل إليها هذا الزميل من خلال إتباع الاجراءات ذاتها.

وتلك هى المراحل التى تتواجد دائما خلال تقدم العلم والتى يعتمد عليها الباحث حسب نوع المشكلة التى يحس بها وتواجهه، وينطبق ذلك على حالة العلوم الجديدة والتى تكون فى مرحلة النشوء مثل: الدراسات العلمية للمشكلات والظواهر الاجتماعية المرضية حيث يعمل العلماء فى مجال شديد التعقيد. هذه المراحل تتضمن اقتناع الباحث بالملاحظة، وتدوين الحقائق وربما يصل إلى نظام ما لتصنيف تلك الحقائق. تمتد محاولاته لايجاد العلاقات بين المتغيرات فى اطار غير متقن لنظريات ناقصة. الانتقال من مرحلة الترابط بين المتغيرات إلى مرحلة السببية، من خلال التحكم فى المتغيرات وضبطها، وهى تختلف تماما عن مجرد قياس الترابط وفيها يقوم الباحث بتصميم ظروف تجريبية يتحكم فيها فى المتغيرات. ليختبر ما وضعه من فروض (٤:٤٠،٤١). وتلك خطوات الطريقة العلمية:

١- إدراك المشكلة أو الإحساس بها.
٢-تحديد المشكلة فى كلمات واضحة محددة.
٣-وضع بعض الفروض Hypothesis لحل المشكلة، وهى عبارات تشير إلى وجود علاقات (أو عدم وجود علاقات؟ بين اثنين أو أكثر من المتغيرات المختارة، وهى عبارات مصاغة بوضوح، بحيث يمكن إختبارها وقياسها.
٤-اختبار وضع وسائل موضوعية تساعدنا على جمع البيانات المتصلة بالفروض.
٥-جمع البيانات.
٦-تحليل البيانات.
٧-الوصول إلى النتيجة المتصلة بالفروض المبنية على البيانات.
٨-باتمام المراحل السابقة.. يصل العلم إلى أن تصبح له مجموعة النظريات الراسخة *والقوانين المنظمة*.
٩-استخدام النظريات والقوانين التى تم الوصول إليها فى حل مشكلات، أو فى تكوين فروض جديدة تنمى هذا العلم، وقد عبر (كيرلنجر Kerlinger) عن ذلك بقوله (١):

أولا: ..توجد حالة من الشك، أو يوجد عائق ما، أو توجد حالة غير مستقرة تصرخ فى (تورقنى) منادية مطالبة بالتحديد والاستقرار. ويمر الباحث بمرحلة من الشكوك غير الواضحة، ومن المشاعر المضطربة ومن الأفكار الناقصة.. وهو هنا يحاول - جاهدا- ان يحدد المشكلة، ورغم أنها كانت بشكل غير دقيق، فيلجأ إلى القراءة والإطلاع على كل ما كتب حول هذا الموضوع، وهو يسترجع خبراته الشخصية وخبرات الآخرين. وكثيرا.. ما يكون عليه انتظار حدوث ومضة ذهنية، توضح له ما يريد. وقد تحدث هذه الومضة، وربما لا تحدث.

ثانياً: وبصياغة المشكلة، وبتحديد سؤال البحث أو أسئلته.. تصبح بقية الاجراءات أسهل كثيرا، وعندئذ.. توضع -أو تبنى- الفروض وبعدها يوضع تصور بطريقة التحقق مع صحتها، ويتم ذلك غالبا من خلال إجراءات تجريبية، وخلالها.. قد يتضح للباحث ضرورة تغيير أبعاد المشكلة، وبالتالى.. تغيير الفرض الأساسى، وذلك بتوسيع أبعاد المشكلة وحدودها، أو تصنيفها واختصار بعض جوانبها، وقد يصل الأمر إلى تغيير الفرض نهائيا "استبعاده" ووضع فرض آخر.

أخيرا – وليس آخرا- تختبر العلاقة المشار إليها فى الفرض عن طريق الملاحظة والتجريب- وعلى أساس دلائل ونواتج البحث، يقبل الفرض أو يرفض. وترجع هذه النتائج إلى المشكلة الأصلية، وبناء على ذلك، فإما أن تظل المشكلة، وإما أن تعدل.

ويشير (ديوى) -أخيرا- إلى أن بعض تلك العمليات قد يكون ذات أهمية أكبر من غيرها، قد يتوسع الباحث فى بعضها وقد يختصر بعضها وقد تكون هناك خطوات أقل من ذلك أو أكثر. ولكن هذا كله لا يهم. فالمهم هو الفكرة الأساسية العامة للبحث العلمى كعملية عقلية مضبوطة ومحكمة للاستقصاء، والمهم كذلك هو ارتباط اجزاء وإجراءات العملية. والأهمية العظمى لإختبار صياغة المشكلة.

من خلال الاشارة إلى أهمية بناء النظريات خلال مراحل نمو العلم التى تنتج من البحث فى العلاقات بين المتغيرات ثم الإنتقال من مرحلة الترابط بين هذه المتغيرات وصولا إلى مرحلة السببية من خلال التحكم فى المتغيرات وضبطها نستطيع أن نقول أن الطريقة العلمية تبدأ بوعى وبقصد، بالاختيار من بين مجموع المكونات أو المتغيرات المتداخلة، أو المكونة لحالة معينة. تناسب المتغيرات التى يتخيرها الباحث لتشكيل أو لتكوين فرض علمى، أى أن لتلك المتغيرات خصائص كمية Quantitative . وتكون أداته البحثية الأساسية هى فروضه، تكون بمثابة إجابة مؤقتة، أو حل مقترح للمشكلة موضوع الدراسة، وهى عبارات تشير إلى وجود علاقات (أو عدم وجود علاقات) بين اثنين أو أكثر من المتغيرات المختارة، وهى عبارات مصاغة بوضوح، بحيث يمكن اختبارها وقياسها. ومن الفروض.. تبدأ معظم البحوث، خاصة عند دراسة علاقات سببية أو تلازمية، وقد عرف (كيرلنجر Kerlinger) الفرض بأنه: "عبارة تخمينية عن العلاقة بين متغيرين أو أكثر". وببساطة أكثر.. عرف الفرض بأنه: "تخمين ذكى، بناء على دراسات، وتفكير تأملى، وملاحظات دقيقة".

ويحدد (كيرلنجر Kerlinger) أربعة أسباب لأهمية الفروض كوسائل للبحث:

أولا: تنظيم جهود الباحث، كما تمكنه من فهم المشكلة بوضوح أكبر، وتمده باطار لتجميع وتحليل وتفسير البيانات.

ثانيا: وسائل تطبيق النظريات والإفادة منها. وتشتق الفروض من النظريات أو من فروض أخرى.

والنظرية فى أى علم هى ـ ببساطة ـ مجموعة من الفروض المترابطة فى نسق منظم يسمح بتفسير الظواهر والكشف عن القوانين التى تحكمها كما يمكننا من التنبؤ بشأنها. والنظرية عموما تكون قريبة من الصدق والفائدة بقدر وفائها بوظيفتين أساسيتين:

(١) تجميع الملاحظات والنتائج التجريبية المعروضة فى نسق مترابط يسمح بتفسيرها والكشف عن قوانينها.

(٢) الكشف عن علاقات جديدة وهامة بين الظواهر لم يسبق ملاحظتها ويمكن اخضاعها للتثبت الامبيريقى [x] أو التجريبى.

ولعل من أهم المؤشرات على صدق وثراء أى نظرية فى هذا الصدد مدى قدرتها على التوليد الاستكشافى الموجه Heuristic للبحوث، أو بتعبير أخر القدر الذى تسمح به من التوليد والاشتقاق لفروض نوعية قابلة للاختبار والتثبت (٥:٤٢).

ثالثا: يمكن اختبار صحة الفروض إمبريقيا أو تجريبيا ومن تثبت صحته ويتأكده منه يصبح قانونا.

رابعا: تعتبر الفروض وسائل قوية ومؤثرة فى تقدم المعرفة تمكن الإنسان من الانطلاق خارج ذاته.

وقد كتب (ميداور Medawar) (٦- ٣٨:٤) عن الفرض ووظائفه يقول: "تبدأ جميع إنجازات الفهم العلمى ـ على كافة المستويات ـ بمغامرة تأملية ـ بتوقع خيالى لما قد يكون صحيحا، ويكون هذا التوقع ـ دائما ـ أبعد بقدر صغير أحيانا، وبقدر كبير أحيانا أخرى عما لدينا من منطق أو حقائق قوية تدفعنا لتصديقه، وهذا التوقع اختراع لعالم محتمل أو لجزء صغير من هذا العالم، ثم يخضع هذا التخمين للنقد، حتى نكشف إذا ما كان هذا العالم الذى تخيلناه شبيها بالعالم الحقيقى أم لا، فهو حوار بين صورتين: أحدهما تخيلى والآخر ناقد، حوار بين الحقيقى والممكن، بين اقتراح ورفض، بين تخمين ونقد. بين ما يمكن أن يكون صحيحا، وما هو صحيح بالفعل".

وقد حدد (كيرلنجر kerlinger) معيارين للفروض الجيدة:

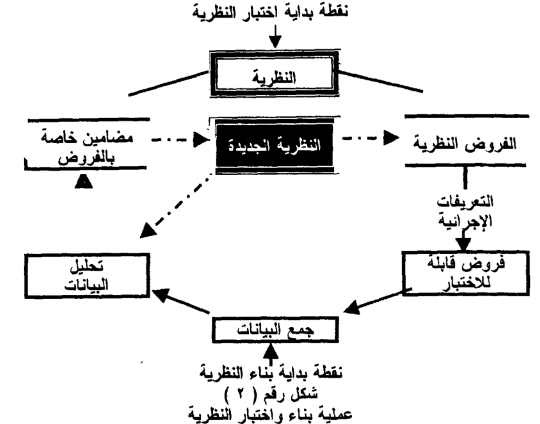
الأول: أن الفروض هى تعبيرات عن علاقات بين متغيرات، **والثانى:** أن الفروض تشير ـ بوضوح ـ إلى اختبار العلاقة المشار إليها. ويضيف إلى هذين المعيارين معيارين آخرين، هما أن الفروض لابد أن تتمشى مع المعارف الحديثة، وأنها مصاغة بطريقة اقتصادية للغاية.

وبعد وضع الفروض تبدأ عملية جمع البيانات، وتحلل فى ضوء النظرية الإجرائية وهذه العملية هى عملية اختبار النظرية. ويلاحظ مما سبق أن عملية ديناميكية وتفاعل مستمر بين النظرية والملاحظة، وبين بناء النظرية واختبارها، أو هى عملية انتقال بين النظرية والملاحظة كما يتضح من الشكل التالى الذى وضعه "دى فاوس De Vaus" (٨،٧)

---

[x] يشير مصطلح الامبيريقية إلى كل الاجراءات المتعلقة بالبيانات الواقعية وعمليات جميعها وتحليلها او تقييمها وتستخدم في علم النفس بشكل خاص كى تشير إلى :

١- كل ما عة ترابط بالحقائق بشكل عام.
٢- كل ما هو متعلق بالخبرة بشكل عام.
٣- الاجراءات العملية التى تتم دون الارتباط بنظرية معينة دون غيرها.
٤- كل ما هو مترادف مع التجريب.
٥- الاجراءات التى تقوم على أساس التقييمات الخاصة بالحقائق الواقعية.
٦- ما يرتبط بالنزعة الفلسفية الامبيريقية التى تؤكد أن كل مصادر المعرفة تأتى من الخبرة من ابرز أنصارها من الفلاسفة لوك، هيوم، بيركلى وهاتلى. (شاكر عبد الحميد: هامش ص ١١١: الدراسة النفسية للادب (تاليف) مارتن ليندأور (١٩٩٦).



شكل رقم (٢)
عملية بناء واختبار النظرية
عن: دى فاوس De Vaus

ويوضح لنا كل من (لويس كوهين ولورانس مانيون من خلال أرونسون Aronson (٩-٤:٢٢،٢٣) تلك النقاط كلها، وهو يتضمن دراسة تحاول الاجابة عن السؤال التالى:

هل تؤدى مشاهدة أحداث العنف فى التليفزيون إلى أن يصبح الأطفال عدوانيين؟

فى هذا المثال.. كانت المتغيرات المختارة للبحث هى:

(١) كمية الوقت التى يقضيها الطفل فى مشاهدة أحداث العنف فى التليفزيون.

(٢) ميله إلى إختيار حلول عدوانية لمشكلاته.

وكان الفرض الأساسى هو: "توجد علاقة بين هذين المتغيرين". بعد ذلك. يتخير الباحث أنسب الطرق. ليختبر تلك الفروض ويدخل فى هذه الاجراءات كل ما يمكن تصورد من نظم وأساليب ووسائل التعامل الموضوعى مع الظواهر النفسية الاجتماعية المختلفة ويدخل فيها (١٠:٢٢،٢٣):

(أ) إختيار العينة الممثلة من الأفراد الذى تتوافر فيهم الظاهرة (أو المتغيرات موضوع الدراسة) بدرجة أو بأخرى.

(ب) تحديد طبيعة الأساليب أو النظم التى يستعان بها فى مختلفة مواقف الدراسة او البحث، سواء كانت مواقف رصد أو تسجيل مشاهدات، أو كانت مواقف أداء تقتضى التحكم أو الضبط.

(ت) تحديد، أو إعداد الأدوات المقننة، أو المعدات التى تستخدم فى عمليات المشاهدة، أو الرصد والتسجيل او القياس بمختلف صوره.

(ث) تحديد نظم التعامل مع هذه الأمور السابقة، فى صورة بنائية منظمة، تتخذ عادة شكل خطة محددة المعالم، يسير الباحث على هديها فى إجراء البحث، ويتحقق لـــه مـــن خلالها مزيد من الضبط لمواقف الدراسة والتحديد لطرق الوصول إلـــى المعلومـــات المترتبة على الظواهر موضع الدراسة، والعلاقات فيما بينها، وهذه الخطة النظاميـة هى ما يعرف بين الباحثين باسم "تصميم البحث".

(ج) إختيار الأساليب الإحصائية الملائمة، سواء لإختيار عينات البحث أو لطبيعة البيانات التى يتم جمعها، أو المشاهدات التى ينبغى تسجيلها أو رصدها، بما يمكن الوصـــول إلى الإستنتاجات الدقيقة عن مجموعة الأحداث موضوع البحث. وقـــد تـــم إختبـــار الفرض من خلال تصميم مبسط يوضح المدخل الوصفـــى فـــى دراســـة الظواهـــر الاجتماعية.

مثال: هل يؤدى مشاهدة العنف فى التليفزيون إلى ان يصبح الأطفال عدوانيين؟ (٧-٤:٤٣).

توجد علاقة بين كمية الوقت التى يقضيها الطفل فى مشاهدة العنف فـــى التليفزيـــون وبين ميله إلى اختيار حلول عدوانية لمشكلاته، فهل يعنى ذلك أن مشـــاهدة العنـــف فـــى التليفزيون تتسبب فى أن يصبح الأطفال عدوانيين؟ ليس بالضرورة، فقد يكون ذلك صحيحاً، ولكنه أيضا قد يكون خطأ، أى يمكن أن يحب الأطفال العدوانيون مشاهدة العنف، ويكونـــوا عدوانيين حتى لو شاهدوا رسوما متحركة طوال اليوم. ولكن التجارب قد أثبتت أن مشاهدة العنف تزيد من العنف. كيف؟

تم إختيار عينة عشوائية من الأطفال، عرض عليهم مسلسل تليفزيونى، ملئ بـــأحداث الضرب والقتل والعنف بأشكال مختلفة، وقد كانت مدة الحلقة خمسين دقيقة. وكمجموعـــة ضابطة.. تم إختيار مجموعة عشوائية من الأطفال، وسمح لهم بمشاهدة برامج فنية جمالية لفترة من الوقت. والمهم هنا هو أن أى طفل من المجموعتين كانت لديه فرصة متكافئة فى وضعه فى المجموعة التجريبية، أو ضمن المجموعة الضابطة أى أنه تـــم ضبـــط جميـــع المتغيرات بالنسبة لأطفال المجموعتين خلال تجربة البحث، وعلى هذا الأساس.. فإنه عندما وجد الباحثون أن الأطفال الذين شاهدوا المسلسل الملئ بالعنف قد سلكوا ــ بعد التجربة ــ سلوكا أكثر عدوانية من أطفال المجموعة الضابطة، فإن النتائج اشارت ــ بقوة ــ إلـــى أن مشاهدة العنف يمكن أن يؤدى إلى العنف.

وبالرجوع إلى الطريقة العلمية السابق الإشارة إليها، فإننا نجد أن حديثنا عن الطريقة العلمية يمكن أن يقتصر على منهجين أو طريقتين من منـــاهج الطريقـــة العلميـــة وهمـــا "الملاحظة والتجريب". وذلك ما سوف نتناولـــه بالإضافـــة إلـــى الإشـــارة إلـــى المنـــهج السوسيومترى وأسلوب تحليل المحتوى لأهميتها لدارس علم النفس الاجتماعي وسيكلوجية الاتصال.

الملاحظة والمناهج الوصفية والبحوث التجريبية وشبه التجريبية وبحوث الحالة المنفردة:

أولا: الملاحظة Observation

يقصد بالملاحظة فى مجال البحث العلمى الاجتماعي المشاهدة الدقيقة لظاهرة من الظواهر، أو لمجموعة منها، بالاستعانة بالأدوات والأجهزة والأساليب التى تتفق مع طبيعة هذه الظواهر الاجتماعية وذلك بهدف التعرف على خصائصها والعوامل الداخلة فيها والمترتبة عنها.

والملاحظة العلمية للظواهر الاجتماعية تجمع بين استخدام العقل والحواس لأنها لا تقتصر على مجرد التسجيل السلبى للوقائع أو المتغيرات، وإنما تتعدى هذه الخطوة إلى خطوة التدخل الإيجابى من جانب العقل الذى يقوم بدور رئيسى فى إدراك العلاقات المختلفة بين الظواهر الاجتماعية التى تتم ملاحظتها. والميزة الرئيسية للملاحظة كما يشير بذلك "مصطفى سويف" هى إنها تطلعنا على مظهر السلوك دون إمكانية لتزييفه، وخاصة إذا أجريت على غفلة من الفرد أو الأفراد موضوع الدراسة. كما أنها تعتبر من أكثر الطرق ملاءمة خصوصا إذا كانت العينة موضع الدراسة (من الأطفال صغار السن) ولا يمكنهم الوصف اللفظى لوقائع السلوك (٩).

وتعتبر الملاحظة من أبرز أساليب البحث ومن مستلزماتها الأساسية دقة الحواس ولاسيما السمع والبصر، وملاحظة الأشياء غير الإعتيادية، والتفاصيل، وتسجيل عدد التكرارات السلوكية **Frequency** وكتابة التقرير الوصفى الدقيق فى تصوير الحالة كما هى **As it is**. وتعتمد عليها الأساليب الأخرى التى نلجأ إليها فى جمع البيانات كالمقابلة والإستبيان.

والملاحظة عموما ذات نوعين (مباشرة وغير مباشرة) وقد تكون عرضية أو عفوية أو قصدية ـ هادفة، وهى ايضا عشوائية بسيطة أو مخططة منظمة ـ والأولى (العارضة) تحدث دون تفكير سابق ودون قصد أو تعمد ودون منهج أو خطة، والأخيرة هى بؤرة اهتمامنا لأنها تقوم على التخطيط والتنظيم، بمعنى ان الملاحظة كما تعنيها هنا "هى جهد منظم ومخطط على أسس معينة"، والملاحظة تحتاج لتخطيط يتحدد به (المكان والزمان لها) ويتساوى الأفراد تحت الملاحظة بالفرص والظروف، وتستخدم البطاقات للتسجيل فيها لوصفيات السلوك الملاحظ، وهذه الملاحظة عموما يطلق عليها (ملاحظة منظمة) لوجود عناصر ضبط بها. وتندرج تحت الملاحظة المباشرة.

ويرى (جود **Good** ـ ١٩٥٩) أن هناك جوانب هامة لابد من وضعها فى الاعتبار حين تستخدم الملاحظة كوسيلة لجمع المعلومات (١٠:٤١٢):

١- الأفراد الذين يكونون الجماعة المناسبة للملاحظة.

٢- إختبار وترتيب الظروف الملائمة للملاحظة.

٣- تحديد فترة الملاحظة وعدد مرات الملاحظة والفترة بين كل ملاحظة وأخرى.

٤- موضع القائم بالملاحظة، وما يمكن أن يترتب عليه من نتائج.

٥- تعريف وحدة السلوك وأنواع النشاط المعين الذى يلاحظ.

٦- تقدير تواتر السلوك الملحوظ وتسجيله فى جدول لفترة الملاحظة كلها أو على مراحل داخل الفترة.

٧- مدى الملاحظة، فرد أو جماعة.

٨-طريقة التسجيل مع اعتبار مختلف العوامل مثل الأعداد والزمن والعلاقات المكانية.
٩-تدريب الملاحظين.
١٠- تفسير الملاحظة.

وبعد استعراضنا إلى الجوانب الهامة الواجب وضعها فـى الاعتبـار حيـن تسـتخدم الملاحظة كوسيلة لجمع المعلومات يجدر بنا الإشارة إلى الشروط الواجـب توافرهـا فـى الملاحظة للتمكين من دقة الملاحظة وصحتها وهذه الشروط هى:

١-سلامة الحواس.
٢-اليقظة، وسرعة البديهة مع حسن اختيار موقع الملاحظة.
٣-سلامة التقديرات والمقاييس دون استعمال أدوات القياس.
٤-الخلو من الظروف المرضية.
٥-الخلو من الانفعال والتوتر اثناء عملية الملاحظة.
٦-الخلو من التحيزات أى رصد الظاهرة كما هى عليه لا كما نرغب أن تكون.
٧-التسجيل الدقيق المباشر فى أول فرصة تسنح للملاحظة خوفا من زوال الملاحظة.
٨-الإدراك العقلى الواسع.

وتعد الملاحظة الحقلية وهى نزول الباحث ومعاونيه لملاحظة الظـاهرة فـى مجالـها الطبيعى ملاحظة منظمة مخطط لها.

يقول "بابى Babbie".. إن البحث الميدانى يمثل الأسلوب الفعال فى دراسـة الظـلال الدقيقة للاتجاهات والسلوك بشكل خاص، وفى اختيار العمليات الاجتماعية عبر الزمن.

Field Research is especially effective for studying the subtlenuances of attitudes and behaviors, and for examining social processes over time. For these reasons, the chief strength of this method lies in the depth of understanding.

ولهذه الأسباب، فإن القوة الرئيسة لهذا المنهج تكمن فى عمق الفـهم الـذى تتيحـه (١١:٢٢٧).

على سبيل المثال: لو أراد باحث أن يدرس ديناميكية العلاقة الأسرية فى إحدى قـرى مصر، فالباحث يذهب إلى ميدان الظاهرة، وهى القرية، ومعه وسـائل المسـاعدة ولتكـن استخبارا أعد خصيصا لجمع مادة عن هذه الظاهرة مثل:

(١) هل الأب هو المسيطر فى الأسرة؟
(٢) هل يفرق الأب فى معاملته بين الولد والبنت؟
(٣) هل تقوم الأم بمساعدة زوجها فى الحقل؟

وهذه بطبيعة الحال تختلف عن الملاحظة الطارئة الفجائيـة غـير المقصـودة وغـير المتوقعة والتى لا يمكن التحكم فيها أو ضبط المواد الملاحظة أو امكانية ملاحظتها مثل احداث الزلزال والآثار النفسية المترتبة عليه وقت حدوثه.

أما مميزاتها فهى:

(١) طبيعة الموقف وعدم افتعاله واصطناعه.

(٢) أن بعض الظواهر لا يمكن دراستها إلا عن طريق الملاحظة الفجائية الطارئة: مثل سلوك القاتل أثناء عملية القتل، أو سلوك المغتصب أثناء عملية الاغتصاب وإنفعالاته وآثار الجريمة.

ومن عيوب هذا النوع:

١-عدم استطاعة الباحث تغطية كل جوانب الملاحظة مع عدم استطاعة إعادتها لاسترجاع الجوانب المفقودة منها.

٢-عدم قدرة الباحث على استرجاع الموقف لكى يتأكد من صدق ملاحظته مما ينفى عنها الموضوعية.

٣-تعتمد نتائجها على قدرة الباحث واستعداداته.

علاوة على ما سبق، ففى تفسير طبيعة تشكيل السيكولوجيا الاجتماعية وقوانينها، فإن الأساس المبدئى أو العقائدى للباحث ووجهة نظره الفلسفية تلعب دورا كبيرا، ويتوقف كثيرا على هذا الأساس التأثير العلمى للأبحاث. ولذا يلفت "بوبر Poper" النظر إلى ضرورة توافر القدرة على فصل القناعات الشخصية عن المعطيات الموضوعية أثناء استخدام الملاحظة مثلا (١٢: ٤٣، ٤٤).

وهناك نوعان أساسيان من الملاحظة هما:

١-الملاحظة بالمشاركة **Participant obseratin**

٢-الملاحظة دون المشاركة **Non – Participant obseration**

الملاحظة بالمشاركة:

وتدخل الملاحظة بالمشاركة كأسلوب بحث علمى ضمن المناهج الوصفية، حيث تتركز مهمة الباحث المشتغل به على رصد الواقع كما يحدث بالفعل.. وهو صميم المنهج الوصفى.. إلا أن مهمة الباحث لا تقف عند حدود الرصد.. ولكنها تتعدى ذلك فى محاولة لتفسير ما يحدث أو للاجابة على السؤال ـ لماذا يحدث؟ ويعتمد الباحث فى مرحلة معالجة البيانات على منهج إعادة البناء الذي يدخل أساسا فى إطار المنهج التاريخى.

ويختلف منهج الملاحظة بالمشاركة عن منهج الملاحظة بدرجاته (عابرة أو مقصودة) من حيث وضع الباحث من الظاهرة موضوع الدراسة، فالملاحظ المشارك يصبح فى الأغلب جزءا من الظاهرة المدروسة أو عضوا فى الجماعة التى يلاحظها (يقصد الدراسة على الأقل) وهو ما يختلف بدرجة كبيرة عن الملاحظ فقط الذى يقف عند حدود الجماعة أو بالقرب من وقع حدوث الظاهرة لملاحظتها ورصد أبعادها.

وإن أبسط تعريف للملاحظة بالمشاركة ـ كما يرى "روبرت دنتان":

"أن يعيش الفرد مع الجماعة أكبر قدر ممكن" ويلاحظ فى هذا التعريف أن الأساس فى الملاحظة المشاركة هو أن يوجد الفرد (الباحث) داخل الجماعة مع الاشتراك فى ممارسة أوجه نشاط هذه الجماعة. فى حين يرى "جونسون" أن الأساس هو فى انغماس الباحث

القائم بالملاحظة مع أعضاء الجماعة فى علاقة مباشرة وخاصة فى مواقف اجتماعية معينة بقصد الدراسة (١٣:١٨٧-١٩٠).

ففى هذا النوع من الملاحظة.. يشترك الباحث مع المجموعة المطلوب ملاحظتها فيما يقومون به من أعمال وأنشطة، دون أن يدرك أفراد المجموعة ذلك. فهو بالنسبة لهم مجرد واحد منهم مثل الباحث "باتريك Patrick" (١٤)، الذى انضم إلى عصابة فى "جيلاسكو". واستمر يمارس معهم نشاطهم لمدة أربعة أشهر، دون أن يكتشفه أحد منهم. كذلك .. هناك دراسة "باركر Parker" (١٥) والتى أجراها على مراهقى وسط مدينة "ليفربول".

وفى تلك الدراسة .. انضم (شخص) إلى أفراد مجموعة من هؤلاء المراهقين متظاهرا بأنه عاطل، ليبحث عن وظيفة، فكان يشارك أفراد المجموعة نشاطهم ولهوهم، وكان يتجول مع الصبية اثناء النهار، ويذهب معهم الحانات ليلا. وفى هذا يقوم: " كان سلوكى غير سوى، وكنت عاطلا، طلبوا منى القيام بأعمال غير قانونية، ووثقوا بى لدرجة أنهم اعتمدوا على تماما". ولا يتم هذا إلا بعد أن يكون الملاحظ علاقة وطيدة مع الملاحظين.

ونحن ندين بالكثير إلى علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الذين استخدموا الملاحظة المشاركة فى دراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة، مثل الثقافات والمجتمعات. ولكنها تستخدم أيضا فى دراسة الجماعات الصغيرة التى لا نعرف عنها ما ييسر لنا استخدام طرق الملاحظة الأكثر تنظيما. وتتضمن الملاحظة المشاركة أن يعيش الملاحظ مع أفراد الجماعة، وأن يشاركهم بدرجة قليلة أو كبيرة فى نشاطهم وفى مشاعرهم. وهو فى ذلك يواجه عددا من المشكلات يتعين عليه حلها. وأهم هذه المشكلات:

(١) **كيف يقدم نفسه للجماعة التى يلاحظها؟ وما نوع العلاقة التى يجب أن تقوم بينهما؟** وهى مشكلة تزداد أهميتها على وجه الخصوص فى العمل مع الجماعات، والمجتمعات فإذا أخطأ بصورة أو بأخرى فى تقديم نفسه إلى الجماعات أو المجتمعات أو إلى الشخصيات الرئيسية فيها، فإن ذلك قد يكون ضربة قاضية للدراسة بأكملها، لهذا فعليه إقامة علاقة طيبة مع أكثر من طرف: مع مدير المؤسسة التعليمية (عادية أو فئات خاصة)، أو مع مدير المصنع وعماله، أو مع عمدة القرية ومع أهلها. وعلى العموم تفيد المشاركة المتعمقة أكثر مما تفيد إذا كان الباحث غريبا عن المجتمع الذى يلاحظه بدرجة لا يستطيع معها أن يفيد من خبراته السابقة فى الربط بين الملاحظات، أو كان المجتمع مألوفا تماما للملاحظ. لدرجة يتعذر معها ان يلاحظ شيئا إلا إذا تعمد أن يقوم بدور آخر يمكنه من أن يلاحظ ما قد يخفى عليه فى الظروف اليومية العادية.

(٢) **ما الذى يلاحظ؟** يصعب أن نحدد مقدما نوع السلوك الملاحظ، فنحن نلجأ إلى هذا النوع من الملاحظة فى الدراسات الاستطلاعية، ومن ثم يغلب أن يتغير فهمنا للموقف من فترة إلى أخرى. ويتطلب ذلك تغييرا فيما نلاحظ، ولن يتيسر للملاحظ ذلك إلا إذا حلل مادة الملاحظة وقت جمعها. وهو يسعى لتضييق نطاق ملاحظته إلى أقصى حد ممكن. ليتسنى له أن يتعمق فيها، كأن يحضر مثلا فترة تناول وجبة الغذاء فى مدارس النور والأمل. حصة النشاط بتلك المدارس، أو طابور الصباح وتحية العلم. فإذا كان هدف الدراسة التعرف على

ثقافة جماعة لا يعرفها فإن عليه أن يحتفظ بمذكرات شاملة ومفصلة لكل ما يحدث حوله، بل ويسجل حتى مظاهر السلوك التى تبدو له غير هامة أو غير ذات معنى (١٦: ٨٠، ٨١).

والموقف الاجتماعى الذى يلاحظ يتميز بالخصائص التالية، وهى التى يغلب من يختار منها الملاحظ ما يناسب أهداف دراسته.

(أ) **المشتركون:** فيلاحظ عددهم ومقدار نشاطهم ومواضعهم والأدوار التى يقومون بها سواء كانت قيادية أو تبعية، ومكانتهم الاجتماعية ودرجة تفاعلهم أو عزلتهم.

(ب) **نتائج التفاعل بين المشتركين:** هل يتجه المشتركون نحو تحقيق نفس الهدف أو نحو الأهداف المختلفة، أم أن وجهتهم غير واضحة أو محددة؟ هل يدرك المشتركون عواقب تفاعلهم أم لا؟

(ج) **وسائل التفاعل وتحقيق الأهداف:** هل الوسائل التى يستخدمها المشتركون (مثل المناقشة أو اللعب أو العمل) مناسبة لتحقيق الأهداف أم لا؟

(د) **نقطة البداية:** هل خطط للموقف تخطيط مقصود، أم حدث عفوا، أو نتيجة لأمر غير عادى، أم أمر مألوف عادى يحدث يوميا؟

(د) **البواعث والعوامل التى تؤدى إلى استمرار الموقف:** هل هى المعايير الاجتماعية السائدة، أم مطالب مباشرة من الآخرين؟ أم هى حاجة ملحة مثل نقص الغذاء؟

(و) **العوائق التى تعترض طريق المشتركين فى الموقف:** مثل ضغط المعايير الاجتماعية، والعوائق المادية وقلة الامكانيات..الخ.

(ز) **مسرح الحوادث فى الموقف:** مثل المؤسسة التعليمية (عادية أم فئات خاصة) أو المصنع أو الحقل أو المنزل أو جماعة المسنين أو النادى او سرادق للطرق الصوفية أو مدرج أحد أندية كرة القدم أو دوار القرية أو معهد لإعداد القادة.

(ح) **إنتظام الموقف أو تعدده:** هل موقف فريد أم متكرر؟ وأيضا هل سلوك الأعضاء فى الموقف سلوك فريد أم متكرر؟

(ط) **طوال فترة الموقف:** هل هو تفاعل سريع أم اجتماع طويل؟ هل له بداية ونهاية واضحتان أم لا؟

(ى) **الحذف والإنحراف والتناقض فى الموقف:** هل يشغل الأعضاء أنفسهم بنشاط غير متوقع فى مثل هذا الموقف؟ هل ينحرفون عن المعايير الاجتماعية القائمة؟ هل تتفق أفعالهم مع أقوالهم؟

ويجدر بنا ذكر أن ما يلاحظ يتوقف غالبا على أهداف الملاحظة. ولكنه من المفيد اعتبار هذه الخصائص فى وضع خطة الملاحظة.

(٣) متى تسجل الملاحظات؟ وكيف تسجل؟ يفضل تسجيل الملاحظات عن الحوادث وقت وقوعها، لتقليل احتمالات التحيز فى انتقال ما يسجل، وحتى يقل تأثير عامل التذكر. إلا أن هذا التسجيل قد لا يتفق مع طبيعة الموقف ويضايق المشتركين أو يثير شكوكهم. وسيتم الإشارة إليه فى عرض دراسة (العارف بالله الغندور)، كما أن إنهماك الملاحظ

فى التسجيل قد يعوقه عن ملاحظة الجوانب الهامة إذا هو وزع انتباهه بين الملاحظة والتسجيل.

واجبات القائم بالملاحظة:

(١) اختيار الطريقة المناسبة لتكوين العلاقة بينه وبين الجماعة التى سيعمل بها (عاديون أو فئات خاصة ـ ذكورا أو اناث ـ أميون أو متعلمون وهكذا).

(٢) عدم التحيز لفئة دون أخرى فى الجماعة التى يلاحظ سلوكها.

(٣) عدم التكلف وضرورة التعميق فى فهم المؤثرات التى يتعرض لها أفراد الجماعة التى يشترك فى نشاطها.

وهناك مستويات مختلفة للمشاركة فى الملاحظة، ففى أقصى حدود المشاركة، يكون الملاحظ عضوا كاملا فى المجموعة التى يقوم بملاحظتها ويكون دوره كملاحظ مختفى. والمستوى الثانى، يكون دور الملاحظ واضحا لدى الأفراد الواقعين تحت الملاحظة وفى نفس الوقت يشاركهم أوجه النشاط المختلفة موضوع الملاحظة، وفى النهاية، قد يركز الملاحظ فقط، ولكنه فى نفس الوقت يكون على علاقة وطيدة مع المجموعة الملاحظة تسمح له بفهم جيد لوظائفهم وتفاعلها.

ويقدم لنا "رايموند Raymond" (١٧: ٣٠-٣٩، ١١: ٢٠٩) أربعة أدوار يمكن للقائم بالملاحظة أن يتخذها فى البحث الميدانى.

The Varios Roles of the Observer:

Raymond gold has discussed four different roles that Field researchers may play in this regard: Complete Participant, - Participant, - as – observer, observers – as – Participant, and complete observer.

(١) المشارك الكامل. **Complete Participant**

(٢) المشارك بوصه ملاحظا. **Participant – as - observer**

(٣) الملاحظ بوصفه مشاركا. **Observer – as - Participant**

(٤) القائم بالملاحظة فقط. **Complete observer**

وتحدث الملاحظة الكلية عندما لا يلعب الباحث أى دور فى الظاهرة أو السلوك الذى يرغب فى ملاحظته. وهنا قد لا يعى المبحوثين أنهم موضع ملاحظة. أما المشاركة الكلية فتحدث عندما يشارك الباحث مشاركة كلية فى الظاهرة أو السلوك الذى تجرى ملاحظته. وهنا قد لا يعى المبحوثين أنهم موضع ملاحظة، وفى بعض الأحيان يحظرون بأن ثمة بحثا يجرى عليهم. ويمكن الجمع بين الأسلوبين فيما يعرف بالملاحظة بالمشاركة. حيث يشارك الباحث ويتفاعل مع المبحوثين فى الموقف الذى يلاحظه، وبالطبع يعى المبحوثين فى هذه الحالة وجود الباحث معهم، وأنهم موضع ملاحظة. وفى كل الاحوال يجب أن يكون الباحث شديد الحساسية لكل ما يجرى أو يقال من بيانات أو تعليقات أو ملاحظات، أو انفعالات فى البيئة التى يلاحظها. ويتوقف اختيار أسلوب الملاحظة المناسب على المشكلة البحثية ذاتها، وعلى قدرات الباحث ومهارته، وعلى خصائص المبحوثين الذين تتناولهم الملاحظة.

ويتساءل "بابى Earl. R. Babbie" (١١) عن كيفية اختيار الدور المناسب للموقف المعين، ويجيب بأنه لا توجد قاعدة محددة لذلك، فالأمر يتوقف على فهم الباحث للموقف ومدى صدق أحكامه ودقتها، ولابد أن يضع فى اعتباره كل من هو أخلاقى.

المجالات التى تصلح فيها الملاحظة بالمشاركة:

١-تصلح فى المجتمع ذات الثقافات القريبة على القائم بالملاحظة.

٢-تصلح فى المجتمع المألوف تماما بالنسبة للملاحظ.

والواقع أن أسلوب الملاحظة بالمشاركة التام يتضمن بعض المشاكل مما يصعب فى كثير من الحالات لأسباب عملية أو خلقية مثل المشاركة فى ملاحظة البغايا وذوى الشذوذ الجنسى واللواطيون والمجرمين، ومدمنى الحبوب المخدرة والبانجو والماكستون فورت، وعبدة الشيطان والبلطجية والأماكن العشوائية.

ومما يتعين على الملاحظ ملاحظته:

١-درجة مشاركة أفراد المجتمع فى الأنشطة المختلفة، وعددهم، وأماكنهم، وهل هم قادة أم تابعون، ودرجة تفاعلهم أو عزلتهم.

٢-ما هى نتيجة تفاعل الجماعة التى يقوم الباحث بملاحظتها، هل يسعى كل فرد لتحقيق هدف مشترك، أم تحقيق أهداف خاصة، أم أن تفاعلهم يسير على غير هدف محدد؟

٣-ما هى طريقة تفاعلهم، هل تتم عن طريق العمل، أو اللعب، أو المنافسة، أم التعاون وهل تتناسب هذه الرسائل مع أهداف الجماعة؟

٤-ما هى العوامل التى تؤدى إلى استمرار الموقف الملاحظ، هل هى المعايير الاجتماعية السائدة، أما المطالب المباشرة للأفراد مع بعضهم البعض، أم وجود عوامل دافعة: مثل نقص الطعام أو قلة فى المواصلات.

٥-العوامل التى تعترض النشاط الملاحظ، مثل الروتين الحكومى لتوثيق شهادة، أو استخراج شهادة ميلاد أو نقص الامكانيات.

٦-مكان الملاحظ، هل هو المسجد أو المصنع، أو الشارع، أو المستشفى، أو فى المنزل.

٧-إنتظام الموقف وتكراره، هل هو حادث فريد أم موقف عادى، هل يعكس الموقف سلوكا خاصا أم يعكس طقوسا دينية واجتماعية لها مناسبة خاصة (مثل تصرفات الناس فى الأعياد أو فى شهر رمضان المعظم).

٨-إنحراف القائمين بالنشاط الملاحظ، مثل تجاهل القيم والمعايير الاجتماعية.

٩-التناقض بين الأحداث وبين القول والفعل وبين المثير والاستجابة مثل موقف المعزيين من المتوفى والتناقض بين مشاعرهم الحقيقية واختلاف التعبير عنها.

وعلى الباحث أن يختار من بنود هذه القائمة التى اقترحها (شين) ما يناسب الموقف الذى يلاحظه.

ويرى كل من (بورج وجال Borg & Gall - ١٩٧٩)، بأن:

(١) أخطر مشكلة فى أسلوب الملاحظة بالمشاركة، ما يتضمنه هذا الأسلوب من خداع للأشخاص الملاحظين ورد فعلهم إذا ما اكتشفوا ذلك.

(٢) أن مجرد اشتراك الملاحظ فى النشاط الذى يلاحظه قد يغير من الموقف ككل.
(٣) إن صعوبة قيام الملاحظ بتسجيل ما يريده من بيانات ومعلومات مما سوف يجعله، إما أن يعتمد على الذاكرة، وإما على استخدام بعض وسائل التسجيل، ولكل منها عيوبه(١٨:٤٢،٤٤).

وتعد دراسة المسألة السكانية فى قرية مصرية ــ دراسة لتجربة اللجان الاستشارية بمنهج الملاحظة بالمشاركة باشراف (قدرى حفنى) مثال لهذا النوع من الدراسات الميدانية، فقد اعتمدت على منهج لجمع البيانات هو الملاحظة بالمشاركة حيث ينتقل فيها الباحث إلى حيث الظاهرة موضوع الدراسة، ويعيش بين أهلها ملاحظا ومشاركا لفترة زمنية كافية.. وفى نهاية كل يوم يقوم الباحث بتسجيل ملاحظاته ومشاهداته المختلفة والمتعلقة بمشكلة الدراسة تسجيلا دقيقا.. وتمثل هذه التسجيلات اليومية فى النهاية، مادة الدراسة الميدانية التى تخضع للتحليل. وهذا المنهج يتيح الاقتراب من الظاهرة، والدخول فيها. والتجوال بين جنباتها، والنظر إليها من الخارج ومن الداخل أيضا؛ بما يمكن فى النهاية من تحقيق فهما شاملا لها نتيجه مناهج أخرى (١٩:٢٠٥).

ومما لا شك فيه أن العلاقة بين القائم بالملاحظة والأفراد موضوع الملاحظة هى علاقة إنسانية تفاعلية فى المقام الأول، وهى تكتسب فاعليتها حين يدرك هؤلاء الأفراد (موضوع الملاحظة) أنهم يتمتعون بالأهمية والاحترام من الباحث القائم بالدراسة الحقلية.

وتعتبر الدراسة التى قام بها (العارف بالله محمد الغندور) ــ الصوفية: دراسة فى سيكولوجية الإنتماء ــ ١٩٨٩. إحدى فنيات الملاحظة بالمشاركة التى تقوم مثل سابقتها على منهج الملاحظة بالمشاركة ثم أسلوب إعادة البناء، وهو الأسلوب الرائد الذى اتبعه (قدرى حفنى)، وقد عرفه بأنه التأليف التركيبى للمعارف المتخصصة المتناثرة فى جماعة بشرية معينة أو تجمع بشرى معين؛ ويحدد شروطاً ثلاثة ينبغى توافرها لإمكانية تطبيقه وهى: (أ) التعدد (ب) التنوع (جـ) التراكم (٢٠:٧٥).

ويشير (العارف بالله) إلى أن المشيخة العامة للطرق الصوفية كانت تقيم سرقا للطوق الصوفية فى شهر رمضان، وكانت تخصص لكل طريقة يوما تقيم فيه احتفالها. وهنا لم يكن صعبا على الباحث الدخول والمشاركة دون أى مقدمات. وفى مرحلة العمل الميدانى. كانت مهمته الأساسية هى الاندماج وسط أعضاء الطريقة، مع ملاحظة ما يحدث منذ بداية دخول المريدين والشيخ الى حيث تقام الحضرة أو الاحتفال وحتى إنصرافهم من المكان، ولقد تضمنت الملاحظة بالمشاركة طرقا صوفية "رسمية" وطرقا "غير رسمية" غير مسجلة. وقد كان أسلوب الباحث فى دخول الحضرة ومشاركة الأعضاء، بل تسجيل الملاحظات يختلف نوعا عن الطرق الرسمية نظرا لأن أعضاء هذه الطرق يعرفون كل من كان غريبا عن الطريقة ويحتاطون منه، بعكس الطرق الرسمية التى تفتح أبوابها للجميع وخاصة فى الاحتفالات العامة.

◆ **أما عن الطرق الرسمية:**

فقد كانت هذه الطرق تقيم حفلاتها بالسرادق التى تقيمه المشيخة العامة بجوار المسجد الحسينى بالقاهرة ولم يجد الباحث صعوبة تذكر فى الدخول والمشاركة والملاحظة وكان يأخذ لنفسه موقعا يتغير من كونه ملاحظا أو كونه مشاركا، فى الأولى كان ينضم إلى حلقة الذكر والإنشاد التى تقوم بوسط السرادق. لم يجد صعوبة فى التسجيل لأن الاحتفال عام وكانوا يعتقدون أن التسجيل نوع من الدعاية للطريقة.

◆ **أما الطرق غير الرسمية:**

لم يكن لهم الحق فى أن يقيموا حضراتهم أو احتفالاتهم بالسرادق العام، وكانوا يقيمونها إما بمقر الطريقة أو فى أحد بيوت المريدين، وقد اقتضى ذلك من الباحث ألا يسجل كل ما يحدث تفصيليا فى حينه، لأنهم على علم أنه شخص جديد على الطريقة وليس عضوا فيها، وبالتالى يمكن أن تستثير الكتابة فى نفوسهم ريبة. وحلا لهذا كان الباحث يكتفى بتسجيل نقاط تذكير أو رموز أو كلمات، ثم يقوم بإكمالها بعد الإنصراف من الحضرة.

وتتبلور فنيات الملاحظة بالمشاركة فى عدد من النقاط يعرضها (العارف بالله) منها:

١- أسلوب دخول الباحث مجتمع الدراسة.

٢- المدة الزمنية المطلوب من الباحث قضائها فى الميدان.

٣- ما يجدر على الباحث ملاحظته وتسجيله.

٤- أسلوب تسجيل الوقائع (٢١:٣٧-٤٠).

ولقد حدد (بيلى Bailey ـ ١٩٧٨) بعض مميزات أسلوب الملاحظة بالمشاركة فيما يلى:

١-تفضل الدراسات التى تعتمد على الملاحظات، والدراسات التجريبية، والمسحية وذلك عندما تهدف إلى جمع بيانات عن السلوك غير اللفظى.

٢-فى دراسات الملاحظة.. يشاهد الباحث السلوك كما يحدث تماما، ويكون قادرا على اعطاء ملاحظات دقيقة عن ملامح هذا السلوك الرئيسية.

٣-يمكن للباحث ـ الذى يقوم بالملاحظة فى دراسة الحالة ـ أن ينمى علاقات حميمة مع هؤلاء الذين يلاحظهم، وذلك لأن عملية الملاحظة تتم خلال فترة طويلة من الزمن. وهذا يحدث فى البيئات الطبيعية أكثر منها فى البيئات التى تجرى فيها التجارب والدراسات المسحية Survey STudies.

٤-الملاحظات فى دراسة الحالة أقل عرضة للتحيز من غيرها، من طرق جمع البيانات فمثلا فى التجارب المعملية، وفى الدراسات المسحية يعتمد جمع البيانات على الاستجابات اللفظية للمفحوصين على أسئلة معدة، وهنا يأتى التميز من خلال البيانات التى يحاول الباحث أن يدرسها (٢٢).

٥-إنه يمكن الباحث من القيام بدور إيجابى من خلال ممارسة لأوجه النشاط المختلفة التى يؤديها أفراد الجماعة ـ وهو ما لا يوفره تكنيك آخر ـ ولاشك أن هذه الايجابية تتيح للباحث فهم أعمق للجماعة أو الظاهرة المدروسة (٢٣).

ولعل هناك عددا من الأسباب التى تميز الملاحظ بالمشاركة عـــن المفــاهيم والأدوات الأخرى:

١- مرونة الموقف وعدم جموده.

٢- عدم التقيد بحكم مسبق.

٣- إمكانية صياغة المشكلة مع تطور الملاحظة وتقدمها.

٤- تفادى توجيه الأسئلة المضللة والمحرجة نظرا لإتصال الملاحظ الوثيق بالموقف.

٥- إمكانية تعديل فئات الملاحظة بصور تيسر له تحليل الموقف تحليلا واقعيا.

٦- تتيح للملاحظ فهم دوافع الموقف وأهدافه وفهم أعمق للظاهرة المدروسة.

٧- طبيعة الموقف وقلة الأضرار الناتجة من طبيعة الموقف بين الفاحص والمفحوص.

ورغم ما سبق ذكره.. فإن لأسلوب الملاحظة ـ المستخدم عند دراسة الحالة ـ بعض السلبيات، وذلك لأن التفسيرات التى تبزغ من تلك الملاحظة توصف بأنها ذاتية، ومتحـيزة. وتغلف بالإنطباع الشخصى، وتنقصها المقاييس الكمية الدقيقة المميزة للبحوث التجريبيـــة والدراسات المسحية، فبينما لا يوجد أسلوب يستطيع أن يسبر أغوار حياة مجموعـــة مـــن الأحداث الجانحين، سوى أسلوب العيش بينهم لفترة من الوقـــت والتفـــاعل معـــهم. فـــإن معارضى هذا الأسلوب سيشيرون إلى الخطر الناتج عند التطبع بطباعهم، نتيجـــة لتقمـــص أدوارهم، إذ من المحتمل أن ينسى الباحث مهمته، ويتغاضى عن الخصوصيات التى يبحثها.

وسواء اختار الباحث الملاحظة بالمشاركة، أو بدون مشاركة، فإن عليه أن يقرر. هـــل سيلاحظ الظاهرة أو السلوك بطريقة علنية صريحة، أم يلاحظها بطريقة خفية وغير معلنة. وبالطبع تثير الملاحظة الخفية غير المعلنة كثيرا من التحفظات الأخلاقية، أولها أنها إعتداء على حق الخصوصية للمبحوثين، والتدخل فى شئونهم الشخصية.

ويثير هذا النقد عديدا من الأسئلة عن نوعى الصدق الذى يوجد فى الأبحاث التى تعتمد على الملاحظة بالمشاركة. ومما لا شك فيه أن النقد الموجه إلى الطبيعة الذاتية للملاحظـــة الذاتية مرتبط بالصدق الخارجى ومدى معرفة كيفية تطبيق نتائج هذا البحث على مواقـــف أخرى. وعندما يندمج الباحث مع المجموعة فإن ذلك ربما يؤثر على أحكامه. هذا يرتبـــط بالصدق الداخلى للملاحظة، ومدى معرفة أن نتائج هذا البحث تمثل الشئ الحقيقى والعينـــة الأصلية. وعلى الباحث أن يتقن كيف يرصد الواقع كما يحدث لا كما يراه أو يدركه هو وفق معايير وأـــحكام قيمية يضيفها على المشاهدة.

الملاحظة بدون المشاركة:

أما النوع الثانى وهو الملاحظة بدون المشاركة.. فإن الباحث يقف بعيدا، ولا يشـــارك فى أنشطة المجموعة التى يقوم بملاحظتها، ويتنحى عن عضويتها. وهذه المهمة لم تشـكل أى صعوبة بالنسبة "لكنج King" عند ملاحظته لفصول الأطفال، حيث تعـــرف بســـرعة أن الأطفال فى فصولهم يعتقدون أن أى فرد راشد يدخل فصولهم هو مدرس آخر، أو مســـاعد لمدرسهم الأصلى. ولكى يتجنب أية أسئلة من جانب الأطفال لكتابة بعض الألفاظ فى الإملاء

او خلافه.. يقول (كنج): اتبعت طريقة معينة، وهى أننى ظللت واقفا حتى يحسوا بطول قامتى، ومن ثم بالفرق الجسمى بينى وبينهم، وبعد ذلك. لم أبدى أى اهتمام بما يفعله الأطفال، ولم اتحدث إليهم، وعندما يحاول أى منهم التحدث معى.. أبتسم بأدب، وأشير إليه أن يسأل مدرسه الأصلى إذا استدعى الأمر ذلك، والأهم من هذا تجنب الاتصال بالنظر، لأنه إذا لم تنظر إلى أحد فإنه لن يسألك" (٢٤).

ولعل افضل تصور لدور الملاحظة الذى لا يشترك مع المجموعة فى الأنشطة على حد تعبير كل من (لويس كوهين ولورانس مانيون)، هو الذى يجلس فى آخر الفصل مسجلا ـ كل ثلاث ثوان ـ التفاعل اللفظى بين التلاميذ والمدرس، وذلك باستخدام بطاقة ملاحظة أعدت سلفا (٤:١٥٥،١٥٦).

وغالبا ما يكون نوع الملاحظة التى تجرى، مرتبطا بنوع وطبيعة المكان الذى يجرى فيه البحث: فقد يلاحظ باحث مجموعة من الأطفال فى فناء المدرسة وهم يلعبون ويلهون: وقد تلاحظ مجموعة الأطفال نفسها وهم داخل الفصل والمدرسة معهم. كما قد تلاحظهم وهم يمرحون فى حديقة ذهبوا إليها فى رحلة مدرسية، أو وهم فى زيارة لحديقة الحيوان يشاهدون مختلف الحيوانات، وهنالك الدارس الذى يلاحظ الأطفال خلف جدار زجاجى أعد خصيصا ليرى الأطفال دون أن يروه (١٥).

وهناك الملاحظة فى مواقف تجريبية مقننة إذا ما تجمع لدى الباحث قدرا من البيانات يمكنه من وضع بعض الفروض، وإذا تيسر له أن يتحكم فى الجوانب الرئيسية لموقف الملاحظة بحيث يكون فى مأمن من تدخل عوامل مفاجئة غير متوقعة، وبحيث يكون على علم بحقيقة التأثير النسبى لمختلف العوامل، وفى هذه الحالة تكون الملاحظة أمرا يسيرا يقتصر على تسجيل حدوث أو عدم حدوث سلوك محدد.

والواقع أن الضبط التام لكافة المتغيرات أمر ليس من اليسير تحقيقه خاصة فى المواقف المعقدة فى الجماعات الكبيرة العدد. ولذلك فإن هذا الأسلوب يستخدم فى مواقف الجماعات الصغيرة.

والواقع أن الملاحظة بوصفها أحد الطرق العلمية لدراسة السلوك الاجتماعى.تتصف ببعض العيوب منها:

(١) تحجب الأفراد عن الملاحظة فى وجود الملاحظ:

مثال: وجود المعلم لملاحظة لعب الأطفال فى وقت الراحة (الفسحة) لاكتشاف الأطفال الذين لديهم ميول عدوانية، فإن تواجده فى أحد أركان الملعب للملاحظة يغير بلاشك من سلوكهم. ويدعوهم للتحجب عن ملاحظة المعلم لهم؛ ولحل هذه المشكلة، يمكن القيام بالآتى:

أ - قبل أن يبدأ الملاحظ عمله، عليه القيام بزيارة المكان المزمع ملاحظته؛ ومقابلة الأفراد الذين سوف يخضعون للملاحظة أكثر من مرة، حتى يألف الأفراد وجوده، ويقلل ذلك من حدوث ردود أفعالهم حين يشرع القيام بالملاحظة بعد ذلك.

ب - استخدام مرآة ذات جانب واحد، تسمح للملاحظ فقط من جانبه أن يرى الجانب الآخر.

جـ- ملاحظتهم من أحد أركان الأدوار العليا الغير مرئية لهم.

(٢) انحياز الملاحظين: Observer bias

ولعلاج هذه المشكلة يمكن تعيين أكثر من ملاحظ لملاحظة سلوك أو موقف واحد معين، هذا قد يزيد من ثبات نتائج الملاحظ، بشرط أن يعمل كل منهما منفردا ومستقلا عن الآخر.

(٣) تلوث الملاحظة: Contamination

ويأتي التلوث من المعرفة السابقة Apiriori للشخص القائم بالملاحظة بأى معلومات تتعلق بموضوع الملاحظة والتى سوف يتأثر بها الملاحظ.

ولعلاج هذه المشكلة، على الملاحظ أن يبدأ الملاحظة دون معرفة مسبقة بأى معلومات بموضوع ملاحظته، أو تكليف ملاحظ ليس لديه معرفة مسبقة بأى معلومات تتعلق بمكان او موضوع أو الأفراد الذين سوف يخضعون للملاحظة.

ثانيا: المناهج الوصفية:

يدرس المنهج الوصفي الوضع الراهن ويوضح العلاقة بين الظواهر المختلفة. كذلك يعتمد على دراسة الحالة كتكنيك وكنمط من أنماط البحوث الوصفية بما يوفره هذا النمط من دراسة قائمة على النفاذ للأعماق وجمع البيانات الملائمة لدراسة الفئات التى تركز عليها الدراسة (٢٥: ٣١٢).

ويقوم على أسلوب الملاحظة التى تصيغ (تقريرا وصفيا) بما يلاحظه الباحث دون تحيزات شخصية، والتدوين الوصفى للمعلومات والبيانات يجعل الطريقة الوصفية محصورة فى وصف الوضع الحالى للظاهرة، وهذا يستدعى الملاحظة المباشرة. وتستخدم فى الدراسات أو البحوث التالية:

(١) الدراسات الارتباطية:

فى سبيل الوصول إلى فهم أفضل للذسلوك الإنسانى.. يمكننا البدء بالكشف عن العلاقات بين العوامل والعناصر التى يعتقد أن لها تأثيرا على تلك الظاهرة (أى على هذا السلوك). وتكمن قيمة البحوث الارتباطية فى قدرتها على تحقيق هذا الهدف. ويمكن تصنيف الدراسات الإرتباطية إلى دراسات لإثبات العلاقة (دراسات "علاقية" Relational Studies)، أو (دراسات "تنبوئية" Predicition Studies) ففى الدراسات العلاقية يهتم الباحث بفهم مدى تعقد الظواهر المراد بحثها وتوضيحها. وفى مجال الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى، يدرس أنماط السلوك عن طريقة دراسة العلاقات بين المتغيرات التى يفترض الباحث أن بينها ارتباطات. وتعتبر مفيدة خاصة عندما تبحث موضوعات جديدة أو موضوعات أجريت منها أبحاث سابقة قليلة، كمحاولة من الباحث للتحقق من وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر.

وعلى النقيض من البحوث المتعلقة باستكشاف العلاقات.. تجرى البحوث التنبوية فى مجالات لها أساس متين ومؤكد من المعرفة. ويبنى التنبؤ عن طريق استخدام الأساليب

الارتباطية بغرض وجود بعض العوامل المؤدية إلى السلوك المراد التنبؤ به، والتى يمكن قياسها فى الوقت الذى تتم فيه عملية التنبؤ (٢٦). وحتى يكون للتنبؤ قيمة.. لابد أن يكون حجم الارتباط بين متغيرين قويا، وبهذا يصبح التنبؤ ممكنا، وفى هذا يقول (مولى Mouly)(٢٧): لا يجب أن يمثل الارتباط علاقة حقيقية، لا مكان للصدفة فيها، وبالإضافة إلى ذلك.. فإن ما يشكل ارتباطا قويا بين متغيرين، ويمكن تقديره على أساس ما يمكن توقعه بطريقة منطقية. ويعتبر الارتباط مفهوما اجتماعيا أو مقياسا تم تعميمه، ويصلح أساسا للتنبؤ بالآداء الجماعى. وبينما يمكن التنبؤ بأن الأطفال الموهوبين رياضيا كمجموعة، سوف ينجحون فى المدرسة.. فإنه لا يمكن التنبؤ ــ بدرجة مؤكدة ــ بتفوق أحد هؤلاء الأطفال بدرجة متميزة، إذ أن التنبؤ كان على أساس مجرد النجاح فقط دون التفوق، ولكن متى تستخدم البحوث الارتباطية Occasions when Depropriate.. يمكن القول بأنها مناسبة فى المثالين التاليين (٤:١٩٢):

أولا: عندما توجب الحاجة إلى اكتشاف العلاقات أو توضيحها، ومن ثم.. توضح معاملات ارتباط تلك العلاقات، والتى تفيد فى المراحل الأولى لمشروع ما. عندما تبذل بعض المجهودات الأولية لأخذ فكرة ما عن طبيعة تلك العلاقات، وفى هذه الحالة.. نحصل على علاقة ما بدرجات متفاوتة. وهذا بخلاف ما يحدث فى حالة التصميم التجريبى، الذى يعطى إجابة بالنفى أو الايجاب: أى هل يوجد تأثير ما أم لا يوجد؟. وبالاضافة إلى هذا.. ربما تكون هذه العلاقات مصدرا للفروض، ومجالا لأبحاث تالية، وتعتبر البحوث الارتباطية ذات قيمة. عندما تكون التغيرات معقدة، ولا تستجيب للمنهج التجريبى، وأساليب الضبط الدقيقة، وتسمح الدراسات الارتباطية ــ أيضا ــ بقياس عديد من المتغيرات والعلاقات المتداخلة بينهما فى مواقف واقعية، ويمكن استخدام:

أ – الارتباط الجزئى فى حالة استخدام ثلاث متغيرات مستمرة، أو أكثر، بهدف تحديد العلاقة بين متغيرين، فى حالة تثبيت متغير ثالث.

ب – الارتباط المتعدد فى حالة ثلاث متغيرات مستمرة، أو أكثر، بهدف التنبؤ بمتغير من مجموعة مترابطة من المتغيرات المستقلة، ذات الأوزان المحددة والمترابطة خطيا.

ثانيا: يعتبر البحث الارتباطى مناسبا عندما يكون الهدف تحقيق درجة ما من التنبؤ. ويعتبر البحث التنبؤى مفيدا للأحداث التى تقع فى المستقبل القريب إذا أردنا الحصول على نتائج موثوق بها. وفى النهاية.. تعتبر الدراسات التنبؤية مناسبة عندما يكون الهدف من الدراسة هو إجراء البحث على مجموعة لا على فرد.

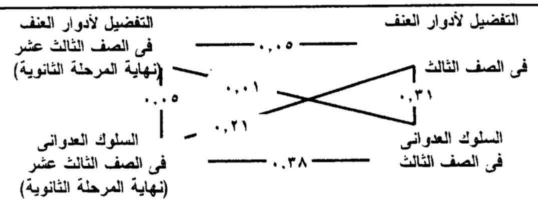
مثال لبحث ارتباطى (٢٨، ٤:١٩٩- ٢٠٢):

إذا أراد أحد الباحثين أن يدرس العلاقة بين مشاهدة العنف فى التليفزيون والسلوك العدوانى اللاحق.. فإنه يجد أن هناك أربعة فروض لتفسير تلك الظاهرة، وهى:

١-السلوك العدوانى هو المتغير المستقل، والعنف الموجود على شاشة التليفزيون يمثل المتغير التابع.
٢-العنف فى التليفزيون هو المتغير المستقبل، والسلوك العدوانى هو المتغير التابع.
٣-العنف فى التليفزيون، والسلوك العدوانى متغيران مستقلان.
٤-كل من العنف فى التليفزيون والسلوك العدوانى متغيران تابعان وهناك متغير ثالث يسببهما.

إن المدخل الذى اتبعه الباحثون فى هذه الدراسة، وهو أن يبحثوا عن العلاقات الارتباطية بين هذين المتغيرين (تفضيل مشاهدة برامج العنف فى التليفزيون والسلوك العدوانى)، وذلك خلا ل فترة زمنية فى إطار تصميم الدراسات الطولية، وهذا بالإضافة إلى ذلك البحث عن العلاقات الارتباطية بين هذين المتغيرين فى اطار تصميم الدراسات العرضية. ولكن بعد مرور فترة زمنية، وبذلك تجنب الباحثون بعض الفروض التى قد تؤثر على نتائج البحث. وقد حاولت الدراسة التى أجراها (إرون Eron وآخرون) أن توضح هذا الموقف بالذات، ونظرا لإهتمام الباحثين بانتشار العنف فى المجتمع.. فقد تتبعوا الدراسات السابقة فى هذا الميدان، والتى أظهرت أن هناك علاقة حتمية بين العنف وعادات مشاهدة التليفزيون. وقد تم توضيح ذلك عندما حاولوا إيجاد علاقة سببية بين الاثنين، وكذلك تمت صياغة الفرض الذى ينص على: "**أن السلوك العدوانى الخاص بالشباب المراهق يرتبط ارتباطا موجبا بتفضيله مشاهدة أفلام العنف عندما كان فى الثامنة أو التاسعة، وأن تفضيله لأدوار العنف ــ أثناء تلك المرحلة العمرية ــ هو أحد أسباب هذا السلوك العدوانى**".

وقد استخدم الباحثون لدراسة الظاهرتين مجموعة من الأفراد، كما تتبعوا العلاقة بين الظاهرتين خلال فترة زمنية، ليصلوا إلى مدى تطور هذه العلاقة.



معاملات الارتباط بين درجة تفضيل مشاهدة أدوار العنف والسلوك العدوانى لعينة من الأطفال عدد ٢١١ طفلا (عمرها أكثر من ١٠ سنوات).

وباختصار.. جمعت بيانات من دراسة طولية عن٤٢٧ مراهقا، كانوا ضمن عينة من الأطفال قوامها ٨٧٥ طفلا. بدأوا الاشتراك فى الدراسة الطولية منذ عشرة سنوات ماضية. أى سنة١٩٦٠، وكانوا آنذاك فى الصف الثالث الابتدائى (وتتراوح أعمارهم من٨ ــ ٩ سنوات). وقد جمعت البيانات عن الــ ٤٢٧ مراهقا فى عام ١٩٧٠، ومن العدد أختير ٢١١ ولدا، وهم من أجريت عليهم دراسة أثر مشاهدة العنف فى التليفزيون على السلوك

العدوانى، ثم طبق مقياسان، أحدهما لقياس سلوك الأطفال العدوانى، والآخر لقياس مدى تفضيلهم لمشاهدة ادوار العنف فى برامج التليفزيون. وبالاضافة إلى ذلك.. تم ضبط المتغيرات الأخرى التى ربما تسهم فى زيادة مدى الاهتمام لمشاهدة أدوار العنف أو السلوك العدوانى فى استخدام معاملات الارتباط الجزئى. وعند فحص الارتباطات، لوحظ وجود علاقة صغيرة موجبة بين تفضيل أدوار العنف والسلوك العدوانى لدى تلاميذ الصف الثالث، مقدارها (٠,٢١) إلا أنه لوحظ ــ كذلك ــ وجود علاقة سالبة طفيفة جدا بين هذين المتغيرين عندما كان الأطفال فى نهاية المرحلة الثانوية (أى الصف الثالث عشر عندما كان عمرهم١٩ عام). ولوحظ أيضا ــ وجود علاقة ارتباطية ضعيفة بين عادات مشاهدة التليفزيون عند أطفال العينة، وما يفضلونه من برامج وهم أطفال، وبين عاداتهم وما يفضلونه وهم فى سن المراهقة، قيمة معامل الارتباط (٠,٥).

ولكن كانت قيمة العلاقة الارتباطية عالية بين سلوك الأطفال العدوانى وهم فى الصف الثالث، وبين سلوكهم العدوانى وهم فى نهاية المرحلة الثانوية، والتى تفسر على أن تعلم الأطفال السلوك العدوانى فى الصغر يجعله يستمر فاعلا فى مرحلة المراهقة، أى أن نمط السلوك العدوانى يستمر بمجرد تعلمه.

وإذا انتقلنا من تحليل الارتباطات الطولية إلى تحليل الارتباطات العرضية ــ بعد فترة زمنية ــ فى الدراسة نفسها.. فنجد ارتباطا ضعيفا جدا، بحيث يمكن تجاهله، بلغت قيمته (٠,٠١) بين السلوك العدوانى لأطفال الصف الثالث، وبين تفضيل تلاميذ المرحلة الثانوية لمشاهدة برامج العنف فى التليفزيون، وهذا يلغى احتمالا أن يكون السلوك العدوانى هو المحدد لعادات مشاهدة برامج العنف فى التليفزيون.

أما إذا فحصنا الارتباط بين تفضيل أطفال الصف الثالث لمشاهدة العنف فى التليفزيون، وبين السلوك العدوانى عند تلاميذ المرحلة الثانوية ــ فسنجد ارتباطا قويا جدا بينهما. ولم يظهر هذا الارتباط بالنسبة للفتيات التى فى العينة، ويشرح الباحثون هذه النتيجة على النحو التالى: "بينما كان معامل الارتباط ــ بين تفضيل أطفال الصف الثالث لمشاهدة برامج العنف فى التليفزيون، وبين السلوك العدوانى للمراهقين فى المرحلة الثانوية يشير إلى أن هذا التفضيل يمثل ١٠% فقط ــ من متغير العدوان (نحصل على هذه النسبة بتربيع معامل الارتباط وكان فى هذه الحالة ٠,٣١).. إلا أنه ــ من وجهة نظر البحث العلمى ــ يجب ألا يستهان بهذه النسبة، خاصة فى ضوء التوزيع غير الاعتدالى Skewed للمتغيرات. وضخامة عدد المتغيرات الخارجية التى قد تتدخل وتؤثر على السلوك العدوانى. مع قلة وضوح مدى قوة هذه المتغيرات.. هذا بالاضافة إلى مرور عشر سنوات بين القياس الأول والقياس الثانى".

وفى ضوء ما سبق.. يتضح أنه من غير المحتمل أن تكون هذه العلاقة الارتباطية وليدة الصدفة، مما يدل على ان هناك صلة ــ أو علاقة وثيقة ــ بين تفضيل الأطفال فى

سن ٨ سنوات لمشاهدة برامج العنف فى التليفزيون، وبين سلوكهم العدوانى فى سن ١٩ سنة كما يراها رفقاؤهم.

ويلخص الباحثون ذلك فى اقتراح مؤداه: "إن مشاهدة برامج العنف التليفزيونى فى سن التكوين المبكرة تحمل احتمال تأثير مسبب للعدوانية فيما بعد".

وتعد هذه الدراسات الممتعة مثالا رائعا وممتازا فى استخدام الارتباط فى بحوث العلاقة، كما تستفر عنه من نتائج متميزة مفيدة للغاية (ارون وآخرون).

(٢) الدراسات المسحية:

وهى الدراسات التى تستهدف جمع المعلومات عن قطاعات أو شرائح معينة من المجتمع، حول الموضوعات النفسية والاجتماعية المختلفة فى وقت محدد بهدف:

(أ) وصف طبيعة الظروف الراهنة.

(ب) تجديد معايير يمكن بواسطتها مقارنة تلك الظروف.

(ت) تحديد العلاقة التى توجد بين أحداث معينة، ولذلك تتنوع الدراسات المسحية فى درجة تعقيدها، فمنها ما يهدف إلى جميع بيانات تكرارية بسيطة، ومنها ما يهدف إلى تحليل العلاقات.

وأكثر صور الدراسات المسحية شيوعا قياسات الاتجاه أو الرأى العام نحو موضوعات أو مسائل اجتماعية معينة، كرصد الآثار النفسية والاجتماعية لأحداث الزلزال. ومن خلال استطلاع الرأى.. ماذا بعد الزلزال؟ عن طريق الاستبيان البريدى، أو حساب التوقعات فى سياق عملية السلام "غزة – أريحا، بين الشعب الفلسطينى وإسرائيل، أو حساب التوقعات فى سياق عملية السلام بعد وصول الليكود إلى الحكم برئاسة نتنياهو للوزارة وتطبيق اتفاق "واى ريفر" فى وجود "شارون" وزيرا للخارجية الإسرائيلية، أو حساب التوقعات فى سياق عملية السلام بعد انسحاب اسرائيل المفاجئ من الجنوب اللبنانى وانتصار المقاومة اللبنانية وحزب الله على العدو الإسرائيلى والقضاء نهائيا على اسطورة الجيش الذى لا يقهر. أو حساب التوقعات فى سياق الانتخابات لإختيار إتحاد طلاب كليات جامعة القاهرة.

وسواء تم اجراء الدراسة المسحية على نطاق واسع بواسطة هيئة حكومية أم أجراها الباحث بمفرده.. فإن عملية جمع البيانات والمعلومات لابد أن تعتمد على أسلوب أو أكثر من أساليب جمع البيانات التالية:

المقابلة – الاستبيان البريدى – مقاييس الاتجاهات

ويقصد **بالمقابلة الشخصية Interview** "مجموعة من الأسئلة أو من وحدات الحديث يوجهها طرف (شخص أو عدة أشخاص) إلى طرف آخر (شخص أو عدة أشخاص كذلك) فى موقف مواجهة، حسب خطة معينة للحصول على معلومات عن سلوك هذا الطرف الآخر. أو سمات شخصيته أو للتأثير فى هذا السلوك. أما الاستبيان البريدى ومقاييس الاتجاهات فسوف يتم الاشارة إليها فى فصل آخر من هذا الكتاب.

ويعتبر منهج المسح Survey من أنسب المناهج العلمية ملاءمة للدراسة الوصفيـــة بصفة عامة، حيث يهتم بدراسة ظروف مجتمع معين بقصد تجميع الحقـــائق واســتخلاص النتائج لحل مشاكل هذا المجتمع (:٢٢٧) وتلك التى تستهدف بناء وتركيب جمـــهور وسائل الاعلام وأنماط سلوكهم الاتصالى نحو الوسيلة بصفة خاصة، ذلك أن هذا المنـــهج يستهدف تسجيل وتحليل وتفسير الظاهرة فى وضعها الراهن، بعد جمع البيانات اللازمـــة. والكافية عنها، وعن عناصرها من خلال مجموعة من الاجراءات المنظمة التى تحدد نـــوع البيانات، ومصدرها وطرق الحصول عليها.

ويناسب منهج المسح دراسات الجمهور فى بحوث الاعلام، لأنه يستخدم عندما تكـــون مفردات المجتمع ـ الجمهور ـ التى ترغب الحصول على معلومات عنها، من .. وكيف..؟ كبيرة جدا، ومشتتة، ويصعب بالتالى الاتصال بهم جميعا لتطبيق منـــاهج أخـــرى (٣:٣٠، ١٢٢:٣١). ويتعين على العلماء فى دراستهم للجمهور، التوسع فى الاستبيانات الخاصـــة التى من المهم أن تتناول تقسيم الشبكات الاجتماعية، مع إعطاء رعاية خاصـــة لدراســة الاتجاهات والسلوك والجوانب المعرفية العامة (٢٧٤:٣٢).

ومن الأهمية بمكان استخدام (تحليل المضمون Content analysis) كأحد أســـاليب منهج البحث (١١٥:٣٣). حيث أنه أكثر الطرق استخداما فى مجال دراسة اتجاهات النـــاس نحو موضوعات معينة أو قياس الرأى العام حول مسائل تهم قطاعات عريضة من المجتمع من خلال تحليل مضمون المواد الإعلامية مثلا.

ويعتبر تحليل المضمون فى جوهره عملية للإحصاء أو العد، يتم من خلالها وضع التكرار الذى تحدث من خلاله أحداث أو وقائع معينة داخل فئات شديدة التحديد. وتختلف طبيعة هذه الفئات وعددها ومدى دقتها وفقا لهدف الباحث، وكذلك طبيعة المادة التى يستخدمها.

وقد ساهم "هولستى Holsti بأكثر الدراسات المسحية اتساعا وشمولا لدراسات تحليـــل المضمون فى الانسانيات والعلوم الاجتماعية، وهما من أكثر الأنظمة المعرفية اعتمادا على البيانات التاريخية وعلى الكلمة المكتوبة.

وقد قام "وايت White" فى تحليله المسمى "تحليل القيمة Value Analysis" بفحص رواية معينة هى.. عبارة عن سيرة ذاتية وهى رواية الصبى الاسود لمؤلفـــها "ريتشـــارد رايت" وقام بتصنيف النثر الخاص بها فى ضوء خمسين بعدا عريضا (منها علـــى ســـبيل المثال، البعد الجسمى والبعد الاجتماعى.. الخ) وقد تم تقسيم كـــل بعـــد بعـــد ذلـــك إلـــى موضوعات فرعية أكثر اختصار (مثل: العداوة، تقبل الذات.. الخ) ثم قام بعد ذلك بتطبيـــق تنظيمه الموضوعى الخاص على الانفعالات، والشخصية، والقيم الثقافية والموجودة فى مادة النص الأدبى، والتى افترض أنها تعكس القيم الخاصة بالمؤلف. كذلك قام "دولارد" و " ميللر Dollard & Miller" ومن خلال تحليل مضمون مماثل لما قدمه "وايت" بتطوير ما يسمى "نسبة التوتر التنفيسى dis Comfort relief quotient" والتـــى تقـــوم علـــى أســـاس الاحصاء أو العد وحساب النسب للأنماط المختلفة من الكلمات، باعتبارها وسائل قياس كمية

للتوتر، ومن خلال البيانات الكيفية، ورغم أنهما طبقا هذا الاسلوب فى دراسة حالة، فـإن هذه الاجراءات من الممكن أن تكون صالحة أيضا فى التعامل مع أية مادة خاصة بالسيرة الذاتية أو أية وثائق شخصية أخرى (٣٤:٨٦-٨٨).

وتحليل المحتوى (المضمون) هو أداة منهجية تهدف إلى تحليل ما تتضمنه مادة الاتصال فى أسلوب موضوعى ومنظم وكمى للمحتوى الظاهر والخفى الغير معلن، ليبرر ما فيها من قيم واتجاهات وآراء ومواطن اهتمام من خلال التحليل الكيفى لها (٣٥) . وهو أداة لدراسة المادة الإعلامية التى تقدمها الوسيلة بهدف الكشف عما تريد هذه الوسيلة أن تبثه (تبلغه) لجمهورها، ودراسة تأثر الرسائل المبثوثة على الجمهور القارئ أو المشاهد أو المستمع.

ويعرف (هولستى Holsti) تحليل المحتوى (المضمون) بأنه "طريقة بحث متعدد الأغراض، وجدت ــ أساسا ــ للبحث فى أنواع عددية من المشكلات، التى يعتبر محتوى ما فيها ــ من وسائل اتصال ــ بمثابة الأساس المرجعى للبحث" أما ــ (كيرلنجر Kerilnger) فيرى ان تحليل المضمون طريقة لدراسة وتحليل مواد الاتصال فى أسلوب موضوعى ومنظم وكمى بهدف قياس المتغيرات (٣٦:٢٣).

إذن. فتحليل المضمون طريقة مقننة وليس منهج تفكير، وإنما هو وسيلة لجمع البيانات، وأسلوب للملاحظة أو المشاهدة أو تتبع الظاهرة بغرض تحليلها والخروج بتعميمات. وبدلا من أن يطبق الباحث مقياسا على الأفراد لقياس آرائهم أو اتجاهاتهم. فإنه يفحص ما ينتج عن هؤلاء الأفراد من آراء واتجاهات، فهو أسلوب للملاحظة وقياس المتغيرات. وتفيد دراسة تحليل المضمون فى التعرف على كل أو بعض العناصر التالية:(٣٧:١٣٣)

١-مدى اهتمام وسائل الاعلام بالموضوعات الاعلامية المختلفة بصفة عامة ومدى اهتمام كل وسيلة بنوعيات معينة من الموضوعات.

٢-الاهمية النسبية التى توليها كل وسيلة اعلامية لكل موضوع من الموضوعات الاعلامية التى تقدمها، مع التعرض فى هذا المجال للمساحات والأماكن والأوقات الخاصة بكل موضوع، وللوحدات الشكلية وطرق العرض التى تتبعها، مما يعكس إلى حد كبير درجة الاهتمام النسبى بهذه الموضوعات.

٣-تحليل كل موضوع من الموضوعات بطريقة تفصيلية بهدف التعرف على ما تشمل عليه من اتجاهات. وما يستهدف توصيله من معلومات معينة او الإيحاء به من أفكار ومقاصد خاصة.

ويرى (رشدى طعيمه) أن من أهم خصائص تحليل المحتوى ما يلى:

(١) **إنه أسلوب للوصف descriptive** يهدف أسلوب تحليل المحتوى إلى الوصف الموضوعى لمادة الاتصال. والوصف هنا يعنى تفسير الظاهرة، كما تقع. وفى ضوء

القوانين التى تمكننا من التنبؤ بها، دون إصدار احكام على هذا المحتوى، أو إبـــداء الرأى فى ظواهرة.

(٢) **إنه أسلوب موضوعى objective** والموضوعية هنا تعنى بأحد أمرين: أولهما، أن هذه الأداة تقيس بكفاءة ما وضعت لقياسه. فهى أداة يتوفر فيها شرط الصـدق Validity. وثانيهما: أن هذه الأداة يستطيع باحثون آخرون استخامها فى تحليل المحتوى، كمـــا يستطيع الباحث نفسه معاودة استخدامها لتحليل المادة نفسها، والبابحثون فى كل هذه الحالات يصلون إلى درجة عالية من الاتفاق بينهم فى نتـــائج هــذا التحليـــل. اى أن الأداة، بلغة القياس أيضا، يتوفر فيها شرط الثبات Reliability.

(٣) **إنه أسلوب منظم Systematic** والتنظيم هنا يعنى أن يتم التحليل فى ضـــوء خطـــة علمية تتضح فيها الفروض. وتتحدد على أساسها الفئات. وتتبين من خلالها الخطوات التى مر بها التحليل حتى إنتهى الباحث إلى ما إنتهى إليه من نتائج.

(٤) **إنه أسلوب كمى Quantitative** والواقع أن مما يميز تحليل المحتوى عن كثير مــن أساليب دراسة مواد الاتصال، هو اعتماد تحليل المحتوى للتقديـــر الكمـــى كأســـاس للدراسة، وكمنطلق للحكم على انتشار الظواهر، وكمؤشر للدقة فى البحث. ومن ثـــم الإطمننان إلى النتانج.

(٥) **إنه أسلوب علمى Scientific** فإن كان أسلوب تحليل المحتوى يستهدف مـــن خـــلال دراسة ظواهر المضمون وضع قوانين لتفسيرها والكشف عن العلاقات التى تربط بين بعضها وبعض. فهذا مما يتسم به التفكير العلمى ذاتـــه. وإذا كـــان أســـلوب تحليـــل المحتوى يتناول دراسة مادة الاتصال ويضع التعريفـــات المحـــددة لفئـــات التحليـــل. فالأسلوب العلمى فى البحث يعتمد على وضع تعريفـــات دقيقـــة للظواهـــر موضـــوع الملاحظة. وإذا كانت الموضوعية صفة لازمة لأسلوب تحليل المحتـــوى، فالأســـلوب العلمى فى البحث يهتم بدراسة الحقائق المتصلة بالظاهرة دون أن يتعدى ذلـــك إلـــى الانطباعات أو الأحكام الذاتية التى يسقطها الباحث على هذه الحقائق. وإذا كان أسلوب تحليل المحتوى يهتم بوصف وتنسيق النقاط التى تحتويها مادة الإتصال، فالأســـلوب العلمى فى البحث يعتمد على تصنيف المعارف والمعلومات والتنسيق بيـــن بعضـــها وبعض.

(٦) **أنه يتناول الشكل والمضمون: Form and Content** يقصد بالمضمون فـــى علـــوم الاتصال ما تنقله أداة من أدوات الاتصال من أفكار ومعارف وحقائق إلى متلق معيـن/ قارئ أو سامع أو مشاهد بغية تغيير رأيه أو تزويده بمعلومات أو بث قيم أو تنميـــة اتجاهات. والمضمون يشتمل أيضا الشكل Form وذلك لما يلعبه الشكل من دور كبير فى نقل الأفكار والقيم.

ففى دراسة أساليب الدعاية، لا يقتصر القائم بالتحليل على دراسة المضمون من أفكار ومعلومات وإنما يقوم أيضا بتحليل الأشكال التى تقدم فيها هذه الدعاية والتكتيك

المستخدم فيها، وذلك بهدف تبصير الآخرين بها وجعلهم على وعى بالدعاية شكلا ومضمونا.

(٧) إنه يتعلق بظاهرة النص: Maifest Content يهتم أسلوب تحليل المضمون بدراسة المضمون الظاهر لمادة الاتصال وتحليل المعانى الواضحة التى تنقلها الرموز المستخدمة ولهذا يذهب (سمير محمد حسين) إلى أن تحليل المضمون يمكن أن يتم على مستويين هما:

- المستوى الأول: وهو المستوى الوصفى الذى يقتصر على وصف المضمون الظاهر الصريح للمادة الإعلامية وفقا لفئات التحليل ووحدته.
- والمستوى الثانى: وهو المستوى التحليلى الذى يمتد إلى استخدام نتائج تحليل المضمون بعد ربطها بالبيانات والمعلومات والمتغيرات البحثية الأخرى فى كشف النوايا الخفية للمضمون والتنبؤ بالاستجابات المستهدفة من وراء عمليات النشر أو العرض أو الاذاعة.

ولقد شاع تعبير "تحليل المضمون" فى مجال العلوم السياسية وكذلك فى النقد الأدبى. إذن فإن عملية "تحليل المضمون" طبقا لمنظور "لغويات التفاوض" تستلزم دراسة القدرة السلوكية للمتحاورين، وهى قدرة المتحاور على التعامل مع النصوص وديناميكيات لغة الحوار لتحقيق هدف تفاوضى ما. وإذا تأملنا تعبير "تحليل النص" نجد أنه وكما أشرنا سابقا قد ارتبط ارتباطا كبيرا بتغيير تحليل المضمون بينما شاع تعبير "تحليل المطارحات" فى مجال اللغويات أكثر ويعنى بمعالجة المعانى الكامنة للكلمات والأفكار، وكذلك بالعمليات الوظيفية للغة، تلك التى تتحلل المقولة المكتوبة أو المنظومة بأشكالها المعقدة. وبالتالى يمكننا اعتبار أن كلا التعبيرين "المطارحات" و "النص" يتداخل مع الآخر تداخلا كبيرا، وإن عبرت كلمة المطارحات عن شمولية أكبر وعن طبيعة أكثر ديناميكية من كلمة "النص" (٣٨:٧٢-٨١).

والذى نود إبرازه هو أن تحليل المحتوى وإن كان أداة من أدوات البحث فى مجال الدراسات المسحية، إلا أنه لم يعد يقتصر على استقصاء الظواهر ورصد معدلات تكررها. إنما يتعدى هذا الوصف الكمى إلى التحليل الكيفى الذى يبرز ما فى الكتب والمجلات أو البرامج المتلفزة من قيم، وما يسود فيها من اتجاهات، أو مواطن اهتمام. فتحليل المحتوى على حد تعبير (بيرلسون) أسلوب فنى Technique وليس منهجا مثله فى ذلك مثل المقابلة أو الملاحظة بشكلها المباشر وغير المباشر، أو إعداد الاستبيان وتطبيقه، أو أسلوب تحليل النظم؛ أو دراسة الحالة وإن كان لكل منها إجراءاته البحثية (٣٦:٢٤-٤٢). ويتفق المؤلف مع وجهة نظر "بيرلسون" فى هذا الصدد مع اعتبار أن مناهج البحث العلمى ثلاث هى المنهج التاريخى ـ المنهج الوصفى ـ المنهج التجريبى وفيما عدا ذلك أدوات او أساليب وتكنيكات.

خطوات تحليل محتوى الاتصال:

لنفرض أننا أردنا الكشف عن الإتجاهات نحو "تطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية" عن طريق تحليل المقال الافتتاحى فى عدد من جرائد المعارضة المصرية. فإنه يتحتم علينا أولا اختيار عينة مناسبة، ثم نقوم بعدما يعبر عن اتجاه مؤيد أو معارض أو محايد منها، ولكى نستطيع التأكد من تنظيم وموضوعية التحليل، يجب توفر ضوابط معينة أهمها (٣٨):

(١) تحديد فئات التحليل التى تستخدم فى تصنيف المحتوى تحديدا واضحا بحيث يمن لأفراد آخرين استخدامها فى تحليل نفس المحتوى والوصول إلى نفس النتائج.

(٢) يجب على القائم بالتحليل تصنيف كل المواد المناسبة فى العينة، فلا يقتصر على تصنيف تلك المواد التى تستدعى انتباهه واهتمامه.

(٣) استخدام إجراء كمى لقياس أهمية مختلف الأفكار فى المادة المحللة وللمقارنة بالعينات الأخرى.

إلا أننا سعيا وراء الكم، كثيرا ما نهمل الكيف. ومن الحكمة أن نتذكر دائما أن كلا من الكم والكيف له دوره فى البحوث الاجتماعية، وتتضمن خطة تحليل محتوى الاتصال (تحديد المشكلة، وتصميم الخطة، وتحديد الفئات، ثم تصنيف البيانات، ثم تبويبها وتلخيصها فى ضوء هذه الفئات).

وتشمل فئات تحليل المحتوى ما يلى:

أ- فئات **"ما يقال"** مثل : موضوع الاتصال، ووجهته (تأييد للتطبيع أم معارضة أم حياد)، معاييره وترتبط بالمعايير القيم والغايات ثم الطرق التى تحقق هذه الغايات ثم الفاعل ثم السلطة (أى المصدر الذى تنسب إليه المادة) ثم المكان (الذى تصدر عنه المادة) ثم الهدف (أى الأفراد والجماعات اللذين توجه لهم المادة).

ب- فئات **"كيف يقال"** وتشمل صورة ونوع الاتصال، مثل تحليل المقال الافتتاحى لجرائد المعارضة ـ تحليل برامج الإذاعة إلى موسيقى ودراما وأخبار وأحاديث ومتنوعات..الخ، صورة ونوع العبارة او الموضوع، هل هى تعبير عن حقائق ام عن أمانى أم عن توحد (كأن يقال مثلا: أنا عربى) شدة التعبير، الوسيلة مثل التعميم والاستشهاد بمختلف المصادر..الخ.

ويعرض برلسون- Berlson ١٩٥٤: للفئات الأساسية المستخدمة فى تحليل المضمون بوجه عام النحو الآتى:

١-**الكلمة** Work (على أساس أنها وحدة النص الأساسية).

٢-**الموضوع أو الفكرة** Theme، وهى اكبر من الكلمة كوحدة ولكنها لازالت أيضا فى مستوى معقول من البساطة، فهى جملة بسيطة تعبر عن حالة موضوع أو شخص أو اقتراحا بشئ ما. ومن أمثلة وحدة الوضوع، مشكلة الشرق الأوسط. الحوار العربى ـ الأوربى، حقوق الإنسان.

٣-**الشخصيات**: وهى تستخدم فى تحليل المضمون الاخبارى والدرامى بصفة عامة. ففى المضمون الاخبارى مثلا تستعمل الشخصيات التالية: رئيس الدولة ـ رئيس

الوزراء ــ وزير..الخ. وفى المضمون الدرامى تستخدم شخثيات مثـــل: الأب، الأم، الزوج، الزوجة، رجل الشرطة، رئيس العمل..الخ.

٤- **البند Item**، وهو الوحدة الطبيعية التى تصدر عن صاحب القول موضوع التحليل، وقد تتراوح ما بين المقال، والخطاب والقصة أو كتاب فى مجـــال مـــن المجـــالات (٣٩).

٥- **مقياس المساحة والزمن**: وهو المقياس المادى المستخدم لقياس المضمون أو الوحدة التى تحلل وتستخدم البوصة بعرض عمود، أو البوصة المربعة لقياس المضمـــون الصحفى، والدقيقة لقياس المواد الإذاعية والتليفزيونية (٤١: ٢٣١).

وتتنوع هذه الوحدات أو الفئات من البساطة، حيث الكلمة المفردة إلـــى التـــركيب والتعقيد، حيث الموضوع الرئيسى.

ويرى "برلسون" أن الموضوع الرئيسى أو الفكرة الأساسية من أكثر وحـــدات تحليـــل المضمون فائدة، إلا أنها تكتنفها بعض الصعوبات المتعلقة بعمليات الثبات خاصة فى حالـــة ما إذا كانت المادة متداخلة ومتشابكة ومركبة. لذلك فهو يوصى بتقسيم الفكرة الأساسية إلى مجموعة من العناصر ثم إعادة تركيبها بعد ذلك. وتتمثل هذه العناصر فى الآتى:

١- الموضوع الذى تركز عليه الفكرة.
٢- الجوانب التى تتناولها الفكرة.
٣- القيم المتضمنة فى الفكرة.
٤- الطريقة أو الأسلوب المتبع فى عرض الفكرة.

(٣) الدراسات الوبائية:

وتمثل حالة خاصة من الدراسات الميدانية، وإن اختلفت من حيث الأغراض العلمية أو التطبيقية التى تستهدف تحقيقها، وأهم هذه الأغراض دراسة "التوزيع الاجتماعى لمرض ما من الأمراض النفسية الاجتماعية المختلفة (إدمان المخدرات مثلا، أو ســـلوكيات الإرهـــاب والعنف، أو التطرف الدينى أو غيرها) والكشف عن العلاقة فيما بينهما وبيـــن المتغـــيرات البيئية الاجتماعية المعينة، وأساليب الحياة الاجتماعية الشائعة فى قطاعـــات معينـــة مـــن المجتمع..الخ وذلك لتحقيق عدة أهداف أهمها:

(أ) تحديد مدى الإنتشار للظاهرة أو الظواهر المرضية.
(ب) تحديد التاريخ الطبيعى لبدايات حدوثها.
(ج) توضيح منشأ العوامل المرسبة أو المفاقمة لها.
(د) تحديد مدى الأخطار المحتملة، سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع نتيجة لها.
(ه) وضع الأسس اللازمة لصياغة سياسات أو برامج معينة للوقايـــة مـــن هـــذه الأخطار.
(و) تقويم كفاءة هذه السياسات أو البرامج فى تحقيق أهدافها والكشف عن بـــؤر جديدة أو عن ظواهر أخرى مصاحبة ..الخ (٨: ٢٥، ٢٦).

وأخيرا فقط تهتم الدراسات الوصفية بسلوك الطفل فى مراحل نموه وظـروف بيئتـه، وأحيانا بيئة أو جماعة محلية، ومع دراسـتها لخصـائص الأطفـال الجسـمية والعقليـة والانفعالات عند كل سن فإنها تهتم بدراسة (تغير هذه الخصـائص) مـع مـرور الزمـن؛ وخصائصها فى كل مرحلة سنية لمحاولة التعرف على الطريقة التى يتم بها تتابع هذا النمو فى مراحله المتعددة، ويطلق البعض على الدراسات الوصفية اسـم (دراسـة المكانـة أو المركز) (١٨:١٠٥) . ويطلق عليها احيانا اسم الدراسات القاعدية أو المعيارية نظرا لأنها تحاول الوصول إلى المعايير والقواعد العامة السائدة بين أفراد جماعة معينة ـ وآخـرون يطلقون عليها اسم الدراسات المسحية المعيارية ـ والتسمية الأخيرة أنسب أسـماء لـهذا النوع من الدراسات لأنه أكثر عمومية وشمولا. والطريقة الوصفية قد تكون (طولية تتبعية وقد تكون مستعرضة).

(أ) الطريقة الطولية التتبعية: ويدرس بها الباحث مجموعة قليلة من الأطفال لفترة طويلة من الزمن فيتتبع نموهم من سنة إلى أخرى أو مرحلة إلى أخرى، كمـا فعـل "جـان بياجيه" مع بناته الثلاث.

(ب) الطريقة المستعرضة: وبها يصف الباحث مجموعة أو مجموعات كبيرة (فـى سـن واحدة) ويقارن بين مجموعة الأطفال فى سن (٦) سنوات مع مجموعة لأطفال فى سن (١٠) سنوات، على أن تكون كل مجموعة ممثلة كعينة لكل الأطفال وسلوكهم، مما يفيد فى وضع معايير لكل مرحلة نمو، والإعداد لها وكذلك محكات لتقييم السلوك العادى عن غيره من أنواع السلوك غير العادى ولإمكانية تحديد مطلب النمو.

وتهدف الدراسة الوصفية عموما إلى:

١- وصف الظاهرة المدروسة كما وكيفا.

٢- حصر العوامل المؤثرة كما وكيفا.

٣- التأكيد على الموضوعية والحياد وقلة التحيز.

ثالثا: البحوث التجريبية وشبه التجريبية

Experiments & Quasi – experiment

مقدمة: Introduction

يشير (ماك كويجان Mac – Guigan – ١٩٦٦) فى كتابه علـم النفـس التجريبـى Experimental psychology "أن العلم هو تطبيق الطريقة العلمية على مشكلات يمكـن حلها، وأهم وأقوى تطبيق للطريقة العلمية هو التجريب". ويقول عن التجربة:

١-إن الباحث التجريبى من الممكن له أن يجعل الأحداث تحدث عندما يريد.

٢-كما أنه يستطيع إعادة ملاحظاته تحت نفس الظروف مع إمكانية وصف هذه الظـروف. هذا بالإضافة إلى مساعدة الباحثين التجريبيين الآخرين على إجـراء نفـس التجربـة بصورة مماثلة.

٣-إنه يستطيع التغيير من هذه الظروف بطريقة منظمة (٤٠).

ويوضح (كيرلنجر Kerlinger) معنى التجربة فيقول:

تستخدم التجربة لتشير إلى البحث العلمى الذى يعالج فيه الباحث ويتحكم فى واحد أو أكثر من المتغيرات المستقلة، ويلاحظ المتغيرات المصاحبة لمعالجة المتغيرات المستقلة، والتى تطرأ على المتغيرات التابعة. فالتصميم التجريبى إذن هو ذلك التصميم الذى فيه يتحكم الباحث مباشرة فى متغير مستقل واحد على الأقل ويعالج متغير مستقلا واحدا على الأقل. فمدخل البحث التجريبى ينص على: "إذا كانت (س) فإن (ص). وإذا كان هناك احباط.. فسيكون هناك عدوان.. ويستخدم الباحث طريقة ما ليقيس (س) ثم يلاحظ (ص)، ليرى ما إذا كان هناك تغير مصاحب يتم حدوثه (١)". وهكذا تعبر التجربة ـ كوسيلة ـ خطوة متقدمة عن الملاحظة، حيث أن السمة الجوهرية للبحث التجريبى هى أن الباحث يتحكم عن قصد، ويدبر الظروف التى تحدد الأحداث التى يهتم بدراستها. وفى أبسط صورها تتضمن التجربة تغييرا فى قيمة متغير واحد ـ يسمى المتغير المستقل ـ ويلاحظ تأثير ذلك المتغير على متغير آخر. يسمى المتغير التابع. وإذا كان التجريب يعنى التحكم فى المتغيرات بغرض تحديد أثر كل متغير، وعلاقته بالمتغيرات الأخرى، فإن التجريب إذن هو استراتيجية التحكم فى المتغيرات ومن ثم يستلزم التجريب:

١-تحديدا واضحا لكل متغير.

٢-المقدرة على زيادة أثر كل متغير أو تقليل أثره.

٣-إمكانية تحديد العلاقة المتبادلة بين كل متغيرين أو أكثر بدقة.

٤-ضرورة عزل تأثير أى متغيرات أخرى عن المتغيرات التجريبية، وتوفير نظام تقنى يضمن هذا العزل (٤١:١١٧).

وتعتبر التجربة تطبيقا للتجريب، وتعرف ببساطة بأنها برامج تقدم لمجموعة من الأفراد تم إختبارها عشوائيا من مجتمع نوعى من السكان، ثم يتم ملاحظتهم وقياس سلوكهم، بهدف تحديد حجم الاختلاف الحادث فى السلوك عقب تلقى البرامج فى ضوء المقارنة بجماعة ضابطة أو بذات الجماعة من خلال تعدد القياسات. ويوضح (لوين ١٩٧٩ Lewin) قيمة الطريقة التجريبية بقوله:

"إن أفضل طريقة لفهم شئ ما هى أن تحاول تغييره.إن قوة التجربة تنبع بقدر كبير من أن المجرب يقدم تغييرا ويلاحظ النتائج. إذا أمكن للشخص بطريقة متعمدة أن ينتج سلوكا، أو يغيرا اتجاها، أو يجعل صديقا يتوقف عن التدخين، فإن هذا الشخص بكل تأكيد سوف يكسب معرفة المتغيرات الهامة التى تؤثر فى سلوك معين أو إتجاه تحت الدراسة. ويرى أنه حتى فى حالة فشل الباحث فى أن يغير من السلوك أو الاتجاه المراد تغييره، فإنه قد تعلم شيئا" (٤٢). وتحاول العلوم الاجتماعية وعلم النفس الاجتماعى والخدمة الاجتماعية خاصة، استخدام التجريب للتوصل إلى مادة علمية عالية الصحة نسبيا، بيد أن طبيعة الظواهر الاجتماعية ذاتها تعرقل من دقة اجراء واستخدام التجريب، لصعوبة التحكم فى المتغيرات الاجتماعية. فهى تتسم بتعدد المتغيرات المتفاعلة فى الظاهرة الاجتماعية الواحدة. بالإضافة إلى عدم ثبات تلك المتغيرات، وصعوبة اعطاء وزن دقيق لكل المتغيرات.

ومن ثم يواجه الباحث أثناء التجريب فى العلوم الاجتماعية دائما مشكلة عدم تجانس ظاهرته، فالعالم الطبيعى يتأكد نسبيا من ان العينات المتشابهة سوف تتأثر بنفس الطريقة، ولكن عند التجريب فى علم النفس الاجتماعى والخدمة الاجتماعية فلا يمكن الجزم بذلك، ولا يمكن تصميم النتائج، ويمكن توضيح ذلك أيضا من خلال التعرف على أهداف التصميم التجريبى، ويتضمن ذلك:

١-وجوب تصميم الاجراءات التجريبية بحيث تستدعى، وتضبط ظواهر المتغيرات التى تمثل من خلالها شروط النظرية.

٢-وجوب تصميم الاجراءات التجريبية، لضبط ظواهر المتغيرات الأخرى التى تعمل فى الموقف التجريبى.

٣-وجوب تصميم الإجراءات التجريبية لتسجيل جميع مظاهر السلوك التى تتعلق مباشرة أو غير مباشرة باختبار صدق النظرية.

٤-وجوب تصميم الاجراءات التجريبية لفصل التغيرات السلوكية التى تتعلق بالنظرية على جميع المتغيرات السلوكية الأخرى.

٥-وجوب تصميم الاجراءات التجريبية التى تمكن الباحث من تقدير كمية البراهين ومدى ملاءمتها للنظرية موضع الاختبار، ويمكن تحقيق ذلك بصورة جيدة عن طريق الوصف. وتمثل هذه الأهداف موقفا تجريبيا مثاليا، ورغم أن تحقيق هذه الأهداف فى العلوم الاجتماعية غير ممكن فى معظم الأحوال، إلا أنها تظل هدفا يناضل الباحثون للوصول إليها(٢٥).

ويرتكز هذا المنهج على (٤) دعائم أساسية وهى:

١ - اختيار مجموعتين (ضابطة Controled وتجريبية Experimental) وعلى الثانية تجري التجربة.

٢ - تحقيق التجانس أو (تثبيت المتغيرات التابعة) Variables ، وهى التى يشترك فيها جميع أفراد المجموعتين، هذا ويمكن إجراء اختبار مبدنى على المجموعتين: Pre- Test لتحقيق التشابه والعمل على (تثبيت المتغيرات – الشروط) المشار إليها.

٣ - استخدام أو إضافة (المتغير المستقل) Independent Variable وهو المراد معرفة أثره أو مدى فاعليته، ويستخدم مع المجموعة التجريبية فقط.

٤ - بعد إنتهاء الفترة الزمنية للتجربة، يجرى إختبار نهائى على المجموعتين Post- Test ثم تقارن النتائج تمهيدا لاستخلاص نتيجة التجربة أو إصدار الحكم على (دور المتغير المستقل).

ومن الواضح أن وظيفة المجموعة الضابطة هى أنها تتيح لنا الحكم بأن التغير الملاحظ فى المجموعة التجريبية (إن حدث تغيير) إنما يرجع لوجود المتغير المستقل. لهذا يتجه جزء كبير من المهارات التجريبية للمساواة بين المجموعتين التجريبية والضابطة فى كل الشروط ما عدا المتغير التجريبي (المتغير المستقل).

فالمنهج التجريبي هو ذلك المنهج الذى فيه نعالج ونتحكم فى متغير واحد على الأقل لنشاهد تأثير هذه المعالجة التجريبية على متغير تابع. وحيث لا يكون هناك تحكم أو معالجة تجريبية فلا يصح إطلاقا أن نتحدث عن دراسة تجريبية.

التصميمات التجريبية: Experimental Designs

(١) القياس بعد التجربة فقط للمجموعتين التجريبية والضابطة:

يلزم لهذا التصميم انتقاء مجموعتان عشوائيتان من المجتمع الذى ندرس فيه الظاهرة النفسية الاجتماعية احدهما تجريبية والأخرى ضابطة ونساوى بينهما فى كل العوامل (السن ـ الجنس ـ المستوى التعليمى ـ المستوى الاقتصادى والاجتماعى). أى أن أى فرق بينهما يكون فى حدود الخطأ المرتقب الذى لا تكون له دلالة احصائية فى أغلب الاحوال. ثم ندخل المتغير (*) (**) المستقل (التجريبى) **Independent Variable** على المجموعة التجريبية بينما لا يتم ذلك بالنسبة للمجموعة الضابطة.

فى نهاية التجربة نقيس أثر هذا المتغير لدى المجموعة لنرى تأثيره على المتغير التابع **Dependant V**. فإذا وجدنا فرقا بينهما له دلالة احصائية. استطعنا أن نرجع هذا الفرق إلى تأثير العامل المستقل (التجريبى).

ومما يجد ذكره أن كلا من المجموعتين التجريبية والضابطة فى هذه التجربة لابد أن تكون قد تعرضت إلى عوامل أخرى غير المقصودة فى التجربة وتسمى مجموعة هذه العوامل بالعوامل العارضة (الدخيلة) **Extraneous variables**.

ولما كان الباحث يفترض أن هذه العوامل واحدة فى المجموعتين ـ فإنه ينسب الفرق بينهما إلى تأثير العامل التجريبى وحده.

(*) المتغير هو أى مفهوم أو خصائص أو أحداث يمكن أن يتغير قيمتها؟ فالمضمون الذى يقراه الأطفال فى القصص الدينية أو قصص الألغاز أو يشاهدونه فى التليفزيون، أو خصائص الأفراد أو سماتهم من حيث السن. الجنس. المستوى التعليمى ـ الحالة الإجتماعية. مستوى الدخل أو الاحتياجات التى يشبعها مضمون القصص الدينى او الألغاز او المواد التليفزيونية كلها تسمى متغيرات.

ويطلق اسم **المتغير** على أى جانب من جوانب الموقف التجريبى، يضعه الباحث فى حسابه. ويمكن أن يتمثل فى أى شئ يمكن أن تتغير قيمته ويقبل القياس، أى التعبير عنه بصورة كمية رقمية (سواء فى هدا وحدات الزمن أو المكان أو السرعة. أو القوة أو عدد المحاولات أو الكلمات. أو درجة الضوء. أو درجة التأييد أو المعارضة أو قدرة عقلية أو سمة من سمات الشخصية..الخ. والمتغير يمكن أن يتمثل فى اى جانب من جوانب الموقف التجريبى يضعه الباحث فى حسابه، إما من أجل معرفة مقدار تأثيره. أو درجة تأثيره. او لتثبيت آثاره. أو معرفة علاقته بمتغير آخر.

ويطلق اسم "**متغير مستقل**" على ذلك الجزء من الموقف التجريبى الذى يضعه الباحث فى حسابه لرصد تأثيره فى متغيرات أخرى. كمما يطلق اسم: **متغير تابع** على ذلك الجزء من الموقف التجريبى الذى يلاحظ الباحث درجة تأثيره بالعامل التجريبى أو المتغير المستقل. كما يطلق اسم "**متغيرات دخيلة**" على بعض جوانب الموقف التجريبي التى تؤثر فى المتغير التابع دون أن يتمكن الباحث من ضبطها، ويحاول الباحث ضبطها على قدر الامكان حتى لا يختلط اثرها بأثر المتغير المستقل على المتغير التابع (٤٢:٦-٩).

وقد يطلق على المتغيرات مسميات اخرى غير المستقلة والتابعة ـ فقد يطلق على التغير المستقل اصطلاح المتغير المتنبئ **Predictor** أو متغير سابق **Antecedent** على افتراض أنه سبب التاثير وحدوث العلاقة. او قد يطلق عليه المتغير الشرطى على افتراض أن العلاقة بينه وبين المتغير التابع علاقة سببية أى يشترط حدوثه لوجود العلاقة، وقد يطلق على المتغير التابع اصطلاح المتغير المعيار **Criterion**. لاننا نقيس التأثير الذى وقع عليه او المتغير التالى أو اللاحق **Consequent**. على أساس افتراض أنه نتيجة منطقية لوجود متغير سابق عليه فى حالة افتراض علاقة سببية بين المتغير(٤٣:٨).

(**) تعتبر المجموعة الواحدة فى النوع الثانى ضابطة وتجريبية فى نفس الوقت. باعتبارها محموعة ضابطة قبل ادخال المتغير التجريبي وتجربته بعد إدخال المتغير التجريبي.

(٢) قياس مجموعة واحدة قبل التجربة وبعدها:

يلزم لهذا التصميم التجريبى وجود مجموعة واحدة تقاس أولا بالنسبة للمتغير التابع وليكن شدة الاتجاه نحو تطبيع العلاقات مع إسرائيل هنا، ثم ندخل عليها العامل التجريبى (المستقل) وليكن الدعاية ضد تطبيع العلاقات مع إسرائيل التى تؤدى إلى التأثير على شدة اتجاه أفراد العينة المختارة وبعد فترة التجريب نعيد قياس المتغير التابع مرة أخرى. ويعتبر الفرق فى القياس دليلا على أثر العامل التجريبى (الدعاية ضد تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

(٣) القياس قبل التجربة للمجموعة الضابطة، وبعد التجربة للمجموعة التجريبية:

وفى هذا النوع ننتقى مجموعة على أساس الاختيار العشوانى، وتقاس إحدى المجموعتين بالنسبة للمتغير التابع قبل التجربة وتسمى "المجموعة الضابطة" ولا تقاس المجموعة التجريبية، ثم ندخل العامل التجريبى على المجموعة التجريبية، وبعد ذلك تقاس المجموعة التجريبية بالنسبة للمتغير التابع.

ونظرا لكون المجموعتين متكافئتين فرضا وانهما يختلفان فقط فى حدود الخطأ المرتقب ويستدل من ذلك أن المجموعة التجريبية كانت ستحصل على نفس النتيجة تقريبا التى حصلت عليها المجموعة الضابطة لو إننا قسناها قبل التجربة، وعلى ذلك يعتبر الفرق بين القياس فى المجموعتين راجعا لتأثير العامل المستقل (التجريبي) فقط.

أهم مزايا وعيوب التصميمات الثلاثية السابقة (١٠: ٢١٨-٢٢٥)

يمكن المقارنة بين الأنواع الثلاثة السابقة على أساس بعض المعايير ومنها:

(١) كيف تقلل كل طريقة من تأثير القياس قبل التجربة على القياس فى نهايتها؟
(٢) كيف يمكن استبعاد أو تقليل تأثير العوامل العارضة؟
(٣) ما نوع التحليل الاحصائى الذى يمكن تطبيقه فى كل حالة؟
(٤) ما أكثر هذه الأنواع حساسية فى التعرف على تأثير المتغير المستقل؟

المعيار الأول: تفادى تكرار القياس:

إن اعطاء اختبار لمجموعة ما مرتين أي قبل أن تتعرض للمتغير المستقل (التجريبي) ثم بعد إدخال المتغير المستقل ــ لقياس مدى تأثيره على المتغير التابع، قد يكون له تأثير واضح فى تشويه النتائج، فقد يعمل القياس قبل التجربة إلى تكوين اتجاه معين نحو المتغير التابع، وهذا الاتجاه قد يؤثر بدوره فى المتغير المستقل (التجريبى) عند إدخاله فى التجربة. فيتفاعل معه بشكل أو بآخر. فقد يقلل من تأثيره وقد يزيد منه. أما عن القياس بعد التجربة فله أيضا مشاكله:

-١- فقد يرهق المبحوث ويدعوه للسأم والملل نتيجة لتكرار القياس.

-٢- أو قد يدفعه لأن يجيب إجابة مماثلة لما أجاب به فى القياس الأول حتى تبدو إجابته متفقة متآزرة (متسقا مع نفسه غير متناقض) والنتيجة أن التغير سيكون أقل مما يجب أن يكون عليه.

-٣- أو قد يحاول ارضاء القائم بالتجربة وأراد أن يسهم هو فى إظهار نتيجة إيجابية لها.

-٤- وربما يحاول أن يعطى نتيجة مخالفة لتكوينه اتجاه سلبى نحو التجربة ونحو الباحث وهذا النقد ينسحب على القياس الذى يتكرر قبل وبعد التجربة – فهو إذن يسرى على النوع الثانى – أما النوعين الأول والثالث فلا يتعرضا لهذا النقد.

المعيار الثانى: تقليل تأثير العوامل العارضة (الدخيلة).

فى التصميم التجريبى الثانى والثالث نتيجة لوجود المتغير التجريبى لفترة غير قصيرة – فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن التغير نتج عن تأثير المتغير المستقبل "التجريبى"، ولنا أن نتوقع دور عوامل أخرى خارجية نطلق عليها اسم العوامل العارضة، وتأثيرها يكون على المجموعتين التجريبية والضابطة، وعلى ذلك فإن الفرق فى القياس فى نهاية التجربة بين المجموعتين يدل على تأثير المتغير التجريبى "المستقل" فقط.

المعيار الثالث: التعرف على اتجاه التغير.

مما يميز التصميم الثانى من التصميمات التجريبية، إنه يمكن أن نطبق عليه وسائل إحصائية تبين درجة تغير كل نمط من أنماط السلوك بينما يعجز كل من التصميم الأول والثالث عن التعرف على نوع التغير الذى طرأ على سلوك المجموعة بالنسبة لما كان عليه الحال قبل حدوث التغير وعلى هذا لا نستطيع أن نحسب الفرق فى القياس بالطرق الاحصائية المختلفة. **ولنأخذ مثالا لهذا**

لنفرض أننا نجرى تجربة لاختبار الفرض التالى: "إن الدعاية ضد تطبيع العلاقات مع إسرائيل على نطاق جماهيرى تؤثر على قليلى التمسك بهذا الاتجاه بدرجة أكبر من تأثيرها فيمن يغلب عليهم اتجاه التطبيع. فإذا اعتبرنا أن التحديد الاجرائى للتطبيع التأثر بدرجة أكبر إنما يعنى أن يقل تمسك الفرد بهذا الاتجاه بعد تعرضه للدعاية عما كان عليه اتجاهه قبلها – وذلك من واقع تحليل استجاباته فى اختبار لفظى لقياس هذا الاتجاه مثلا – فيمكننا حينئذ اختيار مدى صحة فرضنا السابق. وذلك بأن يقاس اتجاه كل فرد من الأفراد قبل التجربة (أى قبل تعرضهم للدعاية ضد التطبيع). وبعدها، ثم يمكن من ذلك تحديد نسبة من "تأثر بدرجة أكبر".

ولولا أننا نعرف شدة اتجاه كل فرد قبل التجربة، لما أمكن تقسيم الأفراد إلى "قليلى التمسك بالاتجاه" و "شديدى التمسك به". كذلك لولا أننا نعرف شدة اتجاه كل فرد قبل وبعد تعرضه للدعاية لما استطعنا من فرق القياسين أن نستدل على "مدى تأثره". وبهذا يمكن قياس مستوى الدلالة الاحصائية للفرق بين نسبة من أصبح أقل تمسكا فى اتجاهه نحو التطبيع من كلا الفريقين – أى يمكننا اختيار مدى صحة فرضنا السابق.

كما يمكننا إن أردنا أن نستمر فى تساؤلنا، ومحاولة التعرف بعد ذلك على العوامل التى ترتبط بتأثر بعض المجموعات بالدعاية أكثر من غيرها.. وهكذا تتسع دائرة البحث.

وهذا النوع من الدراسة كثيرا ما يؤدى إلى إثارة فروض جديدة تخص دوافع السلوك. فمثلا إذا وجدنا أن تأثر مجموعة من الأفراد بموضوع سينمائى عن الأخذ بالثأر أدى ببعضهم إلى زيادة اتجاههم الإيجابى، فربما دفعنا ذلك إلى تحليل عينة من كل نمط من هؤلاء الأفراد للتعرف على الفروض المحتملة لتفسير هذا الاختلاف فى الاستجابة وهذه الفروض بدورها يمكن إخضاعها للتجريب وهكذا، فينبغى إذن أن نضع نصب أعيننا هذه الميزة للنوع الثانى من التجارب. وبالرغم من هذا فإن التصميم الثانى يتعرض للآتى:

١-لمشكلة القياس المتكرر وآثاره.

٢-لمشكلة العوامل الدخيلة (العارضة) واحتمال تدخلها فى التأثير على الظاهرة التى نقيسها.

٣-لمشكلة التفاعل بين القياس أولا والمتغير المستقل (التجريبى) أى أن يكون تأثير العامل التجريبى وحده مخالف لتأثيره بعد القياس أولا.

٤-وثمة احتمال آخر وهى ظاهرة الانحدار أو الميل نحو المتوسط حيث يميل الأفراد المتطرفين – بمرور الوقت إلى الاقتراب من المتوسط أكثر من ميلهم إلى الاستمرار فى تطرفهم.

المعيار الرابع: حساسية التصميم:

يلاحظ فى التصميم الثانى "المجموعة الواحدة" إننا نستخدم نفس المجموعة فى القياس قبل التجربة وبعدها. أى أن الأفراد فى المجموعة كانوا قبل إدخال المتغير المستقل (العامل التجريبى) يمثلون المجموعة الضابطة وبعد إدخاله يمثلون هم أنفسهم المجموعة التجريبية. وهذا النوع يكون التكافؤ فيه تاما لأن الفرد فى المجموعة يناظر نفسه قبل إدخال العامل التجريبى وبعده ولذلك نحصل على فائدتين من هذا التصميم وهى مزايا التصميم الثانى:

١-أن أى فرق نحصل عليه فى هذا النوع من التجارب عادة ما يكون له دلالة إحصائية.

٢-أن هذا النوع من التصميم لا يعانى من مشكلة الاحتياج إلى أعداد ضخمة من الأفراد حتى نجد من بينهم مجموعتين متكافئتين.

أما النوع الأول من التصميمات فيتميز بمعرفة طبيعة الظاهرة قبل إدخال العامل التجريبى عليها، وفى نفس الوقت يستطيع أن يعرف قدر تأثيره فى ضوء طبيعة المجموعة الضابطة التى تركت بدون قياس قبل التجربة حيث لم تتأثر بالقياس قبل التجربة.

فى حيث يتميز التصميم الثالث بانتفاء تأثير القياس على المجموعة التجريبية قبل ادخال العامل التجريبى، حيث تقاس بعد التجربة فقط.

وسنعرض فى جدول رقم (١) موجز لتحقيق المعايير الأربعة من كل نوع من الأنواع الثلاثة السابقة لتصميم التجارب:

جدول رقم (١)

	المعيار الأول تفادى تكرار القياس	المعيار الثانى تقليل تأثر العوامل الدخيلة	المعيار الثالث التعرف على اتجاه التغيير	المعيار الرابع حساسية التصميم
الأول	✓	✓	×	×
الثانى	×	×	✓	✓
الثالث	✓	×	×	×

نقد التصميمات التجريبية الثلاثة السابقة.

من الواضح أنها تقوم على أساس مسلمات معينة ومن أهمها:

١-أن تأثير العوامل الدخيلة واحد فى المجموعتين التجريبية والضابطة.

٢-أن التغير الحادث فى المتغير التابع يرجع إلى تأثير المتغير التجريبي وحده.

ولكن هذه النظرة السطحية لا تتمشى مع وجهة النظر المجالية التى تؤكد أن جميع العوامل الداخلة في ظاهرة ما تؤثر وتتأثر ببعضها البعض. ومعنى هذا أن إدخال متغير تجريبى فى مجموعة ما يحدد إلي حد كبير نوع العوامل الدخيلة التى يمكن أن تتدخل فى الظاهرة.

وقد أمكن ـ نتيجة أوجه النقد التى وجهت إلى التصميمات السابقة، إدخال بعض التحسينات عليها لمحاولة استبعاد قدر الإمكان:

أ- تأثير القياس القبلى والعوامل الدخيلة.

ب- التفاعل بين المتغير التابع والمتغير المستقل بصورة زائفة.

(٤) القياس قبل وبعد التجربة باستخدام مجموعة تجريبية ومجموعتين ضابطتين إحداهما لا تقاس أول الأمر، لكن بعد إدخال المتغير التجريبي:

ورغم أننا لم نقس أفراد المجموعة الضابطة الثانية أول الأمر إلا أننا نقدر لها نتيجة فرضية لما كان سيسفر عنه القياس لو أنه طبق عليها فعلا أى كما لو كانت قد قيست بالفعل. ويمكننا الاستدلال على ذلك بأخذ متوسط القياس قبل التجربة للمجموعتين التجريبية والضابطة الأولى وذلك لأننا نفترض تكافؤ المجموعات الى حد كبير نتيجة الاختيار العشوائى. ويمثل ذلك الجدول التالى (١٠:٢٢٨).

جدول رقم (٢)

المجموعة	التكافؤ	القياس قبل التجربة	العامل التجريبى	القياس فى نهاية التجربة	الفرق	العوامل التى يدل عليها الفرق بين القياسين فى كل حالة
التجريبية	يفترض على	يتم فعلا	يدخل	يتم	ف١	تأثير القياس قبل التجربة + العامل التجريبى + التفاعل
الضابطة الأولى	اساس الاختيار	يتم فعلا	لا يدخل	يتم	ف٢	تأثير القياس قبل التجربة فقط
الضابطة الثانية	العشوائى	يستدل عليه	يدخل	يتم	ف٣	تأثير العامل التجريبى فقط
الضابطة الثالثة		يستدل عليه	لا يدخل	يتم	ف٤	تأثير العوامل الدخيلة فقط

وهذا التصميم يجنب أفراد المجموعة الآثار التى تترتب على عملية القياس قبل التجربة. فإذا ما افترضنا عدم حدوث تفاعل بين المتغير التجريبي والقياس الأول وعدم وجود تأثير يذكر للعوامل الدخيلة هو أقرب إلى الصحة عندما لا تمر فترة طويلة بين القياس أولا والقياس فى النهاية بحيث يمكن إهمال تأثير هذه العوامل الدخيلة وبتحليل جدول رقم (٢) يمكننا أن نفسر النتائج على النحو التالى:

-١- يؤدى المتغير التجريبى فقط إلى تغير المجموعة الضابطة الثانية.

-٢- يرجع التغير الحادث للمجموعة الضابطة الأولى إلى تأثير القياس القبلى فقط.

-٣- إذا كان التغير الحادث للمجموعة التجريبية يختلف عن مجموع التغير الحادث للمجموعتين الضابطتين، فإن ذلك يعد انعكاسا لتفاعل العمليات للقياس القبلى مع المتغير التجريبى، وقد يؤثر هذا التفاعل على المتغير التجريبى أما بالزيادة أو النقصان. هذا وينبغى أن نؤكد هنا أن التجارب التى أجريت فى ميدان الاتجاهات الاجتماعية قد أيدت وجود تفاعل بين العامل التجريبى والقياس أولا فى بعض الاحوال. فإذا أردنا إذن معرفة تأثير العامل التجريبى على حدة فى هذا النوع من التجارب فلا بد أن نطرح من ف١ كلا من قيمتى التفاعل، وقيمة ف٢ حتى نتخلص من قيمة التفاعل من جهة وتأثير القياس أولا من جهة أخرى ولا يبقى إلا تأثير العامل التجريبى فقط. هذا بافتراض أن العوامل الدخيلة لم تؤثر فى نتائجنا وهذا الافتراض عرضة بالطبع لكثير من الطعن من وجهة النظر المجالية وخصوصا إذا انقضت فترة طويلة بين القياسين، ولذلك ادخلت فى التجارب الحديثة مجموعة ضابطة ثالثة (ـ ـ ـ) بغية التغلب على هذه المشكلة. وبعد ادخال المجموعة الضابطة الثالثة يمكننا الحصول على أى قيمة نريدها على النحو التالى:

- تأثير المتغير التجريبي فقط = ف٣ - ف٤.
- تأثير العوامل الدخيلة فقط = ف٤.
- تأثير القياس أولا = ف٢ - ف٤.
- تأثير التفاعل = ف١ + ف٤ - ف٣ - ف٢.

والخلاصة إذن أنه لازال من أهم المسلمات، حتى فيَ هذه الأنواع المعدلة الحديثة من التصميمات:

- أن تأثير المتغير الواحد يظل واحدا برغم اختلاف المجال الذى يتفاعل فيه هذا المتغير. وهذا لا يتمشى مع النظرة المجالية التى تقول بأن تأثير القياس قبل التجربة مختلف فى المجموعة التجريبية عنه فى المجموعة الضابطة الأولى لاختلاف المجال فى الحالتين.
- وأن تأثير العوامل الدخيلة حتى بفرض أنه كان واحدا قبل بدء التجربة ــ سوف يصبح مختلفا خلال التجربة فى كل مجموعة من المجموعات الأربع وذلك لاختلاف المجال فى كل حالة (١٠:٢٣٢،٢٣٣).
- أهمية وجود جماعات تجريبية وضابطة متكافئة من جميع النواحى. وبما أن تحقيق هذا الشرط الأخير صعبا خاصة فى دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية ويرجع ذلك إلى تعقد هذه الظواهر وتعدد العوامل التى تحدثها، فمهما حاول الباحث أن يوازى بين مجموعتين من حيث السن والدخل، والمستوى التعليمى، والحالة الاجتماعية فانه لن يستطيع أن يضبط متغيرات أخرى يرى أنها مهمة أو قد يتغافل عن متغيرات هامة يرى هو أنها ليست كذلك (١٨:١٢١).
- ينبغى أن ننظر بعين الحذر لحقيقة ما تدل عليها الأرقام النهائية فى مثل هذه التصميمات التجريبية المستحدثة واتخاذ الحيطة والحذر فى تفسيرنا لهذه النتائج وألا يغيب عن بالنا أى المسلمات الأساسية التى بنيت عليها هذه النتائج.

مثال تطبيقى على المنهج التجريبي:

من الأهمية بمكان التخطيط للتجربة وله متطلبات:

١-وجود مشكلة قابلة للحل، وفروض قابلة للاختبار كحل لهذه المشكلة.

٢-أن يستخدم الباحث ابداعه لجمع المادة المتعلقة بالفروض متخذا تكتيكا تجريبيا بحيث يضع نصب اهتمامه الإجابة عن الأسئلة التالية:

أ- ما هى أفضل الأجهزة المستخدمة للمعالجة والملاحظة للظاهرة موضع الاهتمام؟

ب- وما هى المتغيرات الخارجية التى قد تؤثر فى الظاهرة، وهل من اللازم ضبط هذه المتغيرات.

ت- وما هى المتغيرات الخارجية (الدخيلة) التى يجب اهمالها؟

ث- كيف يلاحظ ويسجل نتائج التجربة؟

تجربة (سولومن آش ــ ١٩٥٨ (٤٣:٥٣-٥٥) بهدف دراسة:

تأثير ضغوط الجماعة على سلوك الفرد. حينما يجمع أفراد الجماعة على ما يتعارض مع ما يحس به الفرد.

وقد سار الباحث فى دراسته بالأسلوب الآتى:

قام بتكوين مجموعات من الأفراد بحيث تتكون كل مجموعة من ثمانية أفراد وكان العمل المطلوب منهم هو اختيار خط من خطوط ثلاثة يماثل طوله خطا رابعا. فمثلا يعرض الباحث على المجموعة خطأ يبلغ من الطول عشرة بوصات ثم يعرض عليهم ثلاثة تبلغ فى أطوالها (٨.٧٥ أو ١٠ أو ٨) بوصات. ويطلب الباحث من كل فرد أن يدلى باستجابته بصوت مرتفع.

ثم اتفق الباحث مع سبعة أفراد من المجموعة بدون علم الثامن على أن يستجيبوا استجابة معينة، وفى كثير من الأحوال كانت استجابة خاطئة. ومن هنا يجد الشخص الثامن نفسه مواجها لإجماع أفراد المجموعة على صحة استجابة يرى ويدرك بحواسه أنها استجابة خاطئة.

وتكونت التجربة من ثمانى عشرة محاولة، أجمع أفراد المجموعة دون ثامنهم على اختيار الاستجابة الخاطئة فى اثنتى عشرة محاولة منها، وقد أجريت التجريب على خمسين شخصا. وقد وجد الباحث أنه من بين خمسين شخصا، خضع شخص واحد لتأثير ضغط الجماعة فى إحدى عشرة محاولة من بين الاثنى عشرة محاولة التى تعرض فيها لضغط الجماعة، وخضع ١٤ شخصا لتأثير ضغط الجماعة فى أكثر من نصف المحاولات، وقاوم ١٣ شخصا اجماع الجماعة.

وقد حاول الباحث معرفة شئ عن الأسباب التى قد تؤدى بالشخص إلى الخضوع لإجماع الجماعة، والأسباب التى تجعله يقاوم هذا الاجماع طالما ان ما يدركه يتعارض مع هذا الاجماع. وفى سبيل ذلك قاوم بإجراء عدد من المقابلات مع الأشخاص الذين قاوموا ضغط الجماعة.

وقد وجد أن هناك اختلافا بين الأسباب التى دفعت من تمسك برأيه إلى مقاومة ضغط الجماعة، فهناك من قام بهذا الاستقلال قائم على ثقة فى قدرته الادراكية – وهناك من اعتقد أنه بتمسكه برأيه إنما يرضى بذلك من يقوم بالتجربة، والبعض قاوم الجماعة لرغبته فى التفرد والاختلاف عن الآخرين.

وقد وجد الباحث أن من بين هؤلاء الذين خضعوا لضغط الجماعة نفرا خضع لخلل حقيقى فى قدرته الإدراكية، وهؤلاء هم الذين لم يشعروا أن هناك خطأ يحدث فى الموقف. والبعض الآخر كان يدرك أن رأى الجماعة لا يساير ما يدركونه ولكنهم بالرغم من ذلك ساروا مع الجماعة أو خضع لرأى الجماعة مع ثقته بخطأ الجماعة ولكنه لم يرغب فى أن يكون مختلفا عن الآخرين.

هذه إذن دراسة تطالعنا على كيفية الافادة من المنهج التجريبى فى دراسة الظواهر التى يختص بها علم النفس الاجتماعى.

التعليق على تجربة (سولومن آش): هناك عدة أمور ينبغى مناقشتها فى هذا الصدد:

أولها: أنه ليس من الميسور دائما استخدام المنهج التجريبى فى دراسة كل الظواهر التى يختص بها علم النفس الاجتماعى. فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى تأثير الاتجاهات الوالدية على شخصية الطفل، نجد ان هناك صعوبات كثيرة تعترض دراسة هذه المشكلة دراسة

تجريبية، إذ ليس من السهل التحكم فى المتغير المستقل وهو الاتجاهات الوالدية، بمعنى أنه ليس من السهل أن تطلب من الوالدين اتباع اتجاه معين فى تنشئة أطفالهم، بل حتى لو وجدنا الوالدين اللذين يقبلان ذلك، فإننا لن نضمن أنهما يستطيعان تطبيق الأساليب السلوكية التى يقتضيها هذا الاتجاه. هذا بالإضافة إلى الاعتبارات الاخلاقية التى تحتم علينا الامتناع عن القيام بأية تجربة على الانسان ما لم نتأكد من أن نتائج التجربة لن تضر بالإنسان موضوع التجربة. ولما كنا لا نستطيع أن نتأكد دائما من ذلك خاصة إذا كان المتغير المستقل يستهدف التأثير على شخصية الفرد ــ مثلما حدث فى تجربة (آش):

من ذلك أن الضغط الاجتماعى لا يكون دائما بقصد التضليل واجبار الفرد على مخالفة معطياته الادراكية والحسية، وأن الفرد كثيرا ما يجد من يقف إلى جواره حين تختلف آراؤه من آراء الجماعة، وإننا نجد من الظروف الطبيعية فى كثير من الأحيان من نستطيع الرجوع إليه للتوصل إلى الحقيقة الموضوعية حين تختلف اراؤنا مع آراء الجماعة.

مثل هذه المشكلات التى يصعب دراستها بالمنهج التجريبى، يمكن دراستها بالمنهج البعدى الذى يقوم بدراسة الظواهر كما هى واكتشاف العلاقات بعد أن تكون قد حدثت بالفعل. وهذا يعنى أن الدراسة أجريت بعد أن يكون الحدث قد وقع مع النظر إلى الوراء فى المتغير الذى أثر على الحدث. وفى هذا النوع من البحوث لا يستطيع الباحث أن يعالج المتغيرات أو يختار أفراد الدراسة أو المعالجة التجريبية لأن المتغير المستقل يكون قد وجد من قبل، ويبدأ الباحث دراسته بملاحظة المتغير التابع ثم يدرس المتغير المستقل بالعودة إلى الوراء لمعرفة إمكان تأثيره على المتغير التابع.

وتلك تندرج تحت ما يسمى **بالبحوث الاسترجاعية** (٢٠٠٥:٤-٢٢٣)

وهذه طريقة لاختبار أسباب سابقة لأحداث تم وقوعها، لذلك لا يتمكن الباحث من معالجتها، أو التأثير منها أو تدبيرها.

وقد عرف كيرلنجر Kerlinger (١)بحوث استعادة الماضى ــ بصورة أكثر منهجية ــ على أنها "تلك البحوث التى يكون المتغير المستقل ــ أو المتغيرات المستقلة ــ فيها قد حدثت فعلا، والتى يبدأ الباحث فيها بملاحظة متغير تابع أو متغيرات تابعة، ثم يدرس المتغير المستقل ــ أو المتغيرات المستقلة ــ من خلال استعادة الماضى لبحث علاقته الممكنة، وتأثيره على المتغير التابع أو المتغيرات التابعة، وبذلك يفحص الباحث ــ من خلال استعادة الماضى ــ آثار حدث تم وقوعه ــ طبيعيا ــ فى الماضى على ناتج لاحق بنظرة تبحث عن بناء ارتباط سببى بينهما. وتناظر بعض حالات تصميمات، استعادة الماضى، الأبحاث التجريبية ولكن بطريقة معكوسة Inreverse، وذلك لاستبدال أخذ مجموعات متكافئة، واخضاعها لمعالجات متباينة، للتعرف على التباينات فى المتغيرات التابعة التى يتم قياسها، ببدء تجارب استعادة الماضى بمجموعات متباينة فعلا فى بعض عناصرها، وتبحث ــ بدراسة الماضى ــ عن العوامل التى أدت إلى هذه التباينات.

ويمكن تحديد نوعين من التصميم فى بحوث "استعادة الماضى" هما:

(أ) دراسة العلاقات المتلازمة وتسمى أحيانا "بحوث السببية".

(ب) دراسة مجموعة المعيار وتسمى "بحوث السببية المقارنة".

ويختص النوع الأول من هذه البحوث بالتعرف على الأسباب السالفة لحالة حاضرة. وتتضمن تجميع فئتين من البيانات، تعود أحدهما إلى الماضى مع نظرة إلى تحديد العلاقة بينها.

ويمكن تمثيل التصميم الأساسى لمثل هذه التجربة كما يلى:

(س)	(و)

ومن أمثلة الدراسات التى بنيت على هذا النوع من التصميم "استرجاع الماضى – دراسة العلاقات المتلازمة – دراسة بوركوسكى Porkowsky (٤٤:١٤-١٩).

حاول أن يبن علاقة بين نوعية اعداد معلم الموسيقى فى الكلية (س) وبين فعاليته كمعلم لمادته (و). ويمكن أن يتضمن مستوى اعداد معلم الموسيقى فى الكلية تقديراته فى المقررات التى درسها، وتقديره العام وتقديره لذاته..الخ. كما يمكن تقييم فعالية المعلم عن طريق مؤشرات من أداء التلاميذ، ومعلوماتهم، واتجاهاتهم ومن آراء الخبراء كذلك.. الخ. ويتم الحصول على الارتباطات بين تلك القياسات كلها لتحديد العلاقة المستهدفة.

أمكن لهذه الدراسة أن توضح أن هناك علاقة قائمة – بعد أن وقعت الأحداث – بين نوعية أعداد المعلم وفعاليته اللاحقة، ويفتح وجود علاقة قوية بين المتغيرات المستقلة والتابعة الباب لثلاثة تفسيرات ممكنة للباحث وهى:

١-أن المتغير (س) سبب المتغير (و).

٢-أن المتغير (و) سبب المتغير (س).

٣-أن هناك متغيرا ثالثا غير معروف – ومن ثم غير مقاس – سبب كل من (س)، (و).

وفى أغلب الأحوال.. لا يستطيع الباحث أن يحدد أى التفسيرات الثلاثة صحيحا. كما أن قيمة الدراسات العلاقية أو السببية تكمن – أساسا – فى خاصيتها الاستكشافية أو الإيحانية، لأنها – كما لاحظنا – بينما لا تكون دائما صالحة – فى حد ذاتها – فى إيجاد علاقة سببية بين المتغيرات.. فإنها تعتبر خطوة أولى مفيدة نحو هذا الاتجاه، من حيث كونها تعطى قياسات إقترانية.

أما النوع الثانى من بحوث استعادة الماضى – وهى بحوث المجموعة المعيارية (السببية المقارنة) – فإن الباحث يعمل على اكتشاف الأسباب الممكنة لظاهرة، تمت دراستها عن طريق مقارنة الأفراد الذين يتواجد المتغير فيهم، مع أفراد مماثلين يغيب عنهم هذا المتغير، ويمكن تمثيل التصميم الأساسى لهذا النوع كالآتى:

(س)	(و١)
	(و٢)

ويمكن النظر إلى دراسات المجموعة المعيارية أو دراسات السببية المقارنة، على أنها تسد الفجوة بين أساليب البحوث الوصفية، وبين البحوث التجريبية الحقيقية True experimental.

ويعرض (كوهين وتشايلد Cohen and Child – ١٩٦٩) (٤٥)، تلخيصا لمثال فى استخدام هذا التصميم فى بحث عوامل الفشل فى الدراسة الجامعية.

من بين ٨٢٠ طالبا بدأوا دراستهم فى جامعة براد فورد عام ١٩٦٦. تسرب (١٠٢) طالبا مع نهاية السنة الأولى للدراسة. وعند الالتحاق بالجامعة.. قدم جميع المقبولين بيانات عن خلفياتهم، واهتماماتهم، وميولهم، ودوافعهم، وقيمهم من النواحى الأكاديمية والشخصية. ومن خلال تصميم بحثى لاستعادة الماضى.. أجريت مقارنات بين المتسربين وغير المتسربين فى محاولة للكشف عن العوامل المرتبطة بالفشل الجامعى. واتفاقا مع الدراسات السابقة.. وجد أن الفشل فى الدراسة الجامعية يرتبط بالآتى:

(١) ضعف المستوى العلمى عند الالتحاق بالجامعة.

(٢) ضآلة التأكد من حسن اختيار نوعية الدراسة.

(٣) درجة عالية من القلق حول القدرة على متابعة الدراسة الجامعية.

(٤) الشعور بثقل المتطلبات الأكاديمية للدراسة.

وربما يكون من الأفضل النظر إلى تصميمات "استعادة أحداث الماضى" على أنها دراسات مسحية أكثر من النظر إليها على أنها تجارب على درجة كبيرة من التعيين. وأنها مصادر فروض يمكن اختبارها من خلال تجارب عادية بعد ذلك. ولعلنا نرى فى تصميمها يتم ملاحظة (و)، ثم يتلو ذلك البحث عن (س) استرجاعيا (أى من أحداث ماضية). ويجد الباحث (س) الذى يكون مقبولا ومتفقا مع الغرض، ولعل كثيرا من دراسات التربية وعلم النفس والخدمة الاجتماعية قد استخدمت هذا النوع من التصميم البحثى دون تدخل الباحث فى كثير منها فلا يمكن للباحث أن يحدث لمجموعة ما فشلا أو جنوحا أو انتحارا أو تسوبا من المدرسة أو إدمانا ولكنه يعتمد على مجموعات وقعت لها هذه الأمور.

تتيح لنا هذه الطريقة معلومات مقيدة، تختص بطبيعة الظاهرة وبهذا يصبح هذا التصميم أداة استكشافية قيمة ومصدرا مثمرا لفروض يمكن اختبارها لاحقا بطرق تجريبية أكثر قوة إلا أن هذا التصميم لا يمكن الباحث من التحكم فى المتغير المستقل أو الاختيار العشوائى لأفراد دراسته ولا امكانية التأكد مما إذا كان العامل المسبب متضمنا فعلا ـ أو ـ على الأقل ـ ممكن التحديد، مضافا إلى صعوبة التفسير وخطورة الاعتقاد أنه بسبب أن (س) يسبق (و).. فإن (س) هو السبب فى (و).

وهناك التصميم شبه التجريبى Aquasi – experimental design ويشير "كيرلنجر Kerliger" إلى المواقف شبه التجريبية على أنها "تصميمات الحل الوسط Compromise design" وهذا وصف مناسب حين يكون المتغير المستقل هو من صنع الطبيعة. ويحدث فى التوقيت وبالدرجة من الشدة التى تحددها الطبيعة. وبالتالى يدخل فى صور المتغير المستقل هنا، الكوارث الطبيعية على اختلاف صورها كالزلازل. أو الاعاقات (الحركية ـ العقلية ـ البصرية ـ السمعية) أو الحرائق أو غير ذلك منن الأحداث الطبيعية التى تحدث أشكالا من الدمار أو التخريب فى البيئة الطبيعية أو الاجتماعية، أو تعرض الأفراد والجماعات لصور من المعاناة والمشقة لا عهد لهم بها، مما يمكن أن يؤثر على

حالتهم النفسية أو العضوية أو الاجتماعية، أو يغير من سلوكهم بصورة أو بأخرى مثلما حدث من آثار نتيجة الغزو العراقى للكويت ـ وتلعب الصدفة دورها هنا، فى أنه يمكن:

(أ) أن يتعرض بعض الجماعات لأثار هذه الأحداث بصورة عنيفة.

أو (ب) يتعرض لها آخرون بدرجة أقل عنفا.

أو (جـ) لا يتعرضون لآثارها السلبية أصلا، لسبب أو لآخر.

وهنا يكون من حظ الباحث (على حد تعبير زين العابدين درويش): أن يقارن بين مقدار تأثر المجموعات بالحدث أو الكارثة (المتغير المستقل)، ليعرف مدى التغيير الذى لحق بسلوكيات هذه المجموعات. أقرب الأمثلة لذلك، تجربة أجراها بعض الباحثين فى علم النفس الاجتماعى (Parker et al, 1980) (٤٦- ٨:٢٨،٢٩)، انتهزوا فرصة اشتعال الحريق الهائل الذى وقع بمنطقة سانتا باربارا بكاليفورنيا الشمالية (فى الولايات المتحدة الأمريكية)، خلال موسم جفاف شديد القسوة فى أواخر السبعينات، فى حين لم تمس بسوء منازل أخرى عديدة فى نفس المنطقة. وقد عزى ذلك عموما إلى ظروف الريح المتغيرة، وموقع أجهزة الأمان من الحريق بالمنازل.

اتجه الباحثون إلى دراسة ردود فعل الضحايا ممن أضيروا من هذه الكارثة، أو تحققت لهم الحياة من أخطارها، وكان الهدف اختبار فرض معين، سبق دراسته فى تجارب معملية سابقة. تبين للباحثين بالمقارنة بين المجموعتين، أن من أضيروا نسبوا ما حدث لهم إلى حظهم السئ، بينما زعم الآخرون أن منازلهم لم تحترق بسبب مراعاتهم لاحتياطات الأمن من الحريق.

لقد أكدت نتيجة هذه التجربة أن الأفراد يميلون إلى تأكيد أنهم المتحكمون فى أسباب ما يصبهم من خير، ولكنهم ينكرون مسئوليتهم عما يصيبهم من مكاره.

عموما فإن دور الباحث فى التصميمات شبه التجريبية أن ينتهز فرصة (وقوع الحدث للتحقيق من صحة فروض معينة سبق له التفكير فيها، أو اسعفه الحظ بالتفكير منها وقت وقوع هذه الأحداث، أو بقاء الآثار المتخلفة لفترة من الزمن بعد ذلك (٤٧).

الفصل الرابع

كيف تنفذ علم النفس الاجتماعي؟

وأخلاقيات التجربة

How we do social Psychology?
And the Ethics of Experimentation

خطة الفصل المنهجية

- البحث الارتباطى **Correlational Research**.
- استطلاع الآراء **Survey research** البحث الاستقصائي (المسح)
- البحث التجريبي **Experimental Research**.
- التكليف العشوائي **Random Assignment : The Great Equalizer**.
- العوامل الأخلاقية التي ترتبط بالتجربة العملية.
- حجج ضد استخدام خداع المفحوص ومبررات استخدامه.
- النظريات المعمول بها في علم النفس الاجتماعي.
- هل علم النفس الاجتماعي مجرد شكل من أشكال الذوق العام الراقي؟

Is Social Psychology simply sophiaticaled Common Sense?

كيف نقوم بتنفيذ علم النفس الاجتماعي (١:٨-٢٢)

How We Do Social Psychology?

إن نظرة سريعة ستكون كافية لك للقدرة كدارس علم النفس الاجتماعي لفهم طبيعة الأدلة التي سنعرضها عن كيف يتم تنفيذه وإجرائه إما في المعمل (وهى البيئة المحكومة) أو في الميدان (وهى المواقف اليومية خارج المعمل) وهذه المواقف إما أن تكون مترابطة ومتصلة (بالاستقصاء لمعرفة ما إن كان العنصران محل البحث مرتبطان بصورة طبيعية أم لا، أو أن تكون تجريبية (بمعنى تقوم باستغلال أحد العناصر لدراسة تأثيره على الآخر).

إن فهم الفرق بين العلاقة المترابطة البحثية والبحث التجريبي كما يشير بذلك (دافيدج. مايرز **David G. Myers**) لهو أمر حيوي إذا ما أردت كدارس أن تستوعب بصورة فعالة أعمال البحث في مجال علم النفس، وخاصة المسائل التي يرد ذكرها في الصحف اليومية والمجلات. ولإيضاح مزايا وعيوب الإجراءات البحثية المترابطة والتجريبية، فعليك النظر بعين الاعتبار إلى سؤال عملي وهو:

هل الدراسة في الكلية استثمار مالي ناجح؟ **Is College a good Financial Investment?**

لابد وأنك قطعا قد سمعت وقرأت العديد من الديباجات عن المزايا الاقتصادية التي تعود على المرء من الذهاب إلى الكلية. ولكن هذه المزاعم لا تعدو أحيانا أكثر من التكهنات المتفائلة **The Optimistic Speculations** الخاصة بمرتادى الكليات وأصحاب الوظائف الادارية. لذلك لابد وأن نقوم بدراسة المزاعم التي يردد أصحابها أهمية الذهاب للكلية وكيف يمكن الفصل بين الحقيقة والزيف (الأكذوبة) في هذه المزاعم لدى تقييم الأثر الذي تحدده الكلية على الدخل المالي الذي يتوافر فيما بعد لدارسيها من الطلبة.

البحث الارتباطي **Correlational Research**

بداية يتعين علينا أن نحدد ما إن كانت آية رابطة أو علاقة ـ كما نطلق عليها ـ يمكن أن توجد بين مستويات تعليم الأفراد وما يكسبونه من أموال فيما بعد. فعلى سبيل المثال إذا افترضنا أن الكلية هي استثمار مالي مجزى فإن خريجي الكلية يفترض أن يكتسبوا أموالا ـ هذا بالحساب لمتوسط الدخل العام ـ أكثر من أولئك الذين لم يتلقوا تعليما جامعيا. وعلى ذلك فإنه يتعين علينا أن نقوم بمسح واستطلاع آراء جماعة من الخريجين وكذلك استطلاع آراء جماعة من أولئك الذين لم يرتادوا الكليات ونرى ما إن كانت هناك رابطة أو علاقة بين التعليم وبين الدخل يمكن بلورتها وما إن كانت تلك العلاقة موجودة أم لا.

ولكن ما هو الأسلوب الأمثل لإجراء مثل هذا المسح بصورة ناجحة وفعالة؟

A Well – done Survey لنتوقف قليلا للإجابة على هذا السؤال:

البحث الاستقصائي (استطلاع الآراء) (المسح) Survey research [*]

يستخدم أسلوب المسح أساسا فى البحوث الوصفية التى تسعى إلى وصف سمات أو أراء أو اتجاهات أو سلوكيات عينة من الأفراد ممثلة لمجتمع البحث، بما يسمح بتعميم نتائج مسح العينة على المجتمع الذى سحبت منه هذه العينة. ويمكن استخدامه أيضا فى البحوث التفسيرية، والتجريبية وشبه التجريبية.

ويمر تطبيق هذا الأسلوب بعدة مراحل، تبدأ بتوليد الأسئلة التى توفر الاجابة عنها، كم ونوع البيانات التى تخدم أهداف البحث، وهو ما يستدعى أن يلم الباحث بكل الجوانب التى يحتاج إلى توفر معلومات عنها. ويمكنه أن يستعين فى هذا الصدد بآراء وخبرات مجموعة مركزة Focus Group من أهل الخبرة والمعرفة بموضوع البحث. وتأتى بعد ذلك المرحلة الثانية، وهى اختيار عينة كافية وممثلة لمجتمع البحث الذى يأمل فى تعميم نتائج بحثه عليه. ثم يلى ذلك مرحلة تصميم صحيفة الاستبيان وهى ذات أسئلة مغلقة – Closed Ended questions وأسئلة مفتوحة Open Ended questions . ويفضل الاعتماد على الأسئلة المغلقة والاقلال من الأسئلة المفتوحة.

كمثال للأسئلة المغلقة. أنظر السؤال التالى:

- لماذا لا تقرأ الموضوعات النفسية فى الصحف؟ (حدد إجابة أو أكثر).

ليست لى اهتمامات نفسية ــ ليس لدى الوقت الكافى ــ أفضل قراءة الموضوعات النفسية فى المجلات المتخصصة ــ لا أفهم ما يقوله الكتاب النفسيين.

وكمثال للأسئلة المفتوحة:

- فى رأيك، ما هو الشكل الأفضل الذى يجب أن تكون عليه البرامج التليفزيونية التربوية للأطفال؟

ويجب أن تتجه الأسئلة من حيث محتواها وصياغتها إلى توفير كم ونوع البيانات التى يحتاجها البحث، كما يجب أن ترتب بشكل منطقى وجيد يفيد فى استمرار المبحوث فى الاجابة عنها. وأن تغطى أسئلة صحيفة الاستبيان كل جوانب موضوع البحث. فمثلا إذا كانت فروض البحث تتعلق بقياس اتجاهات الافراد نحو المعاقين بصريا. فيجب أن تتضمن صحيفة الاستبيان أسئلة توفر معلومات عن معرفة الأفراد عن خصائص وسمات المعاقين بصريا ونيتهم السلوكية نحوهم أو سلوكهم الفعلى إن وجد. وتتضمن المرحلة الرابعة تحديد طريقة تنفيذ المسح وهى المقابلات الشخصية، وجمع البيانات من خلال الاتصال الهاتفى أو ارسال صحيفة الاستبيان إلى المبحوثين بالبريد معع اختيار الطريقة المناسبة فى ضوء أهداف البحث أو الفروض العلمية المطلوب اختبارها. وأخيرا وقبل التنفيذ الفعلى للمسح، على الباحث أن يجرى اختبارا قبليا لصحيفة الاستبيان على عينة صغيرة تمثل مجتمع

---

[*] يستهدف مسح الرأي العام التعرف على الآراء والأفكار والاتجاهات والمفاهيم والقيم والدوافع والمعتقدات والتصورات والتأثيرات المختلفة لدى مجموعات معينة من الجماهير تبعا للهدف من إجراء المسح مثل رؤية عينة من الشباب لظاهرة الإرهاب من حيث أسبابها وأهدافها. وموقفهم منها، وتعاملهم السلوكي معها، مع وضع رؤيتهم لطرق حل هذه الظاهرة، وسبل مواجهتها فى المستقبل في ضوء رؤيتهم الحاضرة.

البحث لاختبار مدى توافر الوضوح والشمول والقبول للصحيفة. وعليه تعديل الأسئلة في ضوء ما يسفر عنه الاختبار القبلي.

يقوم فيه جماعة الباحثين باستطلاع رأى مجموعة تمثل عينة عشوائية Random sample على أن يكون أحد أفراد هذه العينة لديه الفرصة كاملة للمشاركة الفعلية في كافة الاستقصاء وباتباع هذا الإجراء فإن المجموعات الفرعية من الأفراد المستهدفة وليكن ذوى الشعر الأحمر مثلا سوف يتم تمثيلهم في الاستقصاء إلى الحد الذي يجعلهم ممثلين لكافة التركيبة السكانية بالمجتمع. وأحد الحقائق المثيرة للدهشة هي أنه باشتراك جماعة مع القائم بالبحث تبلغ ١٢٠٠ شخصا ممن شاركوا في الاستقصاء وتم اختيارهم عشوانيا سوف يتيحون للباحث أن يتأكد بنسبة ٩٥% من أنه بحسب الوصف الذي يتوصل إليه على سكان الإقليم بكامله مع وجود نسبة خطأ لا تتجاوز ٣% أو تقل عن ذلك.

ولاستيعاب ذلك فيمكن أن نتصور إناءا ضخما مملوءا بحبات فاصوليا ٥٠% لونها أحمر، ٥٠% الأخرى لونها أبيض، فإن الشخص الذي يقوم بالتصنيف العشواني لـ ١٢٠٠ حبة من تلك الحبات سيكون متأكدا بنسبة ٩٥% من أنه يفضل بين ٤٧%، ٥٣% من الحبات الحمراء بصرف النظر عن احتواء الإناء على أكثر من ١٠.٠٠٠ مليون حبة من الفاصوليا. فإذا ما تصورنا أن حبات الفاصوليا الحمراء تمثل المؤيدين لأحد مرشحي الرئاسة وأن الفاصوليا البيضاء تمثل المؤيدين للمرشح الآخر فإنه يسهل فهم السبب الذي من أجله تمكن معهد مثل معهد جالوب Gallup لاستطلاع الرأي ومنذ إنشائه عام ١٩٥٠ من التنبؤ الصحيح بنتائج الرئاسة الأمريكية ولم يفشل في ذلك سوى بنسبة خطأ تبلغ ١,٤% فقط ، استطلاع رأى جالوب Gallup ـ فهرست صادر عن المعهد عام ١٩٨٥). Opinion index, 1985.

فإذا ما وضعنا في أذهاننا أن مثل هذه الاستطلاعات لا تتنبأ بنتيجة التصويت الفعلية بل تقتصر على مجرد وصف حالة الرأي العام وذلك في اللحظة التي يتم فيها إجراء استطلاع الرأي (*) ومن السهل أن يحدث تحول في الرأي العام (**) ، والحقيقة هى أنه لا يمكن إجراء استقصاء اتجاهات الرأى العام مرتين، والوصول إلى نفس النتائج حتى لو استخدمنا نفس صحيفة الاستقصاء.. وحتى لو أجرينا نفس الاستقصاء على نفس العينة التى سبق استقصاء رأيها، لأنه من المحتمل أن يغير بعض الأفراد رأيهم فى الفترة الواقعة بين أجراء الاستقصاءين. فالإداة التى استخدمت فى القياس واحدة ـ والعينة واحدة، ولكن المادة التى نلاحظها من خلال هذا الاستقصاء ـ وهى اتجاهات الجمهور (الناس) تغيرت. وهذا ليس عيبا فى المنهج المستخدم، ولا فى المادة التى تدرسها فهذه هى طبيعتها. كما حدث في حالة المرشح الجمهوري (رونالد ريجان) قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية مباشرة في عام ١٩٨٠ وليس الأمر قاصرا على حجم العينة من الأفراد الذين يتم سؤالهم وذلك إذا تصور البعض أن كبر حجم العينة الخاضعة للسؤال يعكس تمثيلا صادقا لحجم السكان الخاضعين للدراسة.

وفى عام ١٩٨٤م قبلت كاتبة أحد الأعمدة الصحفية واسمها (آن لاندرز) Ann Landers أرسلته إحدى القارنات في خطاب لها وذلك بإجراء استطلاع رأى لقارنات هذه

(**) استطلاع الرأي العام: هو ذلك المجال الذي يجمع ما بين علم السياسة وعلم النفس السياسي

الصحيفة وسؤالهم عن أي الأمرين يعتبرونه أكثر إشباعا لهن كإناث، العاطفة المجـردة أم الإشباع الجنسي كان السؤال الذي تم توجيهه هو "هل ستشعرين بالقناعة والرضا إذا قـام الرجل بمجرد ضمك والحنو عليك بدلا من ممارسته الجنس الفعلي؟".

وكانت إجابة ١٠٠ ألف امرأة تعرضت لهذا السؤال هو: ٧٢٥ منـهن أجـابت بنعـم والباقي قلن لا.

وقد أعقب هذا الاستطلاع دعاية واسعة النطاق على مستوى العالم أجمع. وفي ردهـا على سلسلة النقد الذي تم توجيهه لها للقيام بمثل هذا الاستطلاع أجابت لاندرز **Landers**. قائلة: "يصعب القول أن العينة تمثل قطاعا هاما وأمينا من الشعب الأمريكي". ويرجع ذلـك إلى أن عمودي الذي اكتبه تقرأه أناس من كل حدب وصوب وأنا أقدر عددهم بحوالـي ٧٠ مليون مواطن أمريكي.

ولا زال المرء مندهشا هل ٧٠ مليون مواطنا يمكن أن يمثلوا الأمرة الأمريكية بأسرها؟ وهل هؤلاء السبعون مليون قارئا الذين شاركوا في الاستقصاء يصح أن يمثلـوا الـ ٦٩ مليون مواطن الذين لم يشاركوا؟.

ولقد بدأ بوضوح أهمية عملية التمثيل الصحيح في استقصاء الـرأي(*) وذلـك فـي استطلاع الرأي الذي جرى عام ١٩٣٦م وذلك عندما قامت مجلـة أسـبوعية "الخلاصـة الأدبية" بإرسال كارت معايدة لاستطلاع رأى القراء في نتائج انتخابات الرئاسة وبلغ عـدد هؤلاء القراء عشرة ملايين مواطن أمريكي. ومن بين ما يزيد على ٢ مليون بطاقة التي تم إعادتها موضحا عليها توقعاتهم ذهب هؤلاء إلى فوز (ألف لاندون) فـوزا كاسـحا علـى منافسه (فرانكلين روزفلت) الذي أصبح بعد ذلك رئيسا لأمريكا خلافا لتوقعات هؤلاء.

ولكن وبعد أن تم فرز الأصوات بعد ذلك بأيام قليلة لم يفز لاندون إلا بأصوات ولايتين فحسب والسؤال هنا فيما كان خطأ استطلاع الرأي.

وقد يرجع السبب إلى أن المجلة قامت بإرسال بطاقات استطلاع الـرأي إلـى أولئـك الأشخاص الذين حصلت على أسمائهم من دليل التليفونات وهيئات رخص العربات وتسجيلها وهو ما كان يعني إلغاء النسبة الغالبة من المواطنين الذين لم يكـن لديـهم تليفونـات ولا عربات في ذلك الوقت كليج هورن **Cleghorn** ١٩٨٠" (٢٠).

ويؤكد ذلك (بيرلسون وزملاؤه) فقياس رأى فئات جزئية أو مبتسرة من المجتمع هـو أمر مضلل وغير ذات جدوى.

وبمجرد التحديد السليم للعينة التي تمثل القطاع المستهدف بصورة سليمة فإنه يتعيـن على الباحث القائم بالمسح أن يقوم بعملية مضاهاة لمصادر أخرى قد تؤثر بالسـلب علـى أعمال الاستقصاء. وأحد العناصر المؤثرة على إجراء استطلاع قد يتمثل في النظام الذي يتم به توجيه الأسئلة.

(*) يعرف الرأي بأنه مجرد تعبير لفظي عن الاتجاه وأقل عمقا منه، يوجد حين تعجز الاتجاهات عن تمكين الفرد أو الجماعة من مواجهة الموقـف. فالرؤيـة **outlook** تصـور ذهنـي والتصـور **prospect** يعني رؤية الفرد لإمكانيات المستقبل واحتماليته، وتكون هذه الرؤية مبنية على تحليل الحاضر وتشير إلى احتمالات المستقبل القريب والبعيد.

وكان هذا العنصر قد ظهر بوضوح في أحد استطلاعات الرأي على المستوى القومي التي دارت مؤخرا (شومان، لودويج ١٩٨٣ Schuman & Ludwingg) فقد كان السؤال المطروح يقول "هل من الصواب السماح للحكومة اليابانية بوضع القيود على حجم الصناعة الأمريكية التي تباع في الأسواق اليابانية" وكانت إجابة معظم الأمريكيين هي بالنفي "لا". في نفس الوقت فإن ثلثي أفراد عينة مشابهة من الأمريكيين كانت إجاباتهم "بنعم" لنفس السؤال ولكن بأسلوب آخر تم في صياغة السؤال حيث تم سؤالهم بداية "هل يجب أن تسمح الحكومة الأمريكية بوضع قيود على حجم الصناعة اليابانية التي يتم بيعها في الأسواق الأمريكية" ؟ فكانت إجابة معظم الأشخاص هي أن من حق أمريكا أن تضع قيودا على حجم الواردات ولذلك فمن المنطقي السماح لليابان لدى سؤالهم بطريقة معكوسة بممارسة نفس الحق وفرض القيود على حجم الصناعة الأمريكية.

كذلك فإن **أسلوب صياغة الأسئلة** من شأنه أن يؤثر بصورة كبيرة على الإجابات التي يعطيها جمهور العينة الخاضعة للاستطلاع. وقد أظهرت نتائج إحدى استطلاعات الرأي مؤخرا أن نسبة ٧% فقط من الأمريكيين كانت تتصور ضرورة إجراء استقطاع في البرامج الحكومية إذا ما قامت هذه البرامج بتخفيض حجم المساعدة المقدمة إلى المحتاجين. ومع ذلك فقد ذهب ٣٩% من هؤلاء إلى ضرورة وقف تمويل تلك البرامج نهائيا، إذا كانت ستقوم بتمويل برنامج ما كان يطلق عليه "الإعانة الاجتماعية Public Welfare" (مارتى Marty ١٩٨٢). بل إن إحداث تغييرات ذكية في لهجة السؤال من شأنها أن تؤدى إلى إحداث آثار ضخمة "شومان، وكلتون Shuman & Kelton ١٩٨٥".. فاستخدام عبارة مثل "محظور Forbidding" تختلف عن عبارة "غير مسموح Not allowing".

ولكن وفى عام ١٩٤٠ عندما تم طرح استطلاعي رأى متماثلين على جمهور الأمريكيين وكانا يتضمنا السؤال عن "هل تعتقد أن الولايات المتحدة يجب أن تحظر الخطب العامة المناهضة للديمقراطية؟ وكانت الأخرى تقول "هل تعتقد أن الولايات المتحدة يجب ألا تسمح بالخطب العامة التي تناهض الديمقراطية؟".

وجاء رد ٥٤% بتضمن أن الولايات المتحدة يجب أن "تحظر" مثل هذه الخطب بينما قال ٧٥% أن الولايات المتحدة يجب ألا تسمح بمثل هذه الخطب.

وبينما يوافق ٨١% من الشعب الأمريكي اليوم على أن "النساء اللاتى لديهن أطفالا صغار يجدر تمكينهن من العمل خارج المنزل" إلا أن ٧١% يوافقون أيضا على أن "النساء يتعين عليهن البقاء بالمنازل، إذا كانت أطفالهن في السن التي لا تسمح لهؤلاء الأطفال بالذهاب إلى المدارس Public opinion استطلاع رأى عام (١٩٨٤، ١٩٨٥) " **إن نوعية الأسئلة التي يتضمنها استطلاع الرأي لهى مسالة غاية في الأهمية وخاصة إذا كانت الأسئلة تتناول موضوعات تتناقض حولها مشاعر العامة أو يشوبها عدم اليقين** [×].

[×] لست أريد أن تلفت منى هذه الفرصة دون الإشارة إلى أنواع الرأي لتساعد الدارس على عدم الخلط بينها وبين الرأي العام. فأنواع الرأي هي:
- × **الرأي الشخصي:** هو الرأي الذي يكونه الفرد لنفسه بعد التفكير في موضوع معين ويعبر فيه عن نفسه ولا يخشى الجهر به.
- × **الرأي الخاص:** هو الرأي الذي يحتفظ به المرء لنفسه ولا يبوح به إلا للمقربين وأهل الثقة، ويظهر أثره في الرأي العام في حالة الاستفتاء أو التصويت السري في الانتخابات النزيهة.

والآن نعود إلى السؤال الذي طرحناه بداية عن العلاقة التي تربط بين القدر الذي يحصل عليه المرء من التعليم والدخل الذي يتكسبه، وكان يود (مايرز) أن يطرح الباحثين في استطلاع الرأي حول هذه النقطة السؤال على عينة عشوائية من الأمريكيين البالغين وذلك في أسئلة مباشرة بلا لبس تستهدف معرفة دخول هؤلاء تحديدا ومستوى التعليم الذي حصلوا عليه. **(الرأي العام هنا يعطينا صورة دقيقة لكيف يفكر الناس ولكنه ليس مسئولا إذا كان هذا التفكير صوبا أم خطأ، وما إذا كان يتفق مع النوايا الطيبة أم لا)** (××).

ومن حسن الطالع أن هذا الاستقصاء قد تم، فقد قام (كرستوفر جينكز **Christopher Jenks** عام ١٩٧٩) باستخلاص البيانات التي أسفرت عنها استطلاعات رأى مختلفة بلغت إحدى عشر استطلاعا للرأي على المستوى القومي.

والخلاصة التي توصل إليها جينكز هي: أن الذكور البيض من الشعب الأمريكي الذين استكملوا دراستهم الجامعية يزيد دخلهم بما يعادل ٤٩٥ عن أولئك الذين لم يستكملوا دراستهم. وإن هذه النسبة تزيد بالنسبة للأمريكان السود. وفى استقصاء للرأي أجريت مؤخرا ثبت صحة هذه الأرقام وإن كان هناك اختلافا طفيفا.

فعلى سبيل المثال فإن متوسط عائدات الذكور خريجي الجامعة يبلغ ٢ مليون دولار للفرد الواحد طوال حياته (بقيمة الدولار أثناء عام ١٩٨١م) بينما بلغت عائدات الفرد الحاصل على شهادة المدرسة الثانوية حوالي واحد وثلث مليون دولار وهو ما يمثل نسبة ٤٠% فارق عن الأمريكي الحاصل على مؤهل جامعي (المجلس الأمريكي لشئون التربية **American council on education** .(١٩٨٣

توضح هذه النتائج أحد المزايا الهامة لأبحاث استطلاع الرأي فهذه الأخيرة توفر العديد من البيانات التي يتم استخلاصها من العينات الخاضعة للبحث والتي تعبر عن "العالم الحقيقي" **Real World**. والآن يتساءل (مايرز) هل نجحنا في إجابة السؤال الذي طرحناه بداية عن الأثر الذي يترتب على الحصول على شهادة جامعية على الدخل للفرد؟ وبفرض استمرار المؤشرات الحالية على ما هي عليه فهل يمكن أن نتفق في الرأي مع أولئك الذين التحقوا بالكليات على ظن أن الدراسة الجامعية هي طريق الرخاء الاقتصادي؟.

قبل أن نشرع في الإجابة لابد وأن نلقى نظرة فاحصة أولا فنحن نعلم يقينا أن التعليم الرسمي له علاقة وثيقة بدخل الأفراد. فهذه مسالة لا يرقى إليها الشك.

ولكن السؤال هو هل التعليم يعنى بالضرورة الحصول على دخل أفضل؟ ربما يستطيع المرء أن يحدد عوامل بخلاف التعليم يكون من شأنها تفسير تلك الرابطة بين التعليم والدخل

× رأي الأغلبية: رأى ما يزيد عن ٥٠ % من أعضاء الجماعة.

× **الرأي الائتلافي**: اتفاق بعض الآراء في وقت معين وتحت ظروف محددة تتطلب الائتلاف برغم ما يكون بين مختلف الفئات من تنافر وتناقضات إزاء مشكلة أو موقف تحت ظروف خاصة وضغوط طارئة.

× أما **الرأي العام**: فهو (تعبير) الجماهير الشعبية أو المجتمع عن رأيه ونقده ومشاعره وأفكاره ومعتقداته واتجاهاته في وقت معين بالنسبة لموضوع معين، بالنسبة لموضوع يخصه أو مشكلة تؤرقه. مثل حوادث الاغتصاب أو اعتداء الإرهابيون على السياح ــ فهو (حكم) تصدره الجماهير على عمل أو حادثة أو سياسة معينة في المجال الداخلي أو الخارجي، فهو تعبير إرادي جماعي كامن أو ظاهر، لفظي أو حركي، منبعث من الجماعة.

(××) المؤلف (المترجم).

التي يحصل عليه المرء (نطلق على هذه العوامل المتغيرات حيث أن الأشخاص تتفاوت أيضا بالنسبة لهذه العوامل). ترى ما هو تأثير الحالة الاجتماعية للأسرة مثلا؟.

قد لا يكون للحالة الاجتماعية للأسرة تأثيرا مباشرا بحيث يجعل نسبة مرتادي الكليات أكبر في الأسرة الميسورة؟ ربما يكون مجموعة من هذه العوامل من شأنه أن يؤدى إلى الحصول على دخل أكبر دون أن يكون للحصول على شهادة جامعية أي أثر يذكر.

أو ربما تكون هناك رابطة وثيقة بين التعليم والدخل نتيجة لأن الأشخاص الذين يولدون لأسر ثرية في المقام الأول يسهل عليهم توفير نفقات الدراسة في الجامعة وهكذا..

الرابطة والسببية Correlation & Causation [×]

إن مسألة العلاقة بين التعليم والدخل الذي يحصل عليه المرء توضح الخطأ الذي يصعب التغلب عليه والذي وقع فيه كل من علماء علم النفس الاجتماعي الهواة والمحترفون على السواء.

فعندما يجد المرء عنصران يستحيل الفصل بينهما كالتعليم والدخل فإنه يصبح أمرا شديد الجاذبية لكي يذهب المرء إلى القول بأن أحدهما يتسبب في حدوث الآخر وهو الاستنتاج الأسهل قبولا. وإذا علمنا أن عدد طيور أبو قردان في المدن الهولندية المختلفة حدث أن تناسب مع عدد الأطفال المولودة في كل من هذه المدن فإن مسألة مثل هذه لن تغريك على الشروع في السعي لرسم علاقة بين الأمرين (كانت الأسطح هي المواقع التي يقوم الطائر باتخاذها عشا له وعلى ذلك فإن المزيد من الأسطح يعنى مزيدا من الطيور وبالتالي مزيدا من الأطفال المولودين ما دامت هناك علاقة".

الأوفق إذن أن نشرع في اعتبار العلاقة التي تربط مسألة الرابطة والسببية ونبني هذه العلاقة في نطاق علم النفس.

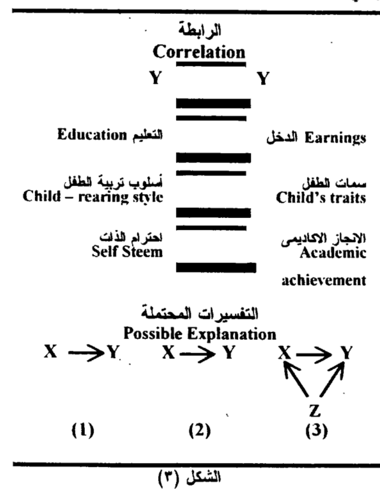
فإذا أخذنا على سبيل المثال أسلوبا معينا في تربية الأطفال وربطنا بينه وبين السمات المعينة التي يتميز بها الأطفال الذي تم تربيتهم بهذا الأسلوب فما هو الاستنتاج الذي يمكن الخروج به من تلك الدراسة؟

وعلى سبيل المثال أيضا فإنه إذا كان "فرويد" قد تصور أن الأطفال الذين يتم تعنيفهم بشدة لكي يتعودوا على الذهاب إلى دورة المياه بدلا من التبول على أنفسهم يتسمون بالعصبية والاندفاع فهل من شأن هذا الاستنتاج أن يرفع من أسهم النظرية التي أطلق عليها اسم "نظرية فرويد في تكوين الشخصية".

إن السعي للربط بين مسألتين يجعل من السهل أن تثور مع هذه المحاولة ثلاثة احتمالات ممكنة (أنظر الشكل١). وكذلك تأثير الأب والأم على الطفل أثناء تربيته (X---Y)

[×] تعامل الدراسات السببية كما تعامل الدراسات الارتباطية على أنها نوع من الدراسات الوصفية، حيث أنها تقوم بوصف وقائع تم حدوثها قبل المباشرة بإجراء الدراسة – ولا يملك الباحث أي إمكانية للتحكم فيها – وبالإضافة إلى الوصف تحاول الدراسة السببية (العلية – المقارنة) أن تحدد الأسباب والدوافع التي تقف وراء الظاهرة موضوع الدراسة. فإنه بعد أن يتبين وجود فروق واضحة بين المجموعات الداخلة في الدراسة على عدد من المتغيرات، يعمل على إيجاد الأسباب التي أدت إلى هذه الفروق عن طريق المقارنة بين تلك المجموعات. ويشار إلى هذا الأسلوب عادة باسم الدراسات الاسترجاعية Expost Factor لأن الباحث يقوم بدراستها بشكل رجعي (المؤلف).

هو أيضا أحد هذه المحاولات. ورغم ذلك فقد تعتريك الدهشة لدى الإطلاع على الأدلة القوية التي تثبت أن للأبناء تأثيرا على الآباء (Y—X) (بيل، هاربر Bell & Harper ١٩٧٧م) أو ربما أيضا وكتفسير ثالث يوضحه الشكل (١) فهناك مصدرا مشتركا لأسلوب تربية الطفل والسمات التي يكتسبها الطفل. وربما كانت طبائع كلا من الأب والأم، والطفل أيضا مستقرة وعميقة الجذور في الصفات الجينية المشتركة.



الشكل (٣)

عندما تكون هناك علاقة متبادلة بين متغيرين فإن هناك
إمكانية للربط بين ثلاثة تفسيرات

أو ربما كان الأسلوب الذي اتبع لتعويد الطفل على الذهاب إلى دورة المياه وشخصية الطفل ذاته كلاهما نتيجة لشكل العلاقة بين الأبوين والطفل. ومثال ثان آخر لنحاول النظر إلى العلاقة التي تربط بين احترام الذات والإنجاز الأكاديمي الذي يحرزه المرء. فالأطفال الذين يتسمون بقدر كبير من الاحترام للذات يميلون أيضا لإحراز إنجازا أكاديميا كبيرا في المستقبل (كما في العلاقة التي تربط بين الأشياء يمكننا أيضا الذهاب إلى أن شكل العلاقة يمكن أن يأخذ صورة أخرى: فإن من يحرز مكانة أكاديمية متميزة يميل إلى الاعتزاز بنفسه واحترام ذاته).

والسؤال هو لماذا توجد علاقة بين الانجاز الأكاديمي واحترام الذات؟ يذهب البعض إلى أن إعلاء المرء من شأن نفسه هو ظاهرة صحية تسهم في تحقيق الإنجاز الأكاديمي. وعلى ذلك فإن الإعلاء من مكانة الطفل يؤدى إلى إعلاء إنجازه الأكاديمي في المدرسة.

ولكن هناك آخرون يذهبون إلى أن الإنجاز الكبير الذي يحرزه المرء يتولد عنه إحساسه بمكانته المتميزة وبالتالي يحافظ على احترامه لذاته.

ولكن الدراسة الفاحصة لعينة ضمت ١٦٠٠ شابا صغير السن أجراها كل من جيرالد باتشمان وباتريك أومالى Jerald Bachman and Patrick O. عام (١٩٧٧) وكذلك دراسة أخرى قام بها جيوفرى ماريرما وآخرون على عينة شملت (٧١٥) شابا صغيرا من ولاية مينسوتا (عام ١٩٨١) هذه الدراسات كشفت عن حقيقة مذهلة وهى أن احترام الذات والإنجاز الأكاديمي لا تقوم بينهما علاقة عابرة وسطحية فحسب بل إن هذه الرابطة تستن إلى أساس متين من الذكاء والمكانة الاجتماعية للأسرة التي ينتسب إليها هؤلاء المتفوقون.

وفى محاولة هؤلاء الباحثين إلى استخراج تأثير الذكاء والمكانة الاجتماعية للأسرة تبخرت على الفور العلاقة بين الإنجاز الأكاديمي واحترام الذات لتداخل أكثر من عامل مما أدى إلى حدوث لبس وخلل. وبنفس الطريقة فقد قام جون ماكارثى ودين هوج John Mc-Carthy & Dean Hoge (١٩٨٤) بتقديم أدلة لفحص الفكرة التي تربط بين إهمال الأباء لأطفالهم وعدم احترام هؤلاء الأطفال لذاتهم وضاعة مكانتهم الاجتماعية فيما بعد فبدلا من وجود العلاقة التي قالوا بأنها غير موجودة ذهبت دراستهم التي غطت (١٦٥٨) طفلا مراهقا إلى أن الطبيعة المهملة لهؤلاء الأطفال وأفعالهم هي التي تؤدى بهم إلى المكانة الاجتماعية المتدنية فيما بعد.

باختصار فإن البحث الذي يستند إلى رابطة متينة هو ذلك البحث الذي يحدث في بيئة فعلية ويتيح فحص عوامل هامة مثل الجنس، العنصر، والتعليم وهى الأمور التي يستحيل توافرها في المعامل.

وإن البحث الرديء هو ذلك الذي يستند إلى نتائج غامضة ومبهمة فإذا ما علمنا أن أمرين متغيرين مثل التعليم والدخل يسيران معا علوا وهبوطا فإن هذا من شأنه أن يمكننا من التنبؤ بما سيكون عليه الآخر لو قمنا بتثبيت أحد العاملين ومعرفة كل جوانبه.

بيد ان هذا الأمر لا يصح أن يترتب عليه نظرية السبب والنتيجة ومن حسن الطالع أن الأساليب التي تقوم على الإحصاءات قد أمكن تطورها في عالم اليوم وهو ما يعنى إمكان بناء علاقات بين السببية والنتيجة بواسطة الباحثين في مجال الربط بين العوامل المختلفة وهؤلاء الباحثون بمقدروهم بناء تلك العلاقات إما بفصل العوامل المرتبطة بصورة وثيقة (مثل التعليم، المكانة الاجتماعية للأسرة، المهارة الأكاديمية) وذلك بعزل التأثير الممكن التنبؤ به لكل عنصر أو بالأخذ في الاعتبار أهمية تتابع الأحداث (على سبيل المثال بتحديد ما إن كانت التغيرات في الميل لتحقيق الإنجاز تسبق أو تلي التغيرات في الميل لاحترام الذات). ولكن الجزء المتعلق بالجانب الأخلاقي يظل كما هو فالأبحاث التي تحاول استنباط الرابطة بين العوامل المختلفة تعجز عن أن تحدد لا بصورة قاطعة ما هو العامل الذي يسبب الآخر. وهو ما يجعلنا نتساءل إذن ما فائدة تلك الأبحاث؟ إن علم الفلك هو وبالضرورة علم

يقوم على إيجاد الرابطة بين الأشياء فعلماء الفلك يرصدون ويلاحظون الأشياء ثم يقومون بالربط بين حركات الأجسام السماوية فمن منا لم يبهره الدقة المتناهية التي يستطيع من خلالها علماء الفلك التنبؤ بوقت ومحل حدوث خسوف الشمس التالي؟ وبنفس الطريقة فإن علماء النفس يلاحظون ويربطون بين المتغيرات مثل سمات الشخصية والموهبة التي تتكون عبر فترات زمنية طويلة. إن هناك أمورا يعجز الباحث عن استغلالها والاستفادة منها في معمله وعندما ينجح الباحثون في الطبائع الإنسانية في تحديد كيفية تنبؤ تأثير الطبائع التي يتميز بها الأشخاص في أسلوب عمل هؤلاء وأدائهم مستقبلا فإنه مثل هذا البحث جدير بالإعجاب لأنه يقوم على الربط والاستقراء (*).

ولكي نجمل بحثنا فإن العلم الذي يسعى لخلق روابط بين العوامل المختلفة هو علم استقرائي بالمستقبل والتنبؤ بالأشياء هو أحد الأهداف الرئيسية لكل علم من العلوم.

إن معرفة أن متغيرين توجد بينهما رابطة يتيح لنا التنبؤ بما سيكون عليه أحد هذين المتغيرين وبالتالي معرفة الآخر. ولكن التنبؤ ليس تفسيرا يقوم على السببية والنتيجة. وعلى ذلك فإن الرابطة بين الأشياء يستحيل أن تجعلنا ندرك مقدما بما أن كان تغير أحد المتغيرات (مثل التعليم مثلا) سوف يترتب عليه تغيرات في عامل آخر متغير (مثل الدخل مثلا).

البحث التجريبي Experimental Research Control

– السيطرة على أعمال البحث التجريبي

إن استحالة التعرف على السبب والنتيجة في المسائل المرتبطة بصورة طبيعية والتي تحدث حولنا، دفع معظم علماء النفس الاجتماعي إلى إجراء تجارب معملية على مقلدات (تلك المسائل التي تحدث بصورة يومية وذلك كلما كان خلق هذه الأشياء ذو جدوى ولا يتعارض مع القيم الأخلاقية). ويمكن أن نقوم بالربط بين هذه الأحداث التي يتم تقليدها في الحياة اليومية وبما يقوم به مهندسو الفضاء الكوني.

فمهندسو الفضاء يبداون أبحاثهم بملاحظة الأسلوب الذي يتم به تحليق الأشياء في الفضاء وهى بيئة شديدة التنوع، ولكن التغيرات في الظروف الفضائية وطيران الأشياء هي متغيرات شديدة التعقيد للدرجة التي قد تنتهي بهؤلاء المهندسون إلى الوقوع في معضلة تتعلق بكيفية استغلال البيانات المتاحة لتصميم مراكب فضائية وطائرات افضل لتحمل هذه الظروف. وعلى ذلك فبدلا من ذلك يقوم هؤلاء المهندسون بخلق بيئة مقلدة باستخدام المقلد وهى البيئة التي يمكن التحكم والسيطرة عليها وهى التي يطلق عليها النفق الهوائي.

(*) إن الهدف الذى يسعى إليه المنهج الاستقرائى هو الإهتداء إلى العلاقات التى تربط ظاهرة ما بسببها المباشر أو بمجموعة الظروف التى لابد من وجودها، حتى تتحقق تلك الظاهرة. وإن وظيفة العلم هى الوقوف على العلاقات القريبة بين الظواهر وإن القوانين آخذت تحتل مكان الاسباب فى العلوم المتقدمة، وهذا هو ما إهتدى إليه ابن خلدون من قبل منذ القرن الرابع الميلادى فهو يقول عن الاستقراء العلمى ثم يقول إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد فى الحقائق، وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر، ويتمرن على ذلك، حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكه له. فيكون بذلك علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا. أى ينتقل من ذرات الأمثلة الجزئية حتى يصل إلى القاعدة مستخدما بعض الأساليب المحددة

وهكذا أصبح الآن بإمكانهم استغلال الظروف التي تصاحبها رياح شديدة وكذلك تحديد التأثير الذي تسببه الرياح العاصفة بصورة دقيقة على هيكل الأجنحة لمركبة الفضاء.

وبنفس الطريقة التي لجأ إليها مهندسو الفضاء فإن علماء علم النفس الاجتماعي يجرون تجاربهم بخلق ظروف ومواقف اجتماعية تشابه وتقلد السمات الرئيسية لحياتنا اليومية. وبإدخال تغيير على عنصر واحد أو عنصرين في نفس المرة الواحدة، مع تثبيت باقي العناصر فإنه يصبح بمقدور القائم بالتجربة تحديد الأثر الذي تحدثه التغيرات في عنصر واحد أو أكثر على السلوك الإنساني.

وبنفس الطريقة التي ساعد بها النفق الهوائي المهندس الفضائي على اكتشاف المبادئ الأساسية للديناميكا الفضائية (الايروديناميكس) فكذلك تمكن التجربة عالم النفس الاجتماعي من اكتشاف المبادئ الأساسية للتفكير والتصور الاجتماعي والتأثير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية. وكما كان الهدف الرئيسي من عمل مقلدات النفق الهوائي هو مساعدتنا على فهم والتنبؤ بخصائص الطيران للمركبة الفضائية شديدة التعقيد فإن علماء علم النفس الاجتماعي أيضا يستطيعون إجراء التجارب لكي يستطيعون استيعاب وفهم السلوكيات الاجتماعية ثم التنبؤ بحالها [×]، والأسلوب التجريبي يستخدم في حوالي ثلاثة أرباع دراسات البحث في مجال علم النفس الاجتماعي (هيج بيي وآخرون عام ١٩٨٢)Higbee et al وفى كل بحثين من ثلاثة أبحاث يكون البيئة التي جرى فيها هذا البحث هي البحث المعملي (ايدير وآخرون عام ١٩٨٥ – Adair et al).

ولإيضاح هذا الأمر فإن دراسة تهدف لمعرفة تأثير مشاهدة التليفزيون على الأطفال وسلوكياتهم، قمنا في الفصل الثالث بمناقشتها من خلال التساؤل: هل تؤدى مشاهدة العنف في التليفزيون إلى أن يصبح الأطفال عدوانيين؟ قد كشف عن أن الأطفال الذين يكثرون من مشاهدة البرامج التليفزيونية العنيفة يميلون لانتهاك مسلكا عدوانيا بصورة أكبر بكثير عن أقرانهم الذين لا يشاهدون هذا النوع من البرامج إلا فيما ندر. وهذه الدراسة تعنى أن الأطفال يتلقون قدرا من سلوكياتهم مما يرونه على شاشات التليفزيون.

ولكن وآمل أن تكون قد أدركت الآن بحسك الشخصي أن مثل هذا الاستنتاج والنتيجة هي مسالة ترتبط بالعديد من العوامل الأخرى. والشكل ١٩٠ يعيد إلى الأذهان حقيقة أن هناك على الأقل تفسيران قد يوحيا بأن التليفزيون ليس هو وحده المسئول عن ظاهرة العنف لدى الأطفال إن هناك عوامل أخرى تؤدى لتلك الظاهرة (ترى ما هي تلك العوامل؟).

ولذلك قام علماء النفس الاجتماعي بعرض برامج تليفزيونية في معامل الأبحاث خاصتهم حيث يصبح بمقدورهم تعريض الأطفال إلى برامج عنيفة أو غير عنيفة ثم مشاهدة الأثر الذي تحدثه مشاهدة هذه البرامج على سلوكيات هؤلاء الأطفال.

[×] هكذا يمكن القول بأن التجربة ليست فى حقيقة الأمر إلا ملاحظة مثارة، لأن المجرب يفكر ويقارن ويحاول تحقيق الشروط التى تتلائم مع الهدف الذى يرمى إليه، وهو الكشف عن أحد القوانين. وهو لا يستطيع ذلك إلا إذا وجه اسئلته إلى الطبيعة، ولكن بمجرد أن تتكلم الطبيعة يجب عليه أن يلزم الصمت، وأن يلاحظ ما تجيب به، وأن يسمعها حتى النهاية، وأن يخضع فى جميع الحالات لما تمليه عليه.

وعلى سبيل المثال فقد قام ،روبرت لايبرت وروبرت بارون Libert and Robert Baron عام ١٩٧٢) بتعريض أطفال صغار من ولاية اوهايو لمشاهدة برامج تليفزيونية تتضمن مقاطع من أفلام عصابات ومشاهد مطاردة مثيرة وقد ظهر بعد هذا أن الأطفال الذين تم تعريضهم لمشاهد العنف كانوا يقومون خلال المشاهدة بالضغط لا إراديا على زر أحمر وهو ما كان من شأنه أن يؤدى إلى نقل إحساس بالألم لطفل آخر (في الحقيقة أنه لم يكن هناك طفلا آخر وعلى ذلك فلم ينتقل الألم لأي شخص). وقد أوضحت التجربة أن التليفزيون يمكن أن يكون أحد أسباب السلوك العنيف والعدواني لدى الأطفال.

وكما يتضح من تلك التجربة فإن مجال علم النفس الاجتماعي هو مجال فعال وقد يرجع ذلك جزئيا إلى أن هذا العلم يقوم بالمزج بين تجربة الحياة اليومية والتحليل المعملي.

وفى بحثنا الذي سيمتد ليغطى كل هذا المؤلف سنستند كلية إلى المعلومات التي يتم استنباطها من التجربة(×) بصورة رئيسية وأكثر الأمثلة التوضيحية التي سنسوقها هي نتاج الحياة اليومية.

والأحاسيس المستمرة من واقع الحياة اليومية قد كانت بمثابة الملهم لكثير من الأبحاث المعملية وقد أدى مثل هذا البحث المستند إلى واقع يومي لإيضاح جوانب على قدر كبير من الأهمية عن الطبيعة الإنسانية مع تعميق إدراكنا بطبيعة المهام والجوانب التي لم يتم الكشف عنها بعد. ويتضح هذا التداخل الحيوي بجلاء في البحث الذي جرى لدراسة اثر مشاهدة التليفزيون على سلوك الأطفال.

كذلك فإن ما يراه الناس في الحياة اليومية دفع إلى إجراء بعض التجارب التي تسعى لاختبار التأثير الفعلي لمشاهدة التليفزيون. وقد أصبح صناع السياسة بالحكومة وواضعي برامج التليفزيون على دراية تامة الآن بنتائج هذه التجارب.

لذلك فإن ما نراه في الحياة الفعلية يمكن أن يخضع للدراسة الفاحصة في التجارب المعملية واستخلاص نتائج لتطبيقها على المشاكل الاجتماعية لحلها. ومع ذلك فإن تعميم النتائج المعملية على الجوانب الحياتية يجب أن يؤخذ بحذر شديد فالمعمل ورغم المساهمة القيمة التي يقدمها لنا في الكشف عن بعض الأسرار الجوهرية التي تميز الوجود الإنساني إلا أنه أي المعمل لا يزال واقعا محدودا لا يصح تعميم نتائجه كلها، فالمعمل يتيح لنا التعرف على الأثر الذي قد يسببه العامل المتغير (×) في حالة تثبيت باقي العوامل الأخرى وهو المر الذي يستحيل إتمامه في غمار زحمة وتعقيد الحياة اليومية الحالية. فضلا عن ذلك وكما سنرى عزيزي القارئ فإن المشاركين في الكثير من تجارب علم النفس الاجتماعي هم في الأغلب من طلاب الجامعات. وصحيح أن هذا قد يعين الدارس مثلك على تصور وتقبل ومعايشة تلك التجارب لأنها تصدر عن أناس مثلك ولكن عليك ألا تنس أن طلبة الكليات ما هم إلا إحدى العينات العشوائية لبعض من الفئات الإنسانية الأخرى. فهل ستكون النتائج

(×) ما يود أن يوضحه المؤلف هنا: إن التجربة تعتمد على المقاييس ولكنها أوسع منها واشمل. فالمقاييس تصف المتغيرات، ولكن التجربة تصف العلاقة بين اكثر من متغير وعلى تدخل الباحث بتغيير عامل أو أكثر تغييرا منتظما محددا وقياس الأثر الناتج عن هذا التغير واستخلاص العلاقة بين المتغيرات المثيرة والتغير المنتظم الذي نتج عن هذا التأثير.

التي حصلنا عليها في حالة إشراك طلبة الجامعات هي نفسها لو أشركنا أناس ذوى أعمار أخرى مختلفة أو درجات علمية ومستويات أخرى أو ثقافات مختلفة؟

سيظل هذا دائما سؤالا بلا إجابة رغم أن التجربة قد علمتنا أهمية التمييز بين محتوى التفكير الإنساني والتصرف وبين مسلك هؤلاء وبين الأعراف المعمول بها وكذلك الطريقة التي يفكرون بها ويتصرفون على أساسها وكيف أن مسلكهم يؤثر على تصرفاتهم والعكس صحيح، ولاشك أن التفاوت الثقافي بين الأشخاص يؤدى إلى تفاوت الآراء التي يعتنقها أصحاب الثقافات المختلفة كذلك الاختلاف في طريقة التفكير والمحتوى الفكري.

وقد انتهينا وحتى الآن إلى أن الغرض من إجراء التجارب العملية هو أمر بسيط للغاية فإن خلق والتحكم في واقع محدود ومصغر يمكن من خلاله تغيير عنصر واحد وتثبيت باقي العناصر وسوف يعيننا على معرفة كيف أن هذه العوامل مفردة أو مجمعة تؤثر على السلوك الإنساني. إن التجربة المعملية تسمح لنا باختيار الأفكار التي نستخلصها من الواقع اليومي وبانتهاج قدر كاف من الحذر نستطيع أن نربط بين ما نتوصل إليه من نتائج وبين الحياة الفعلية.

والآن لنتقدم خطوة أخرى إلى الأمام ونرى كيف يتم تنفيذ التجربة العملية فإن لكل تجربة في مجال علم النفس الاجتماعي مكونين أساسيين الأول: وهو الذي قد عرضنا له حالا ويتمثل في السيطرة على هذه التجربة بحيث نتحوط لتعميمها وأن نقوم باستغلال عنصر أو اثنان مع تثبيت باقي العناصر، أما المكون الثاني: الهام فهو التكليف العشوائي.

الاختيار (التكليف) العشوائي(*): المتعادل الأكبر:

Random Assignment: The Great Equalizer

كما تذكر فقد أحجمنا عن أن نختص خريجي الكليات بصفة أصحاب الدخول الأكبر لأن خريجي الكليات يستفيدون ليس فقط من فرصة التعليم المتاحة لهم فحسب ولكن أيضا من الخلفية الاجتماعية المتميزة التي أوصلتهم للدراسة الجامعية والقدرات وغيرها من الإمكانات. وعلى ذلك فإن الباحث يتعين عليه أن يقوم بقياس كل من هذه العوامل الأخرى المحتملة ثم يرصد المزيات المتعلقة بالدخل التي تعود على خريج الجامعة بسبب تمتعه بها أو التي يتوقعها خريج الجامعة من تلك العوامل.

ولكن هناك حقيقة أخرى تتمثل في أن الباحث يستحيل عليه التنبؤ بالعوامل المحتملة الأخرى والتي قد تميز خريج الجامعة عن غيره من غير الخريجين. والتفسيرات البديلة في هذه الحالة لإيجاد رابطة بين تلك العوامل قد تكون لا نهائية.

فالتفاوت في الدخول قد يكون مرجعه الاختلاف العرقي أو المكانة الاجتماعية المتميزة أو المظهر الحسن أو لأي من آلاف العوامل التي لم تخطر على بال الباحث. وعلى ذلك

(*) إن الاختيار العشوائي يمكن أن يقودنا إلى مجموعتين متكافئتين بشرط أن يكون الباحث دقيقا وغير متحيز للمجموعة الضابطة. وبذلك فإن مجموعات الدراسة يتوقع أن يكون لها نفس الآراء تقريبا على المتغير التابع إذا كان المتغير المستقل لا يؤدى إلى وجود فروق معنوية وكلما كبر حجم المجموعات عن (١٥) كلما زادت الثقة في فعالية العملية العشوائية في إيجاد مجموعات متكافئة.

لنطلق العنان لخيالنا في الوقت الحالي ونرى كيف يمكن إحداث تعادل لتلك العوامل المربكة في خطوة واحدة.

ولنفترض أن أحد الأشخاص قد منحك السلطة لاصطحاب مجموعة من خريجي المدارس الثانوية وتكليف بعضهم بالالتحاق بالكلية وتكليف البعض الآخر، بمهام أخرى وسيكون أمام كل واحد من هؤلاء فرصة متكافئة للالتحاق إما بالكلية أو بعمل آخر لا يرتبط بالكلية توجده ظروف التجربة.

وعلى ذلك فإن الأفراد المشكلين للمجموعتين سيتمتعون بنفس الوضعية العائلية والمظهر والمواهب بصورة متعادلة قدر الإمكان. ومن شأن الاختيار العشوائي لمن سينضم إلى مجموعة طلاب الجامعة ومن سينضم إلى العمل غير الجامعي أن يؤدى إلى معادلة اثـو كل العوامل السابقة والمتعددة وأية فروق في الدخل ستحدث فيما بعد بين أفراد هاتين المجموعتان لن يكون مرجعها إلى أي من هذه العوامل بل سيكون مرجعها إلى العنصر المتغير الذي تم في التجربة. وبنفس الطريقة فإنه إذا ثبت أن الأناس الذين يقيمون في غرف غير مغطاة بشباك معدنية على أبوابها هم الذين يصابون بالملاريا وذلك في بحث عن الإصابة بالملاريا في أمريكا الوسطى، فإن هذا لا يصح أن يعنى أن عدم وجود الشباك المعدنية على الأبواب هو الذي يؤدى إلى الإصابة بالملاريا فحسب ولكن التجربة توضح أن عدم وضع الشباك يمكن أن يكون أحد أسباب الإصابة وليس هو السبب الوحيد فحسب.

العامل المراد قياسه	المعالجة	الظرف		
الدخـــل	الذهاب للكلية	تجريبى		
			⇉	النبل
الدخـــل	عدم الذهاب للكلية	ضابط		

شكل (٤) : تكليف عشوائي لمجموعة من الأشخاص إما للمرور بتجربة تلقى تعليم جامعي أو للخضوع لبيئة تحت السيطرة وهو ما يحول دون وقوع محل التجربة لمؤثرات العوامل المتعددة الأخرى.

العوامل الأخلاقية التي ترتبط بالتجربة العلمية:

The Ethics of Experimentation.

في المثال الذي سقناه على الدراسة بالكلية أوضحنا أن بعض التجارب قد لا تتسم بالمعقولية والجدوى أو قد تفتقر إلى القيمة الأخلاقية. وعلماء علم النفس الاجتماعي لن يسعوا إلى استغلال دوافع الأشخاص لإجراء تجاربهم مهما كانت الظروف. كل ما يحدث أنه في مثل هذه الظروف فإن الاعتماد يتم على الأسلوب الذي يقوم باستنباط العلاقة ثم نحصل من تلك العلاقة على كافة المعلومات التي نسعى للحصول عليها.

وفى حالات أخرى كما في حالة دراسة تأثير التليفزيون على الأطفال فإننا نقوم باختصار بتعديل التجربة الاجتماعية للأشخاص لنستنبط تأثيرها على العوامل الأخرى. وأحيانا أخرى ما يكون تناول التجربة خاليا من الضرر بل وقد يكون الأمر كله مجرد متعة تدفع الأشخاص إلى التعاون وإعطاء خلاصة تجاربهم طواعية إلا أنه في أحيان أخرى يجد الباحثون أنفسهم وقد انتهى بهم المقام في تلك المنطقة الواقعة بين المخاطرة وعدم الخوف من حدوث ضرر من التجربة، وغالبا ما يميل علماء علم النفس الاجتماعي إلى الزج بأنفسهم في تلك المنطقة المجهولة أخلاقيا عندما يجرون تجارب تتعلق باختبار أفكار الأشخاص ومشاعرهم.

إن إجراء تجارب في مجال علم النفس الاجتماعي لا تحتاج إلى (ما أسماد اليوت اندرسون ومارلين بروير وميريل كارل سميث **Ellyout Anderson & Merillk Carl Smith, Marilyn Brewer** ١٩٨٥) الواقعية المادية **mundanerealism** السلوك داخل المعمل (على سبيل المثال توجيه صدمات كهربية كجزء من التجربة التي تستهدف دراسة السلوك العدواني، لا يجب أن يكون مطابقا حرفيا للسلوك اليومي الفعلي بحيث يستلزم إجراء تجارب خطيرة كتلك. وبالنسبة للعديد من الباحثين فإن هذا النوع من الواقعية، حقيقة ليس أمرا ذا أهمية كبيرة **indeed, a not- too important, mud-one matter.** ولكن التجربة يجب أن تتصف بالواقعية التجريبية والقدرة على استيعاب وإشراك الأشخاص.

ولا يحتاج القائمون بالتجربة من الأشخاص المشاركون فيها أن يمثلوا أو يزيفوا مشاعرهم وأدائهم خلال التجربة بل هم يسعون إلى الحصول على عملية نفسية طبيعية بلا زيف أو تمثيل. وإجبار أشخاص على الاختيار بين توجيه صدمات كهربية شديدة أو معقولة لأشخاص آخرين قد يكون إجراءا واقعيا لإظهار السلوك العدواني.

وكثيرا ما يتطلب بلوغ الواقعية التجريبية القيام بخداع المشاركين في التجربة فإذا كان الشخص الموجود في الغرفة المجاورة لا يتلقى صدمات كهربية بالفعل وهى التي يوجهها المشاركون في التجربة فإن التجربة إذن لا تسعى إلى إعلام المشاركين في التجربة بهذه الحقيقة.(مليجرام – ١٩٧٤ **Milgram,S.**).

لقد قام أحد علماء علم النفس الاجتماعي وهو "ستانلى ميلجرام" تجربة عملية عن نتائج طاعة السلطة تعتبر "من أحسن وأفضل التجارب التي أجريت في العقد الأخير من تطور علم النفس (٣٠،٤:١٧٤،١٧٥).

- أما الأساس النظري الذي يستند إليه "ميلجرام" فهو بسيط:

" إن طاعة السلطة والخضوع لمن هو أقوى خاصيتان يعرضهما الموقف الاجتماعي بكل ضغوطه على الفرد" فباسم طاعة السلطة قد نجد أنفسنا مرغمين على الدخول في جوانب غير إنسانية من السلوك كتعذيب الآخرين والتخطيط لهلاكهم، وحرمانهم من احتياجاتهم البشرية. وهى جوانب من السلوك قد ينكر الفرد بينه وبين نفسه مقدرته على القيام بها.

- أما البناء العام للتجربة فبالرغم من أن الضحية لم يتألم، فإن القائم بدور المعلم وهو بؤرة التجربة كان يتألم. ويشكو عاليا ويعارض الاستمرار في القيام بهذا الدور. إلا أن المجرب كان يجيبه بأنه لا اختيار لك، يجب عليك أن تستمر، إنني (أي المجرب) أتحمل كل المسئولية. لهذا لم يكن أمام المعلم إلا الخضوع للسلطة والاستمرار في توجيه

الصدمات. أو الرفض الواضح والخروج من المعمل نهائيا وأما عن النتائج فقد استمر ما يقرب من ٦٢% من المتطوعين في توجيه الصدمات، بالرغم من الاحتجاجات الظاهرية حتى حدها الأقصى وهو ٤٥٠ فولتا. أما التفسير الذي يقدمه علماء علم النفس الاجتماعي فهم يرون بعيدا عن وجود دوافع قسوة وسادية في النفس البشرية. يرون أن القوى الاجتماعية المحيطة بالبيئة التي يعيش فيها الفرد ويعمل ذات تأثير غامر على شخصيته وأخلاقياته ويتكشف ذلك بجلاء في اختلاف الأدوار التي يقوم بها الشخص في المواقف الاجتماعية المختلفة: ففي فترة وجيزة من الزمن قد يتقلب الشخص الطيب إلى مجرم نتيجة للضغوط الاجتماعية كما هو الحادث في حالات الأخذ بالثأر في صعيد مصر، والتلميذ المطيع قد يتقلب إلى قائد مسيطر على زملائه في موقف آخر. فالمواقف هي منبهات اجتماعية متنوعة.

أما إذا علم هؤلاء بذلك فإن الواقعية التجريبية ستكون قد انتهت وعلى ذلك فلابد أن يتضمن ثلاثي الدراسات في مجال علم النفس الاجتماعي قدرا من الخداع (ايدير وآخرون عام ١٩٨٥ Adair et al.، جروس، فليمنج عام ١٩٨٢ Gross and Fleming). كذلك يسعى القائمون بالتجارب إلى إخفاء تنبؤاتهم بما ستكون عليه التجارب خشية أن يحاول المشاركين في التجربة في غمرة حماسهم للمشاركة الناجحة في التجربة إلى تأكيد التوقعات المسبقة التي تنبأ بها الباحثون. وبعبارة أكثر اتساقا فإن الكلمات التي تخرج من لسان القائم بالتجربة وطريقته في الكلام والإيحاءات التي تصدر عنه قد تشير إلى ما يرغب القائم بالتجربة في أن تنتهي إليه الأمور.

ولتقليل هذه الخصائص غير المرغوب فيها فإنه يتعين على القائمين بالتجربة أن يقوموا بتوحيد أسلوب توجيه التعليمات بل والأفضل استخدام شرائط مسجل عليها التعليمات لتفادى قيام الأشخاص بتحليل نبرة الصوت ومعرفة ما يرغب فيه هؤلاء.

وكثيرا ما يواجه الباحثون مشكلة تتمثل في الظروف التي تحيط بالتجربة والإبقاء على الصفة الأخلاقية لهذه الظروف وقد انتهى بعض الباحثون إلى أنه من الضروري إيهام الأشخاص المشاركون في التجربة بصورة مؤقتة لتصور أنهم سيقومون بإيقاع الضرر بأشخاص آخرون. بل وقد قام باحثون آخرون بتعريض الأشخاص المشاركون في التجربة لضغوط اجتماعية عنيفة لرؤية ما إن كان سيؤدى بهؤلاء إلى تغيير آرائهم أو سلوكهم تحت تلك الظروف الصعبة.

وليست هذه على أية حال بالتجارب المبهجة وكما سنرى فإن بعض التجارب تؤدى إلى إثارة السؤال القديم قدم الحياة نفسها وهو هل الغاية تبرر الوسيلة؟ وهل يتطلب معرفة الدخائل الإنسانية اللجوء إلى خداع وأحيانا مضايقة الآخرون؟ وبالنسبة للوقت الحالي فإنه يكفى القول بأن السنوات الأخيرة قد ولدت حساسية مفرطة حيال عدم إلحاق أي أذى بالأشخاص الخاضعين للتجربة وفى معظم الجامعات يتم النظر إلى أعمال البحث العلمي وفحصها بواسطة لجان أخلاقية لضمان أن الأشخاص الداخلون في التجربة سيتم معاملتهم بصورة إنسانية.

والمبادئ الأخلاقية التي تم التوصل إليها من قبل الرابطة النفسية الأمريكية تستوجب من الباحثين الالتزام:

- إخبار المشاركون بالتجربة ما يكفى عن وقائع التجربة لتمكينهم من إعطاء موافقتهم الصادرة عن معرفة تامة بما هم مقدمون عليه.
- الصدق التام من جانب القائم بالتجربة وأن اللجوء إلى الخداع لا يكون إلا في حالة علمهم توافر بدائل أخرى وإن كان لهذا الخداع ما يبرره.
- حماية الأشخاص من الأذى وأعمال المضايقة الشديدة Significant discomfort
- الحفاظ على سرية المعلومات عن الأشخاص المشاركون بالتجربة.
- الشرح التفصيلي للتجربة بعد الانتهاء منها بما في ذلك أعمال الخداع، والقيد الوحيد المفروض على تلك القاعدة هو عندما يخشى من حدوث مكروه شديد بحيث يصاب المشارك بصدمة عندما يدرك أنه تصرف ببلاهة شديدة أو قسوة متناهية.

ويقرر (بابى – ١٩٨١ Babbie) بأنه:

"عندما تجرى التجارب أو تطبق الاستخبارات على طلاب يقوم عالم النفس بالتدريس لهم، فبالإضافة إلى المبدأ الأخلاقي الأساسي وهو الاشتراك على أساس التطوع وليس الإجبار، فلابد أن يحسب حساب أن بعض الطلاب غير المشاركين قد يخشون عقابا معينا من أستاذهم عندما لا يتطوعون. وهناك طرق عدة للتقليل من ذلك منها: عدم كتابة الاسم. وتطبيق الاستخبار عن طريق متخصص آخر غير الأستاذ الذي يدرس لهم، أو تسليم الطلاب الاستخبار وإرسالهم له – بعد إجابته – بالبريد، أو وضعه في صندوق معين في أي وقت قبل المحاضرة التالية بشرط عدم كتابة الاسم (٤٥١:٥، ٦:٦-٢٠).

وإن بعض التجارب النفسية تتطلب خداع المفحوصين الآدميين:

ففي تجربة أجراها "**الن لانج" وزملاؤه Lang et al**–١٩٧٥" عن آثار تعاطى الكحول على العدوانية، تطلب الأمر ما يلي: (١) إعطاء معلومات خاطئة أو مضللة لنصف عدد المفحوصين فيما يتعلق بمحتوى ما شربوه من شراب. (٢) تضليل المفحوصين حتى يعتقدوا أنهم يعرضون غيرهم من المفحوصين لصدمة كهربية، وذلك عندما يقومون بمجرد الضغط على مفاتيح في لوحة تحكم (وكان الضغط على هذه المفاتيح يمثل التعريف الإجرائي للعدوان في هذه التجربة).

وظهر في تجربة (لانج) هذه أن الطلاب الذين اعتقدوا أنهم شربوا "الفودكا" أكثر عدوانية من الطلاب الذين اعتقدوا أنهم لم يشربوها. وفى الواقع فإن مثل هذه التجربة لا يمكن أن تجرى إلا عن طريق خداع المفحوصين وتعد مثل هذه النتائج على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لجهود علماء النفس في سبيل العلاقة القائمة بين الكحول أو إدمان الخمر والعدوانية.

ووفقا للمبادئ الأخلاقية للرابطة الأمريكية لعلماء النفس، فإن الأمر يتطلب أن يتلقى الأفراد الذين يشاركون في التجارب التي تتضمن مثل هذا الخداع Deception معلومات عما استخدم معهم من إجراء بعد الانتهاء منه مباشرة، أي Debriefing وذلك للتخلص من أي آثار ضارة تكون التجربة قد تضمنتها. فبعد هذه التجربة أخبر المفحوصين المشاركين في تجربة (لانج) بحقيقة الإجراء، وبالهدف الحقيقي منه وما إذا كانوا قد شربوا الخمر فعلا أم لا. كما قيل لهم بأنهم لم يعرضوا غيرهم من المشاركين لأي صدمات كهربية.

وقدمت لهم القهوة. أما فيما يتعلق بالمفحوصين الذين تناولوا "الفودكا" فقد تم احتجازهم حتى أسفرت نتيجة التحليل أن مستوى الكحول في الدم لديهم قد انخفض عن مستوى التسمم، وذلك كما يحدد بجهاز قياس كمية الكحول عن طريق تحليل النفس (الشهيق والزفير) وهو المعروف باسم Breathalyzer ويؤكد بعض علماء النفس أن الخداع بطبيعته غير أخلاقي kelman ١٩٦٧ (٧)، بينما يبرر كثير من علماء النفس استخدام الخداع في أنه يمدنا بطريقة للتأكد من أن المفحوص يتصرف بطريقة طبيعية تلقائية، ومن ثم يحصل الباحثون على صورة جيدة لسلوك حقيقي، ويعتمد هذا التبرير على أسس علمية وله جدارته ومبرراته.

ويقدم "ايريل بابى" Babbie – ١٩٨٦ (٢٤٣:٥) عددا آمن التبريرات الحقيقية لاستخدام الخداع كما يلي:

(١) لا يوجد باحث يخدع مفحوصيه بهدف الخداع.

(٢) يلجأ الباحث إلى الخداع عندما يعتقد أن البيانات ستكون أكثر ثباتا وصدقا.

(٣) إن إخبار المفحوصين بالهدف الكامل للبحث يمكن أن يفقد الباحث تعاونهم.

(٤) إذا عرف المفحوصين أنهم يدرسون، فإنهم يمكن أن يعدلوا من سلوكهم بطرق شتى منها:

أ- قد يتجنبون الباحث.

ب- يمكن أن يغيروا حديثهم وسلوكهم حتى يبدون أكثر وقارا.

ت- تتغير العملية الاجتماعية أو السلوك ذاته بشكل جذري.

النظريات المعمول بها في علم النفس الاجتماعي

رغم أن الأمثلة التي سقناها حتى الآن في الفصل الأول قد أوضحت المزايا العملية للبحث الأساسي في علم النفس الاجتماعي إلا أن التطبيق العملي ليس هو السبب الأوحد لعلم النفس الاجتماعي.

يتناول "حامد عمار" فى كتابه "المنهج العلمى فى دراسة المجتمع" مسألة العلاقة بين القاعدة التجريبية والتحليل النظرى فى الدراسات النفسية. ومع تركيزه الشديد على أهمية استخدام طرائق البحث التجريبى، يشير فى الوقت نفسه إلى ضرورة التحليل النظرى العام للظواهر الاجتماعية ويقول: "لابد من أن تعقب الدراسة التجريبية للظواهر الاجتماعية نظرة متكاملة شاملة توضح مكان هذه الظاهرة إلى جانب الظواهر الأخرى فى المجتمع"(١١:١٤).

فالكثير منا في هذا المجال لأنهم يسعون إلى إماطة اللثام عن الجوانب الجوهرية من الطبيعة الإنسانية فبدون ذلك فإنه وكما قال سقراط "فإن الجانب الغامض من حياتنا لا يستحق أن نعيشه" وعلى ذلك فإن كشف جوانب النفس البشرية هو هدف يستحق السعي من أجله. وفى سعينا إلى إماطة اللثام من ألغاز الحياة الإنسانية فإننا نقوم بتنظيم أفكارنا وما اهتدينا إليه ليأخذ شكل نظريات.

فالنظرية هي مجموعة متكاملة من المبادئ التي تفسر وتتنبأ بالظواهر التي تجرى أمامنا وإن محل اختبار أي نظرية هو فاعليتها: هل تشرح الأمور على نحو أفضل من بدائلها.

ويعرف **كيرلنجر Kerlinger** النظرية بأنها:

"مجموعة من المفاهيم والمدركات المترابطة، والتعريفات، والفروض، وهى التي تقدم -في جملتها- رؤية منظمة لظاهرة ما، وذلك عن طريق تحديد العلاقات بين المتغيرات، بهدف شرح تلك الظاهرة والتنبؤ بها" وبمعنى آخر.. تجمع النظرية ــ في كيان واحد أو في إطار مفاهيم شاملة ــ كل البيانات الامبريقية المتفرقة، بحيث تجعلها قابلة للتطبيق بشكل أوسع وأعم (٨).

ويعبر **مولى Mouly** (٩) عن ذلك بقوله:

"النظرية هي ضرورة مريحة، حيث أنها تجمع، وتنظم مجموعة مبعثرة غير مصنفة من الحقائق، والقوانين، والمفاهيم، والمدركات والمبادئ، وتقدمها في شكل متكامل، له معنى يمكن الإفادة منه. وتتضمن عملية التنظير محاولة خلق معنى لأشياء نعرفها ــ مثلاً ــ عن ظاهرة معينة".

وتعتبر النظرية نفسها ــ إلى جانب ما سبق ــ مصدرا لمعلومات واكتشافات جديدة، فهي مصدر لفروض جديدة ولأسئلة تحتاج إلى إجابات، كثيرة ما تسد النظرية فجوة في معلوماتنا عن ظاهرة ما، وتمكن الباحث من أن يفسر ظواهر لم تكن معروفة له من قبل.

وهى تساعدنا فى التنبؤ بالتغيرات التى ستطرأ على المتغيرات التابعة عندما تتعامل مع المتغيرات المستقلة بطريقة ما. ولكى تؤخذ نظرية ما فى الاعتبار فى عملية البحث العلمى فإن طروحاتها وبياناتها يجب أن تكون قابلة للتطوير والتنقيح، أى إنها عرضة للقبول أو الرفض فى ضوء ثلاثة عناصر هى: **صدقها Validity** عن غيرها من حيث دقة ما توفره من تفسيرات للعلاقات بين المتغيرات ومن حيث **مجالها Scope** فبعض النظريات أوسع من غيرها، حيث تشرح وتفسر على نحو أوسع من غيرها سلوك المتغير التابع. ومن حيث **رشاقتها Elegence** فبعض النظريات أكثر رشاقة من غيرها، لأنها تشرح وتفسر سلوك المتغيرات بشكل أكثر بساطة ووضوحا من غيرها (١٠).

وتضم طروحات النظرية إطارا يجمع فى داخله مجموعة المتغيرات والمفاهيم والفروض التى تضم رؤية منظمة ومنطقية للعلاقة بين متغيرات، وتهدف إلى تبيان كيفية التحكم أو التعامل مع هذه العلاقة، وتساعدنا على التنبؤ بشكل هذه العلاقة، أى أنها تساعدنا فى التنبؤ بالمتغيرات التى ستطرأ على المتغيرات التابعة عندما نتعامل مع المتغيرات المستقلة بطريقة ما. فهى تشرح وتفسر العلاقة بين المتغيرات.

وتختلف النظريات اختلافا كبيرا، تبعا للتخصص أو لمجالات المعرفة المختلفة. فبعض النظريات ــ كما نلاحظ في مجال العلوم الطبيعية ــ تتصف بدرجة عالية من الأناقة. مما يجعلها تروق لذوق الثقافات الرفيعة، وبينما نجد النظريات في مجالات أخرى كالتربية وعلم النفس الاجتماعي ــ في بداية مرحلة التكوين، ولذلك.. فتوصف بأنها غير متسقة، وغير مسلسلة إلى حد كبير.

وقد حدد مولى Mouly، الصفات أو الخصائص التي ينبغي توافرها في النظريات الجديدة. ويمكن استخدام هذه الخصائص كمعيار للحكم على مستوى النظرية وهذه الخصائص هي:

١-يجب أن يتيح نظام التنظير الفرصة للاستدلال، واستنتاج نتائج، يمكن اختبارها امبريقيا، بمعنى أن النظرية تمدنا بالأساليب التي تكشف بها عن مدى صحة هذه الاستنتاجات، وبناء على ذلك.. إما أن تقبل وتتأكد صحتها، وإما أن ترفض.

ويمكن القول بأنه لا يمكن التأكد من صدق نظرية معينة إلا من خلال صدق الفروض التي تستمد من هذه النظرية، فإذا فشلت المحاولات المتكررة لإثبات عدم صحة هذه الفروض والتشكيك فيها.. فإن ذلك يؤدى إلى ثقة كبيرة بصدق النظرية ذاتها، وقد تستمر هذه العملية إلى ما لا نهاية، حتى تصادق بعض الفروض التي يثبت عدم صحتها، وهنا يصبح لدينا دليل غير مباشر على قصور النظرية، وقد ترفض ــ عندئذ ــ كلية (أو في معظم الأحوال استبدال النظرية بنظرية أخرى أكثر كفاءة بحيث تحتوى على كل الحالات حتى الاستثناءات).

٢-لابد من أن تكون النظرية متمشية مع كل الملاحظات المباشرة، والنظريات السابقة التي ثبت صحتها وتأكدت، فيجب أن تقوم أية نظرية على بيانات امبريقية، سبق التأكد من صدقها. كما يجب أن ترتكز على مسلمات رصينة وفروض مهمة. ويتوقف مستوى جودة النظرية على قدرتها على شرح الظاهرة موضوع الدراسة، وأيضا على كم الحقائق التي تحتويها تلك النظرية، بحيث تكون في مجموعها بنيانا له معنى، ويكون قابلا للتعميم بشكل كبير.

٣-يجب أن تصاغ النظريات بأسلوب بسيط، وقد يتمثل معيار الحكم على جودة النظريات في قدرتها على شرح اكبر قدر ممكن بأبسط الطرق الممكنة. وهذا هو قانون الاقتصاد Parsimony، حيث يجب على النظرية أن تشرح البيانات ــ بكفاءة كبيرة، وفي الوقت ذاته ــ لا ينبغي أن تكون من الشمولية، بحيث نفقد السيطرة على مكوناتها فتقل كفاءتها. ومن ناحية أخرى.. لا ينبغي أن تغفل شرح بعض المتغيرات لمجرد أنها متغيرات يصعب شرحها.

ويجب أن تكون النظريات العلمية ــ بطبيعتها ــ نظريات مؤقتة، فلا يمكن للنظرية أن تكون كاملة، بمعنى أنها تتضمن كل ما يمكن معرفته أو فهمه عن ظاهرة معينة. وكما قال مولى Mouly:

"من الثابت أن النظريات العلمية تتغير، وتحل محلها نظريات، أكثر تقدما، تشتمل على إجابات أكثر عمقا للأسئلة المطروحة، مما يسمح للعلم بأن يوسع آفاقه، ليضم مزيدا من الحقائق المتراكمة أولا بأول وما من شك في أن كثيرا مما هو موضع اتفاق اليوم سيصبح غير مناسب تبعا لمستويات المستقبل، ولكن يجب علينا أن نبدأ من حيث نحن".

ويتساءل بعض الناس عن السبب في انشغال علماء علم النفس الاجتماعي بنظرياتهم ولماذا لا يقوم هؤلاء بجمع الحقائق؟ والرد على ذلك سهل فإن مهندسي الفضاء لو نذكر انصرفوا إلى تحليل الأمور بداية ورأينا كم كان هذا مفيدا لو أن هؤلاء المهندسون انصرفوا عن تجميع المبادئ المهمة لهم في عملهم وبدءوا في تطوير عملهم المضني استنادا إلى مجود المحاولة والخطأ بحثا عن وسيلة للتغلب على تأثير الرياح العاتية على أجنحة مركبات الفضاء المختلفة، ولكنهم بدلا من ذلك قاموا بصياغة مبادئ واسعة النطاق ونظريات عن كيفية تداخل حركات الهواء مع تصميم الأجنحة المختلفة واستخدام النفق الهوائي لاختبار تصوراتهم التي اشتقوها من هذه النظريات.

إذن فإنه سواء أكنا نتحدث عن هندسة الفضاء أم علم النفس الاجتماعي فإن النظريات تشكل دليل علمي لا غنى عنه. وبصورة أكثر وضوحا فإن "النظرية" غالبا ما تعنى كل ما هو أقل من الحقيقة" إنها بمثابة معبر متوسط يستند إلى سلم الحقيقة ليصعد من الحقيقة إلى النظرية إلى التخمين وصولا للنتيجة المرجوة. ولكن وبالنسبة لأي عالم فإن الحقائق والنظريات هما أمران مختلفان ولا نعنى بذلك أنهما نقاط مختلفة على متوالية.

فالحقائق هي بيانات يقرها الجميع عما نلاحظه من أحداث في عالمنا أما النظريات فهي لا تتعدى أفكار تفسر وتشرح الحقائق. والعلم يقوم على حقائق شأنه في ذلك شأن المنزل الذي يقوم على الحجارة. وكما في قانون الجاذبية فإن النظريات تسعى لاجيال والتي لا تحصى من الملاحظات عن طريق التركيز على المبادئ الأكثر أهمية والتي هي أكثر شيوعا لكافة البشر، ويستحيل أن يتذكر المرء كل النتائج المرتبطة بحقيقة ما والتي أسفرت عنها تجارب في مجال علم النفس الاجتماعي.

ولكن إذا ما تم صياغة واختصار هذه الحقائق التي استخلصت من النتائج في قائمة مختصرة من المبادئ النظرية التي تتنبأ بالحقائق التي تم ملاحظتها، فعندها سيكون في حوزتك شيئا أكثر جدوى بكثير من قائمة لا تنتهي من الحقائق التي لا رابط بينهما.

وأحد أهداف أي نظرية هي بث عدد من الفرضيات، والفرضية تفسر بعض الملاحظات وتتنبأ بما سيكون عليه النتيجة المحددة مستقبلا. هذه التنبؤات تفيد في أغراض متعددة فهي بداية تتيح لنا اختبار النظريات لأن هذه الأخيرة تستند إلى التنبؤات التي قمنا بجمعها من ملاحظاتنا.

وباستخلاص تنبؤات محددة تكون النظرية قد أتت ثمارها المرجوة. والأمر الثاني الذي يفيد فيه تلك التنبؤات هو أن هذه الأخيرة تعطينا اتجاها للبحث وتحدد طريق السير. فأي مجال علمي سيتاح له فرصة النضج والنمو السريع إذا ما كان العلماء القائمين عليه قد استقروا على اتجاه البحث الذي يتحركون صوبه بدلا من العادة السيئة التي تقوم على حقائق متفرقة لا صلة بينها والتنبؤات النظرية تشير إلى مجالات جديدة لإجراء البحث فهي ترسل إشارات إلى الباحثين ما كانت لتخطر لهم على بال.

وأخيرا فإن سمة التنبؤ للنظريات الجيدة هي أنها شديدة العملية وصالحة للتطبيق ففي عالم تمزقه الصراعات والاشتباكات لا يوجد ما هو أكثر أهمية من نظرية متكاملة تبين سلوك المعتدى وتتنبأ به وتوضح الاتجاه الذي سيتحرك من خلاله المعتدى وتوضح كيف يمكن احتواء هذا العدوان والسيطرة عليه وكما قال كيرت لوين أحد مؤسسي علم النفس الاجتماعي الحديث لا يوجد ما هو أكثر أهمية من نظرية صالحة للتطبيق وثبت صحتها. وعلى سبيل المثال فإن ملاحظة أن تجمعات الجماهير كثيرا ما يستفسر عنها أعمال عنف يعين الباحثين على استخلاص أن شعور الفرد إنه موجود في جمع غفير من الناس يعطيه شعور بأنه ذاب في وسط بحر البشر هذا ولن يسهل التعرف عليه. وبالتالي يطلق العنان لطاقاته التخريبية ولنمضي قدما في فحص هذه النظرية فإنه يسهل اختبار صحتها عن طريق بناء مختبر لإجراء تجربة مشابهة للإعدام باستخدام الكرسي الكهربائي فإذا ما طلبنا إلى أفراد في مجموعات كبيرة من البشر أن يوجهوا صدمات كهربية إلى ضحية لا ذنب لها مع توفير الضمانات لهؤلاء الأفراد أن الضحية لن تتعرف عليهم لوجودهم في زحام هائل فهل سيقوم هؤلاء الأفراد بالتفريغ عن طاقاتهم التخريبية ويوجهون الصدمات الكهربية بصورة أكبر عن الأفراد الذين يسهل التعرف عليهم والعاملين بمفردهم في مواجهة الضحية؟ وهكذا تقول نظريتنا أم إننا نسعى لاستغلال مفهوم الذوبان في بحر البشر وعدم التعرف على الجاني بصورة سيئة وهل الأفراد المختفون خلف قناع القرع العسلى في عيد القديسين يوجهون ضربات أقوى بكثير عن أولئك الذين يضربون بلا قناع على وجوههم ويسهل التعرف عليهم؟.

إذا أكدت النتائج صدق نظريتنا فإن هذا يدفعنا لتطبيقات في غاية الأهمية فربما كانت اعتداءات البوليس الوحشية سببها عدم تعرف الضحايا عليهم أما لو تم ارتداء الضابط للوحات اسم كبيرة وصدرت تعليمات بوضع لوحات نمر على عرباتهم تجعلهم معروفون لضحاياهم فإن مثل هذه الاعتداءات الوحشية ستقل ولاشك لخشيتهم من انتقام ضحاياهم.

ويشير ريتشارد . أ . ليبا Richard A. Lippa (١٠:٦-١١) في صدد حديثه عن نظريات علم النفس الاجتماعي المعمول بها.. قبل أن يتطور علم النفس كمجال، تأمل عدد من النظريين الاجتماعيين والفلاسفة عن الأسباب للسلوك الاجتماعي وذلك قبل أن يكون علم النفس الاجتماعي مجال محدد جيد من البحث العلمي في القرن الـ ٢٠ . عرضوا مبادئ بسيطة محيطة وتمنوا أن تفسر فعلا ظواهر المجتمع والتفاعل الاجتماعي (ارجع إلى البورت ١٩٨٥ Allport) استشهد فلاسفة آخرون على سبيل المثال، بكل من المبادئ العالمية التالية:

الباحثون عن السعادة (راحة العمال) Hed onism (ينوى الناس أن يحصوا على المتعة وأن يتجنبوا الألم خلال تعاملهم مع الآخرين) وينطبق ذلك على إحدى التعبيرات الواردة عند البعض (كبر دماغك). وعملية التقليد Imitation (ينظر الناس منذ الطفولة إلى الاخرين ليقلدوا سلوكهم الاجتماعي. ويعدلوا سلوكهم وفق الآخرين) والغرائز

instincts (بمعنى الميول الفطرية حيث يتصرف الناس طبقا للبواعث الاجتماعية الفطرية المحددة الحيوية مثل التآلف Gregariousness، الجنس، العدوان.. وهكذا).

ويرى "ليبا Lippa" عموما أن علم النفس الحديث قد تجنب المبادئ العريضة المبسطة جدا "overly simplistic grand principles" وكذلك نظريات السلوك الاجتماعي الإجمالية الموحدة Broad unitary theories في سبيل نظريات متوسطة المدى صممت لتفسر وتتنبأ بالظواهر المحدودة من السلوك الاجتماعي. في الأساس، قال علماء النفس الاجتماعيون "دعونا نتعامل مع المشاكل الأصغر والأكثر عقلانية أولا قبل أن نحاول تفسير العالم كله بنظرية واحدة والآن دعنا نجيب على هذا التساؤل.

لماذا يصنع علماء النفس الاجتماعيون هذه النظريات متوسطة المدى وما هي وظائفها الرئيسية؟

Why do social psychologists formulate these middle range theories, and what are their main functions?

الوظائف الرئيسية للنظريات في علم النفس الاجتماعي

(١) النظريات تفسر السلوك الاجتماعي Theories Explain Social Behavior

تقدم نظريات علم النفس الاجتماعي طرقا تنظيمية عن التفسير والتنبؤ بالسلوك الاجتماعي. فالنظرية المفيدة تقدم مجموعة مترابطة من المفاهيم والمبادئ الأساسية التي تسمح لنا بعمل تنبؤات محددة عن نوع محدد من السلوك الاجتماعي.

(٢) النظريات تنظم الاكتشافات البحثية Theories Organize Research Findings

لا تساعد النظريات في التفسير والتنبؤ بالسلوك الاجتماعية فحسب وإنما تساعد أيضا على تنظيم وتقديم معنى لاكتشافات تجريبية متعددة من أبحاث علم النفس الاجتماعي. على سبيل المثال فإن بحثا عن الانجذاب Attraction يقدم لنا اكتشافات عديدة موثقة جيدا:

يحب الناس الآخرين أكثر عندما يتبنون مواقف مشابهة لمواقفهم" الناس على استعداد أكثر ليكونوا أصدقاء أو أحباء للناس الذين يعيشون بالقرب منهم؛ والناس تحب هؤلاء الجذابين جسديا أكثر من هؤلاء الغير جذابين. كيف لنا أن ندرك ما تعنيه تلك الاكتشافات؟

تساعد النظريات الأخصائيين الاجتماعيين في تنظيم وتصور مواد عريضة من اكتشافات الأبحاث.

(٣) النظريات تركز على الأبحاث وتوجهها Theories Focus and direct Research

أخيرا، لا تقتصر وظائف النظريات على تفسير السلوك وتنظم اكتشافات الأبحاث، بل إنها تقترح اتجاهات وافتراضات بحثية جديدة يستطيع الأخصائيون الاجتماعيون أن يدرسوا عددا لا نهائي من العمليات والعوامل، تساعد النظريات الأبحاث الأمبيريقية في مسائل محددة — سواء تم مساندتهم في نهاية الأمر أو رفضهم، تساعد النظرية على وضع جداول أعمال الأبحاث لعلماء النفس الاجتماعيين.

نظريات علم النفس الاجتماعي من وجهة نظر رباعية الأبعاد

تتعدد نظريات علم النفس الاجتماعي، ولكننا سوف نركز في هذا المؤلف على الأنواع الأربعة التالية:

١-نظريات التعلم Learning theories
٢-نظريات التطابق المعرفي Cognitive consistency theories
٣-نظريات صنع (طبخ) المعلومات Information processing theories
٤-نظريات التعادل والتبادل Equity and exchange theories

كل النظريات الأربعة السابقة تحقق الوظائف الثلاث السابق الإشارة إليها من نظريات علم النفس الاجتماعي جيدا وهي:

- التفسير والتنبؤ بالسلوك الاجتماعي.
- تنظيم مواد عريضة من المعلومات.
- توجيه برامج جيدة من الأبحاث.

جدول رقم (٤)

المدخل للنظرى	افتراضات أساسية	صورة السلوك الاجتماعي الإنساني	موضوعات في علم النفس الاجتماعى تنطبق النظريات عليها
نظريات التعلم	يمكن تفسير السلوك الاجتماعي الإنساني بتطبيق الأبحاث والنظريات على عمليات التعلم الرئيسة مثل الاشتراط الكلاسيكي والإجرائي والتعلم بالملاحظة	يعتبر الناس أعضاء متكيفة تحت تأثير الاحتمالات البيئية: نستخدم تجارب تعلم الحيوان كنماذج	- الموقف وتغير الموقف - تأثيرات المجموعة - العدوانية - السلوك المؤيد اجتماعيا - الكبرياء – الانجذاب
نظريات التطابق المعرفي	يسعى الناس من أجل التطابق في اعتقاداتهم ومشاعرهم	يسعى الناس من أجل الهدوء العقلي، التنافر العقلي غير مريح ويسعى الناس لتقليله	- الموقف وتغير الموقف - الانجذاب - الكبرياء
نظريات صنع المعلومات أو طبخ المعلومات	يسعى الناس لفهم العالم حولهم	يعتبر الناس كمبيوترات اجتماعية تلاحظ تعد وتنظم المعلومات الاجتماعية	- الفهم الاجتماعي - المواقف – الكبرياء - السلوك المؤيد اجتماعيا - العدوانية – اتخاذ القرار جماعيا.
نظريات التعادل والتبادل	التفاعلات الإنسانية مسيطر عليها بتكلفتها وحوافزها وفوائدها، يسعى الناس للتبادلات العادلة من التفاعل الاجتماعي	نموذج اقتصادي للعلاقات الاجتماعية: يتضمن عناصر من نظريات التعليم ونظريات التطابق والنظريات المعرفية	- الانجذاب - الكبرياء وصراع المجموعات - المساومة والتفاوض - السلوك التنظيمي والصناعي

ولجعل تلك المنظورات أوضح وأكثر حقيقية، دعنا نطبق كل منها على السؤال التالي:
Why do people sometimes behave aggressively?
لماذا يتصرف الناس أحيانا بعدوانية؟
أولا: نظريات التعلم: **Learning Theories**

افترض علم النفس الاجتماعي من خلال أبحاث ثرية عن عمليات التعلم مثل الإشـراط الكلاسيكي، والإشراط الإجرائي، التعلم عن طريق الملاحظة، التي يمكـن تطبيقـها علـى السلوك الاجتماعي.

على سبيل المثال : إن العدوانية ربما جزئيا عملية ناتجة عن الثواب والعقـاب : إن الناس الذين يثابون (أو على الأقل لم يعاقبوا) بسبب تصرفاتهم العدوانية، على اسـتعداد أكثر ليفجروا في المستقبل، بينما هؤلاء الذين عوقبوا على استعداد اقل لذلك.

لاحظ أن نظريات التعلم هي إلى حد ما "فارغة المضمـون" Content – Free إنـها نصف عمليات أساسية توجد في كل الناس (والحيوانات أيضا)، ويمكن تطبيق تلك العمليات على أنواع مختلفة من السلوك الاجتماعي. نستخدم الافتراضات في نظريات علـم النفـس الاجتماعي (نظريات التعلم والاشتراط) لتحليل تكوين الاتجاهات وتغييرها. مظاهر الانجذاب. تأثير المجموعات على الأداء الفردي، والسلوك العدواني **Aggressive behavior**
ثانيا: نظريات التطابق المعرفي: **cognitive consistency theories**

درس علم النفس الاجتماعي كثيرا عمليات تفكير الناس. في الخمسينات من هذا القرن. تم تطوير عدد من النظريات تعرض سعى الناس للتطابق في أفكارهم ومشاعرهم وسلوكهم. تعد نظريتا "التنافر المعرفي لـ "فيستنجر" – ١٩٥٧ **Festinger** ونظريـة التـوازن لـ "هايدر ١٩٤٦، ١٩٥٨ **Heider** والتي استكملها "نيوكمب ١٩٥٣ **New comb**"

تفترض نظرية التنافر أنه عندما يعتقد الناس اعتقادات غير متطابقة، فإنـهم يمـرون بحالة غير سعيدة من الممكن في ظروف معينة أن تبعث على تغيير المواقف، على سـبيل المثال، لو اعتقدت أن السجائر مضرة جدا واعترفت انك تدخن علبتين في اليوم. فإن تلـك المعلومات الغير مريحة والغير متطابقة قد تقودك لتغيير موقفك تجاه السجائر. ربما ليسـت مضرة على الإطلاق.

إن نظرية التنافر أيضا متعلقة بالعدوانية، تجعل التنبـؤ الحزيـن **Sad Prediction** أيضا لو تصرفنا بعدوانية تجاه شخص ما، يصبح موقفنا تجاه ضحيتنا سلبيا، بما أنه غـير متطابق، هنا أن نعتقد أننا نؤذى شخصا لطيفا، فنغير موقفنا ونقرر أن الشخص الذي نؤذيه سئ ويستحق الأذى.

تركز نظرية التوازن **Balance Theory** على تطابق أو عدم تطابق محبباتنا ومكروهاتنا. إنها تجادل في أن بعض المحببات والمكروهات متطابقة معرفيا (أو متوازنة" لاستخدام لغـة نظرية التوازن) وبعضها غير متطابق. على سبيل المثال، لو كنت كويتيا **Kewait** وعلمـت أن الولايات المتحدة سوف تعنف العراق **Iraq** أو كنت بوسنيا **Bosnian** أو مـن البـان كوسوفا **Kosova** وعلمت أن الولايات المتحدة سوف تعنف صربيا **Serbia**، ربما تكون قد

أحببت الولايات المتحدة The United States لذلك - هذا هو نموذج للمحببات والمكروهات.

إن نظرية التوازن متطابقة مع المثل القديم "عدو عدوى صديقي" My enemy's enemy is my friend" نحن نحاول أن نتبنى نماذج تحتذي بها من المحببات والمكروهات عاطفيا ومنطقيا مع بعضها.

ثالثا: نظريات العمليات المعرفية Information – processing theories

إن نظريات التعلم البسيطة ونظريات التطابق المعرفي لا تهدف كلية إلى تعقيدات الفكر والسلوك الاجتماعي اليومي. في علاقاتنا مع الآخرين، نحن لسنا "فئران تجارب Labrats" مصاغين بعقوبات وجوائز الماضي ولا نسعى من أجل السلام الفعلي mental peace والهدوء (بمعنى التطابق). نحن نصنع المعلومات بنشاط ونحاول أن نفهم أسباب أفعالنا وأفعال الآخرين. على سبيل المثال عندما يعلم معظمنا عن عمليات التطهير العرقي لألبان كوسوفا من قبل مجرمي الحرب في صربيا، نحاول أن نفهم لماذا يفعل الناس ذلك؟ لماذا يستمر الرئيس الصربي الجزار "ميلوسوفيتش" في الحرب؟

هل هو مجنون؟ أم إنه يرأس شعب عدواني يساعده على ذلك؟ ولماذا تأخرت المظاهرات الشعبية المطالبة بإقصاء ميلوسوفيتش عن الحكم؟ هل المظاهرات هي نتيجة "رد فعل" للدمار الذي ألحقه حلف الناتو بصربيا، لماذا كان بعض القادة الصربيون خجولين من التدخل؟ هل بسبب الضغوط السياسية في بلادهم؟ أم هم غير مهتمين كغيرهم من دول إسلامية وعربية؟

إن نظريات التناسب "العزو" Attribution theories (هايدر ١٩٥٨، وديفيز ١٩٦٥، كيلى ١٩٦٧، ١٩٧٢) تركز على عمليات التفكير التي يستخدمها الناس لمعرفة أسباب تصرفات الآخرين. يعتبر هذا المنظور النظري الناس أنهم مجتمعون نشيطون لمعلومات التفكير يدققون النظر في حقائق العالم الاجتماعي حولهم ويحاولون فهم معنى هذه الحقائق.

لقد لعبت النظريات المعرفية (نظرية العزو هي مجرد مثال واحد) دورا رائدا في علم النفس الاجتماعي في السنوات الحديثة (فيسك – ١٩٩٣ Fiske، ماركوس ١٩٨٥ Markus وزاجوفيك Zajonc) كلما حاول الباحثون أن يفهموا كيف يلاحظ الناس، ويحسبون (بمعنى يخزنون في ذاكرتهم) ويصنعون ويستردون (يستعيدون من الذاكرة) المعلومات الاجتماعية. طبقا لهذا المنظور النظري، كل منا هو نوع من "الكمبيوتر الاجتماعي".

لقد طبقت النظريات المعرفية مباشرة لدراسة المفهوم الاجتماعي ـــ كيف ندخل ويتذكر المعلومات عن الآخرين، ثم استخدام النظريات المعرفية أيضا لدراسة طبيعة الكبرياء. العداونية، الإيثار وحتى الاضطرابات الإكلينيكية مثل الاكتئاب depression.

رابعا: نظريات العدل (الإنصاف) والتبادل Equity and Exchange theories

نظريات التعلم، نظريات التطابق الفهمى، ونظريات العمليات المعرفية، كلها تبغي أن تفسر أفكار وسلوك الفرد الاجتماعية. إن علم النفس الاجتماعي، مع ذلك مكرس لربط الفرد

بمحتوى اجتماعي أوسع. ليس بكاف للعمل لحساب سلوك شخصي واحد فقط، يجب أيضا أن نضيف كيف يرتبط الشخص بالآخرين.

إن نظريات التبادل والإنصاف (على سبيل المثال آدامز ١٩٦٥ Adams، هومانز ١٩٧٤ Homans، تيباوت وكيلي – ١٩٥٩ Thibaut & Kelley ، ولستر، ولستر وبيرشايد – ١٩٧٨ Walster, Walster, & Berscheid) هي نظريات اقتصادية للسلوك الاجتماعي الذي يحاول تفسير العلاقات من حيث كل من "تكلفات Costs وجوائز rewards" و "فوائد أو منافع Prefits وكذلك الإنصاف المتلقي من التبادل. مثل ذلك "هات وخذ" وهى ظاهرة مألوفة في المفاوضات الدولية. على سبيل المثال، لو ساعدت بلد ما بلدا أخرى (الولايات المتحدة تساعد البان كوسوفا) فربما تكون على استعداد لرد الجميل المقابل (ينبغي أن توافق زعماء البان كوسوفا على خطة السلام الأمريكية.

إلى حد ما، تمتد نظريات الإنصاف والتبادل إلى مفاهيم معينة من نظريات التعلم إلى المجال الاجتماعي Social domain. يسعى الناس إلى الجوائز ويتجنبون العقاب في علاقاتهم مع الآخرين. ولكن نظريات الإنصاف والتبادل، أكثر تعقيدا من نظريات التعلم البسيطة، على سبيل المثال. تسمح بوجود عمليات مهنية من الممكن أن تحسب الجوائز والتكلفات في علاقة ما لمدة ممتدة. في تقريرها إذا كان الزواج منصفا أم لا. قد يعتبر الشخص ما أعطاه أو أخذه خلال سنوات عديدة. علاوة على ذلك، نظريات الإنصاف والتبادل على عكس نظريات التعلم البسيطة، تعترف بوجود قواعد ومعدلات وقياسات اجتماعية. قياس التبادل (جولدنر ١٩٦٠ Gouldner) على سبيل المثال، يشترط إننا ينبغي أن نعطى كما نأخذ من الآخر. إذا صنع لنا أحد معروفا، يجب أن نرده في المقابل.

والأمثلة على ذلك كثيرة نلمسها لدى البعض من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات وخاصة رؤساء الأقسام، حيث يسعى البعض لإنتداب رؤساء أقسام سواء للتدريس أو للإشراف على رسائل فى مقابل إنتداب الآخرون لهم فى كلياتهم "رد المعروف" أو العمل بلجان النظام والمراقبة "الكنترول".

إن نظريات الإنصاف والتبادل أيضا معرفية، من حيث إنها توضح كيف يفكر الناس عن الجوائز والتكلفات والمعاملات التجارية في الحياة الاجتماعية. وأخيرا إنها تفترض بعض الظواهر من النظريات المعرفية في التبادل بأن الناس يسعون من أجل التبادل والإنصاف في علاقاتهم. بالفعل، إن هدفا رئيسيا من هذه النظريات هو التنبؤ بدقة عندما تعتبر التبادلات الاجتماعية عادلة أو غير عادلة. تم استخدام نظريات الإنصاف والتبادل بوفرة عن طريق علماء النفس الاجتماعيين الذين يدرسون الانجذاب، مفاهيم العدل والظلم الاجتماعي. المنافسة والمساومة، والسلوك في المحيطات الصناعية والتنظيمية والسلوك المؤيد اجتماعيا والإيثار Altruism والعلاقات الدولية.

ولكن كيف يمكن لنا أن نستنتج أن نظرية ما أفضل من أخرى؟

والحقيقة أن النظرية التي يمكن أن نصفها بأنها ناجحة يجدر أن تتضمن التالي:

(١) أن تقوم بالتلخيص الفعال لمجموعة واسعة من الملاحظات.

(٢) أن نقدم مجموعة متكاملة من التوقعات والتنبؤات الصالحة للتطبيق والتي تحقق:

أ- تأكيد أو تعديل النظرية الأم.

ب- تولد تفسيرا جديدا.

ت- تشير إلى تطبيقا عمليا.

والنظريات التي يتم الاستغناء عنها لا يكون ذلك مرجعه إلى زيف محتوى تلك النظريات وعدم صحتها ولكن نتيجة لأن هذه النظريات أصبحت مثل موديل العربات القديمة يتعين استبدالها بأخرى أكثر فعالية.

ولكن هل تتيح نظريات علم النفس الاجتماعي إطلالة جديدة على الحالة الإنسانية؟ أم هل تقوم هذه النظريات بمجرد الإسهاب في بديهيات تم قتلها بحثا؟

هل علم النفس الاجتماعي مجرد شكل من أشكال الذوق العام الراقي؟

Is Social Psychology Simply Sophisticated common sense?

يشير دافيد مايرز "David Myers" بأنه ربما تكون العديد من الاستنتاجات التي عرضنا لها في هذا البحث قد خطرت على بالك نتيجة لأن موضوع علم النفس الاجتماعى يحيط بكل ما حولنا في حياتنا اليومية.

فلاشك أن كل كائن إنساني يقوم برصد وملاحظة كيف يفكر غيره من الناس ويؤثر ويتأثر بهم. لذلك فلابد أن يكون الأمر أكبر من مجرد ارتداء مسوح الفكر الاجتماعي. ولسنوات طويلة ظل خلالها الفلاسفة وكتاب الروايات والشعراء يرصدون ويسجلون ملاحظاتهم عن السلوك الاجتماعي وبصورة شديدة العمق تنفذ للعمق الإنساني.

فهل يا ترى يمكن القول أن علم النفس الاجتماعي ما هو إلا شكل من أشكال الذوق العام تم إلباسه ثياب العصر الحديث؟

لقد تناولت علم النفس الاجتماعي سهام تيارين أساسيين من النقد الأول يذهب إلى أن علم النفس الاجتماعي علم تافه لا قيمة له حيث أنه يستفيض في شرح أمور واضحة كالشمس. النقد الثاني يذهب إلى أن علم النفس الاجتماعي علم خطير لأن النتائج التي يتوصل إليها يمكن استخدامها لاستغلال الناس.

ترى هل للنقد الأول أساس من الصحة وهل علم النفس الاجتماعي يضفي الصفة العلمية على مسائل يدركها أي هاو بفطرته؟.

ظاهرة "لقد كنت على دراية بالأمر منذ بدايته":

The – I – Knew – All – Along Phenomenon:

أحد المشاكل المتعلقة بالتفسيرات الخاصة بالذوق العام هي إننا نميل إلى استحضار هذه التفسيرات بعد أن نكون قد أدركنا الحقائق كاملة. فالحوادث لا تكون واضحة أو يسهل التنبؤ بها إلا بعد وقوع ما كان يخشى من حدوثه وعندها نتظاهر بأننا كنا نتوقع ما حدث. ولقد قام بورش فوشهوف وغيره (سلوفيتش، فوشهوف ١٩٧٧، وود عام ١٩٧٩) بإيضاح أنه متى يتم إخبار الناس بنتيجة التجربة فإن هذه النتيجة تبدو أقل إدهاشا لهؤلاء من الدهشة التي يشعر بها أولئك الذين يتعرضون للتجربة دون معرفة سوى بخطوات وإجراءات تلك التجربة. وهو ما يشير إلى أن الناس تبالغ في قدرتها على التنبؤ بالنتائج.

وبنفس الطريقة فإننا في حياتنا اليومية يصعب علينا توقع حدوث شئ حتى يقع وبعدها نبدأ في رؤية الدوافع التي أدت لحدوث النتيجة على نحو ما وقعت وبالتالي يفتر شعورنا بالدهشة.

فبعد فوز رونالد ريجان على جيمي كارتر عام ١٩٨٠ ذهب المعلقون Commentatorsإلى القول بأن هذا الفوز الكاسح الذي أحرزه ريجان كان متوقعا وليس به ما يثير الدهشة متناسين أن السباق كان متقاربا للغاية وكان من المستحيل التنبؤ بنتيجة حتى قبل الانتخابات بأيام قليلة.

وفى اليوم السابق للانتخابات توجه (مارك لارى – Mark Leary ١٩٨٢) بسؤال لجمهور الناخبين عن توقعاتهم لنسبة الأصوات التي سيحصل عليها كل مرشح وتنبأ الناخب العادي بفوز ريجان بنسبة ضئيلة للغاية دون تصور أن يكون هذا الانتصار كاسحا وفى اليوم التالي للانتخابات سأل "لارى" أناس آخرون عن تصورهم لنتيجة الانتخابات قبل حدوثها فأجابه معظمهم بأن فوز ريجان كان أمرا شبه مؤكد. لقد أدى حدوث الأمر الذي كان شبه مستحيلا بهؤلاء إلى الادعاء بأنه كان أمرا محتوما وأنهم كانوا على دراية بالأمر منذ بدايته.

وكما قال الفيلسوف الهولندي شورن كير كجارد Soren Kier kegard "نحن نعيش حياتنا قدما ولكننا نفهمها بصورة معكوسة من الخلف للأمام" وإذا كانت ظاهرة "لقد كنت على دراية بالأمر منذ بدايته" على هذا الحال من الانتشار فقد ينتاب المرء الشعور بأنه كان على دراية هو أيضا بهذه الظاهرة مادامت العدوى شديدة الانتشار كهذا. وبالفعل فإن أي نتيجة معقولة لتجربة في مجال علم النفس الاجتماعي تبدو متوافقة مع الذوق العام ومتمشية مع المنطق وذلك بعد أن تعرف النتيجة. وهذه الظاهرة تبدو بوضوح إذا ما قمنا بإعطاء نصف مجموعة من الأفراد بعض النتائج النفسية المزعومة ثم إخبار النصف الآخر من المجموعة عكس النتائج التي أخبرناها للنصف الأول على سبيل المثال:

ندعى أن علماء علم النفس الاجتماعي قد اهتدوا إلى أن الإنسان سواء أكان على وشك اختيار صديق أو الوقوع في مغامرة عاطفية فإنه يميل إلى الانجذاب لشخص يختلف معه في الطباع وهو ما يتماشى مع المثل القديم "الأقطاب المختلفة متجاذبة."

ثم نخبر المجموعة الثانية أن: علماء علم النفس الاجتماعي قد اهتدوا إلى أن الإنسان في اختياره لصديق أو الوقوع في مغامرة عاطفية فإنه يميل إلى الانجذاب لشخص يتشابه معه في الطباع وهو ما يتماشى مع المثل القديم "الطيور المتشابهة تحلق سويا". ويؤكد (دافيد مايرز David Myers).

ومن واقع خبرته الشخصية أنه إذا تم إعطاء خمسون شخصا أحد هذه النتائج التي سقناها ثم أعطينا النتيجة العكسية الخمسون الآخرون ثم وجهنا للمائة معا سؤال عن التفسير الذي يرونه لتلك النتيجة وطلبنا منهم توضيح ما إن كانت هذه النتيجة قد أصابتهم بالدهشة أم لا، فإن أعضاء كل فريق سيتفقون على أن النتيجة التي أعطيت لهم لم تثر دهشتهم على الإطلاق.

وكما يتضح من تلك الأمثلة فإنه من السهل الارتكان إلى الأمثلة القديمة لجعل الأفكار التي تثيرها تلقى رواجا، وعندما تكون النتيجة معقولة فإنه من السهل الاستعانة بالمثل الذي يناسب المناسبة الحاصلة.

مراجع الفصل الأول : عربية وأجنبية

١. عبد الحليـــم محمـــود الســـيد وآخـــرون: **علم النفس الاجتماعي** (القـــاهرة، دار آتـــون للنشر،١٩٨٩).

٢. زين العابدين درويش وآخرون: **علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، المولف، ١٩٩٣)

3. Van Gennep. Arnold. **The Rites of Passage**. Translated by Monika B. Vizedon and Gabrielle L. Caffee. Phoeix Books. University of Chicago Pren. 1960.

4 Charles Horton Cooley. Human Nature and **The Social Order** (New York: Sharles Scribner's Sons. 1902)

٥. كرنيشي وآخرون: **سيكلوجية الفرد في المجتمع** (ترجمة) ســيد خــير الله وحــامد الفقــي (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٤).

٦. طلعت منصور: **البيئة والسلوك** (الكويت، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويــت، الحوليــة الثالثة، الرسالة الحادية عشرة، ١٩٨٢).

٧. محمود السيد أبو النيل: **علم النفس الاجتماعي** ــ دراسات عربية وعالمية (القاهرة. مطابع دار الشعب، ١٩٨٤)

٨. فؤاد البهي السيد: **علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٨)

٩. فؤاد أبو حطب ــ آمال صادرق: **علم النفس التربوي** ط٤ (القـــاهرة، الانجلــو المصريـــة، ١٩٨٠).

10 Kahn. N.S. **Social Psychology** (Ed.) Dubuque. Wmc. Brown Pup.1984

١١. حسني أحمد الجبالي: **تكنولوجيا الاتصال في المجالين**: الاعلام التربوي وتكنولوجيا التعليــم (القاهرة، المؤلف، ١٩٩١).

12 Riesman. D.. Glazer N. **The Lening of Opinion**. Quarterly. 1948.

١٣. ناهد رمزي: **الرأي العام وسيكولوجية السياسة** (القاهرة، الانجلو المصرية،١٩٩١).

14 Yankelovich. Daniel: **The Future Study of Public Opinion**. Asymposium boart. Leo. Symp. Editior. J of Public Opinion Quartlerly. V.51. 1985.

15 Williams: **Educational Administration in Secondary School** New York.1965

١٦. جلين ويلسون: **سيكلوجية فنون الأداء** (ترجمة) شاكر عبد الحميد (الكويت، سلسلة عـــالم المعرفة، ٢٥٨ يونيو ٢٠٠٠).

١٧. قدري محمود حفني: **الشخصية الاسرائيلية: الاشكنازيم**، الطبعة الثانية (القاهرة، دار الشالع للنشر، ١٩٧٨).

١٨. عويد الشـــمعدان: **المظاهر السلبية والايجابية في سلوك الشخصية الكويتية المترتبة على العدوان العراقي للكويت** (في) الكويت، المجلة العربية للعلوم الانسانية العدد (٤٤) الســـنة (١١) صيف ١٩٩٣.

١٩. رشاد عبدالله الشامي: **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية** (الكويــت، سلســلة عالم المعرفة، يونيو ١٩٨٦).

٢٠. قدري حفني: **الإسرائيليون من هم؟** دراسات نفسية (القاهرة، المؤلف، ١٩٨٣)

٢١. عبد العزيز السيد الشخص: **محاضرات في علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، المؤلف١٩٩٢).

٢٢. عطوف محمود ياسين: **مدخل في علم النفس الاجتماعي** (بيروت، دار النهار، ١٩٨١).

مراجع الفصل الثاني : عربية وأجنبية

١. ارسطوطاليس: **علم الأخلاق إلى نيقوماخوس** (ترجمة) أحمد لطفي السيد (جزآن) (القــاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤).

2 Alport. G.W. **The Gistorical Background of Modern Social Psychology** – Cambridge. 1954.

٣. مصطفى سويف: **مقدمة لعلم النفس الاجتماعي**، ط٤ (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٥).

٤. محمود السيد أبو النيل: **علم النفس الاجتماعي**: دراسات مصرية وعالمية، ط٢ (القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٨).د
٥. لويس كامل مليكه: **آراء الفارابي وابن خلدون في القيادة وتنظيم الجماعة وقوانينها وتماسكها** (في) قراءات في علم النفس الاجتماعي، المجلد الأول (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٥).
٦. أبو الحسن البصري الماوردي: **أدب الدنيا والدين** (القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).
٧. أبو حامد الغزالي: **بداية الهداية** (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨).
٨. أبو علي بن مسكويه (أحمد بن يعقوب): **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف**، ط٢ (بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت).
٩. أحمد خيري حافظ: **علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، المؤلف، د.ت)
١٠. عطوف محمود ياسين: **مدخل في علم النفس الاجتماعي** (بيروت، دار النهار، ١٩٨١).
١١. عبد العزيز السيد الشخص: **محاضرات في علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، المؤلف١٩٩٢).
12 Parsons. T. **American Sociology**. N.Y.L. Basic Books inc. Puublishers. 1968.
١٣. محمد أحمد سلامه: **علم النفس الاجتماعي** ـ حول النظرية ـ ج١ (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٢).
١٤. عبد الحليم محمود السيد: **علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، دار أتون للنشر، ١٩٨٩).
١٥. قدري حفني: **موضوعات في علم النفس الصناعي** لطلاب الخدمة الاجتماعية (القاهرة، المؤلف، ١٩٩٣).
١٦. زين العابدين درويش: **تعريف بالعلم ومناهج البحث فيه** (في) علم النفس الاجتماعي، أسسه وتطبيقاته، (القاهرة، المؤلف، ١٩٩٣).

مراجع الفصل الثالث : عربية وأجنبية

(1) Kerlinger. F.N. **Foundation of Behavioral Research**. Halt Rinegart & Winston. New York. 1970.
(2) Maslow. A H. **Motivation and Personality**. Harper & Kow. New York. 1954.
(3) Wolman. Benjamin. B. **Dictionary of Behavioral Sciene**. Van Nostrand Reinhard Company. 1973.
(٤) لويس كوهين، لورانس هانيون: **مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية** (ترجمة) كوثر كوجك ـ وليم عبيد (القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، طذ، ١٩٩٠).
(٥) مجدي عرفة: **من مدارس ونظريات علم النفس المعاصر** ـ ابراهام ماسلو (القاهرة، مجلة الانسان والتطور، السنة الخامسة، العدد (١٧) مارس ١٩٨٤).
(6) Medawar. P.B. **The Hope of Progress**. Methuen. London. 1972.
(7) De Vaus. D. **Surveys in Social Research**. 4th ed. Australia. Allen & Unwin Pt J. Ird 1996.
(٨) راسم محمد الجمال: **مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الاعلامية**، (القاهرة، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ١٩٩٩).
(9) Aronson. E. **The Social Animal**. Freeman. San Francisco. 1976
(١٠) زين العابدين درويش: **تعريف بالعلم ومناهج البحث فيه** (في) علم النفس الاجتماعي زين العابدين درويش وآخرون (القاهرة، المؤلف، ١٩٩٣).
(١١) مصطفى سويف: **مقدمة لعلم النفس الاجتماعي** ط٤ (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٣).
(١٢) نجيب اسكندر ولويس كامل مليكه ورشدي فام: **الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي** (القاهرة، مؤسسة الطباعة الحديثة، ١٩٩٠).
(13) Earl. R Babbie. **The Practice of Social Research**. Wadsavarth Publishing Company. Inc., 1980
(14) Poper. K. R **The Logic of Scientific Discovery**. N. Y 1959

(١٥) العارف بالله محمد الغنـدور: **محاضرات فى مناهج البحث جـزء ثـان** ط١ (القـاهرة، المؤلف،١٩٨٧).
(16) Patrick. J.. A **Glasgow Gang Observed**. Eyre Methuem. London. 1973.
(17) Parker. H J **View From The Boys**. David and Charles. Newton Abbot. 1974.
(١٨) ابراهيم أبو لغد ــ لويس كامل مليكه: **البحث الإجتماعي** (القاهرة، مركز التربية الأساسية ــ سرس الليان، ١٩٥٩).
(19) Raymond L. Goled "**Roles in Socialogical Field Observation** (in) George J Mc Tall and JL Simmons Eds. **Issues in Participant Observation** (Reading Mass Addisin wesley. 1969).
(٢٠) انشراح الدسوقي: **محاضرات فى مناهج البحث** (القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٥).
(٢١) قدري حفني: **المسألة السكانية فى قرية مصرية** (فى) علم النفـس ومشـكلات مجتمعنـا (القاهرة، المؤلف، ١٩٨٢).
(٢٢) قدري حفني: **دراسة فى الشخصية الاسرائيلية** ط١ الإشكنازيم ط٢ (القاهرة، دار الشـايع للنشر. ١٩٧٨).
(٢٣) العارف بالله محمد الغندور: الصوفية ــ **دراسة فى سيكولوجيا الانتماء**.
(24) Baiely. K. D **Method of Social Research** (Collier London. 1978.
(25) Boisse Vain. J **Fiel Work in Malta** "G D.Spindler. eds) Begin Anthropologist. Halt. Rinhart Winston. N.Y. 1970.
(26) King R. **All Things Bright and beautiful?** John Wiley. Chicgester. 1979
(٢٧) فان دالين: **مناهج البحث فى التربية وعلم النفس** (ترجمة) محمد نبيل نوفـل وآخـرون (القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٧).
(28) Borg. W R. **Educational Research An Introduction** (Longman. London. 1963).
(29) Mouly. G J. **Educational Ressarch**: The Art and science of Investigation (Allyn & Bacon Boston. 1978).
(30) Eron. et al. **Does Television Cause Aggression?** American Psychologist. April. 1972
(٣١) أحمد بدر: **أصول البحث العلمي ومناهجه** (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧)
(32) Back storm et al.. **Survey Research**. 2ed. New York. John Welley and Sons. 1981.
(٣٣) محمد عبد الحميد: **دراسة الجمهور فى بحوث الاعلام** (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٣).
(34) Beniger. James. R. **The Future Study of Public Opinion** Asymposium. Bograt. Leo Symp. Editor. J. of Public Opinion. Quarterly. V.
(٣٥) سمير محمد حسين: **تحليل المضمون** ط١ (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣).
(٣٦) مارتي كينداور: **الدراسة النفسية للأدب** (ترجمة) شاكر عبد الحميد (القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، اكتوبر ١٩٩٦).
(٣٧) حسني أحمد الجبالي: **أثر التعزيز البديل على التعلم واكساب القيم التربوية عند الاطفال**، جامعة عين شمس، ١٩٩١ طبع وتداول تجميع الجامعات المصرية.
(٣٨) رشدي طعيمه: **تحليل المحتوى فى العلوم الانسانية** (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧).
(٣٩) سمير محمد حسين: بحوث الاعلام ــ الاسس والمبادئ (القاهرة، المؤلف، ١٩٧٦).
(٤٠) حسن وجيه: **مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعي والسياسي**، (الكـويت، سلسـلة عـالم المعرفة، ١٩٩٤).
(٤١) سمير محمـد حسـين: **الاعلام والاتصال الجماهيري والرأى العام**، ط١ (القـاهرة، عـالم الكتب، ١٩٨٤).
(42) Berlson. B. "**Content Analysis**" in G. Lindzer (ed) Hand Book of Social Psychology. Cambridge Wesley. 1954

(٤٣) راسم الجمال: **مقدمة فى مناهج البحث فى الدراسات الاعلامية**، (القـــاهرة، مركـــز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ١٩٩٩).

(44) Mc Guigan. F J. **Experimental Psychology**. New Delhi Prntice Hall of India, 1969.

(٤٥) عبد الحليم رضـــا عبـــد العـــال: **البحث فى الخدمة الاجتماعية** (القـــاهرة، دار الثقافـــة للنشر، ١٩٨٨).

(46) Lewin. Miriam. **Understanding Psychological Research**. New York. John Wiley & Sons. 1979.

(٤٧) أحمد عبد العزيز سلامه ـ عبد السلام عبد الغفار: **علم النفس الاجتماعى** (القـــاهرة، دار النهضة العربية، د.ت).

(48) Borkowsky. F T. **The relationship of Work quality** in Undergraduate Music Curicula to Effectiveness in Instrumental Music teaching in the Public Schools J. Exp. Educ. 39, 1970.

(49) Cohen. L. Child. D.. **Some Sociological and Psychological Factors** in university Failure. Duram Research Review. 22. 1969

(50) Parker. S.D. et al: **Perceied Control and Attributions to Fate**. Personality and Social psychology Bulletin. 1980.

(51) Tedeschi et al: **Introduction in Social Psychology**. New York West Publeshing Company. 1985.

مراجع الفصل الرابع : عربية وأجنبية

1. David G. Myaers: **Social Psychology** (Mc Graw-Hill Book Company, 1988.

2 Clegharn. R. ABC News. **Meet the Literary Digest** Detroit Free Press. October 31. 1980.

3. Milgram. S. **Obedience to Authority**. New York. Harper. 1974.

٤. عبد الستار إبراهيم: **الإنسان وعلم النفس** (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، فبراير ١٩٨٥).

5. Babbie. E: **The Practice of Social Research**. Belmont- California. Wadsworth. 1980.

٦. أحمد محمد عبد الخالق: **أخلاقيات البحث العلمى** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة علم النفس عدد (٢١) مارس ١٩٩٢).

7 Kelman. H.C. **Human Use of Human Subjects: The Problem of Deception in Social Psychological Experiments Psychological** Bulletin, 1967.

8. Kerlinger. F N. **Foundation of Behavioral Research**. Halt Rinegart & Winston. New York. 1970.

9 Mouly. G.J. **Educational Research**. The Art and Science of Investigation and Bacon. Boston. 1978)

١٠. راسم محمد الجمال: **مقدمة فى مناهج البحث فى الدراسات الاعلامية**، (القـــاهرة، مركـــز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ١٩٩٩).

11 Richard A Lippa: **Introduction to Social Psychology**. 2nd ed. Books. Cade Publishing Cpmpany. Practic Grove. California. 1974

١٢. حامد عمار: **المنهج العلمى فى دراسة المجتمع** (القاهرة، المؤلف، ١٩٦٠).

الجزء الثانى

موضوعات فى علم النفس الاجتماعى

- الفصل الخامس: التفاعل الإجتماعى
- الفصل السادس: الجماعة ودينامياتها
- الفصل السابع: التنشئة الاجتماعية
- الفصل الثامن: الاتجاهات النفسية الاجتماعية
- الفصل التاسع: القيم الاجتماعية
- الفصل العاشر: القـــــــيادة
- الفصل الحادى عشر: البناء السوسيرمترى لجماعة وسلوك الانسان.

الفصل الخامس
التفاعل الإجتماعى
Social Interaction
خطة الفصل المنهجية

- تمهيد.
- أمثلة لبعض مواقف التفاعل الإجتماعى.
- تعريف التفاعل الاجتماعى.
- التفاعل الإجتماعى والإتصال.
- الإتصال الإنسانى ودوره فى التفاعل الاجتماعى.
- جوانب التفاعل الإجتماعى.
- أنواع مواقف التفاعل الإجتماعى.
- أسس التفاعل الإجتماعى.
- مظاهر التفاعل الإجتماعى وأبعاده.
- نماذج وأنماط العلاقات التفاعلية.
- نظرية اللعبة التنافسية عند رابابورت وتشاماه. **Rapaport & Chammah**
- التفاعل الإنتقائى.
- العمليات الإجتماعية.
  - البناءة: التكيف ــ التعاون ــ الإمتصاص.
  - الهدامة : التنافس ــ الصراع.
  - مهارات التفاعل الإجتماعى وأساليب تحسينه.
- نظريات بارزة فى التفاعل الإجتماعى.
  - نظرية (بيلز) فى مراحل وأنماط التفاعل الإجتماعى.
  - نظرية (فلدمان) عن التكامل الإجتماعى.
- مساهمات بعض علماء الإسلام فى عميلة التفاعل الإجتماعى:
  - الفارابى.
  - ابن مسكوية.
  - ابن سيناء.
- تجارب فى التفاعل الإجتماعى.

تمهـــيد

إذا رأيت عبر الطريق من يتضح لك أنه فى حاجة للمساعدة.. فهل تعبر الطريق لـــه. لتقدمها له؟ أم هل تحاول تجاهل الموقف وتكمل السير فى جانب الطريق الذى تسير فيه؟

Social Interaction Includes helping or not helping.

- التفاعل الإجتماعى يشمل مساعدة أو عدم مساعدة الآخرين.
- إنه يتضمن العمل مع الآخرين **It Includes working with others.**

It often involves competing as well as Cooperating with people.

وأحيانا يستلزم المنافسة تماما مثل التعاون مع الناس.

ويعد مفهوم التفاعل الإجتماعى من أبرز المفاهيم الإســـتراتيجية فـــى علـــم النفـــس الإجتماعى، وهو من أهم عناصر العلاقات الإجتماعية **Social Relation**.

ويذهب العالم "دوبى – ١٩٦٦ – **Doby**" (١) إلى القول بأن "الجماعة فى حد ذاتـــها هى وحدة شخصيات متفاعلة **interaction of personalities** ويعتبر التعاون والتنـــافس والصراع والتوافق أشكالا واضحـــة لعمليـــة التفـــاعل الاجتمـــاعى **Forms of Social Interaction**. ويلعب (الإتصال) برموزه المتعددة دور الوســـيط فـــى إحـــداث (التـــأثير المتبادل) فى سلوك الأفراد كمضمون من مضامين التفاعل الإجتماعى.

أمثلة لبعض مواقف التفاعل الإجتماعى التى تعرض للمعلم داخل وخارج فصله

- عندما يستمع التلميذ للمعلم أثناء الدرس – يتابع شـــرحه وتفســـيره للمـــادة العلميـــة واستيعاب كل ما يقوله، وعندما يحاول الإجابة على الأسئلة التى يطرحها، وعندما يسمع تعليقه على إجابته.
- عندما يتعاون التلاميذ معا فى إعداد مجلة حائطية للفصل فيجتمعون معا ويقسمون العمل بينهم، فبعضهم يجمع مادة المجلة وبعضهم يتولى الإخراج الفنى لها والبعض الثـــالث يجمع الصور المناسبة للمادة والرابع يتعهد بكتابة المادة ثم يجمعون معا بعد ان يفـــرغ كل منهم من أداء مهمته ويتناقشون فى أفضل صورة لتحرير المجلة ويختلفون ويتفقون على أمور ثم ينتهون إلى أفضل صورة ممكنة فى رأيهم لعرضها على أخصائى الإعـــلام التربوى بالمدرسة.
- وعندما يريد التلاميذ القيام بنشاط مدرسي (رحلة – إقامة معرض فنى – إقامة حفلـــة سنوية) ويأخذون بتوجيه من المعلم – فى الاعداد لهذا النشاط المدرسى عـــن طريـــق تقسيم أنفسهم لمجموعات، على أن تتولى كل مجموعة منهم عمل معين وتتفاوت درجة نجاح كل مجموعة فى آداء المهمة الموكولة إليها. وأيا كانت درجة النجاح فإن أفراد كل مجموعة يكونون قد تفاعلوا معا. واتخذ الرئيسي أو القائد مركزا متميزا فى المجموعة. وكان لسلوكه دور مساعد أو معوق على نجاح المجموعة. وهذا الدور الفعال الذى قـــام به القائد يمثل صورة من صور "التفاعل الإجتماعى".

Some cases of failure to help بعض حالات فشل المساعدة

هوجمت فتاة أمام جموع غفيرة فى ميدان العتبة بالقاهرة أثناء صعودها حافلـــة مـــع والدتها وقد تم إغتصابها بواسطة ثلاثة من الشباب "ذئاب جائعة" وصرخت برجاء يـــائس

للمساعدة ـ وقد أطل الجميع نحوها وظلوا لفترة يراقبوها وهى تـــهاجم وتغتصـــب. ولـــم يحاول واحد ممن يقفون على محطة الأوتوبيس أن يقدم لها المساعدة حتـــى ولـــم يطلـــب أحدهم البوليس.

افرض أن الواقفين على محطة الأتوبيس أعطوا إستفتاءا عن موقف اجتماعى. لنفرض أنهم سئلوا: "لو رأيت فتاة تغتصب وليس لها حماية. هل تفعل شيئا للمساعدة؟ كيف تعتقـد سيجيبون؟ ومع ذلك عندما كانت لديهم الفرصة ليتصرفوا على سجيتهم فى مثل هذا الموقف فإنهم لم يفعلوا شيئا.

التفاعل الإجتماعى يشمل مساعدة أو عدم مساعدة الآخرين:

Social Interaction includes helping or not helping.

- المساعدة بإرسال خطاب : **Helping by mailing a letter**

لو رأيت خطاب على الرصيف. هل تلتقطه لترسله البريد؟ هل تقدم مثل هذه الخدمـــة البسيطة؟ أم هل يتوقف ذلك على وجود طابع على الظرف؟ أم يتوقف ذلك على وجودك على رصيف مزدحم أو غير مزدحم؟

تأثير الحالة المزاجية فى سلوك المساعدة:

The influence of your mood on helping behavior

- هل من المحتمل ان تساعد الآخرين عندما تكون فى حالة مزاجية جيدة عما لو كنت فى حالة مزاجية سيئة؟ افرض أنك وجدت بعض المال ملقية أسفل أحد المقاعد داخل أحـــد المدرجات بالكلية التى تنتمى إليها ـ هل من المحتمل أن تسلك سلوك المساعدة بعد ذلك مباشرة؟ ولو أنك تعرضت لحادث بسيط من أى نوع ـ هـــل يقـــل اســـتعدادك لتقديـــم المساعدة؟

تأثير الجاذبية الشخصية على سلوك المساعدة:

- هل تميل إلى مساعدة شخص جذاب عن آخر غير جذاب؟ هل تفضل تقديم المساعدة لـــو أن الشخص من النساء؟ وهل تفضل أكثر لو كانت من الشابات الصغيرات الجميلات؟ إذا شئت وجه هذا السؤال إلى سائقى "المينى باص" الذين يعملون على الخطوط المزدحمـــة صباحا..؟ هل تساعد شخص ما لأن هذا يجعلك تشعر أنك أحسن؟
- ربما كانت لديك الفرصة لمساعدة أناس معاقين ـ وقد تكون ساعدت فـــى وقـــت مـــا شخص كفيف ليعبر الطريق. ويفرض أنك ساعدت مثل هؤلاء الناس ثم أظـــهروا لـــك امتنانهم وشكرهم. هل يمحنك هذا شعور طيب؟ وهل يجعلك تشعر برغبـــة أكـــبر مـــن مساعدة الشخص التالى الذى تقابلة بنفس الحالة؟

تعريف التفاعل الاجتماعى

التفاعل الاجتماعى هو إلتقاء سلوك شخص أو مجموعة أشخاص مع سلوك شـــخص آخر أو مجموعة أشخاص آخرين فى عملية توافق تبادلية يترتب عليها أن يتأثر سلوك كل طرف بسلوك الآخر. بحيث يكون سلوك أى منهما منبها أو مثيرا لسلوك الطرف الآخـــر. ويجرى هذا التفاعل عادة عبر وسيط معين (لغة، أعمال، أشياء) ويتم خـــلال ذلـــك تبـــادل

رسائل معينة (messages) ترتبط بغاية أو هدف محدد. وتتخذ عمليات التفاعل أشكالا ومظاهر مختلفة تؤدى إلى علاقات اجتماعية معينة.

أهمية التفاعل الإجتماعى

التفاعل الاجتماعى داخل المؤسسات التعليمية يخرج الطالب من "ثقافة الصمت" إلى "ثقافة الحوار" التى يكون المتعلم فيها عنصرا فعالا فى محاولته فهم الكون والحياة وبالتالى يحسن العملية التعليمية وتتضح أهمية التفاعل الاجتماعى فى ضوء التعريف السابق كأساس لعملية التنشئة الاجتماعية (Socialization) حيث يتعلم الفرد والجماعة أنماط السلوك المتنوعة والاتجاهات التى تنظم العلاقات بين أفراد وجماعات المجتمع الواحد فى إطار القيم السائدة والثقافة والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها كما أن المدرس مثلا يشعر بكونه مدرسا نتيجة التفاعل بينه وبين التلاميذ، إذ يكون الفرد فى العمل جزءا من علاقات متكاملة تؤدى إلى الشعور بالهوية والمكانة. وقد تبين أن افتقاد الفرد مهارات التفاعل الاجتماعى الناجحة مع الآخرين، يدفعه للانسحاب، والشعور بالعزلة، وعدم التقبل والعجز، وبالتالى تضعف مقاومته فينهار تحت وطأة أية ضغوط نفسية كما يتزايد احتمال تعرضه للاضطرابات النفسية (٢:١٤٠-١٧٢)، (٣).

وسائل التفاعل الاجتماعى

عن عمليات التفاعل الاجتماعى تتم عبر وسائط (media) مختلفة متنوعة يمكن تصنيفها فى خطين رئيسيين من الوسائط هما:

(أ) **الوسائط اللفظية** (Verbal Media) : وتضم الكلام المحكى فى نطاق اللغة المستخدمة، بأشكاله وأنماطه المختلفة (إعطاء تعليمات، طرح أسئلة. إلقاء معلومات أو أفكار. مدح وثناء، نقد وهجاء، شرح وإلقاء أوامر وتعليمات..الخ). ويتأثر هذا الوسيط بالصوت والنبرة والسرعة والوقت والصمت والإصغاء والألفاظ والمعنى والأفكار والمناخ المادى والنفسى السائدين وفرص التباين والتفاعل.

(ب) **الوسائط غير اللفظية** (Non Verbal Media): وتضم كل ما هو غير لفظى وبشكل مثيرا أو منبها لاستجابات سلوكية مختلفة تسهم فى إحداث عملية التفاعل الاجتماعى وتنشيطها. ومن أمثلة ذلك حركات الجسم والأطراف والايماءات بالجسم والرأس واليدين، وتعابير الوجه، والملابس، والألوان، والأصوات غير الكلامية، والاقتراب والإبتعاد والملامسة الجسدية (كالمصافحة وغيرها)، واستعمال الأدوات والأجهزة والروائح المختلفة، وأساليب الجلوس والوقوف..الخ. وتختلف دلالات وقيمة هذه الوسائط بالنسبة لعمليات التفاعل الاجتماعى ونتائجها من ثقافة إلى أخرى. ومن جماعة إلى جماعة، وحتى من فرد إلى فرد فى الجماعة الواحدة (٤:٧٤-٨٤) . ويتم تقدير مدى كفاءة التفاعل بين الاشخاص من خلال مكونات الاستجابة اللفظية وغير اللفظية للفرد. ويعتمد نجاح التفاعل الاجتماعى على مهارات الفرد "اللفظية وغير اللفظية" فى التواصل أو التخاطب مع الآخرين. وتختلف هذه المهارات باختلاف موقف التفاعل الاجتماعى. كما يختلف مسارها تبعا لاختلاف أهدافها، والاستراتيجيات التى يتم من خلالها تحقيق هذه الأهداف (٥). ويؤيد ذلك ما توصل إليه بورز K.Bowers من

خلال تحليله لإحدى عشرة دراسة، تبين منها أن ١٣% من التباين يعزى إلى الشخص، ١٠% من التباين يتعلق بالموقف، و ٢١% من التباين يرجع إلى تفاعل الشخص مع الموقف. حيث يتأثر التفاعل الاجتماعي بشخصية الفرد، وبمكونات وطبيعة الموقف الذى يوجد فيه. مما يؤكد أهمية التفاعل بين الشخص والموقف(٦:١٠٧-١٣٥).

التفاعل الإجتماعى والاتصال تعنيان نفس الشئ

أكد (شيل دون سترايكر Sheldo Stryker) على هذه الحقيقة بقوله: "إن الكلمتين تفاعل وإتصال تعنيان فى نفس الشئ ذلك أنه لا يمكن أن يقوم تفاعل فى غيبة من الإتصال. كما لا يمكن أن يقوم إتصال بدون تفاعل رمزى" ويتفق معه أيضا "تيودور نيوكمب Newcomb حيث يقول: تستطيع القول بأن عمليات التفاعل الإنسانى هى تقريبا عمليات الإتصال.. ذلك أن التأثيرات الفردية التى نهتم بدراستها فى التفاعل هى تأثيرات تحدث من خلال الاتصال" ويشتمل التواصل اللفظى على كل من السلوك اللغوى والسلوك ما وراء اللغوى Paralingnistic (مثل نغمة وإيقاع الصوت). وفى مجال التواصل غير اللفظى، فمن الجوانب التى حظيت باهتمام الباحثين فى مجال التواصل غير اللفظى بوجه عام. وفى مجال الكشف عن الانفعالات بوجه خاص ما يأتى:

أ- **التعبيرات الوجهية** Facial Expressions، باعتبارها من أهم المصادر فى الكشف عن مشاعر الفرد وانفعالاته واتجاهاته.

ب- **الاتصال بالعين** Eye – Contact وتشير إلى طول الفترة التى ينظر فيها الفرد إلى الطرف الآخر منذ بدء التفاعل وحتى نهايته.

ت- **لغة الجسم**: وتشير إلى أوضاع وحركات الجسم المختلفة، ومدى تزامن الكلام مع الحركات "مثل حركات اليدين، والاصابع، والذراع، وحركات الرأس، والايماءات"(٧:١٣٠-١٤٢).

وقد تقدم البحث فى هذا المجال بشكل واضح وتطورات أساليب وطرق القياس فيما يتعلق بعمليتى ارسال واستقبال الانفعالات اثناء التفاعل الاجتماعى بين الأفراد. كما تمكن الباحثون من التمييز بين كل من العلامات Signs، والإشارات الاجتماعية Social Signals . على أساس أن الاشارات الاجتماعية تحمل معنى يتصل بموضوعات أو أحداث أو توقع سلوك، وتتضمن وعيا بالآخرين بوصفهم يفهمون المعنى الذى يوجه إليهم من خلال الاشارة التى تمثل تعبيرا غير لفظى يمكن للآخرين إدراكه. وأهم ما يميز الاشارة الاجتماعية أنها محاولة مقصودة للأفهام أو البيان أو الدلالة على معنى معين بغير أى حركات جسمية أو تعبيرات حركية قابلة للمشاهدة الخارجية، ولها معنى معين لدى كل من المرسل والمستقبل.

ولقد أوضح "ريجيو Riggio – ١٩٨٦، ١٩٨٩) أن كلا من مهارات التواصل غير اللفظى أو الانفعالى Nonverbal or Emotional communication skills ومهارات التواصل اللفظى أو الاجتماعى Verbal or social communication skills (كل من هذين النوعين) يشتمل على ثلاث مهارات أساسية هى:

١- **مهارات الارسال** Sending والتى تشير إلى الجانب التعبيرى Expressivity حيث قدرة الافراد على التواصل أو التخاطب.
٢- **مهارات الاستقبال**: Receiving ويقصد بها الحساسية Sensitivity، حيث مهارة الأفراد على استقبال الرسائل التى ترد إليهم من الآخرين، والقدرة على تفسيرها.
٣- **مهارات التنظيم أو الضبط**: Controlling، وتشير إلى مهارة الأفراد على تنظيم عملية التخاطب فى الموقف الاجتماعى (٨:٣٥٥-٤٠٤)، (٩:٥٥-٥٧)، (١٠).

وتعد ممارسة الفرد لبعض الأنشطة النوعية (التى لا تتصل بالمقررات الدراسية) مثل الأنشطة الفنية والموسيقية والرياضية وأنشطة الاذاعة والصحافة والمسرح المدرسى والأنشطة الاجتماعية، من العوامل المهمة التى تساعد على تنمية مهارات التواصل الاجتماعى Social Communication ، فمن خلال المشاركة فى هذه الأنشطة يتعلم الفرد كيفية التعامل والتفاعل مع الآخرين، ويكتسب طرق التخاطب اللفظى وغير اللفظى، والتعبير عن آرائه ووجهات نظره، وتوكيد ذاته، وضبط انفعالاته.

وعموما فعندما يتفاعل شخصان على سبيل المثال، فإن الشخص الأول يبدأ العملية بإرسال رسالة إلى الشخص الثانى. حينما يستقبل الشخص الثانى الرسالة. فانه يشعر بأنه يريد أن يرسل ردا إلى الشخص الأول (١١:٧٥-٧٨)، (١٢:٣-٥).

الاتصال الإنسانى ودوره فى التفاعل الاجتماعى

منذ بدء الخليقة نشأت عملية الاتصال الإنسانى التى تعددت أشكالها وإن لم يختلف المضمون والهدف منه الذى يتمثل فى تحقيق التواصل بين بنى البشر.

ويعد الاتصال الإنسانى ضرورة إنسانية لتماسك الأفراد والجماعات والمجتماعات والشعوب، ويتمثل فى القدرة على مشاركة الآخرين خبراتهم وافكارهم، وهو فن التعامل مع الجمهور لكسب عقولهم وقلوبهم وقد ازداد الاهتمام بهذا العلم بعد الحرب العالمية الثانية.

والاتصال الانسانى عملية تفاعل اجتماعى يستخدمها الناس لبناء معان تشكل فى عقولهم صورا ذهنية للعالم ويتبادلون هذه الصور الذهنية عن طريق الرموز.

وظائف الاتصال

١) الوظيفة التثقيفية تهدف إلى تزويد الناس بالمعلومات النافعة فى جميع نواحى حياتهم.
٢) الوظيفة التعليمية حيث يعد الاتصال عملية تفاعل اجتماعى. والتعلم يعنى التغير المستمر فى سلوك الفرد من خلال تزويد المعلم بالخبرات والمواقف والافكار والقيم الاجتماعية التى تساعد على التكيف مع المجتمع ويسهم الاتصال فى نقل المعارف والعلوم والتراث من جيل إلى جيل مما يساعد على تواصل الخبرات فى المجتمع.
٣) الوظيفة الاجتماعية ويتمثل ذلك فى التفاعل الاجتماعى الذى يتم من خلاله حيث تنقل المعلومات التى تهدف إلى تغيير السلوك الانسانى. فالاتصال أداة فعالة فى تكوين العلاقات الانسانية عن طريق تسهيل تناول المعلومات بين الناس، والاتصال عامل مهم فى توحيد الأفكار والاتجاهات والعمل على تغير السلوك الانسانى ويهم الاتصال أيضا فى التثقيف السياسى ويسهل التواصل بين الحاكمين والمحكومين فضلا عن دور الاتصال فى نشر الدعوات والتعاليم الدينية.

ويرى "لين Lin" إن الإتصال البشرى يمكن رؤيته إبان حدوثه من خلال مراحل معينة. هذه المراحل تتداخل فيما بينها بطبيعة الحال، غير أن لكل منها خصائصها المتميزة ولكل منها طبيعة وبناء متميز، ويحدد لين هذه المراحل فى أربع هى (١١:٤):

١- المواجهة Encounter
٢- التبادل Exchange
٣- التأثير Influence
٤- التكيف والتحكم Adaptation and Control

أولا : المواجهة Encounter: أى أن تكون العلاقة مباشرة بين الشخصين أو مجموعة الأشخاص المتفاعلين، وهى المرحلة الأولى للإتصال البشرى وهى إحدى شروط التفاعل الاجتماعى وهى أيضا العملية التى يتم بها الربط بين معلومة محدودة وبين متلقى من خلال وسيلة معينة. هذه الوسيلة إما أن تكون المصدر الأصلى للمعلومة أو قناة يتم من خلالها إرسال وبث المعلومة للمتلقى. فالمعرفة الأولى لشخص ما ـ مثلا ـ بعبور جنودنا البواسل خط بارليف من خلال صديق له تمثل مرحلة مواجهة، فالمعلومة هنا هى "عبور جنودنا البواسل خط بارليف". والوسيلة هنا هى الصديق. والشخص هو المستقبل. وهكذا فإن المواجهة هى أبسط أشكال الإتصال البشرى. والمعيار الوحيد لنجاح هذه المرحلة هو دقة نظام بث المعلومة والمدى الذى تصل به المعلومات إلى المتلقى بدقة وإنتظام وسرعة ـ وتتوقف دقة هذه المرحلة على عمل نظامين متمايزين هما:

١-نظام المعلومات Information System: الذى يهتم بالرموز التى تتضمنها المعلومات. فالرموز ينبغى أن تكون مألوفة ومتوقعة، من المستقبل إلى حد ما وينبغى أن تتوافر للمعلومات قيم جديدة وغريبة حتى يدرك المتلقى أن المواجهة ذات قيمة وتستحق الإهتمام.

٢-نظام التسليم Delivery System: الذى يهتم بقياس الغموض الذى تحتوى عليه المعلومات، وكذلك بالوسائل التى يتم بها إبلاغ المتلقى بالمعلومات. والمعلومات عبارة عن مجموعة من الرموز التى يألفها المصدر والمستقبل.

والمعلومات تختلف عن الرسالة. فالمعلومات تشير إلى الرموز التى تحتوى عملية المواجهة ذاتها عليها، بينما الرسالة فتشير إلى دلالة ومعنى البث. وهكذا فإن الملعومات هى محتوى مرحلة المواجهة Encounter بينما الرسالة هى محتوى المرحلة التالية وهى التبادل Exchange.

ثانيا: التبادل Exchange: يمكن تعريف هذه المرحلة بأنها مرحلة تدفق المعنى المشترك وهى تمثل الجهد الذى يبذله المشاركون فى الإتصال للابقاء على المعنى المشترك من خلال مجموعة من الرموز. ويجدر الإشارة هنا إلى أن تعبير "التفاعل الرمزى" Symbolic interaction" غالبا ما يستخدم بدلا من تعبير "التفاعل الاجتماعى Social interaction". السبب فى ذلك هو أن الإتصال الإنسانى (التفاعل الاجتماعى) يتضمن وضع الرسالة فى كود، أى فى شكل رمزى وأن المستقبل يقوم بعملية "فك الكود" أى تفسير معنى هذه الرموز والتعرف عليها فقط فى مرحلة المواجهة، أما ما تحمله الرموز من معنى

للمتلقى أو استجابة المتلقى للرموز وكيفية ذلك فإنها تقع فى مرحلة التبادل. ومن غير التبادل يكون السلوك. إما مؤثرا أو متأثرا من جانب واحد فحسب، وكلا التأثيرين لا يعنى التفاعل الاجتماعى. فأنت حين تعطى إشارة لمن وراءك فى الطريق بأنك ستنحرف بسيارتك إلى اليمين او تتلقى منه إشارة بأنه يريد أن يتجاوزك وأنت حين تتحدث إلى جماعة أو تستمع إلى محاضرة أو درس تليفزيونى.. أنت فى هذه المواقف لست فى موقف تفاعل إجتماعى. إنما يحدث التفاعل حين تعطى التعليمات فيناقشك المتلقى فيها. يطلب الاستيضاح أو يطلب التعديل، وحين تستمع إلى المحاضرة فتدلى برأيك فى نقطة من نقاطها أو تطلب الإهتداء إلى المزيد من تفصيلاتها (المشاركة الايجابية داخل المحاضرة).

وقد تتداخل هاتان المرحلتان (المواجهة والتبادل) إلا أن مرحلة المواجهة، هى جزء سابق على التبادل وهى أيضا جزء أساسى منها.

ثالثا: والاستمرار شرط أساسى لحدوث ظاهرة التفاعل الاجتماعى، فبدون استمرار يكون الموقف السلوكى فعل ورد فعل، أو سببا ومسببا فى إتجاه واحد. يجيبك شخص تحية الصباح فترد عليه. والتبادل والإستمرار مرتبطان وبدون تبادل للسلوك لا يتحقق الاستمرار وبدون استمرار السلوك لا يتحقق التبادل.

رابعا: والتداخل حيث يكون سلوك كل شخص استجابة لسلوك آخر ومنبها له فى نفس الوقت. شرط من شروط التفاعل الإجتماعى، أنت تستجيب بالغضب لتصرف زميلك فيكون غضبك منبها لسلوك الاعتذار منه.

خامسا: مرحلة التأثير Influence: وهى نتيجة هامة لمرحلتى المواجهة والتبادل. ويمكن تعريف التأثير هنا بأنه التناقض بين:

١- اتجاه شخص نحو شئ أو موقف وسلوكياته قبل مشاركته طوعا أو جبرا فى مرحلتى المواجهة والتبادل.

٢- إتجاهه وسلوكه بعد مشاركته فى هاتين المرحلتين أو إحداهما.

وهى مرحلة تمثل التأثير السيكولوجى أو السلوكى للإتصال.

سادسا: التحكم والتكيف Control and Adaptation: وهى المرحلة التنظيمية للإتصال البشرى والتى يمكن معرفة فعالية نظام الإتصال. والتحكم هنا يشير إلى الجهد الذى يبذله المصدر أولا لتنظيم الاتصال.

وإذا كان الهدف من مرحلة المواجهة (هو بث معلومة بنجاح والعمل على الاقلال من الشك فى صحة المعلومة، والهدف فى مرحلة التبادل وتداخل السلوك والاستمرار هو التأكد من أن المعنى الذى تلقاه المستقبل فسره هو المعنى المقصود. والهدف فى مرحلة التأثير ليس تعديل الاتجاهات والسلوك فحسب ولكن تعديلها فى إتجاه محدد وبمقدار محدد.

فإن الهدف فى مرحلة التحكم والتكيف هو التأكد من فعالية النظام الإتصالى سواء من ناحية المصدر أو المستقبل. فإذا لم يقم المصدر بتقييم ما يحدث للمعلومة والرسالة كما تلقاها المستقبل.. وإذا لم يكن لدى المستقبل وسيلة للكشف عن استجابة المصدر لما أدركه هو كمستقبل. فإن احتمال حدوث فجوة اتصالية أو انقطاع اتصالى هو احتمال كبير.

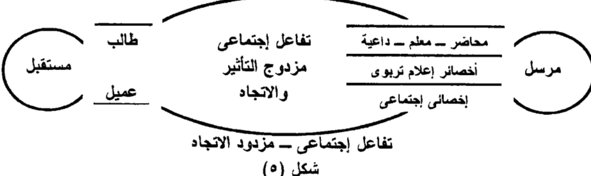
وتتكون هذه المرحلة من "التغذية المرتدة أو رجع الصـــدى" **Feed back system**. وهو الوسيلة التى يتعرف بها المصدر على التأثير المقصود وغير المقصود للمعلومـــة أو الرسالة التى قام ببثها إلى المستقبل. وقد يكون رجع الصدى إيجابيـــا أو ســلبيا، فرجـــع الصدى الايجابى يؤكد أنه تم تحقيق الكفاءة والتأثير المقصود، أما رجع الصدى السلبى فإنه يوفر المعلومات حول عناصر النظام الاتصالى التى لم تعمل بكفاءة وإنحراف تأثير الاتصال عما يقصده المصدر، ورجع الصدى السلبى أكثر أهمية لأنه هو الذى يوفر المعلومة اللازمة والتى على أساسها يمكن تحقيق وتكييف الاتصال.

لكن هناك شرطا أساسيا آخر هو الذى يميز عملية التفاعل الاجتماعى من عملية التأثير الاجتماعى، هذا الشرط هو التوافق المتبادل ونعنى بالتوافق المتبادل أن تتكامل اســتجابات الاشخاص فى الموقف الاجتماعى بطريقة سهلة بحيث يبدو تبادل السلوك بينهم وكأنه عادة واحدة متعددة الجوانب لشخص واحد.

مثال: سلوك فريق كرة القدم يتميز بميزتين هما:

١-وجود مجموعة مشتركة من التوقعات من جانب كل شخص بالنسبة للشخص الآخر.

٢-أن يكون لكل شخص دور محدد، وتكون العلاقة بين أدوار، بين أب وابن أو بين طالب ومعلم أو بين اخصائى اجتماعى وعميل أو بين مريض ومعالج نفسى.



تفاعل إجتماعى ـ مزدود الاتجاه

شكل (٥)

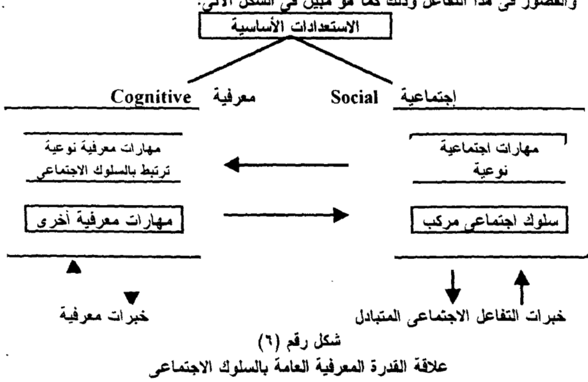
وتعد العلاقات الاجتماعية المتبادلة التأثير والاتجاه هى أرقى أنواع علاقـــات التفـــاعل الاجتماعى التى تبدأ من العلاقات اللاتبادلية وتتطور إلى علاقات الاتجاه الواحد، فالعلاقـــات شبه التبادلية فالعلاقات المتوازنة ثم تنتهى إلى التبادلية غير المتناسقة تصل أخـــيرا إلـــى المتبادلة. وتعبر العلاقة عن الصلة بين فردين أو أكثر. أما التفاعل فيشـــير إلـــى التـــأثير المتبادل بين الأفراد وما ينتج عنه من تغير فى سلوك كل منهم، ومن ثم يمكننا القول بـــأن العلاقات والتفاعل مرتبطان ويكاد لا يحدث أحدهما دون الآخر. وعندما تنشأ هذه العلاقـــات بين فرد وآخر فإن كلل منهما يدرك جانبا من شخصية رفيقة، ومن ثم يحاول كـــل منـــهما التعرف على ما يتوقعه الآخر منه، وكيفية تحقيق ذلك بما يزيد من فعالية ما يحدث بينـــهما من تفاعل. وهكذا يضم الموقف الاجتماعى جوانب ثلاثة هى: العلاقات المتبادلة، والتفـــاعل والإدراك. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا: ما هو الأمر الذى يجعل التفاعل الاجتمـــاعى مقبولا بصورة متبادلة فى بعض الحالات، وكريها فى مجالات أخرى؟

يجيب (تيبو وكيللى) (١٦٢:١٢) أنه إذا كان كلا المشتركين متعاونين أو ودودين، أو إذا عبرا عن إتجاهات متشابهة، فإن العلاقة تبشر بالإستمرارية، حيث أن كلا الشخصين يثاب من خلال التفاعل. أما إذا زاد كل مشترك من قلق الآخر أو أظهر العداوة (برفض التعاون، مثلا) فإن العلاقة الناشئة قد تنتهى بسبب "التكلفة" الاجتماعية التى يجلبها هذا الارتباط. فالتفاعل، إذن، يستمر إذا زادت المكافآت التى يحصل عليها كلا المشتركين من العلاقة على التكاليف الناجمة عنها، والإرتباط بين الأصدقاء الحميمين يمنح العديد من المكافآت المتبادلة بتكلفة منخفضة ويفترض أن هذه الارتباطات المعمرة تمنح الكثير من الاشباع المتبادل.

القدرة العقلية العامة والتفاعل الاجتماعى

يمثل السلوك الماهر اجتماعيا مع القدرات العقلية جناحى الكفاءة والفعالية فى مواقف الحياة والتفاعلات اليومية للفرد مع المحيطين به، وتفسر أيضا ذلك الإخفاق الذى يعانيه البعض فى تلك المواقف ــ فمن يمتلكون قدرا منخفضا منها على الرغم من ارتفاع قدراتهم العقلية ــ والذى يتمثل فى عدم استثمار الفرص المتاحة لاقامة علاقات وديه مع المحيطين بهم، وعدم الحصول على الموقف الملائم فى العمل، وبين الزملاء، والعزلة الاجتماعية، وزيادة الخجل فى مواقف التفاعل الاجتماعى، مما يشكل عائقا عن التعبير والافصاح عن الذات (١٣:٤٤٣-٤٨١).

وتركز التوجهات الحديثة على كل من الوظائف المعرفية والاجتماعية، والعلاقة القائمة بينهما. وقد أوضح "شان وونج – ١٩٨٦" (١٤:١٥٣-١٦٩) إن المعالجات الحديثة فى تفسير الاضطرابات المعرفية تتم فى ضوء علاقتها بالتفاعل الاجتماعى. وبنواحى العجز والقصور فى هذا التفاعل وذلك كما هو مبين فى الشكل الآتى:



شكل رقم (٦)
علاقة القدرة المعرفية العامة بالسلوك الاجتماعى

وقد أشار هذان الباحثان إلى أن الخلل والقصور فى التفاعل الاجتماعى يختلف باختلاف مستوى الذكاء العام (القدرة العقلية العامة). فمع انخفاض الذكاء تتزايد عزلة الأطفال، كما تتزايد صعوبات التفاعل الاجتماعى، وتنخفض القدرة على التخاطب والتواصل مع الآخرين. وبوجه عام فإن انخفاض مستوى الذكاء يصاحبه العديد من المشكلات الإجتماعية المسؤولة عن عدم القدرة على التكيف الاجتماعى. **Adaptaion** ويؤكد ذلك محاولات علماء النفس قياس الذكاء الاجتماعى (القدرة على فهم وحسن التعامل مع سلوكيات الآخرين والنشاط بحكمة خلال العلاقات الاجتماعية) (١٥:١٨٣) بإعتباره بناء متعدد الابعاد ويشتمل على مهارات التخاطب الاجتماعى الأساسية مثل: الارسال والاستقبال وفهم المعلومات الاجتماعية، والترميز، والمشاركة الاجتماعية، والتعبير اللفظى والانفعالى، وتنظيم السلوك الاجتماعى ولعب الدور الاجتماعى (١٠).

جوانب التفاعل الاجتماعى

وفى موقف التفاعل الاجتماعى يحدد الباحثون ثلاثة جوانب:

(أ) **العناصر**: التى يتألف منها الموقف، والتى يحدث بينها التأثير المتبادل أو التفاعل "المعلم والتلاميذ"، "اخصائى الاعلام التربوى وإحدى جماعات الصحافة ــ الإذاعة ــ المسرح المدرسى".

(ب) **العمليات النفسية**: التى تحدث خلال عملية التفاعل مثل الإدراك والتواصل حيث أن الإدراك فى غاية الأهمية فى الاتصال بين الأفراد والتفاعل فيما بينهم، ذلك أن الشخص.

١- يدرك وجود الشخص الآخر المشترك معه فى الإتصال.

٢- لديه مجموعة من الاعتقادات حول هذا الشخص سواء كانت مبنية على تفاعل سابق مع نفس الشخص أو مع أشخاص آخرين فى ظروف مشابهة.

٣- لديه إتجاه ونزاعات عاطفية نحو الشخص الآخر.

لذلك، فإنه حتى قبل أن يبدأ تبادل أى رسالة بين الشخصين يكون كل منهما قد استعد إدراكيا للشخص الآخر.

(ت) **النتائج**: التى تترتب على موقف التفاعل وتظهر فى سلوك العناصر التى تكون التفاعل سواء كانوا أفرادا أم جماعات وهى "تعديل السلوك".

ويجدر بنا أن نفرق بين كل من العمليات النفسية فى الإدراك والتواصل. فالأولى هى بمثابة إدراك إجتماعى مباشر يعتمد على الحواس بينما التواصل إنما هو إدراك جماعى غير مباشر يعتمد على السلوك الصادر من موضوع الإدراك.

مثلا أنت ترى سيدة تلبس ثيابا سوداء فتدرك أنها فى حداد. هذا الإدراك إدراك اجتماعى مباشر. أما إذا سلكت هذه السيدة سلوكا يعبر عن حزنها بالبكاء أو بكلمات حزينة. فبكاؤها أو كلماتها تكون رسائل إليك تجعلك تدرك عن طريق غير مباشر، أى عن طريق رسالة منها إليك، أنها حزينة.

إدراكك فى الحالة الأولى لحزنها مبنى على إدراك حسى أما إدراكك لهذا الحزن فى الحالة الثانية فمبنى على رسالة منها إليك أى عن طريق التواصل **Comunication**.

أنواع مواقف التفاعل الاجتماعى

وهو الذى يتكون من فرد وآخر، ونتيجة التفاعل الذى يحدث بين هذين الفردين "التجاذب".

الموقف التفاعلي	الرسم التوضيحى	النتائج	تكوينات عناصر موقف التفاعل	الأمثلة على التفاعل
الموقف الثنائى		التجاذب	ما ينتج عن التفاعل بين شخصين	يظهر فى علاقات الصداقة الزوجية والعلاج النفسي
فرد و جماعة	(أ) (ب)	تجانس	(أ) يصبح الفرد موضع تأثر بالجماعة أكثر من مؤثرا فيها.	(أ) الطفل فى الأسرة يتأثر بكل فرد فيها.
	(أ)	قيادة	(ب) تصبح الجماعة موضع تأثير بالفرد أكثر منها مؤثرة فيه والانقياد له فى سلوكها	(ب) رئاسة حزب سياسى أو نقابى أو قيادة جماعة طلابية أو جمعية نفسية
جماعة و جماعة	(ب)	تعاون صراع	جماعتين تؤثر كل جماعة فى الأخرى وتتأثر بها جماعتين متصارعان	حزبين سياسيين أو ناديين رياضيين

رسم توضيحى يبين التفاعل الاجتماعى فى التكوينات المختلفة لعناصر موقف التفاعل الاجتماعى شكل رقم (٧)

أسس التفاعل الاجتماعى

يمكننا أن نحدد أسس التفاعل الاجتماعى بخمس وسائل وهى (١٦:١٤٢،١٤٣):

١- الاتصال communication
٢- التوقع Expectation + Prediction
٣- إدراك الدور وتمثيله Role Realization + Acting
٤- الرموز ذات الدلالة Symbols of signuifiance
٥- التقويم Evaluation

١ – الاتصال: Communication

لا يتم تفاعل بين فردين دون أن يكون هناك إتصال بينهما بوسيلة أو بأخرى. ويساعد الإتصال فى الوصول إلى وحدة التفكير وظهور للسلوك التعاونى – حين تكون وسائل الاتصال سليمة فإنها تؤدى بالفرد إلى الإحساس بالانتماء Feeling of Belonging إلى الجماعة. ويلعب الإتصال دورا أساسيا لحل المشكلات وإتخاذ القرارات بصورة جماعية. وتزيد قوة الأفراد على التخاطب بلغات متعددة من دائرة الإتصال اتساعا على الرغم من وجود فوارق بينهم من النواحى الاجتماعية ومن حيث إطار المرجع*.

٢ – التوقع: Expectation

التوقع فى علم النفس هو الإتجاه والاستعداد للاستجابة لمنبه معين. فسلوكنا يصاغ شكله طبقا لما نتوقعه من الآخرين. فأنا ألقى السلام على الأفراد لأنهم يتوقعون منى ذلك. وأتوقع منهم الرد المناسب. وإن إزدياد معرفة أعضاء الجماعة لبعضهم البعض يؤدى بدوره إلى التحكم فى سلوكهم تجاه بعضهم طبقا لما يتوقعه كل منهم من الآخر، كذلك فإن توقع أحد الأباء لفرحة إبنه بهدية معينة، قد يدفعه إلى شراء الهدية. أو توقع أحد الآباء لفرحة أسرته بالذهاب إلى المصيف سنويا، قد يدفعه إلى تكرار هذا الحدث سنويا.

٣ – إدراك الدور وتمثيله: Role – Playing

كلما كان إدراك الفرد لدوره عميقا وآداؤه جيدا كلما ازداد نجاحه فى عمليات التفاعل الاجتماعى.

٤ – الرموز ذات الدلالة: Meaning Symblos

يتوقف (التفاعل الاجتماعى) وأداء الأدوار على وجود رموز ذات دلالة بين الأفراد كاللغة وتعبيرات الوجه، وحركة اليدين، وغيرها وكلها من وسائل الاتصال الجوهرية.

٥ – التقييم: vauation

إن عملية التقييم لسلوك الفرد، ولسلوك الآخرين، ودوافعهم وأفعالهم تعتبر من مضمون الأسس والوسائل التى تتكامل بها عملية التفاعل الاجتماعى. ويقصد بالتقييم Valuation إعطاء قيمة أو تقدير للأشياء أو الظواهر أو الأفكار أو أنماط السلوك. ويرى كراقواهل وزملاؤه (١٧) أن ما تشمله هذه الفئة يتفق مع مفاهيم الاعتقاد Belief أو الاتجاه Attitude فى علم النفس الاجتماعى حيث يظهر التلميذ سلوكه بدرجة كافية من الاتساق فى المواقف الملائمة مما يجعلنا نستنتج أن لديه قيمة Value معينة. والعنصر الرئيسى المميز للسلوك هنا أنه ليس مدفوعا بالحاجة إلى الانصياع أو الطاعة وإنما نتيجة التزام التلميذ بقيمة أو اتجاه.

* الإطار المرجعى: هو مجموعة العوامل الذاتية والموضوعية التى تحدد طبيعة الإدراك الاجتماعى والإدراك الاجتماعى يعنى عملية تكوين انطباعات عن الاخرين، وتقديمهم والحكم على سلوكهم وخصالهم (سواء ما يتعلق بمشاعرهم أو مقاصدهم، وشخصيتهم أو استعداداتهم..الخ وتصيفهم فى فئات ذات معنى.

مظاهر التفاعل الاجتماعى وأبعاده

يرى علماء النفس الاجتماعى بأن من أبرز مظاهر التفاعل الاجتماعى المظاهر الآتية:

أ- تقييم الذات

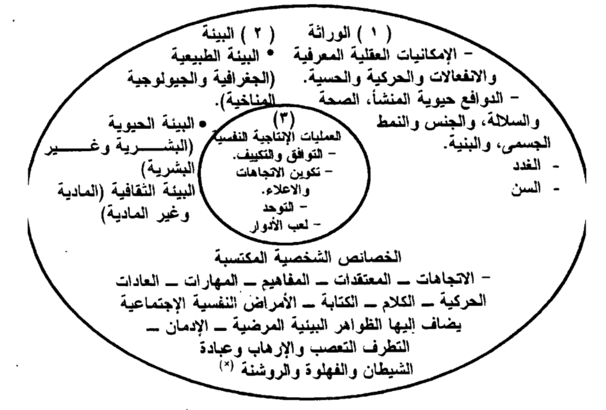
ب- تقييم الآخرين

ت- إعادة التقييم

ث- إستمرارية التقييم

وكلمة تقييم تستخدم لتدل على جانب وجدانى وتنقسم هذه الفئة إلى ثلاث فئات فرعية هى تقبل القيمة acceptance وتفضيل القيمة preference والإلتزام commitment ويتمثل الأخير فى الولاء لقضية أو بعد أو هدف أو مدرسة فى الفن أو الأدب أو علم النفسز ويمكن أن نوضح هذه الفئة بمثال من التربية الفنية: فقد تظهر على التلميذ رغبة مستمرة فى تنمية قدرته على الرسم أو النحت أو التصوير (التقبل). ثم يبدأ فى البحث عن أمثلة من الفنون الجميلة بغرض الاستمتاع بها على نحو يجعل انطباعنا عن سلوكه هذا قويا (التفضيل)، وبعد ذلك يصل إلى مستوى الفئة فى الفن كطريقة فى التفكير(١٨:هـلمش٧٥).

ويرى العالمان (ديوى وهمبر ١٩٦٦ Humber–Dewey) (١٩) إن عملية التفاعل الاجتماعى تنمو وتتضح فى(إطار مرجعى) ـ كما هو واضح فى الشكل التالى شكل رقم(٨):



نماذج وأنماط العلاقات التفاعلية

إن السلوك فى التفاعل الاجتماعى يتوقف على سلوك الأفراد المعينة فى عملية التفاعل، فالمصلحة المشتركة لا تقوم إلا من خلال (التعاون Cooperation) ولكن حين يكون التفاعل قائما على إنتصار طرف وخسارة آخر فإن هذا النوع من التفاعل يسمى

(*) المؤلف.

(تنافسا ٩. ويقول (هاملتون) في دائرة العلوم الاجتماعية "إن الشرط الأساسي في التنافس هو وجود جماعة لا حدود لمطالبها مع وجود عالم عنيد وموارد غير كافية.

وقد يمتزج التنافس بنوع من التعاون كما هي الحال في اللغة الدبلوماسية. بين الدول والتي بدورها تضمن الاستمرار والبقاء، فالتنافس بين الدول الاستعمارية بشتى إتجاهاتها يتضمن تعاونا ولكنه في نهاية المطاف يعطي لكل طرف جزءا من المصالح. وعلى هذا فإن حصيلة اللعبة لا تصل إلى الصفر.

نظرية اللعبة التنافسية

يعرف العالم (فينيك Vinake ١٩٦٩) المباراة أو اللعبة بأنها عبارة عن منازلة تتم طبقا لقواعد معينة وتكون نتيجتها غير معروفة مقدما إنما تتوقف على تصرفات المشتركين فيها. ويؤدي هذا التعرف إلى اعتبار المباريات نوعا من التفاعل الاجتماعي. وتتضمن نظرية اللعبة التنافسية عنصرين بارزين هما:

أ- إتخاذ قرار بين عدة احتمالات ولكل احتمال نتائج معينة.

ب- الصراع ويكون بين الأفراد، وبين الفرد ذاته لتعدد الاختيارات والاحتمالات.

وقد أوضح العالمان (رابوبرت وتشامان ـ ١٩٦٥: Rapopart + Chammah) فكرة اللعب من هذا القبيل، بدراسة أطلقا عليها اسم (مشكلة أو معضلة السجين The Dilemma of the Prisioner) (٢٠) وموجزها: إننا إذا افترضنا كما يحدث في الواقع، أن تم القبض على شخصين لإتهامهما بإقتراف جريمة واحدة. وحقق البوليس معهما كل على إنفراد دون السماح لهما بالإتصال ببعضهما. وقال المحقق لكل منهما على انفراد بأنه إذا اعترف ضد زميله فإنه ستتم براءته فما هي الاحتمالات الممكنة؟

أ- الاحتمال (أ). هو أن لا يخون احدهما الآخر وفي هذه الحالة تكون النتيجة (أأ) وهذه النتيجة ايجابية لكل منهما وفوز كل منهما بالإفراج عنه.

ب- الاحتمال (ب) وخاصة في حالة عدم معرفة نية الشخص الآخر يعتبر البديل المعقول لكل منهما أن يرمي إحدهما أو كل منهما التهمة على الآخر دونما اعتبار للقيم الخلقية. طبيعي أن تكون النتيجة خسارة لكل منهما وتكون النتيجة (ب ب). وخلاصة ذلك:

- أنه إذا كان كل من السجينين يثق أحدهما في الآخر فستكون النتيجة (أ أ) ويفوزان معا.
- أما إذا كانت الثقة منعدمة بينهما فستكون النتيجة (ب ب) ويخسران معا. في حين أنه إذا كان أحدهما يثق في الآخر بينما لا يثق فيه زميله فسيخسر الواثق ويفوز عديم الثقة.

التفاعل الانتقائي

إن الشخص يختار أن ينتقي التفاعل مع هؤلاء الأفراد الذين يستطيع أن يكون معهم وبسرعة في حالة من حالات التطابق. فمثلا إذا اعتبر الفرد نفسه ذكيا، فإنه عادة ما يتفاعل مع أفراد يقدرون ذكائه أو يسمحون له بممارسته، من خلال ذلك يتجنب قدرا من التوتر أو الضغط على مفهومه عن ذاته إن كان تفاعله بدون تمييز. وعن طريق اختيار مثل هؤلاء

الأفراد كأصدقاء، فإنه يخلق مصدرا دائما وهاما مدعم للتفاعلات المتطابقة المتوافقة، ولقد أشار (باكمان Backman، وسيكورد Secord١٩٦٢) فى دراسة لهما بنادى للفتيات.

إن الفتيات تفاعلن بتكرار أوسع وأكبر من هؤلاء اللاتى أدركن أنهن يؤكـدن مفـهوم لذواتهن إلى أكبر مدى. (٢١:٣١٢) وهنا يتدخل عامل الميل (الذى بإعتباره نزعة عقليـة عامة تجعل الفرد يميل إلى موضوع معين فيقبل عليه لإشباع حاجته أو ينفر منـه فيبعـد عنه). وفى نفس الوقت ضمن العوامل التى تشد الفرد نحو الجماعة لإشباع حاجة لديـه ولا تنفره منها. وقد حاول العلماء إكتشاف تأثير (الثواب والعقاب) فى التفـاعل الإجتمـاعى.

وتوصل العالم "ميللر وزملاؤه ١٩٦٩" (٢٢:٢٤-٤٢) إلى النتائج التالية:

أ- لم يظهر أى تأثير أو فعالية لقوة العقاب فى التفاعل الإجتماعى.

ب- التأثير يعتمد على قدرة الفرد على إثبات الصواب لديه.

ت- الثواب والمكافأة والتشجيع تزيد الاستجابات المحببة وتعزز السلوك المطلوب. بينمـا العقاب يؤدى إلى كف الاستجابات المسببة للعقاب فقط.

ويمكن دراسة التفاعل الاجتماعى من خلال وجهتى نظر:

الأولى: سلوكية مبنية على نظريات التعلم، حيث يبدأ التفاعل بين الأفراد نتيجة التدعيـم أو الإثابة التى يتلقاها المشتركون فى التفاعل، فهو مشروط بإشباع حاجات الأفراد.

الثانية: تعتبر التفاعل نسقا اجتماعيا أساسه استجابة الأفراد المشتركين فى التفاعل، وهـو فى هذه الحالة بمنزلة منظومة أو دائرة منتظمة ومتكاملة فى داخلها، فإذا اختل أحد أجزائها تعرضت بقية الأجزاء للخلل بالتالى: وفى ذلك يذهب نيوكمب إلى أن النـاس يعمدون إلى تعديل مفاهيمهم واتجاهاتهم فى سبيل أكبر من الانسجام والتوافق فـى العلاقات القائمة فيما بينهم.

وتعمد بعض المدارس إلى تفسير التفاعل الاجتماعى على أنه يعبر عن الجوانـب ذات الصفة الحركية من جوانب دراسة الجماعة، وهو ما يطلق عليه التعاهد الاجتماعى المتبادل. وهو مفهوم يعبر عن أن هناك تعاهدا أو اتفاقا (ضمنيا / معلنا) بين أطراف التفاعل مفـاده أن الطرف الذى يعطى يتوقع بالتالى نوعا من الأخذ أو المقابل، أى أن التفاعل الاجتمـاعى إنما هو تفاعل منمط فى جوهره (٢٣).

مظاهر التفاعل الاجتماعى

Social Processes as phenomena of Social Interaction

التفاعل الاجتماعى هو العملية الأساسية التى تندرج تحتها سائر العمليات الاجتماعيـة التى سنتحدث عنها بالتعاون والتكيف والإمتصاص والتنافس والصـراع فمـا المقصـود بالعمليات الاجتماعية؟ وما أهميتها؟

إنها الأساليب التى تتغير بها العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات فتكون العلاقة بين أفراد مجموعة علاقة (تعاون). ثم تتغير الظروف الاجتماعية فتتحول تلك العلاقة إلـى علاقة تنافس أو صراع. وقد تكون العلاقة بين مجتمعين علاقة صراع فتستجد ظروف تحول تلك العلاقة إلى علاقة تعاون، وهكذا يؤثر التغير الاجتماعى وتفاعل الأفراد والجماعات فـى تحديد الأسلوب الذى تتغير به العلاقات الاجتماعية أى فى تحديد العملية الاجتماعية.

وتبدو أهمية العمليات الاجتماعية فى أنها عمليات أساسية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات لأن من طبيعة الحياة الاجتماعية أنها تموج بالحركة الذاتية. وما العمليات الاجتماعية إلا بعض مظاهر هذه الحركة. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: هل يمكن معرفة العمليات الاجتماعية التى تؤدى إلى علاقات إيجابية مرغوب فيها وتلك التى تؤدى إلى علاقات سلبية غير مرغوب فيها؟ طبعا يمكن ذلك مع نسبية النتائج بسبب خضوعها لعوامل الزمان والمكان ووسائط التفاعل ومحتواه فى نطاق القيم والأهداف السائدة. إن بعض العمليات كالتعاون والتكيف والامتصاص تعتبر عمليات مجمعة (بناءة) تؤدى إلى وحدة المجتمع وزيادة اللحمة بين افراده وجماعاته، بينما بعضهما الآخر كالتنافس والصراع تعتبر عمليات هدامة تؤدى إلى تفكك البناء الاجتماعي وانحلاله، على العكس التكامل الاجتماعي كعملية التآزر والتغاير الدينامى الإرتقائى بين الوظائف الحيوية والنفسية والاجتماعية فى سبيل الابقاء على وحدة الكل (سواء كان هذا الكل فرد أو جماعة أو مجتمع).

بينما يعتبر "عاطف غيث" أن عمليات التفاعل الاجتماعي (التعاون ـ التنافس ـ الصراع) إنما تشير إلى سلوك متداخل بعضه مع البعض الآخر فى واقع المعاصرات والتفاعلات الحياتية لأنها تعبر عن سلوك تكاملى، حتى أنه أورد مثالا من الواقع الرياضى. حيث تعبر المباراة الرياضية عن العمليات الثلاث، فنجد وجهة نظر المتفرج تنحصر فى إدراك كل فريق من الفرق المتنافسة على أنه وحدة تعاونية تهدف إلى الوصول للفوز، بينما لو بحثنا الأمر من وجهة نظر أحد أعضاء الفريق نجد أنه ربما تصاعدت نظرته فتنقلب من تنافس على الفوز على الفريق الآخر إلى عملية صراع فى ضوء أهمية المباراة، بل قد يدرك أن الموقف فى المباراة يقتضى أن يتنافس مع زملائه من نفس الفريق فى بعض مواقف المباراة أو حتى بعدها (٢٤) ويتضح ذلك من الاحتراف الرياضى حيث يطمع كل لاعب "محترف" منهم فى جذب الانتباه ولفت الانظار إليه، وكل منهم يتطلع إلى أن يصبح نجم المباراة دون منازع.

العمليات الاجتماعية البناءة

التعاون ـ التكيف ـ الامتصاص ـ المحاكاة ـ الإيحاء

أولا: التعاون Cooperation

(١) **مفهومه:** عملية اجتماعية يشترك فيها أكثر من فرد أو جماعة فى أداء عمل معين لتحقيق أهداف مشتركة، وذلك لتعذر قيام الفرد بمفرده أو الجماعة بمفردها بذلك العمل فتكون الحاجة ماسة إلى تجميع الجهود. ويصف التعاون مجهود الأفراد المتسق المستمر. والتعاون هو أحد المظاهر الايجابية للتفاعل الاجتماعى وهو ظاهرة اجتماعية تجد صداها القيمى لدى التربويين.

(٢) **أنواع التعاون:**

التعاون المباشر: مثل تعاون فردين أو أكثر فى بحث علمى (بحث مشترك) أو عمل من الأعمال المشتركة معه.. ومثل التعاون بين جماعتين أو دولتين على أمر من الأمور فيه مصلحتهما (دفاع مشترك ـ تبادل تجارى أو خبرات علمية).

التعاون غير المباشر: تعاون بين أفراد أو جماعات لا يعرف بعضهما بعضا لتحقيق هدف من الأهداف، مثل تعاون جميع العاملين فى شركة الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى لزيادة الإنتاج وجودته ــ أو جميع الأنظمة الفرعية من مبانى هندسية ــ مناهج ــ تقويم وقياس وتكنولوجيا تعليم وشئون مالية وإدارية لتحقيق أهداف تكنولوجيا التربية.

(٣) **شروط التعاون:**

(أ) وجود الرغبة أو الدافع للتعاون.

(ب) الممارسة والتعود.

(ت) الرضا والسعادة والإرضاء النفسى.

مميزات أسلوب التعلم التعاونى:

١-يعمل الأفراد من خلال هذا الاسلوب فى جماعات تعلم صغيرة متفاوتة يتراوح عدد أفرادها من (٣-٥) أفراد.

٢-يوجد اعتماد متبادل ايجابى بين أفراد الجماعة لتحقيق هدف الجماعة.

٣-يتعاون الأفراد فيما بينهم فى تبادل المعلومات والأفكار داخل الجماعة.

٤-يتوافر بين أعضاء الجماعة قدر من المسئولية الفردية والتى تعمل على تحقيق هدف الجماعة.

٥-يكافأ الأفراد على أدائهم بكونهم جماعة.

ثانياً: التكيف Accommodation

(١) **مفهومه:** عملية إجتماعية تعنى الملائمة والانسجام بين طرفين أو أكثر بحيث تكون نتيجة الملائمة والانسجام هى سيادة روح التفاهم والنوايا الحسنة والرأى الجمعى، لذا تتعثر عملية التكيف إذا انعدمت المزونة وساد التعصب الأعمى.

(٢) **وسائل التكيف:** هى كل ما يقرب بين الأفراد أو بين الأفراد والجماعات أو بين الجماعات والمجتمعات، ويقضى على الاتجاهات السلبية التى تحول دون تحقيق المصلحة الاجتماعية وفيما يلى أهم وسائل التكيف:

(أ) **الإقناع:** تلجأ المجتمعات إلى الإقناع كوسيلة لتعديل سلوك الأفراد والجماعات لمواجهة المواقف الجديدة، وتحقيق التكيف المطلوب. وإذا ما اقتنع الفرد تقبل الأوضاع الجديدة من غير إرغام أو تهديد.

(ب) **التراضى:** القبول بحل وسط لفض المنازعات والقضاء على أسباب الصراع، مثل التراضى بين الجماعات المتضاربة والمصالح والأهداف أو التوسط أو التحكيم بين الدول (مصر واسرائيل) لمن السيادة على منطقة طابا، وأعاد لمصر سيادتها على منطقة طابا فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك.

(ت) **التوفيق:** هو إحلال السلام وحسن النية محل الخصام والنزاع.

(ث) **التسامح:** هو إحلال التعاون والتفاهم والسلام محل الصراع والعداء. وهو الطابع الذى تمتاز به علاقة الزوج بزوجته وعلاقة الاباء بالأبناء.

(ج) **التهديد**: استخدام اسلوب العنف والإكراه لتعديل أفكار أو اتجاهات أو سلوك الناس حتى تتلاءم مع المواقف الجديدة مثل الطالب المهمل فى عمله قد يلفت نظره، أو يخصم منه جزء من درجات أعمال السنة حتى يستقيم سلوكه. أو الدولة المغيرة على جاراتها، قد تجبر على الانسحاب أو تعاقب دوليا مثل حالة العراق والكويت العربيتان.

ثالثا: الامتصاص Assimilation

* **(١) مفهومه**: تعنى تسلسل سلوك معين أو إتجاه خاص إلى ثقافة مجتمع من المجتمعات فيتفاعل السلوك الجديد مع القديم وينشأ من غير قصد ـ سلوك أو إتجاه جديد.
* **(٢) شروط الامتصاص:**

(أ) **التدرج**: الامتزاج بين الثقافة الجديدة والقديمة، أو بين السلوك الجديد والقديم، يجب أن يكون تدريجيا حتى يستطيع الأفراد والجماعات تقبل الأنماط الثقافية والسلوكية الجديدة.

(ب) **التقبل**: وهذا يعنى إنعدام النفور من الأنماط الثقافية أو السلوكية الجديدة. على سبيل المثال فالمجتمع لا يتقبل النمط الجديد المتعارض مع قيمه وإتجاهاته ومعتقداته فمثلا فى مجتمعنا العربى ونحن ندين بالإسلام، نجد أن تقبل فكرة الشيوعية أمرا يتعارض مع قيم المجتمع وتراثه لأن الشيوعية نظام الحادى يحطم القوميات، أم إذا كان الإتجاه الجديد يتفق مع قيمنا ومثلنا وإتجاهاتنا فالأخذ به لا يواجه أى مقاومة مثل إمتصاص ثقافتنا العربية لكثير من الفاظ الثقافات الأخرى ووسائل تقنينها.

(ت) **التلقائية**: عن غير وعى من الأفراد والجماعات فنحن نذهب للسوق لشراء ما نحتاجه من ملابس بطريقة آلية تلقانية طالما أن تلك الملابس لا تتعارض مع قيمنا واتجاهاتنا.

* **(٣) منشطات الإمتصاص:**

تنشط عملية الإمتصاص أو التمثيل الاجتماعى فى الحالات الآتية:

(أ) إذا وجدت الجماعات المتباينة الإتجاهات وأنماط السلوك والعادات والنظم.

(ب) إذا إرتبطت تلك الجماعات بعلاقات الإقامة فى بيئة واحدة.

(ت) إذا إشترك الأفراد فى عمل واحد لفترة طويلة.

* **(٤) مثال للإمتصاص**: الشعب الأمريكى:

الشعب الأمريكى حصيلة جماعات تباينت ثقافاتها وإتجاهاتها وقومياتها ودياناتها وأشكالها وألوانها من انجليز وفرنسيين وهولنديين والمان واسبان وبرتغاليين ..الخ جمعتهم بيئة واحدة ومصالح مشتركة لفترة زمنية طويلة (بعد تقدم حركة الكشوف الجغرافية) صهرت كل مظاهر التباين فخرج الشعب الأمريكى نتاجا لذلك.

* **(٥) الامتصاص والاستعارة الثقافية:**

الإستعانة الثقافية تبقى نمطا ثابتا متميزا عن الأنماط السائدة فى المجتمع، فى حين يتم امتزاج الثقافتين فى حالة الامتصاص، فإذا حدثك شخص باللغة الفرنسية فى

مجتمع عربى، كان هذا الشخص عربيا فأعلم أن الموقف هنا إستعارة ثقافية، أمـا إذا حدثك شخص بوسنى أو شيشانى عن الدين الإسلامى فأعلم أن الموقف هنا إمتصاص ثقافى لأن الإسلام إنتشر فى كلا من البوسنة والشيشان وأصبح جزءا من تراثها.

• (٦) عوامل تساعد على الإمتصاص عالميا:

الثورة الاتصالية الحديثة التى حولت العالم إلى قرية كونية صغيرة وربطت بين الشعوب المتباعدة ووحدت الرأى العام العالمى.

رابعا: المحاكاة:

وهى تشابه بين الفعل الاجتماعى ورد فعله وتنقسم إلى:

(١) **محاكاة بسيطة:** ويكون الفعل مشابها تماما لرد الفعل، كالطفل الذى يستجيب لضحكه والدتة يضحكه مماثلة، أو الذى يكرر صوت طائر أو حيوان يسمعه. أو كما يحاكى شخص آخر بالتثاؤب..الخ.

(٢) **محاكاة مركبة:** وهى الوصول إلى رد فعل متعلم نطلق عليه استجابة مكتسبة وتكون مشابهة للسلوك الاجتماعى الأصلى كمحاكاة الإبن لأسلوب كلام والده أو مدرسة، أو محاكاة الإبنة لوالدتها أو معلمتها فى طريقة ارتدائها ملابسها أو خطواتها أو أسلوب حديثها كنموذج Model

خامسا: الايحاء:

هو قبول فكرة أو القيام بتنفيذ عمل بطريقة معينة تلقائية دون تدخل لإرادة الشخص المقلد والإيحاء نوعان:

(١) **إيحاء مباشر:** وينجم عن قبول نوع من الآراء نتيجة تعطل عمليات الفكر النقدى المنطقى السليم لدى الفرد مؤقتا. كما فى حالات الإرهاق الذى يحول دون القدرة على التفكير السليم. فيتقبل الإنسان رأى الآخرين دون قيد أو معارضة.

(٢) **الإيحاء غير المباشر:** وينجم عن التكرار المستمر لمثير معين تشبع به الناس كالإعلانات المتكررة. أو أن يتأثر بعض الأفراد لمن هم أعلى منهم خبرة أو قدرة خاصة. إذا كانوا ممن لديهم الاستعداد لتقبل الايحاء، فالمرء كثيرا ما ينحنى للقوة المتفوقة وهنا يتعلم أن تصبح الطاعة عمياء لأى رمز للسلطة (٢٤:١٠٩-١١٨).

العمليات الاجتماعية الهدامة

التنافس ـ الصراع

أولا: التنافس Competition

(١) **مفهومه:**

عندما يتسابق الأفراد، أو تتسابق الجماعات أو المجتمعات للوصول إلى هدف يرغب الكثيرون فيه، وينتهى التسابق بفوز أحد المتسابقين، نكون عندئذ بصدد موقف تنافس.

(٢) **أنواعه:**

تبقى المنافسة فى (مستوى غير شخصى). طالما ينصرف إنتباه الأفراد نحو ا لأهداف التى يسعون إليها ومن أمثلة ذلك التنافس فى مجال العلم وحين يتحول الإهتمام من الأهداف

إلى الأفراد أنفسهم (مستوى شخصى) تظهر عملية الخصومة ويحيد المنافسون عن القواعد النظيفة للتنافس حسب المبدأ المكيافلى الشائع الغاية تبرر الوسيلة.

(٣) أثار التنافس:

(أ)الآثار الحسنة:

إذا حفز الهمم أو أدى إلى زيادة الإنتاج، أعطى روح الإستقرار عند الأفراد والجماعات ونمى قوة الإبداع والإبتكار وتحمل المسئولية.

(ب) الآثار السيئة:

قد يؤدى الى ضعف الشخصية والقلق والإحباط وبالتالى العدوان والإضطرابات العصبية، زيادة عدد المجرمين وعرقلة الإنتاج مما يؤدى إلى تفكك الجماعة والبناء الاجتماعى لأنه يكون قد تحول إلى صراع.

(٤) التنافس وتأكيد الجماعة أو الفرد لمركزه الاجتماعى:

وتختلف الوسائل التى يؤكد الأفراد والجماعات ذواتهم ويتنافسون عليها، فقد يكون التنافس بالنسبة للجماعة (الأسرة مثلا) من ناحية عدد أفرادها أو سطوة نفوذها أو من ناحية الثروة. وقد يكون التنافس بين الأفراد من حيث العلم أو القوة الجسمية أو المظهر..الخ.

(٥) مميزات أسلوب التنافس الفردى:

(أ) يعمل كل تلميذ بمفرده، ولا تشجع المشاركة أو التفاعل مع التلاميذ الآخرين من قبل المعلم.

(ب) يسعى كل تلميذ إلى المعلومات أو الأفكار التى يحتاجها لتحقيق هدفه بمفرده ودون مساعدة من الآخرين.

(ت) يبذل كل تلميذ (فرد) أقصى ما لديه من جهد للتفوق على الآخرين.

(ث) يتم مكافأة التلاميذ (الأفراد) وذلك فى ضوء أدائهم بالنسبة للتلاميذ الآخرين.

ومما ايجدر ملاحظته أن التنافس على المظاهر كثيرا ما تنجم عنه مشكلات إجتماعية ونفسية من أبرزها مشكلة التغالى فى المهور فى المجتمعات العربية أو فى إرتداء الحلى أو التملك لأفخر الكماليات ومشكلة الإهتمام بالصورة والمظهر دون المضمون والجوهر.

ثانياً: الصراع

(١) مفهومه:

عملية إجتماعية تنشأ عندما يحاول فرد ما أو تحاول جماعة من الجماعات أو مجتمع من المجتمعات الحصول على شئ ما (منفعة) ليس عن طريق التفوق على الأطراف المتنافسين، ولكن عن طريق منعهم من التنافس الفعلى لأضعافهم أو إلحاق الهزيمة بهم. وهذا يعنى أن الصراع عبارة عن خلاف فى الأراء أو تعارض فى الأهداف أو فى وسائل تحقيقها أو تنافر فى الإتجاهات تكون نتيجته إنتصار أحد الأطراف وهزيمة الآخرين. ويبرز الصراع واضحا فى المجالات السياسية الدولية التى تبدو أمامنا أحيانا على شكل حرب باردة (نزاعات حدود ومفاوضات) تستخدم فيها الحرب النفسية ووسائل الاعلام وغيرها من أدوات.

(٢) **أنواعه (درجاته) :**

أ- **الخلاف:** عندما يختلف الأفراد أو الجماعات فى وجهات نظر معينة تتعلق بشئونهم الفردية أو الاجتماعية مثل الخلاف بين الزوجين على طريقة تربية الأبناء.

ب- **النزاع:** إذا إشتدت حدة الخلاف فى الآراء واسفرت عن توجيه التهم واستخدام الشتائم والتهديد على المستوى الفردى أو على مستوى الدولة (أجهزة الإعلام) سمى نزاعا.

ت- **الاشتباك:** قد يختلف فردان فى الرأى فيتنازعان فيضرب أحدهما الآخر فالحرب أولها كلام أى أن الإقتتال أوله نزاع.

آثار الصراع

الآثار الحسنة	الآثار السيئة
١-الوقوف على مصدر الخصومة بين الجماعات.	١-يزيد من المرارة والقسوة والضعف.
٢-الوقوف على أسباب الخصومة من أجل تشخيص المرض الاجتماعى.	٢-يؤدى إلى إراقة الدماء والدمار.
٣-زيادة تماسك الجماعة وترابطها.	٣-يؤدى إلى التوتر داخل الجماعة.
٤-إتحاد الجماعات مع بعضها.	٤-يمزق أواصر التعاون.
٥-يجعل الجماعات حريصة على تحقيق مصالح أفرادها.	٥-يصرف الأفراد عن الإهتمام بـ أهداف الجماعة.

التفاعل بالتعويق (١٨:٢٥)

وفى نهاية الحديث عن اشكال التفاعل نجد من الضرورى مناقشة شكل خاص من أشكال التفاعل هو "التفاعل بالتعويق" وهو نوع من الصراع الخفى إذ يعمد الشخص من خلاله إلى عرقلة سعى الآخرين لبلوغ هدف معين، وهو أيضا نوع من التعاون لأن هذه العرقلة تصب فى مصلحة من يغيرهم بلوغ الآخرين لهذا الهدف. كما أن للتفاعل بالتعويق أساليب متعددة كمثل التباطؤ فى الفهم أو فى التنفيذ أو أسلوب التعطيل والعرقلة وكذلك بث الاشاعات والتشهير وسائر اساليب التعويق وهى أكثر فعالية من تعويض المواجهة.

التفاعل الإجتماعى

والحاجة إلى (الانتماء ـ الألفة)

تشترك الجماعات الصغيرة والكبيرة فى عدة ميكانيزمات نفسية تجعل من:

أ- التعميم من الجماعات الصغيرة إلى الكبيرة أمرا مقبولا من الناحيتين النظرية والعملية.

ب- تجعل من التمييز أو التفرقة بينهما أمرا ضنيل القيمة.

ولعل أهم تلك الميكانيزمات:

أولاً: الحاجة إلى الإنتماء: Affiliation

وتعتبر الحاجة إلى الإنتماء من المكونات الرئيسية للتفاعل الإجتماعى ويرى (آرجايل Argyle) أنه يتكون من عناصر التواصل اللفظية وغير اللفظية، إلا أنه يذكر أن هناك مكونات أو عناصر أخرى لا تقل أهمية وقد بين التحليل العاملى لعناصر التفاعل الاجتماعى أن هناك بعدين لأسلوب التفاعل هما الإنتماء والسيطرة. وأن كلا منهما يحتوى على عدة مكونات كما يتضح فى الجدول التالى:

- ينصح	السيطرة	- يحلل
- ينسق		- ينقد
- يوجه		- يرفض
- يقود		- يحكم
- يتبادر		- يقاوم
- حاجة قوية للإنتماء	ــــــــــــ	- حاجة ضعيفة إلى الانتماء
- يطاوع		- يتجنب
- يوافق		- يقر
- يساعد		- يتنازل
- يتعاون		- يتراجع
- يتكرم	الإعتماد	- ينسحب

(نقلا عن ارجايل ــ التفاعل الاجتماعى ١٩٦٩ ــ ص ١٢٢)

ومن الواضح أن الحاجة إلى الانتماء والإحساس بالولاء يسرى مفعولهما فى الجماعات الصغيرة والكبيرة على السواء، ويجعل من التشابه بينهما وإمكانية التعميم من إحداهما إلى الأخرى أساسا قويا لدراسة ديناميات الجماعة كما سيأتى ذكره فيما بعد.

ثانيا: الحاجة إلى التماثل: ونشوء التجاذب بين الأفراد أو ما نسميه بالألفة، وإشتراك الأفراد بلا استثناء فى جماعات مرجعية واحدة، كل هذه العمليات الاجتماعية النفسية واحدة فى الجماعات الكبيرة والصغيرة، فكل الجماعة كما أن الأفراد يتآلفون يتجاذبون بصرف النظر عن طبقاتهم الاجتماعية، ويرجع كل الناس فى الأمور الدينية مثلا إلى مفتى واحد بصرف النظر عن الجماعات التى ينتمون إليها، ومن ثم فمن المعقول توقع ارتباط الجاذبية بين الأفراد بالتماثل فيما يختص بتلك الخصائص التى يقر الأفراد المنضمون فى التفاعل بأهميتها.

ويتناول علم النفس الاجتماعى (الجاذبية بين الأفراد) بإعتبارها عملية من عمليات التفاعل الاجتماعى، وهى عملية تتوقف على استعدادت الأفراد والعوامل الموقفية التى تؤدى إلى عملية التفاعل. والجاذبية قد تكون قائمة على (حب أصيل) فى الأعماق للشخص الآخر، وقد تكون جاذبية (سطحية) نتيجة للفوائد التى تعود من الشخص الآخر عليه كالنصيحة مثلا أو إكتساب السمعة والصيت.

وقد استنتج العالم (نيوكمب ــ ١٩٦١، Newcomb) فى دراساته عن تغير إتجاهات الطلبات من الاتجاه (المحافظ) إلى الإتجاه الليبرالى المتحرر فى التفاعل الاجتماعى بكلية بنجهام التى كان يعمل بها، أن هناك (أربعة معايير) تقوم عليها (الجاذبية) فى التفاعل الاجتماعى وتؤدى إلى قيام الصداقات:

أ- القرب المكانى بين الأفراد.
ب- وجود القيم والاتجاهات المشتركة.
ت- التشابه فى الخصائص الفردية.
ث- الشخصية وتكافؤ الحاجات(٢٦).

أساليب مقترحة لتحسين التفاعل الاجتماعى

تلك بعض الأساليب التى يقترحها المتخصصون فى مجال سيكلوجية العلاقات بين الأشخاص لتحسين الكفاءة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى وسنتبع فى عرضه التقسيم الذى قدمه "فورمان Furman" حيث صنفها فى فئتين على النحو التالى:

أولا: مجموعة الأساليب التى تركز على الشخص الذى يفتقد الكفاءة الاجتماعية، وذلك بتوعيتة وتعليمه مبادئ السلوك الاجتماعي الكفء مع تدريبه على ممارستها وتعديل رصيده الكامن من المهارات الاجتماعية.

ثانيا: مجموعة الأساليب التى تركز على السياق الاجتماعى المحيط بالشخص المضطرب اجتماعيا على أساس أن المهارات الاجتماعية تكتسب من خلال مبادئ التعلم الاجتماعى كالتقليد والثواب والعقاب.

ونلقى الضوء فيما يلى على بعض أساليب تحسين الكفاءة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى والتى تندرج فى كل فئة منها:

أولا: الأساليب التى تركز على الشخص الذى يفتقد الكفاءة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى:

وذلك على النحو التالى: التدريب على المهارات الاجتماعية الصحيحة:

يفترض هذا الاسلوب أن عجز الشخص عن التوافق فى المواقف الاجتماعية انما يرجع إلى خلل فى رصيده من المهارات المناسبة لتلك المواقف، أو إلى نقص الخبرة، أو إلى التعلم الخاطئ لبعض التصرفات غير المتوافقة.

وفى ضوء هذا التشخيص يرى أنصار هذا المنحى أن علاج ذلك الخلل ـ أو تعويضه جزئيا على الأقل ـ يستلزم تقديم ـ تدريب مناسب يوفر للشخص بدائل سلوكية أكثر مهارة(٢٧: ٣٢٥).

١) التعلم بالخبرة:

يعتمد هذا الاسلوب على اتاحة الفرصة للشخص الذى يفتقد مهارة معينة لكى يتعلمها بنفسه وذلك بأن يجرب استجابات مختلفة إلى أن يصل إلى الاستجابة الصحيحة من خلال المحاولة والخطأ، على أن تجرى تلك المحاولات تحت اشراف متخصص نفسى يتدخل من حين إلى اخر لتوجيه الشخص واعطائه النصائح التى تستهدف تعديل السلوك أو تحسينه.

٢) القراءة الموجهة:

تعتمد بعض التدريبات على توجيه المتدرب وتشجيعه على قراءة نوعية معينة من الكتب تفيد فى التغلب على الصعوبات النفسية التى يعانى منها. فللغة وظيفة تفاعلية interpersonal Function حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين فى العالم الاجتماعى (وهى وظيفة "أنا وأنت") وتبرز أهمية هذه الوظيفة باعتبار أن الانسان كائن اجتماعى لا يستطيع الفكاك من أثر جماعته. فنحن نستخدم اللغة ونتبادلها فى المناسبات الاجتماعية المختلفة. ونستخدمها فى اظهار الاحترام والتأديب مع الآخرين (٢٨: ٢٣).

٣) الشرح والاقتداء والممارسة الفعلية:

يقوم هذا الاسلوب على تعليم المتدرب بمبادئ المهارة الاجتماعية موضع الاهتمام ثم مناقشته فيما تعلمه وتقديم عائد له يتضمن ملاحظات المدرب نحو تصور المتدرب وفهمه لطريقة أداء المهارة المطلوبة، ثم تتاح الفرصة له لكى يشاهد شخصا آخر وهو يتدرب وهو يؤدى الاستجابة بطريقة ماهرة، ويطلب منه المدرب بعد ذلك أن يقلد ويكرر ما شاهده، ويشجعه إذا أدى الاستجابة المرغوبة أو يلفت نظرة إلى عيوبه فى الأداء وتعاد حتى يتقن المهارة (٢٩:١٩٧).

ثانيا: الاساليب التى تركز على السياق الاجتماعى وفى تناولنا لتلك الأساليب نقسمها إلى فئتين، تختص الأولى بتقديم الدعم الاجتماعى للسلوك المرغوب فيه، وتتضمن الثانية تشجيع الدخول فى تفاعلات تعاونية وذلك على النحو التالى:

(١) تقديم الدعم الاجتماعى:

يقوم هذا الاسلوب علىافتراض مؤداه أنه يمكن علاج الانسحاب الاجتماعى الذى يعانى منه بعض الاطفال من خلال دعم أقرانهم وتشجيعهم عندما يقبلون على التفاعل معهم، ويتخذ الدعم الاجتماعى صورا عدة من بينها: تقديم المكافآت المادية والعينية مثل الهدايا واللعب والعملات النقدية، ومنها أيضا المكافآت المعنوية مثل عبارات التشجيع والثناء والاستحسان.

(٢) تشجيع الدخول فى علاقات تعاونية:

يستند هذا الاسلوب إلى افتراض مؤداد أن المشاركة فى نشاطات تعاونية من شأنها أن تزيد من معدلات التفاعل الاجتماعى السوى وأن تقوى التجاذب بين الأشخاص كما تبين أن تعلم مهارات التفاعل بين الاشخاص يتم من خلال الخطوات التالية:

١- اختيار موضوعات معينة.
٢- إثارة دافعية الفرد للتفاعل.
٣- التعبير عن المشاعر فى مواقف فعلية.
٤- تيسير التفاعل مع الأقران (٩:٤٤).

نظريات بارزة فى التفاعل الاجتماعى

أولا : نظرية (بيلز) فى أنماط ومراحل التفاعل الاجتماعى (١٩٥٠):

تعتبر نظرية (بيلز) من أهم نظريات التفاعل الاجتماعى لتحديد مراحل أنماط التفاعل فى مواقف تجريدية اجتماعية. ويرى (بيلز **Bales**) أن التفاعل يدور حول موضوع أو مشكلة يبحث من خلالها الأفراد عن حل. وقد قدم (بيلز) نموذجا لتحليل عملية التفاعل الاجتماعى احتل مركزا هاما فى أساليب البحث فى ديناميات الجماعة **Group Dynamics** وقسم مراحل التفاعل الاجتماعى إلى (ست مراحل) وهى:

١- **مرحلة التعرف:** وتعنى الوصول لتعريف مشترك للموقف وتتضمن طلب:
- المعلومات والتعليمات والتكرار والإيضاح والتأكيد (ما هى المشكلة؟).
- لماذا يجتمع الأفراد؟ ماذا يتوقع منهم؟)

٢- **مرحلة التقييم:** وتعنى وجود أسس محددة لتقييم الحلول المختلفة ويتضمن ذلك:
- طلب الرأى والتقييم والتحليل والتعبير عن المشاعر والرغبات:

(ما هو شعور الأفراد نحو المشكلة؟ هل المشكلة مهمة؟ هل يمكن عمل شئ تجاهها؟)

- إبداء الرأى والتقييم والتحليل والتعبير عن المشاعر والرغبات.

٣- **مرحلة الضبط**: ونعنى بها محاولات الأفراد للتأثير بعضهم فى البعض الآخر وتشمل.
- تقديم الاقتراحات والتوجيهات التى تساعد على الحصول إلى الحل.
- ما يجب عمله ..الخ.

٤- **اتخاذ القرارات**: وتعنى الوصول إلى قرار نهائى ويشمل ذلك:
- عدم الموافقة والرفض والتمسك بالشكليات وعدم المساعدة.
- الموافقة وإظهار القبول والفهم.

٥- **ضبط التوتر**: والمقصود بذلك معالجة التوترات التى تنشأ فى الجماعة وتشمل على:
- إظهار التوتر، والإنسحاب من ميدان المناقشة.
- تخفيف التوتر. وإدخال السرور والمرح.

٦- **التكامل**: ونعنى به صيانة تكامل الجماعة ويشتمل على:
- تأكيد الذات أو الدفاع عنها، وإظهار التفكك والعدوان والانتقاص من قدر الآخرين.
- تقديم العون والمساعدة والمكافآة، وإظهار التماسك ورفع مكانة الآخرين (٣٠).

وقسم (بيلز) أنماط التفاعل الاجتماعى كما يلى (٣١:٩٩-١٠٣):

١- **التفاعل الاجتماعى المحايد**: (الأسئلة): ويضم المراحل من (١-٣) ويميزه الأسئلة الاستفهامية وطلب المعلومات والاقتراحات والآراء، يضم هذا النمط حوالى (٧%) من السلوك.

٢- **التفاعل الاجتماعى المحايد**: (الإجابات): ويضم المراحل من (٤-٦) وتميزه الإجابات إعطاء الرأى وتقديم الإيضاحات والتفسيرات، ويضم هذا النمط حوالى (٥٦%) من السلوك.

٣- **التفاعل الاجتماعى الانفعالى**: (السلبى): ويضم المراحل من (٧-٩) وتميزه الاستجابات السلبية والتعبيرات الدالة على عدم الموافقة والدالة على التوتر والتفكك والانسحاب، ويضم هذا النمط حوالى (١٢%) من السلوك.

٤- **التفاعل الاجتماعى الانفعالى**: (الايجابى): ويضم المراحل من (١٠-١٢) وتميزه الاستجابات الايجابية وتقديم المساعدة وتشجيع الأفراد الآخرين وإدخال روح المرح ليقضى على التوتر. وهؤلاء يميلون إلى الموافقة مع الآخرين وتأكيد التماسك. ويضم هذا النمط حوالى (٢٥ %) من السلوك.

ويرى (بيلز) أنه لكى يتحقق هذا النموذج الذى قدمه فى تحليل عملية التفاعل الاجتماعى. فمن الضرورى تحقيق شروط معينة فى الجماعة وفى المشكلة هى:

- أن يكون الأفراد أسوياء.
- أن يكون الأفراد راشدين.
- أن يكون الأفراد على مستوى معقول من التعليم.
- أن يكون هناك مشكلة محددة تتطلب تصميما ووضع خطة وإتخاذ قرار.
- أن تكون المشكلة قابلة للحل فى خلال فترة المناقشة.

أنماط التفاعل	مراحل التفاعل	
(١) التفاعل المحايد "الأسئلة" (٧%) من السلوك	١- طلب التعليمات، والمعلومات والتكرار والإيضاح والتأكيد.	التعرف
	٣- طلب الرأى، والتقييم والتحليل والتعبير عن المشاعر والرغبات.	التقييم
	٣- طلب الإقتراحات، والتوجيهات والطرق الممكنة للعمل والحل	الضبط
		(أ) (ب) (جـ)
(٢) التفاعل المحايد "الإجابات" (٥٦%) من السلوك	٤- إعطاء التعليمات، والمعلومات، والإعادة، والتوضيح، التأكيد	(أ)
	٥ - إبداء الرأى، والتقييم،والتحليل، التعبير عن المشاعر والرغبات.	(ب)
	٦ - تقديم الإقتراحات، والتوجيهات التى تساعد على الوصول إلى الحل.	(جـ)
(٣) التفاعل الانفعالى "السلبى" (١٢%) من السلوك	٧ - عدم الموافقة (الرفض - التمسك بالشكليات، عدم المساعدة)	إتخاذ القرارات
	٨ - إظهار التوتر (طلب المساعدة، الإنسحاب من ميدان (المناقشة).	ضبط التوتر
	٩ - إظهار التفكك (العدوان، الإنتقاص من قدر الآخرين، تأكيد الذات).	
		(د) (هـ) (و)
(٤) التفاعل الانفعالى "الإيجابى" (٢٥%) من السلوك	١٠ - الموافقة (إظهار القبول والفهم).	(د)
	١١ - تخفيف التوتر (إدخال السرور والمرح وإظهار الرضا)	(هـ)
	١٢ - إظهار التماسك (رفع مكانة الآخرين، تقديم العون، المكافأة).	(و)

نموذج "بيلز" فى تحليل عملية التفاعل (شكل رقم ٩)

تقييم التفاعل الاجتماعي

ويورد العالم – جيلي Gulley ١٩٦٨) في دراساته حول تقييم عمليات التفاعل الاجتماعية (تسعة أسئلة) يمكن في ضوئها تقييم التفاعل الإجتماعي داخل الجماعة وتقييم اشتراك الفرد في التفاعل داخلها(٣٢).

(١)	إلى أي حد يسمح مناخ الجماعة بحرية الكلام بين القادة والأتباع؟	- هل الجو رسمي وغير جامد؟ - هل يشارك كل عضو في التفاعل؟ - هل يستجيب الأعضاء لإشتراك الآخرين في المناقشات بطريقة تساعد على استمرارية المناقشة؟ - هل تستجيب القيادة لاشتراك الأتباع في المناقشة بطريقة تشجعهم علي الاستمرار في المناقشة؟ - هل الظروف المحيطة مشجعة على التحسن للكلام والمناقشة؟ - هل يبدو الأعضاء متحمسين بالنسبة لموضوع المناقشة والمشكلة التي يدور حولها التفاعل ويرون أن المشاركة مجدية؟
(٢)	إلى أي حد يعتبر الأعضاء مؤتلفين ومتفاعلين؟	- هل يعتبرون أصدقاء؟ - هل يستمتعون بالحديث إلى بعضهم البعض؟ - هل يبتسم الأعضاء بين الحين والحين عندما يناقشون؟ - هل يسلك الأعضاء بطريقة ودية تبعث على الاطمئنان إلى بعضهم البعض.
(٣)	إلى أي حد تعمل الجماعة كوحدة متماسكة ومتساندة؟	- هل هناك مساعدة متبادلة بين الأعضاء؟ - هل يعتمد الأعضاء بعضهم علي بعض للمساندة؟ - هل تسود روح الجماعة على المخالفين وتغلب على الفردية؟ - هل يهتم الأعضاء لجذب المخالفين ودمجهم في قلب الجماعة. - هل يهتم الأعضاء لصالح الجماعة أكثر من إهتمامهم بمصالحهم الشخصية؟ - هل يبدو أعضاء الجماعة متعاونين اكثر من متنافسين؟
(٤)	إلي أي حد يسود بين الأعضاء الإصغاء والتفاعل السليم؟	- هل يسهم الأعضاء إسهاما كبيرا أو مفيدا في التفاعل الاجتماعي؟ - هل يوجه الإتصال إلى الجماعة ككل؟ - هل الأعضاء مستمعون جيدون؟ - هل الاشتراك في التفاعل يتعلق بما سبق ويبنى عليه؟

وفيما يلى بعض الأسئلة التى يمكن فى ضوئها تقييم إشتراك الفرد فى التفاعل الاجتماعى:

(٥)	هل لدى الفرد اشتراك إيجابى ومساهمة واتجاهات تعاونية؟	- هل ينظر إلى المشكلة بطريقة موضوعية؟ - هل يتفاعل مع الآخرين بطريقة موضوعية؟ - هل يتعاون كجزء من الجماعة؟ - هل يناقش بحماس؟
(٦)	هل يشترك ويسهم اسهاما بناءا فى المناقشة؟	- هل لديه معلومات كافية؟ - هل هو متيقظ ومنتبه طول الوقت؟ - هل يجيب أكثر مما يسأل؟ - هل يعطى معلومات عندما يطلب منه ذلك؟ - هل يفكر تفكيرا منطقيا؟ - هل يبنى تفكيره ويرتبه على ما إنتهى إليه تفكير الآخرين؟ - هل هو واثق فى مناقشاته؟
(٧)	هل يساهم الفرد بثقة ومنطق فى المناقشات وبلغة واضحة؟	- هل كلامه واضح ودقيق؟ - هل كلامه منصب فى الموضوع؟ - هل كلامه منصف للآخرين؟
(٨)	هل يوجد تعاون بينه وبين قائد الجماعة؟	- هل يعمل من أجل تماسك الجماعة؟ - هل يعمل على لم شمل الجماعة والوصول إلى الهدف؟ - هل يمتنع عن التدخل فى اختصاصات القائد؟
(٩)	هل يراعى الأعضاء الإعتدال واخلاقيات محددة للتفاعل الاجتماعى؟	- هل يمتنع عن التحريف والتضليل؟ - هل يمتنع عن توجيه دفة النقاش حسب أهوائه؟ - هل يتكلم ويفكر باعتدال وعدل؟

ثانياً: نظرية التكامل الاجتماعى عند (فيلدمان.) ترتكز النظرية على خاصتين رئيسيتين هما: الإستمرار Continuity ـ والتآزر السلوكى بين أعضاء الجماعة والجماعات الأخرى Social Relationships + Interaction. ومن خلال دراسة قام بها (فيلدمان) عنى (٦١) جماعة من جماعات الأطفال توصل إلى أن التكامل مفهوم متعدد الأبعاد ـ وقد استطاع فى بحوثه التجريبية تحديد ثلاثة أبعاد له وهى:

(١) **التكامل الوظيفى:** ويقصد به النشاط المنتظم المختص الذى يحقق متطلبات الجماعة من حيث تحقيق أهدافها وتنظيم العلاقات الداخلية فيها والعلاقات الخارجية بينها وبين الجماعات الأخرى.

(٢) **التكامل التفاعلى:** ويقصد به التكامل بين الأشخاص من حيث التأثير والتأثر وعلاقة الحب المتبادل وكل ما يدل على تماسكهم.

(٣) **التكامل المعيارى:** ويقصد به التكامل فيما يتعلق بالمعايير الإجتماعية أو القواعد السلوكية المرتضاة التى تضبط سلوك الأفراد فى الجماعة (٣٣:٣٠-٤٦).

- كيف يمكن التحكم فى الأفعال والأفكار وتعديلها خلال التفاعل الاجتماعى من خلال التدعيم اللفظى:

فى إحدى التجارب، التقى طلبة جامعيون فى جلسات إنفرادية مع المجرب الذى طلب منهم الحديث عن أى شئ يطرأ على ذهنهم (٣٦). وحسب خطة موضوعة سلفا التزم المجرب بالصمت قدر الإمكان بدون أن ينطق حتى بكلمة "آه ـ ها" أو "هل الأمر كذلك"؟ كما يفعل المرء عادة ليبقى على سير المحادثة، إلا بعد أن يبدأ الطالب فى الحديث عن موضوع معين، مثل الموسيقيين المعاصرين. ومع ذلك، فعندما يبدأ التفاعل من جانب واحد قد يقول المجرب "آه ـ ها" إذا اعتقد أن الموضوع المعروض للمناقشة قد يؤدى مع الوقت إلى الموضوع المتفق عليه من قبل. فإذا بدأ الطالب، مثلا، مناقشة الموسيقى الكلاسيكية، يقوم المجرب بدعمه مرة واحدة، ولكن لا يزيد عن ذلك إلا بعد أن تنتقل المناقشة إلى الموسيقى الحديثة. وبعد ذلك يتزايد الحديث عن الموسيقيين وتتزايد التدعيمات بكثافة. ثم بعد وقت قليل، عندما تكون مناقشة الموضوع المرغوب فيه تجرى بحرارة يطفئ المجرب حماس الطالب بحجب موافقته، وبعد وقت قصير يتغير الموضوع. وقد أمكن بنفس هذا الإجراء تعديل حتى الآراء المتصلة بالحرم الجامعى وغير ذلك من الإتجاهات المتنوعة. وغالبا ما تحدث هذه التعديلات بدون وعى.

وتظهر هذه الدراسات التجريبية بوضوح كيف يمكن التحكم فى الأفعال والأفكار وتعديلها خلال التفاعل الاجتماعى(١٢:١٥٩).

ولعل من السهل البحث فيما وراء التجارب عن أدلة لتأييد هذه الظاهرة، فمن خلال دراسة لشخصية الكاتب الأمريكى المشهور، توماس ولف Thomas Wolfe حيث كان يريد أن يصب كل شئ يتذكره فى شلال هائل لكنه يريد أيضا زيادة مخزون ذكرياته بالذهاب إلى كل مكان والقيام بكل شئ.. لقد أصبحت رغبة الكتابة عنده "شهوة حيوانية فجة" على حد تعبير كولى ـ Cowley"(٣٧:٣٠-٤).

ويشير هذا الوصف إلى احتمال أن يكون وولف قد تعرض فى علاقاته الاجتماعية المبكرة إلى تدعيم فعال للغاية بإتجاه التعبير الكامل عن نفسه، بحيث أن شخصيته بكاملها قد إتسمت بحاجة حادة إلى الإتصال، وصلت إلى درجة الشذوذ.

ولو كانت التفاصيل متاحة لنا، لكان مما يبعث على السرور أن نقارن خلفية (وولف) وتجاربه فى التفاعل الاجتماعى بخلفيات وتجارب (طه حسين) وهو عميد الأدب العربى وقد اشتهر بإصرارد على استخدام أقل عدد ممكن من الكلمات، وعلى أن يجعل لكل كلمة مغزى وهكذا كان "مصطفى زيور" وهو عميد علم النفس العربى ورائد مدرسة عين شمس فى علم النفس" رحمهما الله".

من المحتمل جدا أن "الشهوة الحيوانية الفجة" للتعبير عن كل شئ. والنزعة إلى إيجاد "مغزى لكل كلمة" تترسخ من خلال أنماط للتدعيمات على مر السنين من الآخرين الذين نتفاعل معهم.

منهجية ملاحظة وتقييم عملية التفاعل فى الجماعات الصغيرة خلال حدوثها (٣٠:٤٦٥-٤٧١).

إذا كانت العلاقات الاجتماعية تسير بصورة منهجية، فإن التفاعل لابد وأن يسير ويتطور بطريقة منتظمة ومنظمة. وتتضح الطبيعة النظامية للتفاعل على وجه كبير فى دراسة (ر.ف بيلس R.F.Bales وزملائه) الذين يقدمون لنا نظرية شاملة على كيفية عمل الأنظمة الاجتماعية. وهم أيضا يبينون لنا منهجية ملاحظة وتقييم عملية التفاعل فى الجماعات الصغيرة خلال حدوثها من خلال "تحليل عملية تفاعل".

ينظر بيليس إلى أعضاء الجماعات من حيث هم قائمون بالفعل ورد الفعل يفضلون ويعتمدون على بعضهم البعض من خلال التفاعل. والتفاعل عنده هو الملمح الرئيسى للجماعة ــ أو الأسمنت، إذا جاز التعبير الذى يربط بين الناس فى روابط، وهو مقتنع بأنه يمكن استكشاف الطبيعة الجوهرية للجماعة بالتحليل الدقيق للتفاعل".

وإذا اراد (بيلس Bales) التصنت على محادثة أو جلسة بين الأصدقاء او اجتماعات جماعة رسمية، فإنه يدون الأشخاص المتكلمين ومع من تكلموا، والذين قاموا بردود الأفعال. والمبادرين بأفكار جديدة والذين أبقوا على سير المحادثة، والمحاولين تغيير الموضوع. والمتفقون بصورة عامة مع الآخرين، والمختلفين، وكم مرة قام كل شخص بالفعل أو استثار رد فعل. وكان يهتم بالملاحظات التى يبديها كل شخص وكيف تؤثر على مسار المناقشة.

ففى مناقشة غير رسمية مثلا، بين مجموعة من الفتيات، إذ قالت واحدة: "إنى اتساءل عما تشعر به موريل حقيقة عند خروجها مع بيل" فإن (بيلس) يسجل هذا القول كطلب الرأى من الآخرين فى الجماعة. وإذا ردت أخرى بصورة غير وديه: آه أنت وأسئلتك. إنك فضولية مثل فرويد فإنه يصنف قولها على أنه يظهر العداء، وإذا احمرت الفتاة الأولى خجلا عندئذ أو ظهر عليها الحرج. فإنه يقوم ايضا بتسجيل رد فعلها الإنفعالى، وفى النهاية يخرج (بيلس) بسجل كامل لسلسلة الأفعال والتفاعلات بين أعضاء الجماعة، ومن خلال هذه المعلومات يجرى تحليلا فى غاية الشمول للجماعة، يحدد كيفية تقدم التفاعل من لحظة إلى أخرى، وأى الأعضاء أصبحوا مراكز للإتصال، ومن منهم خفض التوتر، ومن نسب فيه، ومن منهم ميحتمل أن يكون شخصية قوية.

وقد كرس (بيلس ورفاقه) اهتماما خاصا لجماعات المناقشة الصغيرة المكونة من حوالى ستة طلبة جامعيين، لم يسبق لهم التعارف فيما قبل. ويطلب من الجماعات أن يناقشوا دراسات حالات لأشخاص يواجهون مصاعب يومية وذلك بهدف الوصول إلى اجماع بصدد المشكلة المطروحة. واقتراح طرق لعلاجها. ومن الممكن تحت هذه الشروط ملاحظة تطور التفاعل منذ بداية وجود الجماعة.

ويعتقد (بيلس) أن الناس ينضمون للجماعات الرسمية وفى ذهنهم توقعان. فأولا: يتوقع الأعضاء من الجماعة أن تحقق الأهداف التى أنشئت من أجلها. ومن ثمة. يجب على جماعة الصحافة المدرسية أن تدرب على تحرير وإخراج الصحيفة وعلى الجماعة الترفيهية أن ترفه.. وثانيا يتوقع الاعضاء استخدام موقف الجماعة لتطوير أساليب ارتباطهم

بالآخرين، سواء أكانوا مهتمين بأن يصبحوا زعماء للجماعة أم كانوا مجرد مشتركين سلبيين. ولكن محبوبين. وقد حدد (بيلس) من خلال الدراسة المتأنية لأنماط التفاعل كيفية قيام الجماعات بإشباع كلا التوقعين (١)، وقد وجد أن التفاعل يتراوح بين (أ) اسهام الشخص فى مناقشة مادة الحالة و (ب) ردود فعل الآخرين الإنفعالية تجاه ملاحظاته.

فلنفترض أن أحد الأعضاء يبدى إقتراحات بكيفية سير المناقشة.. فهناك جانبان لعمل هذا: فهو يريد تحريك المناقشة للأمام (وهنا ضغط نحو تحقيق الهدف) لكنه يريد أيضا توجيه المناقشة حسب خطته الخاصة، ربما على أمل أن يعتبره الآخرون مصدرا للأفكار الجيدة بوجه خاص. ويكون رد فعل الآخرين فى الجماعة موجها لإقتراحه، كما يكون موجها له شخصيا بالموافقة أو المخالفة. فهم يقيمون أفكاره ثم يقرروا (بأى درجة من الأغلبية يصوتون) ما إذا كان يجب عليهم قبولها، وبذلك يمنحونه شرف المكانة فى الجماعة. أو يقومون بمنافسته بتقديم أفكارهم الخاصة. ومع كل قرار مثل هذا، تتخذ الجماعة خطوة للأمام نحو إقامة علاقات أدوار مرضية، فلم تعيد توجيه إهتمامها ثانية إلى دراسة مادة الحالة. وهناك أمران نلاحظهما هنا:

(أ) أن الأعضاء من خلال التفاعل يصبحون معتمدين على بعض فى النظام الاجتماعى المتماسك.

(ب) أنه على طريق التبادل المنتظم فى بؤرة التفاعل يتحقق كلا نوعى المطالب التى يريدها الأعضاء، مما يمكن النظام من استغلال خلافات وجهات النظر والتقدم نحو حل المشاكل المطروحة.

ولكى تدرس سلسلة التفاعل على مدى زمنى أطول، أعيد عقد عشر جماعات فى أربع جلسات منفصلة مدة كل منها ساعة، وتقوم بدراسة حالة مختلفة فى كل جلسة(٣٨:٧-٣٨). ومع تعود الأعضاء على بعضهم البعض، تحسن الإتصال بينهم. وخلال الجلسة الثانية من الجلسات الأربعة وصل الخلاف رد الفعل المعادى لوجهات نظر الآخرين إلى الذروة، كما لو كان صراعا من نوع ما (التنافس على قيادة الجماعة، مثلا) كان يتبلور. وللتأكد من ذلك. طلب الباحثون من أفراد الجماعة بصورة سرية:

أن يذكروا اسم الشخص الذى شعرا بأنه أفضل قائد للمناقشة وذلك عقب كل جلسة من الجلسات الأربعة. وبحلول الجلسة الأخيرة اتفق الاعضاء فى أربع جماعات على زعمائهم بينما كان فى الست الأخرى عدة متنافسين على القيادة، واختفى الخلاف فى الأربع جماعات الأولى بينما استمرت العداوة فى الجماعات التى حدث فيها تنافس على القيادة وهكذا يبدو أن تسلسل التفاعل يسير على طريق منظم، وعمل (بيلس) الحالى وهو تحليل جديد ومثير للشخصية ـ يقوم على نظامين عملية التفاعل والاسهامات التى يقوم بها كل شخص فيها. وهو يستطيع من خلال النظر عبر شبكات التفاعل، أن يعزا الخصائص الأكثر ديمومة لكل شخص مشترك فى التفاعل. (٣٩)

وقد يبرز شخص ما على إنه الشخص النجم (Star) أو قد يتميز آخر بأنه إنعزالى (Insolate) لا يكاد يشارك وربما يبدو آخر مسيطرا لأنه يشترك بصورة زائدة(١٢:١٧١-١٧٦). والزمرة السوسيومترية Soiometric Clique وتشير إلى الموقف الذى فيه

يختار عدد من الأفراد كل منهم الآخر بينما يعطى اختيارات قليلة نسبيا لمن يخرج عن دائرة جماعتهم المغلقة. وهكذا تشكل الزمرة السيوسيومترية جماعة فردية داخل الجماعة الأكبر.

** التقارب والتفاعل:

كثيرا ما تتمثل هذه العوامل ببعضها، كما أنها تمثل فيما بينها درجات مختلفة من الإرتباط أكثر من كونها متغيرات متميزة. وقد استخدم مفهوم التقارب بصفة عامة ليشير إلى البعد الفيزيقى بين الأفراد. واستخدام مفهوم التفاعل ليشير إلى المواقف التى يعثر فيها سلوك كل شخص فى الشخص الآخر.

وجدير بالذكر أنه ليس من الضرورى أن يتأتى التفاعل من خلال التقارب، حيث تكشف دراسة حديثة يعرضها (مارفن شو) عن التفاعل بين سلالتين فى مدرسة أولية (٤٠) عن بعض العوامل المؤثرة فى التفاعل بين البيض والزنوج حال تقاربهم ومن ثم إتاحة فرصة التفاعل بينهما. فقد قام اثنان من الملاحظين بملاحظة تلاميذ مدرجين فى الصف الأول وحتى الصف السادس لمدة عشر دقائق فى خمس مناسبات كان يتم فيها تسجيل عدد التفاعلات بين أفراد الجنس الواحد (أبيض مع أبيض)، أو زنجى مع زنجى) أو بين السلالتين (زنجى – أبيض). وتبين وقوف تكرار التفاعل بين السلالتين كدالة لنسبة التلاميذ الزنوج فى حجرة الدراسة. بمعنى أنه كلما زاد عدد التلاميذ الزنوج عن عدد البيض قل تكرار التفاعل بينها. ربما يرجع هذا إلى زيادة فرصة التفاعل بين أفراد السلالة الواحدة عندما يزداد عدد الزنوج نظرا لتأثير التماثل على قيام الجاذبية بين الافراد فيما يختص بتلك الخصائص التى يقر الأفراد المنضوون فى التفاعل بأهميتها(٤١:١٤٢).

- بحث لاد **Ladd** بهدف المقارنة بين الأطفال المقبولين **Accepted** والمرفوضين **rejected** من أقرانهم على أساس بعض خصائص التفاعل الاجتماعى. وشملت عينة البحث ٤٨ تلميذا وتلميذه اختيروا من مدرسة ابتدائية تقع فى منطقة شبه ريفية فى الولايات المتحدة الأمريكية، واعتمد الباحث على المشاهدة الطبيعية لسلوك الأطفال اثناء لعبهم بعد أن طبق عليهم اختبارا سوسيومتريا، صنفوا على أساسه حسب مراكزهم السوسيومترية بين زملائهم، وتم تمثيل كل فئة لعينة من ثمانية تلاميذ وثمانى تلميذات. وقام بالمشاهدة باحث "مدرب" معتمدا على دليل يسجل من خلاله مشاهداته عن جانبين فى سلوك كل طفل وهما:

١- الجانب التفاعلى (ويشمل التخاطب، واللعب التعاونى، والجدال، والعنف البدنى).

٢- الجانب غير التفاعلى (ويتضمن عدم الانشغال بشئ محدد، ومشاهدة الآخرين وهم يلعبون، واللعب منفردا، واللعب المتوازى دون تفاعل مباشر مع الزملاء).

وقد أظهرت النتائج:

- أن الأطفال المرفوضين من أقرانهم قضوا وقتا أقصر من نشاطات التفاعل الايجابى (مثل اللعب التعاونى والتخاطب الاجتماعى)، ووقتا أطول فى نشاطات التفاعل السلبى (الجدال والعنف البدنى) وأيضا فى فترات عدم الانشغال بنشاط ما مقارنين بالاطفال مرتفعى ومتوسطى الشعبية.

- وفيما يتعلق بحجم وطبيعة شبكة التفاعل الاجتماعي، تبين أن تفاعلات الاطفال المرفوضين غالبا ما تتم في سياق جماعات أصغر، ومع رفاق إما أصغر عمرا أو ذوى شعبية محدودة، أما الأطفال مرتفعوا الشعبية فقد اتسمت شبكاتهم الاجتماعية بأنها أكثر تماسكا وخلصت بالعديد من الصداقات المتبادلة (٤٢:٨٣-٣٠٦)، ٤٣:١٥٩،١٦٠).

مساهمات بعض علماء الإسلام في عملية التفاعل الاجتماعي

أولا: رأى (الفارابى) موضحا أهمية التفاعل الاجتماعى فى المجتمع الإنسانى فى كتابة (المدينة الفاضله) يشير إلى ذلك فيقول:

وكل واحد من الناس مفطور على أنه يحتاج فى قوامه. وفى أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده. بل يحتاج إلى قوم له كل واحد منهم بشئ مما يحتاج إليه ـ وكل واحد بهذه الحال. فلذلك لا يمكن أن ينال الإنسان الكمال. والذى لأجله حصلت له الفطرية الطبيعية إلا بإجتماع جماعة كثيرة متعاونين. يقوم كل واحد ببعض ما يحتاج إليه فى قوامه ـ وفى أن بلغ الكمال، ولهذا كثرت أشخاص الناس فحصلوا فى المعمورة من الأرض فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية.." (٣٤:١٧٠). ويستطرد (الفارابى) فى توضيح مفهوم التفاعل الاجتماعى فيقول إن هناك أقواما يزعمون أن الاجتماع الإنسانى ينشأ عن القهر فإن القاهر يحتاج إلى مؤازرين، فيسخرهم لإرادته، ويقهر بهم أقواما آخرين يستعبدهم لمنافعه وأهوائه، ولكن ذلك لا يصدق إلا على المدن الضالة، أما الإرتباط الصحيح فهو الارتباط الناشئ من الحاجة إلى التعاون بالعدل، وأعلى الروابط كلها رابطة العدالة. وإذا كانت السعادة ممكنة فى نظر الفارابى على وجه الأرض عند تعاون الأفراد على نيلها بأعمالهم الفاضلة، فإن أكمل اجتماع إنسانى يحقق السعادة هو الإجتماع الذى يشمل أمم الأرض وأحسن دولة ينال بها الكمال هى الدول الكبرى.

ثانيا: أراء (ابن مسكويه) فى عملية التفاعل الاجتماعى (٢١:٣٥٥،٣٥٦)

لابن مسكويه آراء تتفق مع النظريات الحديثة فى التفاعل الإجتماعى.. فهو يشير إلى:

إن الإنسان من بين جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه فى تكميل ذاته ولابد له من معاونة قوم كثيري العدد حتى تتم حياته طيبة...، ولهذا قال الحكماء: إن الإنسان مدنى بالطبع أى هو محتاج إلى مدينة فى خلق كثير لتتم به السعادة الإنسانية. فكل إنسان بالطبع وبالضرورة يحتاج إلى غيره ـ فهو لذلك مضطر إلى مصادقات الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته، وهو أيضا يفعل بهم مثل ذلك.

فأولها: ما ينعقد سريعا ينحل سريعا وهى المحبة التى يكون سببها اللذة.

والثانى: ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا وهى المحبة التى يكون سببها الخير.

والثالث: ما ينعقد وينحل سريعا. وهى المحبة التى يكون سببها النافع.

والرابع: ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا. وهى المحبة التى تتركب من هذه إذا كان الخير فإنها تنحل بطيئا وتنعقد بطيئا.

وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لأنها تكون بإرادة وروية. وتكون فيها مجازاة ومكافأة.

ثالثاً: أراء (لابن سينا) فى عملية التفاعل الاجتماعى

يرى ابن سينا أن حياة الإنسان تختلف اختلافا بينا عن حياة الحيوان، لأن الحيوان يحيا حياة تسخير غريزية طبيعية، ولذا توحدت حاجاته، وأما الإنسان فقد تنوعت صناعات مأكله وملبسه ومسكنهن مما استلزم الاستنباط والروية، فتكثرت من جراء حاجات وتنوعت، فتحتم من ثم ان يقوم المجتمع على تعاون الأفراد، وهذا التعاون لا يتم إلا بتفاوت كفاءات الأفراد. والمتأمل فى آراء ابن سينا نجده يفرق بين الإنسان والحيوان، على أساس أن:

المبدأ الأول: اجتماعى والثانى غريزى. ولذلك فإن الإنسان تسهل عملية تفاعله وكذلك تطبيعه.

والمبدأ الثانى: اشارته بتنوع الحاجات الإنسانية وهو مبدأ أساسى فى عملية التفاعل الاجتماعى بين الكائنات البشرية.

والمبدأ الثالث: اعترافه بالفروق الفردية بين الأفراد ولهذا المبدأ أهميته كدعامة من دعامات علم النفس التعليمى فى العصر الحديث وله اعتباره فى عملية التفاعل الاجتماعى.

رابعاً: أراء لابن خلدون فى عملية التفاعل الاجتماعى:

يبدأ ابن خلدون كلامه عن العمران البشرى بقوله:

إن الاجتماع الانسانى ضرورى، ويعبر الحكماء عن ذلك بقولهم إن الإنسان مدنى بالطبع، أى لابد له من الاجتماع وذلك لسببين:

أ- إضطرار الإنسان إلى التعاون مع أبناء جنسه على تحصيل حاجته من الغذاء.

ب- إضطراره إلى التعاون معهم على دفع عادية الحيوانات الضارية.

ويستطرد ابن خلدون بقوله: إن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء، غير موفيه له بمادة حياته منه.. فلابد من اجتماع القدر ـ الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت لهم. وكذلك الواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات سيما المفترسة، فهو عاجز أمامها وحده بالجملة، ولا تعنى قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعيد المعدة لها، فلابد فى ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه (٣٥:٤٢).

فالتعاون وهو أحد العمليات الاجتماعية البناءة ضرورى لتحصيل الغذاء كما هو ضرورى لمدافعة الحيوانات الضارية، ولولا ذلك لما تمت حياة الإنسان واستمرت، لما ركبه الله عليه من الحاجة إلى الغذاء، والدفاع عن النفس فى سبيل بقائه وحفظ نوعه.

فحاجة الأفراد إلى التفاعل هى التى تدفعهم إلى التساكن، وإذا تفرق الناس لم يكن هناك عمران بدوى ولا حضرى فى رأى ابن خلدون.

الفصل السادس
الجماعة وديناميـاتها
Group & Group dynamics
خطة الفصل المنهجية

- تعريف الجماعة.
- خصائص الجماعة.
- أهمية الجماعة للفرد وللمجتمع.
- أنواع الجماعات.
- حجم الجماعات على العلاقات الاجتماعية.
- التعاون والتنافس فى الجماعة التعليمية.

جماعة فصل ـ إذاعة وصحافة مدرسية ـ جماعة اجتماعية.

- الجماعة المرجعية.
- ديناميات الجماعة: الموضوعات الرئيسية:
  - ١- السلوك فى الجماعات الصغيرة.
  - ٢- تماسك الجماعة.
  - ٣- بناء الجماعة.
  - ٤- الضغوط الاجتماعية (المسايرة والمغايرة).
  - ٥- القوة الاجتماعية.
  - ٦- تأثيرات المجموعات الصغيرة على الأحكام الفردية.
  - ٧- أهداف الجماعة.
  - ٨- مستوى طموح الجماعة.
- أثر الجماعة فى التنشئة الاجتماعية للفرد.
- عنصر الاتصال الاجتماعى وقنواته داخل الجماعة.
- التغذية الاستراجعية للجماعة.

تطبيقات ديناميات الجماعة فى التعلم

- الفصل الدراسى كجماعة.
- التسهيل الاجتماعى.
- النظرية والتجريب فى مجال دينامية الجماعة:

أولا: أهم أساليب البحث فى مجال دينامية الجماعة.

ثانيا: التجريب فى مجال دينامية الجماعة.

يعرف "مارفن شو Marvine Show الجماعة على إنها إثنان أو أكثر من الأشخاص" يتفاعل كل منهم مع الآخر بشكل يفضى إلى أن يؤثر كل فرد فيها فى الآخر ويتأثر به"(١:٢٥). بينما يؤكد (فرويد Froud) فى تحديدة لمفهوم الجماعة على توحد القيم والمعايير التى توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة فى تفاعله مع غيره من الأفراد ومع البيئة المحيطة به وبهم، وتحقق القيم التى تهيمن على سلوك أفراد الجماعة وظيفتين:

الأولى: إنها تصبح اطارا مرجعيا ينسب أفراد الجماعة سلوكهم إليه، ويحدد توقعاتهم من سلوك زملائهم نحوهم.

الثانية: إنها تحدد مكانة الفرد فى الجماعة، وذلك بمقدار ما يدافع عنها ويتمسك بها. ويتخذها أسلوبا لحياته وموجها لسلوكه[٢].

ويرى "فرويد" فى كتابه طعلم نفس الجماعات وتحليل الأنا" أن الجماعة تتكون عندما يشترك بعض الأفراد فى صفة إنفعالية واحدة مستمدة من علاقتهم بفرد آخر يقوم بدور القيادة، ويكون بالنسبة إليهم ممثلا للسلطة الأبوية (الأنا الأعلى) وحينذاك يحدث توحد بين الأفراد بعضهم البعض بناء على اشتراكهم فى نفس الدور الذى ينسبو به إلى القائد ــ ويقول فرويد فى نفس المرجع "إن جماعة من هذا القبيل من الأفراد أصبحت شخصياتهم متشابكة نتيجة وجود قيم ومثل عليا واحدة لديهم مستمدة من توحدهم بالقائد(٣:٤١،٤٢).

ويعرف (فؤاد البهى) الجماعة على أنها تصنيف لطائفة من الناس يشتركون معا فى صفة واحدة أو صفات متعددة، فهى بهذا المعنى فئة من فئات التصنيف. ومثال ذلك جماعة الأميين التى تقابلها جماعة المتعلمين، وجماعة المرضى التى تقابلها جماعة الأصحاء، وغير ذلك من التصنيفات المختلفة للأفراد (٤).

ويعرف (حامد زهران) الجماعة بأنها وحدة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد (اثنان فما فوق) بينهم تفاعل اجتماعى متبادل (يتميز فى الجماعة الانسانية بوجود اللغة وهى أداة الاتصال الرنيسية)، وعلاقة صريحة (قد تكون جغرافية أو سلالية أو اقتصادية أو وحدة الأهداف أو وحدة العمل والشعور بالتبعية أو الشعور بالنوع أو الشعور بالانتماء إلى وحدة واحدة). ويتحدد فيها للأفراد ادوارهم الاجتماعية ومكانتهم الاجتماعية، ولهذه الوحدة الاجتماعية مجموعة من المعايير والقيم الخاصة بها والتى تحدد سلوك أفرادها على الأقل فى الأمور التى تخص الجماعة سعيا لتحقيق هدف مشترك وبصورة يكون فيها وجود الأفراد مشبعا لبعض حاجات كل منهم (٥:٧٦).

من التعريفات السابقة يمكن تعريف الجماعة على أنها:

"فردان أو أكثر بينها علاقات سيكولوجية على أساس توزيع الأدوار فيما بينهم بما يتفق مع القيم والمعايير المشتركة والتي تحدد سلوك أفرادها في الأمور التي تخصها لتحقيق أهدافها".

ويبدو أن كلمة **Group** تحمل في حروفها الإنجليزية عوامل نجاح العمل الجماعي:

- هدف	**G.**	**Goal**
- المسئولية	**R.**	**Responsibility**
- التنظيم	**O**	**Organization**
- الفهم	**U**	**Understanding**
- التخطيط	**P**	**Planning**

خصائص الجماعة

تتميز الجماعة الإنسانية بعدد من الخصائص التي تتصف بها دون غيرها من الجماعات الأخرى. من هذه الخصائص ما يلي:

- أن تتكون من فردين أو أكثر لديهم نمط خاص من المشاركة.
- وجود (نمط للتفاعل) وتنظيم له نتائجه بالنسبة للأعضاء.
- وجود (أدوار) للأفراد، و (مراكز) متدرجة.
- يجمع بينهم وحدة (دافع) مشترك نحو تحقيق هدف ما تسعى إليه الجماعة.
- يجمع بينهم صفة انفعالية واحدة مستمدة من علاقتهم بفرد آخر يقوم بدور القائد.
- وجود (معايير) تنظم العلاقات والتفاعل.
- وجود (ميول وقيم) مشتركة متفق عليها تؤدي إلى التفاعل بين أعضائها.
- يصطبغ سلوكها (بشحنة إنفعالية) قوية يكشف عنها إضطراب سلوك أفراد الجماعة.
- وجود نمط (سوسيومترى) حيث يميل الأعضاء إلى تحديد أفراد يحبونهم أكثر من غيرهم في الجماعة وآخرين لا يحبونهم بنفس الدرجة أو قد يكرهونهم.
- وجود (بنية وتنظيم) تركيب مرئي مثل تحديد أعضاء اللجان والمناصب وتركيب غير مرئي يرتب فيه الأعضاء حسب المكانة والأقدمية.
- وجود (وسيلة إتصال) تيسر التفاعل بين أفرادها، تتمثل فيما يسود الجماعة من لغات منطوقة أو مسموعة أو مقروءة.

أهمية الجماعة بالنسبة للفرد

- تساعد الفرد على تكوين صدقات جديدة عن طريق التفاعل الاجتماعى.
- تزود الفرد بأنماط السلوك الاجتماعى السليم.
- تنمى مهارات الاتصال وخبراته فهى قدر الانسان.
- تنمى لديه القدرة على حل المشكلات والتفكير والتعبير عن الذات.
- تهيئ للفرد المناخ لاكتساب الاتجاهات.
- تزيد معرفة الإنسان عن ذاته وعن الآخرين.
- يستمد الفرد قوة هائلة وشعورا بالأمن والاطمئنان.
- تشبع حاجته إلى الإنتماء وتعطيه الثقة بالنفس.
- من خلال انتماء الفرد للجماعة يكتسب القيم والمعايير الاجتماعية.
- تنمى مفاهيمه الاجتماعية.
- تسهم الجماعة فى تعلم المهارات الاجتماعية كنمو الذكاء الاجتماعى الذى يتضمن القدرة على التفاعل مع الآخرين والقدرة على التصرف فى المواقف الاجتماعية والقدرة على فهم السلوك الإنسانى ..الخ.
- تسهم فى تكوين صداقات جديدة مما يساعد فى نمو دائرة التفاعل الاجتماعى للفرد.
- توجد المتعة والرضا فى العميل حين يكون العمل لائقا ومقنعا.
- تدربه على القيادة السليمة والتبعية الصالحة.
- تمارس الجماعات غير الرسمية ضبطا إيقاعيا قويا على عادات واتجاهات الفرد سواء فيما يتعلق بإنتمائه للجماعة أو فيما يتعلق بتحديد معدلات إنتاجه.

وأن العمل داخل جماعة:

١- يؤدى إلى تكامل الخبرات.
٢- فى إطار الجماعة تتسع الرؤية.
٣- إن الجماعة تستوعب المشكلات اكثر.
٤- الوصول إلى أفضل الحلول نتيجة تقديم وجهات نظر متعددة.

أهمية الجماعة بالنسبة للمجتمع

- سعادة المجتمع لا تتحقق إلا عن طريق التفاعل الاجتماعى الصحى.
- جميع أوجه النشاط الاقتصادى هى نتيجة للتفاعل الاجتماعى.
- تساهم الجماعة فى تقديم المجتمع واستمرار الحياة الاجتماعية.
- جميع المؤسسات الاجتماعية كالمدارس والمصانع ودور العبادة نتيجة لجهود الجماعة.
- لا يستطيع الأفراد فى المجتمع العيش الصحيح دون الاشتراك الفعلى فى الجماعات.
- المعايير والقيم الاجتماعية ما هى إلا نتاج للجماعات.
- البلد والمدينة والإقليم والوطن ثمرة لجهود الجماعات على المستوى الصغير والكبير.

فالإنسان كائن اجتماعى يميل إلى التجمع بأفراد نوعه وبحكم هذا الميل عنده نجده لا يعيش فى العادة بمفرده وإنما مع غيره من بنى الإنسان، ولقد كان هذا اللقاء يحدث فى أول الأمر بطريقة تلقائية وبدون أى وعى أو قصد، وظهرت بذلك أبسط اشكال التجمع، وهى التى تميزت بمجرد وجود الناس قريبين من بعضهم فى مساحة معينة ودون ان يميزهم أى شئ سوى هذا القرب من بعضهم، وبدون أى نوع من التنظيم أو التأثير المتبادل.

ولقد أطلق **اصطلاح الحشد Aggregate** على مثل هذا النوع من التجمع وهو يشير إلى ناحية القرب الجغرافى فحسب، والذى نعنى به مجموعة من الأفراد لا يجمعهم سوى الوجود فى منطقة معينة أو مكان جغرافى محدد، فلا تفاعل اجتماعى أو تأثير متبادل عميق ولا علاقات قوية حميمة ولا بناء اجتماعى ثابت أو اتصال دائم مستمر. ولا أهداف بعيدة يأملون فى تحقيقها من خلال الانتماء لجماعة معينة تشكل معاييرهم وتقنن سلوكهم ينتظرون فى محطة مترو الأنفاق، أو أفراد يرتادون أحد المسارح لمشاهدة عرض مسرحى. أو حشد من الأفراد فى مشاهدة عابرة لمباراة فى كرة اليد. أما إذا حدث وقام تفاعل بين الأفراد واصبح هناك شعور بوحدة التركيب ووحدة المصالح والنشاط فإن المجموعة تنتقل من مجرد كونها حشد إلى مرحلة أخرى هى الجمع، وعلى ذلك يتميز الجمع عن الحشد بوجود تفاعل بدرجة معينة بين أفراده.. كما يتميز الجمع بشعور أفراده بنوع مشترك من المصالح والأهداف تربطهم كما تجمعهم صلات معينة أو طرق من السلوك تميزهم عن أفراد آخرين لا تشملهم أو تربطهم هذه الصلات أو يختلفون عنهم فى السلوك (٦:٤٣-٤٥).

أما الفئة Class فهى مجموعة من الناس يشتركون فى خصائص معينة تجمع أفرادا معينين مثل فئة المكفوفين أو الصم او فئة المبدعين أو الذين يقل دخلهم السنوى عن مبلغ معين مثلا، وهذه الفئة تكون جماعة فى حالة ما إذا تفاعلت مع بعضها.

أنواع الجماعات

ليس الهدف هو معرفة أنواع الجماعات أو تصنيفها فى حد ذاته ولكن الهدف هو معرفة أنواع العلاقات الدينامية أنماط التفاعل بين أفراد الجماعات وتأثير الجماعة على سلوك الفرد وأدواره الاجتماعية. وتفيدنا دراسة أنواع الجماعات فى توجيه الجماعة والعمل معها.

وهناك عدة تصنيفات للجماعات، وسنستعرض أهمها فيما يلى:

م	أساس التصنيف	أنواع الجماعات	أمثلة
(١)	التفاعل: إمكانية وجود علاقات مباشرة بين أعضاء الجماعات بحيث يتم التفاعل بينهم وجها لوجه أم لا.	- جماعات أولية. - جماعات ثانوية.	الأسرة أو مجموعة الرفاق. مثل النقابة أو الحزب السياسى.
(٢)	الحجم: وهو عدد أعضاء الجماعة، هل هو عدد كبير أم صغير محدد؟	- جماعات صغيرة. - جماعات متوسطة - جماعات كبيرة	لا يزيد عدد أفرادها عن عشرة مثل الأسرة. مثلا تلاميذ فصل لا هى بالصغيرة كالأسرة ولا هى بالكبيرة كالحزب السياسى. كبيرة العدد مثل أعضاء النادى أو الحزب السياسى.
(٣)	الدوام: وهو درجة استمرارية الجماعة	- جماعات طارئة - جماعات قصيرة الأمد. - جماعات طويلة الأمد. - جماعات مستمرة	مثل إجتماع لجنة من اللجان غير الدائمة. مثل الأفراد فى أحد المعسكرات أو فى إحدى الدورات التدريبية. مثل التلاميذ فى مرحلة دراسية. مثل الأسرة والنادى والنقابة.
(٤)	الشكلية والنظام: ويقصد بذلك توافر القواعد والنظم التى تحكم سلوك الأفراد داخل الجماعة ودرجة انطباعهم لهذه القواعد.	- جماعات رسمية - جماعات شبه رسمية. - جماعات غير رسمية.	مثل الفرقة العسكرية حيث يتوفر فيها أقصى درجات الإلتزام بالنظام والشكلية. مثل أعضاء النقابة وأعضاء النادى أو الحزب السياسى وأعضاء الأسرة. مثل مجموعة الرفاق.

م	أساس التصنيف	أنواع الجماعات	أمثلة
(٥)	التجانس: ويقصد به درجة التشابه بين أفراد الجماعة من ناحية الأهداف وبعض الصفات مثل السن والجنس والمستوى التعليمي والمستوى الاجتماعي الاقتصادي.	- جماعات متجانسة. - جماعات غير متجانسة.	مثل طلاب فرقة دراسية أو اعضاء إحدى الجمعيات العلمية. مثل مشجعى أحد الأندية فى مباراة لكرة القدم.
(٦)	المكان: ويقصد به درجة التقارب المكانى بين أعضاء الجماعة، هل هم متجاورون فيكون التفاعل وجها لوجه أم إنهم متباعدون فى المكان بحيث لا تتيسر العلاقات المباشرة بينهم.	- جماعات متجاورة. - جماعات غير متجاورة	مثل طلبة إحدى الكليات. مثل أعضاء المهنة الواحد
(٧)	الهدف: ويقصد به الأهداف التى تعمل على تحقيقها الجماعة	- جماعات لها أهداف إجمتاعية - جماعات لها أهداف لا إجتماعية.	كالجماعات الدينية الجماعات الترويحية والجماعات الساسية وجماعات الهلال الأحمر كالعصابات وجماعات تعاطى المخدرات والتطرف الدينى والإرهاب وعبدة الشيطان.

حجم الجماعات وأثره على العلاقات التفاعلية

تشير نتائج بحوث علم النفس الاجتماعى إلى أنه يصعب جدا إقامة تفاعل شخصى مباشر بين أفراد جماعة يزيد عدد أفرادها عن خمسة عشر فردا، وكلما قل العدد عن ذلك كان التفاعل أفضل. إن فعالية الاتصال الشخصى ـ ترتبط بصغر حجم الجماعة التى يتم فى إطارها الاتصال وإذا ما تجاوز حجم الاتصال حدا معينا تحول نمط الاتصال إلى الشكل الأقرب للجماهير. أو تفتت الجماعة إلى جماعات اتصالية أصغر تارس الاتصال الشخصى.

إن عدد العلاقات يتأثر تأثرا كبيرا بحجم الجماعة فإذا ازداد عددها زيادة كبيرة فإنها تحول بين الأفراد والتفاعل الاجتماعى الصحيح لتجاوزها مقدرة الأفراد على إدراك بعضهم البعض. هذا وكلما إزداد عدد أفراد الجماعة زيادة صغيرة زاد عدد العلاقات زيادة ضخمة كبيرة. فالعلاقات الاجتماعية في الجماعة الرباعية تصل إلي (٢٥) علاقة مختلفة.

نوع العلاقات	توضيح العلاقات	عدد العلاقات
فرد ــ فرد	(١-٢) (١-٣) (١-٤) (٢-٣) (٢-٤) (٣-٤)	٦
فرد ــ جماعة ثنائية	(١-٢،٣) (١-٣،٤) (١-٤،٢) (٢-٣،٤) (٢-٤،١) (٢-١،٣) (٣-٤،١) (٣-١،٢) (٣-٢،٤) (٤-١،٢) (٤-٢،٣) (٤-٣،١)	١٢
فرد ــ جماعة ثلاثية	(١-٢،٣،٤) (٢-٣،٤،١) (٣-٤،١،٢) (٤-١،٢،٣)	٤
جماعة ثنائية	(١،٢-٣،٤) (٢،٣-٤،١) (١،٣ - ٢،٤)	٣
المجموع		٢٥

أثر حجم الجماعة على ادائها فى حل المشكلات:

لمعرفة تأثير حجم الجماعة Size of The group آداء الجماعة فى حل المشكلات قام "تايلور Taylor، وفوست Faist" (٧: ٢٧،٢٨) بإجراء تجربة استخدما فيها مجموعة من الأفراد عددها (١٠٥) فرد، ولقد كلف (١٥) فردا من هذه العينة بالقيام بحل مشكلة ما على أن يعمل كل منهم بمفرده. كذلك كونوا (١٥) مجموعة كل مجموعة مكونة من فردين اثنين (و١٥) مجموعة أخرى كل مجموعة مكونة من (١٤) فردا. وكان العمل الذى كلف به جميع الأفراد عبارة عن قيامهم بسؤال الباحث (٢٠) سؤالا، وكان على الباحث أن يجيب "بنعم" أو "لا" وكانت هذه الأسئلة تدور حول موضوع ما غير معروف وكان على أفراد العينة أن يتعرفوا على هذا الموضوع بعد الأسئلة.. وإذا فشلوا فى التعرف عليه كان يسمح لهم بالاستمرار فى توجيه الأسئلة إلى الباحث حتى تصل الأسئلة (٣٠) سؤالا. وكانت العينة تعطى (٤) موضوعات يوميا لمدة (٤) أيام متتالية. وفى اليوم الخامس اشترك جميع الأفراد فى حل (٤) موضوعات. وكانت العوامل التى قيست فى هذه التجربة:

١ - عدد الأسئلة التى سألها الأفراد.

٢ - الزمن المستغرق فى حل المشكلة.

و٣ - عد المشكلات التى لم تحل.

ولقد تبين من هذه التجربة أن آراء جميع المجموعات قد تحسن تحسنا ملحوظا بالمران والخبرة، ومعنى ذلك أن أفراد العينة توصلوا إلى حل المشكلة فى آخر أيام التجربة بعد قليل

من الأسئلة بالمقارنة بالأسئلة التى سألوها فى أول أيام التجربة وذلك بصرف النظر عن حجم الجماعة (المجموعة).. ولقد أظهرت المجموعات تفوقا فى هذا العمل من الأفراد، فالأداء الفردى أقل من الأداء الجماعى – ولكن لم يكن هناك فرق واضح بين آراء المجموعات المكونة من فردين وتلك المكونة من (٤) أفراد.

فالجماعة تصل إلى حل المشكلة أسرع من فرد واحد بعينه.

التعاون والتنافس فى الجماعة التعليمية

فصل – إذاعة وصحافة مدرسية – جماعة اجتماعية – جماعة فى معسكر ترفيهى

يكون التعاون من أبرز أشكال السلوك المميز اجتماعيا Prosocial behavior ، إذ يتضمن مساعدة الآخرين والتخطيط المشترك والأنشطة الجماعية ويقابله التنافس والعدوان Aggression والانسحاب، وقد بينت دراسات عديدة أهمية التعاون على مستوى الأفراد والجماعات من خلال المقارنة بين الجماعات التى يسود نشاطها أسلوب التعاون والجماعات التى يسود نشاطها أسلوب التنافس. فقد تبين لـ (دوتش – ١٩٦٨ Deutsch) بعد أن قارن بين جماعات متعاونة وأخرى متنافسة أن الجماعة المتعاونة قد تميزت بما يأتى(٨:٤٨٢،٥٦١).

١-وجود دافع فردى قوى لانجاز الأعمال.
٢-وجود شعور بالواجب والتقدير الايجابى للآخرين.
٣-مشاركة أكبر من جانب الأفراد مع التوزيع المنسق للجهود.
٤-حدوث قدر أكبر من الاتصال والتفاهم بين الأفراد والنظام.
٥-زيادة عامة فى الانتاج وفى جودته.
٦-شعور بالرضا وتعبيرا أوضح عن الصداقة.

وينصح التربويين بأن يراجعوا انفسهم وأن يهيئوا الظروف لتيسير التعاون بدلا من تصعيد التنافس بين الأفراد. حيث أن التعاون هو نوع من الاعتماد المتبادل بين الأفراد وأن إسهام أحد الأفراد يؤثر فى إسهام الجماعة ويشير وب Webb (١٩٩١) بأن استخدام التعلم التعاونى فى جماعات تعلم صغيرة يزيد من فرصة التلاميذ على التفاعل مع المادة التعليمية ومع التلاميذ الآخرين أثناء عملية التعلم، ويكون لدى تلاميذ الجماعة الفرصة لمناقشة زملائهم (٩).

وليس معنى ذلك أن التنافس أمر مضر، أو إنه غير مطلوب فى المواقف التعليمية. بل العكس تماما هو الصحيح، فإن التنافس يمكن أن يستغل كعامل منشط وكدافع للانجاز فالتنافس هو حجر الزاوية فى التقدم الثقافى وتقدم المجتمع والشخصية للفرد مثل الثقة بالنفس والمثابرة وتقدير الذات وتحققها. وقد أوضحت كثير من الدراسات أن المعلم يستطيع أن يستفيد من عامل التنافس بين التلاميذ فى دفعهم إلى مزيد من الانجاز فى شتى مجالات النشاط المدرسى على أن يضع فى اعتباره:

١-المعلم الواعى هو الذى ينقل لتلاميذه أنهم متفاوتون فى القدرات والاستعدادات، وأن المجال الذى يتفوق فيه تلميذ قد لا يتفوق فيه آخر، لذلك فعلى التلميذ أن يتقبل النتيجة بكل الرضا والارتياح مع بذل الجهد.

٢-أن يحافظ المعلم على سلامة العلاقة بين التلاميذ فلا يجعل أحد من التلاميذ يشعر بالغيرة نحو من سبقوه أو يشعر بالاستعلاء ممن سبقهم، وأن يعمل على نقل الروح الرياضية من الملعب إلى الفصل فى تقبل النصر والهزيمة، حتى يفهموا التنافس على أنه عامل حفز.

٣-بعض الأطفال يخشون موقف التنافس لعوامل تربوية فى تنشئتهم فهم يفضلون العمل بعيدا عن كل ما من شأنه أن يجعل هناك مقارنة بين آرائهم وآراء الآخرين لمعاناتهم من عقدة نقص واحساس دفين بالدونية لسابق خبرتهم غير السارة فى مثل هذه المواقف لأنهم تعرضوا للمقارنة عندما كانت فى غير صالحهم، فعلى المعلم اعطائهم الثقة بأنفسهم معتمدين التنافس عامل حفز وليس عامل هدم.

٤-قد يتحمس بعض الأطفال فى الدخول إلى مواقف التنافس ولكن على أساس غير صحى. مخفين شعورا عدوانيا تجاه المتنافسين ويحقق لهم الفوز اشباع هذا الدافع، وغالبا ما يكونون ابناءا لآباء يريدون لهم التفوق بأى ثمن، ولو على حساب علاقات الابناء بزملائهم، وعلى المعلم أن يصحح المفاهيم الخاطئة عند هؤلاء التلاميذ ليدركوا أن تحقيق الانجاز ليس بالضرورة أن يكون على حساب العلاقات مع الأخرين، وأن التعاون والعلاقات الودية لا تتعارض مع الحافز الفردى للنجاح والتفوق، وبذلك يستقر لديهم أن التنافس عامل حفز وليس عامل هدم.

وإذا كانت الجماعة تنتج من خلال التعاون أكثر مما تنتج من خلال التنافس، فإن هناك بعض المبادئ التى يجب أن يراعيها المعلم فى تصميم مواقفه التعليمية التى يريد أن يستفيد فيها من التعاون ومن هذه المبادئ:

١-أن تكون الجماعة غير مفروضة من الخارج، فالجماعة التى تتكون تلقائيا وبرغبة اعضائها تكون أكثر فعالية، ويكون التلميذ فيها على استعداد لبذل أقصى جهده مع الآخرين لصالح الجماعة.

٢-أن يراعى المعلم بقدر الإمكان مبدأ التجانس عند اشرافه على تكوين الجماعات الفرعية من التلاميذ، والتى سيكلف كل منهما بعمل معين.

(وسيلة تعليمية ـ مجلة حائط ـ معرض فنى ـ فقرة موسيقية أو غنائية ..الخ) بحيث يكونون متقاربى السن والقدرات.

٣-أفضل درجات التعاون تحدث فى الجماعة صغيرة الحجم والتى يكون هناك علاقات مباشرة بين أعضائها بعكس الجماعات الكبيرة التى يأخذ البعض فيها مركزا هامشيا، وحجم الجماعة المناسب هو من (٣-٥) أفراد.

٤-لكى يدعم المعلم الاساليب والاتجاهات التعاونية عند التلاميذ فعليه أن يوفر لهم فى مواقف النشاط الجماعى المكان المتسع والأدوات والأجهزة الكافية التى تضمن للجميع المشاركة الفعلية، وأن توفر الجماعة من الأنشطة ما يشبع حاجات وميول الأعضاء.

٥- عند تقييم المعلم لعمل الجماعة وتقييمه لنشاط كل فرد يجب أن يعمل على تدعيم الروح التعاونية وروح الفريق بين الأفراد.

(أ) فإذا كان سيثنى على أحد الأعضاء فيجب أن يشعرهم جميعا إلى أن الثناء يمكن أن يكون من نصيب أى فرد إذا كان آراؤه على نفس المستوى.

(ب) إذا بدى بعض الملاحظات السلبية فليس هناك مجال للتهكم أو السخرية أو المقارنة التى تحط من قدر أحد الأطراف.

(ج) التوجه بالارشادات لكل أعضاء الجماعة بعد التقييم الفردى والتقييم للجماعة ككل حتى تتأكد شخصية الجماعة وكيانها فى ذهن كل فرد.

الجماعة المرجعية *Reference Group*

تعريف الجماعة المرجعية

الجماعة المرجعية هى الجماعة التى يهم الفرد أن يعرف رأيها فيما سيقدم عليه من تصرفات. ويعتبر العالم (هيمان ١٩٤٢ **Hyman**) أول من استخدم مفهوم الجماعة المرجعية التى يرجع إليها فى تقييم سلوكه الاجتماعى ويتأثر الفرد بمعاييرها وإتجاهاتها ويلعب فيها دورا معينا ويشارك أعضاءها فى الميول والدوافع والمعايير (١٠: ٢٦٩).

أثر الجماعة المرجعية فى سلوك أعضائها

تؤثر الجماعات المرجعية فى السلوك عن طريقين رئيسيين هما:

أولاً: مستويات الطموح:

فإذا كان الأفراد الآخرون فى الجماعات المرجعية للفرد (كالجيران مثلا) أكثر غنى أو شهر أو كفاية. فإن الفرد قد يرضى بمستواه، وقد يحاول أن يصل إلى ما وصل إليه الآخرون. أى الفرد ينزع إلى مقارنة نفسه بأفراد جماعة أخرى، ويكون إحساسه بالحرمان منسوبا إلى هذه الجماعة.

ثانياً: أنواع السلوك:

تحدد الجماعات المرجعية أينما استخدم العضو لثروته أو لشهرته، أو غير ذلك من أنواع السلوك. كما أنها تحدد المحرمات، وقد يكون لها القدرة على طرد العضو من الجماعة. ولاشك أن هذين النوعين من التأثير بينهما قدر كبير مشترك، وكلاهما يتضمن إدراكا معينا من جانب الفرد ينسب إلى الجماعة المرجعية خصائص قد تتميز أو لا تتميز بها. كما أن كليهما يتضمن سيكولوجيا مكافأة وعقابا.

ويتوقف تأثير الجماعة المرجعية فى قرارات الأفراد على عوامل كثيرة متشابكة يتعلق بعضها بالفرد. مثل شعوره أو عدم شعوره بالأمن فيما يتعلق بالجماعات المرجعية. وإدراك موقف هذه الجماعات ومدى معرفة الموضوع الذى يتخذ القرار بشأنه. ويتعلق البعض الآخر من هذه العوامل بالموضوع الذى يتخذ القرار بشأنه.

مظاهر تأثير الجماعة المرجعية فى سلوك الفرد

١- تدفعه إلى مزيد من العمل والطموح فى إطار القيم التى تلتزم بها الجماعة.

٢- تمنعه عن الإتيان بسلوك يتعارض مع معاييرها وإلا تعرض لنبذ الجماعة.

٣-تحديد أنواع السلوك من حلال وحرام ومقبول ومرفوض.
٤-تحديد الإطار المرجعي لسلوك الأفراد.
٥-الشعور بالأمن أو عدم الشعور بالأمن للفرد.
٦-وضوح أو عدم وضوح موقف الجماعة من السلوك الاجتماعي.
٧-وإنه كلما إزداد إرتباط الفرد بالجماعة وإنتمائه إليها، كلما إزداد مدى التأثير الذى تحدثه الجماعة فى إتجاهاته. وهذا يؤكد أن الفرد إذا غير جماعته المرجعية التى ينتمى إليها. وإنتمى إلى جماعة جديدة ذات إتجاهات جديدة فإنه مع مضى الوقت يسعى إلى تعديل وتغيير إتجاهاته القديمة حتى يتكيف مع واقع ومعايير ومثل جماعته المرجعية.

أنواع الجماعات المرجعية

لكل فرد أكثر من جماعة مرجعية ينتمى إليها..

فالباحث عندما ينشر بحثا تكون جماعته المرجعية هى زملائه من الباحثين والمهتمين بمجال بحثه، وعندما يتخذ قرار بشأن المكان الذى سيقضى فيه عطله الصيف تكون الجماعة المرجعية هى أفراد أسرته، وعندما يتعامل مع الآخرين فى المجتمع يكون جماعته المرجعية هى الفئة المهنية التى ينتمى إليها.

وهناك أنواع متعددة من الجماعات التى يرجع إليها الفرد فى تقديم سلوكه منها:

١-جماعات عضوية ينتمى إليها الفرد مثلا، وقد تتضمن هذه الجماعات:

(أ) جماعات المواجهة الصغيرة التى يسود فيها الإرتباط الفعلى مثل العائلات أو المنظمات سواء كانت منظمات عمل أو منظمات دينية أو إجتماعية أو سياسية.

(ب) جماعات ينتمى إليها الفرد دون أن تتضمن زمالة شخصية فعلية (مثل عضوية جمعية تعاونية دون حضور إجتماعاتها) وقد تكون هذه الجماعات الأخيرة من نفس الأنواع السابقة. ولكنها تختلف عنها فقط فى خلوها من الزمالة الشخصية والمواجهة.

٢-جماعات طبقية فئات ينتمى إليها شخص بصورة آلية بحكم سنة وجنسه أو ثقافته أو حالته الزواجية وما شابه وتتضمن هذه العلاقات الجماعية المرجعية مفهوم الدور، فمثلا. قبل أن يقوم الفرد بفعل معين يؤخذ فى اعتباره ما إذا كان هذا الفعل متفقا مع دورد كرجل أو كعمدة، أو كبير السن، أو كمعلم أو كضابط مباحث أو أى مجموعة معينة من هذه الأدوار.

٣-جماعات متوقعة أو منتظرة، فمثلا إذا كان الشخص يطمح إلى عضوية جماعة لا ينتمى إليها فعلا، فإن الإحتمال فى أن يرجع الشخص إليها أو أن يقارن نفسه بمعاييرها عند اتخاذ قرار، أكثر من احتمال رجوعه إلى معايير الجماعة التى ينتمى إليها فعلا، ويرغب فى تركها.

مثال ذلك: الفلاح المعدم حين يطمح إلى تملك قطعة أرض أو المرشح لمنصب النيابة أو لعضوية جمعية من الجمعيات أو الموشك على الحج أو الموظف الذى على وشك الترقي لوظيفة أعلى..الخ.

٤-جماعة الند peer-Group

Peers are those persons who are considered to be our equals – They are usually of about the same age and ability.

الند هم هؤلاء الأشخاص الذين اعتبروا أندادا لنا أو نظراء لنا وهم عادة لـــهم نفـس العمر والمقدرة (القدرة)، وكلما تقدمنا من سن الطفولة إلى الرشـــد Adulthood تصبـــح مجموعة الند أكثر واكثر تأثيرا علينا من تأثير المجتمع وتكون مجموعة الند أعظم تـــأثيرا على الشباب لعدة أسباب:

- أول هذه الأسباب: أنها تسمح بعلاقات آمنه secure relationships مع الآخرين من نفس العمل. إن العون الذي تقدمه مجموعات الند يساعد الفرد على الانتقال من رقابـة والديه Parental control إلى رقابة ذاتية أكبر. وإلى حد ما تأخذ مجموعـــة النـــد رقابة أعلى على السلوك حيث إنها تضع حدود (تحدد) أى السلوك مسموح بـــه وأيـــة سلوك غير مقبول what is unacceptable.
- سبب آخر هو أن تأثير مجموعات الند فى غاية الأهمية حيث أنها تساعد الأفراد فـــى الحصول على صورة دقيقة (مضبوطة) accurate عن ذواتهم.

مثال ذلك: الأطفال ذوى المعدل العالى فى القدرة الميكانيكية ربما لديهم أخوة وأخوات لديهم قدرة أعلى فى هذا المجال. حينما يقارنوا أنفسهم بإخوتهم وأخواتهم. ربما ينمو لديهم الاعتقاد بأن قدرتهم الميكانيكية فى مرتبة أدنى ولكن عندما يقارنوا بهؤلاء فـــى جماعات ندهم، بعض منهم قدرته أقل من العادى (المتوسط)، وهم يستطيعون الوصول إلى تحديد دقيق. يحتاج الأفراد لتقييم أنفسهم وقدراتهم فى مختلف المجالات مع الناس الذين فى مثل عمرهم وجنسهم.

- السبب الثالث: هو أن تأثير جماعة الند يعد فرصة ســـانحة Opportunity. تعـــرف الفرد بالأدوار النموذجية. الأدوار النموذجية Rolemodels (النمذجة) هى أشـــخاص تتخذ أمثلة من السلوك التى يجب أن ينسخها أفراد آخرين. بعض جماعات الند تستحق احترام أكثر عن الآخرين، بعض مراكز الريادة فى التحصيل. الشخص الـــذى يحتـــاج لنموذج لتطور السلوك الخاص، عادة ما يجده فى جماعات الند.
- سبب آخر عن أهمية تأثير جماعة الند الذى يكون داخل الجماعة. يمكن للفرد أن يعبر عن مشاعره تجاه الأحداث محل النقاش.غالبا ما يشعر الأفراد بالأمان عنـــد مناقشـــة الشعور بالعداوة، Lack of trust عـــدم الثقـــة فـــى الســـلطة (صـــاحب النفـــوذ) Authority ومناقشات أخرى مع أندادهم ــ بالطبع يرتاح الناس عندما يكتشـفون أن جماعات الند تشاركهم نفس المشاعر(١١:٣٧٦-٣٧٧).

٥-قد تكون الجماعة المرجعية سلبية، وذلك حين يتجنب الفرد أحيانا فعلا معينا، يرتبـــط بهذه الجماعة (سواء كان الفرد ينتمى إليها فعلا أو لا ينتمى) التى يرغب فى الإنفصال عنها. مثال ذلك: جماعة العزاب بالنسبة للمقبل على الزواج، ومجتمع القرية لمن يريد الهجرة منها..الخ.

• ومن المهم أن نميز بين نوعين من الجماعات: جماعة العضوية والجماعة المرجعية وجماعة العضوية بالنسبة لشخص هى الجماعة التى يعتبر فيها الشخص من الأعضاء الآخرين فى الجماعة على أنه ينتمى إليها، مثل العائلة، والجمعية التعاونية، والمعهد الدراسى، الخ.. فإذا تأثرت اتجاهات الفرد بمجموعة من المعايير يفترض هو أن يشترك فيها مع أفراد آخرين، فإن هؤلاء الأفراد يكونون بالنسبة له "جماعة مرجعية" واللمهم فى الجماعة المرجعية أن معاييرها تمد الشخص باطارات مرجعية تؤثر فعلا فى اتجاهاته وسلوكه.. وفى معظم الحالات تعمل جماعة العضوية بالنسبة للشخص كجماعة مرجعية، ولو لفترة على الأقل إلا أن الجماعات ليست كلها جماعات عضوية. فالكثير منا قد يتأثر بمعايير جماعات لا يعتبرها أفرادها أعضاء منتمين لها، مثل الطالب الذى يعد نفسه لدخول كلية معينة، قبل أن ينتمى إليها فعلا (١٢: ٢٠،٢١).

مظاهر قوة توحد الفرد مع الجماعة المرجعية

١-زيادة المكانة المدركة للجماعة.
٢-زيادة تكرار التفاعل بين الفرد وأعضاء الجماعة.
٣-زيادة عدد الحاجات الفردية المشبعة فى الجماعة.
٤-وضوح الأهداف المشتركة بين أفراد الجماعة.
٥-قلة مقدار المنافسة بين أعضاء الجماعة والفرد.

ديناميات الجماعة

تتميز الجماعة بأنها "كل دينامى" وهذا يعنى أن التفاعل الذى يؤدى إلى التغيير فى حالة أى جزء من أجزاء الجماعة يؤدى إلى تغيير فى أى جزء آخر فيها ـ فمثلا تتغير علاقات القوة فى الأسرة بغياب عضو فيها أو بانتظام عضو إليها بالزواج أو الميلاد. ويعنى "مارفن شو" بديناميات الجماعة هو ذلك التفاعل الحادث فيها نتيجة التغيير والتفاعل الاجتماعى وهو ما يتم دراسته دراسة علمية منظمة من خلال دراسة القوانين التى تحكم الجماعة من حيث نشأتها ونموها وتفاعلاتها وانشطتها وما يرتبط به من جوانب أخرى بهدف الوصول إلى مبادئ وتعميمات تنظم جوانبها المختلفة (١: ٦،٧). أو هو كما يقرر سلامة وعبد الغفار: "ذلك الفرع من العلوم الانسانية الذى يهتم بالدراسة العلمية المنظمة للجماعة وتكوينها ونموها ونشاطها وإنتاجها وما يرتبط بها من جوانب أخرى بغية الوصول إلى القوانين العلمية التى تنظم هذه الجوانب. مؤكدة فى دراستها التفاعل البينى لما سبق من جوانب وعلاقات هذه الجوانب بالعلوم الإنسانية المختلفة والقيمة التطبيقية لما تصل إليه من معلومات فى تحسين عمل الجماعة وما يتبع ذلك من راحة ورخاء للفرد والمجتمع(١٣: ٢٦٢)" ويؤكد هذا التعريف على الجماعة نشأتها ونموها ووظائفها والعوامل المؤثرة فى كل ذلك. ومن الممكن أن نستخلص أن وظائف الجماعة هى المحور الذى تدور من حوله اهتمامات علم ديناميات الجماعة.

وتكاد تتفق الموسوعات والمعاجم النفسية على اختلاف أنواعها على أن هذا المصطلح يشير عادة إلى دراسة التفاعل الداخلى بين الأفراد داخل الجماعة الصغيرة.

من هنا تعد ديناميات الجماعة بمثابة أحد ميادين اهتمام علم النفس الاجتماعى الذى يدرس سلوك الجماعة. والعوامل المؤثرة فيها والتوازن فى الجماعة وما يحل به. والتغير فى القوى المؤثرة فى الجماعة (١٤). وديناميات الجماعة تشير إلى عمليات التفاعل داخل الجماعة الصغيرة. وفى هذا الصدد يجب الإشارة إلى أن مفهوم ديناميات الجماعة يرتبط فى كثير من جوانبه بنظرية المجال ومؤسسها (كيرت ليفى kert Lewin) الذى اهتم بدراسة دينامية الجماعة وذلك لما تمثله من أهمية وتأثير بارز على المجال النفسى للفرد.

وفى مجال دراسات التفاعل بين أفراد الجماعة تبدو أهمية التفاعل فى تحسين الآداء. بمعنى التأثير والتأثر فى عمليات التفاعل التى تحدث بين أفراد الجماعات الصغيرة (١٥-٢٧:٧). ومن معانى هذا المصطلح يشير (عبد الرحمن العيسوى) أنه التغيرات بالدينامية التى تحدث داخل الجماعة الاجتماعية ويقصد بالدينامية هنا علاقة العلية أو العلة للمعلول. أو السببية Cause – effect أو كيفية تكوين الجماعة وسلوكها كجماعة وليس كأفراد.

وهناك الكثير من التجارب التى توضح أثر مشاركة الجماعة Group Participation على قبول الجماعة للحلول التى توصلوا إليها Acceptability فعندما طلب من مجموعة من العمال أن يغيروا طريق أدائهم للعمل ثاروا وقاوموا التغيير الجديد وأظهروا نوعا من العدوان. لكن عندما اشتركوا Participated فى إتخاذ القرار الخاص بضرورة تغير طرق العمل هذه كانوا أكثر استعدادا لقبول التغيير لأنه فى هذه الحالة الأخيرة نابع منهم وصادر عن رغبتهم بإرادتهم ومن صنعهم. كذلك فإن نجاح الجماعة البشرية فى أداء رسالتها يؤدى إلى مزيد من شعورها بالامتثال Conformity (١٦). ويرى (حامد زهران – ١٩٨٤) أن دينامية الجماعة هى طاقة مسئولة عن تكوين ونمو وتغير الجماعة. ولذا يهتم دارسو ديناميات الجماعة باكتساب المعرفة عن طبيعة الجماعة وخاصة القوى النفسية الاجتماعية المؤثرة فيها التى تعمل على تحقيق الجماعة لوظائفها (٥) فى حين يعرفها (أسامه أبو سريع) بأنها الدراسة العلمية التى تهتم بتنمية المعرفة حول طبيعة حياة الجماعة وقوانين إرتقائها والعلاقات بين الأفراد داخل الجماعة الواحدة، وبين الجماعات المختلفة وبين الجماعة والمجتمع الكبير (١٧:٧٦). أما (سلامه وعبد الغفار) فيعرفانها على أنها ذلك الفرع من العلوم الإنسانية الذى يهتم بالدراسة العلمية المنظمة للجماعة وتكوينها ونموها ونشاطها وإنتاجها وما يرتبط بها من جوانب أخرى بغية الوصول إلى القوانين العلمية التى تنظم هذه الجوانب تطبيقيا وعمليا لتحسين عمل الجماعة وما يتبع ذلك من راحة ورخاء للفرد والمجتمع (١٣).

وتسعى الدراسة العلمية لديناميات الجماعة إلى تعميق فهمنا للجماعات الصغيرة. وفى هذا الصدد يؤكد (Bales) ضرورة النظر إلى الجماعات الصغيرة كنظم اجتماعية مصغرة تحدد الطريق لدراسة المجتمع الكبير. ولقد توصل (كارترايت وزاندر) إلى ثلاثة إستخدامات شائعة لمجال ديناميات الجماعة هى:

أولا: تستخدم ديناميات الجماعة لتدل على أيديولوجية سياسية معينة تتصل بطريقة تنظيم الجماعة وإدارتها. حيث تؤكد هذه الأيديولوجية على أهمية القيادة الديمقراطية

ومشاركة أفراد الجماعة فى إتخاذ القرارات، ومدى الفائدة التى تجنيها الجماعة وأفرادها نتيجة للمشاركة التى يقومون بها.

ثانياً: تستخدم ديناميات الجماعة على أنها مجموعة الأساليب التى تستخدم فى البرامج التدريبية بقصد تحسين المهارة فى إدارة الجماعات والمؤثرات والعلاقات الإنسانية مثل لعب الأدوار والجلسات الحرة والملاحظة والتغذية المرتجعة وإتخاذ القرارات.

ثالثاً: تستخدم ديناميات الجماعة على أنها مجال من مجالات الدراسة يهدف إلى تحصيل المعلومات عن طبيعة الجماعة والوصول إلى القوانين التى يخضع لها نمو الجماعة، وعلاقة الجماعة بالأفراد والجماعات الأخرى والمؤسسات الاجتماعية المختلفة.

الموضوعات الرئيسية فى مجال ديناميات الجماعة

(١) السلوك فى الجماعات الصغيرة Behavioyin of small groups
(٢) تماسك الجماعة Group Cohesiveness
(٣) بناء الجماعة Group Structure
(٤) المجاراة الاجتماعية Social conformity
(٥) القوة الاجتماعية Social power
(٦) تأثير المجموعات الصغيرة على الأحكام الفردية
(٧) أهداف الجماعة Group goals
(٨) مستوى طموح الجماعة Group level of aspiration

* **أولاً: السلوك فى الجماعات الصغيرة** Behavior in small Groups (١١: ٣٤٢-٣٥٠)

إن مشاكل المجتمع ككل معقدة. وعادة يصعب دراستها علمياً Scientifically لذا فعلماء علم النفس يقسمون المجتمع فى أبحاثهم إلى شرائح صغيرة (جماعات صغيرة) لدراسة مشاكلهم الاجتماعية Asmall group is a gathering or unit of individuals who have face-to-face relationships with one another.

فالجماعة الصغيرة هو تجمع أو وحدة من الأفراد لهم علاقة مباشرة مع بعضهم البعض. وقد تكون صغيرة إلى حد أن تتكون من شخصين فقط. وليس هناك عدد محدد لمدى كبرها. ولكن علماء نفس كثيرون يحددون الجماعة الصغيرة بما يتراوح من ١٥-٢٠ شخص. وإذا زاد العدد عن ذلك فإن الجماعة تنقسم إلى جماعات فرعية، وليس مهما عدد الأفراد الحقيقى ولكن العنصر المهم هو قدرة الأعضاء على التأثير المباشر فى أى وقت محدد. إن العلاقات الشخصية التى تتولد بين الأفراد فى الجماعة والطريقة التى تتكون بها الجماعات الصغيرة وتؤدى بها وظائفها تسمى ديناميات الجماعة Group dynamics

- **تأثير الجماعات الصغيرة** The influence of small groups

إن الأسرة هى جماعة صغيرة، كما أن كثيرا من الفصول الثانوية يمكن أن توصف بأنها جماعات صغيرة وكذلك جمعيات التصوير ونادى العلوم والرياضة والجماعة الجغرافية والتاريخية والموسيقى والفنون التشكيلية والصحافة والإذاعة وجماعة المسرح المدرسى، وأحيانا تصنف الطوائف كجماعات دينية "الصوفية" و "السنية" و "الشيعة" و "المعتزلة".

ولكن عادة فالطوائف الدينية اكبر من ان توصف بالجماعات الصغيرة. وقد تجتمع جماعات صغيرة من ضمن المجتمع لتمارس هواية مشتركة بين أفرادها، كالفنون الشعبية، الجوالة. الخدمة العامة لخدمة المجتمع أو هوايات أخرى ـ لذا فكثير من أنشطتنا الاجتماعية أو هواياتنا الشخصية تتمركز فى جماعات صغيرة. وقد وجدت الجماعات الصغيرة عبر التاريخ، وفى بعض الحالات تطورت إلى انظمة ثابتة. وفى جامعاتنا المصرية وبالكليات التابعة لها يوجد "اتحاد للطلاب، وبما أن الكليات قد زاد تعدادها، فقد كان علينا أن نلجأ إلى مجموعات صغيرة من الممثلين للفرق الدراسية والتخصصات المختلفة ليقوموا بوظائف الاتحاد مثل اللجان الرياضية والثقافية والجوالة ولجنة الأسر والخدمة العامة.

- **التأثير فى جماعة من شخصين: Influence in a two- person group**

إن أصغر مجموعة ممكنة هى التى تتكون من شخصين فقط أو ثنائى **dyad** وحتى مجموعة بهذا الحجم قد تؤثر على تصرفاتنا. لنفرض أنك تسير مع صديق أو شخص تعرفه على الرصيف. فهل كنت تسرع أو تبطأ عما لو كنت تسير وحيدا؟ وطبعا ستتدخل عدة عوامل فى سرعة المشى: وقت المشى، درجة الحرارة وعرض الرصيف ـ وفى دراسة لأحد الأبحاث قد تم التحكم فى كل هذه العوامل وكانت العناصر من ٢٤ ذكر، و ٢٤ انثى مشوا وحدهم كما كان هناك ٢٤ زوجا من الذكور **male** السائرين ومثلهم من الإناث **Female** السائرات ـ وأثبتت النتائج أنه فى المتوسط أن الرجل الذى يسير مع رجل أخر كان أبطأ مما لو صار وحده، كذلك السيدة التى تسير مع سيدة أخرى تكون أبطأ مما لو صارت وحدها.

هذه حالة بسيطة جدا ولكنها تعرض كيف أن أصغر مجموعة ممكنة أى بين شخصين يكون لها تأثير على سلوك فرد من الجماعة.

- **تأثير المسافة بين الناس: The Influence of Distance between people**

إذا كنت تتحدث إلى شخص ما، فهل تشعر براحة أكثر لو كنت قريبا جدا منه؟ أم هل تفضل أن تفصلكما مسافة ما؟ إن اجابتك تتوقف على عدة عوامل؛ على مدى معرفتك بهذا الشخص أو هل هذا الشخص قريب منك. ومحتمل أن يتوقف على جنس هذا الشخص وهل هو من نفس جنسك؟ ويبدو أن الموقع من العناصر المهمة كما تبين الدراسة التالية:

فى إحدى التجارب طلب من ٩٦ من الطلبة الزملاء أن يتقابلوا ويتحدثوا مع طلبة آخرين عن موضوع يهم الأثنين، وكانوا لا يعلمون حقيقة التجربة وقد حدد موقعين للقاءات أحدهما مكان مغلق **Anenclosed area** غرفة والاخر مكان مكشوف أى رصيف يعبر مكان مكشوف فى حرم الجامعة وإختبأ المساعدون بالجوار ليرصدوا بعدل ودقة كم يبعد أفراد كل زوج عن بعض عندما يتحدثون. فى الموقع المكشوف قيل للشخص أن زميله الآخر يقف بالقرب من **Yellowcross** صليب أصفر رسم على الرصيف ـ وفى الموقع المغلق كان الشخص الآخر يقف بالقرب من الطرف الآخر من الغرفة. الاشخاص الذين تقابلوا فى الاجواء المكشوفة تحدثوا مع بعض وهم قريبين من بعضهم البعض تفصلهم (مسافة ٦١ سم أو ٢٤ بوصة) أما من كانوا فى المكان المغلق فقد كانت (المسافة بينهم ١٣٢سم أو ٢دبوصة).

وقد أوضحت التجارب أن الأماكن المغلقة كالمكتب والعيادات وغرف كشف الأطباء قد يكونوا من الصغر may be too small بحيث ليسمحوا بحدوث تفاعل مريح to allow comfortable interaction to take place في حالة شخص مع آخر.

- **ما تأثير وضع أشياء بين الناس:**

What is the effect of putting objects between people?

إذا اندمجت في حديث مع شخص ما، فهل يؤثر وجود طاولة مثلا بينكما؟ تأمل التجربة التالية ــ قسم ١٢٠ من الطلبة الذكور الزملاء الغير متزوجين إلى ثنائيات بناءا على اتجاهات متشابهة ثم خصصت الثنائيات dyads لواحد من أربعة مجموعات محادثة. كل مجموعة لها نظام جلوس مختلف. إحدى المجموعات كانت قريبة من بعضها بحيث تفصلهم مسافة (٨٦سم أو ٣٤ بوصة) من ظهر الكرسي وظهر الأخر. والمجموعة الثانية كانت تفصل بين الجلوس طاولة بمسافة (٧٦سم أو ٣٠ بوصة) والمجموعات الثالثة كانت المسافة بين الجلوس تصل إلى ١٦٣سم أو ٦٤بوصة) بدون طاولة بينهم والمجموعة الرابعة كانت تفصل الجلوس مسافة (١٥٢سم أو ٦٠ بوصة) مع وجود طاولة بينهم واعطى كل شخص قائمة بخمس وعشرون موضوع مختلفون في خصوصيات intimacy تهمهم. وكان عليه ان يختار سبعة منهم ليناقشهم مع زميله لمدة ٢٠ دقيقة. وقد سجلت المناقشات ثم حللت بعد ذلك لتحديد درجة الخصوصية. وبالإضافة فقد أجاب كل فرد على استفتاء a questionnaire بخصوص رد فعل شريكه ودلت النتائج على فرق بسيط بين قرب أو بعد المسافة بين الجلوس. كما لم يظهر فرق كبير في ردود الأفعال بالنسبة لأحجام الطاولتين. ولكن وجود طاولة بين الطلبة قد أوجد اختلاف في المحادثة وردود أفعالهم تجاد بعضهم البعض ــ فقد قامت الطاولة بدور حاجز نفسي بين الأفراد، فقد شعروا ببعد أكبر من بعضهم البعض عندما كانت بينهم الطاولة.

- **هل صغر الجماعة تؤثر في قولك الكذب أو الصدق؟**

Do small groups affect whether you lie or tell the truth?

كم مرة سمعت شخصا يقول "كل شخص غيرى يفعل ذلك، فلما لا أفعلها أنا؟ وبالطبع نقول إن كلمة "كل شخص" يقصد بها كل واحد في الجماعة الصغيرة التي ينتمي إليها الشخص. ومن المحتمل غير هذا الحد أن كل واحد في الجماعة لا يفعل أي مما يقصدد. فنحن عادة ما نحاول أن نتخلص من الاحساس بالجرم عند عمل الخطأ بقول أن كل الناس تفعل نفس الشئ.

قارنت إحدى الدراسات رد الفعل العاطفي عند قول كذبة في اثناء ما كان كل فرد في الجماعة يقول كذبة بينما بعض أعضاء الجماعة يقولون الصدق. وكان اعضاء التجربة ٩٤ من الطلبة الزملاء الذكور. وقيل لهم أن بعضهم سيلعب دور الجاسوس بينما آخرين يلعبون دور شخص برئ إتهم بأنه جاسوس. وأعطى كل شخص قائمة تشتمل على ٢٤ كلمة شائعة الاستعمال. وكان على الجواسيس أن يحفظوا ست من هذه الكلمات كشفرة سرية as code words. ولم يتعلم الأبرياء أي شفرة. وسئل كل شخص في المجموعتين "هل تعني أي من الكلمات الاتية أي معنى خاص لك"؟ وقيل لهم أنه لو اكتشف كذبهم سيتعرضوا لصدمة

كهربائية. وكلما زاد كذبهم إزداد شدة الصدمة. وقد كانوا معصوبى العينين وكان عليهم ان يجيبوا بنعم أو بلا إما بإيماءة أو بهزة من رؤسهم. وقد استعمل الممتحنين جهاز ليكشف أى تغيير وظيفى فى الجسم ليعرف إن كان الجواسيس كانوا يكذبون عندما ادعوا أن شفرة الست كلمات كانت تعنى شيئا لهم. وقد اختبر الأفراد فى مجموعات صغيرة تتكون من ٥ ــ ٧ أشخاص. بعض المجاميع كانت تتكون من جواسيس فقط أو أشخاص مطلوب منهم ان يكذبوا بشأن كلمات الشفرة. بعض المجاميع تكونت من اشخاص أبرياء لم يستطيعوا أن يكذبوا لأنهم لم يعرفوا كلمات الشفرة. ومع ذلك تكونت مجموعات أخرى من جواسيس وابرياء. وقد عرفوا الأفراد أى المجاميع خصصت لهم. وقد وجد أن الاشخاص فى المجاميع المختلطة كان رد فعلهم الفسيولوجى لكلمات الشفرة أكبر كثيرا من هؤلاء الذين كانوا فى مجاميع تشتمل على افراد جواسيس أو ابرياء فقط. وعندما اعتقد الأعضاء أن بقية الأعضاء جميعهم قد اعطوا نفس الاجابة كان رد فعلهم الفسيولوجى أقل.

- أنواع المجاميع الصغيرة: أو الجماعات الصغيرة: **Kind os small groups**

هناك عدة طرق لتصنيف الجماعات الصغيرة وسنهتم فقط بعينيتين أساسيتين. تصنيف يركز على سبب تكوين الجماعة والتصنيف الآخر يرتب طبقا لكيفية تحديد العضوية.

- **الجماعات المختصة بالعمل والتفاعل:**

Task – oriented and interaction – oriented groups

إن الجماعات الصغيرة المقسمة بالغرض الذى تجمع الأفراد معا إما مختصة بالعمل أو مختصة بالتفاعل والغرض الرئيسى هو أداء مهمة أو عمل بعينه. مثال على ذلك هو وحدة انتاج فى مصنع صناعى ومهمة الوحدة هو انتاج منتج معين يفى بالمعدلات المطلوبة من حيث الكم والكيف. ووظيفة الرجال والنساء فى الجماعة الصغيرة هو إخراج المنتج وهم عموما غير متورطين فى مشاكل كل المصانع الكبيرة كالإدارة والتصميم وتعزيز المبيعات وتركيزهم على واجبهم الانتاجى.

فى مدرسة ثانوية، قد تتكون جماعة صغيرة لوضع كتاب العام. Your book. اعضاء هذه الجماعة الصغيرة ليسوا مختصين بالضرورة بمشاكل كبرى مثل كيفية تعليم الصحافة أو إدارة المدرسة وهم مجموعة لواجب محدد، غرضهم مهمة معينة (خاصة) هى إخراج كتاب العام. فى المجموعة المختصة بالتفاعل، فإن الغرض الرئيسى هو منح فرصة للاتصالات الاجتماعية أو التفاعل. فمثلا مجموعة الإنتاج الصغيرة فى المصنع تكون فريق بولينج a boiling team . فريق بولينج لا علاقة له بالانتاج وهدفها هو تدبير وسيلة تسلية اجتماعية مرحة لأعضائها. وبعبارة أخرى فهى مجموعة مختصة بالتفاعلات.

أو لنأخذ مثال آخر: قد يكون طلبة مدرسة ثانوية مجموعة صغيرة للعزف لرغبتهم فى عزف الموسيقى معا ومناقشة الموسيقى مع بعضهم البعض.

وبالطبع فكثير من المجاميع الصغيرة مختص بالعمل والتفاعل. وقد يعمل الرجال والنساء معا فى وحدة انتاج المصنع بسبب التفاعل بينهم كفريق بولينج. كما أن فريقهم للبولينج يكون أفضل بسبب احتكاكهم فى العمل. مجموعة كتاب العام المدرسى بالمدرسة الثانوية قد تزود المدرسة بكتاب العام (الحولية) بالإضافة إلى تجربة اجتماعية ممتعة جدا

وبالمثل مجموعة مهمتها مساعدة اطفال فقراء فى مجتمع بامكانها وضع خططها اثناء عشاء عمل أو قد يستمتعوا بصلات اجتماعية مع مجموعة رقص Enjoy social contact at a fund – raising dance.

- **الجماعات الشاملة وغير المختلطة (المتميزة): Inclusive and exclusive groups**

طريقة أخرى لتقسيم الجماعات هى فى كيفية تحديد عضوية الجماعة. فى الجماعة الشاملة inclusive group يشعر الأعضاء بالرضا بزيادة نشاطاتهم ومحاولة ضم أناس أكثر. والجماعة عموما تؤكد المساواة emphasizes لأعضائها. خذ جماعة المدرسة الثانوية الذين هدفهم الأساسى هى إخراج كتاب العام (الحولية)، فقد يقررون توسيع نشاطهم وينشرون جريدة مدرسية. ومع مثل هذه الزيادة فى نشاطات الجماعة، فهناك دائما ميل أو رغبة لزيادة حجم الجماعة. ونتيجة لذلك فإن بعض الأعضاء الجدد قد يكونون أكثر رغبة فى مظاهر أخرى للمدرسة غير الجريدة. وقد يبدأ التغيير فى مبادئ الجماعة. تميل الجماعات الشاملة الصغيرة إلى النمو إلى جماعات أكبر. عندئذ سيفقدون بعضا من غاية وترابط الجماعة الصغيرة.

فى الجماعة المتميزة in an exclusive group يجد الأعضاء متعة بإحساسهم بأهميتهم، هذه الجماعة لا تسمح لكل شخص بالانضمام وقد يسمحون للناس بالإنضمام لو توافقت لديهم بعض المتطلبات، وكمثال للجماعات الغير مختلطة نجد النوادى الأخوية نوادى السيدات وبعض نوادى المدارس الثانوية(ومراكز الخدمة العامة) وكذلك الجماعات الاجتماعية كالجمعيات الأدبية ونوادى الأعمال الإدارية والنوادى الزراعية والتنظيمات الموسيقية والنوادى الريفية، إن أعضاء الجماعات الغير مختلطة ينتابهم إحساس زائد بالرضا لإحساسهم بالانتماء لجماعة خاصة. إن الجماعات الخاصة كثيرا ما تشدد على قبول العضوية والمراسم الأخرى. وفى هذه المراسم على الأعضاء أن يتعرضوا لطقوس ثابتة فى زى معين. وقبل الدخول فى العضوية على طالبى العضوية أن يدفعوا رسم أو يثبتوا مؤهلاتهم. ويلبس أعضاء الجماعات المتميزة شارات خاصة أو قطعة مجوهرات ليعلنوا عن عضويتهم. إستعمال المجوهرات يلائم المفهوم المعروف "بعلاقة الصور الخلفية" وهذا يستلزم ملاحظة أو المؤثرات كما لو كان لديك شكل محدد على خلفية عديمة الشكل. أمثلة أخرى تشمل الطائرة فى السماء أو نقطة سوداء فى وسط صحيفة أو ورقة بيضاء. وطبقا لهذا المفهوم، فإن أعضاء الجماعة المتميزة تميل لإعتبار أنفسهم الصورة الرئيسية. بينما غير الأعضاء يمثلون الأرضية. والتحلى بالمجوهرات يساعد الأعضاء على ابراز مفهوم الشكل والأرضية. وتستطيع الجماعة المتميزة أن تخدم الغرض النبيل فى الحفاظ على التقاليد القيمة والحفاظ على أنماط مرغوبة من السلوك الاجتماعى وثابتة لفترة طويلة.

ولكن فى استطاعتهم أن يقدموا مشاكل خطيرة فى المجتمع الديمقراطى حيث تقوم الجماعة المتميزة على قواعد ديكتاتورية ومواقف منحرفة. وفى بعض الحالات تفترض هذه الجماعة أن بعض الأفراد أفضل من غيرهم بسبب أصلهم ويؤكدون على انجازاتهم حتى ولو كانت تافهة وعادة ما يتجاهلون الانجازات الكثيرة لغير الأعضاء.

- **تأثير الجماعات الصغيرة: The effectiveness of small group**
- **كيف يؤثر حجم الجماعة على كيفية الأداء؟**
- **هل يزيد الإنتاج بزيادة حجم الجماعة؟**
- **حجم جماعات العمل : The size of work groups**

قد يعتقد انه كلما زاد عدد افراد الجماعة كلما عظمت مصادر المعلومات وكثرة عدد الأفكار التي تقدم. وإن في الجماعة الكبيرة سيكثر الاشخاص الذين يقومون بالأعمال التي تكلف بها الجماعة. لذا قد تتوقع إنه كلما زادت العضوية كلما زادت إنجازاتها.

ولكن انتاج الأفكار وكمية العمل المنجز لا يزيد بالضرورة بزيادة حجم الجماعة. إنتاج الأفكار عادة يكتسب البطء عندما يزيد حجم الجماعة أى أنه مع كل زيادة فهناك زيادة طفيفة في الأفكار المقدمة وكمية العمل المنجز.

هذه العلاقة بين حجم الجماعة وانتاج الأفكار مرتبطة بمشاكل الإتصال. ففى الجماعات الصغيرة جدا. هناك دائما وقت كاف لكل عضو ليشرح أفكاره ويمد الجماعة بأى معلومات خاصة يحصل عليها العضو أو العضوة. وكلما زاد حجم الجماعة، فإن الوقت المتاح لمشاركة العضو تقل. في الجماعات الكبيرة يكثر الحديث بواسطة قلة من الناس نسبيا. ويقضى باقى الأعضاء اغلب وقتهم في صمت. (هكذا هو الحال في حالة التعليم العام حيث تكدست الفصول بالتلاميذ وأصبح التركيز على المعلم لا على المتعلم حيث تنعدم المشاركة الإيجابية من قبل المتعلمين).

- **هل يجب أن تشتمل مجموعة العمل على عدد فردى أم زوجي؟**

Should a small work group have an add or even number of members?

خذ اصغر جماعة ممكنة (اثنين). كل عضو عادة تكون لديه الفرصة ليعبر عن افكاره أو افكارها. وفي الحقيقة من المحتمل أن يحاول العضوين تحاشى أى خلافات كبيرة.

الاتفاق بين عضوين لها بعض الفوائد ولكن في امكانها تفنيد الحد من الافكار الجديدة. قد يحاول أحد جماعة الاثنين ان يسيطر **dominant** والآخر يطيع **submissive** ولقد يتخلى العضو المطيع عن افكاره الجيدة ومجهوده العملى بدلا من أن يختلف مع العضو المسيطر. كما أن العضو المطيع لا يستطيع أن ينال مساعدة من أى شخص آخر.

في جماعة من ثلاثة، يحاول الأفراد أن ينقسموا إلى أغلبية **majority** من اثنين وقلة **minority** من واحد. أعضاء الزوج يساندون بعضهم البعض بينما العضو المفرد لا يجد من يسانده. الأعضاء الفرادى قد يكون لديهم افكار جيدة وعلى استعداد للعمل الشاق ولكنهم كثيرا ما يكونوا تحت سيطرة الزوج. ونتيجة لذلك فقد يبدأوا الإحتفاظ بأفكارهم لأنفسهم ويفقدوا الحماس في العمل الجماعي. ماذا يحدث في الجماعات الأكبر من عضوين أو ثلاثة؟

في الجماعات الزوجية هناك دائما احتمال لخلاف أكيد بين نصف الجماعة والنصف الآخر. وإن لم يقبل القسمين التراجع لأصل الموقف فإن أى تصويت من المحتمل أن يصل إلى التعادل وفي الجماعات الأحادية. أى خلاف سيتسبب في انقسام الأعضاء إلى فرع أغلبية وفرع اقلية (أو فرد واحد) ومعنى ذلك أن التصويت لا يمكن أن ينتهى إلى تعادل.

وأعضاء الأقلية لن يقبلوا بقرار الأغلبية ولكن فى الجماعات المؤسسة على افكار وديمقراطية، فإن الأقلية مع ذلك تقبل بالقرار.

ويعتقد علماء النفس أن أفضل حجم للجنة عمل أو جماعة عمل هو خمسة، إن الجماعة المكونة من خمسة تسمح للأعضاء لمعرفة بعضهم البعض شخصيا وعادة تسمح لكل عضو بالفرصة ليعبر عن أفكاره. فيستطيع جميع الأعضاء الشعور بأنهم يقومون بدورهم فى الجماعة.

والجماعة كبيرة بما يكفى لكى تكون مؤثرة. إفرض أن هناك خلاف فى الرأي بنسبة ثلاثة إلى اثنين، إذن فعضوين من جماعة الأقلية لديهم القناعة بمعرفة أن شخص آخر قد ساند اسهامهم فى عمل الجماعة. حتى فى قرار أربعة إلى واحد، فأغلب الأعضاء قد تقرر قبول جزء من أفكار أو نشاطات مقترحة من أحد الأعضاء الرافضين.

وطبعا تحت بعض الظروف جماعات عمل صغيرة مكونة من سبعة، تسعة، أحد عشر أو أكثر من الأعضاء قد تكون مؤثرة جدا ولكن عندما يزيد حجم الجماعة فلكل عضو علاقات شخصية عديدة ليحتفظ بمكانة فى الجماعة. قليل من الوقت الكلى يمكن أن يكرس لهذه العلاقات الهامة.

- **كيف يمكنك زيادة كفاءة جماعة العمل؟**

How can you increase the efficiency of group work?

هناك طرق عدة لإدارة اجتماع الجماعة الذى يزيد فعاليتها بغض النظر عن حجم الجماعة. وبالتخطيط والمهارة، فإن الجماعات التى تزيد عن خمسة تستطيع أن تعمل بكفاءة جيدة.

إحدى الصعوبات المعتادة فى اجتماع الجماعات الصغيرة هى كيفية التحكم فى المناقشات بحيث يستطيع الأعضاء المشاركة بدون فرض السيطرة. فبمجرد بدأ الاجتماع قد يكون مشكلة . هل حضرت فى أى وقت اجتماعا كانت اغلب المناقشات فيه تدور حول كل شئ ما عدا مادة الموضوع الذى دعى إليه هذا الاجتماع؟ وقبل وصول جميع افراد الجماعة، ربما تناقش الحاضرين عن فرق الجاز الموسيقية أو حفلة حضروها من فترة قريبة. هدف هذه المناقشات عادة اشاعة جو من الدفء والعلاقات الودودة. ولكن قد تسبب لقائد الجماعة بعض المشاكل مثل استمرارية الاجتماع، عندما يقول الرئيس فى النهاية "دعونا نعود إلى هدف الإجتماع"، فقد يرد البعض "هذه فكرة طيبة، فعلى أن أغادر مبكرا ولكن أولا ما رأيك فى الرواية البوليسية التى عرضت فى التليفزيون ليلة أمس؟" إحدى الطرق لزيادة فعالية الاجتماع هى تحضير جدول أعمال وعرضه على الأعضاء مسبقا.

عندئذ سيعلم الاعضاء أى عمل مطلوب إنجازه فى الاجتماع، فجدول الأعمال يساعد الاجتماع للتقدم كما يمنع قلة من الأعضاء من إضاعة وقت الجماعة بأفكارهم التافهة. ويمكن لقائد الجماعة أن يزيد من فعالية الإجتماع وذلك بتجهيز كل المواد والمعلومات المطلوبة لتكون بمتناول اليد قبل الاجتماع. قد تبدأ بعض الاجتماعات بالنداء على الأعضاء "نورهان وشروق وميرام لو سمحتم ابحثوا على مزيد من الكراسى، وهلا احضرت بعض الورق وقلم ياعبدالرحمن لأخذ الملاحظات". هذا يدل على نقص التخطيط. وطريقة أخرى

للجماعات الصغيرة هى جلوس الأعضاء حول طاولة أو حتى على هيئة دائرة مفتوحة، مثل هذا النظام فى الجلوس يتيح علاقة المواجهة بين الأعضاء وهذا الجزء مهم لأى جماعة صغيرة وحتى اجتماعات الجماعات الصغيرة الصالحة قد تصبح مملة لو طال بها الوقت. ومن الأفكار الجديدة تحديد الوقت وإن لم تستطع الجماعة إنهاء عملها فى وقت قصير معقول، فيجب أن تأخذ فترة راحة أو فترتين وقد يضم ذلك بعض المنعشات. إن الأعضاء الذين يختلفون مع بعضهم البعض خلال اجتماع ما قد يتوصلون إلى التفاهم اثناء تناول العصير أو الكعك والشاى ولابد من الإعتراف بأن الأمر يحتاج إلى قائد جيد ليعيد الجماعة للعمل بعد فترة راحة.

فى الجماعة الصغيرة هناك ميل لإنتقاء من يقوم بقيادة الجماعة، احيانا اعطاء كل شخص دور ليكون القائد يزيد من كفاءة الجماعة الصغيرة. فالاعضاء يزيد احتمالات اندماجهم فى الجماعة لو علموا أنها ستؤول إدارتها لهم عند نقطة معينة. وخلال دورهم فى القيادة. بطريقة أفضل مع الأعضاء الآخرين لعلمهم بإحساس من يكون مكانهم What it is like to be in their position.

*** ثانيا: تماسك الجماعة Group Cohesieness**

تعبر عن مفهوم التماسك اجتماعيا بمشاعر "نحن"(*) فى الفريق والجماعة The We feelings on a team ويشير تماسك الجماعة إلى "درجة حرص أعضائها على الإنتماء إليها والإستمرار فيها" ويعرف التماسك أيضا بأنه "محصلة القوى التى تمارسها الجماعة لكى تحافظ على عضوية أفرادها" (١٨: ٢٨٥) ويعرف (مليكه) التماسك بأنه "محصلة القوى التى تجذب الأعضاء إلى الجماعة، وتدفعهم إلى البقاء فيها ومقاومة التخلى عن عضويتها (١٩). وأن المقصود بالتماسك هو مجموعة القوى التى تؤدى إلى إبقاء عضوية الأفراد فى الجماعة من خلال أهداف مشتركة بين الأعضاء ومعايير وقيم تحدد قواعد الثواب والعقاب والإنتماء والتآلف داخل الجماعة وقد عرف "فيستنجر Festinger التماسك بأنه "المجال الكلى أو نتاج القوى المحركة للأعضاء كى يبقوا فى الجماعة من أجل عضويتها وقد اقترح جولمبوسكى Golembiewski أنها تعنى الالتصاق والتقارب معا فهى تعبر عن جاذبية العضوية التى تتميز بها الجماعات الصغيرة (٢٠).

وتماسك الجماعة تعبير لفظى عن الظاهرة التى يعزى إليها استمرار عضوية الأفراد للجماعة أو الفريق. والمفاهيم التى ارتبطت باستخدام هذا التعبير يمكن تقسيمها إلى فئتين استنادا لافكار سلامه وعبد الغفار:

(*) من هم هؤلاء النحن؟ إنهم فى النهاية جماعة من البشر. ورغم أن الأفراد يختلفون كل عن الآخر، فإن جماعة النحن ينتمون لبعضهم البعض متجاوزين اختلافاتهم الموضوعية. بعبارة أخرى فإنهم يقبلون بوجود هذه الاختلافات، ولكنهم يرون أن ثمة أوجه تشابه تجمعهم، وأن لأوجه التشابه تلك اليد الطولى. إن قبول الاختلافات وتجاوزها فى إطار جماعة النحن، إنما يعنى التمييز بين مستويين من مستويات الصراع: الصراع داخل الجماعة، والصراع بين الجماعة وغيرها من الجماعات. ولكل من هذين المستويين قواعده، وقوانينه، وأدواته، وحدوده أيضا. وفى نفس الوقت الذى تقوم فيه الجماعة ـ من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ـ بتدريب أفرادها على تقبل اختلافاتهم وتجاوزها، فإنها تدربهم أيضا على أساليب تمييز الآخرين وسبل التعامل معهم.

- مفاهيم للدلالة على جوانب محددة فى سلوك الجماعة وما يتصل بها من عمليات مثل مفاهيم الروح المعنوية ـ الولاء والإنتماء ـ الاقبال على الجماعة ـ الكفاية الانتاجية للجماعة ـ تجميع الفريق حول أهداف محددة.
- مفاهيم للدلالة على العوامل المؤثرة وجميع قوى جذب الجماعة لأفرادها(١٣).

والواقع أن درجة تماسك الجماعة تتحدد فى ضوء عدد من المتغيرات النفسية والإجتماعية، أهمها ما يأتى:

أ- شعور أعضاء الجماعة بالتجاذب والحب نحو بعضهم البعض.
ب- قدرة الجماعة على تحقيق الأهداف الخاصة لأعضائها.
ت- الشعور بالتهديد المشترك، أو الخوف من عدو خارجى.
ث- وجود معايير وقيم وقواعد منظمة للجماعة.

ويؤثر تماسك الجماعة تأثيرا ملحوظا فى مختلف أبعاد وجوانب الجماعة، وأهمها الجوانب التالية:

أ- التفاعل الإجتماعى بين الأشخاص.
ب- التأثير الاجتماعى.
ت- الشعور بالسعادة والرضى.
ث- إنتاجية الجماعة.

ومن هنك يمكن أن نعرف تماسك الجماعة بأنه مصطلح يعبر عن شعور الأفراد بالإنتماء إلى الجماعة، فالجماعة المتماسكة هى التى يشعر الأفراد شعورا واضحا بالإنتماء إليها وإحساسهم بقيمة عضويتهم فيها. ويتوقف إحساس الفرد بهذه القيمة على مدى ما تشبعه الجماعة من حاجات ودوافع.

مقاييس تماسك الجماعة:

يمكن الوقوف على درجة تماسك الجماعة من خلال:

١- طريقة تحدث العضو عن الجماعة (أحاديث الاعضاء):

يتحدث العضو عن الجماعة بدلا من أن يتحدث عن نفسه، والاعمال التى قام بها فقط، ويتضح ذلك من خلال استخدام العضو للضمير "نحن" بدلا من استخدامه للضمير "أنا" وكذلك العبارات المعبرة عن الرضا من عدمه.

٢- درجة الالتزام بالمعايير:

اشتراك الاعضاء فى تحديد معايير الجماعة يعمل على الالتزام بها والعمل فى إطارها وجد كوشن وفرنش ١٩٥٣، أن اشتراك العمال فى اتخاذ القرارات المتعلقة بتغيير طرق الانتاج يؤدى إلى الالتزام بمعاييرها ومسايرتها.

٣- المساهمة والانتظام فى نشاط الجماعة:

وتمثيل ذلك فى الالتزام بحضور اجتماعات الجماعة والمساهمة الفعالة فى أنشطتها طبقا لتوزيع الأدوار الاجتماعية بما يتفق مع قيمها ومعاييرها وأهدافها المشتركة وفى حدود استعدادات وقدرات أعضائها.

٤- **الصداقة بين أعضاء الجماعة:**

ويتمثل ذلك في قوة العلاقات الاجتماعية والرضا الاجتماعى فكلما زادت قوة هذان البعدان زادت نسبة الصداقة وزادت بالتالى درجة تماسك الجماعة.

٥- **احتفاظ الجماعة بالتماسك وقت الأزمات:**

فالجماعة المنظمة اقل عرضة للتفكك من الجماعات غير المنظمة فى وقت الأزمات "هزيمة فريق".

٦- **الحالة الإنفعالية لأفراد الجماعة:**

حيث وجد أن البيئة المباشرة فى الجماعة تؤثر فى الحالة الانفعالية لأفراد الجماعة، وقد استخدمت الاختبارات الاسقاطية لمعرفة مدى امكانية ترك الأفراد للجماعة أو عدم تركهم لها فى حالة ترك حرية الاختيار لهم.

ويمكن النظر إلى موضوع تماسك الجماعة من زاويتين:

الأولى: زاوية سلوك الجماعة نفسها ودلالة هذا السلوك على درجة شعورهم بالإنتماء وكفاءة الانتاج أو الانتظام فى نشاط الجماعة أو الولاء والانتماء.

- **(١) ومن العوامل المؤدية إلى تماسك الجماعة:**

١-تعاون أفراد الجماعة بعضهم مع البعض والابتعاد عن التنافس الشديد.

٢-زيادة التفاعل بين أفراد الجماعة من خلال التواصل الجيد بينهم.

٣-ادراك الافراد لأهداف الجماعة ولدور كل منهم فى تحقيق هذه الأهداف.

٤-وجود قيادة ديمقراطية للجماعة.

٥-التشابه بين اعضاء الجماعة فى قدر من النواحى النفسية والاجتماعية والاهتمامات والمصالح.

٦-قدرة الجماعة على تغيير أوضاعها وتعديل مسارها وفقا للأحداث الداخلية والخارجية مما يسمح باستمرار التأثيرات الايجابية داخل الجماعة ومنع التأثيرات السلبية.

٧-تحقيق الاتزان بين متطلبات الجماعة وأهدافها من ناحية واشباع حاجات الأفراد ودوافعهم من ناحية أخرى.

- **(٢) ومن العوامل المؤدية إلى تفكك الجماعة:**

١-زيادة الصراع بين أعضاء الجماعة وعدم قدرة الجماعة على تسوية صراعاتهم.

٢-تناقص قدرة الجماعة على اشباع حاجات أفرادها.

٣-ظهور جماعة جديدة أكثر قدرة على اشباع حاجات ومتطلبات الأفراد.

٤-صعوبة التواصل بين أفراد الجماعة.

٥-التعارض بين أهداف الجماعة ومصالح الأفراد.

٦-التقدير السلبى للجماعة من جانب اعضائها سواء كان ذلك راجعا إلى تغيير فعلى موضوعى أو نتيجة لتغيرات شخصية للأفراد أنفسهم.

٧-جمود الجماعة ومقاومتها للتفاعل الايجابى مع الاحداث الداخلية والخارجية التى تطوأ ما يترتب على ذلك من حدوث الصراعات داخلها أو بينها وبين الجماعات الأخرى.

والثانية: هى درجة جاذبية الجماعة لأفرادها، لأن جاذبية الجماعة تمثل متوسط القوى الناتجة فى توجيه الأفراد نحو جماعتهم فإذا زادت قوة المتغيرات التى تدفع الفرد بعيدا عن الجماعة على قوة التغيرات التى تدفع الفرد نحو الجماعة فإن الجاذبية تنعدم، بل تصبح الجماعة قوة طاردة. ويبتعد الفرد عنها، أما إذا زادت قوة العوامل أو المتغيرات التى تدفع الفرد نحو الجماعة عن قوة المتغيرات التى تدفع الفرد بعيدا عن الجماعة فإن درجة جاذبية الجماعة تزيد عن الصفر. وبإعتبار أن درجة الجاذبية تساوى صفرا عند تعادل القوتان فالجاذبية (٢١:٦٦) ميل إلى الاقتراب من شخص م" وأن التحليل السيكولوجى للتجاذب ينبغى أن يتمثل خصائص الشخص المتسم بالجاذبية والطرف المدرك والمدفوع بمشاعر الجاذبية كلا الجانبين فى تفاعلهما معا.

ويمكن تمثيل هذه العلاقة بالمعادلة الآتية:

جاذبية الجماعة =

قوة العوامل التى تشد الفرد نحو الجماعة ـ قوة العوامل التى تبعد الفرد عن الجماعة

ولنا أن نتوقع أنه كلما زادت درجة جاذبية الجماعة للأفراد زادت درجة تماسك الجماعة. وترى (ميدلبرووك ـ ١٩٧٤) ، أن هناك عاملين يساهمان فى بقاء الأعضاء فى الجماعة بعد أن تم التحاقهم بها وهما:

١-مدى اشباع الجماعة للحاجات الشخصية لأعضائها.

٢-مدى تحقيق الجماعة للأهداف التى قامت من أجلها (٢٢).

ويعنى ذلك أن هذين العاملين أساسيين لتماسك الجماعة واستمرار الأفراد كأعضاء فيها وسنشرحها عند الحديث عن العوامل المؤدية إلى زيادة جاذبية الجماعة.

ويمكن قياس درجة تماسك الجماعة باستخدام بعض الأساليب يدخل فيها ما يأتى:

أ- **الاختبارات السوسيومترية:** وهى اختبارات تستهدف الكشف عن نمط اختيارات الحب أو الكراهية بين أعضاء الجماعة وسنشير إليها عند التعرض لموضوع قياس العلاقات الاجتماعية.

ب- **التكرار النسبى للضمير (نحن)** فى مقابل الضمير (أنا) فى مناقشات الجماعة إذ يعبر استخدام الضمير (نحن) بتكرار أكبر عن قدر متزايد من المشاركة والتوحد بين الأفراد.

ت- **المواظبة على اجتماعات الجماعة**، وفترات العمل التى تحددها، إذ تعكس المواظبة هنا مدى دافعية الأعضاء ومقدار حرصهم على نجاح الجماعة، ولا يقف الأمر عند المواظبة فى حد ذاتها، بل يمتد ليشمل المشاركة البناءة فى المناقشات أو الأنشطة التى تجرى فى هذه الاجتماعات.

ث- **الرغبة فى الإبقاء على العضوية:** سؤال الأفراد بشكل مباشر عن مدى رغبتهم فى الابقاء على عضويتهم فى الجماعة.

- **العوامل المؤدية إلى زيادة جاذبية الجماعة:**

١-**مدى إشباع الجماعة لحاجات أفرادها:** أن الجماعة قد تحقق للفرد مكانة مميزة داخلها ولذلك يزيد احتمال انضمام الفرد إليها كلما زاد احتمال حصوله على هذه المكانة.

وتوضح (ميدلبرووك ـ ١٩٧٤م) ذلك بأن الجماعة التى يعتبر الأعضاء فيها (محبوبين Pleasant) من باقى الأعضاء هم أكثرهم تماسكا بالجماعة(٢٢). وظهر من نتاج البحوث أن أكثر الأفراد تمسكا بالجماعة هم أصحاب المكانة العالية المستقرة والآمنة داخل الجماعة والأفراد من ذوى المكانات العادية الذين يأملون أن يسمح لهم نظام الجماعة بتحقيق مكانة أعلى. وعلى العكس فإن المكانات العالية غير الآمنة والمكانات المنخفضة غير القابلة للإرتفاع تكون مراكز ذات جاذبية منخفضة، بل إن الأفراد من شاغلى هاتين المكانتين يكونون مصدرا لتهديد تماسك الجماعة.

٢- **مدى تحقيق الجماعة للأهداف التى قامت من أجلها:** حيث أن تطلع أعضاء الجماعة نحو تحقيق الأهداف التى تم تكوين الجماعة من أجلها يؤدى إلى زيادة تماسكها ويؤدى بدوره إلى زيادة جاذبية الجماعة لأعضائها إن لم يكن من اقوى العوامل المؤدية لذلك.

٣- **اشتراك الجماعة فى رسم خطة العمل بداخلها:** حيث يزيد ذلك من درجة جاذبيتها. ومن هنا فإن القيادة الديمقراطية تمثل أحد خصائص الجماعة ذات الجذب العالى، لأن هذه القيادة تعطى للأفراد فرصة المشاركة الايجابية فى العمل ويشعر كل فرد تحت لوائها بقيمة وأهمية الدور الذى يلعبه داخل الجماعة.

٤- **التهديدات التى تتعرض لها الجماعة:** قد تتعرض الجماعة لتهديدات. سواء من بعض المصادر الطبيعية ـ زلازل ـ براكين ـ فيضانات أو من حرب مع جماعة أخرى، أو منافسة معها.. كل ذلك يزيد من تماسك الجماعة وجاذبيتها من جانب أعضائها.

وخير مثال على ذلك زيادة التماسك والتعاطف بين أفراد الشعب المصرى العريق عقب الزلزال الحادث فى الثالثة ظهر يوم ١٢ أكتوبر عام ١٩٩٢م.

أيضا كان للغارات الجوية على الأحياء السكنية بمدينة السويس إبان حرب الاستنزاف (ما قبل العبور). لقد أتت بنتيجة عكسية لما توقعته القوى المعادية. إذ كانت النتيجة زيادة تماسك السكان وزيادة مقاومتهم للقوات المغيرة وزيادة اللحمة بين الشعب والجيش وهيأ ذلك للعبور العظيم اليوم الحاسم المجيد المشرق (العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ/ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م).

٥- **العلاقات التعاونية:** فالجماعات التى يسود التعاون بين أعضائها تمثل جماعات ذات درجة جذب عالية للأفراد بحيث تشجعهم على الانضمام إليها، ويرتبط بأسلوب العمل داخل الجماعة وهل هو (تعاونى أم تنافسى) درجة وضوح اهداف الجماعة فى أذهان الأعضاء وكذلك وضوح الطرق والأساليب المتبعة لتحقيق هذه الأهداف.

٦- **ازدياد التفاعل بين أفراد الجماعة وسهولة الاتصال بين أفرادها:** فكلما زاد التفاعل بين أفراد الجماعة وسهولة الإتصال بين أفرادها زادت جاذبيتها لأفرادها.

- **العوامل التى تبعد الفرد عن الجماعة:**

١- **إذا وجد الفرد أن الجماعة قد قلت قدرتها على إشباع حاجاته.** والتى يرى أن من واجب الجماعة أشباعها فإن حماسة يفتر، ويقل تفاعله مع باقى الأعضاء وقد ينصرف عن الجماعة كلها إذا ما فشل الإتصال فى إحداث الاعتقاد بأن الإنتماء سوف يكون مرضيا.

٢- **إذا طرأ على جو الجماعة ما ينفر أعضاءها** كأن تتسم القيادة بالديكتاتورية أو الفوضوية أو ان يدخل إلى الجماعة أفرادا غير متجانسين ويحس العضو بأن الجماعة لم تعد كما كان يعهدها.

٣- **نقص التعاون وزيادة التنافس بين افراد الجماعة.**

٤- **صعوبة الإتصال بين أفراد الجماعة** نتيجة القوميات ــ اللغات ــ التمركز الذاتى ــ المخادعة ــ التواكلية ــ التمردية ــ العداوة ــ الإنعزال الإنفعالى ــ التعصب .. الخ(٢٣:٤٢-٤٤).

٥- **تناقض معايير الجماعة مع معايير الفرد** وقد يترك الفرد الجماعة إذا تغيرت حاجاته هو شخصيا والتى انتسب إلى الجماعة لتحقيقها فلم يعد لــه فى الجماعة فى هذه الحالة.إرب.

- **التماسك والحاجة للإنجاز والانتماء والهوية:**

وفى هذا الصدد وجد ويلسون **Willson** بعد أن أجرى عدة قياسات فترية للمشتركين فى واجبات تتسم بالجاذبية المشتركة، وجد أن التفاعل البسيط فى مواقف تنافسية ينشط الشعور بالعضوية بين المشتركين، كما أظهر فرنش **Fernch** مفهوم الحاجة للإنجاز وأكد علاقته بمفهوم الحاجة إلى الإنتماء (×) **Affilaition**، وكان ذلك من خلال دراسته حول تقرير اختيار شريك العمل، فقد وجد أن الأفراد أصحاب الحاجات المرتفعة للانجاز ومنخفض الحاجة للانتماء يمليون إلى أختيار شركاء من أصحاب الجهد الناجح فى العمل، بينما كان الأفراد منخضوا الحاجة للانجاز ومرتفعوا الحاجة للانتماء يختارون الأصدقاء الشخصيين لهم فى العمل، وكان الأفراد مرتفعوا الحاجة للإنجاز والانتماء يختارون اختيار مزدوجا بمعنى أنهم يختارون الأفراد الناجحين فى أدائهم وفى نفس الوقت من اصدقائهم المقربين (زيجلر ــ ١٩٨٢ ــ **Zeigler**).

*** ثالثا: بناء الجماعة:**

يمكن تعريف بناء الجماعة بأنه نمط العلاقات الثابت بين الأجزاء المتمايزة للجماعة (١٨:٢٨٩). فمن الملاحظ وجود فروق بين الأفراد فى عديد من الأبعاد منها (النشاط والجاذبية والقيادة والقوة والإتصال). ويعبر البناء الاجتماعى عن العلاقة بين الأفراد على أحد هذه الأبعاد، على ذلك يمكن الحديث عن عدة أبنية منها بناء القيادة من حيث تدرج السلطة فى الجماعة والفروق بين الأفراد فى توزيع الأدوار والواجبات والمسئوليات والعلاقة بينهم فيما يتعلق بالأمور القيادة.

(×) يمكن تعريف الإنتماء بأنه هو "الانتساب الذى يجسد خيوط الولاء التى تشد الإنسان المنتسب إلى ما ينتسب إليه، فيرتبط به، وينجذب إليه ويخلص له الولاء والحب. اما الهوية فيمكن تعريفها بأنها الشفرة (الكود) التى يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه فى علاقته بالجماعة الاجتماعية اللتى ينتمى إليها، والتى عن طريقها يتعرف عليه الآخر ون بإعتباره منتميا إلى تلك الجماعة، وتحدد الهوية الشعور الوجودى الأساسى للإنسان، والشعور العميق الخاص بإنتمائه، ويمنح الإنتماء الفرد غايته وأمل حياته ويتحقق الإنتماء للجماعة من خلال العوامل التالية:

- أشباع احتياجاته من خلال الجماعة ــ استعداد للقيام بدور كعضو فى الجماعة
- ثقة الفرد فى اشتراك مفاهيمه مع مفاهيم الجماعة، وتتدرج عملية الولاء من جماعة الفصل أو النشاط إلى القرية أو المدينة أو المحافظة إلى أن تصل به إلى الولاء لوطنه والإنتماء له.

ويرى بعض علماء علم النفس الاجتماعى ان الجماعة التى تتكون من مجموعة من الأعضاء ولهم قائد يتولى مسئوليات القيادة بها هى جماعة ذات بناء محدد لكل فرد بها دور متميز ومتمايز كذلك يروا أن الجماعات المنظمة تنظيما قويا، أى ذات بناء متماسك قوى هى الجماعات التى تتميز بما يلى:

١-يتحدد دور كل عضو فيها بوضوح.

٢-تتحدد وظيفة كل عضو فيها تحديدا دقيقا.

٣-تتحدد الواجبات والمسئوليات لكل عضو.

٤-تتوزع المسئوليات فيها على أعضائها.

ويمكن بذلك الحديث عن عدة أبنية منها بناء القيادة كما زكرنا وبناء القوة، Power struture ويعبر عن الفروق بين الأفراد فى قدرتهم على التأثير فى الجماعة، وبناء التجاذب ويعكس الفروق فى درجة الحب والتقبل الذى يحظى به كل عضو. وبناء الاتصال ويكشف عن الفروق بين الأفراد فى قدرتهم على تلقى ونقل المعلومات. ويرى (مارفن شو) فعندما نتكلم عن بناء الجماعة بوجه عام فإننا نقصد المحصلة النهائية لهذه الأبنية الفرعية.

وهناك عدد من المتغيرات يشير إليها (شو) تسهم فى تشكيل البناء الاجتماعى منها حاجة الجماعة إلى الأداء الكفء، إذ تقوم الجماعات فى الأساس لتحقيق أهداف معينة، ولذا تشرع التنظيمات التى تسهم فى تحقيق تلك الأهداف ومن أمثلة هذه التنظيمات اختيار قائد للجماعة مهمته توجيه جهود الأفراد نحو الهدف المنشود، علاوة على هذا تؤثر خصائص الأفراد فى تشكيل بناء الجماعة فتزيد فرص الأشخاص بخصائص البيئة Environment الخارجية ويبرهن على ذلك أن تقارب أماكن السكن يؤدى إلى توثيق علاقات الصداقة بين الأفراد مما يدعم بناء التجاذب. ويتميز بناء الجماعة بعدد من الخصائص أوردها (مارفن شو) على النحو الآتى:

(أ) التدرج الهرمى: إذ يتفاوت الأفراد فى المواضع التى يشغلونها فى بناء الجماعة وفى المكانة التى يتمتعون بها والدور المتوقع من كل منهم.

(ب) يمكن التمييز بين نوعين من البناء هما:

- **البناء الرسمى:** Formal Structure وهو البناء المكتوب والمعلن وتشكله المؤسسة الكبرى التى تنتمى إليها الجماعة.
- **البناء غير الرسمى:** Informal structure فهو بناء ضمنى غير مكتوب لا يصرح به الأفراد رغم وعيهم به.

ومن أمثلة الأبنية غير الرسمية بناء التجاذب فى جماعة الأصدقاء، أى الفروق بينهم فى درجة الحب والجاذبية والشعبية.

(ت) استقلال بناء الجماعة عن الأفراد، حيث يفرض بناء الجماعة أدوارا معينة على الأفراد حسب مواضعهم وبغض النظر عن هويتهم أو شخصهم. ويمكن لشاغل الموضوع أن يجرى تعديلات محددة فى الدور المتوقع منه.

(ث) الثبات النسبى لبناء الجماعة عبر فترات زمنية طويلة رغم التغير المتوالى فى أعضاء الجماعة، وهذا دليل إضافى يدعم خاصية استقلال البناء من الأفراد.

(ج) يتضمن بناء الجماعة بالإضافة إلى مفهومى المكانة والدور مفهوم المعايير وهى قواعد السلوك التى تضعها الجماعة لتحديد السلوك المقبول والمسموح به داخلها ويتعرض من يخرج على المعايير لأشكال من الضغوط والاستهجان والعقاب (١:٢٣٧-٢٤٤)، (١٧:٩٠-٩٣).

نخلص مما سبق إلى أنه يتم بناء الجماعة حين يجتمع (عدد) من الأفراد لحل (مشكلة) من المشكلات أو للاشتراك فى (هدف) معين خلال (فترة) زمنية، وتتمايز فى الجماعة (أدوار معينة، كما تقوم (علاقات) بين أعضائها، ويوجد (طرق للاتصال) وفيها (مراكز للقوة) و (إمكانيات للحراك الاجتماعى) للإعضاء ـ أى ـ الترقى الرأسى.

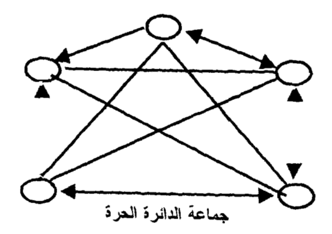
إن البناء يوضح كيف تنتظم الجماعة فى وظائف متدرجة، وحيث يحدد لكل فرد من أفراد الجماعة دور يحمل معه وظائف معينة. كما أن البناء يتضمن تحديد مكانة أو موضوع أو مركز كل فرد عن طريق توضيح مساهمته فى تحقيق هدف الجماعة.

والواقع أن بناء الجماعة وما يتضمنه من توزيع للأدوار والمكانات الاجتماعية على الأفراد يقوم أساسا على حقيقة الإختلاف بين الأعضاء فى دوافعهم وفى قدراتهم وفى خصائصهم الشخصية.

• تأثير بنية الجماعة على التواصل فى المؤسسات الإعلامية:

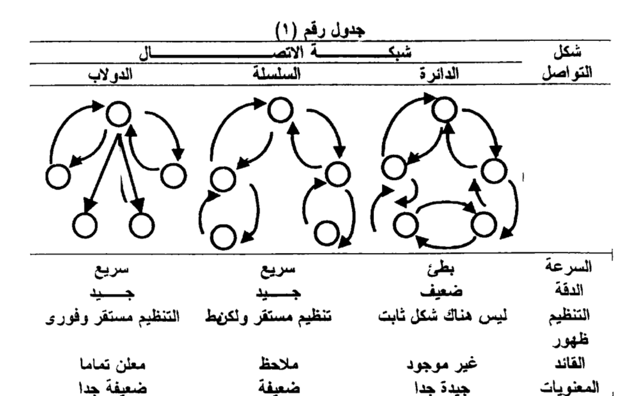
قدم (بيفيلاس Bavclasa، وباريت Barret) جدولا بينا فيه الطرق المختلفة لمعالجة المعلومات التى تتأثر ببنية الجماعة (٢٤:٣٦٦-٣٧١) (٢٥:١٠٩-١١٠) وهو مكون من ثلاث شبكات إتصالية (جدول١).

ففى شبكة الدائرة يتناقش الفرد مع الأشخاص الذين على يمينه أو على يساره ولكن ليس مع الأفراد الآخرين. ولكن هناك نمط من أنماط شبكة الدائرة والتى يتناقش فيه الأفراد غالبا ويتساوى مع جميع أفراد المجموعة، ويتمثل بالشكل التالى ويسمى جماعة الدائرة الحرة(Free circle group) .



جماعة الدائرة الحرة

جدول رقم (١)



شكل التواصل	شبكة الاتصال		
	الدائرة	السلسلة	الدولاب
السرعة	بطئ	سريع	سريع
الدقة	ضعيف	جـــيد	جـــيد
التنظيم	ليس هناك شكل ثابت	تنظيم مستقر ولكنهط	التنظيم مستقر وفورى
ظهور القائد	غير موجود	ملاحظ	معلن تماما
المعنويات	جيدة جدا	ضعيفة	ضعيفة جدا

وفى شبكة الدولاب يتصل أفراد المجموعة بقائد المجموعة وليس بعضـــهم بـــالبعض الآخر. هذا النموذج المستخدم فى المنظمات.

وأما النوع الثالث وهو تواصل عبر شبكة السلسلة فإنه يتمثل فى السلسة التنظيمية (أ) يقدم تقرير إلى (ب).

و (ب) يرفعه إلى (جـ) وهكذا (٢٦:٧١-٧٩).

إن البنية التى تشكل منها جماعة العمل تحدد شكل التواصل. ومن ثم فإن هذا يؤثـــر على عدة متغيرات هامة فى العملية الإدارية وهى الســـرعة والدقـــة والتنظيـــم والقيـــادة والمعنويات. أنظر جدول رقم (٢).

والإدارة الناجحة هى التى تكون على وعى بشبكات الاتصال الرسمية وغير الرســـمية فى المؤسسة من اجل تحقيق الكفاءة القصوى للمؤسسة آخذة فى الإعتبار ماذا تريد فيمـــا يتعلق بالسرعة والدقة والتنظيم والقيادة ورفع المعنويات لدى جماعة العمل.

ويشير "البناء القيادى" إلى تدرج السلطة فى الجماعة، والفروق بين الأفراد فى تسلسل السلطة، ويعبر بناء التجاذب عن الفروق النوعية فى درجة الحب والتقبل التى يحظى بـــها كل عضو. ويعكس بناء الإتصال الفروق بين الأفراد فى قدرتهم على تلقى ونقل المعلومات. كما أوضحنا سابقا، إذن هناك عدة أبنية للجماعة تدخل فى أو تندرج تحت بناء الجماعـــة بوجه عام. وبالتالى فعندما نتحدث عن بناء الجماعة فإنما نقصد المحصلة النهائية لـــهذه الأبنية الفرعية جميعها فى التواصل سواء أكان ذلك فى المؤسسة التعليمية أو المؤسســـة الإعلامية أو العمالية أو فى المؤسسة الاجتماعية.

محددات بناء الجماعة:

ترى (ميدلبرووك Middlebrook ـ ١٩٧٤) أن بناء الجماعة يتحدد أساسا بثلاث عوامل وهى:

١-متطلبات الأداء الجماعي الفعال.

٢-قدرات ودوافع أعضاء الجماعة.

٣-البيئة الفيزيقية والاجتماعية.

أولا : متطلبات الأداء الجماعى الفعال: (ضمان كفاءة الجماعة):

وحيث نجد أن الجماعة تعمل على تنظيم بنائها بحيث يؤدى إلى أقصى درجات الكفاءة، فتحدد أدوار ومراكز الأفراد وتوضح مسئولياتهم نحو المراكز الأخرى وطرق الإتصال بينهم.

ثانياً: قدرات ودوافع أعضاء الجماعة:

وهو يشير إلى أن بناء الجماعة ينبنى على أساس الإستفادة بالفروق الفردية لأعضائها فى الدوافع، القدرات، الخصائص المزاجية. فالعمل أو المركز الذى يصلح له أحد الأعضاء قد لا يصلح له آخر سواء لأن قدراته لا تسمح أو استعداداته، لإنخفاض مستوى الدافعية لديه، وهذا يوضح وجود فروق واختلافات نلاحظها فيما بين أعضاء الجماعة بالنسبة للسعى إلى المراكز القيادية فالبعض يفضل ان يكون قائدا بينما الآخر يود أن يكون تابعا.

ثالثاً: البيئة الفيزيقية والاجتماعية:

ويتضح فى المساحة المخصصة للمكان المتاح للجماعة، قربه أو بعده من الأماكن الأخرى أو من وسائل الاتصال والمثال الشائع أن بناء الجماعة فى المجتمعات الريفية تختلف عن بنائها فى المجتمعات الحضرية، وحيث يعرف كل فرد الآخر فى الريف بينما تفتقر المدينة إلى ذلك حتى سكان المنزل الواحد (٢٢).

ويضيف (لويس كامل مليكه) إلى مكونات العامل الثالث فى بناء الجماعة طريقة جلوس أعضاء الجماعة وأثره على بنائها. إذ يرى أن طريقة جلوس الأفراد داخل الجماعة لها أثر فعال على التفاعل بين الأفراد وبالتالى فى بناء الجماعة (١٩).

ويشير (أحمد خيرى حافظ) إلى ذلك حيث يرى، أن من أهم العوامل التى تسهم فى تحديد بناء الجماعة:

رابعاً: درجة إدراك الجماعة بأنها جماعة:

إن ذلك يعنى وعى كل فرد فى الجماعة بأنه قد اصبح عوضا فى هذه الجماعة وبانه اصبح ينتمى لها، ويعمل فى اتساق مع غيره من اعضائها. وعلى العكس من ذلك إذا لم يشعر الفرد بإرتباطه بالجماعة وانضمامه إليها، وإذا كان يتصرف فى حياته ويسلك بصورة لا توحى وبانضمامه ولا بإنتمائه إلى هذه الجماعة فإنه مما لا شك فيه سوف يكون البناء مفككا ومهزوزا متصدعا.

خامساً: نمط القيادة بالجماعة: فالجماعة التى تفرز قائدا قويا معبرا عن أعضائها ممثلا لإتجاهاتهم واهتماماتهم سوف يلتف حوله اعضاؤها وسوف يقوم هذا القائد بتوزيع

الأدوار وتحديد الاختصاصات، أما الجماعة ذات القائد الضعيف غير المعبر عنها وغير المجسد لأهدافها. فمما لاشك سيكون بناؤها غير وثيق، وغير متماسك، والقائد الديمقراطى يسهم فى صلابة بناء الجماعة حيث يسمح للطاقات الخلاقة بأن تبرز وسوف يتيح للجميع فرصا متساوية وسوف يسعى الجميع يدا واحدة لتحقيق الهدف، على عكس القائد الديكتاتورى والقائد الفوضوى كذلك عوامل التجانس داخل المجموعة (كالجنس والسن ومستوى التعليم).

سادساً: كذلك فإن حجم الجماعة يؤثر فى بنائها فالجماعة الصغيرة على عكس الجماعة الكبيرة (٨٥:٢٧). فيسهل تحديد الأدوار فيها ويسهل أيضا قيام كل فرد فيها بأداء متطلبات دوره وقد سبق أن أفضنا فى شرح هذا العامل عند الحديث عن السلوك فى الجماعات الصغيرة.

ومن الخصائص التى يذكرها (مارفن شو) للجماعة الصغيرة لتحديد مفهومها ما يلى:

١-**الإدراك: Perception** : تعرف الجماعة الصغيرة فى ضوء الإدراك بأنها "عدد من الأفراد يتوفر لديهم الإدراك الجماعى (*) لوحدتهم، ويدرك كل منهم الآخر إدراكا متميزا، ويتصرفون بطريقة متسقة مع البيئة التى يعيشون فيها.

٢-**الدافعية: Motivation** : تعرف الجماعة الصغيرة فى إطار الدافعية بأنها جمع من الأفراد هدفه إشباع حاجات فردية لدى كل منهم والدافعية تشمل الدوافع التى تحرك أفراد الجماعة فى اتجاه معنى، كما تشمل الأهداف أو الغايات التى تستهدف الجماعة تحقيقها أو الوصول إليها.

٣-**الأهداف: Goals** : هنا تعرف الجماعة بأنها مجموعة من الأشخاص يعملون لتحقيق أهداف مشتركة.

٤-**التنظيم: Organization**: هنا تعرف الجماعة الصغيرة بأنها وحدة إجتماعية تتكون من عدد من الأفرااد يشغلون مواضع متباينة فى درجة نفوذها.

٥-**الاعتمادية المتبادلة: interdependence**: هنا تعرف الجماعة الصغيرة بأنها مجموعة من الأشخاص يواجهون مصيرا مشتركا، وبالتالى فإن الحدث الذى يؤثر فى شخص ما يمتد تأثيره لباقى الأفراد نظرا للإرتباط الوثيق فيما بينهم.

٦-**التفاعل الإجتماعى: Social interaction**: والجماعة الصغيرة ليست مجرد مجموعة من الأشخاص وإنما هى مجموعة من الأشخاص فى علاقة تفاعل أى تأثير وتأثر بالدرجة التى تجعل من سلوك أى منهم استجابة للآخر ومنبها له فى نفس الوقت، ويرى (شو) أن التفاعل الاجتماعى هو أكثر تلك الخصائص أهمية (٦:١-١٢).

(*) يعرف الإدراك الاجتماعى بأنه عملية تكوين انطباعات عن الآخرين وتقويمهم والحكم على سلوكهم وخصالهم (سواء ما يتعلق بمشاعرهم أو مقاصدهم، وشخصيتهم أو استعداداتهم ..الخ). كما أنه يتضمن وضع الفرد للأشخاص الآخرين وتصنيفهم فى فئات ذات معنى (كأن يصنف الفرد الآخرين على أساس المظهر الجسمي أو ملامح الوجه، أو فى ضوء بعض المتغيرات السيكلوجية مثل العداوة والكراهية أو التسامح والحب. (٢٥:٢٨).

(١) نظرية استجابة الفرد للجماعة : (فرويد):

وتنظر إلى الجماعة نظرة تحليلية ككيان اجتماعى يستجيب له الفرد ويركز أصحاب هذه النظرية على (الآراء، والإنفعالات، والإدراك) وافترض (فرويد) أن ما يربط الفرد بالجماعة هو توحد الأفراد بالقائد المساوى للتوحد بالأب، بمعنى أن يعمل القائد ـ الأب على تخفيف القلق والتوتر بين الأعضاء عن طريق أن يعمل كأب وراع للجماعة ـ إلا أن أعظم قلق ينتاب الأعضاء هو ما يخص الجماعة نفسها هل هى جماعة جيدة تستحق الإنتماء إليها؟ هل تحمى أعضاءها، هل تستطيع تحقيق أهدافها وتجعل أعضائها فخورين بالإنتساب إليها وتعطى معنى وهدفا لحياتهم؟

ومن الواضح أن هناك فرق فى مستويات القلق لدى الأعضاء نظرا لإختلاف درجة الارتباط بالجماعة وكذلك لإختلاف درجات القلق بشأن الجماعة ذاتها خشية ألا تفى بما تعهدت به لأعضائها، ويستخدم الدفاعات التى توفرها الجماعة للتخفيف من ذلك القلق. ولقد توسعت ديناميات الجماعة فرأت أن ما يوحد الجماعة هو اشتراكها أيضا فى ميكانيزمات دفاعية واحدة ضد القلق والتوتر. فالأعضاء، يتوحدون ببعضهم البعض لا لسبب اشتراكهم فى الخضوع لقائد واحد فى المقام الأول وإنما بسبب اشتراكهم فى نفس الدفعات ضد القلق وأن هناك ثلاثة أنواع من الدفاعات توجد فى كل الجماعات تقريبا وهى: (٣)

- الإنشقاق *Splittin*
- التوحد الإسقاطى *Projective identification*
- الإنكار *Denial*

١ - الإنشقاق:

أكثرها شيوعا وهو صورة من انقسام العقل الفردى على نفسه أو ما يسمى الصراع الداخلى. ولكى تساعد الجماعة أعضاءها على التغلب على ذلك الصراع فإنها تحتويه وتتيح له الظهور، ويتطلب ذلك أن تنقسم إلى عدة جماعات فرعية، صغيرة بحيث تتفاعل تلك الجماعات وتتصارع مثلما تفعل أجزاء العقل المخلفة. فينسب أعضاء كل جماعة فرعية إلى أعضاء الجماعات الأخرى الصفات والسمات غير المرغوبة وكل ما لا يريدونه فى أنفسهم. وكما نعلم فإن أعضاء المجتمع مضطرون إلى الانتماء إلى جماعة أو إلى أخرى أى أنهم فى الواقع لن يكونوا أبدا شخصيات مكتملة، إذ يوجد جزء منهم فى كل الجماعات الأخرى.

٢ - التوحد الإسقاطى:

وغالبا ما نجد فى كل المجتمعات جماعة أو جماعات فرعية (الأقليات) تعزى إليها عن طريق التوحد الإسقاطى الكسل والإجرام والبخل والغباء.. الخ، وقد بين لنا المحلل النفسى المعاصر والكاتب السياسى (فولكان) فى كتابه.. "الحاجة إلى الحلفاء والأعداء" كيف أن الجماعات تحتاج أعداء تعزو إليهم ما فى نفسها من عدوانية وشرور عبر التوحد الاسقاطى، وإلى أصدقاء تتحالف معهم لتتخفف من القلق عن طريق التمييز بين الخير والشر. فتجد الشر وتعزله فى مكان بالخارج، سواء فى جماعة فرعية ضعيفة. أو جماعة خارجية أخرى وتحتفظ بالنقاء والطهر فيها. إلا أن ثمن ذلك الحل (لإبقاء التماسك) باهظ

فلن يواجه الأعضاء قط حقيقة قلقهم ولن يختبروا قدرتهم إختبارا واقعيا بأن يتحملوا المسئولية فى تحقيق رغباتهم ومخاوفهم. غير أن وجود قائد أو زعيم للجماعة يعمل على تجسيد قلقها بأن يسمى المخاوف بأسمائها الحقيقية يساعد ذلك الأعضاء على معرفة واقعهم بدلا من أن يحتوى قلقهم داخل الجماعة بحيث يربط بين مخاوف وقلق الأفراد ومصادرها الفعلية بحيث يمكن معالجتها.

٣-الإنكار:

رأينا فيما سبق أن ديناميات الجماعة لا تعتمد كثيرا على فكرة التوحد بالقائد التى قال بها (فرويد)، إلا ان ذلك لا ينفى اعتمادها على بعض آرائه الأخرى، ففى كتابه "قلق فى الحضارة" أو "الحضارة ومنغصاتها **Civilization and its discontents**" يرى (فرويد) أن غريزة العدوان وما تستثيره من قلق وإحساس بالذنب هى المشكلة الرئيسية التى يجب على الجماعات أن تعالجها. ويرى (فرويد) أن الجماعات غير المنظمة تتميز باللاعقلانية والبعد عن اختبار الواقع، كما أنها تتقبل التأثير بسهولة فائقة ولا تتمتع بأى حس إنتقادى. إنها تفكر عن طريق الصور الذهنية وهى صور لم تخضع أبدا لأى اختيار أو فحص منطقى. ولقد درس "بيون" العشرات من الجماعات "بلا قائد" ووصل إلى نتيجة مشابهة. فتلك الجماعات غير المنظمة (والتى سماها جماعات الإفتراض الأساسى) تعمل كما لو لم يكن لديها شخصيته أى وظائف للأنا فهى تكره أن تتعلم من الخبرة، كما أن فكرة التقدم عن طريق بذل الجهد والمعاناة أمر لا يخطر لها ببال. ويبدو أن هدفها الوحيد هو "ممارسة" ميكانيزماتها الدفاعية البدائية ضد القلق، وهى دفاعات بدائية لدرجة إنها تتجاهل الواقع وتنكره. إن طبيعة الإنسان تتجلى فى ذلك التوتر الحادث بين المهمة الظاهرة للجماعة والتى تتطلب احترام الواقع وحاجتها الكامنة إلى حماية أعضائها من القلق والتى تتطلب غالبا انكار الواقع وتجاهله أو تشويهه وتحريفه.

(٢) النظرية الكلية (كيرت ليفين):

لقد "أدخل كيرت ليفين" **kert lewen** إلى علم النفس نظرية المجال النفسى. ولقد بدأ أول المظاهر الهامة لتاثير نظرية المجال على علم النفس فى الحركة المعروفة باسم "علم النفس الجشطالتى" والفكرة المحورية فيه أن الطريقة التى يتم بها إدراك موضوع ما يحددها السياق أو الإطار الكلى للموضوع. فالعلاقات القائمة بين مكونات المجال الإدراكى وليس الخصائص الثابتة لهذه المكونات الفردية هى التى تحدد طبيعة الإدراك (الكل سابق على الأجزاء) فهى تهتم بالنظر لسلوك الجماعة ككل. وتبتعد عن النظر إلى مفاهيم الشخصية الفردية وترتكز على (الأدوار الاجتماعية. التفاعل الاجتماعى).

رابعا: الضغوط الإجتماعية: Social Stress

عندما نتحدث عن الضغوط **Stresses** فإننا نعنى الظروف الخارجية **external Conditions** المسببة لأحاسيس عدم الارتياح والتوتر، ونظرا لأنها تبدو مصدرا للتهديد **threatenining** والإحباط **frustrating** أو إنها تتجاوز قدرات الفرد على التعامل معها حيث ينتج من الضغط العصبى تأثيرات سلبية مختلفة، خاصة ما يرتبط منها الأمراض الفسيولوجية والعقلية. وقد وجد أ، مستوى الكلسترول وضغط الدم يرتفعا أثناء فترة إزدياد

أعباء العمل مثل الفترة التى يجد فيها المحاسبين أن وقت المحاسبة الضريبية قد أزف أو كالتى يواجه فيها المراقبين الجويين حركة الطيران مزدحمة (٢٩: ٢٦٠ـ ٢٦٦).

ويقصد بالضغط الاجتماعى العمليات التى تفرض الجماعة من خلالها تأثيرها على الفرد كى يجارى معاييرها. ومن أساليب الضغط الاجتماعى، التهديد بممارسة النفوذ، ومنها أيضا المتطلبات التى تفرضها الجماعة على الشخص وتوقعاته لسلوكه..الخ.

ويعد مي الفرد إلى الانصياع للضغوط الاجتماعية التى تمارسها الجماعة عليه بالمجاراة الاجتماعية (**المسايرة**) **Conformity** ، أو هى صور السلوك والاتجاهات التى تفرضها المعايير والادوار والاعراف الاجتماعية. وتعنى أن يحكم الفرد ويعتقد ويتصرف وفق أحكام وعقائد وتصرفات الجماعة. وتقاس بتقدير مدى تغير الفرد لسلوكه أو معتقداته وأحكامه عند تعرضه لضغوط الجماعة.

ويفرق بعض الباحثين بين الإذعان والتقبل الخاص: فيشير الإذعان إلى اصدار الفرد للسلوك الذى ترغبه الجماعة بدون التقبل الداخلى من جانبه أو دون اقتناع بمعتقدات واتجاهات الجماعة وتكون المجاراة خشية التعرض لتهديد الجماعة أو العواقب السلبية للمخالفة، أما التقبل الخاص فيتضمن المجاراة الإرادية، بقدر كبير من الرضى الداخلى، حيث يغير الفرد اتجاهاته ومعتقداته حتى تتواءم مع اتجاهات ومعتقدات جماعته.(٣٠: ١٠).(٦: ٣١: ٢، ٣١).

والمغايرة Variability تعنى عكس المسايرة، لأنها تعنى التنوع السلوكى فى أحكام الفرد واعتقاده وتصرفه فى مقابل ضغوط الفريق. (٣٢: ٢٢٩).

ولقد أشار مظفر شريف **Sherif** إلى أن مجرد وجود الأفراد فى صورة جماعة أو فريق يتيح فرصة ظهور نوع من المعايير الجمعية أو ما يطلق عليه تعبير "الإطار المرجعى للجماعة"، والذى يعبر عن إطار تصورات أفراد الجماعة للسلوك المقبول داخلها، وغالبا ما يميل الأفراد داخل الجماعة إلى تقديم تنازلات أو إلى تعديل استجاباتهم بحيث تلائم رأى وإتجاه قائد الجماعة أو رئيس الفريق، إذا توسموا فيه المقدرة على تمثيل أحاسيسهم وإستيعاب مشاعرهم ومدركاتهم (٣٣).

ولقد عولجت موضوعات المسايرة والمغايرة والاستقلال من خلال دراسات ذات طبيعة امبريقية ومن خلال مختبارات علم النفس الاجتماعى. وقد تناول هذه الظاهرة باحثون مثل شريف **Sherif**، سكونبار**Schonbar** ، آش **Asch**، جولدبرج **Goldberg**، روزنبرج **Rosenberg** حيث سجلوا تأثير الجماعات فى أحكام الفرد وتقديراته، وهى أبحاث تشير نتائجها إلى أن الرأى العام للأفراد كان مسايرا لإجماع الفريق أو الجماعة ولو لم يكن صحيحا، ولقد اعتمدت التجارب على أساليب مثل تقدير الوقت المستغرق أو تتبع نقاط مضيئة فى غرفة مظلمة.

ويحدد "سيد عثمان" (٣٤) نموذج للمسايرة والمغايرة يرى فيه أن المقصود بالمسايرة والمغايرة ذلك التنوع السلوكى الذى يصدر عن الفرد فى الجماعة "صغيرة كانت أم كبيرة. عندما تمارس هذه الجماعة عليه ضغطا، أو عندما يكون هناك صراع بين القوى الداخلية عند الفرد وبين الضغوط التى تصدر من الجماعة أو المجتمع والتى تحاول دفعه إلى أن

يدرك. أو يحكم، أو يقوم أو يعتقد، أو يتصرف فى إتجاه مخالف لذلك الذى توجهه إليه تلك القوى الداخلية عنده. ولذلك فجوهر المسايرة هى النزاع بين القوى الداخلية عند الفرد وضغوط الجماعة عندما يخضع الفرد لتلك الضغوط، الصريحة أو الضمنية، فإن ما يميز سلوكه هو المسايرة وعندما ينزع إلى الإستقلال أو مقاومة هذه الضغوط فإن سلوكه يتميز بالمغايرة. طرفان متباعدان (مستويات أو أبعاد) فى مواجهة ضغوط الجماعة، ولكن بين هذين الطرفين مستويات وابعاد شتى أوضحها فيما يلى:

(١) **المسايرة المفرطة أو الامعية Overconformity**

وفى هذا النوع من المسايرة يسلم الفرد ذاته كلية للجماعة. ولا يكاد يمارس أو يريد أن يمارس، ما يخالفها أدنى مخالفة، بل قد يتمسك بعقائدها ويتبنى اتجاهات بدرجة كبيرة من التقلب والتصلب "التطرف الدينى".

(٢) **المسايرة Conformity**

والمقصود بها أن يحكم الفرد ويعتقد ويتصرف متفقا مع أحكام وعقائد وتصرفات الجماعة وفى هذا المستوى يستجيب الفرد لضغوط الجماعة بالتحرك فى إتجاه المشابهة لها دون ما تطرف أو مغالاة، كما فى المسايرة المفرطة، ودون ما تضاد أو تنافر بين ما يظهر وما يبطن.

لقد كشف عن آثار المسايرة الاجتماعية فى سلسلة مشهورة من التجارب المعملية التى قام بها آش Ash (١٩٥٦). فقد وجد أن آثار المسايرة تنشط على نحو أكثر قوة. عندما تكون هناك هالة ما، خاصة بمكانة الشخص القدوة او النموذج. ولن يثير هذا دهشتنا خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن جانبا كبيرا متعلقا بمن نطلق عليهم لفظة "الكاريزما" هو جانب مشتق من الخصائص المميزة الفردية للأشخاص الكارزميين. ولكن من السلطة الاجتماعية أو "المنزلة الرفيعة" المرتبطة بدورهم Spencer73). فالشخص الذى يقوم على أنه "رئيس الولايات المتحدة الأمريكية" أو "نجم النجوم" أو "قمة البوب" يضفى عليه على نحو تلقائى بقدر معين من الكارزمية، بصرف النظر عن خصائصه (أو خصائصها) الشخصية أو افتقاره (أو افتقارها) حتى إلى بعض هذه الخصائص(٣٥:١٢٥).

(٣) **المسايرة الظاهرة أو النفعية:**

وفى هذا المستوى من المسايرة نجد أن الفرد يتفق مع الجماعة ظاهريا بينما يبقى مختلفا معها داخليا. ويختلف هذا المستوى عن المسايرة الحقة السابقة فى أنه لا يتوافر فيه الاتفاق داخليا وخارجيا أى لا يكون فيه تطابق بين ما يبديه الفرد وما يخفيه. والمسايرة الظاهرية أو النوعية مؤقتة وغير مستقرة، لأن الفرد يعود إلى سابق احكامه وعقائده الخاصة والمخالفة للجماعة، عندما يخلو إلى نفسه، أو عندما تتحقق له منفعة، أو عندما يزول ضغط الجماعة.

(٤) **اللامسايرة Nonconformity** ويشير هذا المستوى إلى تجنب المسايرة أو إلى الحياد فى مواجهة أحكام الجماعة وعقائدها ومعاييرها وتصرفاتها. وهنا لا يساير الفرد ولا ينصاع، كما أنه لا يقف ضد ضغوط الجماعة.

(٥) **المضادة** Onticongormity وفى هذه الحالة يقف الفرد متحديا للجماعة ومعارضا إياها بشكل إيجابى، إنه لا يقاوم ضغوط الجماعة عليه فحسب، بل يسعى إلى توسيع شقة المخالفة بينه وبينها. ويتميز موقفه هذا من الجماعة بالنسبة إلى المضاد أو الخارج عليها جماعة مرجع سالبه، وعلى هذا فيمكن أن تقول أن الجماعة فى هذه الحالة تؤثر فى عقائد الفرد وأحكامه ومعاييره وتصرفاته ولكن بطريقة عكسية، أى أنه تاثير فى اتجاه مضاد بالإضافة إلى أن المضاد يكون مسايرا لجماعة مرجع اخرى. تكون فى هذه الحالة جماعة مرجع موجبة ذات عقائد واتجاهات ومعايير مخالفة للجماعة الأولى التى يخالفها، فالمضاد إذن مخالف لجماعة مسايرة لجماعات أخرى.

(٦) **الاستقلال** Independence ويتميز هذا المستوى عن المسايرة والمضادة، بأن الفرد هنا يقرر بنفسه ولنفسه مسار حكمه وعيقدته من غير ما خضوع مستسلم للجماعة ولا تمرد جامح عليها، أى أن موقفه إيجابيا أكثر منه فى حالة اللامسايرة.

(٧) **الاغتراب** Alienation عندما لا يستطيع الفرد أن يساير فيخضع لضغوط الجماعة، ولا أن يقف موقف المضادة أو المقاومة أو المعارضة، ولا موقف الاستقلال. ولا أن ينصاع لضغوطها ظاهريا ويخالفها داخليا، ولا أن يثبت على موقف حياد إزاءها، عندئذ يحمل نفسه ويحمى ذاته وراء حدود الاغتراب.

ويرى "سيد عثمان" أن هذه "مستويات" أو "أبعاد" للمسايرة والمغايرة وليست نقاطا على متصل. ويرجع هذا إلى أن موقف المسايرة أو المغايرة ليس ناتجاً عن سمة شخصية فقط بل هو نتاج تفاعل بين خصائص الفرد أو الجماعة والموقف وموضوع المسايرة ذاته. ففى موقف معين وبالنسبة إلى موضوع معين قد يكون موقف الفرد متسما بالمسايرة بينما قد يتخذ مواقف أخرى بالنسبة إلى جماعات وموضوعات أخرى اتجاها مضادا أو مستقلاً.

وهكذا فليس الأمر فيما بين طرفى المسايرة والمغايرة متدرجا فى بعد واحد فقط، أى أن يكون السلوك الناتج عن الصراع والضغط مسايرة أو انصياعا أو استقلالا أو مضادا أو اغترابا بشكل ثابت ودائم فى المواقف كلها ونحو مختلف الموضوعات.

وينبغى علينا أن نناقش موضوع الضغوط الاجتماعية بصورة تجزيئية حتى نستطيع ان نتعرف دور كل ضغط على تشكيل الشخصية الانسانية.

(١) الرأى العام كضغط اجتماعى:

يقترح (سعد عبد الرحمن ـ ١٩٨٣) تعريف: "الرأى العام كضغط اجتماعى بأنه المحصلة العامة للإتجاهات النفسية الاجتماعية ذات الدرجة العالية سالبة كانت أم موجبة لأفراد جماعة منظمة متمايزة التركيب تجاه مشكلة محددة تمثل نوعا من التوتر وعدم الاتزان فى المجال النفسى الاجتماعى للجماعة (٣٦:٤٧٥). فالرأى العام قد يكون له من القوة فى جماعة ما يفوق القانون الوضعى فى حماية المثل الإنسانية والدفاع عنها. فليس هناك نص فى أى قانون وضعى يشير إلى وجوب التراحم والتعاطف بين بنى الإنسان ولكن نجد أن الناس تتراحم وتتعاطف وما يدفعهم إلى ذلك هو الرأى العام الذى تعبر عنه ضرورة وجود مثل هذه المثل الإنسانية. وكذلك الحال بالنسبة للمبادئ الخلقية والقيم الاجتماعية ـ وتظهر وظيفة الرأى العام فى أحد أبعادها ـ من خلال تكوين القيم الاجتماعية. حيث يظهر

الضغط الإجتماعى الذي يسببه الرأى العام فى مجتمع ما عن طريق ما يؤدى إليه من إيجاد مواقف المفاضلة والاختبار وهى المواقف التى تتكون فيها القيم.

وكذلك هناك للرأى العام وظيفة أخرى فى تكوين المعيار الاجتماعى (المرجع الذى يعود إليه الأفراد ليضمنوا أن سلوكهم يتمشى مع القيم والمعايير والأهداف المشتركة) الذى عن طريقة تحكم الجماعة على سلوك أفرادها وأى نمط منه صحيح وأى نمط منه خاطئ، إذ أنه من المعروف، أن الضغوط الاجتماعية يصاحبها دائما مواقف للتقييم والنقد تتمثل فى تشجيع نمط ما من السلوك وكف نمط أخر كما حدث فى مجتمعنا من كف الإمتثال بالنمط الفهلوى الطفيلى الانتهازى ربيب السمسرة والرأسمالية والذى برز إبان ظاهرة الإنفتاح الاستهلاكى البغيض حيث يؤثر الرأى العام فى تدعيم السلوك الجماعى السوى والقيم المرغوبة ومقاومة السلوك الجماعى المنحرف والقيم المهزوزة ومثلما يحدد الرأى العام فى بلادنا حدود التحريم والتجريم لسلوك الارهاب ويحدد المسئولية الفردية والجماعة من خلال وسائل المختلفة.

ويستلهم من الرأى العام أساس القانون وقواعد تنظيم الحياة الآمنة وأساليبها فى الجماعة. كما أنه يرفع أو يخفض مكانه شخص أو نظام أو هيئة أو سلعة أو واقعة كما حدث خلال إزاحة الستار عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التى أحدثتها شركات توظيف الأموال بمصر ومؤسسيها، كما يذهب (ريزمان وجليزر riesman and Glazer) إلى أن اعتناق الفرد لرأى ما مهما كانت طبيعته من شأنه أن يخدم غرض التوافق الاجتماعى لدى هذا الفرد، فهناك عوامل نفسية عديدة تدفع الفرد لأن يربط مصيره بمصائر أقرب الأفراد إليه ولا يشذ عنهم سواء كانت هؤلاء الأفراد هم جماعاته الأولية كأفراد أسرته أو جماعاته الثانوية كجماعات العمل أو الجيران أو أعضاء حزبه السياسى أو النقابى وغيرها، وهى الجماعات التى قد لا يعرف أفرادها مباشرة والذين يعرفهم بصفة شخصية ولكنه يعتبر أن كيانه ومصلحته مرتبطة بهم.. ويلجأ الفرد إلى ذلك حماية لذاته الشخصية أو الإجتماعية (٣٧:٦٣٣-٦٤٨) (٣٨:٦١)، وهكذا يتضح لنا كذلك أهمية الرأى العام كضغط اجتماعى فى التوافق الشخصى والاجتماعى للأفراد وتنهض المجاراة بوظيفة هامة، بالنسبة للجماعة والفرد، ومنها وظيفة الحفاظ على تماسك الجماعة، والإسهام فى تحقيق أهدافها، وحصول الفرد على التأييد العادى والنفسى من جانب الجماعة، وتأكيد مصداقية وصحة الآراء الشخصية عندما يتبين للفرد أن رأيه مع رأى الأغلبية (٣٩:٣٠٥).

(٢) الإشاعة كضغط اجتماعى:

يرى (سعد عبد الرحمن) إن الإشاعة هى أخطر الضغوط الاجتماعية وأبعدها أثرا فى سلوك الإنسان ذلك لأنها دائما مجهولة المصدر محاطة بالغموض مثيرة للإهتمام. والإشاعة أيضا كلمة منقولة يقوم بتداولها الناس ـ ولكن ليس بهدف الإعلام ـ بل بهدف آخر هو الإشارة والتحريض على القيام بعمل ما.

وفى جميع الحالات لابد أن يكون هناك عدة خصائص سيكلوجية لمن يبدأ الإشـــارة أو يطلقها. هذه الخصائص ليست نتيجة تجريب منهجى وإنما هى خلاصة معالجة ذهنية ،على حد تعبيره) للموضوع من شتى نواحيه.. وهذه الخصائص يمكن أن يكون:

١- الإحساس الدائم بإضطهاد وعدم تقبل الجماعة للفرد.
٢- عدم ثقة الفرد فى قدرته وكفاءته وإحساسه بالنقص.
٣- ضعف شعور الفرد بالإنتماء إلى الجماعة الناتج عن تأثرد بجماعة أخرى خارجية.
٤- التكيف الخاطئ للموقف الذى يؤدى بالفرد إلى استخدام الحيل الدفاعية النفسية ومنـــها التبرير والإنفصام وكلاهما من خلفية إطلاق الإشاعة.
٥- عدم قدرة الفرد على التكيف مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ومن ثم يكون مـــن المحتمل أن يعبر الفرد عن عدوانيته تجـــاه المجتمـــع بـــأن يطلـــق هـــذه الأكـــاذيب والإشاعات(٣٦:٥٠١-٥٠٢).

(٣) الدعاية كضغط اجتماعى:

الدعاية فى جوهرها عملية إقناع منظمة تنقضى على العقل وهى المحاولة المتعمـــدة المدبرة لإقناع الناس بأن يفكروا ويسلكوا بالطريقة المطلوبة وهى علـــى خـــلاف التربيـــة فالدعاية تعلم الناس طما" يفكرون فيه بينما تعلم التربية الناس "كيف" يفكرون. والدعايـــة تخطط فى المحل الأول لخدمة مصالح مصدرها (٤٠:٢٣-٢٨).

ويرى (سعد عبد الرحمن) أن الدعاية هى عملية تعديل الرأى العام وتغيـــير اتجاهـــه والتأثير عليه تأثيرا قد يكون دائما أو مؤقتا. ولقد انتقلت مع الإنسان من بدايـــة معرفتـــه وخبرته حتى عصر الفضاء من خلال الكلمة المكتوبة والمقروءة والمســـموعة والصـــورة المرئية.

ويشير (سعد عبد الرحمن) إلى أن هناك أكثر من طريقة للتأثير على الفرد فى الجماعة لتغيير رأية وإتجاهه ومن ثم يتغير الرأى العام داخل هذه الجماعة، ولكن هناك عدة قوانين خاصة بالدعاية لابد أن تشير إليها:

١- ينتقى الفرد عضو الجماعة بين المؤثرات الموجهة إليه ذلـــك المؤثـــر الـــذى تحـــدث استجابته درجة عالية من الإشباع النفسى للفرد.
٢- يتأثر الفرد عضو الجماعة بالمثير إذا توفر لهذا المثير صفات تشابه الوحدة والتكـــرار والإنتظام.
٣- يتأثر عضو الجماعة بالمثير كلما اقترب هذا المثير من قيم الجماعة ومعاييرها.
٤- يتأثر الفرد عضو الجماعة بالمثير المحدد من ناحية الكم والإتجاد.
٥- يصبح المؤثر أو المثير على درجة عالية من الكفاءة إذا تشابه مع مثـــيرات ســـابقة. نجحت فى دخول المتسع النفسى للفرد عن طريق اشباع حاجاته.
٦- يعتبر المثير فعالا كلما قل الزمن بين توجيه وبين استجابة الفرد ونزوعه.

وتفسر هذه القوانين الدعاية كضغط اجتماعى لتعديل وتغيـــير الـــرأى العـــام داخـــل الجماعة(٣٦:٤٩٢-٤٩٥).

(٤) القيم كضغط اجتماعي:

يمكن تعريف القيم بأنها (معتقدات تحمل تفضيلات واهتمامات وموجهات سلوك (إيجابية أو سلبية) ناشئة عن اختيار حر ورد فعل لخبرة مكتسبة تحقق اشباع حاجة الإنسان نتيجة عوامل الثواب والعقاب والإقتداء، وهى معايير للإختيار من إبدال تتحدد على أساس إطار المرجع الذى يكونه الفرد (٤١:٢٩١).

وهى مجموعة من الدديناميات التى توجه سلوك الفرد فى حياته اليومية وهى تمثل الوحدات المعيارية فى الضمير الاجتماعى للفرد الذى يستخدمه فى الحكم على الأحداث والأشياء مادية كانت أم معنوية (٣٦:٥١٠). وهنا يجب أن نقول بأن مجموعة القيم السائدة فى جماعة من الجماعات تمثل نوعا ثابتا من الضغوط الاجتماعية التى تؤثر على سلوك الإنسان تأثيرا مباشرا. وتعليل أن معظم القيم فى جميع المجتمعات الانسانية مشتقة من المواقف أو المصادر ذات القدسية الخاصة مثل الأديان والعقائد وتراث الأبناء والأجداد. ولذلك نجد أن مثل هذه الضغوط الاجتماعية التى تمثلها القيم ذات عمق واثر كبير فى حياة الأفراد، فالأفراد وهم بصدد إصدار احكامهم التقويمية إنما يصدرونها فى ضوء الاحكام التى يتعرف عليها الأفراد فى المجتمع.

ويؤثر فى تحديد درجة مجاراة الفرد لجماعته، عدد من المتغيرات، ومن أهمها:

أ- سمات الشخصية: حيث تزيد معدلات المجاراة بين الأشخاص الأقل ذكاء والأقل ميلا للقيادة، والذين لا يميلون للمشاركة الإجتماعية، وتزيد بين الإناث مقارنة بالذكور.

ب- غموض الموقف فلا يسهل على المرء الحسم فيه.

ت- الإجماع على راى مخالف لوجهة نظرة الفرد من شأنه أن تضعف ثقته فى نفسه فيميل إلى مجاراة الأغلبية.

ث- تزيد المجاراة بين الجماعات المتماسكة.

خامسا: القوة الإجتماعية: Social power

يمكن تعريف "القوة الاجتماعية" بأنها قدرة أحد الأشخاص (ويرمز له بالشخص س) على التحكم فى شخص آخر (ويرمز له بالشخص ص) ، أو التاثير فيه بطريقة ما، ويقاس مقدار هذا التأثير بدرجة التغير أو التعديل الذى طرا على أى جانب من جوانب المجال النفسى للشخص (ص). والذى يمكن ان يتضمن السلوك والاتجاهات، والأهداف. والحاجات والقيم نتيجة لممارسة القوة الإجتماعية" (٤٢:٢٣٩-٢٦٩).

كذلك يمكن تعريف "القوة الاجتماعية" أيضا بأنها القدرة على التحكم فى المدعمات والموارد والآثار الطيبة التى يرغبها الشخص الآخر (ص) وتزيد القوة الإجتماعية (س) كلما زادت قدرته على إثابة او عقاب الشخص (ص) دون أن يتحمل تكلفة عالية عند الإثابة أو العقاب (٤٣:٢٤٥).

وتستمد القوة الإجتماعية تأثيرها من خمسة مصادر مختلفة، ومتباينة الشدة هى(١٧:١٤٢-١٤٣):

أ- **قوة الإثابة:** وتعنى قوة أحد الأشخاص على توصيل المدعمات الإيجابية للآخرين، ويزداد تأثيرها عندما يدرك الفرد (ص) أن بمقدوره أن يحصل على تلك المدعمات فى

حالة مجاراته لتوقعات الفرد (س) باعتباره مصدر القوة، بينما سيحرم منـــها إذا لــم يجاريها ومن صورها التدعيم اللفظى والمادى.

ب- **قوة العقاب:** وتعنى قدرة الطرف (س) على إيقاع العقاب بصـــورة المختلفـــة علـــى الطرف (ص)، ومن صورها النقد اللاذع والتجريح اللفظى والنقل والفصل من العمل.

ت- **قوة الجاذبية والرغبة في التوحد:** تعتمد على الرغبة فى التوحد أو التشـــبه بشـخص آخر هو مصدر هذه القوة (الشخص س) نتيجة لتميزه بدرجة عالية. وهنـــا يخضـــع (ص) لتأثير (س) ذى الجاذبية العالية.

ث- **قوة الخبرة:** وذلك حين يتصور الشخص (ص) أن الطرف (س) يمتلـــك قـدرا مــن الخبرات والمعلومات والمهارات يمكن للشخص (ص) أن ينتفع بها.

ج- **القوة الشرعية:** حيث يستجيب الطرف (ص) لتأثير الطرف (س) لاعتبـــارات معينـــة تفرضها القيم الثقافية والاجتماعية والعرف والتقاليد السائدة فى المجتمع مثل احــترام الزوجة زوجها واحترام الصغير للكبير.

وهكذا فليس الأمر فيما بين طرفى المسايرة والمغايرة متدرجا فى بعد واحد فقــط، أى أن يكون السلوك الناتج عن الصراع والضغط مسايرة أو انصياعا أو استقلالا أو مضـادا أو اغترابا بشكل ثابت ودائم فى المواقف كلها ونحو مختلف الموضوعات.

سادسا: تأثير المجموعات الصغيرة على الأحكام الفردية: (١١: ٣٦٤-٣٦٦).

The Influence of Small Groups on Individual Judgments:

هل تصر على أن ما تعتقده صحيحا حتى عندما لا يتفق معك معظم أصدقـــائك؟ تبيــن التجارب أن بعض الناس يصروا على أن ما يعتقدونه هو الصحيح والبعض الآخر يتخلـــى عن أحكامه بسهولة أكثر إذا لم يتفق معهم أكبر عدد من مجموعتهم وهناك آخرون يتخلون عن أحكامهم بعض الوقت حين لا تتفق مع أحكام مجموعتهم.

إحدى التجارب ضمت ١٢٣ من أصدقاء الدراسة من الرجال، عرض عليـــهم كــارت أبيض به خط أسود مفرد ذو طول محدد. سؤلوا بأن يقارنوا هذا الخط مع ثلاثـــة خطــوط سوداء أخرى بكرت أبيض آخر ليقرروا أى هذه الخطوط الثلاثة للها نفــس طــول الخــط المفرد. فعلى سبيل المثال فى إحدى الحالات، كان الخط المفرد بطول ١٢,٧سم (٥بوصات). والثلاثة خطوط التى ستقارن بالخط المفرد هى بطلو ١٢,٧، ١٠,٢ و ١٥,٢ســم (٥، ٤ و ٦ بوصات) فى الطول.

وكان هؤلاء المفحوصين (التابعين للتجربة٩ يجلسون فى مجموعات تضم من ٧ إلى ٩ أناس آخرين والذين كانوا (لا يعرفون المفحوصن). كمساعدين لعالم النفس. كــان هــؤلاء المفحوصين موضوعين بحيث يعطوا أحكامهم بعد سماع الجميـــع. ولكــن أحــد أعضـــاء المجموعة الأخرى يعلن عن أحكامهم. وعلى المساعدين اختيار خـــط غــير صحيــح وان يقرروا أنه بنفس طول الخط المفرد فى الكارت الآخر. فعلـــى ســبيل المثـــال فـــى حالـــة المساعدين التسعة كان المفحوص يسمع أحيانا ثمانى منهم يقولون بأن الخط الــذى يبلـــغ طوله ١٢,٧سم (٥بوصة) يبدو شبيها بالخط الذي يبلغ طوله ١٠,٢سم (٤ بوصة). ولتقليل أى شكوك بأن المفحوص ربما قد أعطاه المساعدين اجابات صحيحةً فى المحاولات القليلـــة

الأولى وفي أحيان أخرى بعد ذلك، فقد أعطوا إجابات غير صحيحة في ١٢ محاولة من ١٨محاولة.

واجه المفحوصين بصراع Conflict. هل يقرروا طبقا لحاسة بصرهم أم طبقا لأحكام الأعضاء الآخرين في مجموعتهم؟ وجد أن ربع المفحوصين أثبتوا أنهم مستقلين تماما Completely Independent فلم يوافقوا على الآحكام غير الصحيحة للمساعدين ولكن ما يقرب من ثلث المفحوصين ذهبوا مع الأغلبية في كثير من الأحيان. فيما بعد قرر بعض المفحوصين انهم مشوشين بالجدل (الصراع) فهناك من يقول: "في بعض الأحيان يتملكني شعور بالاستقرار مدة أطول مع الجماعة" أو "أشعر بقلق وإرتباك وتفكك كالمنبوذ من المجموعة .

بالطبع ربما تعمد المفحوص الخطأ في الحكم على الخط الصحيح ولكن هذا غير محتمل Unlikely عدد من المجموعة الضابطة Control Group التي سؤلت بأن تقرر هذه الأحكام كذلك كانت صحيحة في ٩٩% من محاولاتهم وكان من السهل جدا أن يقرروا الحكم الصحيح.

كان لدى عالم النفس الذي أجرى هذه التجربة فرضية Hypothesized بأن الأشخاص أو الأفراد يتعرضون للضغط الاجتماعي كما أ،هم يصرون على أحكامهم الشخصية. وقد أظهرت التجارب المتأخرة أن العديد من الناس يخضع بالفعل لضغط المجموعة. هذه التجارب قد دعمت وجود التأثير القوى للضغط الاجتماعي.

استخدم أخصائي نفسي آخر أطفال أعمارهم ما بين العاشرة والثانية عشرة كمفحوصين. في العادة يخضع الأطفال لضغط المجموعة نوعا ما أكثر من الطلاب المفحوصين هل تستطيع تقديم تفسير منطقي؟ ماذا يحدث عندما يؤيد أحد مساعدي التجربة حكم المفحوصين؟ هل هذا يساعد المفحوص أن يقاوم ضغط المجموعة؟

وقد اختبر هذا في التجربة التي سئل فيها المفحوصين أن يطابق خط مفرد بخط واحد في مجموعة مكونة من ثلاثة خطوط. أختير مشارك من بين المساعدين لكل مفحوص. أخبر هؤلاء المشاركين بأن يوضحوا الخطوط الصحيحة في أول ست محاولات، بينما بين المساعدين الآخرين خطوط غير صحيحة، مع هذا التأييد فقد قاوم معظم المفحوصين ضغوط غالبية المجموعة. في حالة واحدة انخفضت اخطاء المفحوصين إلى حوالي الربع والى كانت موجودة عندما لم يكن هناك مشاركين. فيما بعد تحول المشاركين الذين أعطوا اتجابات صحيحة إلى الموافقة على الاجابات الغير صحيحة لغالبية المساعدين. فكانت النتيجة زيادة سريعة في أخطاء المفحوصين. نحن جميعا نتأثر بطريقة أو بأخرى بما يقوله أو يفعله قرنائنا. **We are all influenced in one way or another by what our associated are saying and doing.**

أحيانا يمكنك أن تستعيد الوقت عندما تجد نفسك وحيدا أو هامشي في مجموعة متحاورة. هل تغير رأيك لتتوافق مع الأغلبية؟ هل لديك صديق يتفق معك على أي اختلاف؟ وإذا كان يجب أن يغادر هذا الصديق المجموعة، هل تصبح أقل تأكيدا من رأيك؟

سابعاً: أهداف الجماعة:

يعرف "هدف الجماعة" بأنه الغاية التى يسعى لها أغلب الأعضاء وقد تتبنى الجماعة هدفا واحدا أو عدة أهداف، وهدف الجماعة هو محصلة لمجموع اهداف الأفراد او هو الهدف الذى يوافق عليه معظم الأعضاء".

وتزداد دافعية الأفراد لتحقيق الهدف العام، عندما يدركون أن تحقيقه يسهم فى إشباع أهدافهم الفردية، ومعنى ذلك أن الأفراد يحتفظون بأهدافهم الخاصة حتى بعد الإنضمام للجماعة وتبنى هدفها العام. ويؤدى التوافق بين أهداف الأفراد إلى تماسك الجماعة وإزدياد احتمالات التعاون فيما بين أعضائها. بينما يؤدى تعارض الأهداف إلى التنافس فى سبيل تحقيق الأهداف الخاصة (١).

ويشير (كارترايت وزاندار Cartwright & Zander) إلى خطوتين رنيسيتين تتحول عبرهما الأهداف الفردية إلى هدف عام للجماعة وهما:

الخطوة الأولى:

حين يضع الأفراد أهدافا للجماعة، أو تصور للنتائج المرغوبة من وجة نظر كل منهم. وهنا تجد فروقا بين الأعضاء، فبينما يركز البعض على الأهداف الشخصية فقط. يؤكد البعض الآخر الأهداف الجماعية. وعموما تتأثر الأهداف التى يضعها الأفراد بالأهداف العليا للجماعة، والتى تكونت أصلا للنهوض بها، خاصة فى الجماعات الرسمية، كما تتأثر تلك الأهداف بتوقعات المجتمع، وبتصور الجماعات الأخرى، أو القيادة العليا، لطبيعة العائد المتوقع من ورائها.

الخطوة الثانية:

حين تتحول الأهداف الفردية إلى هدف عام تتركز فيه جهود الأفراد، ويؤثر فى تلك الخطوات متغيرات متعددة، فالأفراد الأقوى نفوذا والأكثر مشاركة فى نشاط الجماعة تتزايد احتمالات تأثيرهم فى الهدف العام للجماعة فى الاتجاه الذى يلبى رغباتهم الخاصة أو العامة، كذلك تختلف فى طريقة تبينها لأهدافها العامة، بتباين قدرات أفرادها على تحليل الوقائع وتبادل المعلومات والإقتراحات.

وأخيرا تراعى الجماعة المتماسكة، وهى بصدد اختيار هدفها العام مشاركة أغلب الأعضاء فى القرار وعدم الإضرار بمصالحهم.

ثامناً: مستوى طموح الجماعة:

يشير مستوى طموح الجماعة إلى "المعيار الذى يقيم به أعضاؤها مدى نجاحهم أو فشلهم فى إنجاز مهمة معينة" (٤٤) أو هو مستوى الأداء الذى يتوقعه الأفراد لأنفسهم وهم بصدد إنجاز مهمة معينة (١).

وانتهى معظم الباحثين الذين قاموا بدراسة المتغيرات التى تؤثر فى مستوى الطموح بنتيجة أن مرور الجماعة بخبرات ناجحة يرفع مستوى طموحها فى المحاولات التالية. والعكس صحيح، إذ يؤدى الإحباط إلى خفض مستوى طموح الجماعة أو ضعف آمالها. كذلك تبين أن مستوى طموح الجماعات المتماسكة يزداد لتميزها بدافعية عالية للإنجاز.

ويلخص (زاندار ــ ١٩٦٨) تأثير عدد كبير من المتغيرات فى مستوى طموح الجماعة، فى صورة مبادئ عامة أو صيغ تقريرية، مفادها ما يأتى:

أ- يرتفع متوسط طموح الجماعة كلما تزايدت إحتمالات النجاح فى المهمة المكلفة بها، وحين تكون هذه المهمة على قدر كبير من الجاذبية والأهمية للأفراد.

ب- يزداد حرص الأعضاء على نجاح الجماعة عندما يدركون مسئولياتهم عن مصيرها، وفى هذه الحالة يتبنون أهداف متوسطة الصعوبة تكفل قدرا مرضيا من النجاح.

ت- يؤدى الإرتفاع المقبول فى مستوى طموح الجماعة إلى إرتفاع مقابل فى مستوى الأداء.

ث- تختلف دوافع الأفراد وهم بصدد تحديد أهداف الجماعة، فالبعض يسعى إلى تجنب الفشل، ولذا يميلون إلى اختيار غاية فى السهولة، لتقليل احتمالات الفشل، أو شديدة الصعوبة حيث يلتمس لهم العذر إذا فشلوا فيها لصعوبتها، أما الأفراد الذين تحركهم الرغبة فى النجاح، فيفضلون الأهداف متوسطة الصعوبة.

ج- تؤثر الضغوط الخارجية على تحديد مستوى طموح الجماعة، ويزداد تأثير تلك الضغوط على الجماعات الفاشلة، بحيث تفقد حريتها فى تحديد أهدافها بالمقارنة مع الجماعات التى تنجح فى تحقيق أهدافها.

ح- يشعر أفراد الجماعات المتماسكة بالرضى عن إنجازهم الخاص عندما تنجح جماعاتهم فى تحقيق أهدافها العامة، بينما تقيم أفراد الجماعات غير المتماسكة أداءهم الخاص. بغض النظر عن توفيق أو إخفاق الجماعات التى ينتمون إليها (٤٥:٤٢٦-٤٢٩).

أثر الجماعة فى التنشئة الاجتماعية للفرد

الفرد والجماعة لا يمكن أن يوجد أحدهما دون الآخر، فالفرد لابد له من الجماعة والجماعة لابد لها من الفرد. وقد ينتمى الفرد إلى عدد لا حصر له من الجماعات. فهو ينتمى بحكم الواقع إلى جماعة الأسرة والجماعة المدرسية وجماعة العمل، كما يمكن أن يكون عضوا فى جماعات اختيارية كالرابطة أو النادى او الأصدقاء أو جماعة الهواية. وهناك ــ على سبيل المثال ــ من الدراسات ما بين أن التفوق الدراسى للأطفال من عدمه إنما يتوقف إلى حد كبير على مدى التعضيد الاجتماعى الذى يحصل عليه الفرد سواء من الأسرة او المعلمين او جماعة القرناء (٤٦:١٥٣-١٥٤). وقد اعطى بعض العلماء الذين يدرسوا ظاهرة الإنحراف الأهمية لجماعة القرناء فى تفسيرهم لظاهرة الإنحراف.

أكد (تراشر ــ ١٩٣٦ ، هوايت ــ White ١٩٤٣) أهمية الجماعة الصغيرة التى ينتمى إليها الحدث (الطفل) كعامل من عوامل التنشئة المضادة للمجتمع.

وفى ضوء ما ذكر يمكننا أن نحدد دور الجماعة عند كل من الطفل والمجتمع باعتبار الأول فردا فى الأخير وذلك على النحو التالى:

١-لاشك أن الجماعة تمثل أصغر الوحدات الإجتماعية التى تؤثر على الطفل وتكسبه خصائصه الاجتماعية، والفرد أو الطفل بالمفهوم الاجتماعي يعتبر وحدة كلية قائمة بذاتها.
٢-يمكن مجازا اعتبار الفرد (الطفل) لا وجود له إلا داخل نطاق الجماعة، سواء فى جماعات الواقع التى يجد نفسه عضوا فيها أو فى جماعات الغرض التى ينتمى إليها تلبية لحاجات ملحة لا يجد القدرة على صدها.
٣-إن الجماعة هى حلقة الإتصال والوصل بين الفرد والمجتمع. فالفرد لا يرى نفسه إلا داخل الجماعة، كذلك الجماعة لا ترى نفسها إلا فى إطار البيئة أو المجتمع الذى يعيش فيه، وهى بذلك تعتبر الوحدة الطبيعية التى تكسب أعضائها خصائص التنشئة الاجتماعية كما وإنها الوحدة الديناميكية المؤثرة على كل من الطفل ـ كفرد ـ وعلى المجتمع كهيئة اجتماعية كبرى (٩:٤٧).

التغذية الاسترجاعية للجماعة Group feed back

بهذه الطريقة يدرك افراد الجماعة مدى الجودة والرضا فيما يعملون بصفة عامة. ولقد أجريت الدراسات لتحديد أيهما أكثر فاعلية:
التغذية الاسترجاعية للفرد Individual feed back أم التغذية الاسترجاعية للجماعة، وفى أحد الأبحاث، باستخدام مجموعات من سبعة رجال تم إمدادهم بالتغذية الاسترجاعية فى حالتين مختلفتين: ففى الحالة الأولى: تم اعلام كل فرد بنجاح أو فشل المجموعة ككل. وفى الحالة الثانية: تم اعلام كل فرد بنجاحه الشخصى أو بفشله وأيضا بنجاح أو فشل كل من الاشخاص الآخرين وكذلك بالنسبة للمجموعه ككل.
وقد حققت الحالة الثانية أعظم التقدم فى كفاءة الأداء ولذلك ففى هذه الحالة. كانت التغذية الاسترجاعية للفرد جد فعالة بينما كانت التغذية الاسترجاعية للجماعة غير فعالة نسبيا. ولكن بالرغم من ذلك، ففى بعض الحالات، ثبت ان التغذية الاسترجاعية للجماعة اكثر فاعلية من التغذية الاسترجاعية للفرد (٣٥٥:١١).

تطبيقات ديناميات الجماعة فى التعلم

الفصل الدراسى كجماعة

من حسن الحظ أن الوحدة الأساسية فى بنية المدرسة هى الفصل الدراسى. والفصل الدراسى جماعة من الجماعات يتمثل فيه خواص الجماعة ودينامياتها وأنشطتها. ويمارس فيه التلميذ كافة عمليات التفاعل الاجتماعى، وكان المثل الأعلى فى التعليم الجيد هو الرعاية الفردية التى تقدم للتلاميذ حتى يتمكن من استيعاب أكبر قدر ممكن من المادة العلمية. ولكن الفلسفة الحديثة فى التربية ترى أنه لم تعد الرعاية الفردية للتلميذ هى المثل الأعلى للتعليم. وإنما أصبح ينظر إلى التلميذ على أنه عضو فى جماعة، وأنه يتعلم وسط جماعة، وتؤثر العلاقات التى تنشأ بينه وبينهم على تعلمه، وليس من المعقول أن نهمل الوسط الذى يتعلم

فيه الطفل. والذى سوف يتعامل فى وسط مثيل له فى المستقبل لنركز على الحصيلة المعرفية فقط.

كذلك كان من نتائج تقدم علم النفس الإجتماعى، وإكتشافه بعض خصائص الجماعة ان بدأ المسئولون عن التعليم فى الاستفادة من عضوية التلميذ فى جماعة الفصل. ومن هذه الخصائص التى يمكن الاستعانة بها فى تعلم التلميذ ما يأتى:

- جماعة الفصل تدفع التلميذ إلى التعلم، فوجود التلميذ فى وسط جماعة يجعله يرغب فى تحقيق تقدم مماثل ـ وتلعب العمليات النفسية الإجتماعية كالمحاكاة والتنافس والتعاون فى هذا الموقف دورا هاما.
- جماعة الفصل تتيح فرصة للتلميذ كى يحقق ذاته وسط الجماعة. فالطفل وسط الجماعة يكون تواقا إلى تحقيق التوافق وتحقيق إمكانياته إلى أقصى حد ممكن وهو ما يفتقده فى مواقف التعلم الفردى.
- جماعة الفصل تعطى الفرصة للتلميذ لكى تنمو مفاهيمه الإجتماعية. ولكى يستخدمها الإستخدام الصحيح أثناء تعامله مع زملائه. ومما لا شك فيه أن هذا التعامل يصقل سلوكه الاجتماعى ويجعله أقدر تعاملا مع الآخرين عندما يكون عضوا فى جماعة.
- جماعة الفصل تمكن التلميذ من معرفة بعض العمليات النفسية والاجتماعية مثل نشأة المعايير الاجتماعية، وتكوين الجماعات الفرعية، وبزوغ قيادة من وسط الجماعة، وفهم الدوافع التى تحرك الآخرين.
- جماعة الفصل تحقق للتلميذ الحاجة إلى الإنتماء إلى مجموعة، وبالتالى فهى تحقق له هذه الحاجة عن طريق إنشاء عدد من العلاقات المشبعة بينه وبين اعضاء جماعة الفصل. وتكون عضوية التلميذ فى جماعة الفصل فرصة لتدعيم سلوك الانتماء إلى مجموعة والعمل من أجلها.

هذه الخبرات لا يمكن أن تتاح فى مواقف التعليم الفردى أو إذا أهمل المعلم (أو الاخصائى الاجتماعى أو اخصائى الاعلام التربوى) الإستفادة من ديناميات الجماعة التى ينتسب إليها التلميذ.

وهو ما دعى (البورت) استخدام مصطلح التسهيل الاجتماعى **Social Facilitation** ليصف ظاهرة الزيادة الملحوظة فى نشاط الأفراد وسرعتهم فى الأداء نتيجة وجودهم مع آخرين. ولقد تخيل البعض أن استخدام مصطلح التسهيل الاجتماعى يوحى بأن وجود الفرد فى جماعة يحسن من أدائه دائما. وقد أشار كل من (باندورا وولترز **Bandura & Walters** ـ ١٩٦٣) أن الملاحظة قد تلعب دورا باعتبارها مثيرا لاستجابة كامنة لدى القائم بالملاحظة ولم يكن من السهل اجتماعيا ظهورها، ومن هنا يحدث لها ما يسمى بالتيسير الاجتماعى (٤٨). حتى ظهرت نتائج لعدة دراسات تنادى بالحذر من تعميم هذا المصطلح ولتضيف مصطلح آخر وهو التشويش الاجتماعى **Social interference** وهو يعنى أن وجود آخرين قد يقلل من نشاط الفرد ويعوق أداءه.

ولنا أن نتساءل: متى يؤدى وجود الفرق فى جماعة إلى زيادة أدائه، ومتى يقلل هـذا الوجود من كفاءته وأدائه؟ وللإجابة على السؤال السابق يورد (بارون وزملاءه ــ ١٩٧٤) بأن هناك حقيقتين رئيسيتين وهما:

١- إنه لمن المتفق عليه فى علم النفس أن زيادة أهمية الكائن الحى أو استثارته غالبا ما تؤدى إلى زيادة قابليته لأداء الاستجابة القوية أو المهيمنة فى سلم استجاباته.

٢- هذه الاستجابة القوية أو المهيمنة فى سلم استجابات الكائن الحى قد تكـون اسـتجابة صحيحة او خاطئة فى الموقف المعين.

إن الجمع بين الحقيقتين وبطريقة مباشرة يمكن من التنبؤ بأن أى زيادة فى الدافعيـة بسبب وجود آخرين تميل إلى تسهيل الآداء فى حالة صحة الاستجابة القوية المهيمنة للفرد، بينما تؤدى إلى تشويش أداء الفرد فى حالة خطأ الاستجابة القوية المهيمنة لديه.

ومن أولى التجارب التى ظهرت للإجابة على الأسئلة التالية:

- هل يتأثر أداء الفرد فى حالة وجود آخرين معه؟
- وما شكل هذا التأثير هل هو من النوع الايجابى؟ أم من النوع السلبى؟)

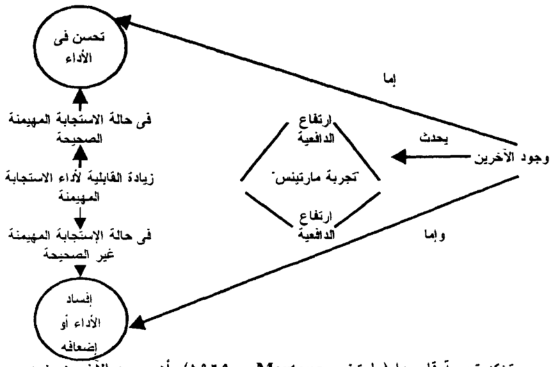
تجربة ذكرها (تريبليت Tripleet ــ فى ميدلبرووك ــ ١٩٧٤) تم فيها دراسة الوقـت الذى يستغرقه سباق للدراجات فى حالتين:

فى الحالة الأولى: حيث يتسابق الفرد وحده محاولا ضرب رقم قياسى محـــدد، **والثانية** حينما يشترك الفرد مع مجموعة من المتسابقين لضرب الرقم القياســى. ولقـد أوضحـت التجربة أن أداء الفرد فى السباق فى حالة اشتراكه مع مجموعة المتسابقين كـــان أعلــى بشكل واضح عن أدائه حينما كان يتسابق بمفرده.

ولقد قام (تريبليت) بتجربة أخرى وقارن أداء بعض الأطفال فى حالة عملهم مع بعضهم البعض، بأدائهم وهم منفردين، وأكدت النتائج أن الفرد حينما يعمل مع آخرين فـإن أدائـه يكون أفضل من أدائه حينما يكون منفردا. وهذا يؤكد لنا أن وجود الآخرين من شـــأنه أن يؤدى إلى زيادة فى مستوى دافعية الفرد، وزيادة استثارته. ويؤكد (شو) من خلال عرضـه لأحد الفروض المقبولة من وجهة نظره الإشارة إلى: "إن مجرد وجود الآخرين من شأنه أن يرفع من مستوى دافعية الفرد المؤدى لنشاط معين إذا توقع أنه سيكون موضع تقويم".

فالدراسة المختلفة التى اختصت بمهام حركية قد كشفت بوجه عـام عـن أن الأفــراد يؤدون فى ظل وجود الآخرين بصورة أفضل من أدائهم وهم يعملون فرادى. وسواء أكـــان هؤلاء الآخرون مشاهدين سلبيين أو من المشاركين فى العمل (١٣٢:١).

ولكى نفهم الأفكار السابقة، فإننا سوف نستعير الرسم التالى مـــن بـارون (بـارون وزملائه ــ ١٩٧٤) مع كثير من التعديل(٤١٦:٤٩):



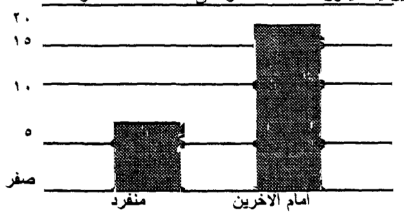
وتؤكد تجربة قام بها (مارتينس Martens ـ ١٩٦٩)، أن وجود الآخرين يزيد من دافعية الفرد ومن مستوى استثارته.

وفى هذه التجربة:

قام الأفراد بأداء مهمة حركية معقدة إما منفردين فى حجرة المعمل. وإما تحت مشاهدة عشرة افراد آخرين.

ولقد تم قياس مستوى استثارتهم الفسيولوجية مرات عديدة خلال فترة إجراء التجربة وذلك بواسطة جهاز لقياس (كمية العرق على أيديهم أثناء التجربة). ولقد أظهرت نتيجة التجربة أن الأفراد الذين كان أداؤهم أمام مشاهدين، أظهروا مستوى مرتفعا من الاستثارة الفسيولوجية عن الأفراد الذين كانوا أداؤهم بمفردهم.

وتوضح نتائج التجربة بالرسم البيانى الذى يوضح أن مقدار الاستثارة فى حضرة الآخرين يكاد يكون ضعف الاستثارة فى حالة الأداء المنفردة.



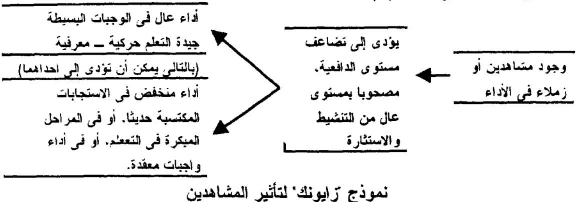
الأداء ـ التعلم ـ التسهيل الاجتماعي Social Facilitation

في الأداء يكون الفرد منهمكا في عمل يتقنه وتعلمه من قبل، وفي هذه الحالة فإن أداءه ـ استجابة ـ يمثل الاستجابة المهيمنة على سلوكه، وإذا شعر بوجود آخرين من حوله أدى ذلك إلى ارتفاع درجة دافعيته واستثارته ما يزيد من نشاطه وتعزيز استجابته المهيمنة ـ الأداء الناجح ـ وهنا يمكننا أن نقرر أن وجود الجماعة أدى إلى تسهيل لسلوك الفرد في حالة التعلم learning وسلوك التوقع والموقف الاجتماعي.

لقد ظهرت دلائل كثيرة على التيسير الإجتماعي في سياقات عدة أخرى Zajonic 1965, grandall 1979) فمثلا، على رغم ذلك الاعتقاد المنتشر بين المدرسين والوالدين بأن الفصول صغيرة العدد هي الفصول الأحسن "تعليما" توجد بعض الظروف التي قد يتعلم الأطفال فيها بدرجة أكبر في الفصول كبيرة العدد. فعندما يوجد عدد كبير من الأفراد حولنا يقومون بالشئ نفسه الذى نقوم به، قد نشعر بشكل ما "إننا ينبغي أن نكون في الموضع المناسب". ومن ثم نكون، لذلك، أقل قابلية للتشتت. وربما يتساءل الطفل الذى يرى عددا قليلا من التلاميذ الآخرين حوله، وعند مستوى ما من الوعي، عما إذا كان ينبغي عليه أن يكف عن المحاولة بدلا من ذلك. وأيا كان المبرر الدقيق وراء هذا الأمر. فإن الفصول كبيرة العدد أحيانا ما تقوم بتوليد طاقة اجتماعية معينة تعمل على تعزيز الأداء (٣٥: ١١١).

ويعرف زايونك Zajonic ـ التسهيل الاجتماعي بأنه مجموع النواتج المتوقعة على سلوك الفرد والتي تنشأ عن الحضور الكلي لأفراد آخرين (٥٠). وهو ما يبرز تأثير الجماعة على أفرادها.

ولقد ربط "زايونك" بين تأثير المشاهدين والأداء الجماعي من خلال إطار مرجعي Frame of reference يعتمد على نظرية هل / سبنس Hull – Spence للدافعية، فقد افترض أن وجود مشاهدين يزيد مستوى دافعية المؤدي، مما يجعل الفرد يستجيب للمثيرات السائدة، ولقد توصل زايونك إلى أن تأثيرات المشاهدين تنمو إلى تحسين الاستجابات الحركية البسيطة، بينما تنمو الاستجابات غير المتعلمة جيدا إلى التحليل والاضطراب في وجود مشاهدين، أما الواجبات الحركية جيدة التعلم فتميل إلى التعزيز في حضور المشاهدين كما في الشكل التالي: شكل ( )

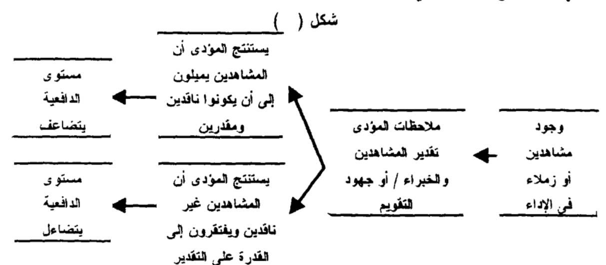


نموذج "زايونك" لتأثير المشاهدين

وهنا نموذجا آخر إقترحه "كوترل Cottrell" لتوضيح تأثيرات المشاهدين فـي الأداء، ولقد تضمن مفهوم الدافعية Motivation، كما تضمن أيضا مفاهيم كـالتعلم الاجتمـاعى، ومدركات الممارس للخصائل الاجتماعية الناتجة عن استجابات المشادين.

ولقد إفترض "كوترل" أن نزعات تقويم وتقدير الأداء والتى يبديها المشاهدون ــ كمـا يراها المؤدى ــ هى أكثر من مجرد حضور أناس للمشاهدة والفرجة. وإنما تعد فـي حـد ذاتها أشكالا أو أنماطا محكية للأداء.

شكل ( )



نموذج كوترل لتأثير المشاهدين

وفى هذا النموذج أدخل "كوترل" كلا من الوسائط المعرفية، وخبرات التعلم الاجتماعى. والتى تمثلت فى تساؤلات مثل:

- كيف يشعر المشاهدون نحوى الآن؟
- "ترى ما هو تقديرهم لأدائى فى المباراة السابقة؟

وهى تساؤلات تعبر عن نظرة المؤدى نحو انطباعات ومشاعر المشـاهدين وتغـيرات الأداء لدية.

وفى تعليقة على النموذج فسر كوترل العلاقات الآتية:

- تضاؤل مستوى الدافعية يجعل مستوى الأداء يميل للهبوط فى الواجبات الجيدة التعلـم. بينما ــ تميل إلى المساندة والتعزيز فى الواجبات المعقدة أو فى مراحل التعلم المبكرة.

وفى دراسة كراب Crabbe ــ ١٩٧٤، الناتجة عن بيانات متسقة مع نموذج كوتـرل أفادت بأن تأثيرات التسهيل الاجتماعى فى الأداء وفى تعلم الأطفال فى مختلف الأعمار قـد تشكلت ــ على ما يبدو ــ بالخبرات السابقة لدى الطفل فى حالة الآداء فى مواجهة آخرين. وقد استعان كراب بواجب توازن حركى، حيث يحاول أفراد العينة الثبات على لوحة اتـزان اثناء وقوفهم فوقها(٢٠).

وقد استنتج بوند Bond وتيتوس Titus (١٩٨٣) خـلال مراجعتـهما للدراسـات الخاصة حول آثار وجود الجمهور على أنواع عدة من الأراء، أن حضور الأفراد الاخريـن هو أمر يحدث الإستثارة. ويرفع الدافعية على نحو أساسى، وإن هذه الاستثارة ستعمل على

تيسير ظهور النتائج المرتبطة بالمهام التى يتوافر لدينا تمكن جيد منها، بينما قد تتداخل هذه الاستثارة مع الأداء على المهام شديدة الدقة، والتى تكون سيطرتنا عليها غير محكمة أو ضعيفة. وقد يرجع ذلك إلى أن المستويات العليا من الانفعال تؤدى إلى حدوث تشتت عقلى معين، ومن ثم لا تكون عوامل مساعدة فى الظروف التى تتطلب عقلا صافيا (٣٥: ١١١،١١٢) ولكن الشئ الذى ينبغى أن نذكره، هو أن درجة معينة من الاستثارة الانفعالية هى عادة من الأشياء المفيدة فى الآداء. فقد أظهرت الدراسات التى اجريت على مؤسيقيين محترفين يؤدون فى ظل ظروف اعتبرت مثيرة لدرجة عالية من القلق الانفعالى، أن أداءهم كان أفضل من أداء مجموعة مماثلة من الموسيقيين المحترفين الذين يؤدون فى ظل ظروف أكثر إثارة للإسترخاء. وأن وجود الجمهور خلال الأداء الفعلى يعمل على إحداث زيادة كبيرة فى حالة الاستثارة مقارنة بما يحدث خلال التدريبات وهذا يؤكد أن من الأشياء المفيدة فى أداء الفرقة الموسيقية لأم كلثوم "كوكب الشرق" كانت عمليات البث الحسية الدائمة الشهرية.

ويرجع الفضل فى استخلاص مفهوم التسهيل الاجتماعى إلى عالم النفس "فلويدا أولبورت **F.Alport (1920)**" الذى قام بعدد من الدراسات، قصد بها دراسة تأثير الجماعة على سلوك الأفراد، والتى خلص منها إلى أن وجود أفراد آخرين يشاهدون الأداء يعمل على زيادة نشاط الفرد وانجازاته، غير أنه تحفظ مشيرا إلى أن وجود "آخرين" قد يجعل الفرد ايضا يفكر بطريقة ناقصة أو غير صحيحة، وخلص من ذلك "البورت" إلى أن العمل الذى يتطلب التركيز او التفكير الابتكارى يحسن الفرد أداءه منفردا عنه فى الجماعة، على أن النتائج أوضحت فيما بعد أن الأمر ليس بالبساطة التى تعطيها نتائج "فلويد أولبورت" وبلا شك أنه دفع الباحثين لاستخدام مناهج أكثر ملائمة فى دراسة سلوك الفرد فى الجماعة المختلفة، كما جعلهم يهتمون بدراسة متغيرات أخرى مثل دراسة أثر تركيب الجماعة نفسه وسمات شخصية الفرد فى الموقف، كذلك تحديد أنواع السلوك التى يمكن أن تتأثر بعضوية الفرد فى الجماعة (٥١).

ولقد تتابعت الدراسات المتصلة بالتسهيل الاجتماعى، ففى دراسة "داشيل" وجد تحسن فى التداعيات اللفظية، وحفظ جدول الضرب وذلك فى وجود مشاهدين، كما اثبتت دراسة "مارتنز ولاندرزى **Martens & Landers**"، أن الأداء الجمعى يسهل الأداء بالنسبة للحركات البسيطة جيدة التعلم فى واجب يتصف بالتحمل (٥٢،٣٢: ٢٢١) . ويعد التسهيل الاجتماعى الفعال لفريق الكرة خلال اللعب ـ فى ملعبه ـ اثناء البطولات العالمية أو الأفريقية ـ هو أحد العوامل التى تساعد على نجاح الفريق وفوزه، حيث تلتف جماهير الشعب حول فريقها القومى يتطلعون بشوق وحماس لا نظير لهما إلى فوز بلادهم.

ومن النتائج العملية ما توصل إليه "تربيليت **Trpilitt**" فى أن الأطفال يحققون نتائج افضل عندما كان الآخرون يعملون نفس العمل على مقربة منهم، من تلك التى حققوها وهم يعملون بمفردهم. وكان ذلك فى تجربة لإدارة مجلة بأقصى سرعة ممكنة لفترة من الوقت حيث اتضح وجود ظاهرة التسهيل الاجتماعى من خلال العمل معا **Co-acting** بين البشر(٣: ٥٢).

وقد ناقش 'برادبير Pradier (١٩٩٠) تأثيرات التيسير الإجتماعى فى ضوء بعض العوامل البيولوجية ككيمياء المخ وإفرازات الـ Pheromones [*] وقد جرح اقتراحا فحواه أن حالة الانتشاء الجماعية التى تستشعرها الحشود خلال التظاهرات، وخلال حفلات الروك أو خلال الاحداث المسرحية الخاصة، قد ترتبط باطلاق هرمونات الاندروفين. وهى مواد شبيهه بالافيون يتم انتاجها داخل المخ، وتحدث مشاعر بالتماسك والراحة الاجتماعية وافترض برادبير أن الأداء هو واقعة تواصل أو تماس تعنى بالإغراض نفسها تماما التى تعنى بها عمليات التهذيب أو الصقل الاجتماعى لدى الثدييات الرئيسية الأخرى. حتى لو كانت هذه العملية لا تشتمل على عملية تلامس جسمى مباشر (٣٥:١١٥).

نود هنا أن نشير إلى أنه فى علاقات اجتماعية معينة قد يشعر الفرد بالاستثارة، التوتر، ثم زيادة فى الدافعية. تلك المواقف التى يتوقع فيها أن يكون محل تقييم من الآخرين من حوله وهنا تبرز عملية التسهيل التى تنبع أساسا من شعور الفرد بأنه يتم تقييمه من الآخرين. ففى دراسة أكثر حداثة (هنشى ـ جلاس ١٩٦٨) ثبت ان ظاهرة التسهيل الاجتماعى قد تكون ـ جزنيا على الأقل ـ نتيجة الخوف من تقييم الآخرين، ويعنى ذلك أن المشاعر التى يستجيب لها الفرد هى أن هناك آخرين سوف يقيمون عمله. واهتمت بحوث التسهيل الاجتماعى بظاهرة الانصياع لان هذه الدراسات أوضحت كيف يقلل وجود الأفراد من امكانية الاختلاف عنهم، ولنتذكر أن واحدا من نتائج هذا البحث هو انخفاض عدد الاستجابات ذات الطابع الشخصى والزيادة فى الاستجابات ذات الطابع الجماعى(٥٣:٤١٦ـ٤٥٤)، (٥٤:٤٠٧).

التوليد الفكرى والموقف الاجتماعى

قد تكون للجماعة آثار إيجابية للغاية على الشخصية، وقد تنبه علماء علم النفس الاجتماعى بعد الحرب العالمية الثانية لهذه الحقيقة واكتشفوا من خلال التجارب المحكمة أن أداء الفرد فى الأعمال الروتينية، والعلاقة اللغوية يزداد ازديادا ملحوظا إذا ما قام الفرد بعمله مع جماعة.

وحديثا أمكن لأحد العاملين بشئون الإعلام والدعاية هو (اوسبورن Osborn) فى كتاب له بعنوان: الخيال فى مجال التطبيق: أن يكتشف أن التفاعل بجماعة متسامحة ومشجعة يساعد على إطلاق الطاقات بصورة ملحوظة. وابتكر ما يسمى بأسلوب "التوليد الفكرى" الذى يوصى باستخدامه فى أى موقف يحتاج لثروة من الأفكار الخلاقة لحل المشكلات. والخاصية الرئيسية لأسلوب التوليد الفكرى تتبلور فى تشجيع الفرد على الإنطلاق بأفكارد بين مجموعة من الأفراد فى الاجتماعات مثلا، دون أى تقييم لهذه الأفكار فى جلسات توليد فكرى، وهناك أربعة شروط وقواعد تحكم نجاح جلسات التوليد الفكرى فى داخل الجماعة:

[*] الفيرومون: مواد كيميائية تستخدم كوسيلة للتواصل أو التخاطب بين أعضاء النوع الواحد، خاصة فى المملكة الحيوانية. وهى تخدم فى تحقيق وظائف مثل: الاستثارة الجنسية، والتحذير من الخطر، وتحدى مناطق النفوذ.

- إمتناع أى عضو عن النقد إمتناعا كاملا.
- والترحيب بأى محاولة للإنطلاق.
- ثم الاهتمام بكمية الأفكار دون كيفها.
- وأخيرا تنمية الأفكار التى تطرح أثناء المناقشة مع إضافة عناصر جديدة إليها، أو ربطها بغيرها من الأفكار.

ومن الطريف ان النتائج تبين انه بالرغم من الاهتمام بالكم، فإن جلسات التوليد الفكرى ـ بمقارنتها بالمناقشات فى الجماعات العادية الناقدة ـ عادة ما تؤدى إلى ثروة كبيرة فى الكم والكيف معا. فضلا عن أنها كانت ذات فاعلية فى إكتشاف كثير من الحلول للمشكلات التى كانت تواجه الشركات الأمريكية الضخمة، والمؤسسات الإدارية والإعلامية وغيرها (٥٥). ولا يؤثر الموقف الإجتماعى فى الأشخاص فحسب، بل إن الأشخاص يؤثرون أيضا فى الخصائص العامة للموقف. فقد تبين أن الأشخاص المتوافقين والمنبسطين يميلون إلى تيسير العلاقات الودية فى داخل الجماعة ويساعدون على خلق جو مريح وبناء فى المواقف الاجتماعية المختلفة. أما الأشخاص المنسحبون من ذوى النمط الفصامى فيخلقون جوا اجتماعيا متوترا. وهناك فضلا عن هذا وذاك أشخاص ذو فاعلية أكثر من الأشخاص الآخرين فيكون لهم لهذا تأثير أقوى على التغيير من الموقف وإتجاه ضغوطه.(٥٦،٥٧:١٧٨-١٨١)

النظرية والتجريب فى مجال دينامية الجماعة

أولاً : أهم أساليب البحث فى مجال دينامية الجماعة

(١) الدراسة المجالية:

ويتضمن هذا النوع من الدراسات تعريض جماعة ما ـ مجال الدراسة ـ للدراسة دون أن يؤدى هذا إلى أى تأثير فى حياة الجماعة ونشاطها. ويتخذ الباحث فى هذه الدراسة جميع الاحتياطات الممكنة بحيث لا يؤدى وجوده أو ما يقوم به من عمل إلى تدخل أو أثر فى حياة الجماعة.

وتقوم هذه الطريقة على جمع البيانات الخاصة بجماعة من الجماعات فى (مجال معين) فى حياة الجماعة ويقوم الباحث بجمع البيانات دون أن يعرف الفرد هدف ذلك. ومن أهم الدراسات التى استخدمت هذا الأسلوب، الدراسة التى قام بها (نيوكمب **Newcomb**) وهى تهدف إلى الكشف عن أثر الجماعة فى تعديل المعايير الاجتماعية للفرد، فقد اختار جامعة بننتجون وهى جامعة متحررة غير رجعية، مجالا لدراسته واشترك جميع الطلاب فى الجامعة فى الدراسة، وقد وصل "نيوكمب" من هذه الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

١- أن مجتمع الجامعة له تأثير ملموس فى تعديل اتجاهات هؤلاء الطلاب بدليل أن طلاب السنة الثانية أكثر تحررا من طلاب السنة الأولى باستمرار على مدى السنوات الأربع وهى مدة الدراسة الجامعية.

٢- أن الجامعة تكافئ الطلاب الذين يغيرون اتجاهاتهم لتساير الاتجاهات السائدة فيها.

وإنه كلما ازداد ارتباط الفرد بالجماعة وانتماءه إليها، كلما ازداد مدى التـأثير الـذى تحدثه الجماعة فى اتجاهاتهم. وهذا يؤكد أن الفرد إذا غير جماعته المرجعية التى ينتمـى إليها، وإنتمى إلى جماعة جديدة ذات اتجاهات جديدة فإنه مع مضى الوقت يسعى إلى تعديل وتغيير اتجاهاته القديمة حتى يتكيف مع واقع ومعايير ومثل جماعته المرجعية.

ثانيا: التجريب فى مجال دينامية الجماعة:

(١) التجريب الطبيعى:

بهذه الطريقة يستغل الباحث ما يحدثه من تعديلات فى حياة الجماعة ليدرس ما يترتب عليها من آثار مثل (تغيير ما يتبع من سياسة مع العامين كرفع الروح المعنوية عند العمال بسبب زيادة الأجور) ويستغل الباحث ما حدث بدراسته. والذى يحدث التجربة هنـا ليـس الباحث وإنما التجربة هى من صنع الحياة وتطور العمل فى المصنع (٥٨: ٤٠).

(٢) التجريب المجالى:

ويقوم الباحث نفسه بهذه الطريقة بإجراء وإحداث (التغيير) بهدف دراسة آثارد لإجراء المقارنة بعد ضبط العوامل التى ينبغى السيطرة عليها للوصول إلـى اسـتنتاجات معينـة. ويتوقف نجاح هذه الطريقة على تعاون أفراد الجماعة مع الباحث.

وتعتبر دراسة (كيرت ليفين ـ ١٩٣٨ K.Lewin ، ورونالد ليبت Lippit) وقد تـم فى تقرير مبدنى لهما، إبتكار أساليب تجريبية دقيقة لتوفير نوعين من المناخ (يسود أحدهما الطابع الأوتوقراطى، ويسود الآخر الطابع الديمقراطى) فى مجموعتين تتضمن كل منـهما خمسة أطفال بقيادة أحد الراشدين، وقام أربعة ملاحظين مستقلين بتسجيل سلوك الأطفـال ونمط التفاعل بين الأطفال فيما بينهم وفيما بينهم وبين القائد أثناء ١٢ اجتماعا معهم.

وقد كانت هذه التجربة بداية لعهد جديد فى دراسات التفاعل داخل الجماعة الصغـيرة (٥٩: ٦٨). وتعتبر دراسة (كوش وفرنش ١٩٤٨) على احد مصانع النسيج، مثلا للتجريـب المجالى. فقد قام الباحثان بدراسة أثر التغيير على (إنتاجية العمال) فى ثـلاث مجموعـات للعمال حيث كان يشك رؤساء العمل بأن إجراء التغيير قد يؤثر على إنتاجية العمال ويثـير عندهم القلق. وغاية الدراسة إكتشاف مدى صحة هذا الفرض.

وقسمت مجموعات العمال إلى (ثلاثة) متكافئة بمستوى الأداء ومدى التغير لقياس عدد الوحدات (بساعة).

أ- المجموعة الأولى للعمال:

وتعمل تحت ظرف معين (لم تشترك بمناقشة طريقة العمل الجديدة).

ب- المجموعة الثانية للعمال:

اشتركت (بالمناقشة والتصميم) لطريقة العمل الجديدة عن طريق ممثليها.

ت- المجموعة الثالثة للعمال:

اشتركت فى مناقشة طريقة العمل الجديدة بجميع أفراهـا. وبعـد المقارنـة بإنتـاج المجموعات الثلاثة (قبل وبعد) التغير الحادث تبين أن:

نتائج التجربة:

أ- المجموعة الأولى التى (لم تشترك بالمناقشة) انخفض إنتاجها بعد تغيير ـ أسلوب الإنتاج واستمر الإنخفاض لمدة ٦ اسابيع.

ب- المجموعة الثانية (التى اشتركت بالمناقشة عن طريق ممثليها) انخفض إنتاجها بالبداية ثم عاد فإرتفع (٥) وحدات فى نهاية (الأسبوع الثال).

ت- المجموعة الثالثة (التى اشترك جميع أفرادها بالمناقشة) لأسلوب العمل الجديد انخفض إنتاجها بالبداية قليلا ثم ارتفع بمعدل (١٠) وحدات فى الأسبوع الثالث.

يواجه أسلوب التجريب المجالى (صعابا متعددة) ولا سيما فى عملية (ضبط المتغيرات).

(٣) التجريب العملى:

ومن أبرز من قام بهذه الطريقة العالمان (فرنش وسنيدر ١٩٥٩م) على مجموعات من قوات الطيران الأمريكية لدراسة (العوامل) التى تتدخل فى مدى تأثير الضباط فى مستوى أداء جنودهم أثناء قيامهم بأعمال غير رسمية وتم اختبار (مدى حب الجنود لضباطهم) كعامل من هذه العوامل فى الكشف على (مدى ارتفاع أو إنخفاض الأداء).

أ- بدأت الدراسة (بإستفتاء للجنود) لكشف مدى حبهم لضباطهم.

ب- قسمت المجموعات إلى (ثلاثة) بكل منها (ثلاثة جنود وضابط).

ت- المجموعة الأولى والثانية يتوافر بها محبة الجنود لضباطهم عكس المجموعة الثالثة.

ث- تبين تحت الدراسة العملية وجود تأثير عالى عند أفراد المجموعتين الأولى، والثانية وعدم وجود تأثير فى سلوك أفراد المجموعة الثالثة لعدم توافر الولاء والمحبة بين أفرادها وضباطهم. وهكذا كشفت النتائج عن نوعية التفاعل والإنتاج وبعض المظاهر فى ديناميات الجماعة (٥٨:٤١-٤٢).

الفصل السابع

عملية التنشئة الاجتماعية

Socialization Process

خطة الفصل المنهجية

- تعريف التنشئة الاجتماعية.
- التنشئة الاجتماعية والتنشئة السياسية.
- أهداف التنشئة الاجتماعية.
- الصفات العامة للتنشئة الاجتماعية.
- مدخلان لدراسة التنشئة الاجتماعية.
- المنشئون الاجتماعيون.

  الأسرة ـ جماعات الأقران ـ المؤسسات التربوية ـ وسائل الاعلام.
- العمليات التى يتم من خلالها تنشئة الأفراد.
- مساهمات علماء المسلمين فى التنشئة الاجتماعية.

تعريف التنشئة الإجتماعية

لكل نمط حياة سائد فى المجتمعات، آليته الإندماجية التى يتم من خلالها دمج الأفراد اليافعين والناشئة ضمن نسيج هذا النمط أو ذاك، وفق متطلبات كل نمط وتوقعاته العلائقية والمعرفية. وهذه الآلية هى "التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الإجتماعى Socialization".

والتطبع الاجتماعى كما يراها "غالينا أندريينا" عملية تشكيل الأفراد وفق توافقات بنية نمط الحياة السائد اجتماعيا ونفسيا وثقافيا. وهذه العملية ثنائية الجانب، تشمل:

- إستيعاب الفرد للتجربة الاجتماعية بالدخول فى البيئة الاجتماعية.
- عملية تجديد انتاج نظام الصلات الاجتماعية بشكل نشط من قبل الفرد بفضل نشاطه الشديد واندراجه النشيط فى البيئة الاجتماعية (١:٣٣٣).

ولقد أشار قاموس علم الاجتماع لهذه ا لعملية "بأنها العملية التى يتكيف بمقتضاها الكائن البشرى مع ثقافته ويتعلم كيف يؤدى وظائف دوره ومكانته فى المجتمع" (٢:٤٥).

والمفهوم التاريخى للتنشئة يؤكد على انها "العملية التى يتم بمقتضاها صهر الفرد أو إذابته فى الجماعة بحيث يؤهل للتفاعل الإجتماعى الإيجابى والانسجام معها، أى أنها عملية تحويل المادة البشرية إلى كائنات اجتماعية لقنت أصول السلوك، بحيث تقوم بنقل التراث الاجتماعى من جيل إلى جيل وبناء المواطن الصالح كما تنقل الثقافة للأفراد (٣).

ويعتقد كثير من علماء الاجتماع وعلى رأسهم كوكلى Koakly أن سلوك الفرد يتشكل من خلال اتصالاته بالجماعة الأولية من أسرته وجيرانه وجماعات اللعب التى يندمج فيها، حيث يتوقف توافقه الاجتماعى بدرجة كبيرة على طبيعة وظروف الاتصالات الاجتماعية التى تتم فى اطار الجماعات التى يمر بها ويتلقى منها أفكاره (٤:٢٠٧، ٤:٢١١).

وتتفق كل من (هدى محمد قناوى ــ ١٩٨٨) و(فوزية دياب ــ ١٩٧٩) فى أن التنشئة الاجتماعية هى "تحويل الكائن البيولوجى إلى كائن اجتماعى. حيث أن التنشئة الاجتماعية عملية تحويل الفرد من كائن عضوى حيوانى السلوك إلى شخص آدمى بشرى التصرف فى محيط أفراد البشر متفاعلا معهم (٥).

فالتنشئة هى العملية التى يتم فيها ومن خلالها دمج ثقافة المجتمع فى الفرد، ودمج الفرد فى ثقافة المجتمع، وهى وفقا لهذا المعنى ــ العملية الجدلية التى تربط بين الفرد وبين ثقافة المجتمع، وهى العملية التى يتم فيها بناء الثقافة فى داخل الفرد. وهى من جهة إزاحة الجانب البيولوجى فى الانسان لصالح الجانب الاجتماعى، أو الانتقال بالانسان من حالته البيولوجية إلى حالته الاجتماعية (٦:٢٤٩-٢٥٠).

كما تعتبر التنشئة الاجتماعية من أخطر العمليات شأنا فى حياة الأفراد فلها دور كبير فى تكوين شخصية الفرد. والمعنى العام للتنشئة يؤكد على أنها العمليات التى أصبح بها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية بكل ما تشمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات من خلال عملية التنشئة او ما يحدث للطفل والراشد من تغيرات وما يتعرض له من مؤثرات اجتماعية كلما دخل جماعة أو مؤسسة اجتماعية جديدة (٧).

كما ان التنشئة كما يراها علماء النفس هى عملية اكساب الشخصية مجموعة من القيم التى تقرها وتيسر حركتها فى المجال الاجتماعى، فهى عملية نفسية اجتماعية يقـوم بـها الفرد نفسه وتتطور فى العائلة وخارجها وبوسائل الضغط الاجتماعى المختلفة كى يتـواءم الفرد مع حضارته ويصبح قادرا على العيش فى مجتمعه (٨).

ويراها (زيجلر وتشايلد) إنها العملية التى يكتسب الفرد من خلالها أنماط معينة مـن الخبرات والسلوك الاجتماعى الملائم أثناء تفاعله مع الآخرين. ويؤكد هذا التعرف:

١-نوعية الخبرات المكتسبة.

٢-تأكيد التفاعل بين الفرد والقائمين على تنشئته، وعدم اقتصار الموقف على اتباع الفرد للمعايير الاجتماعية، والتطبع بطابعها أو التشكل فى قالبها (٩:٤٧٤).

والتنشئة هى العملية التى يتحقق للفرد من خلالها وبالتفاعل مع الآخرين تنمية رصيد متميز من الخبرة الخاصة وأنماط السلوك الاجتماعى الملائمة، فهى إذن عملية تربوية هامة للأباء ــ والمدرسين (١٠:٨٥٩ــ ٨٦٦)، (١١).

وأخيرا نرى أن هذا التعريف يجمع بين كون التنشـئة الاجتماعيـة عمليـة نفسـية واجتماعية وتربوية تقوم على التواصل المستمر بين المرء وأسرته ومجتمعـه وثقافتـه

فالتنشئة الاجتماعية من وجهة نظرنا:

"عملية تعليم وتعلم وتربية تقوم علـى التواصـل Communication بيـن الطفـل واسرته ومجتمعه وثقافته ومن خلال عدد كبير مـن المنظمـات الاجتماعيـة (التربويـة والإعلامية والدينية والتشريعية .. الخ) المتباينة الوظائف، والتى تقوم جميعا بالإسهام فـى تشكيل ما يسمى بطابع شخصيته" وفقا لما ترتضيه" وليسهم فى مجالات التنميـة بقـدرات عملية وثقافية وسلوكية تعززها قدراته الفكرية والمهارية".

وقد حدد التعريف العديد من الأبعاد التى سنلقى الضوء عليها عند تناولنـا بـالتحليل لبعض تعاريف التنشئة الاجتماعية لتحقيق مزيد من ايضاحات من خلال الأبعـاد المختلفـة المرتبطة بها والتى أوردها (أحمد كامل الرشيدى) فى دراسـة لـه عـن أبعـاد التنشـئة الاجتماعية (١٢:٣٤-٣٧).

أولا: البعد الإنسانى:

ومن أهم ما ورد فى هذا البعد من التعاريف ما يلى:

تعريف (مارجريت كولون) للتنشئة الاجتماعية بأنها "العملية التى يتعلم منـها الفـرد الأدوار الاجتماعية للإنسان فى المجتمع من خلال أسرته وأصدقائه والأمر الذى يجعله قادرا على التكيف لدورة بإعتباره عضوا فى المجتمع (١٣:٧٢).

وقد عرفها (بول سبنسر) بأنها "عملية تعليم اجتماعى للأطفال والراشـدين لربطـهم بالجماعة الاجتماعية ومشاركتهم الفعل الاجتماعى المشترك" (١٤:١٢٥).

وأهم ملامح الأبعاد الإنسانية فى التعريفين السابقين ما يلى:

(١) يتحدد البعد الإنسانى فى الأدوار الاجتماعية التى يقوم بها فى المجتمع.

(٢) ان الأدوار الاجتماعية تسهم فى تحقيق التكيف الإنسانى.

(٣) إن الفرد لا يقبل عضوا فى المجتمع إلا من خلال ما يقدم من فعل إجتماعى يرضى المجتمع به.

(٤) أن يشارك الفرد الجماعة الإنسانية الأفعال الاجتماعية المشتركة بينهم.

ثانيا: البعد الإجتماعى:

ومن أهم هذه التعاريف ما ذكره (عبد الباسط حسن) فى قوله:

"إن التنشئة الاجتماعية عملية تشكيل السلوك الإنسانى وتحويل الكائن الحى البيولوجى إلى كائن اجتماعى، وهى عملية تعليم الجيل الجديد من أفراد المجتمع السلوك الإجتماعى فى المواقف الاجتماعية المختلفة على أساس ما يتوقعه منهم المجتمع الذى ينأون فيه. كما أنها عملية اكساب الأفراد ثقافة المجتمع (١٣:١٥) وعرفها (بارسونز Parsons) بأنها:

"عملية تعلم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع النمط الثقافى للمجتمع بهدف إدماج عناصر الثقافة فى نسق الشخصية" (١٦:١٦) .

ويتضح من هذين التعريفين ملامح البعد الاجتماعى للتنشئة فيما يلى:

(١) تحويل الكائن الحى الذى يشابه سائر الكائنات الحيوانية فى وقت ميلاده إلى كائن حى منفرد فى صفاته ليلحق بموكب جماعة الإنسان.

(٢) التوافق شبه الكامل بين سلوك الفرد وسلوك الجماعة فى كل المواقف الاجتماعية.

(٣) عمليات متعددة من منطلق التعليم العام للحفاظ على ثقافة المجتمع.

ثالثا: البعد النفسى:

تهتم دراسات علم النفس الاجتماعى بهذا الموضوع باعتبار أن عملية التنشئة عملية ضرورية لتحقيق التكيف مع الذات الشخصية والذات المجتمعية حتى يمكن تحديد درجة التأثير والتأثر فى المواقف والاتجاهات السلوكية (٣:١٧).

ويعرفها (حامد زهران) بأنها "عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعى وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة. تيسر له الاندماج فى الحياة الاجتماعية.

ويعرفها (فؤاد البهى) بأنها "العملية التى يتحول بها الفرد من كائن عضوى إلى شخص إجتماعى وتصل قمتها فى الطفولة. ولا تقف عند ذلك بل تمتد إلى مراحل العمر المتعاقبة بإمتداد الحياة" (٤٧:١٨).

ومن أهم ملامح البعد النفسى لعمليات التنشئة فى هذين التعريفين ما يلى:

(١) أنها عملية تعلم شامل لكل أبعاد الطبيعة الإنسانية لا تقف عند مرحلة عمرية معينة.

(٢) أنها تركز على عملية التعليم المباشر والتربية المتخصصة لتحقيق الإتجاهات والميول الاجتماعية المطلوبة للفرد.

(٣) تهتم بالمعايير والإتجاهات فى تحقيق السلوك النفسى الاجتماعى.

(٤) عملية ضرورية لتكوين الذات المستقلة والمتوافقة مع المجتمع.

رابعاً: البعد التربوى:

حيث أن السلوك الظاهرى للإنسان هو جوهر السلوك الإجتماعى للخدمة الإنسانية. وإنطلاقا من هذا البعد يعرفها (اورفيل Orvil) بأنها: "العملية التى يكتسب بها الأشخاص المعرفة والمهارات والاستعدادات التى تجعلهم أكثر قدرة على التفاعل مع اعضاء مجتمعهم(٣:١٩). كما عرفها (يوحنا كومينيوس Yohanna Comenious التشيكوسلوفاكى ١٥٩٢ ــ ١٦٧٠ بأنها:

"عملية تربية حواس الأطفال بحيث تؤدى وظيفتها كوسيلة لوضع أسس المعرفة التى ينبغى تزويد الكائن البشرى بها ليستطيع مواجهة مطالب الحياة" (١٠٥:٢٠).

ومن أهم الملامح التربوية لهذين التعريفين ما يلى:

(١) عملية نمو مقصودة لمقابلة المزيد من التغيرات فى الحياة.

(٢) تعتمد على تزويد الطفل بمجموعة من المعارف والمهارات الأساسية لتحقيق السلوك الإنسانى.

(٣) عملية مستمرة متطورة لمقابلة المزيد من التغيرات فى الحياة.

(٤) تزويد الفرد بردود الأفعال الاجتماعية المناسبة لكل فعل اجتماعى.

خامسا: البعد الإقتصادى:

يتمثل البعد الإقتصادى للتنشئة الاجتماعية فى مقدرة عمليات التنشئة فى القدرة على تلبية الحاجات الاقتصادية للفرد والمجتمع بوضوح أكثر، يعنى مجموعة المهارات التى يكتسبها الأفراد وتمكنهم من القيام بدورهم فى سوق العمل على أفضل وجه.

ويؤكد (جورج طرابيشى) أن الدراسات الحديثة أثبتت أهمية عمليات التنشئة فى تدعيم الرأسمال البشرى فى عمليات التنمية وزيادة الدخل القومى بنسب تفوق دور عوامل الرأسمال المادى وأثبت ذلك (دينسون Denison) أن ٢١% من النمو الاقتصادى الذى حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية يرجع إلى أثر عمليات التنشئة فى الفرد من حيث أنه منتج ومستهلك فى ذات الوقت.

ومن أهم ملامح البعد الإقتصادى للتنشئة الاجتماعية ما يلى:

(١) تعتبر عمليات التنشئة رأس مال قومى للمجتمع.

(٢) تحدد التنشئة الاجتماعية أنماط الاستهلاك المختلفة.

(٣) تسهم التنشئة فى زيادة مخرجات الفرد الإقتصادية للمجتمع.

(٤) تحولت عمليات التنشئة عن البعد الإستهلاكى للبعد الاستثمارى فى الفرد.

(٥) أكدت أهمية العائد البشرى فى عمليات التنمية الإقتصادية للمجتمع.

الأهداف الرئيسية للتنشئة الاجتماعية

تختلف التنشئة من مجتمع لآخر طبقا لنظامه القانونى والاجتماعى والاقتصادى. ويمكننا استعراض (خمسة أهداف) أساسية تتفق بها معظم المجتمعات المعاصرة:

(١) التكيف والتآلف مع الآخرين Social Adiustment (الذات الجماعية كبديل للذات الإنفرادية Isolated)

(٢) الاستقلال الذاتى Independence والاعتماد على النفس And self-Reliance
(٣) النجاح والتقدم Success & Progress
(٤) تكوين القيم الروحية والوجدانية والخلقية Moral Values
(٥) خلق ما يسمى بالشخصية المنوالية.

١ – التكيف والتآلف مع الآخرين:

يعتبر حسن التكيف مؤشرا ومعيارا لنمو الصحة النفسية عند الأفراد، ومـــن مظـــاهر التآلف والتكيف الاجتماعى المصادقة وحب تكوين الصداقات، وتنمية الــذات الاجتماعيــة The social self كبديل للذات الإنفرادية Isolated self والإذعــان لقوانيــن المجتمــع وتقاليده بقبول ورضاء (المجاراة) Conformity.

٢ – الاستقلال الذاتى والإعتماد على النفس:

يعتبر هذا الهدف أساسا فى أى تنشئة اجتماعية ناجحة ويتم ذلك بإتاحة الفرصة للطفل بالتعبير عن ذاته (حرية التعبير) وتعويده التفكير الناقد من خلال تنمية القدرة علـــى حــل المشكلات Problem solving وعلى إتخاذ القرار بنفســه Decision Makingg دون الاعتمادية على الوالدين فى كل صغيرة وكبيرة، وتوجيهه مهنيا فيما بعد حتى لا يكون عالة على أسرته أو مجتمعه. والاستقلال يجب أن يكون شخصيا واجتماعيا ونفسيا يغرس مفهوم المسئولية والواجب فى سلوك الفرد وتصرفاته، ويتضمن الاستقلال توعية الفرد بحقوقــه وواجباته حتى يتمكن من النجاح مع بيئته ومجتمعه.

٣ – النجاح والتقدم:

يعتبر النجاح متطلبا اجتماعيا وحيويا فى حياة الأفراد – وتهتم المجتمعات الغربية فى (النجاح المادى) وامتلاك (أدوات الترفيه) وتقيم النجاح من منطلقات مادية محضة وتنمــى فى الفرد إتجاهات الحرية الفردية بغض النظر عن المجتمع والأفراد الآخرين. ولا تستغرب ارتفاع نسبة الأمراض العقلية والنفسية فى الغرب وبالذات فى الولايات المتحدة الأمريكية.

٤ – تكوين القيم الروحية والوجدانية والخلقية:

تكوين الصورة الإدراكية لدى الطفل الكبير والصغير والذكور والإناث وغــرس القيــم الروحية فى نفوس الأفراد وإيجاد نوع من التوازن بين الدوافع الغريزية الفطرية والرغبات والدوافع الاجتماعية المكتسبة فى شخصية الفرد. وقد أدى تحرر الغرب إلى إباحية كاملــة فى العلاقات الجنسية إلــى إنتشــار مــرض الإيــدز وإلــى أعتبــار الجنســية المثليــة Homosexiality أمر شخصى لا يؤثر على مكانة ومركز الفرد داخل المجتمع.

٥ – خلق ما يسمى بالشخصية المنوالية:

يطلق رالف لنتون R.Linton لفظة الشخصية المنواليــة وهــو يريــد بذلــك نمــط الشخصية الذي يظهر بأكبر قدر ممكن من التكرار بين مختلف انماط الشخصية فى مجتمــع محدد.(٢١،٦:٦،٢٤٦)

يرى البعض أن الهدف الأساسي من عملية التنشئة الاجتماعية هو خلق ما يسمى "بالشخصية المنوالية للمجتمع" أو "الطابع القومي للشخصية" أي الشخصية التي تجسم العلاقات البارزة التي تسم الأفراد الذين يعيشون في مجتمع ما، بحيث يؤدي هذا إلى وجود إطار مشترك تتحدد من خلاله الملامح المميزة للمجتمع.

التنشئة الإجتماعية والتنشئة السياسية

التنشئة عملية يتم بمقتضاها صهر وصقل الفرد أو إذابته في الجماعة، بحيث يؤهل الفرد للتعامل والتفاعل الإيجابي والإنسجام مع الجماعة.

والتنشئة السياسية جزء هام من عمليه التنشئة، ولذلك فإن أي تعريف للتنشئة السياسية لابد أن ينبثق عن مفهوم التنشئة عموما، فهي تتأثر بالقيم والعادات السائدة في الجماعة. وهي تشكل في اطار التنشئة الاجتماعية.

فالتنشئة السياسية هي معرفة كيف يتم تربية الصغار الأعضاء في النظام الاجتماعي تربية سياسية، وذلك عن طريق اكسابهم توجهات سياسية وسلوك سياسي سواء شابهت وتماثلت مع مستويات الكبار بالنظر في اختلافهم القيمي للبنية السياسية القائمة(٢٢:٤٢ـ٤٣).

فالتنشئة السياسية هي عملية تربية سياسية بما تشمله من بذر المعرفة بالنظام السياسي أو التدريب على المواطنة وهي عملية مستمرة طوال الحياة، وقد يمكن تشكيل المواقف من البداية في مرحلة الطفولة، ولكنها تتشكل دائما كلما مر الفرد بتجارب سياسية او اجتماعية. *وأول ما يدل على استمرارية التنشئة إنه إذا حدث حادث مأساوي فقد يؤدي* إلى تجربة مفاجئة لإعادة التنشئة للأمة بأسرها، فقد تشكل حرب يونيو ١٩٦٧ (حرب الأيام الستة) صدمة سياسية حادة لملايين المصريين والعرب وقد تتطلب ذلك إعادة تشكيل الثقافة السياسية للمجتمع المصري والعربي وإعادة تكييف التنشئة الاجتماعية والسياسية. إلى أن أعز الله مصر والعرب بحرب أكتوبر ١٩٧٣ فأعادت الكرامة للإنسان المصري والعربي، فكلما تعدلت مواقف حياته وثقافته وبالتالي يخضع لعمليات تنشئة مستمرة.

فعملية تشكيل المواقف تمتد لمدى الحياة. ويكاد يتفق جمهور الباحثين على أن عملية التنشئة السياسية تبدأ في سن الثالثة، وتستمر طوال الحياة، ويتحدد السلوك السياسي للفرد في مرحلة النضج، بدرجة ما، بخبرات التنشئة المكتسبة في مرحلتي الطفولة والمراهقة.

والتنشئة السياسية ترتبط بعملية التنشئة الاجتماعية، التي يمكن أن تكون وسيلة لاحداث تغيرات اجتماعية او سياسية، وذلك عندما تقوم بعض المؤسسات الاجتماعية بغرس قيم سياسية جديدة، تختلف عن تلك القيم القديمة أو عندما يربى الأطفال على أساس آمال سياسية. أو أجتماعية تختلف عن تلك المتوارثة عن السلف. فالتنشئة السياسية ببساطة(٢٣:١٠).

- عملية تلقين لقيم واتجاهات سياسية وتقييم اتجاهات اجتماعية ذات دلالة سياسية.
- وهي عملية مستمرة. يتعرض لها الإنسان طيلة حياته منذ الطفولة وحتى الشيخوخة.
- تلعب أدوارا رئيسية منها نقل الثقافة السياسية وخلقها وتغييرها عبر الأجيال.

الصفات العامة للتنشئة الاجتماعية

١- إنها عملية تعلم اجتماعي Social Learning

فمن خلالها وعن طريق التفاعل الاجتماعي يتعلم الفرد أدواره الاجتماعية وكلا من المعايير والاتجاهات فالطفل يكتشف المعايير التي تحدد أدواره ويكتشف إتجاهاته النفسية ويتعلم كيف يسلك بطريقة اجتماعية توافق عليها الجماعة ويرضى عنها المجتمع.

٢- إنها عملية نمو Growth & Development

يتحول فيها الطفل من كونه يعتمد على غيره متمركزا حول ذاته، هدفه إشباع حاجاته الفسيولوجية إلى فرد مستقل ناضج يدرك معنى المسئولية الاجتماعية.

٣- إنها عملية مستمرة Continuing process

ينتقل بها الفرد من الطفولة إلى ا لمراهقة، فالرشد ثم الهرم والشيخوخة، وفي كل مرحلة في نموه خصائص واحتياجات معينة.

٤- إنها عملية ديناميكية Dynamic process

فهي عملية تفاعل اجتماعي يكتسب خلالها الفرد شخصيته الاجتماعية الناضجة التي تعكس ثقافة المجتمع كما تتضمن عمليات اكساب الفرد لثقافة مجتمعه ولغته.

٥- إنها عملية معقدة متشابكة Complex process

لأنها تستهدف مهاما كبيرة وأساليب متعددة لتحقيق ما تهدف إليه.

مدخلان لدراسة التنشئة الإجتماعية

يمكن دراسة التنشئة الإجتماعية من خلال مدخلان وهما مدخل الفرد ومدخل المجتمع.

- **أما مدخل الفرد** فياخذ في الحسبان ان التنشئة عبارة عن عملية يتحول فيها الإنسان البيولوجي إلى كيان إنساني مكتسبا ذاته من خلال التفاعل مع افراد المجتمع بما يمكنه من أن يحقق هويته ليستطيع أن يكون المثل والقيم والطموح والأفكار التي تظهر وظيفتها عند توافر الظروف البيئية الملائمة، والتي تزود الفرد بالقدرة على مزاولة نشاطه الادراكي مزاولة ذاتية.
- **أما التنشئة من مدخل المجتمع** فهي عبارة عن عملية تشكيل وبناء أطفال المستقبل بصورة قابلة للتكيف والتلائم مع افراد المجتمع من خلال طرق منظمة في الحياة والعمل مما يؤدي إلى ترسيخ التقاليد الثقافية. وتعبر ازمة الإنتماء عن خلل في علاقة الفرد بالمجتمع يتجسد ذلك الخلل في ضعف أو إنطفاء الشعور الداخلي الذي يدفع الفرد إلى الارتباط بالمجتمع ويحدد موقفه منه وبالتالي يصاب الفرد بالاحساس بالغربة عن المجتمع.واللامبالاة والسلبية تجاه قضايا المجتمع ومشكلاته المختلفة، بحيث تصبح العزلة عن المجتمع جزء حتميا من مكوناته.

المنشئون الإجتماعيون Significan Others

أولا: الأسرة؟

أن نظرة فاحصة إلى المجتمع في علاقته بأفراده تكشف لنا حتما عن حقيقة، أن الفرد يخضع منذ لحظة مولده لتأثير عدد كبير من المنظمات الإجتماعية المتباينة الوظائف. والتي تقوم جميعا بالإسهام في تشكيل ما يسمى بطابع شخصيته. فالوليد يخضع لأشد المنظمات

الإجتماعية تأثيرا وخطرا على نمط شخصيته وهى الأسرة حتى قبل ان يتمكن من رؤيتها بالمعنى العلمى حيث لا يقف دورها عند حد المحافظة على حياته وتلبية إحتياجاته بل يتعداه إلى محاولة صياغة طابع شخصيته وفقا لما ترتضيه. فتحرم عليه من السلوك والأفكار ما تراه سيئا وتحبذ له من السلوك والأفكار ما تراه جديرا بالتحبيذ لذلك فللأسرة وظيفة إجتماعية هامة، إذ هى العميل الأول فى صبغ سلوك الطفل بصفة إجتماعية. وهناك عدة عوامل تكسب الأسرة هذه الأهمية منها: إنها تمثل الجماعة الإجتماعية الأولى التى تستقبل الطفل وليدا وتنهض برعايته إنها – تعد بمثابة حلقة الإتصال بينه وبين المجتمع من خلال نقل الذات الحضارى والثقافى للمجتمع إليه.

وهى – كذلك تقوم بتنقية ما يتلقاه من أفكار وخبرات من خارجها فهى تحدد له ما تراه ملائما لثقافتها فهى البوتقة التى تتشكل فيها شخصية الفرد.

وأخيرا – تحدد نطاق حركته فى المجتمع، فى إطار ظروفها الاجتماعية والاقتصادية.

ويجدر بنا ان ننوه هنا إلى أن دور الأسرة ليس بالضرورة أن يكون إيجابيا فى كل الظروف. فقد يتخذ تاثيرها على الطفل أحد مسارين:

أحدهما إيجابى: يتم خلاله تنمية قدرات الفرد وتوجيه إمكانياته واستعداداته الوجهة الملائمة، وتحقيق الصحة النفسية له.

أما المسار السلبى: فهو فى الإتجاه المعاكس حيث تعوق ظروف التنشئة الأسرية والتفاعل العائلى ارتقاء الفرد على نحو سوى، لما تثيره هذه الظروف من مشاعر سلبية، وما تؤدى إليه من سلوكيات غير ملائمة، من صور الكف للإمكانات العقلية والاستعدادات الشخصية وخنق العملية الإبداعية لدى الطفل.

وعموما يتوقف إتجاه تأثير الأسرة على عدد من العوامل منها:

أولاً: الأساليب المتعددة للتنشئة الاجتماعية.

ثانياً: العلاقات التفاعلية بين أساليب التنشئة الاجتماعية.

ثالثاً: دور الأم فى التنشئة الإجتماعية للطفل.

(١) الأساليب المتعددة للتنشئة الاجتماعية داخل الأسرة:

تعنى أساليب التنشئة، الاجراءات والطرق التى يتبعها الوالدان فى التطبيع والتنشئة الاجتماعية ومن المسلم به أن هذه الأساليب كما أوضحنا سلفا تؤثر سلبا أو إيجابا فى شخصية الأبناء والشكل التالى يوضح أساليب التنشئة الاجتماعية المتعددة وتعريفها ومظاهر السلوك الناتجة عنها.

شكل رقم (١)

الأساليب المتعددة للتنشئة الاجتماعية من حيث

التعريف والمظاهر والنتائج (٢٤: ١٩٠ - ١٩٢) (٦: ٢٥٩-٢٦٣)

الأسلوب	التعريف	المظاهر	النتائج
١ - أسلوب التسلط أو الديكتاتورية Authoritarian أى الإفراط فى ممارسة القهر والعنف من أجل الهيمنة والسيطرة والاخضاع	إنه اسلوب سلوكى جامد غير مرن لا يتقبل فيه الفرد آراء الآخرين ولا يستجيب للتغير او النمو فيتجاهل رغبات الآخرين ويلجأ إلى الأمر والنهى والتهديد لتحقيق أهدافه ويتضمن هذا الأسلوب فى تظام اندرسون" تحديد تفاصيل نشأة الطفل والرفض لرغباته وتأخير نشاطاته وطرق اللوم والتحذير المستخدمة مع الطفل فشخصية الآباء المسيطرين لا تعرف معنى الحرية الموجهة لطفلها حينما يبدأ فى اختيار اصدقانه مثلا.	١-فرض الوالدين رايهما على الطفل وبأى أسلوب. ٢-الأب يستخدم الأمر والنهى والتهديد والحرمان فى الأكل والنوم ونوع المذاكرة والدراسة. ٣-الأم تتسلط باللين والتحايل. ٤-إلغاء رغبات وميول الطفل التلقائية.	ينتج عن هذا الأسلوب بناء شخصيات إنطوانية انسيابية توجه عدوانها نحو ذاتها. شخصية خانعة خجولة حساسة ليس لديها ثقة بنفسها ومترددة فالتلاميذ الذين عاشوا اجواء أسر متسلطة يرهبون حتى تقديم الاجابات الصحيحة فى المدرسة خوفا من ارتكاب الخطأ وعدم الثقة وخوفا من السخرية المحتملة ومن التأنيب. تصبح هذه الشخصية مصدر قلق للأسرة والمجتمع. ويترتب على الإفراد فى استخدام التسلط بناء شخصية متمردة خارجة على قواعد السلوك وعلى كل قانون وسلطة طلبا لتفجير مكبوتات القهر والمعاناة الناجمة عما تعرضت أو تتعرض له من ضروب القسوة. وعلى هذا فإن السلوك العدوانى الذى يتجه نحو ممتلكات المجتمع دون أى إحساس بالذنب أو التأنيب يصدر عن أشخاص لم يشعروا بإنتمائهم لأسرهم أوجههم لهم، وهم بذلك

النتائج	المظاهر	التعريف	الأسلوب
ينتج عن هذا الأسلوب شخصية يصعب عليها تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين. أى شخصية ضعيفة خانعة غير مستقلة قليلة التركيز والنضج وإنخفاض مستوى الطموح ورفض تحمل المسئولية وعدم الثقة فى اتخاذ أى قرار.	١-الخوف على الأبناء بصفة عامة من الإصابة بالمرض. ٢-الخوف من مصاحبة الأطفال الآخرين. ٣-مصاحبة الطفل عند الذهاب إلى المدرسة وإنتظاره لحين خروجه سواء أكان ذلك فى أيام الدراسة العادية أو أيام الامتحانات. ٤-قلق دائم طول فترة غيابه خارج المنزل لدرجة الفزع. ٥-متابعته أثناء اللعب والحركة والخوف عليه من الوثب والقفز خشية كسر أو جذع أى عضو من أعضاء جسمه.	ويقصد به فرض حماية مفرطة على الطفل تتمثل فى الالتصاق به، والإشباع الفورى لرغباته. وحمايته من مواقف المناقشة أو التحدى أو الصراع مع الأطفال الآخرين	٢ – أسلوب الحماية الزائدة Over protectiveness

الأسلوب	التعريف	المظاهر	النتائج
٣ – أسلوب الإهمال والتسيب Neglect	ويقصد بالإهمال عدم تشجيع الطفل على السلوك المرغوب فيه أو الاستحسان لهذا السلوك. وعدم محاسبته على أى خطأ فى السلوك. ترك الطفل دون توجيه إلى ما يجب فعله وإلى ما يجب تجنبه. أما التسيب فتعنى به التجاوز عن الأخطاء وعدم تدريب الطفل.	١-عدم رغبة الوالدين فى مجئ الطفل. ٢-عدم محاسبة الطفل على السلوك الخاطئ.	ينتج عن هذا الأسلوب شخصية قلقة مترددة تتخبط فى سلوكها وهذا الاتجاه يبث فى نفس الطفل روح العدوان والرغبة فى الانتقام وعدم الانتماء للأسرة.
٤ – أسلوب التدليل: Fonding	يقصد به تلبية كل ما يريده الطفل مهما كان طلبه سخيفا أو تعسفيا أو غير مشروعا أو مكلفا وأن يكون الجميع رهن إشارته يتحكم فيهمون رادع.	١-أن الطفل عندما يبدأ بالكلام ويسب أبويه يضحكان له. ٢-عندما يخطئ لا يشعرونه بخطئه بل قد تحضنه الأم ولا يضايقه شئ. ٣-تلبية جميع مطالبه.	ينتج عن هذا الأسلوب شخصية قلقة مترددة متسيبة لا تحافظ على مواعيدها ولا تتحمل المسئولية وهو غير منضبط فى سلوكه ويصبح الطفل معتمدا على ذوى المراكز من الأقارب والمعارف وإذا كبر يكون مستهترا ولا يستطيع مواجهة الاحباط ومشكلات الحياة فهو أكثر عرضة للاضطراب النفسى عندما تقف فى طريقه عقبة أو مشكلة.

الأسلوب	التعريف	المظاهر	النتائج
٥ – أسلوب التفرقة Discrimination	وتتمثل التفرقة أو عدم المساواة بين الأبناء على أساس الجنس أو ترتيب المولد أو السن فما يسمح به للأولاد لا يسمح به للبنت مما يترتب عليه توريث البغض والكراهية والجفاء بينهم والتي قد تجعل العلاقة بين الأخوة والأخوات تنقلب إلى عداوة تضر بسلامة الأسرة والمجتمع.	١-تفضيل أحد الأبناء على الآخرين. ٢-السماح ببعض السلوكيات لأحد الأبناء وفضها للآخرين. ٣-الإهتمام بأحد الأبناء دون الآخرين بناء على الجنس أو السن. ٤-عدم السماح للصغار أن ينالوا حقوقهم مثل الأبناء الكبار وبخاصة من هم (هن) على مشارف الزواج.	ينتج عن هذا السلوك شخصية أنانية جامدة تعودت أن تأخذ ولا تعطى ولا ترى إلا ذاتها وإحتياجاتها دون اهتمام لإحتياجات الغير. بإختصار تتشكل شخصية تعرف ما لها ولا تعرف ما عليها. شخصية حاقدة مليئة بالغيرة.
٦ – أسلوب النبذ: Cruelty	يعرف النبذ بأنه سلوك ظاهر يبين الطفل أنه ليس محبوبا وليس مرغوبا فيه وأن الطفل ليس له قيمة وهذا سلوك يهدد أمان الطفل ويجعله عرضة للشك والشعور بالوحدة.	١-السخرية من الطفل والعقاب الشديد وإظهار الاستجابات السلبية مثل الاحتقار والتأنيب والتهديد وهجر الأطفال ومحاولة الابتعاد عنهم. ٢-معايرة الطفل بأخطائه والتشهير به بأنه يكذب أو يسرق أو يتبول على نفسه(لا إراديا) أو مهمل..الخ ومقارنته بالآخرين وتعمد القول أمام الطفل أنه غير مرغوب فيه.	يؤدى هذا الأسلوب إلى تشكيل شخصية توجه عدوانها نحو ذاتها وقد تحرف العدوان الواقع عليه إلى آخرين من نفس السن بالمدرسة وقد تؤدى إلى الانطواء والتمركز حول الذات. وقد تؤدى إلى شخصية سيكوباتيه مضادة للمجتمع Antisocial وقد تتحول إلى شخصية إرهابية وهو خروج الانسان من دائرة الانتماء إلى بؤرة عدم الانتماء.

الأسلوب	التعريف	المظاهر	النتائج
٧ – أسلوب العقاب	بعض الأباء والأمهات يستخدمون أسلوب العقاب البدني (الضرب) أو التهديد أو الحرمان أى كل ما من شأنه أن يثير الألم الجسمى أو النفسى كأساس لعملية التنشئة والتطبيع الاجتماعى وخاصة فى الأسر التى تنظر إلى الرجولة على أنها خشونة وعدم الابتسام بل تفهم على أنها أوامر ونواه وضرب.	عقاب الطفل لأتفه الأسباب دون تعريفه بأسباب عقابه.	يؤدى هذا الأسلوب إلى شخصية قلقة متمردة تحاول أن تخرج على قواعد السلوك من أجل التنفيس أو تفريغ شحنة الغضب. ويبدو ذلك واضحا فى ظاهرة (البلطجة) بين الطلبة فى الأنشطة المختلفة داخل وخارج المدرسة.
٨ – أسلوب التسامح	يقصد به التجاوز المقصود أو التغاضى المتعمد من جانب أى من الوالدين عن التصرفات والسلوك وأشكال التعبير التى تدل على الموافقة على الخطأ.	١-قلة الحزم لدى الوالدين. ٢-ممارسة الضغط الخفيف من قبل الأم حتى يسايرها الطفل فى أنماط سلوكها.	شخصية لا مبالية غير منضبطة لا تستطيع تحمل المسئولية.

الأسلوب	التعريف	المظاهر	النتائج
٩ - أسلوب الحب والتقبل	ويتمثل فى الاهتمام والحذر والحب والفهم من قبل الوالدين تجاه الطفل بمقدار التلقى الايجابى لما يصدر عنه من سلوك وإحساس بأنه محبوب ومشاركته فى لعبه وهواياته.	١-مشاركة الطفل فى إنفعالاته وأنشطته والتعبير عن محبته. ٢-يتنازل الطفل عن مطالبه رغبة فى الحصول على حب والديه أو أحدهما	شخصية متزنة قادرة على العطاء والتفهم الإيجابى لمطالب الآخرين.
١٠ - الأسلوب الديمقراطى	أى إتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن رايه وتشجيعه على المشاركة بالرأى فى اتخاذ القرارات بالنسبة لشئونه الخاصة أو مشاركته بالرأى مع الوالدين فيما يتصل باختيار الأصدقاء والزملاء دون تهديد أو حرمان أو ضغط.	١-التسامح العام وتجنب القرارات التعسفية والاحتكاك اللغوى بين الطفل والوالدين. ٢-الاعتراف بالميول والاستعدادات الطبيعية لدى الأفراد. ٣-ترك الفرصة للطفل لكى يبرر ما لديه من ملكات على أسس موضوعية.	شخصية مستقلة قادرة على اتخاذ القرارات واحترام آراء الآخرين دونما التعصب لرأى خاص أو التطرف فى الفكر أو السلوك أو الدين.

(٢) العلاقات التفاعلية بين أساليب التنشئة الاجتماعية:

(أ) العلاقات بين أسلوب التسلط (الديكتاتورية. التشدد) وبين كل من أسلوب التفرقة والحماية الزائدة.

الأباء المتشددين أو الذين يستخدمون أسلوب التفرقة كتنشئة اجتماعية لا يعرفون معنى الحرية الموجهة لطفلهم حينما يبدأ فى اختيار أصدقائه. ويقفون عقبة امام ممارسة الطفل لهواياته وتحقيق ذاته فلا يستطيع أن يشبع حاجاته. (٢٥:٢٣٩- ٢٧٦. ٢٦:١٤٢٤-١٤٣٦) كما وجد أن الأبناء الذين عايشوا كثيرا من ظروف التشدد فى محيط الأسرة يتسمون بدرجة عالية من العدوانية فى السلوك، كما ظهر أن من عايشوا ظروف السماحة فى تنشئتهم بشكل غالب، قد خلا سلوكهم نسبيا من صور العدوان. (٢٧:١٢٣-١٥٩) ونظرا لإرتباط السلوك العدوانى بالتوتر وسوء التوافق، وضيق الأفق والإحباط، وغير ذلك من خصائص سلبية أخرى، فإنه تبدو خطورة تنشئة الأبناء بأسلوب التشدد.(٢٨)

أما الوالدان اللذان ينتهجان أسلوب الحماية الزائدة فلا يعطيان الطفل الفرصة للتصرف فى كثير من الأمور مثل التصرف فى إختيار الملابس أو إختيار الأصدقاء أو الدفاع عن النفس (كما ترسم لهم الصورة الإدراكية)، كما يظهر الوالدان فى معارضتهم للطفل أحيانا لإعتقادهم بأنه لا يستطيع ان يقوم بالأعمال التى تفرض عليه ومن هنا يتداخل هذا الأسلوب مع أسلوب آخر وهو التسلط لأن الطفل لن يكون راضيا فى كل مرة عن هذا التدخل لذلك لا تجد فاصلا بين الحماية الزائدة والتسلط (٢٩:٣١٠-٣٢١)، ويتضح التأثير السئ الأكثر عند تنشئتهم بأسلوب عدم الاتساق.

ولعل من أهم أساليب التنشئة التى ترتبط بنشأة الخلق التسلطى فى الأسرة ووجود نماذج تسلطية هى تلك الأساليب التى تتميز بـ:

- الافتقار للاتصال الوجدانى بالابناء وتجنب إظهار الحب والتقبل للأطفال.
- فرض الطاعة لمن هو أكبر لأجل السن وحده.
- استخدام العقاب والتجاهل والتخويف والرهبة.
- التسلط من الأب والأم وفرض التبعية على أطفالهم.
- التأكيد على الخضوع للقواعد الاجتماعية التقليدية، والعرف، والمعايير السائدة بطريقة ضاغطة تفوق أحيانا قدرات الطفل على فهمها أو استيعابها (٣٠:٢٣٨، ٣١).

(ب) العلاقة بين أسلوب التسامح وبين كل من أسلوب التدليل والإهمال والتسيب:

ينتج عن هذه الأساليب الثلاثة شخصية قلقة مترددة متسيبة لا تحافظ على مواعيدها ولا تتحمل المسئولية ويبدو الفرد غير منضبط فى سلوكه (٣٢:٥٥-٦٧) وإتباع الوالدين لهذين الأسلوبين مرده إلى أن الوالدين اقل سيطرة وحزما فى تعاملهم مع أطفالهم. فهما يريان ان من حق الأبناء، أن يشكلا مستقبلهم كما يشاءون وبالطريقة التى يريدون ويشبعون حاجاتهم ومطالبهم ويمارسون أنشطتهم التى يريدونها دون شدة فهم، يعتقدون أن التسامح هو السبيل لتحقيق غايتهم فى تربية الأبناء، وقد ظهر أن من عايشوا ظروف السماحة فى تنشئتهم بشكل غالب قد خلا سلوكهم نسبيا من صور العدوان.

أما بالنسبة للإهمال فله صورتان:

الأولى: اللامبالاة: فمثلا حين يبكى الطفل لا تستجيب له الأم وإذا تكلم تتركه دون ضبط لسلوكه وإذا طلب مساعدتها تصرخ فى وجهه وإذا أساء استعمال العاب الأطفال الآخرين لا توجهه ولا تعير سلوكه الخاطئ أى إهتمام.

والثانية: هى الاهمال مثل عدم اثابته على السلوك المرغوب فيه ممثلا عندما يقدم لها درجاته فلا تشجعه ولا تثنى عليه بل قد تنفر منه ويمكن أن تنهره توبخه على كسله وإهماله وتعايره، وتكرار ذلك قد يفقد الطفل الإحساس بمكانته ويفقده الاحساس بحب ابويه له وانتمائه لهما.(٥:٨٨-٨٩) وينتج عن هذه الأساليب الثلاثة شخصية قلقة مترددة تتخبط فى سلوكها دون ضوابط أو حدود، وبالتالى يحاول الطفل أن ينضم إلى جماعة ليجد مكانه منها ويجد الحب والعطاء الذى حرم منه وربما يكون مخربا لأنه لم يضبط سلوكه ولم يعرف الصواب من الخطأ. وقد ينضم إلى جماعة مرجعية فاسدة تدفع به إلى دائرة الإدمان.

(ت) **العلاقة بين أسلوب النبذ وأسلوب العقاب:**

والوالدان عند استخدامهما لهذين الأسلوبين كثيرا ما يشيران إلى نواحى النقص عند الطفل فى مراحل نموه المستقبلية (٢٩). مما يؤدى إلى تشكيل شخصية توجه عدوانها نحو ذاتها ففى المدرسة تخاف أن تجيب عن اسئلة المدرسة حتى لا تسخر منها أو تؤنبها، شخصية تخاف من الكبار ولا تثق فيهم، وتحاول أن تخرج على قواعد السلوك من أجل تفريغ شحنة الغضب لديها (٣٣:٧٥). فالقسوة والألم النفسى يشتركان فى عملية العقاب والنبذ وإن كانت الطريقة مختلفة فهناك عقاب بدنى وآخر نفسى.

(ث) **العلاقة بين أسلوب الحب والتقبل وبين الأسلوب الديمقراطى:**

التقبل شرط أساسى لنجاح عملية التنشئة الاجتماعية وهو يتمثل فى مشاركة الطفل انفعالاته. فإذا كان الأبوان متقبلين للطفل يصبح لديه الرغبة فى أن يكون مثل والديه. وإذا توافر شرطان (المشاركة والتقبل) أتيحت الفرصة للطفل للتعبير عن رأيه وتشجيعه على المشاركة بالرأى فى إتخاذ القرارات بالنسبة لشؤونه الخاصة أو مشاركته بالرأى مع الوالدين مما يؤدى إلى تكوين شخصية متوازنة، مسئولة، مرنة غير منزمة (١٥).

والقبول الوالدى يعرفه (رونر Rohner) على أنه ذلك الدفء والمحبة والحب الذى يمكن للآباء أن يمنحونه لأطفالهم، وقد يعبر عنه إما بالقول أو بالفعل فى أشكال السلوك مثل الثناء على الطفل وحسن الحديث إليه وعنه والفخر بأعماله والتواجد معه عند الحاجة والسعى لرعايته والتقبيل ونظرات الاستحسان وكلها تشعره بأنه محبوب ومرغوب من والديه. أما الرفض فيعرفه على أنه غياب الدفء والمحبة من قبل الوالدين ويتخذ الرفض ثلاثة أشكال:

١- العداء والعدوان على الطفل.

٢- اللامبالاة بالطفل وإهماله.

٣- الرفض بصورة غير محددة.

ويشير العداء إلى حالة داخلية من الإستياء والغضب بالطفل يعرفها ظاهريا فى شكل عدوان عليه يتمثل فى مظاهر سلوكية مثل التقليل من شأنه والضرب والسب والاستهزاء واستخدام الكلمات القاسية الجارحة، كذلك فاللامبالاة وهى انعدام الاهتمام بالطفل قد تظهر فى عدم الاهتمام بشئونه وحاجاته وعدم التواجد النفسى معه فى مشكلاته (الوالدين حاضرين غائبين لا يقدمون له العون عند الحاجة ولا يتفاعلون معه) ويشعرونه بإنه غير مرغوب (٣٤).

إن الأسرة تعتبر الحصن الاجتماعى الذى تنمو فيه بذور الشخصية الانسانية وتوضع فيه أصول التطبيع الاجتماعى، بل تتحدد فيه بحق كما ذهب (كولى) ـ الطبيعة الإنسانية للإنسان، فكما يتشكل الوجود البيولوجى للجنين فى رحم الأم فكذلك يتشكل الوجود الاجتماعى للطفل فى رحم الأسرة وحضنها (٣٥:٦٦) وتربيته تربية آمنه عن طريق:

١- اشباع حاجات النمو وتعويد الفرد على تحمل المسئولية والنزعة إلى الاستقلال وهذا يعنى أن الطفل لابد أن يشعر بالاشباع العضوى والعاطفى والوجدانى فيتحول من الطفولة المعتمدة إلى الرجولة المستقلة والمعتمدة على الله والنفس والثقة بها.
٢- غرس القيم التى تساعد الفرد على توجيه نفسه الوجهة السليمة لمواجهة المستقبل.
٣- تدريبه على تحمل المسئولية وتوظيف طاقاته بما يحقق الخير والمنفعة له وللآخرين.
٤- مراعاة تنمية الاستعدادات والقدرات الجسمية والعقلية والمزاجية لخلق جيل صحيح صالح منتج ومبدع.

ثانياً: جماعات الأقران:

ما ان يشب الطفل عن الطوق حتى تتلقفه مجموعة الأقران التى تمارس أيضا تأثيرها على نفس المجال مستهدفا تحبيذ أنواع معينة من السلوك منفردة من أنواع أخرى. فهم يشكلون قوة اجتماعية تدفعه لتعديل سلوكه فى ظروف معينة سواء فى الحى الذى يقطنه أو المدرسة التى يتعلم بها.

ويتحدد تأثير الأقران من خلال ظروف التنشئة الأسرية، حيث يتوقع أنه عندما تكون التنشئة الأسرية ملائمة يمكن أن يتجه الأبناء إلى اقران يدعمون ما يصدره الأبناء من سلوك سوى والعكس فنجدهم إما أن يختلطون بأقران أسوياء (جماعة مرجعية سويةً) تقلل من التأثير السلبى الذى تركته التنشئة الأسرية غير الملائمة أو يختلطون بأقران غير أسوياء (جماعة مرجعية فاسدة) قد تستهويهم وتذهب بهم بعيدا عن السلوك المرغوب فيأتى سلوكهم على نحو يجافى اتجاهات المجتمع العامة.

ثالثاً: المؤسسات التربوية:

تمثل المؤسسات التربوية أحد المنافذ التى يتم من خلالها نقل التراث الثقافى للمجتمع إلى الفرد (٣٦:٧٧) وقد قامت ابحاث عديدة للعلماء حول تأثيرات المدرسة الايجابية والسلبية فى حياة الطفل وأبرز الاستنتاجات لهذه الدراسات ما يلى:

١-المدرسة ذات حجم كبير ويصارع الطفل بها لينال مركزا مرموقا بين أقرانـــه دون أن يحس بالضياع وقد يتعرض فى السنوات الأولى للقلق.

٢-تؤدى الفوارق الفردية بين الطلبة فى مستوياتهم العقلية والعائلية والاجتماعيـــة إلـــى فوارق شاسعة فى السلوك والاتجاهات والقيم ودور المدرسة الضرورى هو محاولـــة تذويب هذه الفوارق والعمل على عدم توسيعها وإزدياد الفجوات فيـــها عـــن طريـــق التخطيط المدروس.

٣-تؤدى المدرسة دور فعال فى وجود نشاط مدروس هادف.

لقد تقلص دور المدرسة إلى التعليم فقط دون التربية، وأصبح كل مسئول بالمؤسسـات التربوية يلقى اللوم على الأسرة إذا تخلف الطفل عن الدراسة أو إذا أساء التصرف. وأبسط إجابة لهم "هذه ليست مشكلتنا إنها مشكلة الأسرة، رغم أنهم الغوا الملاعب التـــى تمتـــص عدوانية الأطفال وقسم مدرسى التربية الرياضية أيام الأسبوع فيما بينهم وقام البعض منهم بأعمال غير لائقة للمهنة مثل قيادة سيارة أجرة وخلافه. بالاضافة إلى عدم الاهتمام بكل من التربية الفنية والموسيقية فافتقر الابناء إلى التذوق الفنى وتوترت انفعالاتـــهم وأصبحـــت بعض إدارات المدارس شغلها الشاغل المجموعات والدروس الخصوصية وأصبـــح الشـــغل الشاغل لدى بعض الاخصائيين الاجتماعيين هو التشهير بالطلبة دون حل مشاكلهم بسرية.

ويسمى النظام التعليمى إلى الضبط الاجتماعى بدلا من تكريس الحرية المترتبة علـــى المعرفة. وإلى توليد المسايرة والانصياع لمعايير الجماعة للمحافظة على الوضع القائم بدلا من زرع روح التمرد بالبناء (٣٧:٦٧-٨٦). ويتساءل مصطفى صفوان، ما الـــذى يمنـــع العقل من أن يكون عقلا مبدعا؟ ويجيب..

ثم عائقان هامان: المحرمات الثقافية ونظام التعليم، فالمحرمات الثقافية تمنع الإنســـان من ممارسة الفكر الناقد. وتظل قيمة الطاعة فى المجتمع الابوى هى القيمة العليا، وبالتالى فإن أنظمتنا التعليمية تلقينية تطالب بالحفظ وإعادة الانتاج ولا تسمح بالاختلاف (٣٨:٤٢-٦٢) فالتقليد يعزز اشكال العلاقات الاجتماعية القهرية والتسلطية، فهو ينمى لدى الأفـــراد منذ الصغر الطاعة العمياء والامتثال المطلق لسلطة المعلم التى لا تناقش. ومن جهة أخرى تولد عملية التلقين بالضرورة ــ التفكير الاتفاقى المتقارب لدى الأفراد (وضع الأفراد فـــى قالب واحد) دون أن يكون بمقدرة الفرد الاتيان بأفكار أو توليد معلومات جديدة. فـــالتلقين يحول الافراد إلى مجرد وعاء للمعلومات، وناقل وليس مفكر. فهو فرد ضمن قطيع وهذا ما يولد لدى الأفراد الاحساس بالعجز. ثم تأتى الامتحانات لتتكامل مع التلقينية لتعزيز خضوع الافراد للتسلط والقهر حيث يجب أن تكون كل اجابات (استجابات) الطلبـــة نحـــو الاســـئلة واحدة، ومتفقة مع ما هو مقرر ومتداول مسبقا، وهذا ما يثبط ويخنق العملية الابداعية.

رابعاً: وسائل الاعلام:

تؤدى وسائل الاعلام دورها كمنشئ من خلال قيامها بوظائف:

١-إكساب الأفراد المعلومات.

٢-الإقنـــــــــاع.

٣-الترفيه ويؤثر الصوت والصورة فى عقل الطفل عن طريق الايحاء والتقليــد لا سـيما الأفلام والمسلسلات.

ومن الملاحظ أنه عندما يتقلى الفرد معلومات معينة من خلال وسائل الإعلام المختلفـة فانه قد يرجع للوالدين أو الأخوة أو الأقران الذين يمثلون أهمية بالنســبة لــه (جماعتــه المرجعية) وذلك لمناقشتهم فيما تلقاه من معلومات قبل قبوله لها على هذا النحــو. فــإذا حظيت تلك المعلومات بقبول وتأييد منهم أمكن لها أن تؤثر فى سلوكه. أمــا إذا أدت إلــى رفض هذه المعلومات، فعندئذ يقل تأثيرها إلى حد كبير، وقد يحدث العكس. فما يراد ويتلقاد المراهق من ألفاظ هو المرغوب لأنه العصرى وما يسمعه من والديه واستاذه هو مرفوض لأنه نابع من فكر قديم رجعي.

وتشير وسائل الاعلام طبقا لميكانيزمات مؤثرة للتأثير فى الناس ويمكننا اســتعراض هذه الميكانيزمات بالتالى:

١-التكرار فى العرض والإثارة والتكرار يطبع تأثيره فى العقل.

٢-استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة لإثارة الجاذبية.

٣-الدعوة إلى المشاركة كبرامج الأطفال التليفزيونية والمسلسلات الرياضية.

٤-عرض النماذج الشخصية البطولية كالتمثليات التاريخية وغيرها.

٥-اعطاء الفرد فرصة للتقمص السلوكى لما يراد وخاصة الأطفال.

٦-استخدام أسلوب التكرار والإلحاح والتراكم لرسم صورة إدراكية (كرمز) للشئ المطلوب ترسيخه في وجدان الفرد (٣٩: ٧٠)

وكما أن لوسائل الإعلام مميزاتها فى بث القيم التربوية فــى نفــوس أطفالنــا فلــها منغصاتها خاصة ما تشيعه بعض هذه الوسائل من سلوكيات اللامبالاة وتشويهها للعديد من القيم عن طريق تقديم أبطال هذه الأعمال القدوة السيئة للنشء وذلك من خلال ظهور نفــر من النجوم وهم يتعاطون المخدرات أو يتفوهون بألفاظ نابية لا تليق مما يدفع بالنشء إلــى تقليد نجومهم المحبوبين فى سلوكياتهم المختلفة سوية كانت أم غير سوية مما يؤثر فــى جوانب توافقهم الاجتماعى المتعددة.

العمليات التى يتم من خلالها تنشئة الأفراد

تعتمد التنشئة الاجتماعية على عدد من الأساليب بغية اكساب الأفراد أنماط سلوكية معينة وتعديل أنماط أخرى، وتتمثل هذه الأساليب فى (التدعيم ـ العقاب ـ الإقتداء).

(١) **التدعيم وينقسم إلى نوعين:**

- **إيجابى:** من خلال تقديم مكافأة أو إثابة للفرد عقب إصداره السلوك أو قيامه بعمل مرغوب فيه ويقوم المجتمع بدور المدعم لسلوك الأفراد، حيث يكافئ من يلتزم بقوانينه ونظمه من خلال أساليب مادية تتمثل فى تقديم امتيازات عينية للفرد أو من خلال أساليب معنوية، كأن يحظى بتكريم الآخرين له ويتمتع بسمعة حسنة بينهم.
- **سلبى:** من خلال استبعاد منبهات منفرة أو مؤلمة، عقب إصدار الفرد للإستجابة المرغوبة بما يسهم أيضا فى تعلم حتى الاستجابة وتكرارها فى المواقف التالية(٤٠:٢٧٢). وتجدر الإشارة إلى أن الأفراد يتعرضون خلال تنشئتهم لهذا النوع من التدعيم بهدف حثهم على تعديل سلوكهم وإصدارهم لسلوك مرغوب مثلما عند الافراج عن السجين (وقف العقاب) بعد إنقضاء نصف المدة فى حالة حسن سلوكه.
- **بديل:** تدعيم عرضى أو إنتقالى **Vicarious Reinforcement** أو بديل من خلال التعلم عن طريق الملاحظة أو المشاهدة حيث يحصل النموذج على تدعيم إيجابى وينتقل هذا التدعيم إلى الملاحظة أو المشاهدين حيث يحصلون على تدعيم بديل.

(٢) **العقاب وهناك نوعان:**

- **إيجابى:** ويقصد به إعطاء أو تقديم منبه منفر نتيجة لإصداره سلوكا غير مرغوب فيه وقد يكون بدنيا (الألم البدنى) أو معنويا (التأنيب) لمن يصدر سلوكا غير مقبول اجتماعيا لا يتمشى مع معايير الجماعة.
- **سلبى:** توقف تقديم الإثابة أو المكافأة بهدف خفض تكرار حدوث السلوك غير المرغوب أو استبعادد تماما. فقد يلجأ الوالد إلى حرمان أبنه من مصروفه الخاص بهدف تعديل سلوكه داخل الأسرة.
- **بديل:** خير مثال على ذلك هو المثل الشعبى "إضرب المربوط يخاف السايب".

(٣) **الإقتداء:**

وهو يعد أحد الأساليب الرئيسية التى يتم من خلالها إكتساب أنماط سلوكية معينة. إذ يمثل الوالدان والأشخاص المهيمنين بالنسبة للفرد نماذج قدوة هامة تسهم فى تنشئته بدرجة أو بأخرى أو من خلال مشاهدة نموذج قدوة. فى إكساب الأفراد معايير السلوك الأخلاقى حيث تكشف عملية الاقتداء للأبناء عن مدى تمسك الوالدين بسلوك معين. ومعرفة ما هو مقبول أو مرفوض اجتماعيا. ومن ثم فإن الفرد عندما يوجد فى مواقف معينة. فإنه يسلك وفقا للاطار المرجعى **Frame of reference** الخاص به ممثلا فى الأشخاص التى تقف كنماذج قدوة بالنسبة له (٢٨:١٦٤)

بالإضافة إلى ذلك فإن الإقتداء يؤدى دوره أيضا فى إكساب الأفراد أنماط سلوكية سلبية من خلال اكتساب السلوك العدوانى عن طريق مشاهدته لآخرين يقومون بهذا السلوك سواء فى إطار الأسرة أو الحى أو المدرسة أو مشاهدته لمادة إعلامية كأفلام العنف المذاعة من خلال التليفزيون، أو من مشاهدة المسرحيات التى تقلل من شأن الوالدين أو المعلمين.

الإنتماء والتنشئة الإجتماعية

الانتماء حاجة نفسية طبيعية لدى الفرد ولكنها ـ شأن غيرها من الحاجات النفسية الطبيعية ـ لا تتحقق تلقائيا وفى كل الظروف. كما أنها لا تتخذ نمطا سلوكيا واحدا للتعبير عن نفسها، بل تتعدد تلك الأنماط اتساعا وضيقا، وكذلك تنافرا وتكاملا. فقد تؤول تنشئة الفرد إلى وأد تلك الحاجة لديه، وكف مظاهرها، كما قد تؤدى تلك التنشئة إلى محاصرة تلك الحاجة وإلزامها نطاق جماعة صغيرة مغلقة لا تتعداها. وقد تشجع التنشئة على إزدهار واتساع دوائر التعبير عن الانتماء وتكاملها ـ كما إنها ـ أى التنشئة ـ قد تشجع على تضارب تلك الدوائر وتناقضها.

إن الانتماء فى النهاية انتماء لجماعة من البشر وقد يتسع نطاق هذه الجماعة لتصبح الشعب أو الأمة أو حتى البشرية، كما قد يضيق نطاقها لتصبح العائلة الكبيرة أو العائلة الصغيرة أو حتى أضيق من ذلك فى بعض الأحيان المرضية. ومن ثم فإننا ندرب أطفالنا منذ البداية على توسيع أو تضييق حدود الجماعة التى ينتمون إليها. ولا يكون ذلك مجال من خلال التلقين والكلام والتعليمات فحسب، بل من خلال الممارسة الفعلية فى المقام الأول. ممارساتنا نحن الكبار حيال الآخرين، والتى يمتصها الطفل ويتمثلها. وكذلك ممارساتنا حيال تصرفاته هو فى هذا الصدد ثوابا أو عقابا. فمن خلال تلك الممارسات ننمى لدى الطفل إستعدادا أوليا لتوسيع أو لتضييق جماعة النحن. غير أن عملية التنشئة الاجتماعية ـ أيا كان نمطها ـ تتضمن حتما نوعا من التدعيم لتمايز النحن عن الآخرين. وتختلف عملية التنشئة الاجتماعية بين جماعة وأخرى فيما يتعلق بموضوع الانتماء فى تحديد مدى الاختلافات العرقية والتاريخية والدينية والجغرافية بل والسلوكية المسموح بها فى نطاق تشكيل جماعة النحن. فقد تؤدى التنشئة الاجتماعية إلى تضييق أو توسيع ذلك المدى. كما أنها قد تؤدى إلى قصر جماعة الانتماء بشكل حاسم على توافر أو عدم توافر خاصية بعينها سواء كانت عرقية أو دينية أو غيرها ليصبح كل من توافرت فيه هذه الخاصية عضوا فى جماعة الانتماء وكل من لا تتوافر فيه واحدا من الآخرين. وتبدأ عملية التدريب على الانتماء منذ الطفولة الأولى وقد تستمر العمر بطوله، ومن ثم فإنها لا تقتصر على الأسرة وحدها، بل تشاركها فيها المدارس، والأقران، ودور العبادة، والجامعات. وأجهزة الاعلام ..الخ. وعملية التدريب على الانتماء، ليست ككثير من عمليات التدريب والتعلم التى تعتمد على أساليب نقل المعلومات المباشرة بطريقة أو بأخرى. إنها عملية اكتساب تلقائى يتحدد تأثير الفرد بها وفقا لثلاثة عوامل رئيسية. عامل تمثل القدرة، وعامل الخبرات الشخصية المعاشة وعامل الخصائص الشخصية.

فالكبار هم فى الأغلب الأعم بمثابة القدوة التى يتمثلها الصغار، بحكم الحقائق الفيزيقية والاجتماعية، وتمثل القدوة لا يكون تمثلا للأقوال بل للممارسة. فقد يحدث أحيانا أن نلتقى فى موقف اجتماعى معين ببعض أفراد تلك الجماعة الأخرى، فنتبادل كلمات المودة والحب. فإذا ما إنفض الجمع، وخلا كل فريق إلى خلصائه انتقلت الكلمات والمشاعر المعلنة من النقيض إلى النقيض. كل ذلك وصغارنا يرقبون ما يجرى ويتمثلونه ويختزنونه فى أعماقهم. وفى هذه الحالة سوف يتمثل صغارنا سلوكنا الفعلى باعتباره السلوك المثالى: أن نكره هؤلاء فعلا، وأن نحبهم قولا حيث تختلف الأقوال المعلنة عن المشاعر الحقيقية. أما الخبرات الشخصية المعاشة فهى تلك الخبرات المقصودة أو غير المقصودة التى يسهم تراكمها فى اختبار مصداقية القدوة التى سبق للفرد أن تمثلها. أما الخصائص الشخصية التى تتباين أنماط التنشيئة الاجتماعية من حيث تدعيمها لها أو احباطها ودفعها إلى الظل لمحدد قدرة الشخص على توسيع أو تضييق حدود جماعة النحن(٤٢).

مساهمات علماء المسلمين فى التنشئة الاجتماعية

(١) الإمام أبو حامد الغزالى:

أشار (الغزالى) فى كتابه أحياء علوم الدين (ج ٣) تحت عنوان:

بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم(٤١:٣٤٢-٣٤٣).

وقد أرشد (الغزالى) فيه الأباء والأمهات إلى ضرورة صيانة الطفل عن قرناء السوء ورفاق الإنحراف وذلك بحسن توجيهه وإرشاده وتهذيبه وتعليمه الخلق الفاضل وتعويده الإعتدال والخشونة فى الملبس والمأكل ومباهج الحياة.

ويؤكد الغزالى أن التنشئة الإجتماعية عملية تشتمل على التربية ثم التعليم وترتكز على ضبط سلوك الفرد بالثواب والعقاب وكفه عن الأعمال التى لا يقبلها المجتمع وتشجيعه على ما يرضاه منها. وبتحليل ما كتبه الإمام الغزالى يمكن أن نستخلص ما يلى:

١- أن الغزالى عرف مفهوم التنشئة الاجتماعية فى قوله:

"الطريق إلى رياضة الصبيان فى أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين اخلاقهم".

٢- يجب تشجيع الأطفال على ممارسة الخلق الجميل والتمتع بالعقل المحمود.

٣- عدم ذكر أخطاء الأطفال عند حدوث الخطأ فى أول مرة وعند عقابهم يجب أن يكون ذلك فى السر دون العلانية.

٤- ضرورة توضيح أثار الأخطاء والاستمرار فيها للأطفال حتى يتجنبوها (٤٢:١٧٧).

٥- المحافظة على شعور الأطفال خصوصا أمام الآخرين. وإحترام إنسانيتهم.

٦- أسلوب التوجيه فى التطبيع الإجتماعى يجب أن يكون سرا.

٧- لا تكثر من معاتبة أطفالك لأن ذلك يأتى بنتائج عكسية.

٨-يجب تعويد الأطفال على أداء الأعمال علانية ودون إخفائها لأن ذلك عادة سيئة تـأتى بنتائج ضارة.

٩-عود الأطفال أن يقوموا بخدمة أسرتهم وبالتالى كل جماعة ينتسبون إليها.

١٠- تشجيع الأطفال على الصدق فى الأقوال والإخلاص فى الأعمال لأن ذلك يرضـى الله تعالى.

(٢) آراء ابن خلدون فى التطبيع الاجتماعى:

يشير ابن خلدون إلى عدة مبادئ يجب أن نضعها فى اعتبارنا فـى عمليـة التطبيـع الاجتماعى للوليد البشرى.. يمكن إيجازها فيما يلى:

أ- ايثار التدريج:

"إعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مقيدا، إذا كان على التدريج شيئا فشـيئا، وقليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب، ويراعى فى ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه. حتى ينتهى إلى آخر الفن".

وابن خلدون يشير إلى ان التدريج فى عملية التعلم والتعليم حتى يكون لـها نتائجـها المرغوب فيها يجب مراعاة الفروق الفردية ـ الفروق داخل الفرد الواحد ـ خصائص نمود وهو يتفق مع علماء علم النفس التربوى وعلم النفس الفارقى.

ب- مراعاة استعداد الطالب.

ت- التدريب المتصل والمنفصل.

ث- تعليم الفنون واحدا واحدا.

وقد أشار (ابن خلدون) إلى مساوئ الشدة.

إن إرهاف الحد بالمتعلم قصر بالتعلم، سيما فى أصاغر الولد، لأنه مـن كـان مربـاد بالعسف والقهر من المتعلمين، سطا به القهر، وضيق عن النفس فى أنسـاطها"، وذهـب بنشاطها ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث، خوفا من انبساط الأيـدى بالقـهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقا، وفسدت معانى الإنسـانية وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله".

كما أشار إلى الترغيب والترهيب وأشار إلى القدوة الحسنة فى عملية التطبيع، ولذلـك نجد أن (ابن خلدون) قد اتفق مع نظريات التعلم الحديثة ونظريات الشخصية وعلم النفـس الفارق وربط بين علم النفس الاجتماعى والصحة النفسية.

الفصل الثامن
الإتجاهات النفسية الاجتماعية
Social Attitudes
خطة الفصل المنهجية

-تعريف الإتجاد النفسي الاجتماعي.
-مكونات الإتجاد النفسي الإجتماعى.
-تصنيف الاتجاهات النفسية الإجتماعية.
-خصائص الإتجاهات النفسية الإجتماعية.
-وظائف الإتجاهات النفسية الإجتماعية.
-صور الإفادة العلمية من دراسة الإتجاهات النفسية.
-المظاهر الوظيفية للإتجاهات عند كاتز.
-تكوين الإتجاد.
-بعض المفاهيم المتصلة بالإتجاد النفسي الإجتماعى:

أولاً : الإتجاد والقيمه
ثانياً: الإتجاد والمعتقد
ثالثاً: الإتجاد والميل
رابعاً: الإتجاد والرأى
خامساً: الإتجاد والسلوك
سادساً: الاتجاد والفعل
سابعاً: الاتجاد والتعصب
ثامناً: الاتجاد والدافعية
تاسعاً: الاتجاد والقوالب النمطية
عاشراً: الاتجاد والأيديولوجية

قياس الاتجاهات النفسية
- الشروط والاعتبارات الواجب توافرها فى قياس الاتجاهات.
- أساليب قياس الاتجاهات.
- تغيير الإتجاهات النفسية الإجتماعية

*مفهوم تغيير الإتجاد
*العوامل التى تساعد على تغيير الإتجاه والتى تعرقل تغييره.
*أهم طرق تغيير الإتجاهات النفسية الإجتماعية.
*المبادئ العامة التى يمكن أن تفيد فى أى محاولة تستهدف تغيير الإتجاهات النفسية للأفراد أو الجماعات.

تعريف الإتجاه النفسي الإجتماعي

بعد مفهوم الإتجاه من أكثر المفاهيم إنتشارا فى علم النفس الإجتماعى الأمريكى المعاصر. ولعل هذا ما دعا "جوردن البورت G.Allport" إلى القول بأن مفهوم الإتجاه هو حجر الزاوية فى علم النفس الإجتماعي. ولقد وجد (ماجورى-١٩٦٦Mc-Guire) أن ٢٥% من المادة العلمية الموجودة فى كتب علم النفس الإجتماعى تعالج موضوع الإتجاهات وتغيرها. ولبيان أهمية هذا الموضوع فى مجتمعنا يؤكد (سيد محمد الطواب) بأنه يكفى نظرة سريعة إلى الإعلانات المختلفة التى تحملها المجلات والجرائد اليومية، أو الإعلانات التى تظهر على شاشة التليفزيون، وكلها تهدف إلى محاولة تغيير إتجاهات الأفراد نحو بعض الموضوعات أو الأشياء.

ويعد "أولبورت" من أوائل المهتمين بتعريف الإتجاه، حيث تتبع هذا المفهوم عند الكثيرين من علماء النفس الإجتماعى، وقام بحصر كل التعاريف الموجودة فوجدها ستة عشر تعريفا-لكنه لاحظ وجود أفكار مشتركة بين هذه التعريفات المختلفة منها:

- أن الإتجاه إستعداد للإستجابة.
- وأنه ليس هو السلوك بل هو سابق على السلوك.

كما حاول تقديم تعريف أعم وأشمل من كل السابقين فرأى أن:

الإتجاه حالة من الإستعداد أو التهيؤ والتأهب العقلى والعصبى تنتظم خلال خبرة الشخص وتمارس تأثيرا توجيهيا أو ديناميا على إستجابة الفرد نحو جميع الموضوعات والمواقف المرتبطة بهذه الإستجابة (١٥:١).

وواضح أن حالة التأهب أو التهيؤ العقلى العصبى هذه قد تكون لحظية أى قصيرة المدى أو قد تكون ذات مدى بعيد من الناحية الزمنية.

ففى الحالة الأولى حيث تكون لحظية تنتج من تفاعل مؤقت بين الفرد وعناصر البيئة التى يعيش فيها ومثال ذلك إتجاه الجائع نحو الطعام والتأهب الذى يظهره فى تلك اللحظة نحو الطعام والذى ينتهى بمجرد شعوره بالشبع.

أما الحالة الثانية حيث يكون التأهب بعيد المدى فإنها تكون حصيلة تفاعل دائم مستمر مع هذه العناصر البيئية فإتجاه الفرد نحو صديق له ثابت نوعا حيث لا يتأثر بالمثيرات العابرة أو طالب بحث نحو المشرف على رسالته.

بينما يعرف (نيوكمب-١٩٦٤) الإتجاه النفسى على "أنه تنظيم خاص للعمليات السيكولوجية الذى يمكن الإستدلال عليه من سلوك الفرد وذلك بالنسبة للمدركات التى يميزها الفرد عن غيرها. وهذا التنظيم الخاص للعمليات السيكولوجية إنما هو مستمد من أثار خبرته السابقة التى عن طريقها وبمساعدتها يتفاعل مع المواقف الحالية بما فيها من مكونات وعناصر ويحاول أن يستخدمها أيضا فى الحكم على الحوادث المستقبلة".

ويعرفه (سعد عبد الرحمن) بأنه

"تركيب عقلى نفسى احدثته الخبرة الحادة المتكررة ويمتاز بالثبات والإستقرار النسبى. ومثال للاتجاه النفسى هو حب شعب لشعب آخر أو كراهية شعب لشعب وكذلك حب الفرد لنوع خاص من الملبس وكراهيته لنوع آخر وهكذا".

وبهذا المعنى يصبح الإتجاه النفسى هو حالة عقلية نفسية لها خصائص ومقومات تميزها عن الحالات العقلية والنفسية الأخرى التى يستخدمها الفرد فى حياته وتفاعله مع الآخرين من أعضاء الجماعة. وهذه الحالة إذن هى حالة (مع) أو (ضد)، حالة حب أو كراهية وبمعنى آخر هى حالة يصدر الفرد القرار فيها مستخدما الإطار المسبق. هذا الإطار المسبق هو الإتجاه النفسى (٢:٥١٥-٥١٨).

والإتجاه مثل غالبية مفاهيم علم النفس ليس له وجود مادى ملحوظ بل هو مجرد تكوين فرضى **Hypothetical contrust** يستدل على وجوده من آثاره وعادة ما يعبر عنه فى صورة لفظية، إما خلال إستجابات الفرد للعبارات التى تقيس الإتجاه. أو رد فعل الفرد لموقف إسقاطى معين **Projective technique** أو تكملة جمل.

وعادة ما يتضمن مفهوم الإتجاه:

(أ) وجود موضوع ينصب عليه الإتجاه. **Object**

(ب) الاتجاه يحمل حكما أو قيمة. **Evalucative**

(ج) الاتجاهات ثابتة نسبيا. **Enduring**

(د) قابلية العقل أو السلوك. **Predisposition**

فإذا قلت "*أنا أوافق وزير التعليم فى أى شئ يفعله لتطوير التعليم*، هذه القاضية تعكس إتجاها.

* فى أنها تعبر عن تقييم (اوافق).
* كما أن لها موضوع محدد هو (وزير التعليم).
* وهى ثابتة نسبيا على الأقل خلال هذا العام ١٩٩٤/١٩٩٥.
* كما أنه من الممكن التنبؤ بالسلوك فى أى موقف يظهر فيه وزير التعليم متحدثا عن تطوير التعليم.

وجدير بالذكر أنه كلما كان موضوع الإتجاه أكثر تخصيصا كلما كان الإتجاه قابلا للتغيير.

وقد ذكر "زايد بن عجيز الحارثى- ١٩٩٢" ان أهم محكات التعريف الجيد للاتجاه هو القابلية للاختيار. والإقتصادية فى التعبير، والإستكشافية المثيرة، والعلاقة بين المفاهيم الإفتراضية والتعميم ويرى بأن الإتجاه، هو استعداد أو تهيؤ عصبى خفى، متعلم منظم حول الخبرة للإستجابة بإنتظام بطريقة محببة أو غير محببة (٣).

لماذا انتشر مصطلح الإتجاه؟

أخذ مصطلح الإتجاه فى الإنتشار منذ بداية القرن العشرين. ويجع هذا الإنتشار فى إستخدام المصطلح إلى:

١-أن هذا الإصطلاح لا ينتمى إلى أى من المدارس السيكولوجية التى يسود بينها النزاع (السلوكية والتحليل النفسى).

٢-يساعد الأخذ بهذا الإصطلاح على تجنب مواجهة مشاكل الوراثة والبيئة.

٣-لهذا الإصطلاح قدر من المرونة بإستخدامه على نطاق الفرد ونطاق الجماعة،مما جعله نقطة إلتقاء بين علماء النفس وعلماء الإجتماع تتيح بينهم المناقشة والتعاون فى البحث.

وإذا كان إهتمام علم النفس عامة وكتابنا هذا على وجه الخصوص ينصب على دراسة علاقة الفرد بالبيئة الإجتماعية المحيطة به، فإن الإتجاهات تمثل لب هذه العلاقة، لأنها هى التى تنظم إستجابات الفرد نحو البيئة، وتسهل تفاعله الإجتماعى مع الآخرين وتيسر سبل التوافق (عملية الإستسهال فى التفاعل) من خلال تكوين الصورة الإدراكية (رمز) للفرد أو الشئ الذى سوف يتفاعل معه. ولذا يقال بأن دراسة الإتجاهات النفسية هو الموضوع الرئيسى فى علم النفس الإجتماعى.

مكونات الإتجاه النفسى الإجتماعى: Components of Attitudes

يمكن عرضها على النحو التالى:

(١)المكون المعرفى Cognitive component

ويشير المكون المعرفى للإتجاه إلى الإعتقادات والإدراكات والمعلومات التى لدى الفرد عن موضوع الإتجاه (سواء صادقة أو متناقضة)، حيث أن بعض الإعتقادات فى حياتنا اليومية لا تقوم أساسا على الحقائق أو الملاحظات الموضوعية. بل أحيانا يوجد لدى الفرد إعتقادان متناقضان عن موضوع واحد أو جماعة واحدة.

مثلا "أكبر منك بيوم بيفهم احسن بسنه"

وقول آخر "اللى يعيش ياما يشوف واللى يمشى يشوف أكثر".

(٢) المكون الوجدانى Afective component

ويشير هذا المكون إلى المشاعر الانفعالية، مثل حب أو كراهية موضوع الاتجاه، كما تتضمن المشاعر الايجابية دائما، الاحترام والحب والتعاطف. أما المشاعر السلبية فتشير إلى الدونية والحقد والكراهية والاشمئزاز.

ويعتبر المكون الوجدانى من أكثر المكونات أهمية بالنسبة للإتجاه.

(٣) المكون الإرادى أو النزوعى Behavioral Component

ويشير هذا المكون إلى خطة سلوك الفرد نحو موضوع الاتجاه، أى يشير هذا العامل إلى الطريقة التى سوف يعامل بها موضوع الإتجاه فى موقف اجتماعى معين. أى يؤكد هذا

المكون النزوعى كيف يستجيب الفرد لموضوع الاتجاه أى هل سوف يعطى صوتـــه لـــهذا الفرد فى الانتخابات أم لا؟

مثال: لتوضيح مكونات أو عناصر الإتجاه:

أنت تحب البيتزا، مجرد التفكير فى واحدة ساخنة ذات فقاعات وتفوح منـــها رائحـــة الجبن والتوابل يجعلك تبتسم. كما أن لديك ايضا عدة أفكار عنها وعن سبب حبك الجم لها. فأنت تعرف أنها ذات مذاق طيب ومنعشة حقا، ومشبعة وفى نفس الوقـــت غـــير مكلفـــة. وباختصار فإن تمثيلك العقلى للبيتزا (اتجاهك نحوها) يتضمن كل من المشاعر (مكـــون أو عنصر أنفعالى) وصور وأشكال متنوعة للمعرفة (مكون أو عنصر معرفى). أى من هذيـــن العنصرين أو المكونين يكون له تأثير أقوى على سلوكك ومتنبئا أفضل به؟ من المحتمل أن تكون مشاعرك.

إن هذا المثال يساعدنا على توضيح نقطة أساسية هامة أخـــرى عـــن العلاقـــة بيـــن الاتجاهات والسلوك: فالمكونات المتنوعة للاتجاهات لا تكون دائما ثابتة ومتوافقة للغايـــة (فمثلا قد يكون المكون الانفعالى إيجابيا ــ أنت تحب : فى حين يكون المكون المعرفى غير ملائم جدا وليس فى صالحك ــ لديك شكوك بشأن مستقبل العلاقة). وعندما يكـــون هـــذان المكونان ثابتين ومتوافقين، فإن أحدهما قد يرتبط بأشكال السلوك الخاصة بشدة أكثر مـــن الآخر (٤:٩-١٠).

ويرى كيتز وستوتلاند ١٩٥٩ **Katz and Stotland** (٥)، إن مكونـــــات الاتجـــاه ترتبط كل منها بالأخرى. بمعنى أن هناك اتجاه عام نحو ترابط المكونات الثلاثة للإتجاه وأن عدم وجود التجانس بينهما سوف يسبب قلقا وشعور بعدم الراحة لصاحب الاتجاه ويطلـــق على الإنسجام بين الاتجاهات المختلفة للشخص الواحد لفظة "نظام اتجاهات الفرد" وأن عدم وجود هذا الانسجام يؤدى إلى شعور الفرد بعدم الراحة والقلق من وجهـــة نظـــر (هـــابر وزملاءه ــ ١٩٧٥) ولذلك فهم يرون أن الفرد يشعر ببعض الضغوط لتغيير الاتجاهات الغير منسجمة مع نظام الاتجاه العام وذلك لتحقيق الانسجام داخل هذا النظام(٦).

تصنيف الاتجاهات النفسية الاجتماعية

تصنيف الاتجاهات النفسية الاجتماعية على أساس:

أولاً : الموضوع:

(١) **اتجاه عام:** فالشخص الذى يتبنى اتجاها عاما نحو "احترام السلطة مثلا" نجده يعمم هذا الاتجاه فيحترم سلطة الوالدين، وسلطة الدين، والسلطة السياسية.. وهكذا وهو أكـــثر ثباتا واستقرارا من الاتجاه النوعى (الخاص).

(٢) **اتجاه نوعى** (خاص): وهو الإتجاه الذى يكون محدودا نحو موضوع نوعى محدد. وهو أقل ثباتا واستقرارا من الاتجاه العام.

ثانياً : الشيوع:

(١) إتجاد **جمعى:** ذلك الذى يوجد عند كثير من الناس فى مجتمع معين، مثل اتجاه العرب نحو القومية العربية واتجاه العرب نحو حكومة الليكود باسرائيل.

(٢) اتجاه **فردى:** مثال له، إعجابك بصديق أو شخص معين..

ثالثا: الموضوح:

(١) اتجاه **علنى:** الاتجاه الذى يعلنه الفرد ويجهر به ويعبر عنه سـلوكيا دون حـرج أو خوف.

(٢) إتجاه **سرى:** لا يستطيع الفرد أن يعبر عنه علانية، كما هو الحال فى الاتجاهات نحـو التنظيمات المحظورة.

رابعا: (الشدة):

(١) **قوى:** فالفرد الذى يملك اتجاها قويا نحو "الرذيلة" مثلا نجده يثور وينفعل وقد يتصرف بشكل عنيف إذا رأى سلوكا منحرفا. والإتجاه القوى أكثر ثباتا واسـتمرارا ويصعـب تغييرد نسبيا مثل الاتجاه نحو المغتصبون لفتاة العتبة بمدينة القاهرة، أو الإتجاه نحـو التدخل الأمريكى فى الشئون الداخلية عند محاكمة سعد الدين إبراهيم رئيس مركز ابن خلدون وصاحب الجنسية المزدوجة المصرية ـ الأمريكية.

(٢) **ضعيف:** أما إذا كان يملك اتجاها ضعيفا، فإنه قد يستنكر الموقف، ولكنه لا يثـور أو ينفعل. والاتجاه الضعيف يسهل تغييرد أو تعديله.

خامساً: الوجهة:

(١) **إيجابى:** القبول أو الموافقة على موضوع الإتجاه كمن يوافق على خـروج المـرأة لميدان العمل فهو يحمل اتجاها ايجابيا نحو موضوع عمل المرأة.

(٢) **سلبى:** أما إذا كان من المعارضين فهو بذلك يتبنى اتجاها سلبيا نحو عمل المرأة.

تصنيف										
الاتجاهات	الموضوع	عام	الشيوع	جماعى	الوضوح	علنى	الشدة	قوى	الوجهة	موجب
النفسية	(١)	(أ)	(٢)	(أ)	(٣)	(١)	(٤)	(أ)	(٥)	(أ)
الاجتماعية		خاص		فردى		سرى		ضعيف		سالب
		(ب)		(ب)		(ب)		(ب)		(ب)

أسس تصنيف الاتجاهات النفسية الاجتماعية

خصائص الاتجاهات النفسية الاجتماعية

تتلخص أهم خصائص الاتجاهات النفسية الاجتماعية فيما يلى:

١- إن الإتجاه النفسى مكتسب وليس وراثى ولادى أى يكتسبه الفرد خلال حياته، نتيجة لما يتعرض له من خبرات عديدة.

٢- الاتجاهات تتكون وترتبط بمثيرات ومواقف اجتماعية، ويشترك عدد من الأفراد أو الجماعات فيها.

٣- الاتجاهات لا تتكون فى فراغ ولكنها تتضمن دائما علاقة بين فرد وموضوع من موضوعات البيئة.

٤- الاتجاهات تتعدد وتختلف حسب المثيرات التى ترتبط بها.

٥- الاتجاهات توضح وجود علاقة بين الفرد وموضوع الاتجاه.

٦- يتضمن عنصرا انفعاليا يعبر عن تقييم الفرد ومدى حبه أو استجابته الانفعالية لموضوع الاتجاه.

٧- يتضمن عنصرا عقليا يعبر عن معتقدات الفرد أو معرفته العقلية عن موضوع الاتجاه.

٨- يتضمن عنصرا سلوكيا يعبر عن سلوك الفرد الظاهر الموجه نحو موضوع الاتجاه.

٩- نتاجا للخبرة السابقة، وترتبط بالسلوك الحاضر، وتشير إلى السلوك فى المستقبل.

١٠- الاتجاه يتمثل فيما بين استجابات الفرد للمثيرات الاجتماعية من اتساق واتفاق يسمح بالتنبؤ باستجابة الفرد لبعض المثيرات الاجتماعية المعينة.

١١- إنه دينامى، بمعنى أنه قابل للتغيير، وإن يكن ذلك ممكنا بجهد مقصود ويستغرق فترة طويلة.

١٢- إنه ليس عابرا، أو عارضا، وإنما يتصف بالثبات النسبى، فهو يستقر ويستمر. بعد أن يتكون.

١٣- ومن الصفات التى يمكن أن تصنف من خلالها الاتجاهات ما يأتى:

التطرف والمحتوى والوضوح والانعزال والقوة **أما التطرف** فيقصد به بعد الاتجاه من الايجابية والسلبية أو درجة قربه من التطرف الايجابى وبعده عن السلبى أو العكس. فقد يكون الفرد مؤيدا تمام التأييد لموضوع ما ومعارضا كل المعارضة لموضوع آخر ومحايدا بالنسبة لموضوع ثالث. **أما مضمون الاتجاه** أو محتواه المعرفى فيقصد به درجة إيضاح معناه عند الفرد صاحب الاتجاه. **أما وضوح الاتجاه** فمن الاتجاهات ما هو واضح ومحدد المعالم ومنها ما هو مائع وغامض. **أما الإنعزال** فإن الإتجاهات تنقسم من حيث درجة ترابطها وتكاملها إلى اتجاهات منعزلة وسطحية كإتجاه الفرد نحو إحدى السلع الاستهلاكية. وإلى اتجاهات مركزية متوسطة مثل اتجاه الفرد نحو الدين. **أما من حيث القوة** فإن من الاتجاهات ما يبقى قويا على مر الزمن رغم ما يقابل الفرد من مؤثرات تعمل على تعديل الاتجاه. ومنها ما يكون ضعيفا ولذا يكون قابلا للتعديل والتغيير بفعل أية مؤثرات.

وظائف الاتجاهات النفسية الاجتماعية

أوجز العلماء الوظائف الأساسية للإتجاهات النفسية بالنقاط التسع التالية:

١-الاتجاه ينظم العمليات الدافعية والانفعالية والإدراكية والمعرفية حول بعض النواحى الموجودة فى المجال الذي يعيش فيه الفرد.

٢-الإتجاه يوجه استجابات الفرد للأشخاص والأشياء والموضوعات بطريقة شبه ثابتة.

٣-الاتجاهات تبلور وتوضح صورة العلاقة بين الفرد وبين عالمه الاجتماعى.

٤-الاتجاهات تيسر للفرد القدرة على السلوك واتخاذ القرارات فى المواقف النفسية المتعددة فى شئ من الاتساق والتوحيد دون تردد أو تفكير فى كل موقف فى كل مرة تفكيرا مستقلا.

٥-الاتجاهات المعلنة تعبر عن إنصياع الفرد لما يسود مجتمعه من معايير وقيم ومعتقدات.

٦-الاتجاه يحمل الفرد على أن يحس ويدرك ويفكر بطريقة محددة إزاء موضوعات البيئة الخارجية (١٣٦:٧).

٧-الاتجاهات تحدد الإطار المرجعى للفرد والجماعات المرجعية التى يهتدى الأفراد بهديها.

٨-تقع دائما بين طرفين متقابلين أحدهما موجب (القبول التام) والآخر سالب (الرفض التام).

٩-استخدمه من قبل علماء السياسة، وذلك من خلال دراستهم لموضوع الرأى العام بإعتباره تلخيصا لمختلف الاتجاهات السائدة بين أفراد المجتمع(٨).

صور الإفادة العملية من دراسة الاتجاهات النفسية

قد يكونها الفرد لتبرير فشله أو عدم قدرته على تحقيق أهدافه، فقد يكون إتجاها سلبيا نحو المنهج أو المدرس لتبرير فشله فى التحصيل الذى يرغب فيه.

تفيد معرفة الاتجاهات النفسية للأفراد والجماعات فى كثير من المجالات العملية ففى

*** المجال التربوى**

١-تفيد معرفة اتجاهات الطلاب نحو المواد الدراسية المختلفة، أو نحو زملائه، أو نحو مدرسيهم، أو نحو نظم التعليم وأنواعه، أو نحو طرق التدريس أو المنهج الدراسى.. أو الكتاب المدرسى.. الخ.

٢-تفيد معرفة اتجاهات الطلاب نحو كل ذلك إفادة بالغة فى تطوير العملية التعليمية. وقد تبين فى بعض الدراسات أن المدرسين الذين يتبنون اتجاهات ايجابية فى العملية التعليمية بشكل عام، ونحو تلاميذهم بشكل خاص، يؤدون مهامهم بصورة أكفأ من المدرسين الذين يتبنون اتجاهات سلبية نحو العملية التعليمية(٩).

*** المجال الصناعى**

٣-تفيد معرفة اتجاهات العمال (فى الميدان الصناعى) نحو (عملهم، رؤسائهم، نظم الإدارة) فى تحقيق مزيد من الرضى لهم، وتكيفهم الأمر الذى يؤدى إلى زيادة الانتاج.

ورفع مستواه، وخفض معدل وقوع حوادث العمل، وكذلك تقليل نسب تغيب العمال أو تمارضهم..الخ.

* **الظواهر المرضية البيئية**

٤-تفيد دراسة الاتجاهات فى مجالات أخرى عديدة، منها الاتجاه نحو الظواهر المرضية البيئية كالادمان والتطرف والعنف والارهاب وتلوث البيئة والقيم المهزوزة.

* **الاعلان والتسوق**

٥-كذلك تفيد دراسة الاتجاهات فى مجال الاعلان والتسويق.

المظاهر الوظيفية للاتجاهات عند كاتز

يحدد العالم (دانيال كاتز ـــ١٩٦٠ Danial Katz) أربع وظائف للإتجاهات:

١-التلاؤمية النفعية:

وقد بداها النفعيون أمثال (جرمى بنتام) وعبرت عنها (السلوكية الحديثة) وترى أن الناس يسعون فى الحياه بدافع الاثابة من البيئة.

٢-الدفاع عن الأنا:

وقد كانت هذه النظرية منطلق (فرويد واصحاب الإتجاد التحليلى) فى القديم والحديث. فعملية الإنكار عملية هروبية لا شعورية لحماية الفرد والتعصب (إتجاه نفسى) يؤكد دفاع الفرد عن ذاته وإحتفاظه بشعور التعالى على الآخرين.

٣-التعبير عن الذات والقيم:

يعتبر (كارل روجز وإبراهام ماسلو) من أبرز من يرى بأن "الإتجاه" تنفيس إيجابى للتعبير عن الذات والثواب هنا ليس رضاء الآخرين أو رضاء المجتمع بل (تأكيد الصفات الإيجابية عن فكرة الإنسان عن نفسه) وذاته.

٤-الوظيفة المعرفية:

ويؤكد الوظيفة المعرفية أصحاب (الإتجاه الجشتالى) وهى تقوم على حاجة الفرد لرؤية دنياه فى شكل بنيان كلى منتظم وشامل. فالسعى وراء معانى الأشياء والحاجة والفهم، والشعور بالإطراء والنزعة إلى تحسيس الإدراك والمعتقدات لوضوح الرؤيا أمام الفرد، كلها تؤكد الوظيفة المعرفية (١٠:١٦٨).

تكوين الإتجاه

تتكون الإتجاهات عن طريق عدد من عوامل فى مقدمتها:

١-الأثـــر:

إذا كان الإتجاه تنظيما مكتسبا ينظم إستجابات الفرد نحو مثيرات البيئة، فإن الفرد يكتسب هذا التنظيم عن طريق التعلم، ويخضع هذا الإكتساب لقوانين التعلم وإنتقال أثر التدريب فإتجاهاتنا مرتبطة بالأثر الذى نحسه عندما نحتك بهذه الموضوعات. فإذا كان الأثر سارا، نحوه إتجاها إيجابيا. وقد أثبت العلماء بالتجارب أن الأطفال يكونون إتجاهات إيجابية أو سلبية نحو الموضوعات المختلفة حسب الأثر الذى يرتبط بهذه الموضوعات، بل أن أثر

الخبرات الساره يعمم وينسحب على كل المثيرات المصاحبة او المقترنه بالموضوع السار، والعكس صحيح حيث ينسحب أثر الخبرات غير الساره على المثيرات المصاحبة أو المقترنة بالموضوع غير السار، وبالتالى يمكن أن تتكون إتجاهات إيجابية نحو النادى والسينما والمسرح نتيجة الأثر السار الذى خبروه عند تعاملهم مع هذه الموضوعات بينما يكونون إتجاهات سلبية نحو الروضة والمدرسة ونحو المستشفى إذا صادفوا أثرا سيئا فى تعاملهم مع هذه المؤسسات.

٢-المعنى:

فعلى أساس المعنى الذى يستقر فى أذهاننا عن الموضوعات مثل الإرهاب - إدمان المخدرات - الإيدز - تلوث البيئة - تنظيم النسل - العلم - السلام مع إسرائيل - حرب الخليج - التعصب الكروى - عبادة الشيطان - إتفاقية الجات - العولمة - السوق العربية المشتركة - انتخابات اتحاد الطلبة - انتخابات مجلس الشعب - "تبدأ فى تكوين الإتجاه نحو الموضوع لأننا نحن الذين نعطيه صفات السلب أو الإيجاب عندما نكون نحوه إتجاها ما. ويتكون هذا الإتجاه حسب ما يستقر لدينا عن هذا الموضوع من معان. فإذا درسنا للأطفال أن العلم مفيد وأنه يخدم البشرية. وأنه سبيلها إلى التقدم، فسيكونون إتجاها إيجابيا نحو العلم، أما إذا قلنا أن العلم أفسد الفطرة، وأنه السبب وراء تعقد الحياة، وأنه وراء تطور ادوات القتل والدمار فى الحروب، مالوا إلى تكوين إتجاه سلبى إزاءه، وهكذا دواليك نحو أى موضوع.

٣-التقليد والمحاكاة والبحث عن الأمن:

ويظهر أثر هذه العوامل بصورة واضحة فى تعلم الأطفال للإتجاهات داخل الأسرة فكثير من إتجاهات الأبناء هى إتجاهات الأباء اكتسبوها عن طريق التقليد والمحاكاة. ففى دراسة لعينة قومية من طلبة السنوات النهائية بالمدارس الثانوية، وجد أن ٧٦% من الطلبة يفضلون نفس الحزب السياسى الذى يفضله والديهم "جينجز نيمى Jenning and Niwmi" (١١) وتقدم نظريات التعلم الإجتماعى تفسيرا لبعض الطرق التى بها تتكون الإتجاهات نحو البيئة وفقا لنظرية "باندورا - ١٩٧٤ Bandura-" ،إذا لاحظنا شخصا آخر (نموذج) يسلك بطريقة معينة، فربما نقلد ذلك السلوك، وإذا لاحظنا أن النموذج يلقى إثابة على سلوكه، أو إذا تلقينا نحن إثابة على تقليد ذلك السلوك، فمن المحتمل كثيرا أن نكرر ذلك السلوك. والعكس صحيح فى حالة العقاب، فمثلا إذا لاحظ طفل أن والده لا يهتم بنظافة الشوارع والطرقات، أو لا يهتم بالمحافظ على الماء والكهرباء فى المنزل (ترشيد الإستهلاك) فإنه قد يقلد هذا النموذج السلوكى الملاحظ (١٢) أن الأطفال كثيرا ما يسمعون والديهم يقولان أشياء لا يقصد بها ان تسمعها آذانهم، أو يلاحظون والديهم يشتركان فى أفعال يامرهم والديهم ألا يفعلاها. فمثلا، الأب الذى قد يحذر إبنه من التدخين حتى عندما يشعل سيجارة او بايب. وبالمثل قد تترك الأم غرفتها ملخبطة حتى عندما تحث إبنها على أن يكون منتظما وعلى أن ينظف غرفته. والرسالة التى يأخذها الأطفال من هذه الأمثلة؟

الدليل واضح: أنهم ينبغى أن يفعلوا كما يفعل والديهم وليس كما يقولان. وباختصار فــإن الاتجاهات غالبا ما تكتسب من خلال العمليات التى تسمح للأفراد (وخاصة الأطفال) بتعلــم ردود أفعال من الآخرين: وهكذا قد تنتقل الاتجاهات بشكل اجتماعى من شخص أو جيل إلى آخر.

ولقد أثبتت دراسات "هورتيز E, Harouitz" أن كرة الأمريكى للزنــوج يرجــع فــى جوهره إلى أثر الأسرة فى تنشئة وتحديد الإتجاه الذى ينصب علــى التفرقــة العنصريــة والتعصب ضد الملونين. إلا أن دراسة "هيس وترونـــىHess & torney" أوضحــت أن العلاقة بين اتجاهات الابناء واتجاهات الآباء تنقص وتقل مع تزايد سن الأبناء فقد وجدا أن التشابه بين اتجاهات الأبناء نحو حزب سياسى معين كان ٨٠% حين كان الأبناء فى ســن المدرسة الإبتدائية، ثم نقص حتــى وصــل إلــى ٥٠ ــ ٦٠% لــدى الأبنــاء فــى ســن الجامعة(١٣). وهنا يكون التأثر فى مرحلة الشباب على وجــه الخصــوص باصدقانــهم. وتحاول (ميدلبروك Middlebrook) تفسير ذلك فتقول: إنهم يمرون كلهم بنفس مرحلــة البحث عن الهوية، وهذا يجعلهم يشعرون أكثر بقرب كل منهم إلــى الآخــر. لمواجهتــهم مشاكل مشابهة تجعلهم يتعاطفون بعضهم مع البعض. كل هذا يجعلهم يتحدثون سويا فيمــا بينهم وكثيرا ما يتطرق هذا الحديث إلى أشياء شخصية عميقة، وكلما ازدادت العلاقة عمقـا وقويت الصداقة تأثر كل منهم فى طريقة تفكيرد وسلوكه وفى تكوينهم للإتجاهــات نحــو أنفسهم ونحو الأشياء والموضوعات والناس من حولهم.

٤ ــ التوحد، التقمص : Ldentification

إن تبنى الإبن لاتجاهات والده هى نتيجة من نتائج توحد الإبن بــالوالد ســواء كــان توحده هذا اعجابا به أو خوفا منه أو رغبة فى الحصول علــى مكاســب (رضــاء الوالــد وعطفه) ويتضح ذلك من سلوك الأطفال الذين ينسخون سلوك واتجاهات والديهم النفسية أو غيرهم. ويختلف التقمص ــ التوحد عن الرضوخ أو الإذعان فى أن المتقمص يعتقد فعلا فى الاتجاهات والتصرفات التى يسلكها نتيجة التقمص. ويعرف فرويد التقمص بأنــه عمليــة نفسية يتمثل فيها الفرد مظهرا من مظاهر الآخر أو خاصة مــن خواصــه أو صفــة مــن صفاته(١٧٠-١٣).

٥ ــ المطاوعة، الإذعان : Compliance

وتحدث المطاوعة عندما يقبل الفرد التأثيرات المختلفة من الأفراد الآخرين أو الجماعة، ذلك لأنه يتوقع أن يحصل على رد فعل محبب عليه من الآخرين، فقد يؤيد الإنسان رايــا لا يؤمن به، لكنه يفعل ذلك للحصول على الإثابة، أو لتجنب العقاب, وعلى سبيل المثال عندما يدرك الطفل الأمريكى الأبيض أن كراهيته للزنوج تجنبه العقاب من أسرته وتؤهله للحصول على إثابة فإنه يفعل ذلك ويؤيده.

٦ – الثقافة:

إن وجود إطار ثقافى عام فى أى مجتمع من المجتمعات لا يعنى أن أفـــراد المجتمـــع الواحد تتشابه شخصياتهم كما تتشابه نسخ الكتاب المطبوع. ويرجع ذلك فى المقـــام الأول إلى وجود عدد من المنظمات الاجتماعية الفرعية داخل المجتمع تمارس تأثيرهـــا عليـــهم وتكون اتجاهاتهم بالصورة التى تراها ملائمة لقيمها ومن البيئات الفرعية داخل المجتمـــع الواحد "البيئة الريفية ــ البيئة الحضرية" ــ بيئة الزنوج (السود ــ بيئة البيـــض) البيئـــة الساحلية ــ البيئة الفقيرة ــ البيئة الغنية .. وهكذا فالأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية يتعلمون اتجاه كراهية الزنوج على أساس أن هذه الكراهية تمثل نمطا ثقافيا شـــائعا فـــى مجتمعهم وأبناء الريف والصعيد المصرى، يكونون اتجاها سالبا نحو بينات البندر. ويترتب على ما سبق أن لكل ثقافة شخصية أساسية مرجعية تعكس صورة القيم السائدة أو الصيغة النفسية للحياة الاجتماعية والثقافية، كما يمكن أن نلاحظ وجود شخصيات مرجعية ثقافيـــة لكل ثقافة فرعية أو مجتمع فرعى فى إطار المجتمع الكبير.

٧ – الشخصية:

إن الشخصية كالبنيان تبنى طبقة فوق طبقة وترتكز طبقاتها العليـــا علـــى طبقاتـــها السفلى، وهذا دليل قاطع على اهمية المنشئون والجماعات المرجعيـــة والأطـــر المرجعيـــة الاجتماعية على تكوين نمط الشخصية والتى لها أثرها الكبير فيما يمكن أن يتخذد الفرد من اتجاهات نحو الناس والأشياء والموضوعات من حوله. كذلك فإن العوامل الشخصية تعمـــل أحيانا كعامل انتقائى تجعل الفرد يتبنى اتجاهات معينة ويرفض اتجاهات أخرى منذ البدايـــة. وتثبت البحوث التى تمت حول نمط الشخصية أن هذا النمط يجعل الفرد يختـــار مـــن بيـــن المتاح له من الاتجاهات تلك التى تتفق مع نمط الشخصية وبنيتها. "فالشخصية الوسواسية" تتبنى اتجاهات الادخار والنظام والعناد وتتبنى "الشخصية المدردحـــة" اتجاهـــات الفـــهلوة وحسن التصرف والطفيلية والانتهازية.

تأمل اتجاهين من اتجاهاتك. هب ــ مثلا ــ أنك تحب المخللات فى الفول المدمس الذى تتناوله (اتجاه خاص) وأنك تعارض التمييز العنصرى (اتجاه عام). أى اتجاه سيرتبط بشدة أكثر بسلوكك الفعلى. من المحتمل أنك لن تنتهز كل فرصة للعمـــل مـــن أجـــل المســـاواة العنصرية ــ فأنت لا تشترك فى كل مظاهرة أو توقع على كل التماس أو تسعى فعلا لاحباط كل حالة تمييز أو تفرقة فى العمل أو فى الكلية أو فى المدرسة. وهذا يترجم إلـــى علاقـــة ضعيفة نسبيا بين اتجاهك وسلوكك: لا يمكن التنبؤ بأفعالك وتصرفاتك بدقة كبيرة من آرائك عن التفرقة العنصرية. وعلى العكس من ذلك، إذا كنت تحب المخللات، فمن المحتمل أنـــك ستتطلبها فى كل مرة تتناول فيها الفول المدمس تقريبا. وهنا يكون سلوكك متوافقا حقا مع اتجاهك. فرغم أنك من المحتمل أن تقول أن المساواة العنصرية أكـــثر أهميـــة لـــك مـــن المخللات، إلا أن الإرتباط بين اتجاهاتك وسلوكك يكون أقوى فيما يتعلق بالأخيرة .. أى فيما يتعلق بالاتجاه الخاص أكثر منه بالاتجاه العام.

وقد ركزت نسبة كبيرة من أبحاث الاتجاهات على الاتجاهات العامة مثل الاتجاهات المتعلقة بالدين أو السياسة أو الجماعات الاجتماعية المختلفة وذلك لأن هذه الأراء تعتبر أهم الآراء. على أن هذا التأكيد على الاتجاهات العامة ـ كما لاحظ أجزين Ajzen وفيشباين Fishbein(١٩٧٧) ربما كان مسئولا ـ جزئيا ـ عن الارتباط الضعيف نسبيا بين الاتجاهات والسلوك والذى لاحظه ويكر (١٩٦٩). وفوق ذلك، لماذا ينبغى أن تكون الاتجاهات العامة ناجحة فى التنبؤ بالسلوكيات الخاصة بدرجة عالية من اليقين. من المحتمل أن يكون هذا الارتباط ضعيفا فى أفضل الاحوال. ربما يساعد مثال آخر على توضيح هذه النقطة.

تأمل إمرأة تعتنق ما تعتقد أنه أراء اجتماعية حرة. فهى تؤيد برامج الحكومة لمساعدة الناس الذين تصفهم بأنهم "محرومين وغير مميزين" وتعارض عقاب المجرمين وتوافق على تقديم معونة إضافية للتعليم. ويطلب منها الآن أن تصوت على زيادة فى الضرائب؛ إذا مر الاجراء فإن المبالغ التى تدفعها فى الدخل والمبيعات والملكية ستزداد جميعا بحدة. فماذا تفعل؟ إذا كانت مثل الكثيرين من الناس، فإنها تعطى صوتها بالرفض. فهل هى منافقة؟ ليس بالضرورة. فالموضوع فقط هو أن اتجاهاتها الخاصة ـ مشاعرها الموجبة نحو السيارة الجديدة التى تريد أن تشتريها، وأرائها السلبية عن الفاقد فى حكومتها المحلية ـ ترتبط بسلوكها بشدة أكثر من اتجاهاتها الأكثر عمومية. ومن ثم فإن الارتباط بين الاتجاهات والسلوك يكون كبيرا حقا بشرط أن نختار، أن نركز على الاتجاهات الخاصة الضيقة نسبيا أكثر من الاتجاهات الأكثر عمومية.

٨ - **الخبرة المباشرة:**

إكتساب الاتجاهات من الحياة، يتم اكتساب الاتجاه أيضا من خلال أو نتيجة للخبرة الشخصية المباشرة فمثلا كيف تعرف أنك تحب أو لا تحب الأطعمة المختلفة؟ ربما لأنك تذوقتها. وبالمثل كيف تعرف أنك تحب أو لا تحب أنواع الموسيقى المختلفة؟ مرة أخرى لأنك سمعتها وأكتشفت أنك وجدتها لطيفة أو غير لطيفة. وبالطبع لا تكون الحالة كذلك دائما. فقد يفترض الناس أحيانا أنهم سيستجيبون بشكل سلبى للخبرات العديدة ومن ثم يتجنبون الحصول عليها فعلا. وقد يكون هذا وقد لا يكون صحيحا، ولكن هذا الأمر لا يعنى. فهم لن يمروا أبدا بخبرات تسمح لهم بأن يحددوا ردود أفعالهم وأستجاباتهم الفعلية.

ومن الجدير بالاهتمام ان نتائج الأبحاث تدل على ان الاتجاهات التى تتكون من خلال الخبرة المباشرة بموضوعات الاتجاهات تكون أكثر قوة ـ فى بعض النواحى ـ من نوع الاتجاهات "المتوقعة" أو الاتجاهات المستعارة من الاخرين (أى من خلال الخبرة الغير مباشرة). فمثلا اتضح أن الأفراد الذين يكونوا اتجاهات نحو موضوع ما من خلال الخبرة المباشرة به يجيبون عندما يطلب منهم أن يعبروا عن ردود أفعالهم نحو هذا الموضوع بسرعة أكبر من الأفراد الذين يكونون هذه الاتجاهات بشكل غير مباشر. إن الاستجابات السريعة من هذا النوع عادة ما تفسر بأنها علامة على قوة الاتجاهات. وبالمثل فإن

الاتجاهات التى تنشأ من الخبرة المباشرة تعتنق أيضا بثقة أكبر وتكون أكثر مقاومة للتغير من الاتجاهات التى تتكون من خلال الخبرة غير المباشرة.

بعض المفاهيم المتصلة بالاتجاه النفسي الاجتماعي

أولاً: الاتجاه والقيمة:

يختلف الاتجاه عن القيمة Value والتى هى أكثر اتساعا وأكثر تجريدا. فالقيم ينقصها شيئا محددا تنصب عليه. وهذا هو جوهر الاتجاه أى ارتباطه بموضوع محدد. فالخدمة الاجتماعية أو الخير والجمال، كلها قيم للفرد تعمل كمستويات مجردة لاتخاذ القرار والتى عن طريقها ينمى الفرد اتجاهاته. فإتجاه الفرد نحو مبنى ضخم جميل، قد يتاثر بالدرجة التى توجد بها قيمة الجمال عند هذا الفرد. فإذا كان الجمال قيمة قوية، كان صعود عشرة درجات للسلم فى مدخل هذا المبنى لا تؤثر فى اتجاهه الإيجابى نحو هذا المبنى. فعلى المستوى الوصفى نجد أن الفرق بين القيم والاتجاهات هو الفرق بين العام والخاص حيث تقف القيم بمثابة المحددات لاتجاهات الفرد فهى تجريدات وتعميمات تتضح من خلال تعبير الافراد عن اتجاهاتهم نحو موضوعات معينة.

ويؤكد (روكيتش Rokeach ــ ١٩٦٨) أن الاتجاهات والمعتقدات تتعدد حتى تصل إلى آلاف بينما القيم فلا تتجاوز العشرات. والقيم تتخذ تسلسلا هرميا يختلف اتجاهه وأولوياته من شخص لآخر. والقيم هى (النواة) اما الإتجاهات فتتجمع حولها لتوجيه السلوك على مدى طويل نحو هدف له جاذبية خاصة. والإتجاهات اكثر عرضة للتغير السريع بينما القيم أشد ثباتا. ويرى (توماس) أن "الإتجاه النفسى هو موقف الفرد تجاه إحدى القيم أو المعايير السائدة فى البيئة الاجتماعية" فموقف الفرد من قيمة الصدق أو الأمانة هو إتجاه وموقفه من معيار الحلال والحرام هو اتجاه نفسى كذلك والقيم تتميز عن الاتجاهات بأنها غايات نهائية وليست وسيلية، كالعديد من الاتجاهات.

ثانياً: الاتجاه والمعتقد:

ومفهوم المعتقد أضيق من مفهوم الاتجاه، فهو يعنى مجرد معارف الشخص وتصوراته عن موضوع ما، أو أشخاص بعينهم، فالمعتقد ذو طبيعة معرفية وفكرية أكبر من الاتجاه فالإنسان يعتقد فى نظرية اجتماعية أو نفسية أو مدرسة فنية حيث يدعم اتجاهه نحو هذه النظرية أو المدرسة كمية من المعلومات الفكرية والمعرفية والعقلية وبالتالى فهو يشير إلى مكون واحد من مكونات الاتجاه ولا يتصف بالصفة الانفعالية.

وتنتظيم المعتقدات حول عدة أبعاد لخصها روكيتش فيما ياتى(١٤):

١- البساطة فى مقابل التعقيد أو التركيب.
٢- المركزية فى مقابل الهامشية.
٣- المنطقية ــ فى مقابل غير المنطقية.
٤- الدقيقة ــ فى مقابل الخاطئة.

٥-الراسخة ـ فى مقابل المتغيرة.
٦-المؤكدة ـ فى مقابل غير المؤكدة.

وخلاصة ما سبق أن المعتقدات تتعلق بالجانب المعرفى أو المعلوماتى، بينما ترتبط الاتجاهات بالجانب الوجدانى أو الإنفعالى (١٥:١٩٣-٢٢٥) فعلى الرغم من أن المعتقدات تسهم فى تشكيل وتكوين اتجاهات الفرد، فإنها تنتمى إلى المكون المعرفى بينما تنتمى الاتجاهات إلى المكون الوجدانى فقد يعتقد الفرد فى موضوع ما لم تتكون عنه بعد مشاعر ايجابية أو سلبية، أى أن المعتقدات نحو موضوع ما يمكن أن توجد دون وجود اتجاه نحو هذا الموضوع والعكس ليس صحيح، ويتطلب ذلك منا التعامل مع المفهومين بشكل مستقل عند القياس. فيمكن مثلا أن نقيس معتقدات الشخص حول التدخين بمعزل عن اتجاهاته نحو هذا الموضوع ثم نفحص علاقة كل منهما بالآخر.

أما فيما يتعلق بمفهوم نسق القيم **Belief system** فيقصد به مجموعة من المعتقدات الفردية التى كونها الفرد حول موضوع ما فى ضوء ما مر به من خبرات. وينتظم من خلالها سلوكه سواء بطريقة صريحة أو دون وعى منه بذلك. فنسق المعتقدات حول تدخين السجاير ـ على سبيل المثال ـ يقصد به مجموعة من المعتقدات التى توجد لدى الفرد حول تدخين السجائر فى ضوء ما مر به من خبرات حول هذا الموضوع، والتى ينتظم من خلالها سلوكه(١٦:٣٣).

ثالثا: الإتجاه والميل:

كثيرا ما يخلط الناس بين الاتجاه والميل وذلك للصلة بينهما فالإتجاه والميل يرتبطان ارتباطا وثيقا. ولكن الاتجاه إصطلاح أوسع فى معناه وينطوى تحته الميل. بل كثيرا ما يعرف علماء علم النفس الاجتماعى الميل على أنه اتجاه موجب. فالميلول هى إتجاهات نفسية تجعل الشخص يبحث عن أوجه نشاط أكثر فى ميدان معين، فهى إتجاهات إيجابية نحو مجالات مختارة من البيئة. وكل من الاتجاه والميل عبارة عن وصف لإستعداد الفرد للاستجابة لشئ ما بطريقة معينة(١٧).

رابعا: الاتجاه والرأى:

كثيرا ما يخلط الناس بينهما. ويشير الرأى إلى ما نعتقد أنه صواب وعلى ذلك فهو وسيلة للتعبير اللفظى عن الاتجاه. ويوضح "إيزنك **Eysenck**" العلاقة بين الرأى والاتجاه من حيث أن الرأى هو الوحدة البسيطة، ومن حيث أن الرأى هو الوحدة البسيطة. والاتجاه هو الوحدة الأكثر تركيبا. فالاتجاه فى رأيه ـ عبارة عن عدد من الآراء التى تتدرج على بعد الموافقة والعارضة لموضوع الاتجاه (١٨:١٨٨). ويشير "سعد عبد الرحمن" إلى أن الرأى هو تنظيم خاص للخبرة المعرفية فقط بما فيها من خبرة منقولة غير مباشرة أو خبرة التعامل المباشر بين الفرد والآخرين. فى حين أن الاتجاه النفسى هو تنظيم لما هو أكثر من الخبرة المعرفية (٢٠:٥٢٢-٥٢٣).

خامساً: الاتجاه والسلوك Behavior and Attitude

لقد حاول علماء علم النفس الاجتماعى بيان طبيعة العلاقة بين الاتجاهـات والسـلوك محاولين الاجابة على الأسئلة التالية(١٩:٨-٩):

هل هناك علاقة بين الاتجاه والسلوك؟ وعندما يوجد عند الفرد اتجاه معين هل يمكـن أن تتنبأ بسلوكه فى موقف معين؟ وهل يعتبر سلوك الفرد مؤشرا لوجود إتجاه معين عنده.

إن الافتراض الشائع فى هذا المجال، هو أن الاتجاه نحو الموضوعات يحدد السـلوك الظاهر للفرد فيما يتعلق بهذه الموضوعات. ولعل هذا الافتراض هو الـذى أجـبر بعـض الباحثين على تضمين العامل السلوكى (قابلية السلوك) فى تعريفاتهم المختلفة للاتجاه.

ومن المعروف أن الاتجاهات تؤثر فى السلوك المصاحب لها، أو السلوك المسـتقبلى نحو موضوع الاتجاه، فإذا عرفنا مثلا كيف يشعر الفرد نحو شخص معين، فإننا يمكنا التنبؤ بسلوك هذا الفرد، عندما يظهر أمامه هذا الشخص، أو يظهر حتى مجرد اسم هذا الشـخص فالتنبؤات التى تقوم على مثل هذه المعلومات غالبا ما تكون صحيحة.

لكن العلاقة بين الاتجاه والسلوك ليست على هذه الدرجة مـن البسـاطة والسـذاجة والوضوح، فقد لوحظ فى الولايات المتحدة سنة ١٩٦٨ أن كثيرا مـن المواطنيـن كـانوا متعاطفين أكثر مع المرشح الحزبى جورج والاس (Wallace) ولكن إنتهت الانتخابات بفوز هربرت همفرى (Humphrey) كما لوحظ أن كثيرا من أصحـاب البيـوت البيـض فـى الولايات المتحدة الأمريكية ينكرون تحيزهم العنصرى، لكن تجدهم قلقين عندما تضم أسـرة سوداء بجوارهم(٢٠).

لقد حاولت الدراسات المبكرة فى هذا الصدد

أن تختبر الإفتراض القائل: بأن الاتجاهات تسبب السلوك وأن الاتجاهات اللفظية يمكـن أن تستخدم فى التنبؤ بالسلوك الظاهر.

ولعل أفضل مثال لذلك هو الدراسة القديمة التى قام بها عالم الاجتماع المشهور (لابير Lapiere) والتى توضح عدم الاتساق بين الاتجاه والسلوك.

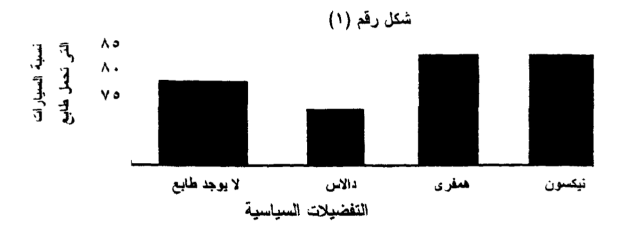
فقد لوحظ فى الثلاثينات من هذا القرن وجود شعور واضح ضد الصينيين فى الولايـات المتحدة الأمريكية ــ وقد اصطحب (لابيير) اثنين من الصينيين فى رحلة بالسيارة قطعـوا فيها عشرة آلاف ميل، وزاروا خلالها معظم مناطق الولايات المتحدة، شـمالها وجنوبـها شرقها وغربها، وقد توقفوا فى رحلتهم فى (٢٥٠) فندق ومطعم يبحثون فيها عن المبيـت أو الأكل. وقد قرروا انهم لقوا معاملة طيبة فى كل الأماكن التى توقفوا فيها، ما عدا مكـان واحد رفض تقديم الخدمة لهم. وقد قام (لابيير) بعد ذلك بكتابة خطاب إلى نفس هذا العـدد من الأماكن التى زاروها، يسألهم فيها قبول أعضـاء صينييـن كضيـوف فـى فنادقـهم ومطاعمهم. وقد أجاب حوالى نصف هذا العدد على الخطاب حيث رفض أكـثر مـن ٩٠% منهم عدم قبول تقديم الخدمة للصينيين من قبل هذا بالرغم من أنهم قـد قبلـوا ضيـوف صينيين من قبل.

وهكذا يبدو أن السلوك الظاهر لأصحاب الفنادق فيما يتعلق بالضيوف الصينيين غير مرتبط إلى حد كبير بإتجاهاتهم اللفظية نحوهم. وقد أيدت دراسات أخرى هذه النتيجة فى أن السلوك الظاهر لمجموعات الأقلية غير مرتبطة باستجابتهم اللفظية نحو هذه المجموعات(٢١).

ففى الدراسة الرائدة التى أجراها (لابيير ــ Lapiere 1934) اتضح انه ليس هناك علاقة بين الاتجاه اللفظى والاتجاه العملى، فى هذه الدراسة قد وجد (لابيير) أيضا (أن العاملين فى الفنادق والمطاعم كثيرا ما يعبرون عن كرم للزنوج عند تطبيق مقاييس الاتجاه عليهم. ولكنهم مع ذلك يستقبلون فى احترام وأدب".

وفى دراسة أخرى أكثر حداثة من دراسة (لابيير) حاول (لورانس روثمان) أن يوضح عدم الاتساق بين االاتجاه اللفظى والسلوك الفعلى. ففى خلال الحملات الانتخابية الأمريكية سنة ١٩٦٨، كان هناك مبدأ مشهورا ينادى به كل من المرشحين الثلاثة (ولاس ــ نيكسون ــ همفرى) وهو مبدأ تأكيد احترام القانون والنظام. وقد كان واضحا أيضا أن المؤيدين (لجورج ولاس) هم أكثرهم تأييدا واهتماما بهذا المبدأ. ولكى يحدد (روثمان) عما اذا كان هذا الاتجاه الايجابى القوى نحو هذا المبدأ والذى عبر عنه هؤلاء الأفراد، ينعكس فى سلوكهم الفعلى أو الواقعى أم لا، لاحظ (روثمان) السلوك الفعلى لهؤلاء الأفراد فى طاعة قانون واحد فقط. حيث يتطلب هذا القانون من صاحب كل سيارة فى المدينة التى أجريت فيها الدراسة، (مدينة ناشفيل Nashville) عاصمة ولاية تينيس الأمريكية Tennesesas وضع طابع قيمته خمسة عشر دولار للضرائب حتى تاريخ ١٩٦٨/١١/١، وخلال خمسة أيام من هذا التاريخ قام (روثمان) ومساعدوه بعمل مسح شامل لمواقف السيارات فى أماكن مختلفة من المدينة، لكى يحددوا عدد السيارات التى تحمل أسماء المرشحين المختلفين مع وضع طابع الضرائب من عدمه. وقد توقع هذا الباحث أن المؤيدين (لولاس) سيكونوا خمسة عشر دولارا للضرائب، عن مؤيدى كل من (نيكسون) إنظر الشكل رقم (   ).

شكل رقم (١)



ويعتبر رأى "بم Bem" من أحسن الآراء فى تخليص هذه العلاقة فهو يرى أنـــه فـــى حالات كثيرة يحدد سلوك الفرد اتجاهه وليس العكس وأيضا إن اتجاد الفرد وسلوكه يؤثـــر كل منهما فى الآخر(٢٢).

وتفترض بعض الدراسات "فســتنجر ١٩٥٧، بيــم ١٩٧١، هيــبر لايــن ١٩٧٢" أن الاتجاهات فى بعض الأحيان تتبع السلوك. فمثلا تغيير السلوك يتبعه تغيير فى الاتجاهـــات. ورغم ما تقدمه هذه الدراسات من تأييد لوجهة النظر هذه التى تنطلق من نظريـــة التنـــافر المعرفى (لفستنجر) إلا أنها ليست دائما صحيحة، فالإتجاهات تسبق الســـلوك، كمـــا تتبـــع السلوك على حد سواء.

ويقول "ديفيد مايرز" أنه من بين ٣٩ رهينة أمريكية تم اختطافها واحتجازها فى بيروت خلال صيف عام ١٩٨٥ أعرب عدد من هؤلاء عن تعاطفهم العميـــق مـــع القضيـــة التـــى احتجزهم من أجلها أسيرهم ــ وذلك وفق ما أعلنه المتحدث باسم الرهائن الأمريكييـــن ــ وهذه القضية هى الإفراج عن ٧٤٥ لبنانيا محتجزين فى السجون الإسرائيلية. (كذلك أعرب عدد من السياح البريطانيين الذين تم اختطافهم من قبل بعض التطرفين بمحافظة أبين شرق عدن باليمن يناير ــ فبراير ١٩٩٩م باتجاه ايجابى نحو الشعب اليمنى الذى وصفوه بالكرم.

وفى الولايات المتحدة تعجب الكثيرون هل تعكس هذه البيانات الصادرة عن الأســـرى الأمريكيين تصرفاتهم الحقيقية؟ أم أنها صادرة نتيجة الإكراه الذى يتعرضون لـــه؟ بعبـــارة أخرى كان السؤال هو: **هل أفعال الأشخاص تعكس دائما مشاعرهم الفعلية؟**

وعندما نحلل مسلك الرهائن حيال أسريهم من الشيعة اللبنانيين فإننا نحيـــل إيمانـــهم بعدالة قضية آسريهم ومسألة حبهم أو كرههم لمن أوقعهم فى هذه المحنة وما ترتب علـــى ذلك من ميلهم لدعم هؤلاء أو التصدى لهم إلى علم النفس الاجتماعى ليفسر لنا ما حـــدث باعتبار أن مفهوم السلوك يشير إلى الاستجابات الظاهرة الواضحة من قبل الفرد.

ولننظر بعين الاعتبار إلى مجموعة من الأمور مثل ردود الأفعال التقييمية المقبولـــة أو غير المقبولة سواء تم التعبير عنها فى المشاعر أو المعتقدات أو الميول للتصرف فهى من شأنها أن تحدد تصرف الإنسان حيال المسائل (بريكلر ١٩٨٤، زان ورمبل فى تصريحـــات صحفية) وبصفة عامة فنحن نميل للإفتراض بأن هناك علاقة بين الطرق التـــى يتـــم بـــها التعبير عن تصرفاتنا بمعنى أنه على سبيل المثال فإن الشخص الذى يعتقد بـــأن جماعـــة عرقية معينة من صفاتها الكسل والعدوانية لابد وأن يشعر بالكره حيال أبناء هذه الجماعـــة وبالتالى تكون تصرفاته حيال أبناء هذه الجماعة تتسم بالتميز، وبذلك فإن أى مـــن هـــذه الثلاثة أبعاد يمكن رصده لدى تقييم سلوك الأشخاص. (يمكنك تذكر هذه الأبعاد الثلاثة علـــى أنها أوليات السلوك وهى: العاطفة (المشاعر)، السلوك (النية)، الإدراك (الأفكار) إن دراسة التصرفات تكاد أن تمس قلب علم النفس الاجتماعى وهى من الناحية التاريخية أحد المسائل الأولى المعنية بالدراسة من جانب علم النفس الاجتماعى. ولذلك فمن الأنسب أن نبدأ رحلتنا

فى علم النفس الاجتماعى بإلقاء نظرة فاحصة على الكيفية التى تؤثر بـــها أفكارنـــا علـــى تصرفاتنا العملية.

* **هل اتجاهاتنا تحدد سلوكنا؟ Do our attitudes determine our behavior?**

إن توجيه مثل هذا السؤال السابق هو بمثابة تناول جانب على قدر كبير من الأهميـــة فى الطبيعة الإنسانية ترى ما هى العلاقة بين ما نحن عليه (فى دخائلنا) وما نقـــدم عليـــه بالفعل (على السطح). لقد تكهن الفلاسفة وعلماء الدين والمعلمون طويلا بالعلاقة بين الفكر والتصرف. الشخصية والتصرف، الكلمة فى السر والفعل فى العلن. والفرضية التى قال بها معظم دور العلم ومدارس الأطفال وجهات تقديم الاستشارة كانت تنصـــب دائمـــا علـــى أن معتقداتنا ومشاعرنا تتحكم فى سلوكنا العلنى.

ولذلك فإذا أردنا أن نغير الطريقة التى يتصرف الناس بها فلابد أن نغير قلوب وعقول هؤلاء الناس.

* **هل نحن جميعا منافقون؟ Are we all hypocrites**

فى البداية أيد علماء علم النفس الاجتماعى قلبا وقالبا الفرضية التى تقول أنه بمعرفـة المنهج الفكرى للشخص تكون قد أصبحت قادرا على التنبؤ بأفعاله.

ورغم ذلك فخلال الستينات ظهرت أبحاث جعلت علماء النفس الاجتماعى يتشككون فى صحة هذه المقولة. ففى عام ١٩٦٤ استنتج (ليون فيستنجر) أن البحث الذى أجراه فشـــل فى دعم الفرضية التى تقول بأن تغيير المنهج الفكرى للناس من شأنه أن يـــؤدى لتغييـــر سلوكهم. كذلك استطرد فيستنجر قائلا أن العلاقة بين الفكر والسلوك قد تكون على العكـــس تماما مما تصوره النظريات الاجتماعية حيث تثبت أن سلوكنا هو الحصان وأن أفكارنا هـــى العربة أى أن السلوك يسبق الفكر.

وكما صاغها روبرت أبيلسون (١٩٧٢) فنحن نبرر ما نقدم على فعله ولكننا لا نعـرف الأسلوب الصحيح لتنفيذ ما نحن مقتنعون به. بيد أن أكثر الضربات إيلاما لنظرية الفعاليـــة الفكرية وأثرها على التصرفات كانت فى الطريق حيث وفى عام ١٩٦٩ قام عالم علم النفس الإجتماعى "آلن ويكر" بمراجعة دراسات بحثية تشمل قطاعات واسعة من الأشخاص والأفكار والسلوكيات وخرج باستنتاجه المذهل أن الأفكار المعلنة للأشخاص يصعب أن تـــدل علـــى السلوكيات أو تتنبأ بهم اللهم إلا فى حالات متعددة.

فعلى سبيل المثال فإن أفكار التلاميذ حيال الغش فى الامتحانات لم تساعد كثيرا فى فهم تصرفاتهم الفعلية وسلوكهم لدى قيامهم بالغش إبان الامتحانات.

كما أثبتت دراسة كورى Corey ـــ ١٩٣٧" التباعد بين الاتجاه اللفظى نحو الغش فى الامتحانات وبين السلوك الفعلى فى الامتحان. فقد أعطى بعض الطـــلاب مقياســـا لقيـــاس إتجاههم اللفظى نحو الغش فى الامتحانات وسجل استجاباتهم. ثم قاس اتجاههم العملـــى أو سلوكهم الفعلى فى الغش بأن أعطاهم اختبارا موضوعيا فى أحد الأيام ثم صححه للطـــلاب وطلب من كل منهم تصحيح ورقته. ثم جمع الأوراق وحسب الفرق بين الدرجة التى أعطاها

هو للطالب وبين الدرجة التى اعطاها الطالب لنفسه واعتبر هذا الفرق دليلا على الغش الحقيقى الذى مارسه الطالب..

ووجد (كورى) أن معامل الإرتباط بين الاتجاه اللفظى وبين السلوك العملى ٠.٠٢ فقط (أى لا يوجد تقريبا أى ارتباط بين الاتجاه اللفظى والسلوك العملى).

إن الضغط الاجتماعى وما يفرضه المجتمع من معايير وقيم تزيد الهوة بين الاتجاه اللفظى وبين السلوك العملى بالنسبة لنفس الموضوع.

بحث تجريبى للعلاقة بين الاتجاه اللفظى نحو الغش والسلوك الفعلى للغش

وقد قام (حامد زهران وأحمد فوزى الصاوى وكرم الجندى ـ ١٩٧٥) ببحث ظاهرة الغش فى الامتحان: بحث تجريبى للعلاقة بين الاتجاه اللفظى نحو الغش وبين السلوك الفعلى للغش. وتركز البحث حول دراسة العلاقة بين الاتجاه اللفظى (المقاس) نحو الغش وبين السلوك الفعلى (فى الامتحان) كسلوك مستهجن اجتماعيا. وتم اجراء تجربتين:

- **أولاهما**: تجربة البحث وفيها تم إنشاء مقياسين، الأول لقياس اتجاه الطلاب نحو الغش فى الامتحان كسلوك، والثانى اختبارتحصيلى موضوعى فى مادة من مواد الدراسة الجامعية، وحسبت درجة الاتجاه المقاس نحو الغش، ودرجة الغش الفعلى. ودلت نتائج تجربة البحث على أن الاتجاه اللفظى المقاس نحو الغش فى الامتحان يدل على استنكار هذا السلوك، ولكن معامل الارتباط بين الاتجاه اللفظى (المقاس) وبين الاتجاه العملى (السلوك الفعلى) ضعيف جدا وغير دال احصائيا، وأن نسبة الغش فى مجتمع الطلاب أكبر منها فى مجتمع الطالبات.
- **والتجربة الثانية**: هى تجربة التفسير التى تكمل تجربة البحث وتناولت ظاهرة الغش الفعلى فى امتحان موضوعى اعدت خصيصا لهذا الغرض حيث أعطى الطلبة والطالبات الامتحان وحدد الغشاشون وعرفوا أنهم أفراد عينة بحث، ثم طلب إليهم تفسير سلوك الغش. وحدد البحث ملخص نتائج تجربة التفسير كما جاءت على لسان الطلاب والطالبات فى عينة تجربة التفسير.

وخلاصة البحث أن العلاقة تقل والهوة تزيد بين الاتجاه اللفظى (المقاس) نحو موضوع سلوكى وبين الممارسة الفعلية لهذا السلوك كلما كان موضوع الاتجاه غير مرغوب اجتماعيا أو يتنافى مع التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية وكلما كان هناك دافع قوى للقيام به رغم هذا، وأن ظاهرة الغش فى الامتحان ظاهرة خطيرة يبدو فيها التناقض الواضح الكامل بين الاتجاه اللفظى نحو الغش وبين الممارسة الفعلية لهذا السلوك.

كيفية التغلب على التباعد بين الاتجاه اللفظى والاتجاه العملى:

ولعلاج مشكلة التباعد بين الاتجاه اللفظى والاتجاه السلوكى أو العملى يمكن مراعاة بعض الشروط والاعتبارات ومن ذلك ما يأتى:

١- احساس المبحوث بالاطمئنان التام عندما يعبر عن آرائه بصراحة وإقناعه بأن هذه الصراحة لن تعرضه لأى لون من ألوان النقد أو اللوم أو الضرر، ويمكن تحقيق ذلك فى مجال قياس الاتجاهات بأن يعرض على المبحوث عدم كتابة اسمه إذا رغب ذلك.

٢- إشعار المبحوث بأهمية وقيمة رأيه.. ذلك أن المبحوث قد يشعر بالأمن والطمأنينة ولكنه يشعر أن رأيه لم يبدل أو يغير فى الأمر شيئا ومن ثم لا يعير اهتمام للموضوع الذى يقاس فيه اتجاهاته، ولا يعبر تعبيرا دقيقا عن رأيه.

٣- اقتراب العبارات التى يشتمل عليها مقياس الاتجاه من الواقعية، وعدم استخدام الفاظ مبهمة ومجردة فى بناء المقياس فقد يأتى المبحوث باستجابات تدل على عكس الواقع. وعلى أية حال فإن الفرد لا يحجم عن اتجاهاته الحقيقية إلا فى الموضوعات التى تخضع للضغط الاجتماعى Social stress.(٢٣: ١٣١، ١٣٢)

٤- استخدام الأساليب الاسقاطية.

• نخلص مما تقدم إلى أن السلوك يشير إلى الاستجابات الظاهرة الواضحة لدى الفرد. بينما يشير الاتجاه إلى الاستجابة الوجدانية للفرد، والتى يستدل عليها من خلال عملية القياس.

ويجدر بنا (فى صدد حديثنا السابق عن الاتجاه والسلوك) الإشارة إلى العوامل المؤثرة فى درجة واتجاه العلاقة بين الاتجاه والسلوك والتى من أهمها ما يأتى:

(١) **قوة الاتجاه:** تؤثر قوة المشاعر والخبرات المتوفرة لدى الفرد عن موضوع الاتجاه فى شكل العلاقة بين اتجاه الفرد وسلوكه، فكلما كانت هذه المشاعر قوية كان سلوك الفرد اكثر اتساقا مع اتجاهه.

(٢) **ثبات الاتجاه واستقراره:** تغير الاتجاهات من مرحلة عمومية لأخرى يعد مسئولا عن ضعف الارتباط بين الاتجاه والسلوك. لذلك يجب أن نأخذ فى الحسبان كل من الشخص والموقف الذى يحدث فيه التغيير. فعلى سبيل المثال يمكن ان تستمر المرأة فى رغبتها فى عدم انجاب مزيد من الأطفال إلى أن يهددها زوجها بالطلاق إذا لم تنجب له أطفال فتتراجع عن هذا الرأى.

(٣) **ارتباط الاتجاه بالسلوك:** يميل السلوك لأن يصبح أكثر اتساقا مع الاتجاهات الأكثر تحديدا وخصوصية من الاتجاهات العامة.

(٤) **بروز الاتجاه:** من المحددات الهامة للاتساق بين الاتجاه والسلوك هو سيادة الاتجاه وتمركزه وارتباطه بالسلوك. فالغش فى الامتحانات ــ على سبيل المثال ــ يتحدد بواسطة اتجاهات ضعيفة عن الامانة.

(٥) **اتساق المكون المعرفى مع المكون الوجدانى للاتجاه:** فى حالة وجود اتساق بين تصورات الفرد أو معارفه، وبين مشاعره وأحاسيسه نحو موضوع معين. فإن ذلك ينشأ عنه علاقة قوية بين اتجاه الفرد وسلوكه الفعلى.

(٦) **الضغوط الموقفية:** يختلف تأثير الاتجاهات على السلوك باختلاف الضغوط الموقفية من حيث قوتها أو ضعفها. فنجد مثلا ان دراسة "لابيير" التى حاولت الكشف عن اتجاهات

الأمريكيين نحو الزائرين الصينيين قد كشفت عن احترام الزائرين وحسن استقبالهم. هذا على الرغم من ان مشاعر الأمريكيين نحو هؤلاء الزائرين كانت سلبية، حيث أقر ٩٠% من أصحاب الفنادق والمطاعم أنهم يرفضون تقديم هذه الخدمات للصينيين. ولكن نظرا لقوة الضغوط الخارجية، حيث يلزم القانون الأمريكيين القيام بالخدمات اللازمة لحاجة الزوار أو السائحين(٢٤:٢٠٩-٢٥٦).

وعن أهمية الضغوط الموقفية أشار "روكيتش Rokeach ـ ١٩٨٠" إلى أن معظم المهتمين بقياس الاتجاهات قد اهتموا بالاتجاهات نحو الموضوع دون الموقف. مما ترتب عليه التأخر الشديد فى نمو نظرية الاتجاه، والتنبؤ الخاطئ بعدم الاتساق فى العلاقة بين الاتجاه والسلوك(٢٥).

وفى ضوء ذلك يتضح انه لدراسة العلاقة بين الاتجاه والسلوك يجب الاهتمام بالاتجاه نحو الموضوع والموقف معا، والنظر إليهما على أن بينهما قدرا من التداخل والتفاعل المتبادل.

فالسلوك هو دالة للتفاعل بين اتجاهين أحدهما نحو الموضوع والثانى نحو الموقف.

ويتوقف دور كل منهما على حجم تأثيره، فقد يكون للموضوع دور كبير فى تنشيط معتقدات الفرد وإكسابها قوة وهنا نكون بصدد عمومية السلوك. وقد يكون الموقف هو المنشط للسلوك وهنا نكون بصدد خصوصية السلوك(١٤).

وكذلك معتقدات الأشخاص الفكرية فى جدوى ارتياد المساجد يصعب منها ايجاد علاقة بين هذه الأفكار وبين الذهاب الفعلى للمساجد بواسطة من يردد هذه الأفكار. وأفكار الناس حيال المساواة بين الأجناس لم يتم تطبيقها فعليا إلا فيما ندر عندما واجهت هؤلاء مواقف تتعلق بأمور مرتبطة بالأجناس. فإنه إن كان الناس لا يتصرفون بنفس الطريقة التى يتكلمون بها فلا يصح أن ندهش لإخفاق المحاولات التى رمت إلى تغيير السلوك بتغيير الأفكار لوجود هذه الهوة بين الفكر والسلوك والتحذيرات المتوالية عن مضار التدخين لم تنجح إلا فى حالات معدودة فى جعل المدخنون يتوقفون عن التدخين فما جدوى التوجيه الفكرى إذن على السلوك، وتكرار التنبيه على الأميريكيين بأن كثرة مشاهدة العنف على التليفزيون له مضار هائلة قد جعل بعض الأسر تحجم عن رؤية العنف ولكن من المثير للسخرية فما زالت معظم الأسر الأمريكية تشاهد جرائم القتل بنهم على شاشات التليفزيون وعلى صفحات الجرائد. وكذلك لم تلقى الدعوات لاتباع عادات آمنة فى القيادة آذانا صاغية بل فاق أثر تلك الدعوات تحديد السرعة القصوى وتقسيم الطرق السريعة إلى حارات حسب السرعات.

وعندما كان (رويكر) وغيره من علماء النفس الاجتماعى يتقدمون بتقييمهم المذهل لصالح التوجيه الفكرى على السلوك الفعلى بدأ بعض علماء النفس الانسانى فى التقدم باقتراح مؤداه أن السمات الإنسانية ـ على الأقل بالنسبة لتلك السمات التى تم إختبارها ـ فشلت هى الأخرى فى التنبؤ بما سيكون عليه تصرفنا "ميتشيل ١٩٦٨" وإذا اردنا أن نعرف

إلى أى حد سيمد لنا الأشخاص يد المساعدة فلن يفيد كثيرا أن نعرضهم لاختبارات تقيس درجة القلق واحترام الذات وغيرها فالأوفق تعريض هؤلاء لمواقف حاسمة، وعندما ستجبر الحاجة الإنسانية هؤلاء الأشخاص إلى التصرف بتلقائية سوف نحصل منها على الاجابة المرجوة.

وبنفس الطريقة فلقد بدأ الكثير من علماء علم النفس فى الذهاب إلى أن جلسات الحوار مع المرضى النفسيين نادرا ما تؤتى ثمارها حيث أنها يستحيل أن تتنبأ بما سيكون عليه تصرف المريض، والأنسب أن يركز الأطباء النفسيين على تقويم السلوك المرضى والتوقف تماما عن تحليل الشخصية الفكرية ومثالبها والتى لا تقدم سوى نظريات عن الاتجاه الفكرى للمشكلة.

وبصفة عامة فلقد بدا أن هناك تطور يتجه للقول بأن هناك عوامل لا سيطرة لنا عليها هى التى تتحكم فى تصرفاتنا ـ كالمؤثرات الاجتماعية الخارجية على سبيل المثال ـ وأن مسألة السمات الشخصية لا قيمة لها فى التنبؤ بالتصرفات الانسانية.

- وباختصار فإن النظرية الأصلية التى كانت تذهب إلى أن اتجاهنا هو الذى يحدد تصرفاتنا وسلوكنا تم دحضه خلال الستينات بالنظريات المناوئة التى ترى أن أفكارنا لا قيمة لها على الإطلاق فى تحديد تصرفاتنا.

وقد تصدر عنك صيحات دهشة الآن وتقول "نظريات، نظريات مناوئة ما هذا" ولكن هذا هو ما حدث. ولقد أدى الاستنتاج المذهل بأن ما يردده الناس لا يماثل ولا يوحى بما سيفعله هؤلاء استحث علماء علم النفس الاجتماعى على العمل الجاد للتوصل إلى السبب لهذه الظاهرة.

وكما يحدث دائما فإن النزف الذى يمثله إدراك الاشياء بعد وقوعها جعلنا نحاول ترتيب النتائج التى توصلنا إليها. وفى الحقيقة فإن ما سيقوم بشرحه "ديفيد مايرز David Myers" فيما يلى يبدو شديد الوضوح بدرجة تجعلنى أجد صعوبة فى تصور كيف أخفق علماء علم النفس الاجتماعى فى الاهتداء إلى هذا الحل الذى توصلت إليه قبل أوائل السبعينات (**وقعت فى آفة التظاهر بأننى كنت على علم بالأمر منذ البداية بعد أن أكتشفت السبب الحقيقى**).

ورغم ذلك فأنا أحب أن أذكر نفسى أن الحقيقة تتضح دائما بعد أن يتم اكتشافها وأن ما هو بديهى وواضح اليوم قد يصبح مثار نقاش وجدل الغد. **متى يمكن للمنهج الفكرى أن يتنبأ بما سيكون عليه التصرف؟** السبب الذى يجعلنا فى معظم الأحيان نتصرف خلافا لما نقول ونفكر هو أنه وكما يبدو فى الشكل فإن سلوكنا وتصرفنا والتعبيرات الصادرة عن الإتجاه بداخلنا كلاهما يتعرضان لمؤثرات أخرى. ولقد قام أحد علماء علم النفس الاجتماعى برصد ما يزيد على أربعين عاملا منفصلا من شأنها أن تعقد العلاقة بين الفكر والسلوك (ترايندس ١٩٨٢) فإذا تمكنا من تحييد هذه العوامل أو المؤثرات الخارجية مع تثبيت باقى الأشياء فهل يمكن أن تنجح أفكارنا فى التنبؤ بما ستكون عليه تصرفاتنا؟ لنرى هذا.

الشكل رقم (٢)

Other infunces
مؤثرات أخرى
Expressed atlitude
الإتجاه المعلن عنه
الإتجاه
السلوك
مؤثرات أخرى
Other influnces

إن اتجاهاتنا المعلنة أحيانا مـا تقـوم بـالتنبؤ المنقوص لما سيكون عليه سلوكنا وهذا القصور سببه أن كلا من الاتجـاه والسـلوك يتعرضـا لمؤثرات أخرى.

(لقد كان ذلك واضحا فى القرار المفاجئ لعدد من زعماء العالم لاشتراكهم فى جنازة المغفـور لـه الملك الحسين بن طلال ملك المملكـة الأردنيـة الهاشمية (فبراير ١٩٩٩) رغم فتـور العلاقـة بينهم بسبب اتفاق السلام المنفرد المـبرم بيـن الأردن وإسرائيل).

- **تقليل الأثر الذى تحدثه المؤثرات الأخرى على الأفكار المعلنة:**

Minimizing other in fluences on expressed attitudes.

خلافا لما يقوم به الأطباء لدى قياس سرعة نبضات القلب فإننا معشر اخصائى علـم النفس الاجتماعى يستحيل علينا أن نقرأ مؤشرا مباشرا لاتجاهات الناس الحقيقية. (إن كان هناك شيئا يمكن أن نسميه الأفكار الحقيقية أو الفعلية). فبدلا من قياس الاتجاهات الحقيقية فنحن نقوم بقياس أفكار الناس المعلنة والتعبيرات عن هذه الاتجاهات تتمثل فى سـلوكيات الأفراد وتصرفاتهم وهذه الأخيرة تتعرض لمؤثرات خارجية وفى الأول رأينا أن الطريقة التى يتم بها إجراء استقصاء رأى يمكن أن تؤثر على الإجابة الى نستقيها ممن نسئلهم. وكذلـك رأينا تأثير الظروف الى يكون فيها الشخص على إجاباته. وقد بدا هذا بجلاء فى واقعة قيام مجلس النواب الأمريكى فى احدى المرات بتمرير الموافقة بأغلبيـة كبـيرة علـى زيـادة المرتبات لأعضائه فى تصويت غير رسمى بعدها وفى نفس اليوم قام بإلغاء الزيـادة بعـد استدعاء الأعضاء على عجل. فنحن نميل دائما للتعبير عن ما نعتقد أن الآخرين يرغبـون فى سماعه وحيث أن الأفراد لا يعلقون قلوبهم على أكمام قمصانهم فقد كـان سـعى علـم النفس الاجتماعى الدائب هو إقامة خط يصل إلى القلب لتمكينهم من الإطلاع علـى خبايـا الاتجاهات الدفينة داخل صدور الأشخاص. ولذلك قام "إدوارد جونز وهارولد سيجال ١٩٧١" بإختراع طريقة "**خط الأنابيب الوهمى**" لقياس أفكار الأشخاص. صحيح إنه خط أنابيب وهمى ولكنه إلى الشئ الذى نسعى لإنشاءه.

وفى إحدى التجارب التى أجراها "ريتشاد بيج وسيجال ١٩٧١" طلب الأخير من طلبـة جامعة روتشيستر الإمساك بعجلة محكمة القفل والتى كانت فى حالة فك قفلها هـذا قـادرة

على أن تدير مؤشرا لجهة اليسار وهو ما كان يعنى عدم الموافقة أو لجهة اليمين وهو ما كان يعنى الموافقة.

وعندما تم توصيل الأقطاب الكهربية لأذرع الطلبة قامت الآلة المزيفة بقياس ردود الأفعال العضلية وهى التى كان مفترضا أن تحرك مؤشر يبين ميلهم لتحريك العجلة جهة اليسار (للتعبير عن عدم الموافقة) أو لليمين (موافقة) ولإظهار طريقة عمل هذه الآلة الجديدة المذهلة طلب الباحثان من الطلبة الإجابة على بعض الأسئلة وهى التى على أساسها كان الباحثان يحددان الأفكار الداخلية التى تدور فى أذهان الطلبة دون علم هؤلاء.

وبعد دقائق من ظهور ضوء خاطف وكتابات غير مفهومة وأصوات مؤشر على الجهاز يوضح الإتجاه الخاص بكل طالب اجتاز التجربة وهو الفكر الذى كان كل طالب قد أوضحه قبل بدء التجربة. ولكن كل طالب كان على قناعة أن ما ظهر هو إتجاهه الحقيقى. وبمجرد بث الاقتناع فى نفس الطلاب تم إخفاء العداد الذى يبين أفكار الطلاب ثم وجهت أسئلة لهم عن اتجاههم حيال السود وطلب منهم تخمين ما سيكشف عنه العداد لو تم تعريضهم له لدى إجاباتهم. ترى ما هى توقعاتك لإجابات هؤلاء الطلبة البيض وذلك بالمقارنة بإجابات الطلبة الذين تلقوا نفس السؤال ولكن على ورقة وباستخدام قلم، طلب منهم الإجابة على السؤال كإمتحان؟ إن هؤلاء الطلبة الذين تم إيهامهم بان الآلة الزائفة ستكشف اتجاههم الحقيقى اعترفوا بمشاعر الكراهية العميقة التى يكونونها حيال السود أكثر مما اعترف به الطلبة الذين طلب منهم الإجابة على السؤال كتابة.

ويبدو أنهم كانت تراودهم أفكار 'يجدر بى أن تعرضهم لكشف مشاعرى الحقيقية خشية أن يدرك الباحث أننى فى حالة انفصام شخصى بين اتجاهاتى وأفعالى أما هؤلاء الذين اختازوا الاختبار التقليدى فقد ذهبوا إلى أن السود هم أكثر فئات المجتمع الأمريكى حساسية بصفة عامة، أما الذين تم تعرضهم للجهاز الزائف فقد كانت إجابتهم عكسية تماما. إن إظهار الاحتقار والمحاباة بسبب لون الجلد لهى مسألة غير مقبولة يتعين على طلبة الجامعة العزوف عنها وهذا ما يعرفه هؤلاء، لذلك تظاهروا بالتحضر بينما نجح الجهاز الزائف فى اختراق هذه الاتجاهات المتحصنة خلف جدر التظاهر...

ولقد نجحت التجارب التى جرت باستخدام خط الأنابيب الوهمى، فعلى سبيل المثال وجد (جوزيف فارندا/ وجوزيف كامينسكى وباربارا جيزا ١٩٧٩ – Joseph Farada, Joseph Kaminski And Barbara Giza) أن الطلبة من الذكور والإناث فى جامعة ديلورا عبروا عن اتجاهات مماثلة حيال حقوق النساء ودور المرأة عندما تم توجيه هذه الأسئلة باستخدام الورق والقلم. ولكن وباستخدام خط الأنابيب الزائف. عبر الرجال عن اندرانهم لمسألة حقوق المرأة وكانوا أكثر نقدا فى ذلك من النساء (**اعتقد أن بعضنا يقول لقد كنت على دراية بذلك منذ بداية الأمر**) وهو ما يظهر أن معظم طلبة الجامعة من الذكور متعصبين ولكنهم يخفون ذلك بثوب العصرية. كل هذه الأمثلة تثبت أمرا على جانب كبير من

الأهمية وهو أن السبب فى فشل التنبؤ بتصرفاتنا من قراءة أفكارنا يرجع إلى أن هذه الأخيرة لا تكون صادقة عندما يتم التعبير عنها بل يحكمها مؤثرات متعددة.

ولابد من تقليل الأثر الذى تحدثه المؤثرات الأخرى على التصرف والسلوك إذا كانت الإتجاهات المعلنة للأشخاص تتأثر على هذا النحو بالمؤثرات الخارجية فلا تكون صادقة فلابد وأن تصرفاتهم هى الأخرى سيشوبها التغيير حسب الموقف.

قارن عزيزى (القارئ) اعلان "**عبدالله أوجلان**" زعيم حزب العمال الكردستانى المحظور فى تركيا بعد القبض عليه وما أعلنته إذاعات العالم ومنها إذاعة لندن عن لسانة فى ١٧ فبراير ١٩٩٩ أنه فى الحقيقة يحب الأمة التركية" قارن هذا الاتجاه وتصرفاته تجاه تركيا على مدى أربعة عشر عاما سابقة على إعلانه هذا.

كذلك فإن تأثير هذه المؤثرات الاجتماعية يمكن أن يكون هائلا للدرجة التى قد تغرى بعض الناس بخرق أغلى معتقداتهم. وعلى ذلك فإن هذا يفسر لماذا أنكر الحوارى "بيتر" معرفته بصلب المسيح، ولماذا رضخ الرهائن لطلبات أسيرهم والسبب فى موافقة مساعدى الرئيس على تصرفات له يعلمون أنها خاطئة تماما (علي سبيل المثال: العلاقة الجنسية بين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "بل كلينتون" والمتدربة فى البيت الأبيض "مونيكا لوينسكى". ولماذا غير عبدالله أوجلان اتجاهه نحو تركيا.

ويشير البحث أيضا إلى مثال صارخ آخر وهو المتعلق بالقرار الذى يتخذه طالب المدرسة الثانوية بالتدخين من عدمه لمادة الماريجوانا (أو تدخين سجائر البانجو) لأن الأمر يتوقف على من يعاشره هذا الطالب من الطلاب الذين سبق لهم تدخين الماريجوانا "أندرو وكاندل ١٩٧٩ Andrws and Kandel" وعندما يقوم الباحثون بالأخذ بالاعتبار لدى دراسة اتجاهات الأشخاص النتائج المحتملة لأنماط السلوك المختلفة بما فى ذلك تأثير الأشخاص القريبين من الأشخاص محل الدراسة فإن قدرة هؤلاء الباحثون على التنبؤ بما سيكون عليه سلوك الأشخاص تتطور بصورة كبيرة "مانستد وآخرون ١٩٨٣ - Manstrad et al " وحيث أن الأشخاص فى مواجهة أى موقف لن يتأثرون بما يدور فى اتجاهاتهم الداخلية من صراعات فحسب بل وأيضا ما يفرضه عليهم الموقف الذى يواجهونه فقد يكون من الملائم تصور انطباق هذه المواقف على الشخص العادى لنتمكن من معرفة الأثر الذى يحدثه الصراع الفكرى الدائر داخل ذهن الأشخاص على تصرفاتهم فى النهاية.

إن التنبؤ بما سيكون عليه تصرف الأشخاص لهو أشبه بالتنبؤ بمدى نجاح لاعب كرة المضرب فى إصابة الكرة التى يلقيها خصمه أثناء اللعب. فهناك عوامل كثيرة تتحكم فى إصابة الكرة منها مثلا الكيفية التى سيلقى بها الخصم الكرة وعناصر الخط الأخرى التى يصعب قياسها.

ومثال آخر يوضح صعوبة العملية هو أن إتجاهات الناس حيال العقيدة يصعب منه التنبؤ بما إن كان هؤلاء سيذهبون لأداء الصلاة أيام الجمع (لأن الحضور للجامع يؤثر عليه

عوامل عديدة مثل الطقس، وببراعة الخطيب الواعظ، الإحساس الداخلى للشخص الذاهب للجامع ومزاجه ذلك اليوم وخلافه مثل التظاهر بالإيمان لدى بعض التجار).

بيد أن تفكير الناس الدينى سيسهل علينا التنبؤ بالكمية الاجمالية للسلوك الدينى لفترة مقبلة من الزمن "فيش بين، إذرن ١٩٧٤" "بريمان وكوهل ١٩٧٩ Fishben and' Ajzen- Kahla and Berman" إن تأثير الاتجاه على التصرف يصبح أكثر وضوحا عندما نقوم بتحليل السلوك العادى للشخص بدلا من الاقتصار على سلوك الشخص فى حالات معينة.

قياس الإتجاهات المرتبطة بالسلوك:

Measuring attitudes specific to the behavior

وهناك ظروف تساعد على زيادة القدرة التنبوية بما ستكون عليه الاتجاهات وذلك كما أشار (ايزك ايزن ومارتن فيشبن ١٩٧٧) وخاصة عندما يكون قياس الفكر الجارى يتسم بالانتشار بين الأشخاص فعلى سبيل المثال الاتجاهات الخاصة بالشعور حيال الأقليات العرقية والتصرف فى هذه الحالة يتميز بالخصوصية وكذلك التفكير فى مساعدة شخص أسود فى موقف معين ففى هذه الحالة لا يصح توقع تماثل بين الكلمات والأفعال. ويذهب (إيزك أيزن وفيش) إلى أن من بين كل ٢٧ دراسة بحثية خاصة بقياس المنهج الفكرى نجحت فى التنبؤ بالسلوك والأفعال فى كافة الستة وعشرون حالة التى كان فيها الاتجاه يتم قياسه يتماثل أو يشابه بصورة وثيقة مع الموقف الجارى دراستها.

فعلى سبيل المثال يمكن القول أن الاتجاهات حيال مفهوم عام مثل "اللياقة البدنية" يصعب أن تتنبأ بما سيكون عليه التصرف حيال ممارسة الألعاب الرياضية واتباع نظام غذائى معين. أما إحتمال ممارسة الأفراد لرياضة الجرى فهو يعتمد إلى حد كبير على آرائهم فى مزايا الجرى والتكاليف المطلوبة لمزاولة هذه الرياضة.

وعلى ذلك فلكى يتم تغيير عادات الناس حيال مسائل تتعلق بالرياضة البدنية من خلال الاقتناع فلابد من تغيير مفاهيم الناس حيال بعض الممارسات المتعلقة بالصحة مثل الأكل والنوم وغيرها. "أويسن وزان ١٩٨١ Oison & Zanna" حتى الآن إقتصر بحثنا على حالتين يمكن من خلالهما أن تقوم اتجاهاتنا بالتنبؤ بما سيكون عليه سلوكنا وفعلنا وهما:

(١) عندما تكون المؤثرات الأخرى على أفكارنا وتصرفاتنا قد جرى تقليلها إلى أدنى درجة ممكنة.

(٢) عندما يرتبط الاتجاه الخاضع للقياس للملاحظة.

وهناك حالة أخرى One other condition حيث يؤدى الاتجاه إلى التنبؤ بالسلوك بصورة آلية ولا نحاول التوقف لتقليب هذه الاتجاهات فنحن عندما يكون الاتجاه أكثر اقناعا

An attitude should better precict behavior when the attitude becomes more patent. زياة الاقناع الفكرى إلى الحد الأقصى: **Maximizing Attitude**

potency تهجع اتجاهاتنا عندما نتصرف بصورة آلية ولا نحاول التوقف لتقليب هذه الاتجاهات فنحن عندما نتصرف بصورة آلية لا نحاول الاستغراق فيما اقدمنا عليه.

فكثيرا ما نرد التحية على من يلقيها علينا فى المشى أو الممر دون أن نتوقف لرؤية من نحييه وقد يكون صديقا أو غريبا، كذلك نرد بصورة آلية على موظف الحاسب بالمطعم عندما يسألنا "كيف كانت الوجبة ياسيدى" قائلين أليا "حسنة" حتى ولو كانت هذه الوجبة رديئة او ماسخة. مثل هذه الأفعال التلقائية تم التأقلم عليها بمرور الوقت حيث أننا نعجز عن التركيز عن ما هو أكثر من شئ واحد فى الوقت الواحد ولذلك فالتصرف دون إعداد مسبق يحرر عقولنا من هم التفكير فى بعض الأمور البسيطة لكى نتفرغ للتفكير فى الأمور الأهم وكما قال الفيلسوف "الفريد نورث ويتهيد Alfred North Whitchead Argued" تمضى الحضارة قدما كلما زادت عدد المسائل التى نستطيع اتمامها دون أن نعى أنفسنا بالتفكير فيها وننجزها أتوماتيكيا.

أما فى المواقف المعقدة فإن سلوكنا يتسم بالتروى وعدم العفوية فيحتاج الأمر إلى أن نفكر قبل أن نتصرف. فإذا ما تم اجبار الناس على التفكير قبل التصرف فهل من المحتمل أن يكونوا أقل نفاقا وأكثر صدقا مع انفسهم بحيث ينطبق فكرهم مع أفعالهم؟

للإجابة على هذا السؤال قرر "مارك شنايدر وويليام سوان ١٩٧٦" التوصل إلى الإجابة حيث دعا "شنايدر وسوان" ١٢٠ طالبا من جامعة مينسوتا كانو قد اعربوا عن اتجاهاتهم حيال سياسات التوظيف المتبعة Affirmative action employment policie وقتها للعمل كقضاة فى قضية كان يتم نظرها خاصة بالتمييز بسبب جنس العاملين وقتها. وكان محور البحث هو هل إذا أتيح للرجال الفرصة لتذكر اتجاهاتهم فيما هم مقدمون عليه وذلك بمنحهم بضعة دقائق لترتيب أفكارهم حيال المسألة فهل كان ممكنا أن تستطيع أفكارهم المرتبة هذه أن تتنبأ بما سيكون عليه تصرفاتهم وبالتالى حكمهم الصادر فى القضية خاصة وهم ينظرون قضية تمييز بسبب الجنس فى العمل وهم رجال؟

وبنفس الطريقة فإن الأشخاص الذين يتوافر لديهم الوقت لمراجعة تصرفهم الذى مضى، يميلون إلى التعبير عن أفكار تتنبأ بصورة أفضل بما سيكون عليه تصرفاتهم مستقبلا "زانا وآخرون ..Zanna et al" وفى إحدى التجارب التى اجراها "شنايدر مع ديبورا كينزا رسكى ١٩٨٢ Deborah Ken Dzieroki" إكتشف شنايدر أيضا أن معظم الطلبة الذين يتعاطفون مع أعمال البحث فى مجال علم النفس يتطوعون عن رغبة صادقة للإشتراك فى التجارب الجارى عملها إذا ما تنامى إلى أسماعهم مقدما من يشجعهم على الاشتراك حيث أنه سواء اشتركوا ام لا فى تلك التجربة فإن الأمر يتوقف على مدى ايمانهم بنجاح هذه التجارب، أما التلاميذ الذين لم يتنامى إلى اسماعهم مثل هذه العبارات المقنعة التى تشجعهم على الاشتراك لإنجاح مثل هذه التجارب فنادرا ما كانوا يشاركون فى مثل هذه التجارب والاستنتاج الذى تخرج به من هذه التجارب وغيرها هو **أن اتجاهاتنا تمثل الهادى والمرشد لسلوكنا فى حالة واحدة فقط هى أن نمعن التفكير قبل التصرف.** كذلك هناك طريقة

أخرى تم اللجوء إليها لتشجيع الأشخاص على التركيز على معتقداتهم بحيث تتطابق أفكارهم مع تصرفاتهم وهو ما يجعلهم يدركون ما هم مقدمون عليه.

فعلى سبيل المثال كان يتم إحضار مرآة ثم يطلب منهم التصرف فـــى مواجهـــة هـــذه المرآة كارفر، شيير ١٩٨١ Carver and Scheir" ولاشك أنك تتذكر كيف كان رد فعلك عندما دخلت حجرة وبها مرآة كبيرة وتشعر أنك بدون مراقبة. أن جعل الأشخاص يرون ما هم قادمون على فعله بهذه الطريقة من شأنه أن يجعل هناك تماثل بين الكلمـــات والأفعـــال "جيبنز ١٩٧٨ Gibbons فرومنج وآخرون ١٩٨٢".

وعلى سبيل المثال أيضا لاحـــظ "إدوارد دايـــنر ومـــارك وليـــون ١٩٧٦ Edward Diener and Mark Wallbon" إن كافة طلبة الجامعة يجمعون على أن الغش ظاهرة لا أخلاقية ولكن هل يتبع هؤلاء النصيحة التى ساقها بولينوس Polonuius أحد شـــخصيات شكسبير عندما قال كن صادقا لتعرف دخيلتك" وقد قام (اينر ويليم) بسؤال طلبة جامعـــة واشنطن بحل لعبة ترتيب حروف لتكوين كلمات (قيل إنها لقياس مستوى الذكـــاء) وطلـــب منهم التوقف عن اللعبة عند سماع الجرس يدق فى الحجرة وقد وجد أن ٧١% من هـــؤلاء الطلبة استمر فى العمل بعد سماع الجرس لإعتقاده أنه غير مراقب وهى صورة من صـــور الغش.

أما فى تجربة اخرى فقد تم الاتيان بمرآة أمام الطلبـــة لإعطائـــهم الاحســـاس بأنـــهم مدركون ما هم مقدمون عليه مع سماع أصواتهم التى تم تسجيلها على أشرطة كاسيت وفى هذه الحالة بلغت نسبة الغش ٧% فقط.

وهذه الحالة تجعل المرء يتساءل هل من شأن وضع مرايا كبيرة فى المتاجر الرئيسـية التقليل من أعمال السرقة ورفع البضاعة بغرض أن هذا من شأنه أن يجعل الناس يدركـــون ما هم مقدمون على فعله فيتراجعون عن السرقة؟

وأخيرا فنحن نكسب اتجاهاتنا بأسلوب يجعل من هذه الاتجاهات مقنعة أحيانا وأحيانـــا أخرى تفتقر لتلك الصفة الاقناعية.

وتوضح سلسلة من التجارب التى قام بها "روسيل فـــازيو ومـــارك ١٩٨١ Russell Fazio & Markzonna" أنه عندما تكون اتجاهاتنا متأصلة ومن واقع تجربتنا وليـــس منبعها القيل والقال ـ فإن من شأن هذه الاتجاهات أن تتصف بالثبات وتصبح قادرة علـــى التنبؤ بما ستكون عليه افعالنا وقد جرت إحدى تجارب (رووسيل ومارك) بمساعدة طـــلاب جامعة كورنيل حيث أجبرت أزمة الإسكان الجامعة على تعيين محـــلات الإقامـــة الخاصـــة بإسكان طلاب الفرق الأولى لتكون فى غرف الاستراحة الموجودة بالسكن الجامعى وعندمـــا تم سؤال هؤلاء الطلبة بواسطة "دينيس ريجـــان وفـــازيو ١٩٧٧ Denni: Regan & Fazio" أعرب الطلبة عن استيائهم من الموقف الحالى المتعلق بالسكن وأعربوا كذلك عن سخطهم من الأسلوب الذى تتبعه الإدارة لحل هذه المشكلة.

ولكن وعندما تم منح هؤلاء الطلبة الفرصة للإتجاه بإمعان والتقدم بالتماس مع حث الآخرين على التوقيع على هذا الالتماس وتقديم هذا الإلتماس إلى اللجنة التى تشكلت لدراسة المواقف فقد تقدم الالتماس أولئك الذين كانوا متأثرين بالفعل من مشكلة الإسكان وتراجع الكثير، فإن ممن شعروا أن الوضع مؤقت بحكم تجربتهم السابقة (كما أوضحت التجربة فإن تصرفات الناس تطابق افكارهم عندما يكون ذلك لصالحهم ويتطابق مع تحقيق فائدة ذاتية "بورجيدا، كامبيل ١٩٨٢، سفينس وكرينو ١٩٨٢".

ويذهب بحث آخر قام به "فازيو وزانرا وويليام وايتس ١٩٨٦ و ستيفن شيرمان وبعض رفاقه ١٩٨٣" أنه وبالقياس إلى الأفكار التى يتم تكوينها بصورة سلبية وهى التى تسفر عنها التجارب الأليمة فإن هذه الاتجاهات تتسم أيضا بأنها شديدة التحديد والقطع وتدوم لفترة طويلة ويمكن استحضارها وتصمد أمام أى هجوم أو نقد أيا كان.

ولنوجز ما تقدم فإن اتجاهاتنا يمكنها أن تتنبأ بأفعالنا إذا ما توافر لها:

(١) تقليل المؤثرات الأخرى إلى أدنى درجة ممكنة.

(٢) فى حالة اقتصار الاتجاه على حالة بعينها.

(٣) إذا كان تصرفنا يتم بعد إمعان وإدراك منا بما سنقدم على فعله وكان هذا الإدراك سببه وجود عامل يذكرنا بما سيترتب عليه إخراج الإتجاه لحيز التنفيذ أو نتيجة لإكتساب تلك الاتجاهات من خلال تجربة قاسية فتأصلت تلك الاتجاهات وتعذر تغييرها.

وعندما لا يتم تحقيق هذه الشروط يتم إنفصال ما بين القول والفعل.

هل تقول الآن إن هذه الشروط شديدة الوضوح؟

بديهى إن أعمال نظرية "لقد كنت على دراية بالأمر طوال الوقت" ستدفعك؛ للقول بذلك ولكن عليك أن تتذكر أن هذه الشروط لم تكن معروفة وواضحة للباحثين حتى عام ١٩٧٠. كذلك لم تكن هذه الشروط واضحة لطلبة جامعة ألمانيا الغربية الذين عجزوا مؤخرا عن تخمين النتائج التى تؤدى إلى حدوث اتساق بين القول والفعل فى دراسة وامتحان مكتوب قدم لهم "سيكس وكريبه ١٩٨٤ **Six & Krahe**".

وعلى هذا يبدو جليا الآن وبالاستناد إلى الشروط سابقة الذكر أن العلاقة بين اتجاهاتنا وتصرفنا يمكن أن تتفاوت من علاقة واهية للغاية إلى علاقة راسخة شديدة الأهمية.

ولقد اصاب العالم الفرنسى "روشيه فوكالد **La Rochefoukauld**" عين الحقيقة فى القرن السابع عشر عندما قال "**من الأسهل بث المواعظ والتظاهر بالفضيلة عن الممارسة الفعلية لهذه الأشياء**".

ورغم ذلك فإن بمقدونا أن نتنفس الصعداء لأن اتجاهاتنا لازالت ورغم كل شئ هى التى تحدد ما ستكون عليه افعالنا. ويعزز من قوة هذا الاستنتاج الأبحاث والنتائج الأخيرة والتى مؤداها أن اتجاهات الناس تستطيع وبالفعل أن تتنبأ بما ستكون عليه أفعالهم بعد أسبوعين بل بعد شهرين بل وبعد سنتين "كال ١٩٨٣، كان وبرمين ١٩٧٩ **Kahle,** **1983, Kahle & Berman, 1979**".

والآن نعود إلى السؤال الفلسفى الذى استهللنا به بحثنا والخاص بالعلاقة بين ما نحن عليه وما نفعله حتى إذا كانت تلك العلاقة او هى مما يود الكثيرون أن تكون عليه.

والآن نحول إنتباهنا إلى الفكرة الأقل بداهة والتى تتعلق بقوله إن تصرفاتنا هى التى تحدد اتجاهاتنا حقيقة إنه أحيانا مما ينهض للدفاع عن المبادئ التى نؤمن بها ولكنه حقيقى أيضا أننا نؤمن بما ننهض للدفاع عنه.

وإذا كانت فلسفة علم النفس الاجتماعى قد نجحت فى تعليمنا شئ ما خلال الخمس وعشرون سنة الأخيرة فهو أنه لابد أن نعود أنفسنا على ليس فقط التفكير بما يتناسب مع العمل بل والعمل بما يتناسب مع التفكير بحيث لا يكون هناك تناقض بين الآمرين.

والكثير من البحث الذى يتضمن ويسجل هذا الاستنتاج الأخير كان مبعثه نظريات علم النفس الإجتماعى. ورغم ذلك فبدلا من رصد تلك النظريات فالأفضل أن نعكس الترتيب ونتكلم بداية عن الدليل القطعى على أن السلوك والفعل هو الذى يؤثر على الاتجاه.

وأنا أدعوك أيها القارئ (الحديث هنا لديفيد مايرز) إلى استعراض النظريات وتناول الجانب النظرى أثناء استعراضك لهذا الدليل القاطع الذى ستسوقه بعد قليل وعليك أن تتكهن بالسبب الذى جعلنا نقول أن التصرفات هى التى تؤثر على الاتجاهات ثم اعقد مقارنة بين اتجاهاتك التى انتهيت إليها والثلاثة تفسيرات التى توصل إليها علماء النفس الاجتماعى.

هل سلوكنا وتصرفنا هو الذى يحدد اتجاهاتنا؟

كيف نقوم بتعليم كيفية العزف على آلة موسيقية ما؟ كيف نتعلم السباحة؟ وكيف نتعلم قيادة الدراجة؟ كيف نطبع على الآلة الكاتبة؟ كما نعلم جميعا فإنه لابد أن نقوم بالفعل أولا لكى نتعلم فمن السهل أن نقرأ كتابا عن كيفية تعلم السباحة ولكن يستحيل أن نتعلم السباحة ما لم نقوم بممارسة رياضة السباحة بأنفسنا. فى كل هذه الأمثلة السابقة يسهل التعرف على الأثر الذى يحدثه الفعل على المعرفة أو التفكير.

ولكن هل هذا الآثر قاصرا على المهارات البدنية؟

لنقم بالنظر إلى تلك الوقائع التى تستند كلها على وقائع فعلية "تم تنويم سارة مغناطيسيا وطلب منها خلع حذائها لدى سماع صوت كتاب يسقط على الأرض وبعد مرور خمسة عشرة دقيقة يقع الكتاب فتقوم سارة بخلع حذائها بهدوء ثم يسألها من قام بتنويمها مغناطيسيا لماذا خلعت حذائها؟ فتجيب سارة أشعر أن قدماى ساخنتان ومتعبتان لقد كان يوما شاقا إذا لقد ولد الفعل الفكرة هنا وليس العكس.

مثال آخر: تم توصيل أقطاب كهربائية إلى رأس جورج بحيث تعكس إشارات المخ التى تؤثر على حركات الدماغ وعندما يتم توصيل الكهرباء للأقطاب باستخدام جهاز التحكم عن بعد يقوم جورج بتحريك دماغه وهو يعتقد أن حركة دماغه هذه تلقائية فلم يتم اختبار بجهاز التحكم عن بعد وعندما كان يتم سؤاله عن السبب فى حركة دماغه كان يقدم تفسيرا معقولا قائلا "إننى أقوم بالبحث عن الشبشب خاصتى "لقد سمعت صوتا" "إننى أشعر بالقلق" لقد كنت أنظر اسفل الفراش" (ديلجادو ١٩٧٣ ــ Delgado).

مثال ثالث: تم معالجة كارول من الأزمة القلبية التى انتابتها عن طريق اجراء عملية جراحية لها، تم فيها الفصل بين نصفى الكرة الدماغية خاصتها وفى أثناء التجربة تم عرض صورة إمرأة عارية على النصف الأيمن من المخ الخاص بالإبصار وسرعان ما تظهر ابتسامة على وجه كارول وتبدأ فى القهقهة وبسؤالها عن السبب تخترع سببا لضحكها يبدو مستساغا فتقول: "لقد تراءت لى آلة غريبة" (جازانيجو ١٩٧٢ Gazzanigoh – that funny mechine).

وهناك مريض آخر يدعى فرانك تم إجراء فصل لفصى المخ خاصته وعرض عليه وميض الامرأة العارية وسرعان ما أرتسمت ابتسامة على وجهه وبسؤاله عن السبب أجاب: "إن هذه التجربة التى تعرضوننى لها غريبة للغاية" "This experiment is very funny".

مثل هذه الأمثلة التى عرضها "ديفيد مايرز" تشير إلى أن هناك أثرا يحدثه الفعل على الطريقة التى تذكر بها وأن الأمر لا يقتصر على المهارات البدنية فحسب، وبالفعل فإن الآثار التى تقع على السلوك تبدو جلية فى العديد من التجارب والمواقف الاجتماعية بحيث لا يسع المقام سوى لتلك الأمثلة التى أوضح فيها تأثير الفعل على الإتجاه.

وأنا على ثقة بأن الأمثلة التى ستلى ستبين بوضوح تأثير قوة الاقتناع الداخلى وكل مثال يبين أن اتجاهاتنا تلى أفعالنا.

الدور الذى يلعبه الفعل فى التأثير على الإتجاه

إن كلمة "دور" تم استعارتها من مصطلحات المسرح وكما يحدث فى عالم المسرح فهى تشير إلى أفعال معينة يقوم بها الممثلون وهى أعمال يقوم بها أفراد يشغلون مراكز اجتماعية معينة وعندما نخطو إلى دورا اجتماعيا جديدا فلابد أن نفى بكفاءة أفعاله حتى ولو شعرنا أن هذه الأفعال تتسم بالضحالة.

ولكن هذا الشعور بالزيف وعدم صدق الأفعال لا يستمر طويلا، تذكر إحدى المرات التى قمت فيها بلعب دورا جديدا أو تقمص شخصية جديدة ربما كانت أيامك الأولى فى تولى هذا الدور أو لدى التحاقك بكلية أو إنضمامك إلى رابطة بل أيامك الأولى فى الجامعة علي سبيل المثال لابد وأنك كنت فى منتهى الحساسية والتوتر تسعى إلى مقابلة هؤلاء الرفاق الجدد حتى تخفف من حدة توترك. فى مثل هذه الظروف لابد وأن مشاعرنا تتسم بالزيف فنحن نتحرى الدقة فى كل كلمة بها وكل فعل نقدم عليه لأن الصادر عنا وبمنتهى الآمانة فى مثل هذه المواقف كله زيف وخداع.

ثم وبعد فترة يحدث شئ على جانب كبير من الأهمية فنبدأ فى ملاحظة أن حماسك وتوترك الزائد يفتر وأن التوتر لم يكن له ما يبرره، لقد بدأنا نستوعب الدور ونوافق على القيام به إلا أن الجديد أن هذا الدور الآن قد أصبح أكثر ألفه شأنه شأن بنطلون الجينز خاصتنا والقمصان التى نرتديها.

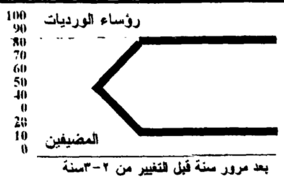
إن الدليل الذى سقناه يقطع بالآثر الذى يحدثه الفعل والعمل على الإتجاه وفى إحـــدى الدراسات قامت النسوة الصغيرات المدخنات اللاتى لعبن دور ضحايا سرطان الرئة بتقليـــل التدخين بصورة أكبر من أولئك النسوة الذين تلقوا معلومات سطحية عن اخطار التدخيـــن (جانس، مان ١٩٦٥، مان جانس ١٩٦٨) وفى دراسة أخرى قام الباحثون بملاحظة سلوك عمال الصناعة الذين تم ترقيتهم إلى رؤساء ورديات، لقد تطلبت الأدوار الجديـــدة ســلوك هؤلاء مسلكا جديدا وبالطبع فقد بدأ هؤلاء الرجال فى تطوير طرق تفكير جديدة (شكل) لقــد صار طموح رؤســاء الورديــات الآن هــو شــغل منــاصب مديريــن (ليبرمــان ١٩٥٦ Liberman).

وتشير هذه الدراسة التى أجراها ليبرمان إلى الأهمية الكبرى التى نستفيدها من الـدور المهنى الذى نتولاه. إن الوظيفة التى تختارها سوف تؤثر ليس فقط على أداءك فى العمـل بل على الاتجاهات والقيم التى يحتمل أن تقوم بتكوينها. إن المدرســين الجــدد وضبــاط البوليس والجنود والمدراء عادة ما يتقمصون أدوارهم ويؤدى ذلك إلى إحداث اثار كبـيرة على اتجاهاتهم وشخصياتهم Personalities.

تأمل وهم يستمعون إلى شعار "نحن نصنع منك رجلا" الذين ارتضوا الانضواء تحتـــه وهذا يتم عن طريق ارتداء هؤلاء متطلبات الدور الجديد.

وفى دراسة حديثة أجريت على (١٦٠٠) جندى انضموا حديثا إلى مشـــاة الأســطول كشفت أن ظروف وظيفتهم أثرت على اتجاهاتهم حيال انفسهم وأن هؤلاء الذين تم تكليفـهم بوظائف قيادية كونوا إحساسا باحترام الذات اسرع من غيرهم (باتشمان وموللـى ١٩٧٧.. Bachman & Malley).

إن الآثر الذى يحدثه السلوك أو الفعل على الاتجاه يظهر بصورة واضحة حتى علـــى خشبة المسرح. فرهبة الممثل من الدور الذى يلعبه تأخذ فى التلاشـــى بمجــرد اســتغراق الممثل فى الدور الذى يلعبه وعند هذه اللحظة يشعر الممثل بعاطفة أصلية ويعيش الـــدور كما يقولون.



شكل رقم (٣)
العمال الذين تم ترقيتهم إلى دور رئيس فى مصنع أو عضو فى النقابة قاموا بتكوين اتجاهات تتماشى مع أدوارهم الجديدة.

والقدرة الابداعية التى يتميز بها الأطفال يمكن أن تصبح وسيلة فعالة لتوسيع قدراتهم على الفهم والتفكير فالخيال يصبح حقيقة عندما يأخذ الطفل فى التصرف فى نطاق القواعـد التى تحكم الواقعية الخيالية.

وفى القصة التى كتبها ويليام جولنج "آلة الذباب" ينزلق مجموعة من الأطفال الإنجليز الذين تحطمت سفينتهم وأصبحوا بمفردهم على جزيرة منعزلة إلى قاع المستويات الأخلاقية الدنيا ويقدمون بالفتك ببعضهم والإتيان بأفعال غير متحضرة بل وحشية.

وعندما طرحت هذه القصة فى الأسواق تقمص الأطفال الذين لعبوا الدور على المسرح دورهم بفعل استغراقهم فى الواقع وقد ذهب مخرج المسرحية بيتر بروك إلى أن "الكثير من علاقات هؤلاء الطفال خارج خشبة المسرح قد تأثرت بدورهم على المسرح وكانت إحدى مشاكلنا الرئيسية هى حثهم على عدم الإفتتان بالدور إلى هذا الحد وأن الأمر لا يعدو أن يكون تمثيلا ولابد من إصلاح العلاقة فيما بينهم (١٦٣٨).

سابعا: الاتجاه والفعل:

صحيح أن السؤال القديم "هل البيضة هى أصل الدجاجة أم الدجاجة هى اصل البيضة؟

شكل رقم (٤)

Attitudes and actions generate on another, like chicken and egg.

الإتجاه

الفعل

يمكن أن يطبق على موضوع الاتجاه والفعل. فالإتجاه لا يشير إلى فعل معين بل هو تجريد لعدد من الأفعال والاستجابات التى ترتبط فيما بينها.

سابعا: الاتجاه والتعصب: **Attitue & Prejuice**

ينبغى عدم الخلط بين الاتجاه والتعصب **Prejeudice** فالتعصب اتجاه سلبى أو إيجابى نحو قضية أو فكرة لا تقوم على أساس منطقى ولم يقم الدليل العلمى على صحتها، كما يتصف التعصب بأنه مشحون بشحنة انفعالية زائدة تجعل التفكير عن الموضوعية والمنطق السليم، فتعصب الفرد نحو جماعته يجعله يشعر بالحب نحوها، والبغض تجاه كل ما عداها من الجماعات، وبذلك يؤدى التعصب إلى عزل الجماعات المتعارضة وإلى إقامة حدود فاصلة بينها.

ولذلك كان من خصائص قوميتنا العربية الواضحة إنها لا تقوم على أساس التعصب أو كره الشعوب الأخرى أو التسامى عليها، وإنما تقوم على أساس التعاون مع القوميات الأخرى واحترامها، ودور المدرسة هنا تدريب طلابها على عدم التعصب تجاه فرقهم أثناء اشتراكهم فى النشاط التربوى المدرسى سواء أكان رياضيا أو علميا أو اجتماعيا أو صحفيا أو فنيا ومن هنا يتمرس على استخدام الأسلوب المنطقى الموضوعى عن طريق عدم التعصب الكروى أو التعصب لفئة أو جماعة خاصة به أو التعصب لرأى معين.

ثامنا: الاتجاه والدافعية:

تعكس دوافع الفرد جانبا هاما من جوانب تسقه النفس، ومن ثم تلقى الضوء على طبيعة الذات وارتقائها والمتغيرات المرتبطة بها (٢٦:٦٩).

ويفرق نيوكمب ـ ١٩٦٤" بين الدوافع والاتجاهات كما يلى (٢:٥١٨):

(١) يمكن ملاحظة اثر الدوافع فقط فى الحالات التى ينشط فيها الفرد ويسعى من أجل تحقيق شئ ما بينما يمكن ملاحظة أثر الاتجاهات فى حالات التصرفات السلوكية وفى الحالات الأخرى التى لا يكون الفرد فى حالة نشاط سعيا وراء هدف خاص أى ان الدافعية تتعلق بنشاط الفرد ومرتبطة به بينما الاتجاه له صفة الدوام والاستمرار.

(٢) يمكن أن تكون الاتجاهات أكثر شمولا وعمومية من الدوافع حيث أن هذه الأخيرة أكثر تخصيصا ونوعية..

ويكمل نيوكمب ـ Newcomb" فيقول أن الدوافع التى تكون لها صفة الشمول لا يمكن تميزها من الاتجاهات. وأخيرا فإن الاتجاهات حصيلة تأثر الفرد بالمثيرات العديدة التى تصدر عن اتصاله بالبيئة وأنماط ونماذج الثقافة السائدة والتراث الحضارى الموروث عن الأجيال السابقة. وبهذا فالاتجاهات مكتسبة وليست موروثة بأية حال من الأحوال.

تاسعا: الاتجاه والقوالب النمطية Stereotypes

إن القوالب النمطية هى عبارة عن اتجاهات جامدة وتستخدم للإشارة إلى المعتقدات والمدركات التى توجد لدينا عن أعضاء قومية ما، أو ديانة ما، أو جماعة ما من جماعات الأقلية. حيث يوجد لدى كل منا عدد من التصورات أو التوقعات لأعضاء الفئات الاجتماعية المختلفة من حيث ملامحهم الجسمية، وقدراتهم العقلية وسماتهم الشخصية..الخ. وتنشأ القوالب النمطية نتيجة قيامنا بعملية التصنيف إلى فئات Categorization. وتقوم عملية التصنيف إلى فئات على عدد من الأسس أو القواعد، لخصها "روزنبرج وآخرون Rosenberg et al., 1968" فى بعدين رئيسيين (٢٧:٢٨٣-٢٩٤):

١-**الخصال الاجتماعية** أو العلاقات بين الأشخاص •مثل : حسن، ومحايد. واجتماعى. ومتسامح، ومخلص/ فى مقابل سئ، وغير شعبى، ومتشائم، وغير اجتماعى. وسريع الغضب).

٢-**الخصال العقلية** (مثل ـ مثابر وخيالى، وماهر وجاد / فى مقابل أحمق، وغير خيالى وغير ذكى).

وقد أوضح أصحاب المنحى المعرفى دور كل من التمثيلات العقلية Mental Representation، والمخططات العقلية Mental scheme فى تشكيل ادراك الاشخاص للموضوعات والاحداث الاجتماعية. حيث يترتب على عملية التصنيف معالجة للمعلومات الموجودة لدى الفرد عن موضوع ما، فيتكون لديه معلومات اضافية عن الفئة موضوع التصيف بحيث تتسق المعلومات مع نوعية الفئة كما قد يترتب على عملية التصنيف اشكال خاطئة من الإدراك التى قد تؤدى إلى اشكال من العدوان والتعصب (٢٨:٢٣٥-٢٤٦).

وتتميز القوالب النمطية بعدة خصائص أهمها ما يأتى:

١-**التعميم الزائد** فتنسب الخصائص لكل فرد أو لمعظم الناس الذين ينتمون لعنصر معين أو لشعب معين (أو لمحافظة معينة).

٢-**التبسيط الزائد** فتستخدم صفة واحدة أو عدد قليل من الصفات فى وصف عنصر بشرى بأكمله أو أمة بأكمله.

٣-**الجمود** نتيجة الادراك والتفسير الانتقائيين وبالتالى تجاهل الإدراك المضاد(٢٩:٥٢).

عاشرا: الاتجاه والأيديولوجية:

الايديولوجية هى تركيبة عقلية وجدانية، تخاطب الذهن كما تحرك العاطفة، تساعد الانسان على تفهم معنى الحياة وتذوق طيباتها، كما تعينه على تقبل وتحمل متاعبها. والصبر على نوائبها. فكما يستحيل أن يعيش الإنسان العادى بغير هواء، يستحيل أن يعيش الإنسان الاجتماعى بغير ايديولوجية (٣٠).

وتشتمل الأيديولوجية على مجموعة كبيرة من الاتجاهات المترابطة، لذا فهى أكثر عمومية من الاتجاه. او هى عبارة عن الاتجاه الشامل الذى يمكن أن نطلق عليه فلسفة حياة الفرد.

قياس الاتجاهات ***Measuring attitudes***

مقدمة:

يمكن تصور الاتجاه على انه يشبه الخط المستقيم الذى يمتد بين نقطتين، احدهما تمثل أقصى درجات الموافقة على موضوع الاتجاه نحو تدخبن السجائر، "نحو علم النفس الاجتماعى، نحو خروج المرأة للعمل، أو أعطاء المرأة حقوقها السياسية، أو نحو كليات التربية النوعية ، نحو اتفاقية الجات، نحو انتخابات مجلس الشعب المصرى ٢٠٠٠، نحو اعلان الدولة الفلسطينية المستقلة فى نوفمبر ٢٠٠٠،..الخ)، والأخرى تمثل اقصى درجات المعارضة أو الرفض لهذا الموضوع، وفى منتصف المسافة القائمة بينهما توجد نقطة الحياد.

أوافق بشدة　　أوافق　　محايد　　اعارض　　اعارض بشدة

الشروط والاعتبارات التى يجب توفرها فى قياس الاتجاهات:

(أولا) : تحديد مفهوم الاتجاه وتعريفه اجرائيا كما يتناوله فى دراسته.

(ثانيا) : الاطلاع على الدراسات السابقة التى تناولت موضوع الاتجاه المراد قياسه.

(ثالثا) : اعداد مجموعة من الأسئلة المفتوحة **Open-end questionos** تختص بكل مكون من مكونات الاتجاه.

مثال: الاتجاه نحو تدخين السجائر:

- **المكون المعرفى** : اعتقاد الشخص بأن التدخين ضار بالصحة.
- **المكون الوجدانى** : كراهية الفرد لرائحة التدخين.
- **المكون السلوكى** : الابتعاد عن المدخنين أو عزلهم أثناء التدخين.

ثم يقوم الباحث بتوجيه هذه الأسئلة إلى عينة استطلاعية مشابهة لحد كبير مع عينة البحث بهدف الحصول على أفكار تضاف للمقياس.

(رابعا) : فى ضوء القيام بالدراسة الاستطلاعية الميدانية فى الخطوة السابقة يمكن للباحث اعداد بنود المقياس وهى غالبا من النوع المغلق النهائية Closed - end questions (يمكن الجمع بين النوعين المفتوح النهاية والمغلق النهاية) ويراعى **عند اعداد المقياس فى شكله النهائى ما يأتى:**

١-تعليمات المقياس مبينا الهدف من الدراسة ــ طريقة الاجابة على بنود المقياس.

٢-تحديد الأسئلة الخاصة بكل جانب من جوانب الموضوع المراد دراسته ثم خلطها معا حتى لا تتضح خطة التسلسل المقصود بين الاسئلة المختلفة لكى لا تتكون لدى المبحوث وجهة معينة فى الاجابة، ولمعرفة مدى صدق الاجابة المعطاة، يضع الباحث اسئلة تأكيدية (نفس المعنى بصياغات مختلفة)، فكلما اتفقت الاجابات على الاسئلة المتعادلة كلما زادت درجة الثقة فى نتائج المقياس ويمكن حسابها من خلال المعادلة.

$$\text{نسبة الثقة} = \frac{\text{ن ش}}{\text{ن م}}$$

حيث ن ش = عدد الأسئلة المتعادلة التى اجيبت عليها اجابة مشتركة من المفحوص

ن م = العدد الكلى للأسئلة المتعادلة.

على أن يقرر الباحث مثلا حذف الاستمارة الخاصة للمبحوث التى تبلغ نسبة الثقة فيها أقل من ٠,٧٥ (٣١:٤٧٦).

٣-أن تصاغ الأسئلة بكلمات بسيطة وسهلة وواضحة مع تجنب الاسئلة التى تؤدى إلى الايحاء.

٤-كما يجب أن تكون كل جملة واضحة ومختصرة Brief وتقدم فكرة واحدة وتلقى الضوء على شعور لا على حقيقة and focused on a feeling rather than on a fact أى باعتبار أنه اتجاه لا معلومة ويقدم لنا "ادواردز Edwards ــ ١٩٥٧" قائمة مفيدة من اقتراحات من أجل اختيار عبارات مقياس الاتجاه.

- تحاشى الجمل التى تشير إلى الماضى أكثر من أن تشير للحاضر.
- تجنب العبارات التى تكون واقعية أو المبنية على حقائق Factual
- تجنب العبارات التى يمكن تفسيرها (تأويلها) Interpreted بأكثر من طريقة.
- تجنب العبارات التى ليس لها علاقة بالموضوع النفسى المشار إليه consultation (الذى هو قيد البحث).
- تجنب العبارات التى من الممكن أن يقرها (يجيزها) Lekely to be -- endorsed أى فرد أو حتى التى لا تجاز.
- اختر العبارات المؤثرة التى تغطى جوانب المقياس.
- حافظ على ان تكون لغة العبارات بسيطة وواضحة ومباشرة.
- يجب أن تكون العبارات قصيرة ونادرا ما تتعدى عشرين كلمة قدر المستطاع.

- يجب أن تحتوى كل عبارة عن فكرة تامة كاملة.
- العبارة التى تحتوى على كلمات تشير إلى العمومية مثل (كل ، دائما ، ولا واحد، ابدا، غالبا) عادة ما تكون عسيرة الفهم ولهذا يستحسن تجنبها.
- يجب توخى الأعتدال والحذر فى استخدام كلمات مثل (فقط، مجرد، تقريبا) عند كتابة العبارات.
- يجب كتابة العبارات فى جملة بسيطة ـ كلما أمكن ذلك ـ ويفضل ألا تكون مركبة أو معقدة.
- تحاشى استخدام الكلمات التى يصعب فهمها لمن سيطبق (أو سيجيب على) المقياس بعد أن يستكمل.
- تجنب استخدام نفى النفى double negatives.(٣٢:٣١٢-٣١٣).

٥- أما محكات اختيار (العبارات فى مقياس الاتجاه فهى:

أ. ان تكون عالية الارتباط من الناحية النفسية بالاتجاد أو الرأى الذى تقيسه.

ب. أن تميز تميزا حاسما بين الناس.

ج. أن تكشف عن كافة ظلال البعد الذى تقيسه.

د. عددها يجب أن يكون كافيا بحيث تعادل الاخطاء والنواقص العرضية.

٦- تحديد الأسلوب أو الطريقة التى تصاغ بها الأسئلة ما إذا كانت توجه فى شكل استبار (أو مقابلة) Interview أم استخبار (استبيان Questionnaire) وتتم المقابلة فى الأول وجها لوجه بين الباحث والمبحوث، حيث يلقى الباحث السؤال ويسجل استجابة المبحوث للحصول على معلومات عن سلوك هذا الطرف الآخر أو سمات شخصيته، أو للتأثير فى هذا السلوك أما الاستخبار فلا يشترط هنا عنصر المواجهة بين الباحث والمبحوث.

٧- تزايد الاستجابة المحايدة "غير متأكد" أو "لا أعرف" تدل على أن السؤال المستخدم يحتاج إلى تعديل أو حذف.

٨- تصحيح بنود المقياس وتبويب البيانات بدقة حسب اتجاه البند فالبند الايجابى ترصد درجته كما هى، أما البند السلبى (أو المنفى) فيجب عكس الدرجة التى حصل عليها الفرد. فالدرجة (٥) تصبح (١) عند الرصد والعكس فالدرجة (١) تصبح (٥) أما الدرجة (٣) فتظل كما هى. وبعد ذلك يتم الحصول على درجة لكل بند وجانب ثم من خلال جمع درجات الأبعاد النوعية يمكن الحصول على درجة كلية للإتجاد.

٩- يلى ذلك استخدام التحليلات الاحصائية الملائمة لطبيعة البيانات التى تم جمعها.

(خامسا): الجاذبية الاجتماعية فى مقاييس الاتجاهات Social Desirability يشير "إدواردز ـ ١٩٦٤ Edwards" إلى ميل المبحوث إلى اعطاء استجابات مرغوبة أو مفضلة اجتماعيا عن نفسه وأوضح "أوسكامب ـ ١٩٧٧ Oskamp" أنه يمكن التغلب على هذه المشكلة بقدر الامكان باتباع ما يأتى:

١- اخبر المبحوث بأنه لا توجد اجابات صحيحة وأخرى خاطئة، وأن الهدف هـو معرفة اتجاهه فقط.
٢- عدم ذكر الشخص المبحوث لاسمه عند الاستجابة.
٣- إخبار المبحوث بضرورة التعبير عن إجاباته بأمانة ودقة تامة.
٤- يمكن استخدام مقياس الكذب لمعرفة الأفراد المرتفعين فى الكذب واستبعاد استماراتهم "مقياس كشف الكذب".

(سادسا): ثبات وصدق مقاييس الاتجاهات:

(١) الثبات Reliability

أى دقة الاختبار فى القياس وعدم تناقصه مع نفسه، وتعرف "انستازى" ثبات الأداة بأنه يشير إلى الاتساق والدقة فى الحصول على نفس النتائج عند تكرار التجربة على نفس الأفراد وفى نفس الظروف (٢٨:٣٣).

The term reliability means consistency. The reliability is the consistency of scores obtained by the same persons when retested with the identical test of or with on equivalent form of the test.

والاتساق هنا معناه أن يكون لهذه البيانات منطلق واحد أو اتجاه واحد، وتعتمد فكرة الثبات على مدى انحراف درجة كل فرد فى التطبيق الأول للاختبار عنها فى التطبيق الثانى لنفس الاختبار، ومن أهم حساب الثبات ما يلى:

(أ) اعادة الاختبار Test retest:

إعادة تطبيق الاختبار على نفس الأفراد فى مناسبة أخرى، أو فى فترات زمنية متقاربة، وايجاد معامل الارتباط بين الدرجات التى يحصل الأفراد فى الفترات التى أعيد فيها الاختبار، ومعامل الثبات فى المناسبتين، ويرجع عدم الثبات فى هذه الحالة إلى ظروف اختبارية لم يتم تقنينها أو التحكم فيها أو إلى عوامل داخل المفحوص نفسه (كالمرض أو التعب أو الاضطراب الانفعالى، القلق..الخ) وعوامل الثبات هنا هى عبارة عن تقدير لنسب الاستقرار فى درجة الفرد، رغم التغيرات خلال مدى زمنى مناسب، ولكن معامل الثبات المحدد لهذه الطريقة معرض لكثير من الأخطاء التى تقلل من أهميته، إذ أن إجراء الاختبار على المفحوصين فى المرة الثانية يتأثر بالعوامل الآتية(١٧٥:٣٤):

- موقف الاختبار موقف تعليمى يستفيد منه المفحوصين فى الالفة بمواقف الاختبارات التالية. مما يقلل الاضطراب الانفعالى وخطوات تكوين العلاقات الطيبة فى الاجراء الثانى.
- تتأثر درجات المفحوصين فى الاجراء الثانى بطول الفترة الزمنية بين الاجراء الأول والاجراء الثانى، وغالبا لا يقل طول هذه الفترة عن اسبوع فى الاختبارات التى تقيس وظيفة بسيطة، فقد دلت نتائج البحوث التى قامت بها أنستازى **A.Anastasi** على أن الحد المناسب للفاصل الزمنى الذى يمضى بين اجراء الاختبار فى المرة الأولى والثانية

يجب الا يتجاوز اسابيع قليلة بالنسبة للأطفال أو تلاميذ المرحلة الابتدائية أو تلاميذ المرحلة الاعدادية، وألا يتجاوز ستة أشهر بالنسبة للكبار البالغين كطلاب المرحلة الثانوية وطلاب الجامعة (٣٣).

وقد أشار "السيد خيرى" إلى أن الظواهر الاجتماعية تختلف عن القدرات العقلية فى أنها اقل ثباتا وأسرع فى التغيير، فعدم ثبات الاستمارة قد يكون راجعا لتغيير فعلى فى الظاهرة الاجتماعية لدى الأفراد، ولذا كانت طريقة إعادة القياس أقل الطرق دقة فى حساب معامل ثبات المقياس الاجتماعى إلا إذا كانت الاستمارة تتعلق بظواهر ثابتة(٣١:٤٨٨).

(ب) **إلصور المتكافئة Alternative – Form Reliablity**

احد الطرق للتغلب على صعوبات طريقة إعادة الاختبار ــ وتتلخص فى اعداد صورتين من نفس الاختبار ثم تطبيقهما فى جلسة واحدة أو جلستين بينهم فاصل زمنى (على نفس الأفراد) ثم يحسب معامل الارتباط بين درجات الأفراد فى صورتى الاختبار، ويدل هذا المعامل على ثبات الاختبار، والاختبارات المتكافئة من التى لها نفس المتوسط ونفس التباين، والتى ترتبط فيما بينها بنفس القدر.

وأهم صعوبات هذه الطريقة تتمثل فى عدم إمكان إعداد صور متكافئة للكثير من الاختبارات، كذلك الجهد المضاعف المبذول والوقت والتكلفة المبذولة فى بناء الاختبار، فمن المعروف ان إعداد اختبار نفسى واحد يتطلب جهدا كبيرا، فما بالك باعداد أكثر من اختبار لقياس نفس الخاصية او الظاهرة.

(ج) **التجزئة النصفية Split – half reliability**

تجزئة الاختبار إلى نصفين متكافئين واعطاء درجة منفصلة لكل نصف ثم حساب معامل الارتباط بينها، وهذه الطريقة تتلافى ما يوجه إلى طريقة حساب اعادة الاختبار من عيوب، وهى اننا باعادة الاختبار لا نضمن أن تكون ظروف اجراء الاختبار الأول هى نفس ظروف الاختبار الثانى، ويفضل أن تكون ظروف اجراء الاختبار هى نفس ظروف الاختبار الثانى، ويفضل فى التجزئة النصفية تقسيم الاختبار إلى قسمين يتضمن احدهما المفردات الفردية (١،٣،٥،٧،..الخ) ويتضمن القسم الآخر المفردات الزوجية (٢،٤،٦،٨،..الخ) حيث يوزع المفحوص جهده ووقته ويستغل وظائفه بنفس القدر فى القسمين، كما يتميز التقسيم (الفردى ــ الزوجى) بضمان أكبر قدر من التكافؤ بين نصفى الاختبار. وخاصة إذا كانت وحدات الاختبار مدرجة من السهل إلى الصعب، كما أن منها ضمان ثبات العوامل المؤثرة على نتائج القياس فى النصفين، لأنه من المحتمل أن تتغير الظروف والعوامل الخارجية او الداخلية تغيرا منتظما بين الأسئلة او البنود المثالية، بينما لا تتوافر المميزات السابقة، إذا ما قسمنا االاختبارين إلى نصفين يتضمن الجزء الأول الأسئلة من (١) إلى نصف الاختبار، ويتضمن الجزء الثانى الأسئلة من المنتصف حتى آخر سؤال بالاختبار، حيث تؤثر عوامل تراكم التعب والملل فى الاجابة عن النصف الأخير، فضلا عن النصف الأول عادة ما يكون

أسهل من النصف الثانى، ويجب ألا نغفل أن الارتباط الذى تحصل عليه هذه الطريقة هـو معامل ثبات نصف الاختبار لا الاختبار كله، ومن الحقائق المعروفة أنـه كلمـا زاد طـول الاختبار (عدد بنوده) كلما زاد معامل ثباته ـ لذا فمن اللازم اجـراء تصحيـح احصـائى للمعامل الذى نحصل عليه من معامل الارتباط بين النصفين، وفى هذا الشان توجـد عـدة معادلات لتصحيح الطول منها معادلة سبيرمان براون Sperman – Brown Formula، ومعادلـة جوتمـان L.Guttman ومعادلـة جلكسـون H.Gulikson للاختبـارات الموقوتة(٣٥:٥٢٠-٥٣٥).

(٢) الصـدق Validiy

يتعلق موضوع صدق الاختبار بصلاحية الاختبار لقياس ما وضع لقياسه، ويتطلب ذلك تحديد العلاقة بين اداء المفحوص فى الاختبار من الحقائق والبيانات التى يمكن ملاحظتـها ملاحظة مستقلة عن الاختبار وتتناول الظواهر السلوكية موضوع الاهتمام(٣٣:٩٩-١١٨).

ويدلنا صدق الاختبار على أمرين هما : ما الذى يقيسه الاختبار؟ وكيـف ينجـح فـى قياسه؟ وليس لذلك علاقة باسم الاختبار بل بمضمونه. وتتلخص كل طرق حسـاب صـدق الاختبار فى بحث العلاقة بين الأداء على هذا الاختبار وبين عدد مـن الحقـائق المسـتقلة الأخرى التى يمكن ملاحظتها فيما يتعلق بخصائص السلوك موضـع الاعتبـار(٣٦:١٤٤). والاختبار الصادق وليس العكس، ويعتبر الصدق من المشكلات الاساسـية فـى مقـاييس الاتجاهات نظرا لأنها تفتقد إلى وجود محكات خارجية فى معظم الأحيان، وقد يتخذ البـاحث محكات هو نفسه فى حاجة إلى إثبات صدقها(٣٧:٧٥،٣٨:٤٥٨).

ونعرض فيما يلى لبعض أنواع الصدق المستخدمة فى مجال قياس الاتجاهات، وذلـك على النحو الآتى(١٦:٨٣-٨٤):

١-**الصدق العاملى** (صدق التكوين الفرضى) Construct validity

فى هذا الأسلوب يستخدم التحليل العاملى للحصول على تقدير كمى لصدق الاختبار فـى شكل معامل احصائى، وهو تشبع الاختبار على العامل الذى يقيس مجالا معينا، وقد اشـارت "انستازى" إلى ان هذا النوع من الصدق يندرج تحت ما يسمى "بصدق التكويـن الفرضـى Construst Validity، وتتمثل أهمية التحليل العاملى فى دراسة الاتجاهات نحو موضوع ما فى أنه يمكننا من تحديد الابعاد الاساسية لهذه الاتجاهات حول هذا الموضوع(٣٧:١٤٣) فنحن نبدأ فى مصفوفة ارتباطية بين عدد من المتغيرات التى تقيس مجالا متجانسا. ونخرج من تحليل هذه المصفوفة عامليا بعدد من الفئات التصنيفية هى العوامل التـى تعـبر عـن التباين المشترك بين هذه المتغيرات(٣٩).

٢-**الاتساق الداخلى** Internal Consistency

يعتمد هذا النوع من الصدق على تقدير تجانس المقياس أو استمارة البحث والمقيـاس المتجانس هو المقياس الذى تقيس جميع وحداته عاملا واحدا لدى جميع الاشخاص. وفـى حالة ما إذا كان المقياس يشتمل على مقاييس فرعية مستقلة فينبغى اعتبار كل منها مقياسا

قائما بذاته، وتؤخذ درجته على حدة دون الحصول على درجة كليـــة للمقيـــاس. ودرجـــة تجانس المقياس يمكن تحديدها احصائيا من خلال حساب معامل الارتباط بين نتائج الوحدات المختلفة، ويتمثل الاتساق الداخلى للمقياس فى حساب معامل الارتباط بين البند والدرجـــة الكلية للمقياس، وفى ضوء ذلك يتبين البنود التى ترتبط بالمقياس، وتلك التى لا ترتبط به. وبالتالى يجب استبعادها وعدم ادخالها فى التحليلات الاحصائية بعد ذلك، ويعـــد الاتســـاق الداخلى للمقياس مؤشرا لتجانسه وصدقه فى قياس الظاهرة موضع الاهتمام(٤٠).

٣-التغيرات الارتقائية Developnental Changes

حيث تتزايد الدرجة التى يحصل عليها الفرد مع تزايد العمر ويستفاد من ذلك إذا كنـــا بصدد المقارنة مثلا بين اتجاهات افراد من مراحل عمرية مختلفة، كأن تقارن بين اتجاهات المراهقين والراشدين نحو ظاهرة "الإدمان" أو "التعصب الكروى" أو "الأغانى الشـــبابية"، أو "التطرف الدينى" ومدى ما تكشف عنه الدراسية من تغيرات فى اتجاهات هـــؤلاء الأفـــراد تعكس طبيعة كل مرحلة عمرية يعد دليلا على صدق المقياس المستخدم.

أساليب قياس الاتجاهات Measuring attitudes techniques

يمكن تصنيف أساليب قياس الاتجاهات النفسية إلى أربع فئات تشمل:

(١) مقاييس التقرير الذاتى **Self – Report Measures**

(٢) أساليب ملاحظة السلوك الفعلى

(٣) أساليب التعرف على الاتجاهات من خلال المتغيرات أو الإرجاع الفسيولوجية.

(٤) الأساليب الإسقاطية.

أولا: مقاييس التقرير الذاتى Self – Report measures

وفيها يقرر الفرد مشاعره الوجدانية أو تقييمه لموضوع الاتجاه. وقليل مـــن وســـائل قياس الاتجاهات تتضمن محاولات منظمة للتمييز بيـــن العوامـــل الوجدانيـــة والمعرفيـــة والسلوكية للاتجاه. بل إن غالبية المقاييس تزودنا بمؤشـــر كمـــى لمجمـــوع الاســـتجابات التقييمية **Evaluative Responses** كما يستطيع الباحث أن يميز بطريقـــة ايجابيـــة أو بطريقة سلبية (حسن أو ردئ) قبول أو رفض، حب أو كراهية ماله وما عليه..الخ).

وأمثلة لمقاييس التقرير الذاتى، المقاييس التالية:

(١) **مقياس المسافة الاجتماعية Social Distance**

وهو مقياس أعده (بوجاردس ـ ١٩٢٥) لقياس مدى تقبل أو نفور الأمريكييـــن مـــن الشعوب أو القوميات الأخرى، ويتكون هذا المقياس من سبع عبارات تقريرية يوضح اختيار الفرد لإحداها وجهة ودرجة اتجاهه نحو الشعب أو القومية المعينة موضوع الاتجاه حيـــث يمثل اختياره العبارة الأولى أقصى درجات التقارب الاجتماعى واختيـــار العبـــارة الســـابعة اقصى درجات التباعد أو النفور. وهذه العبارات السبع تفيد فى معرفة اتجاه الفرد نحو ابناء الشعوب الأخرى.

وفيما يلى نموذج لمقياس البعد الاجتماعى بوجاردس نحو الزنوج ـ اليهود ـ الانجليز ـ العمال..الخ.

وقد طبق هذا المقياس على عينة ضخمة بلغ قوامها الفى فرد (٢٠٠٠) من الأمريكيين لمعرفة اتجاههم نحو (٤٠) قومية.

نحو مزيد من القبول ← أحب أن

استبعدهم من وطنى	اقبلهم كزائرين فى بلدى	اقبلهم كمواطنين فى بلدى	ازاملهم فى العمل	اجاورهم فى المكان	أصادقهم	أتزوج منهم
٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

نحو مزيد من الرفض ←

ملاحظات عامة على مقياس بوجاردس:

(أ) إن عبارات هذا المقياس ليست متدرجة تدريجا متساويا، أى لا تتساوى الأبعاد بين وحدات المقياس.

(ب) لا يقيس هذا المقياس الاتجاهات الحادة مثل التعصب الدينى.

(ج) إن من يوافق على الوحدة الأولى من المقياس يوافق عادة على الوحدات حتى السادسة.

(٢) **مقياس ثيرستون Thurstone Scale ـ ١٩٢٩**

فكر (ثيرستون) فى بناء مقياس يتلافى عيوب مقياس (بوجاردس) وتنحصر طريقة اعداد هذا المقياس فى الخطوات التالية:

١-جمع عددا كبيرا من العبارات (١٠٠) عبارة تمثل مختلف الأتجاهات نحو موضوع معين.

٢-عرضها على عدد كبير من المحكمين بلغ عددهم (١٠٠) محكم لتحديد أكثر العبارات التى تمثل الطرف الايجابى من الاتجاه، وأكثر العبارات التى تمثل الطرف السلبى من العبارات، والمحايدة.

٣-طلب من كل منهم بشكل مستقل أن يطبع أكثر العبارات ايجابية فى الخانة رقم (١) وأكثرها سلبية فى الخانة رقم (١١) والمحايدة فى الخانة رقم (٦) وهكذا كما يتضح من الشكل.

أقصى درجات القبول ← الحياد ← اقصى درجات الرفض

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١

شكل رقم (٥)

يبين المسافات المتساوية البعد فى مقياس الاتجاد لدى ترستون

٤-استبعد العبارات الغامضة أو الغير مناسبة والتى اختلف فى شأنها المحكمون.
٥-حسب لكل عبارة وزن Scale value بالنسبة لبقية المقياس، بجمع الأوزان التى اعطاها كل المحكمين والقسمة على بعدهم.
٦-اختار انسب العبارات بحيث تكون المسافات بينها متساوية وعددها حوالى(٢٢) عبارة.
٧-وضع العبارات فى قائمة مبدئية وطبقت على عينة من الأفراد للوقوف على صدق هذه العبارات أى قياس ما وضعت لقياسه.
٨-تفرغ درجات المبحوثين عن سؤال معين للوقوف على العبارات التى تعبر عن الاتجاه والتى لا تتفق درجات المبحوثين مع معنى هذا الاتجاه ومحاولة استبعاد العبارات التى لا تتفق ومعناها مع الاتجاه.
٩-فى النهاية تقبل العبارات التى تثبت أنها تعبر فعلا عن موضوع الاتجاه.

وقد تضمنت الصورة النهائية للمقياس البنود التى وافق عليها أغلب المحكمين لكل منها وزن نسبى. ويشير مجموع أوزان العبارات التى يوافق عليها الفرد إلى درجته الكلية على المقياس، وكلما زادت هذه الدرجة دل ذلك على أن الفرد أكثر ميلا لموضوع الاتجاه.

ملاحظات على المقياس:

(أ) إن الاستعانة بحكام متحيزين أو متعصبين يؤثر فى تكوين وبناء المقياس.
(ب) من الممكن أن تكون العبارات المتساوية فى نظر المحكمين الخبراء فى الميدان غير متساوية بالنسبة للمبحوثين أو ليست متساوية فى الواقع.
(ج) تتطلب هذه الطريقة جهد ووقت كبيرين حتى يصبح القياس صالحا للاستخدام.
(د) قد يقترب متوسط التقدير للفرد من متوسط التقدير لفرد آخر مع اختلاف دلالة كل من المتوسطين.
(د) إن هذا المقياس لا يعطينا فكرة عن شدة الاتجاه لأن الموافقة على نفس العبارة تصحح وانما بنفس الطريقة بصرف النظر عن شدة المستجيب لها.

ولقد استخدمت طريقة ثيرستون فى قياس الاتجاهات نحو الحرب والكنيسة والزنوج وكيفية معاملة المجرمين وتنظيم الأسرة.

وفيما يلى نموذج توضيحى يضم (١١) عبارة مختارة يضمها المقياس الأصلى لقياس الاتجاه نحو الحرب.

الوزن	العبارة
٠,٢	ليس هناك أى مبرر معقول للحرب.
١,٤	الحرب صراع مرير عديم النفع ينتج عنه تحطيم النفس.
٢,٤	الحرب إفناء لا داعى له للنفوس البشرية.
٣,٢	إن مكاسب الحرب لا تساوى بؤسها ومآسيها.
٤,٥	نحن لا نريد حروبا أخرى إذا أمكن تفاديها بدون فقدان كرامتنا.
٥,٥	من الصعب أن نقرر ما إذا كانت الحروب ضارة أم نافعة.

٦,٦ هناك بعض الآراء تؤيد الحرب.
٧,٥ فيظروف معينة تكون الحرب ضرورية لتحقيق العدل.
٨,٥ الحرب أسلوب ناجح لحل المشكلات الدولية.
٩,٨ الحرب تثير همم الرجال وجهدهم.
١٠,٨ اسمى واجبات الرجل أن يحارب لتحقيق قوة ومجد الوطن.

وعلى المستجيب أن يضع علامة (+) إلى جانب العبارة أو العبارات التى يوافق عليها ويكون تقدير الشخص هو متوسط أو وسيط أوزان العبارات التى وضع العلامات مقابلها.

(٣) **مقياس ليكرت:** Likert (طريقة التقديرات التجمعية) ـ ١٩٣٢

كانت طريقة ثيرستون مرهقة وتحتاج إلى كثير من الجهد والوقت فى العمليات الكثيرة التى تتضمنها ابتداء من اختيار العبارات التى عرضها على العدد الكبير من المحكمين ثم تصنيفها واعداد أوزانها.

ولذا ابتدع (ليكرت) مقياس ثابت وموحد لقياس درجة التأييد أو المعارضة نحو موضوع الاتجاه. ويتكون المقياس من نقطة الحياد ثم يمتد ناحية التأييد بدرجتين أو ثلاث. حيث تعرض العبارة على المستجيب ويطلب منه أن يسجل رأيه حسب الحالة التى تنطبق عليه. وعادة ما يستجيب المبحوث للعبارات بإشارة عددية عن قوة شعوره (أو شعورها) تجاه العبارة ويمكن استنباط الاستجابات لتقدير قوة الاتجاه. وغالبا ما يكون التكنيك (الاسلوب) المستخدم هو الحصول على اشارة عددية Numerical indication عن قوة الاتجاه ولابد من وجود مستجيبين لتحديد مستوى شعورهم نحو العبارات وغالبا ما تكون بقدير درجة اتفاقهم أو اختلافهم معا. ويعرف هذا الأسلوب بالتقديرات التجمعية Sumative reatings أوLikert Scale نسبة إلى ليكرت، وقد أمكن من خلاله التغلب على الصعوبات السابقة فى مقياس ثرستون فهو يتفوق عليه فى سهولة اعداده وثبات نتائجه. وإذا اردت أن تقيس الاتجاه نحو تصنيف الطلبة يجب أن يتضمن العبارات التالية:

١-أنا أؤيد تصنيف الطلبة فى مجموعات.
٢-يحصل الطالب أكثر عندما يكون معهم طلبة آخرون فى نفس قدرتهم.
٣-يجب أن يدرس الموهوبين فى فصول تحتوى على طلبة موهوبين آخرين.
٤-يجب وضع تلاميذ التربية الخاصة فى فصول نظامية (عادية).

ويضع المستجيبين درجة أمام كل عبارة مبينا عليها مقدار الموافقة على العبارة. ويمكن وضع العبارات بصورة ايجابية وبصورة سلبية على حد سواء للتصحيح كى تجعل أفراد البحث يتفقون مع أغلب العبارات التى تعرض عليهم. ويسمى هذا الاتجاه باتجاه الموافقة Acquiescence فمثلا عندما ننوى قياس الاتجاه نحو تصنيف الطلبة فى مجموعات متجانسة يمكن إضافة العبارة التالية: "تجميع الطلبة من خلال قدرتهم حسب أعلى تحصيل حققوه" وعند قراءة ذلك بالمقلوب نقول "تعطى عملية تجميع الطلبة حسب قدراتهم تحصيلا أكبر".

نلاحظ هنا أنه من الصعوبة بمكان أن نقلب البيانات دون تغيير المعنى بصورة جوهرية.

- **عدد الخطوات Number of steps**

عدد الخطوات هام فى القياس وكلما كانت الخطوات كثيرة كلما كان ثبات المقياس عالي. وهذه الكثرة فى العدد يمكن ملاحظتها حتى سبع خطوات. ولكن الثبات يقل عندما تصل إلى عشرين خطوة، ومن النادر استخدام بنود التفضيلات التى تكون أكثر من سبعة وتنبع الزيادة طفيفة فى الثبات باضافة عبارات أكثر.

- **أنواع المرتكزات "التفضيلات أو البدائل" Types of Anchors**

على الرغم من أن مرتكزات 'موافق ـ غير موافق' مرنة بصفة خاصة إلا أنه من الممكن استخدام تفضيلات أخرى عندما تتوافق مع معنى العبارات. ولهذا استخدمت هذه المرتكزات مثل ☹مؤثرeffective ـ غير مؤثرIneffective) ـ (هامinportant ـ غير هامunimportant) ـ (يحبنىlike me ـ لا يحبنىnot like me) (٣٢:٣١٣-٣١٤).

(أ) وعندما يكون المقياس خماسيا يكون وزن الاستجابات كالآتى:

(+ ٢ للتاييد المطلق، - ٢ للمعارضة الشديدة)

+ ٢	+ ١		- ١	- ٢
Strongly agree	agree	Uncertain	Disaqree	Strongly disagree
أوافق بشدة	أوافق	لم أكون رأيا	أعارض	اعارض بشدة
٥	٤	٣	٢	١

(ب) وعندما يكون المقياس سباعيا أى بثلاث درجات للتأييد وثلاث للمعارضة يكون وزن العبارات كالآتي:

+ ٣	+ ٢	+ ١	-	- ١	- ٢	- ٣
أوافق بشدة	اوافق بصفة عامة	أوافق	لم أكون رأيا	أعارض	أعارض بصفة عامة	أعارض بشدة
٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

وإذا أردنا التخلص من الإشارات السالبة عند الدرجة بين (٥) للموافقة بشدة ودرجة واحدة للمعارضة بشدة تنال الاستجابة المحايدة (٣) فى المقياس الخماسى.

وإذا أردنا التخلص من الإشارات السالبة عند الدرجة بين (٧) للموافقة بشدة ودرجة واحدة للمعارضة بشدة تنال الاستجابة المحايدة (٤) فى المقياس السباعى.

ثم يلى عملية جمع البيانات تصحيح استجابات الفرد على مختلفة بنود المقياس ـ حسب اتجاه البند ـ وذلك على النحو التالى:

(أ) فى حالة البنود الإيجابية:

مثال: نفترض أن لدينا البند التالى لقياس الاتجاه نحو المساواة وتحرير المرأة:

- يجب أن تتولى المرأة مراكز قيادية فى المجتمع.

أوالق بشدة ( ) أوافق ( ) غير متأكد ( ) أعارض ( ) اعارض بشدة ( )

فى هذه الحالة تحصل الموافقة الشديدة على أعلى الدرجات وهى الدرجة (٥) وتحصل الموافقة على الدرجة (٤) والإجابة المحايدة على (٣) والمعارضة على (٢) والمعارضة الشديدة على (١).

(ب) فى حالة البنود السلبية:

مثال: فيما يلى أحد البنود السلبية للاتجاه نحو المساواة وتحرير المرأة:

- لا يجب أن تتولى المرأة مراكز قيادية فى المجتمع:

أوالق بشدة ( ) أوافق ( ) غير متأكد ( ) أعارض ( ) اعارض بشدة ( )

وهنا يكون تصحيح مثل هذا البند عكس البند السابق، حيث تحصل الموافقة الشديدة على الدرجة (١) والموافقة على (٢) والحياد على (٣) والمعارضة على (٤) والمعارضة الشديدة على (٥).

وبناءا على ذلك فالدرجة المرتفعة علىالمقياس تدل على الاتجاه الإيجابى، فى حين تشير الدرجة المنخفضة إلى الاتجاه السلبى. واتجاه الفرد العام يمكن تحديده من خلال الدرجة الكلية على المقياس والتى هى عبارة عن مجموعة الدرجات الفرعية للبنود.

فإذا افترضنا أن لدينا مقياسا يتكون من ١٥ بندا .

فإن أعلى درجة يمكن أن يحصل عليها الفرد على هذا المقياس

= ١٥ × ٥ = ٧٥ درجة

وأدنى درجة يمكن أن يحصل عليها

= ١٥ × ١ = ١٥ درجة

وقد اقترح "ليكرت" تحويل درجات كل وحدة إلى درجة معيارية **standard score**

الدرجة المعيارية = <u>القيمة - المتوسط</u> او إلى درجات معيارية محولة على أساس

الانحراف الميعارى

توزيع اعتدالى **normalised standard score** إلا أن ليكرت وميرفى **Murphy** من خلال مقارنتهما بين الدرجات المقدرة بالطريقة المباشرة البسيطة وطريقة استخدام الدرجات المعيارية المحولة قد وجد أن معامل الارتباط بين النتيجيتين يتراوح بين ٠.٩٨٧، ٠.٩٩٥ مما يؤكد أن عملية الترجيح لا مبرر لها(٣١: ٥٢٦-٥٢٧).

وقد أدخلت على طريقة "ليكرت" بعض التعديلات ولاقت قبولا كبيرا ومن هذه التعديلات حذف فئة "محايد". وبهذا يرغم المبحوث على الاختيار بين الاستجابات إما الموافقة أو المعارضة. وعلى سبيل المثال:

الاتجاه نحو التسلطية أو الفاشية (أحد بنود من اختبار كاليفورنيا ــ الصورة ف)(٤١).

- الاهانة لشرفنا يجب أن تعاقب

+١	موافقة ضعيفة	-١	معارضة بسيطة
+٢	موافقة متوسطة	-٢	معارضة متوسطة
+٣	موافقة شديدة	-٣	معارضة شديدة

كما قام (السيد محمد خيرى وآخرون) بدراسة لهم عن تغيير الرأى العام وعلاقته بالاتجاه نحو الجريمة. وتم فيها حذف الفئة (غير متأكد أو لا رأى له) نظرا لأن الكثير من الأفراد يلجأون إلى هذه الاجابة للهروب من رأى معين. كما ان هذه الاجابة تأخذ تقديرا رقميا يتم جمعه ضمن الدرجة الكلية للمقياس، مما يؤثر على عملية تقدير الاتجاه(٤٢: ٣٧).

وقد استخدمت طريقة ليكرت فى قياس الاتجاهات فى معظم البحوث والدراسات التى أجريت فى هذا الميدان. وذلك نظرا لما تتسم به من مميزات نذكر منها ما يأتى:

(١) تمكننا هذه الطريقة من استخدام أسلوب تحليل البنود **item analysis**، وإختبار القوة التمييزية للبند من خلال حساب التكرارات والنسب المئوية للاجابة على البدائل التى يشتمل عليها البند لتنقية المقياس والابقاء على افضل البنود. وفى هذه الطريقة يمكن أن تقارن بين مجموعة المبحوثين ممن حصلوا على أعلى درجة كلية على المقياس (أعلى ٢٥%) مع مجموعة المبحوثين ممن حصلوا على ادنى الدرجات (أدنى ٢٥%)ز ويمكننا هذا الاجراء من عزل المجموعة الوسطى ذوى الاتجاهات الأقل وضوحا، والأقل اتساقا، والأقل معلومات، والأقل قوة فى الاتجاه. وإذا كان البند لا يميز بشكل دال احصائيا بين هاتين المجموعيتن، فهذا يعنى أنه يقيس بعدا آخر وليس الاتجاه العام المتضمن فى المقياس.

(٢) أيضا يمكن فى هذه الطريقة التحقق من تجانس المقياس من خلال حساب ارتباط البند بالدرجة الكلية. ثم تحذف البنود ذات الارتباطات الضعيفة.

أما أوجه النقد الموجهة إلى طريقة ليكرت فى قياس الاتجاهات فمنها ما يأتى:

إنه يمكن لشخصين يختلفان فى استجابتهما أن يحصلا على نفس الدرجة الكيلة على المقياس. والمثال التالى يوضح ذلك:

نفترض أن لدينا مقياسا يتكون من خمسة بنود. وأجاب عليه شخصان على النحو التالى:

البند	الشخص الأول		الشخص الثانى	
	الإجابة	الدرجة	الإجابة	الدرجة
١	معارض بشدة	١	موافق بشدة	٥
٢	محايد	٣	موافق	٤
٣	موافق	٤	معارض بشدة	١
٤	معارض بشدة	١	معارض بشدة	١
٥	محايد	٣	معارض بشدة	١
	الدرجة الكلية =	١٢	الدرجة الكلية =	١٢

وفى هذا المثال نجد أنه على الرغم من أن الدرجة الكلية مقدارها واحـــد (١٢) فـــى الحالتين إلا أن معناها مختلف كما هو موضح من الاجابات المختلفة للشخصين. وبوجه عام فإن الدرجة الكلية المستخلصة فى ضوء طريقة "ليكرت" تطمس معالم الفروق النوعية فـــى الاتجاهات بين الأفراد. فإذا حصل فردان على درجة واحـــدة فليـــس معنـــى هـــذا انـــهما بالضرورة قد أجابا على نفس العبارات بطريقة واحدة.

مثال على قياس الاتجاه.. طريقة التقديرات التجمعية لليكرت:

قصد من هذا المقياس استيعاب الاتجاهات نحو المساواة وتحرير المـــرأة. وكـــان أول عمل فى تطوير المقياس هو جمع عدد كبـــير مـــن البنـــود ممثلـــة لتشـــكيله مـــن الآراء وموضوعات المناقشة. أما بالنسبة لموضوع تحريـــر المـــرأة **Women's Liberation** فنجد أن الموضوعات تعالج فرص تشغيل المراة بصورة مناسبة، رعاية الطفـــل. الحريـــة الجنسية، الاستقلال الشخصى، ومدى اختلاف الدور وهكذا. يجب أن تكـــون كـــل عبـــارة واضحة وموجزة **brief** ومحددة وتعرض فكرة واحدة وتتركز على الشعور (الاعتقاد) أكـــثر من الواقع أى هى اتجاه أكثر منه معلومة.

وعادة ما تكون مجموع البنود (*) **Items** الاجمالية كبير جدا كى تستخدم كأداة قياس. ولهذا فمن الضرورى اختيار بنود احتياطية. وتختار هذه البنود الاحتياطية من خلال مراجعة وتصنيف القضاة (المحكمين). لا تكون وظيفة المحكمين الاشارة إلى اتفاق أو عدم اتفاق مع البند، ولكن تحديد موقع العبارة "مع أو ضد" أداة القياس فى علاقته بالموضوع المراد قياس الاتجاه نحوه. ويعبر الفرد عن شدة اتجاهه على كل بند وربما تتراوح ما بين (٩) للاشـــارة إلى الموافقة التامة نحو تحرير النساء ومكانتهم إلى (واحد) للاشارة إلى حالة الرفض التام لتحرير المرأة ومركزهم. ويهدف التدرج لايجاد:

(١) وضع العبارة من المقياس ومكانها "مع أو ضد".

(٢) مدى موافقة مجموعة المحكمين (القضاة) على معنى العبارة.

ونأمل فى نهاية الأمر أن نختار مجموعة عبارات تمثل كل درجات الموافقـــة وعـــدم الموافقة وكذلك العبارات التى تعطى نفس المعنى تقريبا لكل شخص ويشار لموقع أى بنـــد على المقياس "بالقبول ــ عدم القبول" من متوسط تقديرات المحكمين وتظهر من الانحـــراف المعيارى **standard deviation**.

(*) يتم الحصول على هذه البنود من خلال الإطلاع علي الدراسات والبحوث السابقة فى الموضـــوع موضوع الاهتمام (الاتجاه نحو تحرير المرأة)، وأدوات القياس فى هذه الدراسات والبحوث.

تأمل العبارتين التاليتين:

	متوسط	انحراف معيارى
• تعتبر وظيفة الزوجة وعملها هاما جدا مثلـــها مثـــل زوجها.	٨,١	١.٠
• تعتبر ازياء النساء وسيلة (زريعة) لتثبيت النساء فـــى وضع متدنى.	٧.٠	٣,١

الاتجاه نحو تحرير المرأة Attitude toward women's Liberation

إعداد	تعريب
ديفيد ج. مايرز	د. حسنى الجبالى
David G. Myers	Hosni Al. Gebali

إقرأ كل جملة وضع دائرة ( ) كرمز فى العمود الذى يمثل درجة موافقتـــك أو عـــدم موافقتك على كل عبارة حسب المعيار التالى:

تعليمات القياس

(١) إقرأ كل جملة وضع دائرة ( ) كرمز فى العمود الذى يمثل درجة موافقتك أو عدم موافقتك على كل عبارة حسب المعيار التالى:

(٢) توجد إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، وأن الهدف هو معرفة اتجاهك فقط.

(٣) ضرورة التعبير عن إجاباتك بأمانة ودقة تامة.

(٤) للمستجيب الحرية التامة فى عدم ذكر اسمه عند الاستجابة إذا رغب فى ذلك.

والله الموفق،،

د. حسنى الجبالى

أأ	الموافقة بشدة على العبارة
أ	الموافقة على العبارة
؟	لم أكون رأيا (سواء موافقة أو عدم موافقة)
ب	غير موافق
ب ب	غير موافق بشدة

الاستجابة	بنود القياس
اا أ لم أكون رأيلب ب ب	١- يجب أن يحصل كل من الرجال والنساء على نفس المرتب لنفس العمل.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٢- لا يجب أن تحمل أى إمرأة إلا إذا كانت هذه رغبتها.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٣- لا تصلح أغلب النساء للقيام بأعمال اشرافية أو إدارية (أو قضائية)(*) من الناحية المزاجية.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٤- لا يجب أن تقتصر أندية أو أماكن عامة على جنس واحد.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٥- المنزل هو المكان الطبيعى للمرأة
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٦- يجب ان تكون مستويات الترقى هى نفسها بالنسبة للرجال والنساء.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٧- تعتبر وظيفة ومستقبل المرأة هامة بنفس قدر أهمية زوجها.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٨- يختلف كل من الرجال والنساء أساسا فى البنية وإنهم اعدوا لنفس الادوار المختلفة.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٩- المرأة التى تتطلع لمستقبل وظيفى من النادر أن تعطى عملا منزليا مرضيا.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٠- لا توجد فروق نفسية غريزية بين الرجال والنساء.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١١- يجب أن يشارك الرجال بصورة متساوية فى التنظيف..الخ.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٢- يجب أن يكون لكل إمرأة وظيفة مستقلة إن كانت هذه هى رغبتها.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٣- يجب أن يكون هناك معيار واحد للرجال والنساء فى الأمور الجنسية.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٤- يستبعد فشل المرأة القائمون على تحريرها.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٥- كل الأعال التى يقوم بها الرجال. يمكن أن تقوم به النساء بالمثل عدا الأعمال التى تعتمد على القوة الجسمية.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٦- يعد موضوع تحرير المرأة محض اهتمام قلة من النساء اللاتى على مشارف الجنون.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٧- لا داعى لكى تقوم باستثمار كبير فى تعليم المرأة لأن احتمال زواجها وارد وأنها سوف لا تستغل تدريبها المتقدم.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٨- النساء خانعات بطبعهن والرجال مسيطرون بطبعهم.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	١٩- يعتبر الدور الطبيعى للمرأة ثانويا (غير رئيسى) إلا وهو المساعدة.
أأ أ لم أكون رأيا ب ب ب	٢٠- يجب أن يحصل كل من الرجال والنساء على نفس المعاملة فى كل الأمور.

ويبدو أن العبارة الأولى واعدة (مبشرة) عند تضمينها لقياس الاتجاه النهائى. حيث أنها عبارة "مؤيدة" بصورة تامة. ويتفق المحكمين على موقعها فى بعد الاتجاه. اختيار

(*) إضافة المترجم.

العبارة الثانية كان اختيارا ضعيفا فى المقياس. على الرغم من تضمينها موقفا عاديا معقولا من حيث تحرير المرأة، وأن هناك تباينا بين المقدرين نحو ما تشير إليه العبارة.

تشير تقديرات المحكمين إلى أنه، يمكن اختيار مجموعة معقولة من العبارات التى لها معانى واضحة، والتى تمثل كل درجات تشدد الآراء (وجهات النظر)، من حيث "مع أو ضد" واالتى تغطى كل جوانب المعالم الرئيسية التى تقوم بدراستها. ويمكن الرجوع إلى العبارات "التفضيلات" أو الرموز التى فى الجزء الأيمن والتى يشير فيه المستجيب إلى بحث درجة القبول فى كل عبارة.

ويمكن تسجيل الاستجابات ٤،٣،٢،١، صفر حيث (أأ) تحصل على درجة من (٤) كذلك يمكن أن تحصل (ب ب) على صفرا. ويمكن إدخال كل الدرجات فى الكمبيوتر بهذه الصورة. ويمكن قلب البنود السالبة عن طريق الكمبيوتر. وأن تتراوح الدرجات الكلية على متصل ما بين (صفر – ٨٠) مع وجود درجة محايدة بالقرب من ٤٠ اعتمادا على العينة التى سبق وأن بدأنا بها (تم التقنين عليها). وتظهر نتائج العينة التى حصلنا عليها من خلال تنفيذ المقياس على (١٣٣) طالبا فى فصول القياس – ويعطى المقياس نتيجة ثبات reliability مرضية. إتجه هؤلاء الطلبة لكتابة عبارات لصالح حقوق المرأة بصفة عامة. ولقد كانت مواقف التأييد بشدة فى صالح المرأة بصورة مؤكدة (فوق المتوسط) وقد ظهرت بصورة غالبة بين النساء والطلاب تحت ٣٠ المستجيبين غير المتزوجين وغير متحررين Non catholics. وكما هو ملاحظ فهى طريقة سهلة وأكثر دقة فى قياس الاتجاهات لذلك يشيع استخدامها. وقد تم إضافة العبارات التالية ورتبت كالتالى:

رقم العبارة المضافة	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
ترتيبها في المقياس	٢٩	٢٦	٢٣	٢٠	١٧	١٤	١١	٨	٥	٢

١- لا يمكن لأى مجتمع أن يتعزز أو ينمو بشكل صحى إذا أنكر على المرأة أى حق من حقوقها السياسية والاجتماعية والإنسانية.

٢- النساء ينجبن وبالتالى يتغيبن عن العمل لاسباب واضحة شرعية وهذا يبرر أجرا أقل من الرجال.

٣- النساء على دراية كاملة بمسائل الحياة كما إنهن جديرات بإدارة شئون المجتمع.

٤- السلطة السياسية الحاكمة ممثلة فى الدولة والأسرة من أهم أسباب عدم اعطاء المرأة حرية التفكير الإبداعى.

٥- إن أزواج النساء اللواتى يعملن فى السياسة لا يحظون بعين الاعتبار.

٦- للمرأة الحق فى السفر للعمل خارج البلاد دون الحصول على إذن من زوجها.

٧- خروج المأة للعمل وراء تأخر سن الزواج ورفض الفتيات الزواج لصعوبة العثور على زوج مناسب.

٨- من الصعوبة أن تشارك المرأة فى الاجتماعات التى تنعقد فى المساء حين يحين موعد اطعام أولادها ونموهم.

٩- المرأة قاصر غير قادرة على تحديد احتياجاتها وأولوياتها ناهيك عن تحديد احتياجات وأولويات الآخرين.

١٠- النساء لا تركزن على العمل كالرجال لأنهن يتعين مسئوليات عن الأطفال فى تعليمهم وصحتهم أكثر بكثير من الأزواج.

المقياس المعدل

الاتجاه نحو تحرير المرأة Attitude toward women's Liberation

إعداد	تعريب
ديفيد ج. مايرز	د. حسنى الجبالى
David G. Myers	Hosni Al. Gebali

إقرأ كل جملة وضع دائرة (   ) كرمز فى العمود الذى يمثل درجة موافقتـــك أو عــدم موافقتك على كل عبارة حسب المعيار التالى:

تعليمات القياس

(١) إقرأ كل جملة وضع دائرة (   ) كرمز فى العمود الذى يمثل درجة موافقتك أو عدم موافقتك على كل عبارة حسب المعيار التالى:

(٢) توجد إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، وأن الهدف هو معرفة اتجاهك فقط.

(٣) ضرورة التعبير عن إجاباتك بأمانة ودقة تامة.

(٤) للمستجيب الحرية التامة فى عدم ذكر اسمه عند الاستجابة إذا رغب فى ذلك.

والله الموفق،،

د. حسنى الجبالى

أأ	الموافقة بشدة على العبارة
أ	الموافقة على العبارة
؟	لم أكون رأيا (سواء موافقة أو عدم موافقة)
ب	غير موافق
ب ب	غير موافق بشدة

بنود القياس : الاتجاه نحو المرأة

أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١-يجب أن يحصل كل من الرجال والنساء علـى نفـس المرتب لنفس العمل.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢-لا يمكن لأى مجتمع أن يتعزز أو ينمو بشكل صحى إذا أنكر على المرأة أى حـق مـن حقوقـها السياسـية والاجتماعية والانسانية.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٣-لا يجب أن تحمل أى إمرأة إلا إذا كانت هذه رغبتها.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٤-لا تصلح أغلب النساء للقيام بأعمال اشرافية أو إدارية (أو قضائية) من الناحية المزاجية.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٥-النساء على دراية كاملة بمسائل الحيـاة كمـا إنـهن جديرات بإدارة شئون المجتمع.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٦-لا يجب أن تقتصر أندية أو أماكن عامة على جنـس واحد.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٧-المنزل هو المكان الطبيعى للمرأة
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٨-النساء على دراية كاملة بمسائل الحيـاة كمـا إنـهن جديرات بإدارة شئون المجتمع.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٩-يجب ان تكون مستويات الترقى هى نفسـها بالنسـبة للرجال والنساء.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٠- تعتبر وظيفة ومستقبل المرأة هامة بنفـس قـدر أهمية زوجها.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١١- السلطة السياسية الحاكمة ممثلـة فـى الدولـة والأسرة من أهم أسباب عدم إعطـاء المـرأة حريـة التفكير الابداعى.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٢- يختلف كل من الرجال والنساء أساسا فى البنيـة وإنهم اعدوا لنفس الادوار المختلفة.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٣- المرأة التى تتطلع لمستقبل وظيفى من النـادر أن تعطى عملا منزليا مرضيا.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٤- إن أزواج النساء اللواتى يعملن فى السياسـة لا يحظون بعين الاعتبار.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٥- لا توجد فروق نفسـية غريزيـة بيـن الرجـال والنساء.

أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٦- يجب أن يشارك الرجال بصورة متساوية فى التنظيف..الخ.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٧- للمرأة الحق فى السفر للعمل خارج البلاد دون الحصول على إذن من زوجها.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٨- يجب أن يكون لكل إمرأة وظيفة مستقلة إن كانت هذه هى رغبتها.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	١٩- يجب أن يكون هناك معيار واحد للرجال والنساء فى الأمور الجنسية.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٠- خروج المرأة للعمل وراء تأخر سن الزواج ورفض الفتيات الزواج لصعوبة العثور على زوج مناسب.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢١- يستبعد فشل المرأة القائمون على تحريرها.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٢- كل الأعال التى يقوم بها الرجال، يمكن أن تقوم به النساء بالمثل عدا الأعمال التى تعتمد على القوة الجسمية.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٣- من الصعوبة أن تشارك المرأة فى الاجتماعات التى تنعقد فى المساء حين يحين موعد اطعام اولادها ونموهم.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٤- يعد موضوع تحرير المرأة محض اهتمام قلة من النساء اللاتى على مشارف الجنون.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٥- لا داعى لكى تقوم باستثمار كبير فى تعليم المرأة لأن احتمال زواجها وارد وأنها سوف لا تستغل تدريبها المتقدم.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٦- المرأة قاصر غير قادرة على تحديد احتياجاتها وأولوياتها ناهيك عن تحديد احتياجات وأولويات الآخرين.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٧- النساء خانعات بطبعهن والرجال مسيطرون بطبعهم.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٨- يعتبر الدور الطبيعى للمرأة ثانويا (غير رئيسى) إلا وهو المساعدة.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٢٩- النساء لا تركزن على العمل كالرجال لأنهن يتعين مسئوليات عن الأطفال فى تعليمهم وصحتهم أكثر بكثير من الأزواج.
أأ	أ	لم أكون رأيا	ب	ب ب	٣٠- يجب أن يحصل كل من الرجال والنساء على نفس المعاملة فى كل الأمور.

(٤) طريقة أوسجود لتمييز المعانى

Semantic Differential Techniqye (Osgoad)

وهى طريقة ابتكرها "أوسجود" ١٩٥٧ اثناء بحوثه فى تحليل معنى المفاهيم وكان يرى أن لكل لفظ معنيان المعنى المادى والمعنى المعنوى. فالمعنى المادى (الاشارى) Denotative Meaning هو المعنى اللغوى أو التعريف القاموسى Connotative Meaning. فالأسرة هى التنظيم الاجتماعى الذى يضم الوالد والوالدة والأبناء، أما المعنى العاطفى (الدلالى) فيشير إلى الإنفعالات والوجدانات الى ترتبط بالكلمة فهى تمثل الدفء والحنان والعاطفية والمعنى المادى واحد بالنسبة للجميع ولكن المعنى العاطفى يختلف من فرد إلى آخر حسب خبراته وظروفه الشخصية فعند البعض يشير إلى الدفء والحنان والبعض الآخر يشير إلى الاهمال والصراع.

والمعنى المادى من إختصاص علماء اللغة بينما المعنى العاطفى من اختصاص علماء النفس لأنه تعبير عن حالة سيكلوجية فهو وسيلة لتحليل شخصيات الأفراد والتعرف على اتجاهاتهم. ويجب أن نشير إلى أنه ليس هناك اختبار يسمى "اختبار التمايز السيمانتى" وإنما هناك طريقة أو أسلوب وضعه أوسجود ويتكون من مكونتين أساسيين وهما:

١- المفاهيم التى يتحدد على أساسها معنى ومضمون ودلالة كل من المفاهيم.

٢- المقاييس التى يتحدد على أساسها معنى ومضمون ودلالة كل من المفاهيم.

نموذج لطريقة تمايز معانى المفاهيم:

جميل (٧) (٦) (٥) (٤) (٣) (٢) (١) قبيح

إلى الايجاب ← الحياد → إلى السلب

وتوضح الدرجات من خلال طريقة (أوسجود) كما يلى:

٧ - أعلى درجة الصفة الموجبة، مثلا (جميل إلى أقصى حد).

٦ - درجة متوسطة من الصفة الموجبة، مثلا (جميل إلى حد بعيد).

٥ - حد الدرجة الموجبة، مثلا (جميل إلى حد ما).

٤ - درجة وسط بين الصفة الموجبة والسالبة مثلا (ليس جميلا وليس قبيحا).

٣ - حد الدرجة السالبة، مثلا (قبيح إلى حد ما).

٢ - درجة متوسطة من الصفة السالبة، مثلا (قبيح إلى حد بعيد).

١ - أعلى درجة الصفة السالبة، مثلا (قبيح إلى أقصى حد).

وقد استطاع أوسجود وزملاؤه عن طريق التحليل العاملى Factor Analysis أن يحددوا مجموعة ازواج الصفات التى يمكن أن تقاس كمقياس للتقييم الانفعالى لأى موضوع من موضوع الاتجاهات. ويحدد اتجاه الفرد نحو موضوع معين بمجموع درجاته على كل مقياس والذي يمتد عادة من ٧ (ايجابى) إلى ١ (سلبى).

نلاحظ أن طريقة التمايز السيمانتى تتميز عن مقاييس الاتجاهات الأخرى فى أنها تقيس استجابات المعنى النفسى للأفراد إزاء المفهوم الواحد داخل ابعاد متباينة من حيث أنها تحدد

طريقة صفتان متضادتان مثل (جميل ــ قبيح) (شجاع ــ جبان) (قوى ــ ضعيف) ..الــــخ، وتختلف هذه الصفات من طريقة لأخرى داخل (الحيز السيمانتى the semantic space) الواحد على عكس مقاييس الاتجاهات فهى عموما تتشابه فيما بينها من حيث الهدف، ذلــك أنها تسعى إلى الحصول على الاستجابات اللفظية المستثارة من الأفراد إزاء مفاهيم وقضايا مختلفة متنوعة على أحد تدريجات المقياس التى تحدد مدى شدة الاتجاهات من حيث قربــه أو بعده من أحد الطرفين الايجابى أو السلبى.

ثانياً: أساليب ملاحظة السلوك الفعلى نحو موضوع الاتجاه:

يعتمد هذا الأسلوب على مسلمه مفادها وجود اتساق بين الاتجاه كما يعبر عنه لفظيـــا وبين السلوك الفعلى المؤكد لهذا الاتجاه(١٥). وأنه يمكن بناء على ذلك تحديد اتجاه الفــرد نحو موضوع ما عن طريق ملاحظة سلوكه الفعلى إزاء هذا الموضوع. وقد اتضح اهميــة هذا الاسلوب فى قياس الاتجاهات، بعد ان تبين أن هناك تفاوتا بين السلوك الفعلــى وبيــن الاتجاه كما يعبر عنه لفظيا من خلال مقاييس التقرير التى عرضناها.

ثالثا: اساليب التعرف على الاتجاهات من خلال ردود الفعل الفسيولوجية:

تتكشف الاستجابات الفسيولوجية للفرد (خاصة تلك التى تقع تحت ســيطرة الجــهاز العصبى المستقل) عند رؤيته لموضوع الاتجاه، أو التفكير فيه، أو التعامل معه عن شــدة intensity ودرجة اتجاهه نحو هذا الموضوع، وهذه الاستجابات وإن لم تمكننا فى كثــير من الأحيان من معرفة وجهة الاتجاه (بالقبول أو الرفض) عموما فــإن أهــم الاســتجابات الفسيولوجية التى يعتمد عليها فى هذا الشأن، معدل ضربات القلب، وضغط الــدم، ومــدى توصيل أو مقاومة الجلد للتيار الكهربى (أو ما يعرف باسم الاستجابة الجلفانية)، وإتســاع حدقة العين، وتعبيرات عضلات الوجه (٤٤:١٠٩).

رابعاً: الأساليب الإسقاطية (٢٣:١٤٣-١٤٤):

يتزايد اهتمام الباحثين باستخدام الاساليب الاسقاطية فى دراسة السلوك الاجتماعى، لأن قيمة الطرق المباشرة مثل الاستبيان والمقابلة والمقاييس اللفظية للاتجاهات تتوقف إلى حد كبير على رغبة الشخص واستعداده للتعبير عن مشاعره ومعتقداته واتجاهاتـــه. ولتقويــم سلوكه، ولكن الشخص قد يشعر بالحرج أو بالخوف من التعبير عن اتجاهاته. أو لا يجــد الدافع الكافى للاستجابة لأسئلة مباشرة، وخاصة إذا كانت تتعلق باتجاهاته الاجتماعيــة، أو قد يكون غير مدرك شعوريا لهذه الاتجاهات، ورغم أن هذه الاساليب بدأت أول ما بدأت فى مجال التشخيص الاكلينيكى، إلا أن استخدامها يزداد انتشارا يوما بعــد يــوم فــى قيــاس الاتجاهات. وتتراوح الاساليب الاسقاطية المستخدمة فى دراسة الاتجاهات الاجتماعية مــن حيث درجة نجاحها فى اخفاء حقيقة القصد منها، ومن حيث عمق المادة التى تكشف عنــها وغزارتها. ومن حيث غموض المثير فيها، ومن حيث المهارة التى تتطلبها فى التطبيق وفى التصحيح وفى التفسير، وتشتمل هذه الاساليب على الاساليب المصورة، والاساليب اللفظية. واساليب اللعب، والاساليب السيكودراماتيكية.

فمثلا قام أحد الباحثين بتقدير اتجاهات التلاميذ نحو الانشطة المشتركة بين البيض والسود فى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق سؤال التلاميذ أن يكتبوا قصصا عن صور لأفراد بيض وأفراد سود يشاركون فى نفس الانشطة. ثم اعطيت هذه القصص درجات حسب المحتوى الوجدانى السلبى أو الايجابى فى هذه القصص (٢١).

وتحتل الأساليب الاسقاطية مكانة هامة فى مجال قياس الاتجاهات النفسية ويرجع الفضل فى استخدامها فى هذا المجال إلى عدة عوامل اهمها:

١-النظرة الجشطلتية إلى السلوك فى مجال ديناميكى.
٢-التأثير القوى لمدرسة التحليل النفسى.
٣-الاهتمام بفهم البيئة كما يدركها الفرد.

ورغم أن الاساليب الاسقاطية عامة تنفرد بمزايا عديدة، إلا أن هذه المزايا تقابلها عيوب هامة، منها أن الكثير من الاساليب الاسقاطية غير مقنن تقنينا كافيا دقيقا من حيث طريقة تطبيقها، وعلى الأكثر من حيث طريقة تصحيحها وتفسيرها، وحتى إذا كانت طريقة التصحيح موضوعية أو شبه موضوعية، فإن الخطوات الأخيرة فى تقويم البيانات وتفسيرها تشير إلى ضرورة الاهتمام بثبات التصحيح والتفسير (٣٣) أما من حيث ثبات الاختبارت الإسقاطية، فإنه يصعب فى كثير من الأحوال اتباع طريقة معامل الثبات النصفى، كما إنه يعترض على ايجاد الثبات عن طريق اعادة الاختبار، وذلك على أساس أنه من المحتمل أن تكون قد حدثت تغيرات فعلية فى الاتجاهات فى الفترة بين الاختبارين، ومن ثم فإن الفروق بين نتائج الاختبارين لا تدل على نقص فى ثبات الاختبار.

أما من حيث صدق الاساليب الاسقاطية، فقد اتبعت لدراسته عدة طرق، منها الكشف عن درجة الارتباط بين التقديرات على أبعاد الاتجاهات على أساس الاساليب الاسقاطية وبين محكات خارجية مثل تاريخ الحياة، والسجلات، والتقديرات التى يحصلها الأفراد فى الدراسة أو فى العمل، كما اتبعت طريقة المقارنة بين المجموعات (٤٥:٣٥-٤١)..الخ.

هذا وتعتمد الأساليب الاسقاطية على تفسير الفرد لمنبه غامض يعرض عليه حيث يطلب منه وصف ما يراد فى هذا المنبه الغامض (بقعة حبر أو صورة لموقف تفاعل اجتماعى مثلا أو جملة ناقصة) ومن خلال تحليل هذا الوصف، يمكن الكشف عن اتجاه الفرد نحو موضوع الاتجاه. ومن أمثلة هذه الأساليب ما يأتى:

١-طريقة الصورة الغامضة لفروم Vague Figure

قام فروم Fromm سنة ١٩٤١ بالمقارنة بين استجابة مجموعة من الأشخاص على استبيان خاص باالاتجاه نحو الحرب من جهة، وتفسيرات هؤلاء الاشخاص لمواد مصورة غامضة الموضوعات من جهة أخرى. وتبين له وجود علاقة وثيقة بين عاملى القومية والعدوان تظهر فى استجابة المبحوثين على الاستبيان من جهة، وبين تفسيراتهم للصور من جهة أخرى.

٢- اختبار ليديا جاكسون L.Jackson للاتجاهات العائلية:

وهو اختبار اسقاطى يكشف عما يعانيه الأطفال من صراعات داخلية ترجع لعلاقاتهم بوالديهم. ويشتمل على سبع بطاقات مصورة فى كل منها موقف من المواقف الأسرية التالية:

أ- حماية الأم للطفل واعتماده عليها.

ب- انفراد الأبوين بالمودة بينهما دون الطفل.

ت- الغيرة التى تنشأ فى نفس الطفل الأكبر بسبب اهتمام الوالدين بأخيه الأصغر منه.

ويوجد مع كل صورة مجموعة من الأسئلة التى يوجهها الباحث للمبحوث بهدف التعمق للكشف عن الاتجاهات العائلية لدى الشخص ومدى القسوة أو السماحة أو العطف أو التدليل التى كان يتلقاها من الوالدين (٤٦: ٣١٣-٣١٩).

٣- رسومات الأطفال Children's Drawings

وتتلخص هذه الطريقة فى أن يرسم الطفل الاشكال المحببة التى يفضلها ويعجب بها، وقد استخدم. دينيس ١٩٦٦ ـ Dennis فى دراسة للقيم الاجتماعية لدى عينات من الأطفال تتراوح اعمارهم بين ١١،١٣ سنة من ١٣ دولة هى (امريكا، بريطانيا، المكسيك، السويد، المانيا الغربية، تركيا، لبنان، اسرائيل، ايران، كمبوديا، اليابان، وتايوان) وكان الاجراء المتبع فى هذه الدراسة هو أن يطلب الباحث من الطفل رسم الصور والرسومات الى يفضلها ويعجب بها فى مجتمعه باعتبارها تعكس قيم المجتمع الذى ينتمى إليه الطفل واتجاهاته. وقد كشفت هذه الدراسة عن أن الزى أو الملبس من حيث حداثته أو قدمه يمكن أن يعكس قيم واتجاهات المجتمع الذى ينتمى إليه هذا الطفل فقد ظهر الزى الحديث فى رسومات الاطفال من المجتمعات الحديثة، (حيث تظهر لديهم ـ زى كرة القدم، السلة..الخ) كما تبين أن من بين ١٦٥٠ طفلا من الأطفال البيض يوجد طفل واحد فقط من المانيا رسم صورة لشخص أسود، مما يعكس اتجاهات البيض نحو السود، تبين ايضا أن رسومات الأطفال تكشف عن اتجاهاتهم وقيمهم الدينية، حيث رسم بعضهم صور لرجال الدين(٤٧: ٢٧٩-٢٨٦).

ويعتبر اختبار تفهم الموضوع The matic Appercetion Test وقد استخدم (بروشانسكى ـ ١٩٤٣ ـ Proshansky) بعض الصور التى تشبه هذا الاختبار T.A.T وذلك لقياس اتجاهات العمل (نحو العمل المنظم). وقد وجد (بروشانسكى) أن هناك معامل ارتباط عال بين درجات هذه الاستجابات (التى تم قياسها عن طريق هذا الاختبار) ودرجات الاتجاهات التى تم قياسها عن طريق مقياس (وصف التراث) المقنن Standard self-report scale.

مفهوم تغيير الإتجاه Attitude Change

ويقصد به استيعاب المتلقى – متطوعا – للرسالة المعروضة عليه، بشكل ينعكس على إدراكه وإنفعالاته، وأفعاله، كاشفا عن التزام بما توصى به الرسالة (٢٦). بمعنى أخر مختصر، تكوين إتجاه جديد بشكل مقصود ومتعمد لإحلاله محل إتجاه قديم.

ويعد الإتجاه مدخلا رئيسيا يمكن تغيير السلوك من خلاله. حيث يتضمن تغيير الإتجاه السليم بأنه يحث الفرد على إصدار سلوك نحو أو ضد موضوع الإتجاه. فقد تبين أن الإتجاه نحو تدخين السجاير على سبيل المثال ــ محور رئيسى وقوى. لبدء التدخين واستمراره وتبريره (٤٨). فالحد الفاصل بين تكوين الإتجاه وتغييره حد جغرافى، ذلك أن التغيير يحدث حين نكون اعتقادات جديدة، ونغير الإعتقادات القديمة، أو حين يصبح وجدانا جديدا مشروطا بالهدف. ويكاد من المحتم أن يكون تعديل الاعتقاد مكونا هاما فى تعديل الإتجاه. ذلك أنه إذا أردنا تعديل اتجاه (أى تعديل مشاعر شخص نحو موضوع) فإنه يغلب أن نحاول تعديل اعتقاداته عن هذا الموضوع. وهذه هى الإستراتيجية التى تبعثها معظم وسائل الاتصال الجماهيرية، كأن توضح الآثار المدمرة للمخدرات (٢٩-ج٢).

إذن متغير اتجاه الفرد يعتمد على اعادة تنظيم بنائه المعرفى.

وتختلف النظريات فيما بينها حول الدوافع التى تسهم فى تغيير الإتجاه، فنظريات التوازن Balance أو الاتساق، تفترض أن الفرد يحاول الاحتفاظ باتساق سيكولوجى بين اعتقاداته واتجاهاته وسلوكه، أى التكافؤ بين المكونات الثلاثة للاتجاه (المعرفى، والوجدانى، والسلوكى). فالفرد حين يعى بوجود تناقض بين اعتقاداته واتجاهاته يكون مدفوعا الى اعادة الاتساق (كما أشرنا سابقا عند الحديث عن مكونات الاتجاه) ولذلك فإن تعديل الاعتقاد او الإتجاه يتعين أن يحدث اذا حصل الفرد على معلومات جديدة لا تتسق مع آرائه السابقة(٤٩).

أما نظريات التنافر المعرفى Cognitive Dissonce فتهتم بتأثيرات التنافر على اعتقادات واتجاهات وسلوك الأفراد (٥٠). فالجندى الذى يحارب ضد العدو إذا لم يكن لديه اتجاه واضح واقتناع بأن الحرب تمثل قيمه لأهداف أخرى، فإنه يقع فى حالة تنافر معرفى بين الوضع الذى يوجد فيه ويلزمه بالدفاع واتجاهاته السلبية نحو موضوع الحرب.

بوجه عام فهناك نوعان أساسيان لتغير الاتجاهات:

الأول: تغيير متسق Congruent

وفيه تتسق وجهة التغيير مع وجهة الاتجاه. فتزيد من درجة الايجابية للاتجاه الايجابى، ومن درجة السلبية للاتجاه السلبى. (كأن نزيد من درجة استهجان الفرد الذى يكره الغش، أو نزيد من درجة تفضيل الفرد للأمانة).

الثانى: تغير غير متسق Discongruent

وهدفه تغير الاتجاه القائم بالفعل الى الوجهة العارضه من سلبى إلى إيجابى أو العكس (٥١:٢٣٣-٣٤٦) أى تغيير الاتجاه المستهجن بآخر محبذ، أو العكس.

المفاهيم المرتبطة بمفهوم تغيير الاتجاه:

ونشير فيما يلى لبعض المفاهيم التى ترتبط غالبا بمفهوم تغير الاتجاد ومنها ما يلى:

(١) **المجاراة** (الاتباعية) conformity والاستقطاب polarization وجميعها تشير إلى تغيير فى استجابة الفرد يحدثه التعرض لتنبيه اجتماعى، ومصدر الاختلاف بينها هو فى طبيعة هذا التنبؤ وفى عمومية الاستجابة له. وإن كلا من المجاراة وتغيير الاتجاه موقف تاثير اجتماعى، يختلف فى المدى الذى يسمح به للفروق الفردية فى تلقى التأثير الاجتماعى وفى الاستجابة له. فبينما المتلقى مساهم سلبى فى تلقى التأثير الاجتماعى الذى يهدف إلى تغيير السلوك فى مواقف المجاراة (حيث أن مصدر التغيير هو رأى الأغلبية)، يكون مساهما أساسيا فى تلقى هذا التأثير الذى يركز على التغيير المعرفى فقط فى مواقف تغيير الاتجاه (٥١:١٣٦-٣١٤).

(٢) ويعد مفهوم **الاستقطاب** اكثر تشابها مع تغيير الاتجاه بالمقارنة بالمجارة، ويقصد به أن أحكام الافراد المتعلقة بقضية ما بعد مناقشتها فى إطار جماعى، تصبح أكثر تطرفا من أحكامهم قبل المشاركة فى المناقشة (٥٢). مما يشير إلى أن هناك تغييرا فى شدة تلك الاحكام، وباعتبار أن الاتجاه حكم يصدره الفرد نحو موضوع ما استنادا إلى حيثيات معينة (٥٣) فإن الاستقطاب يعد تغييرا للاتجاه من النوع المتسق، أى أن يهدف مصدر التأثير إلى زيادة درجة ايجابية ـ أو سلبية ـ الاتجاه المستهدف تغييره، وبالتالى يعد تغيير الاتجاه عملية أوسع من الاستقطاب، إذ يشمل تغيير شدة الحكم (الاتجاه) ووجهته، أضف إلى ذلك، تعمد مصدر التأثير إحداث التغيير فى مواقف تغيير الاتجاه، فى مقابل غياب هذا التعمد فى مواقف الاستقطاب، حيث تغيير شدة الحكم تنتج عن النقاش الجماعى التلقائى للقضية، وقد تسهم فى احداثه الحجج المتداولة أثناء هذا النقاش أو الرغبة فى التشابه بالآخرين بعد معرفة مواقفهم من القضية ومقارنتها بموقف الشخص، أو التنازل عن الموقف الشخصى وتبنى موقف الاغلبية فى سبيل ابراز هوية الجماعة (٥٤:١١٤١-١١٥١).

(٣) **مفهوم الاغراء أو الإستمالة** Persuasion هو العملية التى يترتب عليها تبنى الشخص لوجهة من النظر أو لموقف شخص او أشخاص آخرين، بعد مخاطبة كل من وجدانه وعقله.(٥٥)

(٤) **مفهوم الاقناع** Conviction وهو جعل الشخص يقتنع بالرأى أو يرضى على اساس من الدليل العقلى والبينة الواضحة (١٨:١١٨).

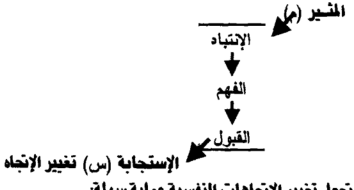
وتؤكد النظرية السلوكية أهمية الجوانب الخاصة بالتواصل الاجتماعى Social Communication الذى نسعى من خلاله إلى تغيير اتجاه الأفراد نحو موضوع ما، وهى جوانب ثلاثة (المرسل أو مصدر الرسالة)، و(الرسالة) (المستقبل أو المتلقى).

وتوضح الدراسات أن تأثير المصدر يزداد قوة إذا كان خبيرا فى الموضوع فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى (تفسير القرآن الكريم) ـ الدكتور مصطفى محمود (الموضوعات العلمية)، أو إذا كان موثوقا فى اخلاصه أو صدقه، أو ذا سمعة طيبة، كذلك إذا كان معروفا باحترامه ونزاهته، مع ذلك فليس من الضرورى دائما، أن يكون مصدر الرسالة خبيرا بل يكفى أن يتصور المتلقى ذلك.

وتشير الدراسات كذلك إلى أن الكلمة المقروءة أفضل دائما، وأبلغ تأثيرا فى تغيير الاتجاه من الكلمة المسموعة ولكن التأثير يكون مرهونا دائما بطريقة تقديم الرسالة وبالوقت وبالمكان الذى تقدم فيه وبمدى قوة الاتجاهات المعارضة لمضمون الرسالة.

إن الشخص الذى يقلل من قيمة أفكاره غالبا ما سيكون ميالا للاقتناع بأحكام الآخرين، كذلك فالأقل ذكاء يقتنع بالمشاهدة بأكثر مما تقنعه الكلمة المقروءة. وقد تبين أن الرسالة تكون اكثر فاعلية وتأثيرا فى المتلقى الذى يحمل اتجاها مؤيدا منذ البداية نحو الموضوع أو الاتجاه الجديد، وتكون مؤثرة أيضا عند ذوى الاتجاهات المحايدة، أما الشخص الذى يحمل منذ البداية اتجاها معارضا أو متطرفا فإن تأثيره يكون اقل.

وقد أشار كل من هو فلاند Hovland وجينز Janis وكيلى Kelly (٥٦) إلى أن عملية تغيير الاتجاه تشبه تماما عملية التعلم، وأن مبادئ اكتساب المهارات اللفظية والحركية يجب أن تستخدم لفهم كيفية تكوين الاتجاه وتغييره. كما أكد هؤلاء الباحثون وجود ثلاثة متغيرات هامة فى تعلم الاتجاهات الجديدة وهى الانتباه Attention والفهم Comprehension والقبول Acceptence ويمكن أن توضح العلاقة بين هذه المتغيرات الثلاثة بالشكل التالى: شكل رقم (٦)



من العوامل التى تجعل تغيير الاتجاهات النفسية عملية سهلة:

١-سطحية أو هامشية الاتجاه مثل الاتجاهات التى تتكون تجاه موضوعات أو أشياء ثانوية فى حياة الفرد.

٢-ضعف الاتجاه النفسى وعدم رسوخه.

٣-حداثة تكوين الاتجاه.
٤-توزيع الرأى بين اتجاهات مختلفة.
٥-غموض الاتجاه وعدم وضوحه.
٦-عدم وجود مؤثرات مضادة.
٧-تضاؤل الحاجة إلى الاتجاه.
٨-التهديد بالعقاب.
٩-وجود خبرات مباشرة تتصل بموضوع الاتجاه.

من العوامل التى تجعل عملية تغيير الاتجاهات النفسية عملية صعبة:

١- وضوح الاتجاه وقوة تحديدة.
٢- استقرار الاتجاه لفترة طويلة.
٣- ارتفاع قيمة الاتجاه وأهميته.
٤- قوة الاتجاه القديم ورسوخه، إذا تكون فى الصغر أو إذا كان من النوع المركزى الذى يحتل مركزا متوسطا بين اتجاهات الفرد (الاتجاه نحو الدين).
٥- يمس الاتجاه جوانب أساسية فى شخصية الفرد.
٦- يشبع الاتجاه حاجات اساسية فى شخية الفرد.
٧- الجمود الفكرى وصلابة الرأى عند الفرد.
٨- ادراك الاتجاه الجديد على أن فيه تهديد للذات.
٩- ارغام الفرد على تغيير اتجاهه.
١٠- الدوافع القوية عند الفرد تعمل على مقاومة تغيير الاتجاهات.

عوامل تغيير الاتجاهات:

يمكن النظر إلى عملية تغيير الاتجاهات من خلال أربع عوامل:
(١) مصدر التغيير ــ من الذى سوف يقوم بمحاولات التغيير؟
(٢) مادة التغيير ــ يقول ماذا؟
(٣) الجمهور ــ لمن ؟المراد تغيير اتجاهاتهم
(٤) بقاء تأثير الرسالة ــ بأى تأثير؟ سوف نتناول هذه العوامل باختصار(٥٧:٩٣-١١٠)

أولا: مصدر التغيير: شروطه . الخبرة ــ الثقة ــ التشابه ــ محبوب

١-أن يكون خبيرا فى الموضوع الذى يراد تغيير اتجاهات نحوه، أو مخلصا، أو ذا سمعة طيبة، أو إذا كان جذابا ومعروفا باحترامه ونزاهته.
٢-جدير بالثقة، فعلى قدر الثقة التى يتمتع بها تكون قيمة المعلومات كبيرة وبالتالى تكون قدرتها على إحداث التغيير. فالمدخن الذى لا يعبأ بالأحاديث المتداولة عن أضرار التدخين قد ينزعج عند سماع محاضرة من استاذ ثقة له سمعه طيبة فى مجال تخصصه يتحدث فيها عن أضرار التدخين.

٣-أن يكون هناك درجة من التشابه بين مصدر الاتصال ومن يخاطبهم ويحاول تغيير اتجاهاتهم. فقد دلت الدراسات على أنه كلما زادت درجة التشابه بين المصدر وبين المعرضين لمحاولات تغيير اتجاهاتهم كلما أدى ذلك إلى ارتفاع احتمال نجاحه فى احداث هذا التغير لأنه بالنسبة للمستجيب للتغيير يكون أكثر جاذبية ومصدر ثقة. ونحن نلاحظ فى اعلانات التليفزيون أن تجعل مصدر الاتصال مشابه للفئة من الناس الذين تم عمل الاعلان من أجلهم: أنواع مساحيق التنظيف تقوم بالاعلان عنها سيدة البيت كذلك يتم الاعلان عن البسكويت والحلويات بواسطة الأطفال الصغار.

٤-أن يكون محبوبا ولذلك نلاحظ أن كل لاعبى الكرة المحبوبين يرتدون ملابس كتب عليها اعلانات مياه غازية.

٥-هناك عوامل تتعلق بشخصية المصدر كمهارته الاجتماعية فى الحكم على المستمعين، وقدرته على ضبط حالته المزاجية، وقدرته على أن يثير مستمعيه اثارة انفصالية ويزيد من اهتمامهم وحماسهم. ولهذا عادة ما يكون الاشخاص الهادئون والخجلون والقلقون اقل تأثيرا من المستمعين من الشخصيات الانبساطية والمتوهجة والواثقة بالنفس. وبالرغم من أن النجاح فى التأثير علىالمستمعين يتطلب قدرا كبيرا من التلاعب بانفعالاتهم ومشاعرهم، فإن من الضرورى أن يكون الشخص قادرا على اثبات حبه واخلاصه وايمانه بالجماعة وقضاياها (٥٨:٢٨٩-٣١٢).

وأهمية أن يكون المصدر مفضلا لدى المتلقى تتلخص فى أنه يعد مدعما ثانويا ودافعا لتقبل الرسالة، خصوصا إذا كانت تدعو لموقف اتجاهى غير مرغوب فيه أو كانت حججها ضعيفة. وقد اهتمت نظريات كثيرة فى مجال تغيير الاتجاه عبر التخاطب بتفضيل المتلقى للمصدر، منها على سبيل المثال نظريات التوازن **Balance** هايدر **Haider** المقارنة الاجتماعية لـ "فستنجر **Festinger** التماثل/ التعارض الإدراكى لـ هوفلاند **Hovland** التوحد **identification** لـ كلمان **Kelman** (٥٩:٢٩٥).

ثانياً: الرسالة (مادة الاتصال) The Communication or the message

مهما تنوعت خصائص المصدر وهيبته وخبرته وجاذبيته فإنه لن يقنعك بأن التدخين غير ضار فلابد اذن أن يكون محتوى ما يقوله مقنعا ولا يتعارض مع المنطق أو العقل وأن تكون الرسالة مفهومة وغير بعيدة عن ادراك المستمع والا فقدت الاتصال بالآخرين معناه وقيمته واستمراره، كما أن الكلمة المقروءة أفضل من الكلمة المسموعة وابلغ أثرا كما أن التأثير يرتبط دائما بطريقة تقديم الفكرة والوقت والمكان الملائمين.

ويرى "ماكلوهان ــ ١٩٦٧ **Mc Luhan** ــ" (٦٠) أن الطريقة التى تقدم بها معلوماتنا لتغيير اتجاهات الناس نحو موضوع ما، ربما تكون أكثر أهمية من المعلومات المقدمة لهذا الغرض. ويعد الاتصال المباشر (وجها لوجهة) من أكثر وسائل الاتصال فعالية فهى تتيح لمصدر الاتصال أن يعدل ويبدل من محاولات اقناعه لتلائم دوافع وصفات الجمهور المراد التأثير عليه، كما أن التفاعل وجها لوجه، ربما تحمس الجمهور لقبول

وجهة نظر مصدر الاتصال. إلا أنه إذا تعذر استخدام أسلوب المواجهة مع الجماعات الكبيرة فيكون التعامل وجها لوجه مع بعض ممثلي الجماعة ممن لديهم القدرة على التأثير على الجماعة وإذا تعذر التوصل إلى ذوى النفوذ في الجماعة فعلى المصدر أن يقرر أى وسيلة سوف يتبعها للتأثير على الجماعة (المناقشة أم المحاضرة).

خلاصة القول، ترجع البحوث أن المعلومات وحدها لا تكفى لتغيير الاتجاه أو السلوك، إذ يتطلب الأمر غالبا تقديمها في سياق دافعي أو انفعالي يعطيها شدة أو وقعا معينا، فالعوامل الدافعية والانفعالية تلعب دورا أساسيا في تعديل الاتجاه الذى يبدأ اكتسابه من خبرات الحياة التى تشبع حاجات الفرد أو لا تشبعها (٥٩:٢٩٧).

والآن سوف نعرض لبعض أساليب كيفية نقل مادة الاتصال:

(١) عرض وجهة نظر واحدة في مقابل عرض وجهتى النظر:

من خلال المقارنة بين مدى فاعلية عرض الشخص مصدر الاتصال لوجهة النظر المؤيدة فقط لما ينادى به وبين عرضه لوجهة النظر الأخرى المعارضة بالاضافة إلى وجهة النظر المؤيدة. ولعل برنامج "الاتجاه المعاكس" الذى تعرضه قناة الجزيرة من الشقيقة قطر خير مثال على ذلك من وجهة نظرنا.

ويرى (هو فلاند ــ ١٩٤٩ Hovland) أن تأثير عرض وجهة النظر الواحدة مقابل عرض وجهتى النظر يعتمد على أشياء عديدة منها:

(ا) موقف الجمهور من الشخص مصدر الاتصال:

- يكون استخدام أسلوب وجهة النظر الواحدة أكثر تأثيرا في تغيير الاتجاه حين يميل الجمهور إلى الموقف الذى يتخذه المصدر.
- يكون عرض وجهتى النظر أكثر تأثيرا في تغيير اتجاهات الجمهور نحو الموضوع إذا عارض الجمهور الموقف الذى يتخذه المصدر.

(ب) مستوى تعليم الجمهور:

إذا كان مستوى تعليم الأفراد مرتفعا، فإن عرض وجهتى النظر تعتبر أكثر تأثيرا من مجرد عرض وجهة النظر المؤيدة.

(ج) مدى علم الجمهور بأن للموضوع وجهتى نظر:

أوضحت بعض الدراسات "جونز وبريهم ١٩٧٠ ــ Jone & Brehm" (٦٠) أنه في حالة إذا ما قرر مصدر الاتصال استخدام أسلوب عرض وجهة النظر الواحدة، فإن تلميحه للجمهور، أو اعلانه منذ البداية أن هناك وجهة نظر أخرى ولكنه لن يخوض فيها.. سوف يكون له تاثيرا أكثر في تغيير الاتجاه مما لو عرض وجهة نظره فقط دون إشارة إلى وجود وجهة النظر الأخرى.

(٢) ترتيب تقديم وجهات النظر:

فى حالة عرض وجهتى نظر بواسطة مصدرين متعارضين للاتصال. فهل سوف يكون تاثير المتكلم أولا فى تغير اتجاهات الجمهور أكثر من تأثير المتكلم ثانيا أم العكس؟ وتعتمد الاجابة على هذا السؤال على بعض المتغيرات.

أ- الوقت المنقضى بين المتكلم أولا والمتكلم ثانيا.

ب- الوقت بين المتكلم ثانيا وبين قياس ما حدث من تغيير فى الاتجاهات.

ونظرا لعدم وجود نتائج حاسمة لدراسة هذا الموضوع فقد ذهب (إلمز ١٩٧٢ Elms) (٦٠) إلا أنه عندما تعرض وجهتى نظر لموضوع ما بطريقة متتابعة بواسطة مصدرين فإنه ليس من الضرورى أن يكون الغلبة لا لمن عرض وجهة نظره أولا ولا لوجهة النظر التى قدمت ثانيا، وذلك لأن الظروف المحددة لأى من الموقفين لا زالت فى حاجة إلى دراسة.

(٣) تكرار الرسالة:

قد يفيد تكرار الرسالة أو بعضها فى أن يتذكر الجمهور وجهة نظر مصدر الاتصال، ولكن التكرار المبالغ فيه قد يؤدى إلى الشعور بالملل والرغبة فى اتخاذ اتجاه مضاد تماما لما تنادى به مادة الاتصال.

(٤) الوصول إلى النتيجة أو الخلاصة:

توضح نتائج بعض الدراسات أنه حينما يوضح مصدر الاتصال بجلاء النتيجة أو إخلاصه، فإن الاتجاهات تكون أكثر عرضة للتغيير فى الوجهة المقصودة عما إذا ترك الجمهور ليصل بنفسه إلى هذه النتيجة.

(٥) استخدام أسلوب التخويف:

إيحاء الجمهور بعدم تبنى وجهة نظر مصدر الاتصال، سوف يؤدى إلى عواقب وخيمة وهذا الأسلوب يعتمد على عمليات تهديد مستترة. ويستخدم هذا الأسلوب:

أ- **فى مجال الصحة العامة:** حيث يتم تحذير المسافرين إلى دول أجنبية بأن العلاقات الجنسية غير المشروعة تؤدى بصاحبها إلى مرض الايدز.

ب- **فى مجال السياسة:** حيث يحذر كل حزب الجمهور من أنه فى حالة فوز الحزب المعارض فى الانتخابات فإن هذا سوف يؤدى إلى كوارث اقتصادية وإلى فساد اجتماعى.

ويرى (هاريس وجليسون ـ ١٩٧١ Harris & Jellison) (٢١) أن استخدام هذا الأسلوب لتوصيل مادة الاتصال يؤدى إلى تغيير فى الاتجاهات والسلوك أيضا. ويفسرون ذلك بأنه ربما يغير الفرد من اتجاهه نتيجة استخدام أسلوب التخويف بدافع رغبته فى خفض ما يسببه هذا الأسلوب من مشاعر الخوف والقلق. ولقد دفع ذلك (بارون وزملاؤه ـ ١٩٧٤ إلى القول بأنه يمكن اعتبار الخوف سلاحا مؤثرا من أسلحة المجتمع لفرض بعض الاتجاهات المعينة على أفراده (٢١). وقد استخدم هذا التخويف فى وقت ما من خلال

اجبار أولياء الأمور على ارسال أبنائهم كل من يصل سنه إلى ست سنوات إلى المدرسة وإلا الغرامة وكذلك تطعيم الأطفال ضد الشلل فى الفترات المحددة لذلك.

ثالثا: الجمهور (المطلوب تغيير اتجاهاتهم):

لقد اتضح من دراستنا للعاملين السابقين (المصدر والرسالة) انهما يؤثران فى تغيير اتجاهات الجمهور إلا أن هذا التغيير لا يتم لكل أفراده ويرجع ذلك إلى أنهم يحملون فى داخلهم تكوينات ثلاث:

(أ) انهم افراد لكل منهم خصائصه الفريدة التى تميزه عن غيره. فالرسالة التى نوجهها لمجموعة من المراهقين عن أضرار التدخين لا يكون لها نفس التأثير إذا وجهت لمجموعة من المسنين. كذلك نجد أن المنخفضين فى الذكاء يقتنعون بالاعلانات ويقتنعون بالمشاهدة أكثر مما تقنعهم الكلمة المقروءة. أما الأذكياء فيتأثرون بالحجج العقلية المركبة، وأن الإناث أكثر قابلية للتأثر من الذكور. وتبين الدراسات عموما أن الذين يمتلكهم الاحساس بالنقص وعدم الثقة والعجز عن تأكيد الذات غالبا ما يسهل تغيير اتجاهاتهم، خاصة إذا كانوا أقل تأكدا من صدق آرائهم السابقة، كذلك تبين الدراسات ان المتسلطين يقتنعون بسهولة، إذا كانت الرسالة صادرة من مصدر مرتفع القوة، أو المركز فى مواقف المواجهة، ويزيد تأثرهم أيضا بأساليب الاعلام(٦١:٢٤٢-٢٤٤).

(ب) أنهم فى الأغلب الأعم ـ أبناء مجتمع واحد ترك بصماته المشتركة عليهم جميعا فيما يعرف بالطابع القومى من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

(ت) أنهم فى نفس الوقت ينتمون للعديد من الجامعات والمؤسسات الاجتماعية الفرعية التى مارست وتمارس تأثيراتها عليهم ويلعب الاتجاه السابق للمستمع نصيبا وافرا فى مدى اقتناعه بالاتجاهات الجديدة، او ما تحمله رسالة معينة. فقد تبين أن الرسالة تكون أكثر فاعلية وتأثيرا فى المستمع الذى يحمل اتجاها مؤيدا منذ البداية نحو الموضوع أو الاتجاه الجديد. وتكون مؤثرة أيضا عند ذوى الاتجاهات المحايدة. اما الشخص الذى يحمل منذ البداية اتجاها معارضا ومتطرفا فإن تأثره يكون أقل ومحدودا، فالمتطرف يخضع ببساطة لاتجاهات أقوى من الاتجاهات المطلوب منه اعتناقها (٦١:٢٤٤).

رابعا: بقاء تأثير مادة الاتصال:

كيف نضمن بقاء واستمرار ما أحرزناه من تغيير فى اتجاهات الآخرين؟ سوف نتعرض لأسلوبين يمكن استخدامهما فى بقاء اثر ما نحدثه نحن فى تغيير اتجاهات الآخرين وهما: (التطعيم: inoculation التعاقد أو التعاهد Commiment) وسوف نشير إلى كلا منهما باختصار:

(١) **التطعيم:**

يتضمن هذا الأسلوب تحصين الجمهور ضد محاولات الاقناع المعارضة لما تم تعليمهم من اتجاهات، من خلال تعريض الجمهور لاتجاهات المعارضة بقدر ضئيل، وبهذا نضمن

مقاومتهم لها وبقاءهم على الاتجاهات المراد تثبيتها فيهم، ولقد ظهر هذا عند الحديث عن تقيم وجهتى النظر المؤيدة والمعارضة كوسيلة لتقديم مادة الاتصال وهى كذلك تضمن بقاء ومقاومة ما تم احداثه من تغيير ويقول "ماك جيور ــ ١٩٦ــ Mc Guier" أن مرجع ذلك هو أن طريقة تقديم وجهتى النظر تحصن الجمهور ضد وجهة النظر المعارضة. لأنها تتيح له التعرض على وجهة النظر المعارضة من نفس المصدر ما يفوت الفرصة على أى محاولات معارضة تبذل لتعديل موقفه بعد ذلك.

(٢) **التعاقد أو التعاهد:**

ويتضمن استثارة نوع من الاتفاق على ما تنادى به من اتجاهات ومثال لذلك تجربة قام بها "فريد مان وفرير" تتلخص فى اختيار مجموعتين من ربات البيوت، مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة. ثم تعرض المجموعتين لبرنامج يتعلق بالاتجاهات نحو القيادة الآمنة. وطلب من المجموعة التجريبية فقط أن يوقعن على التماس يطالبن فيه اعضاء الكونجوس عن ولايتهن اعتماد قانون يشجع على القيادة الآمنة. وبعد عدة أسابيع طلب من اعضاء المجموعتين أن يعلقن لافتات تدعو إلى القيادة الآمنة. وكانت النتيجة ان ٥٥% من أفراد المجموعة التجريبية وافقن على ذلك، بينما وافق فقط ١٧% من أفراد المجموعة الضابطة.

ولقد أرجع الباحثون الفرق بين المجموعتين إلى التعاقد الذى تم مع المجموعة التجريبية، والذى هو عبارة عن توقيع الالتماس الموجه لأعضاء الكونجرس.

أهم طرق تغيير الاتجاهات النفسية الاجتماعية

١-تغيير الاطار المرجعى.
٢-تغيير الجماعة المرجعية.
٣-التغيير فى موضوع الاتجاه.
٤-الاتصال المباشر بموضوع الاتجاه.
٥-تغيير الموقف.
٦-التغيير القسرى فى السلوك.
٧-استخدام وسائل الاعلام.
٨-تأثيرات الاحداث الهامة.
٩- الألفة والخبرة المباشرة.
١٠- تاثير رأى الأغلبية.
١١- التغيير التكنولوجى.
١٢- المناقشة والقرار الجماعى.
١٣- طريقة لعب الأدوار.
١٤- طريقة جر الرجل.
١٥- الاستيعاب ــ الامتصاص.
١٦- الشخصية وأثرها.

(١) **الإطار المرجعى للفرد:** فالذى نشأ فى مجتمع رأسمالى يسوده التنافس، يختلف فى اتجاهاته عن الذى نشأ فى مجتمع اشتراكى يسوده التعاون. ومن هنا فإن تغيير الاطار المرجعى يتبعه بالضرورة تغيير أساسى فى اتجاهات الفرد النفسية وبالتالى ينطبق السؤال القديم هل البيضة هى أصل الدجاجة أو الدجاجة هى أصل البيضة؟

(٢) **تغيير الجماعة المرجعية:** إذا ما انتقل الفرد إلى جماعة مرجعية جديدة مختلفة فإنه يغير من اتجاهاته القديمة ويتبنى اتجاهات الجماعة المرجعية الجديدة التى ينتمى إليها. وقد وجد (نيوكمب) أن اتجاهات جماعة من الطالبات اللاتى التحقن بكلية متحررة غير

مرجعية واندمجن فى جوها الاجتماعى قد تغيرت اتجاهاتهن نحو التحرر، بينما لم يحدث تغيير يذكر فى اتجاهات زميلاتهن اللاتى لم يتوافقن مع الجماعة الجديدة.

ويرى "ليفان واى ــ ١٩٧٢ Levan Way" أن الجماعات المرجعية تعد أكبر مؤثر فى تعلم الاتجاهات ووجهاتها وشدتها تجاه اى شخص، أى شئ ومن أهمها الأسرة والمدرسة وجماعات الاصدقاء ودور العبادة ووسائل الاعلام. لذا تسعى الجماعات الاسلامية إلى تكوين حاجز نفسى بين الفرد وأسرته والمدرسة والأصدقاء ووسائل الاعلام بأن الجميع كفرة يجب الابتعاد عنهم ليتسنى لهم السيطرة عليه كلية وامكانية تغيير اتجاهه تماما منذ مشارف المراهقة (بداية المرحلة الاعدادية) ثم يواصل هذا التأثير وجوده حتى سن الجامعة.

(٣) **التغيير فى موضوع الاتجاه:** إذا ما أدرك الفرد تغير فى موضوع الاتجاه نفسه وادرك الفرد ذلك فإن اتجاهه نحوه يتغير. فكلما زادت ثقافة وكفاءة العامل والفلاح كلما أدى ذلك إلى تغير الاتجاهات نحوهما. ولكن نقطة الضعف فيها ان مجرد المعرفة بالموضوع لا يعنى اكتساب الاتجاه نحوه، فقد تعرف مضار التدخين ولا تقلع عنه.

(٤) **الاتصال المباشر بموضوع الاتجاه:** إذا اتيح للفرد اتصال مباشر بموضوع الاتجاه يسمح له بأن يتعرف على الموضوع من جميع جوانبه، فإن ذلك يؤدى إلى تغيير اتجاه الفرد نحوه. للاتصال الشخصى الغلبة فى مجمل صياغات اتجاهات ومعارف البشر. فمن خلاله تتشكل الاتجاهات الاساسية للأفراد منذ طفولتهم فى إطار الأسرة، ثم فى إطار المدرسة وهى الاتجاهات التى تصبح أكثر مقاومة للتعديل بعد ذلك. ويتميز الاتصال الشخصى بما يتيحه للمرسل من إمكانية رصد ومتابعة ما تحدثه رسالة من تعديل فى الاتجاهات بل وفى السلوك الفعلى أيضا فى كثير من الأحيان. وجدير بالذكر فى هذا الصدد أن الإنسان بطبيعته أميل إلى تبنى ما يفتقد أنه شارك شخصيا فى إنجازه، كما أنه أميل إلى نقد وتمحيص ما يتلقاه جاهزا خاصة إذا ما كان موجها إليه من السلطة. وبالتالى فإن تأثير الاتصال الشخصى الناجح على تعديل الاتجاهات يكون أكثر عمقا وثباتا. وقد تتعدد أشكال الاتصال الشخصى المخطط وتتباين من الندوة إلى الزيارات المنزلية إلى المقابلات الشخصية بأنواعها المختلفة إلى غير ذلك من أشكال، ولكنها جميعا تعتمد فى النهاية على الداعية، فعليه يتوقف نجاح البرنامج الاتصالي فى تحقيق أهدافه، وإليه يرجع إخفاق هذا البرنامج وإهدار كل ما بذل من جهد فى تخطيطه وإعداده.

(٥) **تغيير الموقف:** إذا ما تغير موقف الفرد، تغيرت اتجاهاته، فعندما ينتقل العامل إلى موقف اشرافى ويصبح رئيسا لمجموعة من العمال، فإن اتجاهاته العدائية تجاه الادارة سوف تتغير إلى النقيض. فالاتجاهات التى يكونها الفرد كدافع للضرائب، تختلف ولاشك عندما يعد مسئولا عن تحديد هذه الضرائب وفرضها. كذلك يتغير اتجاه الفرد إذا ما تغير موقفه من قائد السيارة إلى فرد من أفراد المشاه، فعندما يكون الفرد سائرا على قدميه قد يرى أن سائقى السيارات يقودون سياراتهم بسرعة مفرطة وأنهم لا يحسبون

المارة ما ينبغى لهم من حساب، وعندما يكون راكبا لسيارته أو بجوار أحد السائقين فى سيارة فقد يرى أن المارة يجازفون بأنفسهم ويعبرون الطريق بغير اكتراث.

(٦) **التغيير القسرى فى السلوك:** إذا حدث تغيير قسرى فى السلوك نتيجة لظروف اضطرارية فإن ذلك يصاحبه عادة تغير مصاحب فى الاتجاهات إما إيجابى أو سلبى. وقد وجد "دويتش وكولينز ـ ١٩٥١ ـ Deutsch and Collins" أن التغيير القسرى الذى شهدته بعض الزوجات البيض اللاتى اضطررن إلى السكن فى مشروعات اسكانية عامة جنبا إلى جنب مع زوجات زنجيات أدى إلى تغير اتجاههن نحو الزنوج بحيث أصبح اقل عداوة وأكثر ودا.

(٧) **أثر وسائل الاعلام وأثر المعلومات:** تمارس وسائل الاعلام دورا هاما كإحدى المنظمات الاجتماعية التى تمارس تأثيرها على الأفراد فى عملية التنشئة الاجتماعية وبالتالى تؤدى دورا هاما فى تغيير الاتجاهات.

ويتوقف تأثير الفرد بالمعلومات على اتجاهه نحو مصدرها وعلى طريقة تقديمها، وعلى شخصيته هو. ولقد قام "هوفلاند وويس ـ ١٩٥١ Hovland Weiss" بتجربة قدما فيها عددا من قصاصات الصحف والمجلات بها معلومات حول موضوعات سياسية حربية لمجموعة من طلاب الجامعة فى أمريكا وذكرا لنصف هذه المجموعة من الطلاب أن خبراء أمريكيين هم الذين كتبوا الآراء الموجودة فى هذه القصاصات، على حين ذكر للنصف الآخر أن هذه المعلومات ترجمات لآراء خبراء روسيين نشرت أصلا فى الصحف السوفيتية ـ ثم قاسا اتجاهات الطلاب بعد قراءة هذه المعلومات. فوجدا أن اتجاهات غالبية النصف الأول من الطلاب تدل على الموافقة على ما جاء بالقصاصات فى حين أن اتجاهات غالبية النصف الثانى تدل على عدم الموافقة على ما جاء بها. وبعد اربعة اسابيع عاد طلاب النصف الثانى وجنحوا باتجاهاتهم نحو هذه المعلومات والآراء وكأنهم قد نسوا ما قيل من قبل من أن هذه المعلومات والآراء صادرة عن مصارد غير موثوق بها.

وتدل الدراسة السابقة على تأثير ادراك مصدر المعلومات وطريقة تقديمها وتأثير شخصية الفرد نفسه. وقد وجد ان الترغيب وعدم الالتجاء إلى التخويف فى اعلام الأفراد بموضوع الاتجاه يزيد فرصة الاقناع والتأثير فى تغيير الاتجاه "جانز وفيشباخ ١٩٥٣ Janis & Feshbch". وقد لوحظ أن الأذكياء اقدر على تفهم الرسالة الاعلامية التى توجه إليهم حتى ولو كانت عن طريق الرموز أو الاشارات أو التلميح ولكنهم ليسوا بالضرورة أكثر استعدادا للتأثر بها ولأن تتعدل اتجاهاتهم وآراؤهم بمقتضاها.

أما عن تاثير الدعاية بصفة خاصة فنحن نعلم أن الدعاية عملية تغيير اتجاهات. وتقول الدراسات أن الدعاية يجب أن تحدد الخلاصة للناس ولا تتركهم يستخلصون لأنفسهم فى حالة كون محتواها معقدا وغير واضح المعالم وحالة كونه غير مرتبط ارتباطا قويا بموضوع الاتجاه. ولقد أوضحت الدراسة أن الدعاية التى تقدم وجهة نظر واحدة (وجهة النظر المطلوبة) تجعل الأفراد عرضه للتأثير بالدعاية المضادة (التى تعرض وجهة النظر

الأخرى) بشكل يزداد وضوحا كلما كانت الدعاية المضادة أقرب إلى الحقيقة. كذلك أوضحت الدراسات أن الدعاية التى توجه إلى افراد يتمسكون بمعايير الجماعة واتجاهاتها الراسخة يكون من الصعب أن تحدث تغييرا يذكر فى اتجاهاتهم.

(٨) **تأثير الاحداث الهامة:** يؤثر تغير الأحداث فى تغير الاطار المرجعى، وتغير الاطار المرجعى يؤثر فى تغير الاتجاهات. ونحن نعلم كيف أثرت الحربان العالميتان الأولى والثانية فى تغيير كثير من الاتجاهات. وكيف أثرت أحداث الزلزال على الاتجاه نحو التوسع الرأسى وإزالة الأدوار العليا الغير مصرح بها وكيف تؤثر الثورات فى تغيير الاتجاهات.

ومن أمثلة الأحداث المعاصرة المؤثرة فى الاتجاهات النفسية زيارة الرئيس محمد أنور السادات للقدس فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ وما صاحبها من تقديم مبادرة السلام وما تلاها من مباحثات فى كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ وتوقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل فى مارس ١٩٧٩. ترتب على ذلك من إجراءات عملية لاحلال السلام وتوالى الاجتماعات وتبادل الزيارات بين قادة مصر وإسرائيل وتطبيع العلاقات بين البلدين فى نياير ١٩٨٠ وانسحاب إسرائيل نهائيا من سيناء فى ابريل ١٩٨٢.

كل هذا له أثره فى جدار الخوف وازالة الحاجز النفسى بين مصر وإسرائيل الذى ظل قائما طوال ثلاثين عاما كاملة والله أعلم بالاتجاه مستقبلا. بعد ان خرج الطبيب الارهابى الصهيونى (بنيامين جولد شتاين) فاقد توازنه الانسانى فجر اليوم الخامس والعشرين من فبراير ١٩٩٤م ليحصد برشاشه خمسين من المصلين الساجدين إلى ربهم والبادئين صيام يومهم فى المسجد الإبراهيمى فى مدينة خليل الرحمن وكذلك وصول الليكود الحكم برئاسة نتنياهو الذى تنصل من الاتفاقات السابقة وحتى من الاتفاقات الأخري "واى ريفر" نهر واى وانهيار قمة كامب ديفيد الثانية والثالثة بين الرئيس الامريكى بل كلينتون والرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ورئيس وزراء إسرائيل ياهود باراك فى يوليو ٢٠٠٠ دون حل مشكلة اللاجئين والقدس وهى عاصمة الدولة الفلسطينية الشقيقة.

(٩) **الألفة والخبرة المباشرة:** فالإتجاه نحو تنظيم الأسرة لدى الاعزب يختلف حين يتزوج وينجب، ويشعر بأهمية هذا الموضوع. وتستخدم هذه الطريقة فى الدعاية التجارية عن طريق توزيع العينات المجانية من المنتجات وعن طريق اقامة المعارض، وتمثل المعسكرات الدولية وتبادل الزيارات بين شباب العالم نماذج لتطبيق طريقة الخبرة المباشرة لدعم الاتجاهات المؤيدة وتغيير الاتجاهات المعارضة مع توفير الضمانات لأن تكون الخبرات المخططة مناسبة وممتعة لمن يجريها.

(١٠) **تأثير رأى الأغلبية ورأى الخبراء:** فالفرد عادة يتأثر برأى الأغلبية مما يجعله يميل إلى تغيير اتجاهاته ليتسق مع اتجاهات الأغلبية، وتسمى هذه الظاهرة "**مسايرة القطيع**" وهى تظهر فيما يبديه الأشخاص من ميل نحو الاقتراع مع ما تتفق عليه الأغلبية، أو الارتباط بالجناح الفائز إلا أن بعض الجماعات السياسية والاجتماعية التى يؤمن

افرادها بقوة أفكارها غالبا ما يقاومون رأى الأغلبية مفضلين المحافظة على ما تؤمن به جماعتهم حتى ولو كانت لا تمثل إلا أقلية محدودة (٦٣،٦٢). كذلك يؤثر رأى الخبراء بصورة واضحة فى تغيير اتجاهات الفرد إذ يميل الفرد إلى الثقة فى رأى الخبير وإلى العمل بمشورته.

ولقد أجرى "ماربل Marple ـ ١٩٣٣" تجربة على (٣٠٠) طالب ثانوى و(٣٠٠) طالب جامعى، (٣٠٠) راشد. وقد قاس اتجاهات هؤلاء حول موضوعات اقتصادية وسياسية وتربوية وتراوحت آراؤهم بين الموافقة وعدم الموافقة. وبعد شهر أعطى (ثلث) كل مجموعة من المجموعات الثلاث أوراقا فيها استجابات جاهزة وعرفهم أن هذه الاستجابات تمثل "رأى الأغلبية" فى الشهر الماضى. وفى "الثلث" الثانى فى كل من الجماعات الثلاث أعطاهم أوراقا فيها استجابات جاهزة وعرفهم أن الاستجابات تمثل "رأى الخبراء" (٢٠) أما (الثلث) الباقى فى كل من الجماعات الثلاث فقد كونوا جماعة ضابطة بدون أى مؤثرات تجريبية. وعندما طلب من الأفراد أن يستجيبوا وجد أنه فى جماعة "رأى الأغلبية" تغير اتجاه حوالى نصف الحالات بما يتمشى مع رأى الأغلبية (وكان ذلك واضحا فى الأفراد الأصغر سنا واقل وضوحا فى الأفراد الأكبر سنا" ووجد انه فى جماعة "رأى الخبراء" حدث تغير مماثل تقريبا، أما فى الجماعة الضابطة فقد كان التغير فى الاتجاه طفيفا.

(١١) **التغير التكنولوجي:** فالنظر إلى ما حدث من تغير تكنولوجى فى القرية المصرية، من دخول الكهرباء والراديو والمسجل والتليفزيون والميكنة الزراعية، قد غيرا كثيرا من اتجاهات القرويين نحو العديد من الموضوعات. كذلك فإن اقامة مصنع فى قرية ريفية من شأنه أن يغير من اتجاه الأفراد نحو الزمن ونحو التوقعات المستقبلية لعمل الابناء.

(١٢) **المناقشة والقرار الجماعي:** فى المجتمع الديمقراطى نجد للمناقشة الجماعية أهمية خاصة فى اتخاذ القرارت الجماعية لما لذلك من أهمية فى تغير الاتجاهات. وفى تجربة بقرية المشاعلة بمركز أبو كبير بمحافظة الشرقية، قام مجموعة من الأطباء النفسيين بعمل جماعات مناقشة جماعية نحو موضوعى تنظيم الأسرة والإصابة بالبلهارسيا، وقد كشفت التجربة على أن مساهمة الفرد فى المناقشة الجماعية تؤدى بصورة واضحة إلى تغير اتجاهاته (٦٤:١٣٥).

(١٣) **طريقة لعب الأدوار:**

إن طريقة لعب الأدوار طريقة فعالة فى تعديل الاتجاهات وتغييرها (٦٥:٥٧) فما هى هذه الطريقة؟ للإجابة على هذا السؤال قام الباحث الأمريكى (الن Allen) بتجربة حول أهمية (لعب الأدوار Role playing) كطريقة لتعديل الاتجاهات وتغييرها.

كلف مجموعة من المدخنين بأن يلعبوا دور غير المدخنين، ويحاولوا اقناع مجموعة أخرى من المدخنين بضرورة الإقلاع عن عادة التدخين. كما كلف المجموعة الثانية من هؤلاء المدخنين أن تقوم بدور المستهدف لمحاولة الاقناع هذه. وخطط لإجراء التجربة

تخطيطا جيدا مدروسا. وبنتيجة التجربة تغير اتجاه أفراد كثيرين من المجموعتين نحو التدخين، إلا أن اتجاهات من مثلوا دور غير المدخنين، ضد التدخين قد زاد اتجاهات المستقبلين أو المستمعين وبعد مرور فترة ثلاثة أسابيع ارتد المستمعون إلى ما كانوا عليه قبل التجربة، بينما استمرت نسبة كبيرة من الذين مثلوا الدور (٤٦%) في اتجاهاتهم التي اكتسبوها ضد التدخين كنتيجة لتلك التجربة. وقد قلل هؤلاء من عدد السجاير التي يدخنون بالرغم من أن عملية اجراء التجربة لم تستغرق غير ساعتين فقط.

(١٤) **طريقة جر الرجل (٣٥):**

- **ظاهرة الإستغراق في الدور (جر الرجل):**

The Foot – In – the – Door Phenomenon

وتتلخص هذه الطريقة في محاولة اقناع صاحب اتجاه أو موقف معين أن يقدم خدمة أو معروفا يبدو لأول وهلة بسيطا أو عاديا،وهو في الحقيقة مخالفا لاتجاهاته ومواقفه. ويبدو هذا المعروف بسيطا للوهلة الأولى، فيقدمه المرء متنازلا بقدر بسيط عن مواقفه واتجاهاته. ولكن الأمر في حقيقته أخطر وأكثر تعقيدا، لأن التنازل البسيط لا يؤدي إلى تحطيم دفاعات صاحب الاتجاه، ويصبح بعد ذلك أكثر استعدادا لتقديم تنازلات أخرى يقترب فيها من موقف جديد أو سلوك جديد طالما أحجم عنه ورفضه. وهكذا يتورط الفرد في أمر غير مرغوب فيه، ويصبح من الصعب عليه أن يتراجع فيتخذ موقفا دفاعيا عن حركته هذه باتجاه الموقف الجديد وعن ذاته.

يشير الباحثون إلى أنه إذا اردت أن تقنع اشخاصا باسداء جميلا لك فأحد الوسائل لإقناعهم بذلك هو أن تطلب معروفا صغيرا في البداية وفي تفسير تلك الظاهرة. ظاهرة ما يعرف باسم " جر الرجل" يذهب جوناثان فريدمن وسكوت فريسر (١٩٦٦) إلى أنه وبعد أن يقبل المرء إسداء معروفا صغيرا (على سبيل المثال) يمكن ان يتطور الأمر إلى قبول ما هو أكبر بكثير فقد طلب من صناع المنازل في كاليفورنيا الالتزام بمجرد تعليق يافطة "القيادة الآمنة" ثم بعد ذلك أصبح الزاما عليهم تعليق يافطة كبيرة على مدخل البيوت التي يبنونها تقول "قد سيارتك بحذر".

ورغم أن تأثيرات مثل هذه الأساليب ليست ضخمة إلى الحد المطلوب إلا أن العديد من الباحثين قد أكدوا ما انتهت إليه ابحاث فريد مان وسكوت "بيمان وآخرون ١٩٨٣، ديلارد وآخرون ١٩٨٤". Beman et al, 1983, Dillard et al., 1984 وقد حاولت العديد من هذه الدراسات أن تدعو إلى أعمال خاصة بالإيثار وحب الخير مثل المساهمة في أعمال الزكاة فعلى سبيل المثال قام كل من باتريشيا بلايز ورفاقها من علماء علم النفس الاجتماعي بالدعوة إلى المساهمة في اعمال الخير ووجدوا أن ٤٦% من سكان ضواحي تورنتو قدموا اسهامات لصالح جمعية ضحايا السرطان عندما تم مخاطبتهم في الأمر مباشرة.

بينما آخرون ممن طلب منهم قبل وصول حملة التبرع إليهم بيوم واحد أن يتعرفوا على الحملة من الذى كان سيلصق عليه شعار جمعية مساعدة مرضى السرطان فقد كان اسهامهم بمعدل الضعف عندما وصلت إليهم الحملة بعدها.

أن القدرة الإغرائية لظاهرة "جر الرجل" لها حدودها رغم ذلك فإذا كان التصرف سيترتب عليه تكلفة باهظة من جانب من يستمع إلى النصح والإرشاد كما فى حالة الحث على التبرع بالدم ولم يحدث أن أقدمنا علي تبرع بالدم من قبل فإن من شأن ملصقات الحث على التبرع بالدم ومعاونة أعمال الحملة القومية للتبرع بالدم لن يكون من شأنها أن تغير كثيرا من عزمنا على عدم التبرع. "سيالينى، اسكانى ١٩٧٦. فوس وديمبس ١٩٧٩" **(Depsey, Foss, Ascani, Cialdini)**.

ولكن وعندما نوافق على سلسلة من الالتزامات المتدرجة فى الشدة فسنقوم فى النهاية بالموافقة على الطلبات التى قد تبدو عسيرة بداية.

إن التصاعد والتدرج فى الطلب كان من شأنه إقناع هؤلاء بجدوى مطالبته إياهم حيث ابتداء بالدم ثم انتهى بنخاع العظم فكل الـ (١٤٤) وافقوا فى البداية على التبرع بالدم ثم بعد ذلك تم التحادث معهم خلال قضاءهم بعض الوقت فى المقصف بعد التبرع وبعد أن شرح إليهم المتحدث أن هناك ضرورة للحصول على نخاع العظم ثم طلب إليهم ترك عينات دم أخرى ليتم فحصها لتحديد نوعية فصيلة الدم ثم تحديد نخاع العظم المطلوب لأن هناك حاجة ماسة إلى نوعية معينة من نخاع العظم. وقد وافق ٩٥% من هؤلاء على اجراء الاختبار ثم مضى المتحدث قائلا "إن تنفيذ هذه الاختبارات هى عملية شاقة تجرى فى المعمل ولذلك لا نريد أن نمضى قدما فيها ما لم نتأكد أن هناك فرصة قيام خمسون فى المائة على الأقل منكم سيتبرعون بنخاع العظم إذا ما ثبت أن فصيلة الدم تطابق نوع نخاع العظام المطلوب" بعد هذه المقدمة تم سؤالهم عن مدى استعدادهم للتبرع بنخاع العظم.

وتجدر ملاحظة أنه وفى كل هذه التجارب فإن القبول فى البداية كان يتضمن السعى لـ توقيع وثيقة أو إلتماس، وضع لافتة الموافقة على التبرع بالدم وكان كله تطوعا واراديا ولم يتضمن أى رشوة أو إكراه على الإطلاق.

إذن فنحن نرى مرة أخرى أن الأشخاص الذين يقبلون علانية بفعل معين فإنهم يصعب عليهم الرجوع والنكوص على أعقابهم. ترى ما هو السبب فى ذلك؟ إن الإجابة ليست واضحة تماما فما هو الذى يؤدى إلى الاستمرار فى "جر الرجل" حتى النهاية؟

أحد الاحتمالات هو ان الفعل الأولى يؤثر علي اتجاه الشخص حيال هذا الفعل فإذا ما وقع هذا أفليس جديرا بنا أن نتوقع إلتزام الشخص بإتمام العمل الأكبر ما دام قد بدأ فى العمل الأصغر؟

وقد أوضح "روبرت سيالدينى ورفاقه ـ ١٩٧٨ **robert Cialdini and his collaborators**". إن التأثيرات القوية للإلتزامات هى التى تقود إلى الإتيان فى النهاية بالعمل المنشود.

ولقد حاولوا إثبات ذلك باتباع أسلوب أطلق عليه اسم "**التصاعد التدريجى**" The low-ball technique وهو تكتيك يلجأ إليه تجار العربات الجديدة فبعد أن يوافق الزبون على شراء العربة الجديدة بسبب سعرها الرائع ويبدأ فى ملئ استمارات الشراء يبدأ التاجر فى إضافة أسعار أخرى خاصة بكماليات ظن المستهلك أن سعرها كان ضمن السعر الأصلى بداية أو يلجأ التاجر إلى التشاور مع رئيسه الذى يرفض البيع بهذا السعر لأنه "سيخسر هكذا" على حد قوله وقد أظهرت التجربة أن معظم العملاء يمضى قدما فى الصفقة لأنه التزم بداية رغم أن السعر قد لا يكون صفقة تستحق الاستمرار وأنه ما كان سيسعى لشراء هذه العربة لو تم الإفصاح عن السعر الحقيقى منذ البداية ولكنها قوة الالتزام والظهور من جانب العميل هى التى تدفع للاستمرار.

وقد وجد (سيالدينى ورفاقه) أن هذا الأسلوب فعال للغاية فعلى سبيل المثال عندما تم طلب مشاركة من تلاميذ علم النفس لإتمام تجربة تبدأ فى السابعة صباحا لم يظهر إلا ٢٤% منهم فقط ولكن لو كان قد تم مطالبتهم بالاشتراك دون اخبارهم بموعد السابعة لحضر منهم ٥٣% بناء عللى الالتزام الذى قطعوه على أنفسهم.

وفى أحدى التجارب التى جرت فى جامعة ميسورى على طلبة أحدى الكليات من قبل (جيرى بيرجر وريشارد بيتى ١٩٨١ – Jerry Burger and Rixhard perry) تبين أن أسلوب "التصاعد التدريجى" فعال ولكن ليس بصورة كاملة وذلك من حيث التزام المرء بالموعد الذى قطعه على نفسه فى البداية مما يجعله يشعر أنه ملتزم فى الوفاء بما قطعه على نفسه حتى النهاية.

وهذه الظاهرة (جر الرجل) تستحق أن نوليها اهتماما حتى لا نقع فى أسرها ونصبح إحدى ضحاياها فإذا حاول أحد إغرائك ماديا أو نفسيا أو جنسيا فإن هذه تكون مجرد بداية لسلسلة من التنازلات والخضوع.

والآن ترى هل للقول الشائع "المية تكدب الغطاس" Saying is believring أثر نلمسه فى واقعنا اليومى كما نلمسه فى معامل التجربة؟

الإجابة هى "نعم" ففى البداية هناك دليل واضح على أن معظمنا ومن يتقدمون لترشيح أنفسهم فى انتخابات مجلس الشعب والساسة خاصة تسعى إلى المبالغة فيما تقول حتى تؤثر على السامع.

ولقد وجد عالم النفس الاجتماعى فيليب تتلوك ١٩٨١ أن معظم التصرفات السياسية للرؤساء الأمريكيين تميل فى معظمها لأن تتم بصفة البساطة خلال الحملة السياسية "على سبيل المثال السيطرة على التضخم تستوجب إجراء تخفيضات ضخمة فى الإنفاق الحكومى وبعد أن يتم انتخاب الرئيس الأمريكى تصبح هذه البيانات غاية فى التعقد حتى نصل إلى العام الانتخابى الجديد (هكذا هو الحال لدى البعض ممن يفوزون فى انتخابات مجلس الشعب فهم وبعد نجاحهم يديرون ظهورهم لمن اختاروهم!!

وبنفس الطريقة فنحن نكون أكثر استعدادا لنطلع الناس على الأخبار متى كانت مبهجة ونتراجع لو كانت أخبارا محزنة(*) ونقوم بإجراء تعديلات على الأخبار التى نلقيها على أسماع الغير حتى تحوز رضاه "ميـنز وآخرون ١٩٧٤، يتسر وآخرون ١٩٧٢، تتلوك١٩٨٣".

وفى إحدى التجارب كانت الخطابات المفترض أنها صريحة للغاية والتى ترسل من أعضاء هيئة التدريس والخاصة بخطابات توصية للخريجين من الطلبة عقب تخرجهم إلا أنها كانت تحمل عبارات مجاملة وتعليقات مبهجة لشعور أعضاء هيئة التدريس أن الطلبة من حقهم الإطلاع على محتويات هذه الخطابات "سيسى، بيترز،، ١٩٨٤ & Ceci Peters".

ولا نقصد بذلك أن تلك الخطابات كانت تتضمن أكاذيب، كل ما نسعى إلى الإفصاح عنه هو إلقاء الضوء على ما يحدث من محاولتنا كبشر لتغليف آرائنا بطريقة أو أخرى وهو الأمر الذى يتوقف على من نخاطبه.

الأمر الثانى هو أننا بمجرد أن نقوم بتغليف الرسالة التى نوجهها للمستمع نبدأ السعى لتصديق ما تتضمن من مغالطات وبعد عن الحقيقة.

وقد أكد ذلك تونى هيجنز ورفاقه "هيجنز ورولز ١٩٧٨، هيجنز، ماكينزى ١٩٨٤" حيث أكدوا أن هناك ضرورة لتحقيق مقولة "المية تكذب الغطاس" وذلك عندما طلبوا من طلبة الجامعات قراءة وصف شخص لأحد الأفراد ثم تلخيص هذا الوصف على أسماع شخص آخر عرف عنه أنه إما حبه أو كرهه لهذا الشخص الجارى وصفه والذى حدث هو أن الطلبة لم يدلوا بأوصاف أكثر بكثير فحسب من مآثر وحسنات هذه الشخص عندما كان الوصف يتحدث عن شخص يكنون له محبة بل اضافوا له صفات لم تكن فيه على الإطلاق. وعندما طلب منهم استعادة ما سمعوه من أوصاف كانت إعادتهم للخطاب تتضمن أوصافا اكثر بكثير مما سمعوه.

(*) لقد أصبحت دراسات "سيكولوجية الشعوب" كما يقول قدرى حفنى (٢٠) سلاحا حربيا مهما وحاسما، ويعنى بالحرب هنا المسلحة لا الحرب النفسية، ولقد استخدم ضدنا هذا السلاح فى مواجهتنا مع اسرائيل عام ١٩٦٧. لم يكن هذا الاستخدام صاروخا ولا طائرة ولا قنبلة ولم يكن سوى **"سمة سلوكية"** يكمن حذرها السيكولوجي فى اعمق اعماق تصرفاتنا اليومية البسيطة ويعنى بها سمة التشاؤم والتفاؤل. لقد اعتدنا أن نكره من يأتى إلينا بخبر سئ، وأن نتحاشاه ونتجنبه، ومن الناحية الأخرى، فقد أعتدنا أن نكره أن نحمل نحن خبرا سيئا، وأن يتردد المرء منا كثيرا فى أن يكون "نذير شؤم". ولكن فلننظر إلى قول موردخاى هود قائد الطيران الإسرائيلى مفسرا اقدامه على "المغامرة" بإرسال الطائرات الإسرائيلية. كلها تقريبا ــ لمهاجمة الطيران المصرى تاركا إسرائيل دون غطاء جوى، يقول "لقد كان رأى خبرائنا أن الصورة لن تكتمل أمام من يملكون حق التصرف من القادة العسكريين فى مصر قبل نصف ساعة، وأنه سيمضى نصف ساعة آخر قبل أن يقرر هؤلاء القادة العسكريين ماذا سيفعلون، وهذه الساعة كانت كل آمالنا، وعلى أساسها تم ترتيب كل توقيتات خططنا" لقد أقدم موردخاى علعى المغامرة، وعلى حسب قول "قدرى حفنى" وأمامه هاتان السمتان السلوكيتان: التباطؤ فى إبلاغ الانباء السيئة، والتردد حيال المواقف الجديدة.

بإختصار فنحن نميل إلى إدخال تعديلات على ما نلقيه من أقوال على مسامع الآخرين حتى تطيب لهم وبعد أن نقوم بذلك نقوم بتصديق الرسالة المعدلة التى اخترعناها.

وكما سنرى فإن هناك جانب سئ يسفر عنه التأثير السئ والضار لعملية الالتزام بالتعهد والتصاعد التدريجى فى طلب اسداء معروف ولقد انتهى الباحثين فى مجال التسويق إلى أن هذا المبدأ يتم استخدامه حتى مع علمنا بلجوء البائع إلى محاولة تحقيق الربح وذلك فإنه يتم تدريب موظفى المبيعات على استخدام هذا الأسلوب (الالتزام التدريجى من جانب الزبون) وذلك وفقا لأبحاث "سيالدينى ١٩٨٤، رينجين وكيرنام ١٩٧٧".

إن الإلتزام الذى نقطعه على انفسنا فى البداية والذى يكون غير ضار وعن نية خالصة ينتهى فى النهاية بأحداث غير سارة غالبا فأحداث مثل تلقى كارت للترويج عن سلعة ثم اعادتكم لهذا الكارت سعيا وراء المزيد من المعلومات وكذلك تلقى الهدايا المجانية كلها تكون بمثابة التزام من جانبك لحضور اجتماع لسماع المزيد عن هذا الاستثمار وكلها رموز تمثل بداية لإلتزام أكبر، فى النهاية قد لا تستطيع التراجع عنه. ويقرر "ديفيد مايرز D.Myers" أنه فى اليوم الذى كتبت فيه الجملة الأخيرة جاء احد موظفى شركات التأمين على الحياة وقام بعرض ديباجة مفصلة لوضع أسرتى المالى وأهمية التأمين على هذه الأسرة ضد الأخطار وبعد أن فرغ من تقديمه لم ينتظر منى الرد على عرض للتأمين على الحياة أو حتى مجرد سماع رغبتى للمشاركة فى مزايا خدمته المجانية بل كان سؤاله "هل تعتقد أن الناس يجب أن تسمع كل هذه المقدمة حتى تشارك فى وثيقة التأمين"؟

وأحيانا أخرى يزاول موظفى المبيعات هواية استغلال الالتزام الأولى عندما يحاولون ربط الناس بما انتهت إليه اتفاقاتهم لدى عقد صفقات شرائية وفى معظم الولايات الأمريكية الآن هناك قوانين تتيح للمشترى فرصة التفكير بضعة أيام فيما اقدم عليه من صفقات بل وإلغاء الصفقة والشراء الذين أتمه متى شاء ذلك.

ولتلافى أثر هذه القوانين فلقد قامت شركات عديدة بعمل ما تطلق عليه هذه الشركات اسم "الأسلوب النفسى الهام للغاية فى السعى لمنع الزبون من التراجع عن الصفقات والالتزامات التى قطعها على نفسه" وذلك ضمن برامج تدريب موظفى المبيعات التابعين لهم وهذا الأسلوب يتلخص فى قيام موظفى المبيعات بجعل الزبون يقوم بملئ استمارات الشراء دون تدخل من موظف المبيعات على الإطلاق وبعد ذلك يصبح الزبون ملزما باتمام التزامه والشراء. ويشير "ديفيد مايرز" بأنه:

ليست سياسة "جر الرجل" هذه بلا ضرر فى معظم الأحوال فإن أسلوب الالتزام التدريجى للشخص وما يترتب عليه من تصاعد فى التصرف والتفكير أدت فى النهاية إلى حرب فيتنام. فبمجرد اتخاذ قرارات متعجلة وانبراء موظفى الإدارة الأمريكية للدفاع عنها اصبح رؤساء أمريكا ملتزمون بصورة عمياء لإتمام الالتزام الذى قطعوه لدى توليهم الرئاسة والمضى فى الطريق الخطأ لنهايته، لقد اصروا على الإلتزام بعهودهم حتى النهاية

لتطابق أفعالهم وأقوالهم خلال الانتخابات مع التعامى عن المعلومات التى كانت توضح بصورة صارخة حجم الكارثة التى كانوا ينزلقون إليها.

وقد لخص "رالف وايت ١٩٧١ – Ralph White" المسألة بقوله "لقد كان هناك ميل واضح لدى صناع القرار لتكريس التناقض بين اتجاهاتهم وتصرفاتهم بعدما تبين لهم التضارب بين إتجاهاتهم وتصرفاتهم فقد قرروا عدم التراجع حتى ولو كانت الكارثة".

(١٥) **الاستيعاب، الامتصاص Internalization:**

عندما يقبل الفرد التأثير من الآخر، لأن هذا السلوك المقنع متفق مع نسقه القيمى. وغالبا ما يعطى مضمون هذا الاتجاه النفسى أوالسلوكى الإثابة كشئ اساسى أو يساعد الاتجاه النفسى أو السلوك على حل المشكلات وكمثال لذلك أن الأفراد فى أى مجتمع إنما يتصرفون استجابة لواقع اجتماعى معين وهو متغير دوما – تغيرت تصرفاتهم حياله ومن خلاله فقد غير البعض من أبناء وطننا الحبيب جلدهم وسايروا لفترة من الوقت أوهام سياسة الانفتاح الاستهلاكى أملا منهم فى مستقبل أكثر رفاهية وأكثر اشراقا فانتشر ما يسمى "بالشخصية المدردحة" التى تستطيع أن تتصرف بفهلوة وذكاء وحسن تصرف، تخاطب الجن الأحمر وتعايش فى الوقت نفسه ملائكة السماء والأرض دون أن يتطلب هذا منه جهد جهيد، ويمكن إيجاز أبعادها فى تمجيد الفرد القادر على اكتساب اى شئ من لا شئ، بمعنى البحث عن المكاسب السريعة دون جهد يذكر واتقان مهارة الاقناع وبعض الخداع مع تجاهل بعض القيم الاجتماعية التى باتت فى قاع السلم القيمى نتيجة النزعة المادية الاستهلاكية، وفى المقابل "الشخصية الغشيمة" التى تتحكم القيم فى كل توقعاتها وأفعالها مما يجعل البعض يطلق عليه "ده راجل طيب".

(١٦) **شخصية الفرد وأثرها:**

أجرى "كيتز ستوتلاند – ١٩٥٩ – katze and Stotland" تجربة ليوضح أثر العامل الشخصى فى تغيير الاتجاهات.

تتلخص التجربة فى اختيار عينة من الفتيات البيض ثم تطبق مقياسين عليهن يقيس المقياس الأول اتجاهاتهن نحو السود ويقيس الثانى أحد سمات الشخصية وهى حماية الذات Self – defensiveness. ولقد تم تعريض الطالبات لمحاولات لتغيير اتجاهاتهن العنصرية نحو السود. وأظهرت نتائج التجربة أن البنات اللاتى حصلن على درجات مرتفعة على مقياس حماية الذات، كانوا أكثر مقاومة لتغيير اتجاهاتهن نحو السود من البنات اللاتى حصلن على درجات منخفضة على هذا المقياس. ويشير محى الدين أحمد حسين (٦٦) إلى بعض المبادئ أو المؤشرات التى يمكن ان تفيد فى أى محاولة تستهدف تغيير اتجاهات الأفراد نحو موضوع معين، بحيث يمكن تحقيق هذا التغيير أو التعديل فى الاتجاهات النفسية للأفراد أو الجماعات:

١- إن المدخل الأساسى لتغيير الاتجاه هو تقديم معلومة جديدة للفرد المراد التأثير فيه، ويجب أن تكون متصلة بشكل وثيق بموضوع الاتجاه المراد تغييره، وأن تتحقق من

خلالها إمكانات التفاعل الايجابى من جانب الفرد، حتى يكون لـــها تأثيرهـــا المباشـــر عليها. وبطبيعة الحال، فإن ذلك لا يتحقق إلا بتهيئة موقف التفاعل الاجتمـــاعى بيـــن المرسل والمستقبل على نحو يضمن تأثير الأول فى الثانى، فى الاتجاه المطلوب. ومـن أفضل الطرق التى يمكن الاعتماد عليها لبلوغ ذلك هو زيادة دافعية الشخص المستقبل للتعامل مع المعلومة المقدمة، وإثارة رغبته فى ذلك، بحيث يتسنى له فهمـــها وإدراك دلالتها المختلفة.

٢- إنه يمكن تغير الاتجاهات بطريقة مباشرة، بان تتجه الرسالة مباشرة موضوع الاتجـــاه بالتنفير أو بالترغيب. ومثال ذلك ما نجده من اعلانات تحذيرية عن مضار التدخيـن او تعاطى المخدرات، بطريقة غير مباشرة كما يحدث فى الأفلام السينمائية، مـــن صـــور الدفع غير المباشر، فى ثنايا عرض الأحداث، بعرض خصائص معينة فى الموضوعـات المراد تعديل اتجاهات المشاهدين نحوها.

٣- إنه من الأخطاء الشائعة فى عملية تغير الاتجاهات اغفـــال الجوانـــب الايجابيـــة مـــن الموضوع (اى موضوع الاتجاه المراد تغييره)، عند الرغبة فى التنفير منه، أو عـــدم الاشارة لأى الجوانب السلبية فى حالة الترغيب فيه، والواقع إن ذلك قد يفيد إلى حين. لكن اثار مثل هذا الأسلوب أو التغيير الناشئ عنه، يكون ضعيفا غالبا، ولا يستمر لمدة طويلة، بل إنه يمكن ان يؤدى إلى نتائج عكسية تماما، عندما يكتشف المتلقى (المـــراد تغيير اتجاهه)، الوجه الآخر للموضوع، والخلاصة من كل ذلك أن المعلومة أو الرسالة المقنعة المراد استخدامها فى تغيير الاتجاهات، يجب أن تتعامل بموضوعية مع كل من الخصائص الايجابية والخصائص السلبية لموضوع الاتجاه المراد تغييره، أو إحـــداث التأثير. بصورة أو بأخرى.

٤- إنه يسهل تغيير الاتجاه بالنسبة للموضوعات غير المركزية، عنه فى حالة الموضوعات المركزية. بمعنى أن هناك اتجاهات قوية أو محورية، لها ثقل كبير فـــى تحديـــد أدوار الفرد فى الحياة، وفى ادراكه لذاته وللآخرين وفى تقييمه للعناصر المختلفة فى بيئتـــه، وهناك اتجاهات أخرى أقل قوة وشدة يمكن أن نسميه اتجاهات هامشية. وقـــد أكـــدت دراسات عديدة مقاومة النوع الأول من الاتجاهات للتغيير، بالمقارنة بالنوع الثانى.

٥- إنه يسهل تغيير اتجاهات الأفراد ذوى المعلومات القليلة. ويقوم هذا المبدأ على فكـــرة "أن مواجهة الكثير أصعب من مواجهة القليل". فمن تزود بمعلومات كثيرة عن موضوع معين من الموضوعات، يتخذ عادة موقفا راسخا من هذا الموضـــوع، يتناســـب وكـــم المعلومات التى لديه. على العكس فمن لا يملك إلا معلومات قليلة عنه، إذ يكون موقفه (أو اتجاهه) غير ثابت تماما، وبالتالى يسهل تغييره أو التأثير فيه بدرجة أو بأخرى.

٦- إن الاتجاهات النفسية ليست بمعزل عن بعضها البعض، فعندما يتكون لدى الفرد اتجـاه معين. فإنه ينتظم بعد ذلك مع غيره من الاتجاهات الأخرى وليس من الضرورى لـــهذا الانتظام ان يكون مع كل الاتجاهات التى توجد لدى الفرد، بل قد ينتظم مـــع البعـض

منها، دون البعض الآخر، وبالتالى يمكن تصور وجود زملاء أو فئات من الاتجاهات على قدر كبير من التنظيم والتفاعل، الأمر الذى يعنى ان أضعاف أو تغيير أحدها يؤدى إلى اضعاف أو تغيير الاتجاهات الأخرى، سواء المرتبطة بنفس الموضوع أو المرتبطة بموضوعات ذات صلة.

٧- إن الفرد يميل عادة إلى الأفراد الآخرين المشابهين له فى اتجاهاته، وذلك لأسباب مختلفة، يدخل فيها أن التشابه أو التماثل هو بمثابة مدعم لاتجاهات الفرد ومصداقا على شرعيتها، وبالتالى فإن عدم وجود تماثل بين اتجاهات الفرد واتجاهات الآخرين (وخاصة الجماعات المرجعية له)، يمثل ضغطا نفسيا عليه، أحد مترتباته المحتملة تغيير الفرد لاتجاهاته، لتحقيق التوازن أو التوافق مع الآخرين.

وتتعدد الوسائل التى تتبع فى تعديل الاتجاه فهناك المحاضرات النظرية، وهناك الحملات الاعلامية من أجهزة الاذاعة والتليفزيون والصحافة والسينما والمسرح. وهناك المناقشات الجمعية حول موضوع الاتجاه، كما ان هناك الاتصالات المباشرة بموضوع الاتجاه. وتثبت نتائج البحوث أنه يمكن ترتيب هذه الوسائل حسب قوة تأثيرها إلى أن الاتصال المباشر أقواها تأثيرا تليها المناقشات الجمعية، ثم الحملات الاعلامية، وأضعف هذه الوسائل هى المحاضرات النظرية. كما أظهرت البحوث أيضا أن أسلوب التخويف لا يفيد فى تغيير اتجاهات الناس وأن الأساليب المعتمدة على الإقناع مع الخبرة المباشرة أفضل من غيرها فى هذا السبيل.

لقد فقدت الدول فى ظل العولمة الثقافية القدرة على التحكم فى تدفق الأفكار والاتجاهات والقيم فيما بين المجتمعات والأجيال. وفقدت الدول السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات ولم يحدث فى التاريخ أن تمكن أكثر من ٣ مليارات فرد ، أى حوالى ٥٠% من عدد سكان الأرض، أن يتابعوا معا بالصوت وبالصورة الحية، وفى وقت واحد حدثا عالميا واحدا كمباريات كأس العالم، أو توقيع اتفاقية للسلام فى واشنطن، أو مراسم دفن الأميرة ديانا والملك حسين عاهل الأردن والرئيس السورى حافظ الأسد ومسابقات دورة سيدنى الأوليمبية. كذلك لم يشهد العالم مثل هذا التدفق الحر للأفراد من كل الجنسيات. والسؤال الذى يفرض نفسه علينا. ما هى نتيجة هذا الانتقال الجماعى والحر للأفراد والتبادل الحر للأفكار والمفاهيم؟ النتيجة هى بروز اهتمامات وعادات وأذواق واتجاهات وميول وأهداف وبروز الهوية المواطنة العالمية والتى ربما ستحل تدريجيا ــ وربما على المدى البعيد ــ محل الولاءات والانتماءات الوطنية. حدثان يبرهنان على أن التخمة الاتصالية لا تعنى بالضرورة إعلاما موضوعيا وجيدا: حدث الأميرة ديانا، وقضية كلينتون ــ مونيكا لوينسكى. فقد أصبح من الواضح أن أرباب وسائل الاتصال العابرة للقارات قادرون على توجيه الرأى العام العالمى، بل قادرون على تغيير الذهنيات والاتجاهات فى مستوى الكوكب الأرضى.

لقد غير الاعلام الامريكى والأوروبى من خلال الفضائيات ومن خلال البث التليفزيونى اتجاهات ومعتقدات الناس وقيمهم فبرز على السطح فى هذه الأيام الزواج العرفى ـ الزواج بالنية ـ هروب الفتيات من منازلهن ـ عقوق الوالدين ـ إغتصاب الفتيات والأطفال الصغار..الخ. والمدرسة تتحمل مسئوليتها فى تعليم أطفالها من خلال المعلم واخصائى الاعلام التربوى كيف يتعاملون مع وسائل الاعلام، وكيف يميزون بين الغث والسمين فيما يقدم لهم وكيف يتحيزون فى معظم الأحوال لما ينفع ويفيد.

مساهمات العلماء المسلمين فى موضوع تغيير الاتجاهات

وقد أدرك المفكرون المسلمون الأوائل هذا المعنى فقد سبقوا زمانهم، حيث يرى ابن سينا (٤٢٨هـ) أن المعلومات تحدث فى النفس انفعالا يترتب عليه عزم أو نية، يدفع لاستجابة سلوكية، فيقول فى كتابه "الاشارات" (٤٤٦:٦٧) و "أما الحركات الاختيارية ـ لها مبدأ .. منفعل عن خيال أو وهم أو عقل تنبعث منه قوة غضبية دافعة للضار أو قوة شهوية جالبة للنافع ، فيطيع ذلك ما أنبت فى العقل.."

ويؤكد هذا المعنى أبو اسحاق الشيرازى (٤٧٦ هـ) فى كتابه "الطب الروحانى" (١٢:٦٨) إذ يلزم من الشعور بالشئ حكم النفس عليه بأنه خير أو لا و"هذا الحكم إما يلزم من تقليده وإما من رأى فاسد، ثم إذا ثبت هذا الحكم فى النفس صار اعتقادا، وإذا ثبت الاعتقاد لزم منه خلق، وإذا تحرك الخلق لزم منه انفعال، ثم صدر منه الانفعال..".

ويجمل ابن قيم الجوزيه (٧٥٢هـ) هذا الكلام ـ فى كتابه "الروح" بقوله : "خاطر ثم هوى ثم وجدان ثم اعتقاد ثم فعل".

"إن السلوك معرفى المنشأ" أى أن الفرد يتصرف فى ضوء المعلومات المتاحة له، وفى ضوء معالجته لها. وبالتالى يمكن التحكم فى السلوك بالتحكم فى المعلومات التى يتعرض لها الفرد، وهكذا يلعب الاعلام المعاصر، رضينا أم أبينا ـ دورا أساسيا فى المجتمع كوسيلة لجعل سلوك أفراده سلوكا مرغوبا اجتماعيا من خلال استمالتهم **Persuassion** نحو أداء افعال مخطط لها مسبقا من قبل الجهة القائمة بالاتصال (مسلسل "الجرئ والجميلات" واساليب هيئات الاعلام الامريكية للسيطرة على الآخرين من خلال السيطرة على عملية تداول المعلومات، والإشراف على معالجتها وتنقيحها بشكل يحدد معتقدات الآخرين وسلوكهم وفق نماذجها واسلوبها فى الحياة فهى من اجل خدمة اهداف السياسة الغربية تسعى جاهدة للهيمنة على عملية تداول المعلومات فى العالم كله.

الفصل التاسع
القيم الاجتماعية
Social Values
خطة الفصل المنهجية

- تعريف القيم.
- التمييز بين مفهوم القيم وبين غيره من المفاهيم.
- متطلبات اكتساب القيم.
- أساليب قياس القيم.

-الملاحظة المنظمة **Systematic observation** .

-المقابلة الشخصية **Interview**.

-تحليل المضمون **Content Analysis**.

-الاستخبارات **Questionnaires**

(أ) استمارات تشمل على أسئلة الاختيار من بدائل.

- استخبار البورت وفيرنون ولندزى.
- مقياس القيم الفارقة.

(ب) - استخبارات تقليل القيم من خلال ترتيب الفرد لعدد من البنود أو البدائل المقدمة حسب أهميتها بالنسبة له.

- مقياس دراسة الاختبارت "ودروف".
- مقياس القيم الشخصية "هوكس".
- مقياس قيم العمل "سوبر".
- مسح القيم "روكيتش".

- أهمية دراسة القيم
- خصائص القيم
- تصنيف القيم
- القيم كدعامة لتفكير الفرد
- تكون القيم
- صراع القيم
- النسق القيمى
- القيم والايدولوجيا
- توضيح القيم والنظام التعليمى

تعريف القيم

القيم من المفهومات المجددة اللازمة للجنس البشرى والتى يكتسبها الفرد عن طريق الآخرين ذوى الشأن فى حياة الفرد (الأسرة ــ المدرسة ــ وسائل الاعلام) وعن طريق المجتمع، وتقوم القيم بتوجيه سلوكيه وتعمل على توازنه وتستعمل كوسيلة للحكم على سلوكه كما أنها تساعد الفرد على التمكن من ضبط نفسه ومعرفة توقعاته من الأخرين وتزوده بالشعور اللازم لمعرفة الصواب من الخطأ والمرغوب من المرفوض (١٦:١).

كما أن القيم تساعد الفرد على التفكير فيما ينبغى أن يفعله وعلى التفكير فى الأساليب والوسائل التى يختارها فى الموقف الشكل، وبذلك يمكن أن ننظر إلى القيم كدعامة للتفكير(٢:٥٤٣).

تتنوع وتتعدد تعريفات القيم تبعا للاطار المرجعى الذى يخضع له الباحث. وضعت عدة تعريفات للقيم يؤكد بعضها الناحية الشعورية ويؤكد بعضها الناحية الوجدانية ويؤكد بعضها الناحية العقلية ولكنها جميعاع تؤكد أنها أحكام يصدرها الفرد على العالم الانسانى والاجتماعى والمادى الذى يحيط به. والقيم بهذا المعنى تعنى الاهتمام بشئ أو استحسانه أو الميل إليه والرغبة فيه.

ومن بين أهم التعاريف التى نالت اجماعا من طرف المنظرين تعريف كل من كلوكهون وروكينش. فيعرفها كلوكهوى **Kluchohn 1951** بأنها "مفهوم ضمنى أو صريح مميز من مميزات الفرد أو خاصية من خصائص الجماعة حول ما هو مرغوب فيه والذى يؤثر على اختيار أنماط، ووسائل وأهداف الفعل". أما روكينش **Rokeach 1973** فيعرف القيمة بأنها "اعتقاد ثابت نسبيا.. بأن أنماطا محددة من السلوك أو أهدافا نمائية تكون شخصيا واجتماعيا مفضلة على نقيضاتها من السلوك أو الأهداف الغائبة الأخرى". وبرغم بعض الاختلاف الموجود بين المنظرين فى تعريف القيمة إلا أنهم متفقون على أن القيم تقوم مقام المعايير فى توجيه السلوك لتحقيق عدة أهداف فى حياتنا اليومية.

فالقيم هى التى تملى علينا كيف نسلك، وماذا نحب، وما الاتجاهات التى يجب أن نحملها. وهى أيضا معايير تستعملها لتبرير سلوكنا واتجاهاتنا، وإصدار الاحكام الاخلاقية وكذا مقارنة أنفسنا بالآخرين (١٤٩:٣). وعموما تنبع تعريفات القيم من أنها موجهات السلوك تحرك الفرد نحو العمل وتدفعه إلى السلوك بطريقة خاصة فالقيم بالمعنى البسيكو ــ اجتماعى نظام من الضغوط لتوجيه السلوك، ومن الأفكار والتصورات لتأويل هذا السلوك باعطائه معنى وتبريرا معينا (٥٢:٦).

يمكن تعريف القيم بأنها "تكوين فرضى يستدل عليه من خلال التعبير اللفظى والسلوك الشخصى والاجتماعى وهى عبارة عن معتقدات تحمل تفضيلات واهتمامات وموجهات سلوك (إيجابية أو سلبية) ناشئة عن اختيار حر ورد فعل لخبرة مكتسبة تحقق اشباع حاجة الانسان نتيجة عوامل الثواب والعقاب والاقتداء" وهى معايير للاختيار من ابدال تتحدد على أساس اطار المرجع الذى يكونه الفرد (٢٩١:٥). والقيم من أهم الوسائل التى تزيد من

فهمنا للشخصية الإنسانية وتحدد وتنظم النشاط الاجتماعى لكافة أفراد المجتمع وتمكننا من تفسير الاختلافات فى سلوكهم.

التمييز بين مفهوم القيمة وبين غيرة من المفاهيم التى عادة ما يختلط بها، وذلك على النحو التالى (٧:٥٨،٥٩):

١ - القيمة والحاجة.
٢ - القيمة والدافع
٣ - القيمة والاهتمام
٤ - القيمة والسمة
٥ - القيمة والمعتقد
٦ - القيمة والاتجاه
٧ - القيمة والسلوك

ويلخص "عبد اللطيف محمد خليفه" التمييز بين القيم والمفاهيم على النحو الآتى:

١-يتمثل الفرق بين القيم والحاجات، فى أن القيم تحتوى أو تتضمن التمثيلات المعرفية وأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات. فى حين أن الحاجات لا تتضمن هذا الجانب، وتوجد لدى جميع الكائنات الحية (الانسان والحيوان).

٢-تختلف القيم عن الدوافع فى أنها ليست مجرد ضغوط لتوجيه السلوك. ولكنها بالإضافة إلى ذلك تشتمل على التصور أو المفهوم القائم خلف هذا السلوك بإعطائه المعنى والتبرير الملائم.

٣-إن الاهتمام مفهوم أضيق من مفهوم القيمة، ويعتبر مظهرا من مظاهرها، ويرتبط غالبا بالتفضيلات والاختيارات المهنية التى لا تستلزم الوجوب، كما أنها لا تتفق مع المعايير التى تحدد ما ينبغى وما لا ينبغى أن يكون. أما القيم فترتبط بضرب من ضروب السلوك أو غاية من الغايات. وتتصف بخاصية الوجوب والمعيارية.

٤-وفيما يتعلق بالتمييز بين القيم والمعتقدات، تتميز المعارف فى القيم من المعارف الأخرى التى يتضمنها المعتقد، بالجانب التقويمى، حيث يختار الشخص من بين البدائل فى تقسيمه لما هو مفضل أو غير مفضل، كما تختلف القيمة عن المعتقد فى أن القيم تشير غالبا إلى ما هو حسن أو سئ فى حين يرتبط المعتقدات غالبا بما هو صحيح أو زائف.

٥-يتلخص الفرق بين القيم والاتجاهات، فى أن القيم أعم وأشمل من الاتجاهات، فتشكل مجموعة من الاتجاهات فيما بينها علاقة قوية لتكون قيمة معينة، ونتيجة لذلك تحتل القيم موقعا أكثر أهمية من الاتجاهات فى بناء شخصية الفرد. ويقول "سويف" أن بحوث الاتجاهات بدأت داخل ميدان علم النفس، فى حين أن بحوث القيم بدأت داخل ميدان الفلسفة (٤) ويرى أن القيم تقدم المضمون للإتجاهات. فالاتجاهات إنما تمثل شكلا أقرب ما يكون إلى الطابع التجريدى، حيث تحدد القيم لهذا الشكل مضمونه وفحواه (٥:٣٢).

٦-كما تختلف القيم عن السمات فى كونها أكثر تحديدا وتنوعا من السمات. وكذلك أكثر قابلية للتغيير.

٧- القيم مفهوم أكثر تجريدا من السلوك، فهى ليست مجرد سلوك انتقائى، بل تتضمن المعايير التى يحدث التفضيل على أساسها، فالاتجاهات والسلوك هما محصلة للتوجهات القيمة.

وفى ضوء ذلك يتضح أن للقيم عددا من الخصائص التى تميزها عن غيرها من المفاهيم (كالحاجة أو الدافع أو الاهتمام، أو المعتقد أو الاتجاه أو السلوك) وهى:

أ- إنها أكثر تجريدا وعمومية، ومحددة لاتجاهات الفرد واهتماماته وسلوكه.

ب- إنها تتسم بخاصية الوجوب أو الالزام التى تكتسب فى ضوء معايير المجتمع والاطار الحضارى الذى تنتمى إليه هذه القيم.

متطلبات اكتساب القيم

لكى يكتسب الفرد القيم لابد من توافر سبع متطلبات يجب وجودها جميعا حتى يمكن تكوينها وهى:

الاختيار الحر ـ الاختيار من بين عدد من البدائل ـ الاختيار بعد تفكير بعناية فى عواقب كل بديل ـ الاعزاز والتقدير ـ التأكيد ـ العمل بما تخيرناه ـ الممارسة والتكرار.

أساليب قياس القيم

أولاً: المشاهدة أو الملاحظة المنظمة Systematic observation

وقد اهتم العديد من الباحثين بدراسة السلوك الاجتماعى والاخلاقى لدى عينات من الاطفال من خلال المشاهدة وذلك باستخدام طريقة العينات الزمنية (عينة من السلوك الصادر عن الطفل فى عدد من الفترات الزمنية). كما أن هناك طرقا أخرى لجأ إليها بعض الدارسين: منها **القبة الفوتوغرافية** (استخدمها ارنولد جيزيل ومساعدوه) وهى قبة صنعت جدرانها من شاشة لا تتيح الرؤية إلا فى اتجاه واحد (من الخارج إلى الداخل) ومن ثم يجتمع الدارس ومساعدوه خارج القبة ليلاحظوا الأطفال بداخلها دون أن يتمكن الاطفال من مشاهدتهم وهذا ما يشجع الأطفال على الانطلاق فى سلوكهم بصورة غير مفتعلة ويمكن تصور مشاهد من مواقفهم بواسطة آلات التصوير السينما توغرافى التى ركبت بطريقة تسمح لهم بحرية الحركة على الجدران لتصوير المشاهدة من زوايا متعددة.

ثانيا: المقابلة الشخصية Interview

وقد استخدمت بشكل أكثر انتشارا فى مجال "قياس القيم والاحكام الاخلاقية" وذلك بالمقارنة بالملاحظة. فقد اعتمد "كوهلبرج" فى دراسته للأحكام الاخلاقية على تقديم عدد من القصص، التى يشتمل كل منها على نوع من التعارض بين قيمتين من القيم الاخلاقية، كما قامت، "تانسى ايزنبرج" بدراسة عن الاحكام الأخلاقية ذات الطابع الاجتماعى باستخدام مجموعة من القصص الناقصة، والتى تشتمل على نوع من الصراع بين حاجتين أو قيمتين ويطلب من الطفل اختيار الحل المناسب من وجهة نظره (١٠: ١٢٨-١٣٧).

إلى جانب ذلك استخدم بعض الباحثين أسلوب الرسومات Drawings كطريقة لتقدير قيم الأفراد. وهى طريقة ملائمة مع الأطفال الذين لا يمكنهم التعبير عن وجهة نظرهم إما

لأن لديهم صعوبات لغوية أو ليس لديهم المعرفة والدراية الكافية بالبدائل المقدمة في السؤال. وتتلخص هذه الطريقة في أن يرسم الطفل الأشكال المحببة التي يفضلها ويعجب بها، على أساس أنها تعكس قيمه واتجاهاته (١١) كما اعتمدت بعض الدراسات على تقديم مجموعة من الصور والرسومات للأطفال ثم يطلب منهم الإجابة عن سؤال مطروح أسفل الصورة (٧١:٧).

ثالثاً: تحليل المضمون Content Analysis

وقد استخدم هذا الأسلوب في مجال الكشف عن القيم من خلال تحليل لمضمون الرسالة، سواء كانت مسموعة أو مقروءة أو مرئية، وكان من أوائل المستخدمين له في هذا المجال.

"رالف وايت White – ١٩٤٧" كما استخدمه "محمد ابراهيم كاظم" في عدد من الدراسات، منها الدراسة الحضارية المقارنة عن قيم الطلبة في كل من مصر وأمريكا، وكذلك دراسته التتبعية لقيم عينة من الطلاب المصريين في خمس سنوات في الفترة ما بين سنة ١٩٧٥، ١٩٦٢. (١٢:٦٣٧-٦٥٣)، (١٣) كما استخدم أسلوب تحليل المضمون في دراسته حضارية مقارنة لقيم الشباب في كل من الكويت ومصر (١٤:١٧٩-٢٠٤) كما استخدمه المؤلف في رسالته للدكتوراه عن دور قصص الألغاز والقصص الديني في تنمية القيم التربوية لدى الأطفال. وكان من أهم نتائج هذه الدراسة أن أسلوب عرض القصص الديني أو قصص الألغاز دونما ممارسة فعليه وتكرار لتكوين عادة القيام بالفعل المكتسب نتانجه خارج المرمى فالقيم تؤكدها الممارسة "العرض أو الانقرائية".

رابعاً: الاستخبارات Questionnaires

- ❖ ومنها (**الفئة الأولى**) : الاستخبارات التي تشتمل على أسئلة الاختيار من بدائل ومنها ما يأتي:

(١) استخبار البورت وفيرنون ولندزي:

ويعتبر من أوائل الاستخبارات في قياس القيم الذي أعده البورت وفيرنون والذى تم تعديله بعد ذلك بالإشتراك مع جاردنر لندزى وقد ترجمه إلى العربية عطيه هنا وقام باجراء بعض التعديلات ليلائم البيئة المحلية ويهدف إلى قياس القيم التالية:

- القيمة الاجتماعية، والتي تهتم بالنواحي الاجتماعية والعلاقات بين الاشخاص وحبهم ومساعدتهم.
- القيمة النظرية، والتي ترتبط باكتشاف الحقيقة والتعرف على العالم المحيط بالفرد، والسعى لمعرفة القوانين التي تحكم الأشياء.
- القيمة الاقتصادية، والتي ترتبط بالنواحي المادية والمالية. ووضع الثروة في المقام الأول في اختيار الزوج.
- القيمة الجمالية، وتختص بالشكل والتناسق والفن والجمال.

- القيمة الدينية، وترتبط بالمعتقدات والسلوك الدينى ووضع الدين فى المقام الأول فى اختيار الزوج.
- القيمة السياسية، وترتبط بالمركز والسلطة وتتعلق بالنشاط السياسى.

(٢) مقياس القيم الفارقة The differential Values

أعده "برنس R.Prince وترجمة إلى العربية "جابر عبد الحميد جابر" ويقوم على أساس تصنيف القيم إلى نوعين قيم تقليدية Traditional، وقيم عصرية Emergent ويتكون من ٦٤ بنداً يشتمل كل منها على عبارتين، وعلى المجيب أن يختار واحدة منها، احداهما تمثل قيمة تقليدية (كالقيمة الاخلاقية، والرغبة فى النجاح، والحصول على المركز، والتخطيط للمستقبل) وتشير العبارة الثانية إلى قيمة عصرية (مثل المجاراة والاهتمام بالحاضر، والصداقة، والسعادة) مثل:

- ينبغى أن أعمل الأشياء الخارجة عن المألوف (قيم أصلية ــ تقليدية)
- ينبغى أن أعمل الأشياء التى يعملها معظم الناس (قيم عصرية).

❖ **الفئة الثانية**: الاستخبارات التى تقيس القيم من خلال ترتيب الفرد لعدد من البنود أو البدائل المقدمة حسب اهميتها بالنسبة له ومنها ما يأتى:

١- مقياس دراسة الاختيارات A Stud of Choice

أعده "ودروف Woodruff" ويتضمن ثلاث مشكلات رئيسية يندرج تحت كل منها ثمانية حلول، ويطلب من الفرد ترتيبها حسب أهميتها ويكشف هذا المقياس عن عدد من القيم مثل (الحياة الأسرية ــ والتدين ــ والصداقة ــ والخدمة الاجتماعية والنشاط العقلى).

٢- مقياس القيم الشخصية A personal Values Inventory

أعده "هوكس Hawkes" ويتكون من ٩٠ بندا خصصت لقياس عشر قيم هى: القيم الجمالية، والراحة أو الاسترخاء، والصداقة والاثارة، الحياة الأسرية، والحرية البندية، والسيطرة أو التحكم، والتقدم الشخصى، والانحراف أو التقدير من قبل الآخرين، وقد قسمت بنود المقياس إلى ٣٠ مجموعة، يتضمن كل منها ثلاثة بنود لقياس ثلاث قيم من القيم العشر ويطلب من المبحوث ترتيبها حسب أهميتها.

٣- مقياس قيم العمل Work Values Inventory

قد أعده سوبر Super لقياس ١٥ قيمة كالابداع، والأمن، والمكانة الاجتماعية، والعلاقة مع الآخرين، والغيرية ويتكون من ١٨ مجموعة يحتوى كل منها على أربعة بنود لقياس أربع قيم مختلفة،" ويطلب من الفرد ترتيبها أيضا حسب أهميتها بالنسبة له.

٤- مسح القيم لروكيش Research Value Survey (R.V.S)

ويتضمن جزأين الأول: لقياس القيم الغائية Terminal Values ويتكون من ١٨ قيمة (الحياة المريحة ــ الحياة المثيرة ــ الانجاز ــ السلام العالمى ــ جمال العالم ــ المساواة ــ الأمن العائلى ــ المتعة ــ النجاة والخلود فى الحياة الأخرى ــ احترام الذات ــ التقدير أو الانحراف الاجتماعى ــ الصداقة الحقيقية ــ الحكمة).

والثانى لقياس القيم الوسيلية Instrumental Values ويتكون من ١٨ قيمة أيضا (طموح ـ واسع الأفق ـ قادرا أو متمكن ـ مرح ـ نظيف ـ شجاع ـ متسامح ـ خدوم ـ أمين ـ واسع الخيال ـ مستقل ـ مثقف ـ عقلانى أو منطقى ـ محب ـ مطيع ـ مهذب ـ متحمل للمسئولية ـ منضبط (ضبط النفس).

ويطلب من الفرد ترتيب كل جزء منها بشكل مستقل عن الآخر من رقم (١) ومن الأكثر أهمية إلى رقم (١٨) وهى الأقل أهمية (١٥،٣:٧٤-٨٢).

أهمية دراسة القيم

تعتبر القيم جزءا هاما فى الاطار المرجعى للسلوك فى الحياة العامة وفى مجالاتها المختلفة دينيا وعلميا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وفنيا.

ولدراسة القيم ضرورة وأهمية على المستويين الفردى والجماعى.

- فعلى المستوى الفردى: نجد أن المرء فى حاجة ماسة فى تعامله مع الاشخاص والمواقف إلى نظام للمعايير والقيم، يكون بمثابة موجهات لسلوكه، ودوافع لنشاطه، وبديهى أنه إذا غابت القيم أو تضاربت أو إهتزت، فإن الانسان يغترب عن ذاته.. وعن مجتمعه، بل ويفقد دوافعه إلى العمل والانتاج وتضطرب شخصيته.
- وعلى المستوى الجماعى، فإن أى تنظيم اجتماعى فى حاجة إلى نسق للقيم يشابه تلك الانساق القيمية الموجودة لدى الأفراد، فيضمنه مثله العليا التى عليها تقوم علاقاته ونشاطاته، فإذا ما تضاربت هذه القيم أو اهتزت فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمى الاجتماعى الذى يدفع بالتنظيم الاجتماعى إلى التفكك والانهيار.
- إن للقيم أهمية خاصة فى حياة الفرد والمجتمع فيها تتشكل الثقافة وعن طريقها يبدو طريق النمو والتقدم وخلالها تتأكد الروابط والعلاقات الاجتماعية فهى تتغلغل فى حياة الناس افراد أو جماعات لأنها ترتبط بدوافع السلوك والاهداف والآمال (١٦:٤٣-٤٤) (١٧:٨،٩) (١٨:٣).
- للقيم أهمية كبيرة فى الحياة لدورها فى تشكيل (الاطار المرجعى) للسلوك فى الحياة العامة، وفى عمليات (التوجيه والارشاد النفسى) عند انتقاء الأفراد الصالحين لبعض المهن، وفى (الصحة النفسية والعلاج النفسى) فإن أى عملية تستهدف تعديل السلوك وتحقيق التوافق ترتكز على قيم الفرد وترتبط بها ارتباطا وثيقا (٢٧:٩٧).

خصائص القيم

١- القيم نسبية أى تختلف من شخص إلى آخر بل تختلف لمدى نفس الشخص بالنسبة لنوع حاجاته ورغباته واهتماماته وظروفه ومكانته وأدواره وتتفاوت حسب الأهمية والشدة فيما يعرف باسم سلم القيم وتختلف حسب الزمان والمكان والثقافة.

٢- القيم ظاهرة اجتماعية فهى بمثابة أساليب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الانسانى، كما إنها من الموجهات الأساسية للسلوك الاجتماعى.

٣-القيم تلقائية ليست من صنع فرد أو بضعة أفراد ولكنها من صنع المجتمع ككل وتمثل مظهرا من مظاهر السلطة يظهر فى قوتها الملزمة للأفراد (ذهاب الأفراد إلى أحد المصايف هربا من شدة حرارة الصيف قيمة كبيرة فى فصل الصيف تتحول إلى رغبة البعض فى التردد على الأقصر واسوان شتاءا) شهر رمضان المعظم قيمة دينية للتعبد لدى البعض بينما يراه البعض الآخر قيمة اقتصادية كبيرة تتمثل فى رواج حركة البيع والشراء لمختلف السلع.

٤-هناك قيم فردية ترتبط باشباع حاجات الانسان المباشرة حيوية ونفسية، وبين قيم اجتماعية ترتبط بمعيشة الكائن والإنسان فى الوسط الاجتماعى.

٥-موضوعية القيم بمعنى إنها خارجة عن ذوات الافراد وعن تجسداتهم الفردية.

٦-القيم مترابطة بمعنى إنها تؤثر وتتأثر بغيرها من الظواهر الاجتماعية وهذا يدل على الحالة الدينامية للقيم، لذلك لابد من النظر إليها من خلال الوسط الذى تنشأ فيه والحكم عليها حكما موقفيا وذلك بنسبتها للمعايير التى يضعها المجتمع فى زمن معين.

٧-القيم ظاهرة تاريخية بمعنى إنها توجد فى كل المجتمعات البشرية قديمها وحديثها متأخرها ومتقدمها.

٨-القيم ذات الزام جمعى فهى تخضع لمنطق المجتمع ونظمه وقوانينه الاجتماعية.

٩-القيم مسألة شخصية نسبية تترتب ترتيبا هرميا متغلغلة فى الإنسان تنبع منه ومن رغباته لا من خارجة. وهو الذى يضفى على الشئ قيمة وهى تتضمن نوعا من الحكم والرأى كما تتضمن الوعى بمظاهره الإدراكية والوجدانية والنزوعية.

القيم كدعامة لتفكير الفرد

القيم من المفهومات المجردة اللازمة للجنس البشرى والتى يكتسبها الفرد عن طريق الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام وتقويم القيم بتوجيه سلوكه وتعمل على توازنه وتستخدم كوسيلة للحكم على سلوكه كما أنها تساعد الفرد على ضبط النفس وتوقعاته من الآخرين وتزوده بالشعور اللازم لمعرفة المرغوب من المرفوض كما أنها تساعده على التفكير فيما يقدم إليه من أفعال والأساليب والوسائل التى يختارها فى الموقف المشكل. وبذلك يمكن أن ننظر إلى القيم كدعامة لتفكير الفرد.

تصنيف القيم

يمكن تصنيف القيم الاجتماعية تبعا للآتى:

أولا : من حيث المحتوى

القيمة الاقتصادية (تشير إلى اهتمام الفرد إلى ما هو نافع) _ القيمة الاجتماعية (تشير إلى اهتمام الفرد إلى غيره من الناس) ــ القيمة النظرية ــ القيمة الجمالية (تشير إلى إهتمام الفرد إلى ما هو جميل) ــ القيمة السياسية (تشير إلى اهتمام الفرد إلى الحصول على القوة والسيطرة) ــ القيمة الدينية (وهذا هو تقسيم سبرانجر **Spranger** للقيم).

ثانياً: من حيث اتجاه القيم:

تقليدية تحافظ على ما هو قديم وقيم متحررة عقلية تميل إلى ما هو جديد.

ثالثا: من حيث المقصد:

تقسم إلى قيم وسيلية وقيم غائبة هدفية.

رابعاً: من حيث الشدة:

وتقدر شدة القيم بدرجة الالزام التى تفرضها ونوع الجزاء الذى تقرره وتوقعه على المخالف لها فهى تتناسب طرديا مع درجة الالزام وتنقسم إلى:

أ- قيم ملزمة (الفرائض والنواهى).

ب- تفضيلية غير ملزمة وغير قوية.

ت- قيم مثالية يحس الناس باستحالة تحققها بصورة كاملة.

خامساً: من حيث العمومية:

١-القيم العامة التى يعم انتشارها فى المجتمع كله.

٢-القيم الخاصة وهى القيم المتعلقة بموقف أو بمناسبات اجتماعية معينة.

سادساً: من حيث الوضع:

١-قيم ظاهرة أو صريحة (يعبر عنها بالكلام).

٢-قيم ضمنية. يستدل على وجودها من ملاحظة الاتجاهات التى تتكرر فى سلوك الأفراد.

سابعاً: من حيث مدى استمرارها:

١-قيم عابرة وهى قيم عارضة قصيرة الدوام سريعة الزوال مثل القيم المرتبطة بالموضوعات والتقاليع.

٢-قيم دائمة تبقى زمنا طويلا تتناولها الاجيال كالقيم المرتبطة بالعرف والتقاليد.

ثامناً: من حيث الاستناد للبناء الاجتماعي:

١-قيم الزامية وهى التى تحدد أنماط التفاعل الاجتماعى وقواعد السلوك المقررة.

٢-قيم متعلقة بالاوضاع الاجتماعية وهى التى تحدد الأدوار والمكانات والمراتب الاجتماعية.

٣-قيم تقليدية وهى التى تهتم بالمحافظة على الممارسات الاجتماعية المعتادة.

٤-قيم مثالية وههى التى تحدد الصورة المثلى لأهداف المجتمع وتطلعاته المستقبلية.

٥-قيم روحية تتصل بأشياء غير مادية أو بموضوعات اجتماعية مثل القيم المتصلة بالشرف والتعاون والصداقة والوظيفة.

تكون القيم

تتكون القيم ويتم اكتسابها خلال عملية التنشئة الاجتماعية للفرد بتفاعله الاجتماعى داخل اطاره المرجعى للسلوك مثل جماعة الأسرة والمؤسسات التربوية ووسائل الاعلام والنادى والحى والعمل والمجتمع ويتوقف ذلك على الانساق القيمية السائدة فى المجتمع والتى تختلف من جيل لأخر ومن ثقافة لأخرى. ويكون ذلك إما عن طريق التعليم الموجه

من خلال المنهج الخفى Hidden Curriculum من خلال ممارسة التربية البدنية واكساب قيم التعاون والنظام والطاعة وانكار الذات..الخ.

والمنهج الخفى هو مجموع القيم والسلوكيات التى تكتسب خارج المنهج المدرسى الرسمى على أن يوضع فى الاعتبار أن القيم توكدها الممارسة وليس القراءة فقط فحيث لا يمكن تعليم السباحة من خلال القراءة عنها كذلك لا يمكن تعليم التعاون أو النظام أو العدل والنظافة أو الطاعة من خلال القراءة عنها.. الخ.

وحيث "أن بذور العلقم والحنظل لا تثمر الحلو الشهى" فها هو "جون ديوى" يقول أنه إذا كانت موازين الأخلاق والقيم منحطة فذلك ناشئ عن نقص التربية التى يتلقاها الفرد فى تفاعله مع بيئته الاجتماعية ولهذا يجب ان يكون خطتنا فى اكساب الاطفال القيم من خلال التنشئة الاجتماعية من أجل مجتمعا قيميا فاضلا قائما على عنصرين.

العنصر الأول: الهداية التى هى أقوم والممارسة والقدوة الحسنة والاقتناع الفكرى ومقاومة الغواية والاغراء.

العنصر الثانى: العائد من خلال (الترغيب والترهيب).

صراع القيم Value conflict

ويحدث بين قيم ايجابية وأخرى سلبية.. صراع بين قيم مادية وأخرى روحية كالصراع بين العدل والظلم. بين الحق والباطل.. بين الكرامة الإنسانية والامتهان (١٩). وإذا ما تضاربت القيم أو إهتزت فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمى الاجتماعى الذى يدفع بالتنظيم الاجتماعى إلى التفكك والانهيار.

النسق القيمى Value System

النسق: عبارة عن مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها، لكى تؤدى وظيفة معينة ويسهم كل منها بوزن معين حسب أهميته ودرجة فاعليته داخل النسق (٣:٣٦).

ويقصد بالنسق القيمى، مجموعة القيم المتساندة بنائيا والمتباينة وظيفيا فى داخل اطار ينظمها ويشملها ويرسم لها تدرجا خاصا. وتتجمع كل القيم فى الثقافة الواحدة وترتبط معا كعناصر متكاملة فى نسق واحد، ويؤدى النسق القيمى مجموعة وظائف من اهمها:

(١) تزويد اعضاء المجتمع بمعنى الحياة والهدف الذى يجمعهم من أجل البقاء وبقدر ما تتوحد قيم الجماعة وتتفق بقدر ما يتحقق الانسجام والاستقرار للمجتمع.

(٢) ربط أجزاء الثقافة بعضها بالآخر فترتبط العناصر المتعددة والنظم حتى تبدو وأنها متناسقة.

(٣) تمارس القيم الزاما معينا على الأفراد مما يؤدى لوجود تشابه أخلاقى بين اعضاء مجتمع معين.

(٤) يحدد النسق القيمى لكل مجتمع مشكلاته الاجتماعية فالمشكلة لا يكون لها كيان بدون تعريفها عن طريق القيمة (٢٠:٧٢).

(٥) وإن احتضان الفرد لقيم معينة يعنى توقع ممارسته لانشطة سلوكية تتسق وتلك القيم.
(٦) إن معرفتنا بنسق قيم الافراد فى المراحل المبكرة، وكيف ترتقى هذه القيم والابعاد التى تنتظم من خلالها يمكننا من توجيه طموحاتهم وتنمية قيمهم نحو المزيد من الفاعلية والايجابية.
(٧) كما تبين أيضا الدور الذى تؤديه القيم فى تحديد طبيعة وشكل العلاقة بين المعلم والتلاميذ. فتزايد التقبل من جانب المعلم نحو تلاميذه، يترتب عليه ما يأتى:
- زيادة اهتمام التلاميذ بالعمل المدرسى.
- زيادة ابتكار التلاميذ.
- زيادة كفاءة التلاميذ فى التحصيل (٣:٢٠٠).
(٨) كما تبين أهمية القيم فى علاقتها بالاسلوب الذى يتبعه المعلم مع التلاميذ أو الطلاب فى عملية التدريس (٣:٢٠١). فنسق القيم الذى يتبناه المعلم ـ باعتباره مصدرا Source فى عملية التخاطب مع التلاميذ ـ يؤثر فى مستوى أدائه ودرجة تفاعله معهم. لذلك يوصى بضرورة توافر عدد من القيم الاساسية فى المعلم ومنها ما يأتى:
١- التعليم كوسيلة لتحقيق الذات (اشباع حاجاته المرتبطة تبقدير الذات).
٢- تقدير التخصص الأكاديمى الذى ينتمى إليه.
٣- اتباع الأسلوب الديمقراطى فى إدارة العملية التعليمية.
٤- التخطيط لأهداف العمل وتنظيم اساليب تنفيذها.
٥- تقدير قيمة الوقت واستثماره بشكل جيد.
٦- تقدير العمل كقيمة غائية.
٧- الصدق والاخلاص فى الأداء.
٨- السعى لتحصيل المعرفة باعتبارها وسيلة للنمو المهنى.
٩- تقبل النقد.
١٠- الايمان بأهمية العمل الجماعى (٢١:١٩٤-٢٢٦).

القيم والسلوك

تعتبر القيم عنصرا رئيسيا فى تشكيل ثقافة أى مجتمع. فالقيم هى المثاليات العليا للأفراد والمجتمع. كما أن القيم تلعب دورا كبيرا فى إدراك الأفراد للأمور حولهم وكذلك تصورهم للعالم المحيط بهم. فهى تعبر عن البيئة أحسن تعبير. كما أن القيم تعتبر مرتكزات أساسية تقوم عليها عملية التفاعل الإجتماعى. فهى تعتبر جانبا هاما من جوانب البنية الفوقية للمجتمع. وبرغم بعض الاختلاف الموجود بين المنظرين فى تعريف القيم، إلا إنهم متفقون على أن القيم تقوم مقام المعايير فى توجيه السلوك لتحقيق عدة أهداف فى حياتنا اليومية. فهى التى تملى علينا كيف نسلك، وماذا نحب، وما الاتجاهات التى يجب أن نحملها. وهى أيضا معايير نستعملها لتبرير سلوكنا واتجاهاتنا، واصدار الأحكام الاخلاقية،

وكذا مقارنة أنفسنا بالاخرين، وإذا نظرنا لجوهر القيم، فنجد أنها تتضمن عنصر الانتقاء والتفضيل مما يجعلها تحتلف من مجتمع لاخر، بل تختلف عند الشخص الواحد تبعا لرغباته واحتياجاته وتنشئته، وبذلك يتكون ترتيب هرمى للقيم مما يترتب على ذلك أن تتشكل بعض القيم من خلال القيمة العليا للمجتمع ومن خلال النسق القيمى للفرد والمجتمع.

وتجدر الاشارة إلى أن التنظيمات كالأفراد تختلف فى ترتيبها للقيم، فمثلا نجد أن المؤسسة الدينية (المسجد ــ الكنيسة) تعطى أهمية أكبر للقيم الدينية والأخلاقية فى حين نجد أن المؤسسة العسكرية تعطى أهمية أكبر لقيم الجدارة، والانضباط والصرامة والشجاعة بينما نجد المؤسسة العلمية تعطى الأولوية للقيم المعرفية والعلمية وهكذا.

ويقول Bohn & Super (1971) بأن القيم تقوم بدور مهم فى التطور المهنى للفرد، ونتيجة لهذا نجد الباحثين فى علم النفس الاجتماعى وفى السلوك التنظيمى أمثال Rokeach (1973, 1979) & England (1967,1979) وغيرهم يحولون اهتماماتهم لدراسة القيم كوسيلة لفهم السلوك الإنسانى (٣:١٤٦-١٥٠).

وأن تأثير القيم على السلوك يتوقف على قوة الحاجات من جهة وهذا لإرتباط القيم بالحاجات. ومن جهة أخرى يتوقف على الظروف الخارجية وقوتها. فالشخص الذى يعطى أهمية كبيرة للحرية وهو يشعر فى الوقت نفسه أنه محروم منها، فإنه سوف يسلك سلوكا لتحقيق حريته يكون أقوى من نظيره الذى لا يعطى أهمية كبيرة لقيمة الحرية. وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على المجتمعات، فهناك شعوب حاربت الاستعمار حربا شرسة من أجل إنتزاع حريتها وشعوب أخرى بقيت تنتظر حتى جاءتها الحرية والاستقلال بفعل الضغوط الدولية والانفراج الدولى، وما الفرق بين الاثنين إلا أن الأولى تعطى أهمية أكبر للحرية من الثانية (٣:١٧٣).

القيم والايديولوجية

يمكن إذا ما تبينا وجهة نظر آدم شاف (٤:٢١) أن نقسم التعريفات التى أعطيت للايديولوجية ــ بوجه عام ــ إلى ثلاث فئات.

التعريفات التكوينية والتعريفات البنيوية، والتعريفات الوظيفية:

- والتعريف التكوينى للأيديولوجية ينطلق من الظروف التى أنبتتها أو صاحبت نشأتها.
- أما التعريف البنيوى للأيديولوجية فهو ينطلق من السمات التى تميز من وجهة النظر المنطقية ــ الاحكام والقضايا التى تميز الايديولوجية عن غيرها من الأيديولوجيات من ناحية، أو من غيرها من الأبنية الفكرية الأخرى كالنظريات العلمية من ناحية أخرى.
- وأخيرا فالتعريف الوظيفى للأيديولوجية يركز على ويشير إلى الوظائف التى تقوم بها الأيديولوجية فى مواجهة المجتمع والجماعات الإجتماعية والأفراد.

ويميل أدم شاف إلى تبنى التعريف الوظيفى للأيديولوجية، وذلك لأنه يرى أنه أكثر تعريفات الايديولوجية وصفية وحيادا وفى هذا الضوء يقترح أدم شاف فى التعريف التالى:

"الايديولوجية هى نسق من الأفكار يقوم ـ فى إرتكازه على نسق محدد من القيـــم ـ بتحديد اتجاهات الناس وسلوكهم إزاء الأغراض المتبناه المتعلقـــة بتطـــور المجتمـــع، أو الجماعات الإجتماعية أو الأفراد".

إلا أن "السيد ياسين" يرى أنه لا يمكن أن نفهم الوظائف التى تقوم بها الايديولوجيـــة بالنسبة للايديولوجيات المختلفة بغير أن تحدد أصولها وبناءها الداخلى (٢٢:١٥-١٦).

وتمثل الايديولوجيات نسق منسجم من القيم والمعتقدات التى اتحدت من حيث الـــهدف وغالبا ما تنحو هذه القيم والمعتقدات نحو المثالية. ويحرك هذا النسق سائر أفراد المجتمع نحو تحقيق مجموعة القيم والمعتقدات التى يتبناها وذلك بشكل إرادى أو لا إرادى فى ضوء خضوع هؤلاء الأفراد لمعايير المجتمع.

ويتوقف نجاح ايديولوجية ما على مدى وضوح قيمها ومعتقداتها فى أذهـــان أفـــراد المجتمع، وعلى الطريقة التى يحقق المجتمع عن طريقها أهدافه الكبرى ومدى اقتناع هؤلاء الأفراد بكل من هذه القيم والمعتقدات وتلك الأهداف وبالطريقة التى تحققها.

وتختلف القيم من مجتمع لآخر ومن فرد لآخر وفقا للاهتمامات الشائعة والايديولوجيـا وأساليب الحياة التى يعتمدها الناس أكثر فى حياتهم، فالقيم فى صدر الإسلام تختلف عـــن القيم اليوم، والقيم إبان فترة الانفتاح الاستهلاكى تختلف كثيرا عما هو الحـــال فـــى فـــترة الانفتاح الانتاجى حيث أفرزت الأولى أنماطا فهلوية طفيلية إنتهازية قائمة على السمســـرة ومقولات "الى تكسبه إلعبه" "واحنا اللى دهنا الهوا دوكو" و "الخرمنـــة التعريفـــة". وفيمـــا يختص بالتخصصات النوعية حيث تتدخل القيم التى يصفها المتذوق فى مرتبة أعلى ممـــا عداها فى عملية التذوق والتقييم، فإذا كانت القيم العليا التى ينظر من خلالها إلـــى العمـــل الفنى هى القيم الفنية فإنه سيركز أكثر على خصائص الشكل، أما إذا كانت القيم العليا التـــى ينظر من خلالها إلى العمل هى القيم الأخلاقية، فإنه سيركز أكثر على طبيعة المضمون. وإذا كانت هى القيم السياسية فإنه قد يركز أيضا على نوع معين من المضمون. ومن هنا تفاوتت أنماط الذوق، وأشكال النقد للأعمال الفنية أيضا، وظهرت اتجاهات مثل "الفن للفن" أو "النقد الجديد" أو "الواقعية الاشتراكية" أو "البنيوية" أو "ما بعد الحداثة" أو غير ذلك من الاتجاهات والايديولوجيات (٢٣:٥١).

توضيح القيم والنظام التعليمى

القيم موازين أو قواعد تهتم بما هو جيد أو مرغوب فيه ضمن إطار اجتماعى ثقـــافى معين. ويعول عليها للحكم على أعمال مضت أو عندما يراد اتخاذ قرارات حول ما ينبغـــى فعله أو عدم فعله. وهذا يعنى أن القيم تشكل قاعدة أساسية لأهداف المســـتقبل ومقـــاصده وهى تتضمن الأعمال الفردية والتدابير والعمليات الاجتماعية.

والقيم ماثلة فى ذاكرة الناس وهى لا توجد فى ذاتها، بل تنعكس فى أحكام قيمية معينة أو مطالب فردية. وعندما يحكم أحد على جودة فكرة أو فرد أو شئ أو فعل أو سياســـة أو

سلوك ويصفه بالصواب ويؤكد ضرورة دعمه أو تحصيله، فهو يكشف عن موازينه النقدية عبر الحجج والمبررات التى يعطيها أساسا لحكمه.

إن مجموع القيم الأساسية لكل أمة ينعكس فى الأهداف العامة لنظامها التعليمى. إن الأمر يتعلق بهذا التراث الموحد للقيم واستخدامها فى سياقات معينة، فإن المربى يطلع بمسئولية مزدوجة:

١-تعزيز هذه القيم بدعوة طلابه إلى تفحصها بشكل نقدى، الأمر الذى يؤدى إلى حكم وتقدير شخصيته.

٢-البرهان على حيادية تامة أثناء عمل التوضيح والتدقيق فيما يخص القيم الأخرى التى تعتبر أقل أهمية بالنسبة إلى المجتمع.

وعلى المربى ألا ينزعج من التعبير عن وجهات نظر تعارض القيم الأساسية للمجتمع بمقدار إزعاجه من تردد طلابه الخجولين أو اللامبالين حيال المشاركة فى عملية تحليل القيم. وهكذا تكتسب الوسائل التى تستطيع حماية حرية التعبير ومنها النزاهة، ومشاركة جميع أفراد المجموعة أهمية بالغة فى عملية توضيح القيم.

الإنتماء ..كقيمة

الإنتماء مفهوم يتضمن شعور الفرد بكونه جزءا من مجموعة أشمل (الأسرة، قبيلة، ملة، حزب، أمة جنسية، قرية..الخ) ينتمى إليها وكأنه ممثل لها أو متوحدها أو متقمصها ويحس بالإطمئنان والفخر والرضا المتبادلة بينه وبينها، وكأن كل ميزة لها هى ميزته الخاصة (١٢:٢٤). والانتماء هو تعبير عن حب الوطن والشعوب بالارتباط الوطنى نحود. والوطن من حيث الأساس إنما هو قطعة من الأرض تعرف باسم الوطن. لذا تعرف الوطنية والانتماء فى علم النفس بأنها: عاطفة تتكون من جملة انفعالات يدور فلكها حول الوطن من حيث أنه مكان معين.. ومن حيث الجماعة التى تعيش فيه ومن حيث التقاليد التى تجمع بين أفراده ومن ثم نلاحظ ثمة تقاربا بينهما. وإن منبع الوطنية وبذرتها الأولى هى حب المواطن أما منبع القومية وبذرتها الأصيلة فهو حب الأهل.

ويتسع مفهوم الانتماء ليتضمن الانتماء أولا إلى الأسرة ثم إلى المجتمع بكل النواحى.. فالانتماء إلى قيم الدين هو الذى مكن الوطن من قيام الدولة الإسلامية، والإنتماء إلى مصر هو الذى حقق الاعجاز فى نصر أكتوبر المجيد عام ١٩٧٣ بالانتصار على الجيش الذى ادعى أنه لا يقهر كما أن الانتماء إلى الأمة العربية كفيل بتحرير المسجد الأقصى والجولان السورية ومزارع شبعة اللبنانية وتحرير كافة أراضى الضفة وقطاع غزة الفلسطينية من قبضة الصهيونية العنصرية المستعمرة.

يقول الفيلسوف الكبير "ذكى نجيب محمود" رحمه الله عليه "إن انتماء المواطن إلى وطنه فكرة مغروسة فى طبيعة الانسان لا تحتاج فى ظروف الحياة السوية إلى من يزكيها أو يشجع الناس عليها، فهنالك علاقة قوية بين النماء والانتماء فحيثما يشعر الكائن إلى إنسانا أو غير إنسان أن نماءه مكفول فى بيئة معينة إنتمى إليها ورابط على أرضها تحت

سمائها فإذا رأينا إنسانا يأخذه شئ من النفور والقلق حول انتمائه لارضه سألنا بحق عما حدث فى حياته مما دعاه إلى الانحراف عن فطرته، عندئذ يصبح واجبنا معالجة العوامل الشاذة التى باعدت بين المواطن ووطنه فتعود الفطرة إلى طبيعتها وينفض الاشكال(٢٥: ١٤).

أسباب خلخلة الانتماء:

هناك عدة عوامل اجتمعت فى الفترة الزمنية الأخيرة أدت إلى خلخلة روح الانتماء عند الإنسان المصرى هى:

(١) تقسيم المسئولون عن ثورتنا الاجتماعية الشعب إلى خمس فئات ابرزوا منها بشكل واضح الفلاحين والعمال، فأخذ المصرى لأول مرة ينظر إلى نفسه نظرة فئوية قبل أن ينظر إليها نظرة قومية، ومن هنا بدأت عوامل التفكك الوطنى تفعل فعلها.

(٢) إننا لبثنا لفترة من الزمن نعطى زمام التوجيه فى معظم مجالات العمل إلى غير المختصين على ظن منا أن على المختصين أن يعملوا، وأما الإشراف الأعلى فيحتاج إلى صنف آخر من الناس، ومن هنا بترت العلاقة بين العمل والمسئولين، فالعامل غير مسئول والمسئول لا يعمل، وكانت حقيقة الموقف هى أن المسئول لا هو يعمل بحكم جهله لطبيعة العمل، ولا هو مسئول بحكم موقعه الاجتماعى.

(٣) إن ملايين المصريين اضطروا إلى ترك بلادهم للعمل فى الخارج حتى أصبحت ألوف الأسر امهات. مع ابنائهم والعائل غائب، حيث أصبح بمثابة "ممول فقط"، وبرغم ادراكنا لضرورة غياب العائل لكسب رزقه ورزق عائلته إلا أننا ندرك كذلك ما قد نتج من شروخ فى الوحدة الأسرية التى اشتهرت بها الأسرة المصرية.

(٤) إن النبرة السائدة كانت تشير بالاجهل والأفقر والاضعف وتثير الشكوك حول الاعلم والاغنى والأقوى، بما عكس طبائع الامور واشعر الجماهير بأنهم هم نماذج السلوك الأفضل، وأما ابناؤهم الذين تعلموا وأخذوا مناصب التوجيه ومواقع الانتاج الريادى، فقد أصابهم الانحراف (٢٥).

(٥) غلبة القيم المادية فى المجتمع، واهدار قيمة العمل وانعدام الصلة بين العمل والأجر الذى يقابله، وتصرفات بعض قيادات المجتمع، والتمييز بين بعض الفئات، سيادة الفردية والمصلحة الخاصة وقيم النهم الاستهلاكى وسيادة قيم السلبية واللامبالاة وظهور حالة من التخبط القيمى وفقدان المعايير على مسرح الحياة الاجتماعية.

(٦) قصص النجاح التى يقرأها الشباب تزيدهم احباطا حيث تحث الشباب أن يهاجر ويكون قدرا من المال مثل غيرهم ثم يعود ليبدأ مشروعا ويكون ثروة.

(٧) تعودنا أن نرى معاول الهدم والادانة والاتهام والتشكيك تتناول كل الرموز الفكرية والسياسية فى حياتنا بماضيها وحاضرها على السواء. ألم نعلم ابناءنا من جيل الشباب.. أن كل الزعماء لم يكونوا جديرين بهذا الوصف.. ولا مستحقين لشئ كثير ولا قليل من الإكبار والاجلال.. وأنهم كانوا جميعا طغاة ظالمين.. أو لصوص سارقين أو

كذبة مدلسين.. ألم نشكك فى طهارة الكل، ونزاهة الجميع.. وتلوث سمعة الأولين والآخرين أو لم يؤد هذا كله بنا إلى أن نصير مزقا متفرقة يسعى كل منها لحماية نفسه وزيادة دخله، ورعاية مصالحه والتوسع فى هذه الرعاية إلى غير حدود بمعزل عن الأخرين، وعلى حساب هؤلاء الآخرين.

(٨) ألسنا نرى الزملاء.. فى الإدارة الواحدة والشركة الواحدة والمهنة الواحدة يتزاحمون ويتسابقون إلى الفوز بما يستحقون وما لا يستحقون.. غير مقيدين فى سباقهم هذا بقيمة كريمة أو مبدأ يعصم العوج والانحراف مستبيحين لأنفسهم ألوانا من العدوان والكذب والنفاق واهدار حقوق أصحاب الحقوق والاستخفاف ـ الاجرامى أحيانا بمصالح الناس وحقوقهم، ألم تعد قيم الطهارة والنزاهة والنجدة وأداء الواجب ولو غابت عين الرقباء.. أمورا يسخر منها أبناء هذا الجيل.

هناك الأب الذى يبحث عن جواز سفر جديد لوليده.. وإذا كانت المدرسة تلغى حصة التاريخ، وإذا كان المجتمع يقدم نماذج مشوهة للسلوك والحياة، فمن أين سيجئ الانتماء..

سلبية الاداء بالاصوات فى الانتخابات وتقاعس الآباء أمام أبنائهم فى اختيار الأصلح من المرشحين لخدمة الأحياء والوطن بحجة كلهم مثل بعض ـ لن نرى أحدهم بعد نجاحه ودخوله البرلمان ـ نحن جميعا الذين اعددنا لذلك الذى يحدث. إن ما يجرى اليوم إنما يتم باسمنا وبتدعيمنا وباصواتنا الانتخابية الخانبة التى لم توجه التوجيه السليم بوعى منا أو بدون وعى، ولم يكن ممكنا أن يحدث كل ذلك بدوننا.

إنه لم يكن ليحدث إلا إذا أعددنا الناس، وأعددناهم جيدا، بحيث يرون أنفسهم مجرد أشياء تؤثر فى أشياء أخرى.

مقومات الانتماء:

هناك مقومات أساسية تشكل هذا الانتماء (الذى هو حب تلك الأمة والشعور بارتباط وطنى عظيم نحوها).. وهى مقومات تمتد مع سنوات العمر من الطفولة حتى الكهولة.. ونتعلم دروسها الأولى فى لبن أمهاتنا.. وأحاديث أبائنا.. ودروس معلمينا.. والقدوة الحسنة التى نلمسها منذ الصغر من الأم والأب تنطبع فى نفوسنا بالإضافة إلى دور المدرسة فى الدروس التطبيقية حول مفاهيم الانتماء وأيضا دور الاعلام فى ضرورة الحرص على تقديم النماذج الطيبة من البشر الذين يقدمون الخير لمجتمعهم. وهى لذلك سلسلة متصلة الحلقات بين البيت.. والمدرسة.. والمجتمع.. كل حلقة منها تمثل أهميه خاصة فى تشكيل وجداننا وتنوير عقولنا وشعورنا بالانتماء، فالانتماء لا يأتى من فراغ بل هو تربية وتنشئة واكتساب مشاعر وأحاسيس وأن الدافع للانتماء هو الذى يدفع إلى المسايرة والتوافق والتمسك بالعادات والتقاليد التى تربينا عليها، والولاء للأسرة والمدرسة والحى والمجتمع.

والولاء الذى ندعو إليه كأحد مقومات الانتماء ليس ولاءا لفرد أو لحزب. ولا لجماعة. ولكنه ولاء لمصر كلها وللأمة التى تجمعها وحدة المصالح والآمال والمعيشة المشتركة.

- ويتحقق الانتماء من خلال التعليم والثقافة والاعلام ومقوماته الأساسية تتمثل فى العناية باللغة الوطنية وبوصفها وسيلة التواصل الأولى.
- إن تعريف أبنائنا بالثقافة الوطنية من الأمور المهمة جدا حتى يستمد منها تصوراته للعالم وبواعثه إلى السلوك فتظهر سماتها لديهم فى الوعى الفردى وفى الوعى الاجتماعى وأيضا فى الوعى التاريخى وربط ذلك بأنماط الروح الإنسانية. وتتكون الثقافة الوطنية من عناصر فى مقدمتها الدين والتراث الدينى وسير الأبطال وشواهد من التاريخ.
- من مقومات الانتماء ما يسمى **بالانتماء الثقافى**. فالأدب والفن الخليقين بالتقدير هما الأدب والفن اللذان ينبعان من صميم شخصية الشعب أما الأدب والفن المنقولان عن ثقافة غريبة وعن جبله لشعب آخر فإنهما لا يحسبان للشعب الذى يقدمهما. ولذلك يجب أن يكون الأدب والفن صادرين عن أديب أو فنان له جذور راسخة فى المجتمع الذى يعبر عنه ويتحدث أدبيا أو فنيا باسمه.
- من الأهمية بمكان اعادة بناء الثقافة الوطنية أى اعادة بناء لروح الأمة لأنه لا فكر إلا من واقع ولا ثقافة إلا من شعب، حيث أنه لابد من معرفة أبنائنا **معنى القومية** التى مصدرها اللغوى من القوم فإننا نجد أن ثمة ارتباطا بين مفهوم الانتماء ومفهوم الأمة، إذ أن الأمة هى الشعب ذو الهوية الخاصة التى يجمع بين أفراده وروابطه شعورا وروحية جميلة. فالانتماء هو حب تلك الأمة والشعور بارتباط وطنى عظيم نحوها. فمن عرف الانتماء مستحيل أن يحمل بندقية ويهدم ويخرب فى بلاده تحت شعار الحرب ضد حكومة كافرة حسب ما يصور له قياداته.. قيادات الارهاب التى عرفت كيف تخطط وتتحالف حتى مع الشيطان نفسه مستغلين الشباب العاطل أو المحيط كأدوات لتنفيذ أطماعه.

حقيقة هناك سلبيات يشاهدها هؤلاء الشباب فى التليفزيون ويقرأون عنها فى الصحف.

- الاعلان عن فيلات هائلة ــ فرصة لا تتكرر لمن يبحث عن المتعة والهدوء ــ مليون جنيه فقط وادفع ربع مليون جنيه وقسط شهرى ١٠ آلاف جنيه.
- خبر عن صلح بين إحدى الراقصات والمسئولين بالضرائب عن موافقتها على دفع مليون جنيه لاقامة هذا الصلح.. فإذا كان هذا هو ما سوف تجود به لمأمورية الضرائب فكم رأسمالها بالذمة.
- لاعب كرة وضع يده على وسطه أمام مدربه وهو يتحدث معه فتم خصم خمسة عشر ألفا من الجنيهات من راتبه وهذا اللاعب لم يتعدى عمره أكثر من ثمان عشر سنة.

طيب بالذمة الشباب الذى لا يعمل بعد دراسة أربع سنوات شاقة فى الجامعة يشاهد ويقرأ ويسمع عن هذه الاعلانات والاخبار وهو مازال يطلب مصروف له من والديه وهو لا يتعدى الجنيه الواحد فى اليوم، إنه شباب تائه يسهل استهوائه حيث من السهل جدا اختراق عقله وفكره ووجدانه باسم الدين من قبل أمراء الإرهاب يفرشون الأرض له حريرا ينتزعود

منا ثم يعطوه الفتات ويعيدوه لنا حاملا بندقية للهدم والتخريب فى هذه الأرض الطيبة التى عاش على أرضها وشرب من نيلها.. تلك إشارة إلى خلل اصلاحه سهل وممكن.. ويمكن الاغنياء وحدهم. أغنياء هذا العصر لو أخرجوا جزءا قليلا من فائض الفائض.. زكاة عن مالهم.. ما بقى فقير على أرض أم الدنيا المحروسة.

فلم يعد الفرد لا يفكر إلا فى نفسه ولا ينظر خارج دائرة ذاتيته الضيقة كما هو الحال عند بعض أغنياء مصر الذين فى ظل مناخ الحرية والديمقراطية فتح لهم بلدهم كل الأبواب ليأخذوا كل شئ دون أن يقدموا لمصر شيئا ولهؤلاء نذكرهم بما قام به طلعت حرب أحد أغنياء عصره الذى كان أول من دعا إلى تمصير اقتصادنا والوقوف أمام احتكار الاجانب للبنوك بإنشاء بنك وطنى هو بنك مصر وأول شركة للانتاج السينمائى وأول استوديو للتصوير وسعى لإنشاء الكثير من دور العرض فى القاهرة والاسكندرية. إنه أحد أبناء مصر الذين بنوا مصر بأموالهم الخاصة وضربوا المثل فى العطاء والوفاء واسهموا فى إنشاء الجامعات والمستشفيات والحدائق وغيرها من الخدمات العامة وهذا الانتماء. ويعد الفيلم التسجيلى الذى قدمته جامعة القاهرة بمرور تسعين عاما على إنشائها فى الاثنين ٧ ديسمبر ١٩٩٨ بتكريم الأميرة فاطمة إسماعيل وهى إحدى بنات الخديوى إسماعيل والتى أوقفت مساحة من أراضيها الزراعية على الجامعة حتى تجرى ريعها على الجامعة كما تبرعت بجواهرها الثمينة لتوفر للجامعة سيولة مالية عاجلة، وقد شيدت ومنارتها تسطع بنور العلم على مصر والوطن العربى (٢٦:١٥-١٦).

- إن الانتماء هو الذي يجعل الجندى يموت دفاعا عن أرضه ـــو يجعل الكاتب يبدع من أجل شعبه ـــ ويجعل الفلاح ينتج لكى يوفر احتياجات مجتمعة ويجعل الإنسان يبيع كل ما يملك إذا تعرض وطنه لمحنة أو كارثة. ويجعل الرياضى يتفانى لرفع علم بلاده فى البطولات والمسابقات الدولية، ويجعل المواطن يحافظ على البيئة بشكل جاد والمحافظ يبدع فى محافظته فهو شعور بالارتباط وعاطفة تتكون من جملة انفعالات يدور فلكها حول الوطن من حيث إنه مكان معين. فالإنسان المصرى مرتبط بهذه الأرض مهما سافر بعيدا ومهما حصل من مال أو شهرة، وكثيرا ما نسمع ونرى الحب والعشق واللهفة للعودة إلى الأرض ذلك الحب الكبير.. شريطة أن تنزع منها وعنها تلك الأسباب والمسببات التى أدت إلى الهجرة بعيدا عنها ومن هنا يبدأ الانتماء..!!
- حينما نجد أثرا مهانا.. أو تاريخا مزيفا.. أو قصرا مهدما أو رمزا محطما أو أبا يبحث لأبنه عن جواز سفر جديد.. أو مدرسة بجوارها كومة من القمامة أو مقهى لشرب الشيشة.. فيجب أن نقف أمام ذلك كله ولن يكون ذلك بالأغانى الركيكة التى نرددها بمناسبة ومن غير مناسبة.. وإنما يكون بالوعى الكامل بأهمية الانتماء فى تشكيل وجدان الإنسان وعقله وضميره.
- ومن مقومات الانتماء احترام تاريخ الوطن فى مراحله المختلفة والتفكير النقدى فيه للإفادة من تجارب الماضى وليس لتجريح الرموز الكبرى ولاثارة مشاعر الاحباط

والتدين الصحيح بلا انغلاق أو تطرف من مقومات الانتماء على أساس السلوك الحضارى لبناء المستقبل.

- ومن مقومات الانتماء كل أشكال الحفاظ على الآثار المعمارية والفنية والتراث الثقافى المخطوط والمنطوق بوصفها تراث الأمة كلها وعدم التفريط فيها فضلا عن التصرفات المختلفة.
- إن الالتزام بالعمل وبالأمانة والوفاء بالعهد والالتزام بكل الصفات الحميدة مع الناس بحيث يكونون صادقين.. مع أنفسهم ومع من يتعاملون معهم فكلما كان التعامل مع الفرد مبنيا على الصدق والصراحة نشأ الإنسان سويا يتعامل بطريقة سوية مع الناس، وتلك الشخصية المؤمنة بعملها والسوية فى التعامل مع الآخرين تعمل معهم بصراحة فهى شخصية تمارس البيروقراطية فى عملها فمن عرف الانتماء نبذ البيروقراطية والروح اللامبالاية فى عمله.
- من مقومات الانتماء ضرورة المشاركة فى صنع التقدم من خلال مجتمع ينتج لا مجتمع لاهث وراء الاستهلاك. فالانتماء مقولة مرتبطة بالإنسان فى تفاعله المستمر مع الواقع الاجتماعى ورغبته الدائمة فى أن يزرع نفسه فى أرض بلده عن طريق عمل وحياة يرى فيها آماله المستقبلية قابلة للتحقيق.
- أن نكون سباقين أمام أبنائنا فى الإدلاء بأصواتنا فى الانتخابات دون تقاعس منا لاختيار نواب عنا بمجلس الشعب أكفاء مؤمنين بالعمل السياسى، لديهم الرغبة الأكيدة فى حل مشكلات الحى دون البحث عن مصالحهم الخاصة فى استغلال النفوذ لقضاء مصالحهم ومصالح أقاربهم. اعتقد أنه حان الوقت لتتخلى الأغلبية عن السلبية وتنهض لرغبة مصرنا الحبيبة.. تلك دعوة لم يعد منها بد. ولم تعد محتمل التأخير بعد أن اضطربت الخطى بكثيرين وانتشرت ظاهرة الانامالية وتراجعت فى مجتمعنا المصرى قيم الايثار.. والعطاء.. والتعاون على الخير.. والاستعداد للتضحية ولو بالقليل وتربعت بدلا منها على عرش حياتنا الاجتماعية قيم غريبة لم تكن سائدة ولا معروفة، وعلى رأس هذه القيم الطارئة الغريبة قيم الانانية والانحصار على الذات يقول أصحاب: أنا ومن بعدى الطوفان.

إنها منظومة كاملة من مقومات الانتماء تجعل الفرد واعيا بموقعه وبدوره فى إطار مجتمع متحرك نحو تشكيل المستقبل بشكل لائق. الحل فى أيدينا وهو أن تكون المصلحة العامة هدف الجميع، وأن يوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب وأن يطبق مبدأ الثواب والعقاب بعدالة مطلقة لا تفرق بين مواطن وآخر.

كيف ندرب أبنائنا على الانتماء:

- "لا يمكن أن ندرب طفلا على شئ لا نمتلكه".

بمعنى أننا إذا ما شئنا أن ندرب طفلا على أى شئ، فينبغى أولا أن يكون لدينا نحن هذا الشئ الذى نريد أن نكسبه للطفل، وأن يكون واضحا لدينا ما هو الشئ المطلوب الانتماء

إليه ـ الوطن ـ المدرسة ـ الحزب ـ أهل الحي، ولكي ندرب شخصا على الانتماء لابد أن نتذكر دائما تلك القاعدة الذهبية "تعلم القيم لا يتحقق إلا من خلال التعلم الاجتماعي عن طريق التقليد ـ النموذج ـ القدوة". بمعنى أنه لو لم يكن لدينا قدوة ورموز نقدمها للطفل فالكلام لن يؤثر فيه كثيرا، فإذا أردنا أن نعلم الطفل أنه ينبغي أن ينتمي للأسرة فلا ينبغي أن يصدر منا سلوك ضد أسرتنا أمام الطفل.

فمن الضروري توعية ابنائنا برموز وطننا وتدريسهم للأبناء يجعل منهم اشخاصا لديهم انتماء لوطنهم ومن هؤلاء مثلا ـ مصطفى كامل ـ محمد عبده ـ رفاعة الطهطاوى ـ طه حسين ـ وتوفيق الحكيم . ودورنا أمام أبنائنا إعطاء هؤلاء حقهم في التكريم وكذلك اعطائها حقها في الولاء.

- زرع الانتماء في شخصية الابناء يأتي بداية من تحية العلم "رمز الوطن". فتحية العلم في الصباح بالمدرسة. تعلم الطفل معنى الانتماء لوطنه لذلك يجب التشديد عليها في المدارس.
- يجب أن نعلم أبناءنا أن لدينا وطنا جميلا .. وحضارة عريقة وشعب قادرا على أن يكون صاحب دور ورسالة. يجب أن نقف ضد كل المحاولات التي تهدف إلى تشويه هويتنا وتشككنا في قدراتنا. يجب أن نعلم أن تمثال الحرية شئ جميل ورائع ولكن أبا الهول أعرق وأعظم وإن نهر المسيسبي كبير جدا ولكن نيلنا العريق أكبر وأعرق، وأن ناطحات السحاب مبهرة ـ ولكن قصورنا أبهى وأرفع. وأن سفن الفضاء شئ مذهل ولكن اهرامات الجيزة أذهلت العالم كله ومازالت وأن الألوان التي استخدمها القدماء أبهرت كل من شاهدها من فناني تشكيليي العالم لثبات هذه الألوان وجمالها ورونقها.
- إن تجارب النجاح التي يجب أن نركز عليها هي التجارب التي انتجت مشروعا للوطن وليس وصوله إلى الملايين. ونذكر هنا على سبيل المثال تجربة إحدى المزارع في بلبيس والتي قدمت للمنطقة خدمات أبرزها بناء مدرسة نموذجية بكل معاني الكلمة، تهتم بتربية الطفل علميا وفنيا ومعنويا وهي مدرسة نموذجية، فهي تعبير من صاحب المشروع عن انتمائه للبلد.
- إن التربية الدينية هي أساس برامج تربية الطفل في الأسرة والمدرسة وأجهزة الاعلام وكل المؤسسات المؤثرة في وجدانه وتشكل ثقافته وعاداته وتقاليده، ذلك لأن الدين هو المصدر الأساسي للوعي الأخلاقي، فالانتماء إلى قيم الدين هو الذي مكن الوطن من قيام الدولة الإسلامية.
- علينا أن نربي التلاميذ على أنهم يملكون الشارع والمركبات والحديقة والمدرسة لأن هذا كله من مال الشعب الذي هو الآباء والأمهات.

• إن الولاء للبلد يربى فى الأعماق ويغرس فى الصغر غرسا على المدرسة إن تعلم أبنائها أن الأخذ يقابله عطاء ويقابله شكر مقترنا بالإبتسامة والولاء يعنى دمج الذات الفردية فى ذات أوسع منها وأشمل ليصبح الفرد بهذا الدمج جزء من كل أكبر من أسرة أو من جماعة أو من أمة أو من الإنسانية كلها ولكن هذا الدمج إذا صدر عن إيمان واخلاص وجب على الفرد أن يحميه حتى وإذا اقتضى الأمر تضحية بالروح. وإن الولاء الصحيح لا يكون لشخص يقدر ما يكون لقضية معينة أو لفكرة أو لعقيدة دينية أو غير ذلك مما يحيا من أجله الإنسان ويشعر ألا حياة له بغيره والولاء أساسا للأخلاق كله لأنه ما من فعل يؤسس على القواعد الخلقية إلا وهو يتجه نحو غاية أردناها وأخلصنا لها.

الفصل العاشر

القيـــادة

Leadership

خطة الفصل المنهجية

- تعريف القيادة.
- الفرق بين القيادة ـ الإدارة ـ الزعامة ـ الرئاسة.
- بما يتصف السلوك القيادى.
- محددات السلوك القيادى .
- أنماط القيادة.
- فعالية السلوك القيادى.

نظريات القيادة.

- كيفية اكتشاف العناصر القيادية وصقلها فى المؤسسة التعليمية.
- أساليب تنمية القيادة.
- القياس التاريخى للقادة والمبدعون "سايمنتن".
- مفهوم القياس التاريخى.
- مميزات القياس التاريخى.
  - القياس التاريخى والتاريخ النفسى والسيرة الذاتية.
  - القياس التاريخى والاحصائيات التاريخية.
  - القياس التاريخى وفلسفة التاريخ.
- أهداف القياس التاريخى وفلسفة التاريخ.
- مساهمات بعض علماء الإسلام فى موضوع القيادة.
- أراء ابن مسكويه.
- أراء ابن خلدون.
- أراء الفارابى.
- القيادة فى ضوء القرآن الكريم.

تعريف القيادة Leadership

القيادة عبارة عن دور اجتماعى يقوم به الفرد أثناء تفاعله مع اعضاء الجماعة، وهى وليدة الموقف الاجتماعى، فلكل موقف هدف معين وعلى هذا الأساس فيكون لكل موقف ذى هدف معين قائدا معينا، هذا مما يطلق عليه موقفية القيادة فهى بذلك ليست أمـرا مطلقـا، ويتفق كثير من الباحثين على تعريف القيادة بأنها:

"مجموعة السلوكيات التى يمارسها القائد فى الجماعة، والتى تمثل محصلة للتفاعل بين عدة عناصر أساسية فى موقف الممارسة القيادية وتستهدف حث الأفـراد علـى تحقيـق الأهداف المنوطة بالجماعة بأكبر قدر من الفعالية، التى تعنى كفاءة عالية فى أداء الأفـراد، مع توافر درجة كبيرة من الرضى، وقدرا عاليا من تماسك الجماعة".

والواقع أن اهم ما فى هذا التعريف، أنه يؤكد على أن القيادة أو مجموعة السـلوكيات القيادية وهى محصلة التفاعل بين عناصر أساسية فى الموقف تشملها الصيغة التفاعليـة التالية:

السلوك القيادى: دالة (خصائص القائد × خصائص الجماعة × خصائص المهمة التـى تتحقق من خلالها أهداف الجماعة × خصائص الأنساق المحيطة).

ومن الجدير بالذكر أن نجاح أو فشل أى جماعة أو مؤسسة إنما يعتمد إلى حد بعيـد على خصائص القيادة فيها ، ومن ثم فإن الفارق الرئيسى بين المؤسسة الناجحة والفاشـلة إنما يرجع أساسا إلى الاختلاف فى طبيعة القيادة فى كل منهما. وأن القيادة تؤثـر بشـكل جوهرى فى سلوك الاتباع واتجاهاتهم وتوحدهم نحو الجماعة، وينعكس ذلك بالتالى علـى تحقيق أهدافها.

أى أننا بصدد عملية دينامية (تأثير وتأثر) فكما يؤثر القائد على الاتباع (الجماعة) فهو يتأثر بهم فهى التى تساعد على تحديد مدى اقتراب الجماعة من أهدافها، أو بعدها عنـها وفى مواقف القيادة يتحمل الفرد المسئولية كاملة لا عن نفسه فقط وإنما عـن الآخريـن، وعليه أن يعمل على تحقيق أهداف (الجماعة)، وغالبا ما يتعرض لمواقف تحتم عليـه أن يتذرع بالصبر وانكار الذات والمثابرة واعلاء الصالح العام للجماعة.

ولقد حرص علماء النفس على تحليل وتفسير ظاهرة القيادة لتحديد المقومات الرئيسية لهذه الظاهرة والعوامل المساعدة على نموها، فالقيادة ظاهرة هامـة فـى حيـاة الأفـراد والشعوب. وان القيادة التى تعتمد على أسلوب الشعارات وحشو عقول الجماهير بإعتقـادات فى الحرية لا يصاحبها عمل تقوم بنشاط ضار وهدام، ذلك أن القيادة الثورية الحقة هى التى تساعد الجماعة على بدء عملية الحوار الداخلى الذى يؤدى إلى الحريـة الحقـة ويكـون النضال بالتعليم ذى الصبغة الإنسانية والذى تقيم به القيادة الثورية نوعا من الحوار الدائم وأن يكون التعليم فيه مشروعا قوميا وتلك هى القيادة التاريخية. وكم من الـدول تقدمـت وإنتصرت وتغلبت على مشكلاتها بفضل قيادتها الواعية، لذا اهتم علماء النفـس بدراسـة

ظاهرة القيادة دراسة موضوعية وذهبوا فى تفسيراتهم ونظرياتهم مذاهب شتى يمكن أن نجملها فيما يلى:

أ. ركز بعض علماء النفس على شخصية القائد وما يتمتع به من قدرات وسمات متميزة مثل الذكاء والحضور والايجابية والثقة بالنفس والاتزان الانفعالى وروح المجاملة والمشاركة الوجدانية فمن يتسع بهذه الصفات يستطيع أن يؤلف القلوب حوله ويقود الجماعة إلى الأمام فالقائد فى نظر هؤلاء ما هو إلا شخصية فذة تتمتع بصفات التفوق والنبوغ.

ب. نظر بعض علماء النفس إلى ظاهرة القيادة من زاوية اخرى تتمثل فى أن هذه الظاهرة لا تظهر إلا فى موقف يساعد على نشأتها وبروزها فإذا شب حريق فى القرية مثلا هب الأهالى لاطفائه ولكن يظهر من بينهم شخص ما ينظم ويوجه ويضحى وينسق أعمال الآخرين ويظل متحملا المسئولية حتى تنطفئ النيران – فالموقف إذن هو الذى أبرز هذا القائد. ولكل موقف قائد مؤهل لقيادة الجماعة نحو حل مشكلاتها، فالقيادة عند هؤلاء موقف يتيح للقائد تحقيق ذاته فى توجيه سلوك الجماعة.

ج. ذهب فريق أخر من العلماء إلى أن القيادة ما هى إلا أهداف تتحقق والشخص الأكثر قدرة على تحقيق هذه الأهداف هو المؤهل لقيادة الجماعة.

د. وأخيرا بلور بعض علماء النفس جميع الأفكار السابقة فى تفسير شامل لظاهرة القيادة من حيث أنها ظاهرة اجتماعية تنشأ من خلال تفاعل فرد ما مع مجموعة أفراد آخرين. وهذا الفرد يتحلى بمقومات شخصية وعقلية واجتماعية معينة، يعرف جيدا ماذا تريد الجماعة وما هى الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها، فيعمل على توجيه الأفراد نحو العمل الذى يتناسب وقدراتهم ومهارتهم بحيث تتحرك منظومة الجماعة فى ديناميكية وإيجابية نحو حل المشكلات وتحقيق الأهداف.

وفى ضوء التحليل السابق لمفهوم القيادة نستطيع أن نؤكد أن كل من المعلم الجيد والأعلامى التربوى والأخصائى الاجتماعى هو قائد لجماعة فى المؤسسة التعليمية بل تمتد قيادته إلى البيئة المحلية أيضا:

١-فهو يتمتع بسمات شخصية تؤهله لقيادة جماعة الفصل مثل اهتمامه بمظهره الشخصى وبشاشة وجهه وقدرته على القضاء على حالة الملل التى تنتاب الطلبة وسعة صدره وعدم تهوره مع المتعاملين معه داخل وخارج المدرسة وعطفه على تلاميذه واستخدامه للقيادة النقية الى تتمثل فى (حب كثير له وخوف قليل منه) فهو القدوة والنموذج بالنسبة لهم وقد يكون كبش فداء لهم فى بعض الاحيان.

٢-يحدد الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها تحديدا واضحا سواء داخل الفصل أو أثناء النشاط المدرسى خارج الفصل فهو يهتم باعداده للدروس فى دفتر الاعداد كما يعتنى بسجلاته المدرسية التى تضم الأنشطة التربوية والبطاقات التراكمية التى تحوى بيانات ومعلومات خاصة بتلاميذه.

٣-يخطط البرامج المدرسية تخطيطا دقيقا لتحقيق أهداف محددة ـ فهناك تخطيط للـدرس وتخطيط للمرحلة التعليمية أو الندوة الثقافية أو الزيادة الميدانية.. فهو لا يرتجـل ولا يترك الظروف تتحكم فى تصرفاته واستجاباته.

٤-يحترم شخصية تلاميذه، ويقدر آرائهم ويحترم الفروق الفردية بينهم ويراعى ميولـهم ويشيع جوا من ديمقراطية الحوار. يعطى لهم حرية التعبير اللغوى والحركى ويشـبع ميولهم ويحقق أهدافهم.

٥-وأخيرا فإن قيادة المعلم لجماعة الفصل تمتد إلى البيئة المحلية فهو لا ينزوى داخـل المدرسة مع تلاميذه فقط، بل يخرج إلى البيئة فيلتقى بقيادة المجتمع ـ فى الصحـة ـ الزراعة ـ التعليم ـ التمويل .. الخ، ويدعوهم لزيارة المدرسة.

** وعلى ذلك يمكن تعريف القيادة بأنها:

ظاهرة اجتماعية نفسية تشير إلى تفاعل اجتماعى يحدث بين فرد وجماعة ويتضمن هذا التفاعل تأثيرا معينا يمارسه الفرد على أعضاء الجماعة، كما يتضمن استجابة من الأعضاء للفرد على نحو يمكنه من أن يؤثر فى سلوكهم فى اتجاه هدف معين".

ولكى نوضح بعض جوانب هذا التعريف نشير إلى الملاحظات الآتية:

١-إذا كان القائد يؤثر فى الاتباع فإن القائد يتأثر أيضا بالاتباع، ولكن بدرجة أقل مما يؤثر فيهم. فالتأثير لا يمكن أن يكون فى اتجاه واحد، وإلا لما كانت القيادة عمليـة تفـاعل اجتماعى.

٢-تحدث ظاهرة القيادة فى اطار ثقافة معينة، أى أن القائد والاتباع يتفاعلون معا داخـل محددات ثقافة خاصة، فهناك قيم، معايير اجتماعية، ولكنها لا تلبـث أن تعمـل علـى صياغة اتجاهات وقيم ومعايير جديدة للجماعة.

٣-إذا كانت القيادة تفاعلا اجتماعيا يتم من خلاله تأثير يمارسه القائد على الاتباع لتحقيق هدف معين، وأن المفروض أن الجماعة هى التى تحدد هذا الهدف وعلـى القـائد أن يبلور ويوجه جهود الجماعة لتحقيق هذا الـهدف، وهـو مـا يحـدث فـى القيـادة الديمقراطية.

٤-لابد من التفرقة بين كل من الإدارة والقيادة ـ والزعامة، والقيادة والرئاسة.

** والآن نميز بين مفاهيم الإدارة والزعامة والرئاسة وبين القيادة لإرتباطها بها أحيانـا والأسلوب الديمقراطى وغير الديمقراطى.

أولاً: القيادة والإدارة

الإدارة هى تنسيق وبلورة المناشط والجهود المختلفة فى اتجاه واحد لتحقيق هدف معين. والقيادة بذلك جزء من مهام الإدارة، حيث أن العلاقة بينها هى علاقة العام بالخاص، حيث تعنى الإدارة عملية توجيه الأشخاص (الجوانب الانسانية) والبيئة (الجوانب الفنية والتنظيمية..الخ) بغية تحقيق نتائج أكثر فعالية فى مواقف العمل والانتاج، فى حين تقتصر القيادة على عملية توجيه الاشخاص، بأتباع أساليب معينة لتحقيق أهداف الجماعة.

فالمدير يقوم بأداء عدد من الوظائف، تشمل التخطيط، والتنظيم والاتصال، والسيطرة على الأفراد، ومتابعة أداء المهام، وتوظيف التكنولوجيا، وإدارة رأس المال ..الخ، وهو أميل إلى الرئاسة منها إلى القيادة، حيث أن الإدارة تتبع انماطا معينة منها **المتفانى** فى العمل منطقه (أنه لا سبيل مطلقا للجمع بين إشباع الاحتياجات الشخصية للأفراد، وبين إنجاز العمل على الوجه الأكمل. والثانى **المتعاطف** ومنطقه (وضع مشاعر الناس وأحاسيسهم فى الدرجة الأولى من أهتمامه وهو عكس الأول يفضل التضحية بضرورة إنجاز عمل الجماعة على الوجه الأكمل. هناك نمط ثالث للتصرف وهو النمط **الوسطى** ومنطقه (الاهتمام بالناس بمقدار وبالعمل بالمقدار أيضا ويكفيه أن يكون مستوى انتاجية الجماعة مقبولا. وهناك النمط **اليائس** ومنطقه (الاكتفاء بأقل جهد ممكن للحفاظ على موقعه) وهناك النمط الأخير **النموذجى** الذى يرى أن النجاح مستحيل إلا بتضافر الجهود ومشاركة الجميع فى السلطة، لكن الاختلاف بينهم جميعا أنهم يعينون من قبل جهة أعلى على عكس القيادة التى هى غير مفروضة على الجماعة وتعين من قبل الجماعة.

ثانياً: القيادة والزعامة

تعرف الزعامة أجرائيا بأنها "مجموعة الخصال الزعامية فى شخصية القائد، والتى تمكنه من التأثير البالغ على تابعيه، وعلى تحقيق أهدافه بواسطتهم عن رضى وطيب خاطر من جانبهم وعن اقتناع بأنها أهدافهم الخاصة (١:٦،١٦-١٧).

فالزعامة على عكس الإدارة، فهى هنا شكل من اشكال القيادة، ولكن الفارق هنا هو ذلك القدر البالغ من التأثير الذى يمارسه الزعيم على تابعيه، معتمدا فى ذلك إلى تأثيره الشخصى وقدراته على إقناعهم بأداء ما يطلبه منهم، بصرف النظر عن المبرر لذلك. فالقائد هو ذلك العضو من الجماعة الذى يمارس على أداء هذه الجماعة، وعلى اتخاذها لقراراتها تأثيرا يفوق تأثير الأعضاء الآخرين. والقائد قد يكون مؤهلا فى بعض الميادين وغير مؤهل فى بعضها الآخر. فمثلا قد يكون رجل دولة معين قديرا فى إدارة شئون الحرب، ولكنه غير كفء فى ظروف السلام. وقد يكون قديرا فى إدارة شئون الحرب وعلى درجة عالية من الكفاءة فى ظروف السلام، فهو رجل الحرب والسلام كما هو حالة القيادة التاريخية للزعيم المصرى "حسنى مبارك". أو قد يكون ثم شخص فى مركز القيادة، شجا ومخلص وأمين عند بداية نهوضه بالمسئولية ثم لا يلبث أن يفقد هذه الصفات بسبب افساد المنصب، أو تقدم السن، أو المتاعب الصحية التى تؤدى إلى التدهور.

ثالثاً: الفرق بين القيادة والرئاسة

القيـــــــــادة	الرئاســــــــــة
(١) تفويض من الجماعة	- الرئيس مفروض على الجماعة
(٢) تستمد سلطاتها من الجماعة.	- تستمد سلطاتها من خارج الجماعـة أى من السلطة التى عينتها.
(٣) أهداف الجماعة تحددها الجماعة ذاتها	- النمط الرئاسى هو الذى يختـار هـدف الجماعة ويحدده، ويكون غالبا متفقا مع ميوله واهتماماته.
(٤) اقتناع كل أعضاء الجماعة بـالأهداف الموضوعية والتى تعبر عن اهتماماتهم ومصالحهم المشتركة.	- لا يوجد الاحساس بمشاعر المساهمة أو المشاركة الفعالة فى الاقتناع بـالاهداف الموضوعية.
(٥) مصدر سلطة القائد تتبع تلقائيـا مـن أفراد جماعته.	- مصدر سلطته تنبع مـن قـوة خـارج الجماعة فالجماعة تقبل سيطرته عليـها خوفا من العقاب لا اقتناعا بقيادته.
(٦) يحظى القائد بقبول الجماعة ورضائـها وسلطته مستمدة من رضائهم عنه.	- ليس من الضرورى أن يحظى برضـاء الجماعة أو قبولها لأنه مفروض عليهم من الخارج.
(٧) تتميز الجماعة بدرجـة كبـيرة مـن التفاعل القائم على المشاعر المشتركة	- تتميز الجماعة بدرجة أقل من التفـاعل القائم على المشاعر.
(٨) الأفراد هم أتباع.	- الأفراد هم مرؤوسين.
(٩) العلاقة بين القائد والأتباع غير رسمية غير روتينية.	- العلاقة بيـن الرئيـس والمرؤوسـين رسمية وروتينية.

الفرق بين الأسلوب الديمقراطى والأسلوب غير الديمقراطى فى إدارة الموقف التعليمى:

الأسلوب الديمقراطى	الأسلوب غير الديمقراطى
(١) تعليم متمركز حول التلميذ	- تعليم متمركز حول المعلم
(٢) منح الحرية للتلميذ فى اختيار وتنفيذ المناشط التعليمية مع تحديد دور المعلم.	- يقيد حرية التلميذ ويحدد مهمته فى دور المتلقى أو المستقبل.
(٣) جوهر الأسلوب الديمقراطى هو تحقيق فاعلية التلميذ وايجابيته.	- جوهر الأسلوب غير الديمقراطى هو إلزام التلميذ بالخطة التى يرسمها المعلم لأنه مصدر الخبرة.
(٤) سلوك التلميذ الذى يدل على التذمر أقل.	- سلوك التلميذ الذى يدل على التذمر أكبر.
(٥) سلوك التلميذ الذى يدل على الود أكبر	- سلوك التلميذ الذى يدل على الود اقل.
(٦) التجاذب بين الأفراد والعمل من أجل هدف مشترك والإحساس بالجماعة واضح.	- التجاذب بين الأفراد والعمل من أجل هدف مشترك والإحساس بالجماعة غير واضح.

بم يتصف السلوك القيادى؟

سوف نذكر بعض السلوكيات تكررت فى العديد من الدراسات

١- **المبادأة**: ويقصد بها أن يكون القائد أكثر أعضاء الجماعة إسهاما فى الأفكار التى تسهم فى إنجاز الجماعة لمهامها.
٢- **الدفء**: ويقصد به أن يتفاعل القائد مع نسبة من أعضاء الجماعة فى جو من الألفة.
٣- **التكامل**: ويقصد به ما يصدر من القائد من سلوكيات تهدف إلى تحقيق الألفة والمحبة بين كل عضو من الجماعة وإلى تحقيق انقاص حد ما بين الأعضاء من خلافات.
٤- **التمثيل**: أن يكون القائد ممثلا حقا لجماعته، مدافعا عن حقوقها عاملا من أجلها.
٥- **التنظيم**: أن يكون لدى القائد القدرة على تحديد عمله وعمل أعضاء الجماعة.
٦- **السيطرة**: ويقصد به مقدار ما يمارسه القائد من سيطرة على جماعته خلال عملها وتفاعلها وفى مواقف اتخاذ القرار.
٧- **تبادل المعلومات**: أن يعمل على توصيل المعلومات إلى أعضاء الجماعة، وتسهيله تبادلها بين بعضهم البعض، وأيضا يقصد بها درجة علم القائد بما يتصل الجماعة من أمور.

٨-**الانتاج**: ويقصد به ما يفرضه القائد من مستويات إنتاج وما يبذلـــه مـــن مجـــهودات لتحقيقها ومن تشجيع لباقى أعضاء الجماعة على بـــذل الجـــهد فـــى ســـبيل الغايـــة المشتركة.

وتحذرنا "ميدلبروك ـ ١٩٧٤ ـ Middlebrook" أن ما يصلح فى وقت وفى مكـــان وفى موقف من القيادة قد لا يصلح فى وقت ومكان آخر وموقف آخر. فالتأثير هنا! نســـبى للقيادة The reative effectiveness of leadership styles

محددات السلوك القيادي (٢:١٦٣-١٦٧)

يعد السلوك القيادى محصلة تفاعل خصال القائد والأتباع وخصائص المهمة والنســـق التنظيمى والسياق، الثقافى والاجتماعى المحيط.

خصائص القائد

١- سمات شخصية القائد.
٢- نسق القيم لديه.
٣- مستوى الخبرة الفنية.
٤- مستوى واقعيته للإنجاز.
٥-تصوراته الضمنيه حول الأتباع.
٦-مفهوم القائد من ذاته.

خصائص الأتباع

١-توقعات الأتباع.
٢-مستوى نضج التابع.
٣-سلوك الأتباع مع القائد
٤-الأستعداد لتحمل المسئولية

السلوك القيادى

خصائص النسق التنظيمى

١-البناء التنظيمى.
٢-حجم الجماعة.
٣-دوام الجماعة.
٤-تاريخ القائد من الجماعة

خصائص السياق الثقافى

١- الثقافة المحيطةبالجماعة
٢-الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة
٣-التطور الاجتماعى والتكنولوجى

خصائص المهمة

١-غموض المهمة
٢-قابلية المهمة للتقسيم.
٣- تقديم عائد حول الأداء

ويوضح (طريف شوقى) طبيعة العناصر المتضمنة فى الشكل فيما يلى:

أولاً: خصال القائد تشمل:

(١) سمات شخصية القائد: وهى خصال وجدانية ومزاجية غالبا، تتسم بـالدوام النسبى، تسهم فى تشكيل الاستجابات التى يصدرها الفرد(٣). ومن ثم فإنها تمارس دورا هاما فى تحديد سلوك القائد مع أتباعه، فعلى سبيل المثال، سيميل القائد المرتفع فى سمة العدوانية إلى التعامل بصرامة على عكس حيث يلتزم القائد المنخفض فى هذه السمة أسلوب يتم بالتسامح.

(٢) نسق القيم: القيم بمثابة معايير للأختيار بين البدائل السيكولوجية المتاحة للفرد فى الموقف فالقائد الذى تشغل قيمة المساواة مركزا بارزا فى نسقه القيمى سيتعامل مع أتباعه بطريقة تختلف عن قائد آخر فى نفس العمل لا تشكل تلك القيمة أهمية ذات بال لديه(١٣٨:٤-١٤٠).

(٣) مستوى الخبرة الفنية: تعكس كلا من مستوى المهارة الفنية (التى يحوزها فى مجال العمل الموكل للجماعة) + مستوى القدرات العقلية الإبداعية (التى يحوزها والتى تيسر عليه أكتساب هذه الخبرة تمكنه من توظيفها وتنميتها على نحو فعال) أو تكمن أهميتها فى اعتماد القائد ذا القدر المرتفع فيها فى جعلها المصدر الرئيسى للقوة التى يرتكز إليها فى قيادة أتباعه.

(٤) مستوى دافعيته للإنجاز: يعرف الدافع للإنجاز بأنه (المنافسة من أجل النجاح، والتفوق والرغبة الشديدة فى تجنب الفشل). ومن أبرز سمات الفرد الذى لديه دافع قوى للإنجاز:

(*) قبول المخاطرة المحسوبة، الجدية، قبول التحدى، والمثابرة والمراقبة الذاتية ووضع معايير صارمة للحكم على الأداء الشخصى، وعدم الإكتفاء بالوصول للأهداف التى يعتقدها الآخرون كافية) (٥:٥،١٥،٨٥-٩٦) ويتجسد دور هذا المتغير فى أن القائد الذى لديه قدر مرتفع من الدافعية نحو الإنجاز سيوجه القدر الأكبر من طاقته نحو تحقيق أهداف الجماعة (المنظمة أو المؤسسة الاجتماعية) وسيهتم بأتباعه كمدخل رئيسى لبلوغ تلك الأهداف.

(٥) مفهوم القائد عن ذاته: يشير مفهوم الذات إلى (تلك التصورات والمعارف والمشاعر التى يتبناها الفرد حول ذاته)(٦) فالقائد الذى يبنى تصورد لذاته مفادد أنه عادل (أو يجب أن يكون كذلك). سيعمل جاهدا على أن يكون سلوكه ترجمة عملية لهذا التصور.

(٦) التصورات التى يضمرها القائد على أتباعه: فالقائد الذى يؤمن بوجوب الاشراف المباشر على أتباعه ليتأكد من حسن أدائهم للمهام الموكلة إليهم يتبنى تصورا حول التابع على أنه كسول ولا يعمل على النحو الذى يناسبهم دون اشراف مباشر فانه يبنى تصورد على أن التابع يسعى ويرحب بالمسئولية ويهدف إلى تحقيق ذاته.

ثانيا: خصال الأتباع: وتتضمن تلك الفئة ما يلى من محددات:

(١) توقعات الأتباع: يعدل القادة سلوكهم فى ضوء الضغوط الاجتماعية التى يمارسها عليهم التابعين من خلال تصريحاتهم أو تلميحاتهم، على سبيل المثال:

سيعمل القائد الذى يتوقع أتباعه أن يكون أكثر حسما فى اتخاذ القرارات نظرا للمشكلات التى يعانوا منها من جراء تردد سلفه فى عملية اتخاذ القرارات، على أن يتبنى أسلوب الحزم فى اتخاذها.

(٢) مستوى نضج التابع: كلما كان مستوى نضج التابع منخفضا تطلب ذلك نوع من القيادة يعنى بوصف خطوات العمل والحرص على تزويده بالخبرة الفنية ومتابعته عن قرب أثناء الأداء، لكن هذا الأسلوب لن يكون فعالا حين ينتقل التابع إلى مستوى نضج أعلى لأنه سيحتاج إلى القليل من التدخل فى التفاصيل الفنية والمزيد من الاهتمام الإنسانى به(٧).

(٣) سلوك الأتباع مع القائد: لن يتحدد سلوك القائد فى ضوء ما يفعله أتباعه فحسب، بل من خلال ما يفشلون فى فعله ومدى استعدادهم لتحمل المسئولية وكذلك مدى شعورهم بأهمية المهام المطلوب إنجازها.

ثالثاً: خصائص المهمة: هناك جوانب عديدة للمهمة يشير الباحثون إلى تدخلها فى تشكيل سلوك القائد وهى:

(١) غموض المهمة: حين تكون المهمة واضحة سيقتصر دور القائد على وضع تعليمات مقننة ومراقبة تنفيذها بدقة من خلال ممارسة قدرا أكبر من التوجيه، فى حين أنه إذا اكتنف المهمة بعض الغموض فسيمارس قدرا ضئيلا من التوجيه وبالتالى يتيح للأتباع حيزا أكبر من المشاركة.

(٢) قابلية المهمة للتقسيم: فحين يمكن تقسيم المهمة إلى أجزاء منفصلة، ليقوم بأدائها عدد من الأفراد على نحو يتيسر معه تحديد مسئولية كل منهم بوضوح، فإن سلطة القائد حينئذ يتسع صداها، فالتابع الذى يفشل فى أداء اى خطوة يسهل إكتشافه ومساءلته مضافا إلى ذلك فإن على القائد تنمية الدافع للمناقشة والتفرد، أما حين يتعذر تقسيم المهمة، ويتحتم أداؤها على نحو جماعى بصورة يصعب معها تحديد المسئوليات على نحو دقيق، فمن واجب القائد حيال ذلك تنمية روح الفريق لديهم، وتعميق الشعور بالمسئولية لدى كل فرد منهم تجاه الجماعة بأسرها (٨).

(٣) تقديم عائد حول الأداء: حين يتوافر حصول التابع إلى عائد يتلقاه عن مستوى من خلال المهمة ذاتها، (هل هو أداء، جيد أم ردئ) فهذا من شأنه تقليص دور القائد بالنسبة له، أما إذا لم يحصل على عائد أدائه من خلال المهمة فإنه سيصبح فى حاجة إلى رأى قائده ومن ثم سيتسع دور القائد بالنسبة له.

رابعاً: خصائص النسق التنظيمى: تتضمن أربعة متغيرات رئيسية هى:

(١) البناء التنظيمى: يشكل الإطار الذى يتم من خلاله (تقسيم العمل ـ إتخاذ القرارات ـ التفويض فى السلطات داخل المنظمة) وهو إما أن يكون رأسيا حيث توجد مستويات هرمية متعددة، يمسك بزمام السلطة فى كل منها عدد محدود من الأفراد ويلاحظ أن القائد هنا يمارس قدرا أكبر من التحكم والرقابة على أتباعه. وهو إما يكون أفقيا حيث توجد مستويات قليلة، ويتم توزيع السلطة داخل كل منها على عدد أكبر من الأفراد

ويميل فى ظل هذا البناء الأفقى لأن يفرض كثير من صلاحياته لأتباعه ويتعرف معهم بصورة أكبر ديمقراطية.

(٢) حجم الجماعة: يختلف دور القائد فى الجماعات الكبيرة عنه فى الجماعات الصغيرة. ففى الجماعات الكبيرة يمارس قدرا أكبر من التأثير على قرار الجماعة ويضطر لإتخاذ قرارات حاسمة نظرا لضغط عنصر الوقت والإيحاء للجماعة بوجهة نظره فى مشكلة معينة حتى يستطيع أن يضبط توجيهاتها ويرجع هذا إلى زيادة عدد أفراد الجماعة والذى من شأنه زيادة فى كمية العلاقات والتفاعلات المتبادلة، مما يلقى بأعباء إضافية على القائد لتنسيق أنشطة الجماعة، ويقلل من الوقت المتاح لكل فرد فى التخاطب معه. فى حين أن فى الجماعة الصغيرة يتمكن القائد من إظهار قدر أكبر من الإهتمام بالأفراد ومن ثم تزدهر العلاقات الشخصية الوثيقة بينها ويتيح ذلك فرصا أكبر فى التعبير عن وجهات نظرهم والإدلاء بآرائهم فيما يتصل بشئون الجماعة.

(٣) دوام الجماعة: من المتوقع أن الجماعات التى عمل أفرادها لفترات زمنية أطول ستنمو وسترسخ لديهم عادات وأشكال أوثق من التعاون على النحو الذى يجعلها تواجه ما ينشأ داخلها من مشكلات وما يعترضها من عقبات بصورة أكثر فعالية مقارنة بالجماعات حديثة التشكيل وهنا يستوجب أن ينتهج القائد نهجا مختلفا فى القيادة تبعا لتاريخ تلك الجماعة فى العمل المشترك معا.

(٤) تاريخ القائد مع الجماعة: إن لتاريخ القائد وخبراته فى العمل مع الجماعة تأثيرا جوهريا فى تشكيل سلوكه فقد يكون هذا التأثير إيجابيا يتمثل فى مزيد من التعاطف معهم أو سلبيا، حيث يغرى طول بقاءه فى المنصب بالزهو بنفسه وبالإعجاب برأيه وتبنى أساليب جامدة لمستجدات الأمور والاسترخاء تجاه المشكلات المزمنة.

خامسا: خصائص السياق الثقافى المحيط بالقائد : تتمثل أبرز عناصره تأثيرا على سلوك القائد فى الآتى:

(١) الثقافة المحيطة بالمنظمة: حيث تعرف الثقافة هنا بأنها (ذلك النسق من الرموز، والمعانى، والمعارف، والقيم، والعادات، والتقاليد، والفنون، والنظم المادية، والاقتصادية، والسياسية، والاخلاقية ـ الذى يوجه سلوك الأفراد وتوقعاتهم وأحكامهم القيمية وأسلوب تعامله مع البيئة (٩:٥٦) وتتدخل الثقافة فى التأثير فى سلوك القائد من عدة جوانب، ذلك أنها:

- تتدخل فى تشكيل سلوك الأتباع وعاداتهم.
- تتدخل فى تشكيل سلوك القائد ذاته من خلال تمثله لذلك النسق من القيم الذى تحبذه الثقافة بحكم إنتمائه لها.

(٢) الظروف الاقتصادية الاجتماعية السائدة: يؤدى إرتفاع قيمة العمل فى ظل تدنى مستوى المعيشة ونقص الفرص المتاحة للعمل على أتساع مدى حرية القائد فى اختيار أساليبه القيادية من جهة وإضطرار التابع لتقبل أساليب فى القيادة لا يرضى بها فى ظل ظروف وفرة فرص العمل.

(٣) معدل التطور التكنولوجى والاجتماعى: إن تطور مستوى التكنولوجيا يتطلب من القادة إحداث تغيير مواز فى أساليبهم القيادية فعلى سبيل المثال: من المفترض أن أسلوب الإدارة فى البنوك الحكومية بعد إدخال نظام الحاسبات الآلية أصبح مختلفا عنه فى فترة الاعتماد على الأساليب اليدوية العتيقة كما أن تأكيد الحرية الشخصية للأفراد، جعل القائد اميل إلى استخدام أساليب الإقتناع وتنمية الشعور بالمسئولية فى التعامل مع أتباعه، بدلا من الاعتماد على التسلط.

أنماط القيادة

يكاد يجمع علماء علم النفس الاجتماعى على أن هناك ثلاثة أنماط للقيادة هى: القيادة الديمقراطية والقيادة الدكتاتورية والقيادة الفوضوية. إلا أن كل من "شو وكوستانزو ـ Shaw & Costanzo ـ ١٩٧٠". (١٠) أشارا إلى ان أغلب الأنواع الأخرى من القيادة التى تمت دراستها فى تراث علم النفس الاجتماعى ما هى إلا شكل من أشكال النوعين السابقين الأول والثانى ولكن بأسماء مختلفة وأنهما يمثلان بعدين على متصل واحد، تقف القيادة الديمقراطية فى بداية المحور على البعد الأول، بينما تقف القيادة الأستبدادية عند نهاية المحور على البعد الثانى وبين البعدين الديمقراطى أو الإستبدادى كما هو موضح بالرسم ويتفق معهما فى ذلك غريب عبد الفتاح غريب (١٢٤:١١).

البعد الأول ←——————→ البعد الثانى
القيادة الديمقراطية   القيادة الاستبدادية

❖ والمؤلف لا يتفق مع وجهة النظر السابقة لأن القيادة الفوضوية لا يمكن أن تكون على متصل بين القيادتين (الديمقراطية والإستبدادية) لأنها نمط له تصرفات سلوكية تبعده عن هذا المتصل بالضبط كما هو التصنيف المتبع فى العمل سواء أكان ذلك فى مؤسسة تعليمية أو مؤسسة صناعية أو مؤسسة إعلامية فهناك أنماط خمسة هى (المتفانى فى العمل ـ المتعاطف ـ الوسطى ـ اليائس ـ النموذجى) ولكل منهم خصائص وتصرفات سلوكية تجعلنا لا نستطيع أن نضعهم على متصل واحد. وسوف نلجأ إلى التقسيم الأكثر شيوعا وهو ما أشرنا إليه سابقا.

أولاً: القيادة الديمقراطية:

يسعى القائد فيها جاهدا إلى أن يشعر كل فرد فى الجماعة بأهمية مساهمته الايجابية كما أنه يتيح لأعضاء جماعته حرية حقيقية تفجر طاقاتهم كما أنه يعمل على تحقيق أكبر قدر من الاتصال والتفاعل بين أفراد الجماعة وينشر المسئولية لا يركزها فى جهة محددة ضيقة وهو يحرص على إزالة الخلافات والصراعات بين الجماعات، هذا ويسعى إلى إشباع حاجاتهم وأن توضع السياسة والخطط وتوزيع الأدوار والمسئوليات بناءا على مناقشة وقرار جماعى. والسلوك الاجتماعى يتصف بالتفاعل والتعاون والتماسك.

ثانيا: القيادة الديكتاتورية:

يتسم بالتسلط والسيطرة على الآخرين، نجاحه فى هذا يعتمد على ما لدى الأعضاء من حاجة إلى الإعتماد وعدم تحمل المسئولية. تقوم القيادة التسلطية على خوف الأتباع مما يهددهم به القائد من عقاب أو أذى مادى أو معنوى وهو لا يكتف بالتخوف والإرهاب بل هو

يعتمد على إشباع بعض الحاجات النفسية يخلقها وينشئها لهم كالأمن والطمأنينة وتوقع الأخطار وإيثار السلامة وكذلك يستغل ما لديهم من حاجات أولية كالحاجة إلى الإتكال وعدم تحمل المسئولية والاعتمادية ـ كما أن القائد المستبد لا يرضي إذا كان هو في بؤرة إنتباه الجماعة ووعيها دائما ولكنه يسعى جاهدا إلى تأكيد الطاعة لشخصه بصفة خاصة وتظل دائما محور إنتباه الجماعة بأوامره المخالفة والمعارضة لرغباتهم ولا يقبل أن يتخطاه أحدا. ويراه الأتباع قاس ومفترى وظالم والسلوك الاجتماعي يتصف بعدم التفاعل وعدم التعاون.

ثالثا: القيادة الفوضوية:

فهو الذى يترك لجماعته الحبل على الغارب، يفعلون ما يشاءون ويتخذون دونما الرجوع إليه أو الإهتمام برأيه، وما هو إلا رمزا أجوف لا قيمة له. ويراه الأتباع مراوغ ليس له رأى محدد ووجوده مثل عدم وجوده وفى هذا الجو تتفكك الجماعة وتنقسم على نفسها وتفقد قدرتها على تحديد أهدافها.

ولقد قامت دراسات كثيرة برصد أبعاد كل نمط من أنماط القيادة الثلاث والتعرف على ما لكل منها من مميزات وعيوب، وأشهر هذه الدراسات ما قام بها كل من (ليبيت وهوايت ـ ١٩٤٣) وتبين منها.

أساليب الإتصال لأنماط القيادة

القيادة الديمقراطية

القيادة الدكتاتورية

القيادة الفوضوية

إن الناس يتفاوتون فيما بينهم من حيث استجاباتهم للقيادة المختلفة، وإن الجماعة يقل رضاها بالقيادات الاستبدادية إذا كانت قد عرفت القيادة الديمقراطية من قبل وأن أصحاب الشخصيات التسلطية يفضلون القيادة الموجهة التسلطية عن القيادة الديمقراطية كذلك تتميز القيادة الديمقراطية بأنها تستنهض همم أفراد الجماعة إلى المشاركة فى تحقيق الأهداف المشتركة وتنفيذ السياسة العامة التى يكون جميع الأفراد على وعى وإلمام بها.

ويتفق المؤلف مع (مليكه ـ ١٩٦٣) فى أن الحكم على صلاحية أسلوب قيادى فيما يتصل بكفاءة الجماعة يتوقف على عدة عوامل مثل:

الأهداف التى تسعى الجماعة إلى تحقيقها، قيم الجماعة، وبناء الجماعة وتكوينها، العمل أو المهام التى على الجماعة القيام بها والخصائص النفسية لأكثر أعضائها نشاطا والخصائص الشخصية لأعضاء الجماعة.

	النمط الدكتاتوري	النمط الديمقراطي	النمط الفوضوي
أساليب الاتصال لأنماط القيادة الثلاث	(١) يقرر القائد وحده سياسة العمل.	تتقرر السياسة عن طريق تبادل رأى الجماعة.	الحرية التامة للجماعة فيما يختص بسياستها بأقل مشاركة ممكنة من جانب القائد.
	(٢) يعين القائد الأعمال وزملاء العمل.	تقوم الجماعة بتعيين الأعمال ويختار الأعضاء زملائهم فى العمل.	لا يسهم القائد بأى شكل فى تعيين الأعمال.
	(٣) يوجه القائد مدحه ونقده من وجهة نظر شخصية أكثر منها موضوعية.	توجيه القائد للوم والنقد على أساس موضوعى لا شخصى.	ليس هناك اى محاولة لتقدير نشاط الجماعة أو تنظيمها.
	(٤) لا يكون لدى الجماعة أى معرفة بالخطة كلها	مناقشة الخطة الشاملة والخطوط للوصول إلى أهداف الجماعة.	لا يؤدى أى دور فى نشاط الجماعة بخلاف توفير المواد والإمداد بالمعلومات حين يطلب منه ذلك.

نمط المعلمين فى قيادة الفصل وتأثيره على التلاميذ

يمكن تصنيف نمط المعلمين فى قيادة الفصل الدراسى وتأثيره على التلاميذ إلى أربعة أنماط (١٢:٦٧-٧٠).

(١) المعلم المتساهل — The take it easy teacher
(٢) المعلم التسلطى — The authoritarian teacher
(٣) المعلم الاوتوقراطى — The autocratic teacher
(٤) المعلم الديمقراطى — The democratic teacher

(١) المعلم المتساهل: The take it easy teacher

هذا النمط من المعلمين، كسول وليس له أهداف ولا عنده معايير لقيادة تلاميذه ولا يحسن التعامل معهم ومن الصعوبة أن يتخذ قرارات. يعتقد ترك التلاميذ بمفردهم لا يتدخل في النشاط ويتركهم بمفردهم يتصرفون كيف يشاءون لا يقدم لهم النصح أو الارشاد. ولذلك يتصرف التلاميذ دون احترام المعلم ودون الرجوع إليه أو القانون أو المعايير. ولقد أشار "بيلو Bello" إلى مجموعة من التأثيرات السلبية التى تنعكس على التلاميذ كنتيجة لهذا النمط من المعلمين وهذه التأثيرات كالآتى:

- ١ – يميل التلاميذ إلى العدوان وتزداد سلطة التلاميذ الأقوياء على الضعفاء منا وبالتالى يزداد الاخرون كرها وحقدا للمدرسة.
- ٢ – يشعر التلاميذ بعدم الأمن فى حجرة الدراسة نتيجة لعدم وجود قانون أو نظام فى حجرة الدراسة.
- ٣ – من الصعوبة أن يعمل التلاميذ فى شكل فريق حيث يفعل كل تلميذ ما يحوله نتيجة الحرية غير المقيدة.
- ٤ – هروب التلاميذ من تحمل المسئولية.
- ٥ – انخفاض الوازع الخلقى لدى التلاميذ (١٣).

(٢) المعلم التسلطى: The authoritarian teacher

هذا النمط حازم وقاس فى تعليماته لتلاميذه ولديه قوانين وتعليمات يحب أن تنفذ من قبل جميع تلاميذ الفصل، وأساليبه العقابية عديدة، ونادرا ما يمدح تلاميذه لأنه يرى فى المدح تدليلا يساعدهم على الكسل والتهاون. ولا يثق فى اعطاء الفرصة لتلاميذه فى اتخاذ القرارات بمفردهم. مما يؤدى إلى سلبية التلاميذ. ويميل المعلم المتسلط إلى استخدام العقاب الجسدى لاعتقاده أنه ضرورى لادارته للفصل مما يؤدى بالتلاميذ إلى ما يسمى بالانصياع الكريه Aversive control الذى يعتبر مفيد وفى نفس الوقت غير مرغوب فيه.

ويكون تأثير نمط هذا المعلم على تلاميذه كالآتى:

- ١ – طاعة التلاميذ التامة لسلطة المعلم مع إخفاء شعور الكراهية نحوه.
- ٢ – اختفاء التعاون بين التلاميذ.
- ٣ – قلة روح المبادرة والإبداع الناتجة عن اعتمادهم الكامل على المعلم.
- ٤ – يشعر التلاميذ النشيطون بعدم الراحة والبهجة أكثر من التلاميذ السلبيون.
- ٥ – ينمو التلاميذ وينقصهم القدرة على الضبط الذاتى والتعاون والتعاطف والمحبة مما ينعكس على سلوكهم فى الحياة المجتمعية.
- ٦ – يتميز المناخ السائد للتابعين (التلاميذ) بالكبت والقلق المستمر.

(٣) المعلم المستبد: The autocratic teacher

يرى وجوب تنفيذ التلاميذ لأوامره لأن ما يراه هو الأفضل من وجهة نظره، لذا يجب طاعته والسير على نهجه فى اعمالهم وتصرفاتهم السلوكية داخل حجرة الدراسة مراعاة أى رأى أو وجهة نظر تلاميذه.

وتأثير نمط هذا المعلم على تلاميذه كالآتى:

- ١ – كراهية وحقد التلاميذ لمعلمهم.
- ٢ – إتكالية التلاميذ على توجيهاته فى أغلب الوقت.
- ٣ – إختفاء روح المبادرة والإبداعية لدى التلاميذ نتيجة اعتمادهم الزائدة على معلمهم(١٣:٥٤-٥٥).

(٤) المعلم الديمقراطى: The Democratic teacher

المعلم المتعاون الذى يرحب بمشاركة تلاميذه فى التخطيط وإتخاذ القرارات الجماعية لجيمع أفراد الفصل، وهو دائما بين تلاميذه يقدم النصح والمساعدة والارشاد لمن يحتاجها منهم، ويعطيهم الفرصة للتعبير عن آرائهم بالمناقشة ويشجع العمل الجماعى ونقده بموضوعية، وبذلك يتكرر فيه التفاعل بين المعلم وتلاميذه، ويكون التلاميذ فيه مركز التحكم. وتأثير نمط هذا المعلم على تلاميذه كالآتى:

- ١ – اعتماد التلاميذ على أنفسهم فى العمل بحماس فى المهام التى تسند إليهم حتى فى حالة عدم وجود معلمهم.
- ٢ – تسود روح الصداقة والتعاون بين التلاميذ ويتحدثون بحرية عن أعمالهم.
- ٣ – ارتفاع الوازع الخلقى بين التلاميذ.
- ٤ – يظهر التلاميذ جهم كمعلمهم كصديق وليس كرمز للسلطة، وذلك ناتج عن احترامه وتعاطفه معهم.
- ٥ – تحمل التلاميذ للمسئولية وتقدير أعمال الزملاء.
- ٦ – ازدياد النشاط وروح المبادرة والاستقلالية.
- ٧ – قلة مشاكل الانضباط فى الفصل.
- ٨ – ارتفاع المستوى التحصيلى للتلاميذ.

استمتاع التلاميذ بأعمالهم ودروسهم وتكوين اتجاه ايجابى نحو المدرسة.

- ٩ – زيادة الثقة فى النفس وتكوين اتجاه ايجابى نحو الزملاء والمعلمين والمنهج(١٣:٦٢).

- إن القيادة التى يجب أن يباشرها المعلم هى القيادة الديمقراطية.

آثار الأجواء الاجتماعية:

وتمدنا النتائج المستخدمة من تجارب (ليبيت وهوايت ـ ١٩٤٣) عن الأجواء الاجتماعية ما يلى:

لقد أدى الموقف الدكتاتورى إلى نوعين واضحين من الإستجابة (نمط بليد خاضع ونمط عدوانى) وأظهرت المجموعة اعتمادا كبيرا على القائد. أما التجاذب التلقائى بين أفراد الجماعة والعمل معا نحو هدف مشترك والإحساس بالشعور بالـ (نحن) فكان أكثر ما يكون فى الجماعات الديمقراطية على عكس المجموعة الفوضوية والديكتاتورية. كما أن الجو الديمقراطى كان ينطوى على ود أكثر وتذمر أقل. ولقد ظهر العدوان نحو الزملاء من الأعضاء فى الجماعات الدكتاتورية والفوضوية وكانت الجماعة الديمقراطية تقوم بعملها

وتستمر فيه حتى ولو لم يكن القائد حاضرا على عكس النمطين الآخرين. ظهرت الأنانية بين الأفراد فى الجماعة الدكتاتورية على عكس الديمقراطية.

فعالية السلوك القيادى(٢:١٧٥-١٨٢)

تعريف الفعالية:

"يعرف ردين ـ ١٩٧٠ "Redin الفعالية Effectiveness " بأنها المدى الذى ينجز به القائد المهام الموكلة إليه من خلال الجماعة التى يقودها. بتحليل هذا التعريف نجده يركز على الإنتاجية فقط ومن ثم ستكون القيادة الاستبدادية والنمط المتفانى فى عمله دون الاهتمام بحاجات البشر والعلاقات الانسانية نمط فعال وبالتالى نستبعد الآثار السلبية لتلك النمط على الأتباع ولذلك يعطى (طريف شوقى) تعريف شاملا يوسع من مفهوم الفعالية يشمل بالإضافة إلى الإنتاج حاجات الإنسان المبدع لهذا الانتاج. فالفعالية من وجهة نظره هى: (المدى الذى ينجز به القائد المهام الموكلة إليه من خلال الجماعة التى يقودها، مضافا إليه إشباع الحاجات المشروعة لأفرادها فى المدى القريب والبعيد، والحاجات المشروعة للمجتمع المحلى الذى تعمل الجماعة فى إطاره).

ويمكن قياس (فعالية القيادة) من أجل ترتيب القادة بصورة متدرجة، تنازلية "من الأعلى فعالية إلى الأدنى فعالية من خلال نوعين من المحكات الموضوعية ـ الذاتية".

أولاً: المحكات الموضوعية لتقييم الفعالية: أبرز هذه المحكات ما يلى:

(١) كفاءة أداء الجماعة من حيث:

(أ) اعمال إنتاجية: كمية الإنتاج ـ جودته ـ التلفيات ـ الحوادث.

(ب) أعمال خدمية: تقدير المشرفين لمستوى كفاءة التابع ـ معدل الشكاوى المقدمة ضده من التابعين ـ طبيعة علاقاته المهنية مع زملائه ـ المشكلات التى يثيرها رؤساؤه .. الخ.

(٢) التطور والإبتكار: الإبداع (للقائد او من الأتباع) ـ التطوير والتحسينات على النظم الإدارية وأساليب التواصل داخل الجماعة أو مع الهيئات التى يتعامل معها.

(٣) التغيب عن العمل أو الإنقطاع: قد يكون بسبب سوء العلاقات الإنسانية والتى أساسها القائد حين يعجز عن توفير المناخ النفسى والإجتماعى داخل مكان العمل.

ثانياً: المحكات الذاتية لتقييم الفعالية: أبرز هذه المحكات ما يلى:

(١) الرضى عن العمل : ويعنى

"إتجاهات الفرد نحو جوانب عمله المتنوعة" وينقسم الرضى عن العمل إلى نوعين:

(أ) رضى عام عن العمل ككل.

(ب) الرضى عن الجوانب الفرعية للعمل كل على حده وتتضمن:

سياسة المنظمة ـ فرص الترقى ـ أساليب التواصل داخل المؤسسة ـ العلاقات المهنية مع كل من الزملاء والقادة ـ مستوى الرعاية الاجتماعية ـ المناخ النفسى والاجتماعى والعلاقات الانسانية داخل المؤسسة كمنظمة اجتماعية.

(٢) تماسك الجماعة: ويعد معدل التماسك المرتفع مؤثرا ايجابيا لفعالية القيادة والعكس صحيح. مجمل القوى التى تؤثر فى الأعضاء للبقاء فى الجماعة والحفاظ عليها.

ويشمل مفهوم التماسك العناصر التالية:

- نمو شعور قوى لدى أفراد الجماعة بوجود هدف عام يجمع بينـــهم ويعملــون علــى تحقيقه.
- إحساس الفرد بأن الآخرين يؤازرونه، ويعينونه على مواجهة العقبات التى تعــترض سبيله.
- إدراك كل منهم للآخر على أنه يلتزم بمعايير الجماعة فى ممارسته.
- تفضيل الفرد البقاء داخل الجماعة واختيار صداقاته من بين أعضائها.

وهناك فرق بين الصديق (الغير مفروض على الإنسان والذى هو من اختيـــارد) عــن الزميل (الذى هو مفروض عليه).

- تضاؤل حجم ومعدلات حدوث الصراعات داخل الجماعة.

أسباب تدنى فعالية القيادة: هناك خمس فئات عريضة تشمل ما يأتى:

(١) متغيرات مزاجية : ويدخل فيها العناصر التالية:

(١) إنخفاض ثقة القائد فى الأتباع.

(٢) الخوف من نجاح الأتباع على مركزه داخل الجماعة.

(٣) الإفراط فى الثقة بالذات تجعله يهمل أراء الأتباع.

(٤) ضعف المهارات الاجتماعية للقائد مما يفاقم المشكلات.

(٥) عدم تحمل المشقة تجعله يعجز عن إدارة الجماعة أثناء الأزمات.

(٢) متغيرات معرفية: وتشمل العناصر التالية:

(١) الجمود والتصلب فى ممارساته القيادية.

(٢) ضعف القدرة الإستدلالية.

(٣) العجز عن التحليل والاستفادة من سلوك النماذج المحيطة.

(٣) متغيرات دافعية : وتشمل ما يأتى:

(١) ضعف القدرة على التحدى.

(٢) التقاعس عن التماس المعرفة.

(٣) غياب المحاولات المنظمة لتنمية ذاته.

(٤) متغيرات قيمية: وتضم مجموعة العناصر الآتية:

(١) ضعف الوازع الدينى.

(٢) الأنانية والإنتهازية الجماعية.

(٥) متغيرات ثقافية: ويندرج تحتها ما يلى:

(١) ضغوط الجماعة المرجعية.

(أ) إذا استجاب لضغوط جماعته المرجعية المتعارضة مع أهــداف المنظمــة ستصبح قيادته غير فعالة.

(ب) إذا لم يستجيب لضغوطها تعرض لإنتقامها، ويوضــح لنــا ذلــك عمــل الشرطى الذى يعمل فى قريته التى تحبذ الأخذ بالثأر فى قرى الصعيد.

(٢) ضغوط الرؤساء غير المشروعة ورضوخه لها تضر بجماعة العمل المنظمة.

نظريات القيادة

ناقش الملامح الأساسية لنظريات القيادة والنقد الموجه إلى كل منها مشيرا لما تحظى بالقبول؟

النظرية	الملامح الأساسية للنظرية	النقد الموجه إليها
نظرية الرجل العظيم	ترى أن بعض الأفراد في المجتمع يملكون من الصفات الممتازة والقدرات الخارقة للعادة أكثر بكثير من نصيب باقى أفراد المجتمع بما يتيح لهم فرص تبوّ مراكز القيادة فى مجتمعاتهم وهى تجعل عامل التفوق هو العامل الوحيد للظاهرة.	إن التفوق هو أحد عوامل الظاهرة ولكنه ليس العامل الوحيد.
نظرية السمات	هذه النظرية تركز على السمات التى يجب أن يتحلى بها القائد من حيث السمات الجسمية كالطول والوزن والحجم والسمات المعرفية كالقدرات المعرفية والذكاء والسمات الوجدانية من يحث الاتزان الانفعالى والتوافق النفسى التكيف مع المواقف الجديدة.	السمة وحدها لا تصنع قيادة وأن ذكاء القائد لا يجب أن يرتفع كثيرا عن ذكاء الأتباع حتى لا يصبح معوقا.
النظرية الموقفية	ترجع الظاهرة كلية إلى الموقف الذى توجد فيه الجماعة فالموقف هو الذى يحدد القائد وطبيعة الموقف هى التى تجعل لجهد الفرد قيمة ترشيحه لمركز القيادة فمن يحل مشكل الجماعة يصبح قائدا لها، ومن يساعد الجماعة على مواجهة خطرا ما يصبح قائدا لها.. إذن فالموقف هو العامل الحاسم فى نشأة القيادة.	الموقف وحده لا يخلق قيادة كما أن هناك فروق فردية فى إدارك الموقف
النظرية الوظيفية	هذه النظرية لا تركز على شخصية القائد أو الموقف بل على الوظيفة أو الهدف الذى تسعى إليه الجماعة. وفيها قد تتسع القيادة لتشمل كل ذوى الفاعلية وقد تضيق لتنحصر فى شخص واحد وهو القائد وأن أعضاء الجماعة يشغلون نقطا على متصل يبدأ فى أحد أقطابه من القائد الذى يقود كل الوقت وينتهى فى القطب الآخر بالتابع الذى يتبع كل الوقت.	لم توضح أو تفسر الدور المتميز الذى يقوم به القائد. وقد أوضحت البحوث أن توسع قاعدة القيادة يرفع من الروح المعنوية بين أعضاء الجماعة ولكن قد يكون على حساب الإنتاج وأن تركيز وظائف القيادة فى أدوار قليلة يكون على حساب الروح المعنوية والابتكارية بين الأعضاء. فالوظيفة وحدها لا تخلق قيادة.

النظرية التفاعلية	تنظر إلى القيادة على أنـــها خلاصـــة تفاعلات مجموعة العوامل الداخلية فى موقف القيادة، وهى شخصية القـــائد، وحاجات الأتباع ومشـــكلاتهم وبنيـــة الجماعة وخصائصها والموقف الـــذى توجد فيه الجماعة وكذلـــك الوظـــائف التى تعمل على تحقيقها وإدراك كل من القائد والأتباع لنفسه وللأخر وللجماعة وللموقف. كل هذه العوامل تتفاعل معـا وتنتج لنا ظاهرة القيادة.	القيادة فى هذه النظرية عملية تفاعل إجتماعى على القائد فيها أن يتعـرف على امكانيـــات أعضـــاء الجماعـــة. وعليه أن يتيح لكل منـــهم الفرصـــة للعمل على تحقيق أهداف الجماعـــة بإيجابية وفاعلية وبحيث يقاوم الميل من جانب الأعضاء إلى الاعتماد على شخصيته وهى شاملة وتضع القيـــادة فى وضعها الصحيح وتحظى بقبـــول مختلف الباحثين فى ميدان القيادة.

(ب) طرق اكتشاف العناصر القيادية من التلاميذ فى الفصل أو جماعة النشاط:

- طريقة الانتخاب أو الاختيار المباشر (القائد هو من يحصـــل علـــى أكـــثر عـــدد مـــن الاصوات).
- طريقة الاختبار السوسيومترى (القائد من يحصل على أكثر الاختيارات فى المجـــالات المختلفة) وسيتم الاشارة إليه عند الحديث عن قياس العلاقات الاجتماعية.
- طريقة اختيار المعلم (فى الصفوف الأولى حيث يساعدهم المعلم فى اختيار من يفضلون وهو من يحصل على أعلى اختيارات).
- طريقة الاختبارات النفسية التى تقيس سمات القيادة.
- طريقة الملاحظة العلمية المقصودة الدقيقة المعتمدة علـــى التسـجيل فـى المواقـف المتنوعة.
- طريقة المواقف (القائد هو من يحسن عرض وجهة نظره ويستطيع إقنـــاع الآخريـن برأيه وبحل مشاكل الجماعة.

(جـــ) كيف يتسنى لكل من المعلم والاعلامى التربوى والاخصائى الاجتماعى صقل العناصر القيادية؟

- يقوم المعلم بتدريب التلميذ على السلوك الذى يجب عليه إتباعه عندما يكون فى مركز القائد والسلوك الذى يجب عليه إتباعه حينما يكون فى مركز التابع..
- يسهم فى القيادة عن طريق قيامه ببعض الوظائف وتقديمه ما يمكن أن يقدمـــه فـــى سبيل الجماعة. وعلى ذلك فالكل قائد والكل تابع.
- يتعهد المعلم التلميذ المتميز فى القيادة ويتولاه بالتدريب وتنمية قدراته القيادية ببعض الوسائل مثل:

١- تدريب التلميذ على الاحساس بمشكلات الجماعة واحتياجاتها وتوجيه جهد الجماعة لمواجهة هذه المشكلات.

٢- غرس بعض الاتجاهات العقلية الخلقية ليفسر لهم التعامل مع الأفراد مثل تقبل النقد ـ ممارسة النقد الذاتى ـ التواضع ـ إنكار الذات.

٣- تنمية القدرة الإبداعية (المرونة العقلية ـ الأصالة ، الطلاقة، الحساسية للمشكلات).

٤- تنمية المهارات الاجتماعية من خلال تنمية القدرة على:

-التحكم فى تنمية المسافة النفسية بينه وبين تابعيه خلال تفاعلهم معه.

-تقبل وتوجيه النقد.

-الاتصال والتعاطف.

-التعبير عما يختلف فى نفسه من مشاعر.

-حماية حدود دوره. ويتم ذلك من خلال (تمثيل الدور ـ التكرار السلوكى ـ الإقتداء الواقعى).

٥- التدريب على عمليات اتخاذ القرار: من خلال تمثيل الأدوار وقلبها بمعنى قيام القائد بوضع نفسه موضع التابع له.

٦- تنمية مهارات إدارة الوقت.

٧- تنمية مهارات التواصل.

٨- تنمية القدرة على تحمل المشقة: تحمل الضغوط والاحباطات.

التجريب في موضوع القيادة

وجد العالم "بافيلاس ـ ١٩٤٢ ـ Bavelas" من دراساته التجريبية فى مقارنته بين ثلاثة مشرفين (غير مدربين) يؤدون اشرافا لمدة ثلاثة أسابيع على مجموعة (أ)، وثلاثة مشرفين (مدربين) يقومون بالاشراف لمدة ثلاثة أسابيع أيضا على مجموعة (ب) الفوارق التالية:

(١) كان الأداء الإشرافى عند غير المدربين سيئا ورديئا لعدم معرفتهم الدقيقة لواجباتهم ومسئولياتهم بينما الأداء الإشرافى للمدربين كان ذا مستوى عال لوضوح أهدافهم ومعرفتهم لواجباتهم مع أفراد المجموعة (ب).

(٢) إن نوعية العلاقات بين المشرفين غير المدربين واتباعهم كانت علاقات متفككة يسودها التسلط والخوف وإنعدام الثقة، بينما كانت نوعية العلاقات بين المشرفين المدربين وأتباعهم هى علاقات ديمقراطية يسودها التفاهم والثقة والتعاون والإحترام المتبادل بين أفراد مجموعة (ب) ومع مشرفيهم.

(٣) إن الانجاز العلمى عند التقييم فى المجموعة التى كان يقودها مشرفون غير مدربين كان ضئيلا بالمقارنة بالإنجاز المرتفع العالى لدى الجماعة (ب) التى كان يشرف عليها قادة مدربون.

وكشفت هذه الدراسات وغيرها أهمية التدريب وجدواه وفوائده فى رفع الإنتاج وتحسين الأداء وكشف المهارات ومضاعفة الفعالية وتطوير العلاقات.

وقد إقترح العلماء الجمع بين (التوجيه النظرى) أولا ثم (الممارسات العلمية للمهارات) فى تدريب القادة. ومن طرق تدريب القادة (أسلوب مارينو) فى أداء الدور Role Playing

حيث يقوم الفرد بدور القائد فى مواقف متنوعة أشبه ما تكون بمواقف الحيـــاة اليوميـــة، ويؤكد العلماء أن (التدريب) يمر بمراحل متعددة:

(أ) تحديد وتعريف المهارات السلوكية المطلوب تعلمها.

(ب) ممارسة السلوك بطرق وأساليب متعددة.

(ت) نقل ما تعلمه الفرد بالتدريب ليصبح عادة سلوكية يومية كجزء من تصرفات الفرد.

القياس التاريخى للقادة والمبدعين

ينبغى الإشارة إلى أن بحوث القياس التاريخى تقوم على جمع أكبر عدد من الوثـــائق الشخصية وغير الشخصية عن بعض العباقرة والقادة القدامى ـ ثم تقـــوم بتحليـــل هـــذه الوثائق بطريقة تسمح بالقياس الدقيق لجوانب مختلفة من شخصيات هؤلاء العباقرة والقادة وذكائهم وتتخصص بحوث القياس التاريخى فى جمع أكبر عدد من الأمثلة التاريخية علـــى العبقرية. ووصف سماتهم وخصائصهم وصفا موضوعيا دقيقا.

مفهوم القياس التاريخى

يعتقد "سايمنتن" أنه إذا قمنا بإخضاع حياة النوابغ من الأفراد للتحليل العلمـــى، فإننـــا سنتمكن من اكتشاف القوانين العامة للتاريخ والسلوك الاجتماعى. ومن أجل انجـــاز هـــذا العمل، قام "سايمنتن" بتعريف مجال يسمى "القياس التاريخى".

وقد بدأ يشرح الأسلوب:

* اختيار وحدات التحليل، سواء أكانت من الفلاسفة أو الأفراد أو من المعارك الحربية التاريخية، أو كانت لحنا موسيقيا كلاسيكيا.

ثم * تحديد المتغيرات الحاسمة فى التحليل وحسابها.

ثم * القيام بعد ذلك بحساب العلاقات السببية الأكثر احتمالا من خلال تحليلات إحصائيـــة متقدمة.

وقد ركز "سايمنتن" على النتائج الجوهرية دون التفاصيل الفنية أو الاحصائية فمثلا:

– هل يكون السياسيون البارزون من الأطفال الأكبر أم من الأطفال الأوسط أم الأصغـــر داخل الأسرة؟

و – هل يصل العلماء إلى ذروة الابداع قبل الفنانين أو المفكرين الآخرين فى المجـــالات الابداعية الأخرى؟

و – هل يعكس المفكرون الأكثر شهرة أفكار أزمنتهم أم افكار الأزمنة الماضية.

وقد قام "سايمنتن" بمحاولة لاحداث التكامل بين النتائج التى تصل فى بعدها إلى أكـــثر من قرن من الزمان والتى تعود فى مصادرها إلى مجالات علم النفـــس وعلـــم الاجتمـــاع والانثروبولوجيا والفلسفة والموسيقى والعلوم السياسية والتاريخ والعلوم الطبيعية وغيرها. وقام خلال ذلك بالتركيز على الموضوعات الخاصة بالخلفية الأسرية للقادة والمبدعين بيـــن مستوى العباقرة والموضوعات الخاصة بالتأثيرات المنتقلة بين الأجيـــال، والموضوعـــات

الخاصة بالشخصية والانتاجية الابداعية، والكارزما(*)، وروح العصر، والعنف السياسى، وغيرها. ويرى "شاكر عبد الحميد" (١٤:٩-١٠) أن الاستنتاجات التى توصل إليها "سايمنتن" قادرة على استثارة اهتمام أى فرد لديه بعض الفضول أو حب الاستطلاع الخاص بمعرفة كيفية انبثاق العبقرية خاصية يشترك فى امتلاكها المبدعون والقادة وهى محصلة لتفاعل خاص بين القدرات التى تنتمى إلى المستويات العليا من القدرات الخاصة بالذكاء وأيضا المستويات العليا من القدرات الخاصة بالابداع والخيال) وكيفية بروزها ساطعة عبر مسار التاريخ.

والقياس التاريخى **Historiometry** يصطلح وضعه "فردريك وودز **F.A.Woods** فى عام ١٩١١ كى يشير به إلى تلك الفئة من البحوث التى يتم فيها إخضاع حقائق التاريخ للمعالجة الاحصائية، وفقا لبعض أساليب القياس الموضوعية، أو اللاشخصية" ولتجنب الخلط بين هذا الأسلوب، وبين الأسلوب المعروف باسم "الاحصائيات التاريخية"-(**) **Cliometrics**.

(*) **والكارزما Charisma**: القيادة الروحية ولقد استخدم اليونان لفظة كارزما للتدليل على هبة منحتها آلهتهم لشخص معين لديه خصال معجزة وسحرية تختلط بها صفات غيبية وخرافية وادخل العالم (ماكس ويبر ١٩٤٧) فى العلوم الاجتماعية هذا الاصطلاح ــ القائد الروحى أمثال غاندى ويعتمد القائد من هذا النوع على انقياد المؤمنين به سواء كان هنالك حقائق أو شعوذة أو بعض المبادئ الدينية فى دعوته ورسالته. والقيادة الروحية يملكها بعض القادة فتجعلهم قادرين على سحر الجماهير مما يجعلها تنبهر بشخصية القائد وتندفع إلى تقديسه. أو تلك القدرة الخارقة أو قوة الحضور **The power of presence** وتعتمد بشكل جزئى على الخصال الشخصية، كالجاذبية الجنسية (مارلين مونرو ــ هند رستم مثلا) والبناء الخاص بالجسم (الفنان رشدى أباظه) والتأكيد أو الثقة الفائقة بالذات **assertiveness** (الفنانة أم كلثوم ــ الفنان عبد الوهاب ــ الفنانة فاتن حمامه) والكاريزما مشتقة أيضا من المكانة أو الوضع الاجتماعى **Social position** كما هى الحال بالنسبة للقادة السياسيين أو للأسر الملكية. وربما لم يكن "هنرى كيسنجر" من الرجال الجذابين من الناحية الجنسية، لكن الهالة المحيطة بنفوذه وانجازاته الاجتماعية تجعله ذا جاذبية خاصة للنساء. وهكذا فإنه بينما قد تؤدى الكارزمية إلى الشهرة، فإن الشهرة ذاتها قد تكون كافية لإختفاء صيغة الكارزمية على الشخص. وهناك من الأشخاص الذى يتسمون بكونهم باردين ومتسمين بالخشونة على نحو خاص قد يعترف بهم كأشخاص كارزميين أيضا كما هو الحال فى حالة "مارجريت تاتشر" فإن سمة توكيد الذات **self assurance** (التى قد تكون هى الجانب الأكثر مركزية فى الكارزمية) حيث يوصل مثل هؤلاء الأفراد الاحساس بالقوة الاجتماعية من خلال ظهورهم بشكل غير مكترث بالانطباع الذى يحدثونه على الاخرين، ولن يكون غريبا إذن أن نجد بعض القادة المتوحشين القمعيين أمثال أدولف هتلر ــ ميلوسوفيتش ــ وصدام حسين ولوران كابيلا نجدهم لا يجدون صعوبة كبيرة فى اجتذاب الاتباع. ولقد استخدم اليونان لفظة كاريزما للتدليل على هبة منحتها آلهتهم لشخص معين لديه خصال معجزة وسحرية تختلط بها صفات غيبية وخرافية. وأدخل العالم "ماكس ويبر ١٩٤٧" فى العلوم الاجتماعية هذا الاصطلاح ــ القائد الروحى (أمثال غاندى ــ الخمينى) ويعتمد القائد من هذا النوع على إنقياد المومنين به سواء كان هنالك حقائق أو شعوذه أو بعض المبادئ الدينية فى دعوته ورسالته. ولقد ميز "فيبر" بين كاريزما الفرد التى تنشأ من صفات طبيعية عنده، وكاريزما المنصب المستمدة من الطبيعة المقدسة للمركز.

(**) **"الاحصائيات التاريخية" Cliometrics** (وهو مصطلح يشير إلى "محاولة فهم التاريخ من خلال بعض الأرقام التى تتزايد أو تتناقص أو تتم المقارنة بينها مثل عدد الجيوش ــ عدد السكان ــ عدد المؤسسات التعليمية..الخ" ودور هذه الارقام فى تغيير مسار التاريخ أو جعله يسير بطريقة معينة")

أشار سايمنتن إلى تعريفه للقياس التاريخي بأنه الأسلوب الخاص باختبار الفروض العامة أو الناموسية Nomothetic (كل ما هو مرتبط أو متعلق بالمجرد أو "القانون" العام) التى تتعلق بالسلوك الانسانى من خلال تطبيق التحليلات الكمية على معطيات مستخلصة من عينات تاريخية.

ولكى يجعل سايمنتن هذا المنهج البحثى مفهوما، قام بمناقشة المصطلحات الأساسية ألا وهى:

"الفروض الناموسية" و "التحليلات الكمية" و "العينات التاريخية".

أولاً: الفروض الناموسية

إن التمييز بين التفسير الناموسى، والتفسير الفردى ــ أمر جوهرى لتعريف القياس التاريخى. فالتفسير الناموسى هو تفسير يركز على الجوانب العامة أو الكلية فى السلوك الإنسانى، ويهمل الجوانب الخاصة المتعلقة بالشخص، والمكان، والزمان، أما التفسير الفردى فيركز على الخاص. فالتفسير العلمى للقيادة والإبداع مثلا يجب ألا يكون متوقفا على الموقع الجغرافى، أو الفترة الانتقالية التاريخية، أو لخصائص النوع، الخاصة بقائد مفرد أو بمبدع مفرد وهذا ما يربط القياس التاريخى بالقياس النفسى، فعالم النفس الذى يريد أن يختبر الفرض القائل إن الذكاء يرتبط بالإبداع مثلا: يقوم أولا بتطبيق أدوات القياس النفسى المناسبة على عينة من الأشخاص "المفحوصين" ثم يحسب بعد ذلك معامل الارتباط بين المتغيرين (الذكاء والابداع) ولا يكون سواء لدى القائم بالقياس النفسى أو القائم بالقياس التاريخى أولى اهتمام باسماء الاشخاص الذين أجرى عليهم هذا البحث.

مميزات القياس التاريخى

الاستخدام الناموسى للبيانات التاريخية يميز القياس التاريخى عن الدراسات الأخرى:

- **الدراسة الوصفية التاريخية** تعمل على الربط بين أمثلة بعينها، بدلا من أن تشغل نفسها بفحص قوانين التاريخ، أو إثباتها، أو حتى ضرب الأمثلة لها.
- كذا يتميز القياس التاريخى **عن التاريخ النفسى والسيرة النفسية** بأنه يستهدف التوصل إلى قوانين لها صفة العمومية. فبدءا من دراسات سيجموند فرويد الخاصة بالسيرة النفسية لكل من ليوناردو دافنشى ودستويفسكى وحتى تحليلات أريك أريكسون التاريخية النفسية والتاريخ النفسى حول المهاتما غاندى ومارتن لوثر، فقد قام فرويد بالتركيز على الجوانب الخصوصية المتعلقة بحياة ليوناردو وعمله وكانت فروض فرويد فردية فى جوهرها، ذلك أن الكشف عن أن حب الاستطلاع أو الفضول إليهم لدى ليوناردو قد نشأ عن عقدة أوديبية لم يتم حلها بشكل كاف، يبصرنا بشخصية هذا العبقرى المبدع، لكنه لا يقودنا إلى اكتشاف القوانين العامة للابداع الإنسانى.
- مع أن **علم الاحصاءات التاريخية**، شأنه شأن علم القياس التاريخى، علم يقوم على الدراسة الكمية، فإنه ليس أكثر ناموسية فى طريقة "الوصف التاريخى" أو طريقة "التاريخ النفسى" أو "السيرة النفسية" أى أن هذه الطرائق، بشكل أو آخر، طرائق تركز على القوانين والحالات الفردية أكثر من تركيزها على القوانين والمبادئ الناموسية. ولو تركنا الاحصاءات الكمية جانبا، فإن الفروق ما بين طريقة الاحصاءات التاريخية

وطريقة التاريخ النفسي، هي أن الذين يستخدمون طريقة الاحصاءات التاريخية ينصب اهتمامهم على تفسير الأحداث الهامة أكثر من اهتمامهم بتفسير طبائع الشخصيات الهامة.

- كذلك يتميز القياس التاريخي عن فلسفة التاريخ في أن فلسفة التاريخ فلسفة ناموسية في مقصدها، لكنها تميل إلى المعالجات الفردية عند التنفيذ. أما القياس التاريخي فهو فقط من بين كل هذه الأساليب لدراسة التاريخ، هو الناموس في المقصد والنتائج في آن معا.
- وأخيرا فعلى الرغم من أن القياس التاريخي يجب أن يقيم في ضوء إنجازاته الناموسية، فإنه قد يساهم كذلك في فهمنا للحالات الفردية (فهم متعمق لحياة عبقري مثل اينشتاين).

ثانيا: التحليلات الكمية

يعتبر التقابل ما بين التحليل الكمي والتحليل الكيفي ذا أهمية أساسية لفصل القياس التاريخي عن عدد من الفروع العلمية الأخرى المرتبطة به، فالتاريخ التقليدي كيفي حتى النخاع والتحليل الكيفي صفة مميزة لأعمال فلاسفة التاريخ الكبار امثال هيجل وتوينبي. يقدر ما هو صفة مميزة لأعمال المحللين النفسيين، فدراسة فرويد التحليلية عن ليوناردو لا تشتمل على أي بيانات كمية في أي نوع.

وليس هناك من بين مناهج البحث المتعددة التي ذكرتها ما يعتبر ذا طبيعة كمية خالصة، سوى القياسات النفسية والاحصاءات التاريخية فمن أجل اكتشاف العلاقة بين الحرب والإبداع، مثلا قد نستخدم الاحصاءات التاريخية لقياس شدة الحرب ونستخدم القياسات النفسية لتقدير كمية الابداع وقد نقوم بإحصاء عدد المعارك التي خاضها المحاربون، وعدد الروائع التي أبدعها المبدعون كل عام، ثم نحسب بعد ذلك العلاقة الاحصائية بين هذين المتغييرين.

ويتكون التحليل الكمي في دراسات القياس التاريخي من أربع خطوات متميزة هي عادة:

- تحديد عينات الوحدات الخاصة بالتحليل الاحصائي واختيارها.

و – التعريف الاجرائي Operational Definition للمتغيرات الحاسمة أو الهامة التي ستخضع للفحص (أي تحويل المتغيرات الأساسية التي يراد دراستها للغة الرياضية).

و – حساب العلاقات بين هذه المتغيرات.

ثم – استخدام التحليلات الاحصائية الأكثر تقدما لاستخراج العلاقات السببية الأكثر احتمالا في مجموعة البيانات.

❖ تحديد الوحدة واختيار العينات

يستخدم أصحاب منحى القياس التاريخى أحيانا وحدات مأخوذة من مقطع عرضى * Cross sectional units وأحيانا وحدات مأخوذة من سلاسل زمنية Time – Series Units ويعتبر الفرد مثالا جيدا للوحدة المأخوذة من مقطع عرضى وهذه الوحدة هى السائدة فى البحوث التقليدية حول الإبداع والقيادة، ومع ذلك فإن الوحدة المأخوذة من مقطع عرضى ليست هى الكائن الإنسانى الفرد دائما.

أما الفحص الذى يقوم على أساس وحدات السلاسل الزمنية، فيتم تقييم الوقائع التى ستخضع للدراسة فيه على شكل تعاقب زمنى، وقد لا تزيد الوحدة عن سنة واحدة. أو قد تطول فتصل إلى قرن.

وهناك تمييز آخر بين الوحدات الفردية والوحدات المتجمعة، فالوحدات الفردية التى يمكن أن تكون إما وحدات فى مقطع عرضى أو فى سلاسلا زمنية. تتكون من كيانات فردية مثل النواتج الإبداعية أو الأشخاص المبدعين. أما الوحدات المتجمعة فتتكون من جدولة مختصرة للخصائص الفردية بحيث تشكل وحدات تحليلية أكبر تنتمى إما لمقطع عرضى أو لسلسلة زمنية.

(من الأمثلة الجيدة استخدام "سايمنتن" لسلاسل الزمن الجيلية Gernerational Time Series التى قسم التاريخ فيها إلى فترات طويلة كل منها عشرون سنة، يتم فيها تدوين عدد المبدعين البارزين فى كل جيل).

وأية دراسة تستخدم القياس التاريخى قد تدمج المقطع العرضى وسلاسل الزمن، والواحدات الفردية أو المتجمعة فى تصميم منهجى مركب واحد. وهناك دراسة تناولت الفين من الفلاسفة المشهورين واستخدمت فيها تحليلا يجمع ما بين الافراد والأجيال مقارنا بين المعتقدات الفلسفية لمفكرين فرادى مأخوذين من مقطع عرضى، وبين روح العصر الفلسفية السائدة فى سلسلة زمنية جيلية متجمعة. وهذه المقارنة تجعل من الممكن تحديد ما اذا كانت شهرة المفكر معتمدة على اتفاق هذا المفكر مع روح عصره أم لا.

وعندما يتم تحديد وحدة التحليل، فإن الخطوة التالية هى إختيار العينات، أى من وحدات التحليل المستمدة من مقطع عرضى أو من السلاسل الزمنية سيتم فحصها. فإذا كانت الوحدات تمثل مقطعا عرضيا من الشخصيات البارزة، فإن البروز يكون فى العادة هو معيار اختيار العينة.

ثالثا: العينات التاريخية

المبررات المنطقية لتركيز علماء القياس التاريخى على الموضوعات التاريخية أكثر من تركيزهم على الموضوعات المعاصرة.

* **يقصد بوحدات المقطع العرضى**: استخدام مجموعات كبيرة من الأفراد أو الأحداث التاريخية والنظر إليها عند نقطة زمنية بعينها. وتسمى هذه الوحدات أحيانا بالوحدات المتزامنة. وفى مقابل ذلك هناك طريقة السلاسل الزمنية التى يتم فيها تتبع فرد أو مجموعات من الأفراد أو الاحداث عبر فترات زمنية متتابعة، وتسمى هذه الطريقة بالطريقة التتبعية أحيانا (شاكر عبد الحميد ـ المرجع السابق هامش ص ٢٤)

- إن استثمار هؤلاء العلماء للعينات التاريخية، قد يرفع إلى أقصى حد ممكن من قدرتنا على اكتشاف أية قوانين ثابتة تتجاوز الفترة التاريخية خاصة بالإبداع والقيادة.
- إن الفروض الخاصة بطبيعة العبقرية ينبغى اختيارها على عينة تتصف بأقصى حد من التنوع الثقافى والتاريخى، فإذا صمد القانون السلوكى عبر هذا التنوع فإن احتمال صدقه الكلى يصل أعلى حدوده.
- يسهل بالنسبة للأشخاص المشاهير فى الماضى، أكثر مما هو الحال بالنسبة للشخصيات المعاصرة أن نقرر بدقة من يجب أن تعتبره مبدعا أو قائدا حيث أن صمود الشهرة أمام اختبار الزمن مدعاة لقدر أكبر من الثقة.
- ومن الأسباب الأخرى التى تدعو علماء القياس التاريخى لدراسة العينات التاريخية، أن بعض القضايا الناموسية لا يمكن معالجتها دون الرجوع مسافات كبيرة عبر الزمن وفى هذا الجانب يتشابه القياس التاريخى مع علم الفلك.

وإذا كنا نرغب فى دراسة المبدعين والقادة الذين ينتمون للماضى البعيد، فإننا نستطيع حماية موثوقية مقاييسنا من خلال التركيز على مبدعى التاريخ وقادته الأكثر شهرة، أى هؤلاء الذين يتوافر عنهم أكبر قدر ممكن من المعلومات. وحتى عندما يكون الحصول على تقديرات الموثوقية مستحيلا، فإن ثقتنا فى منهجية القياس التاريخى كثيرا ما يمكن تعزيزها من خلال تكرار النتائج التى توصل إليها باحث معين، بواسطة باحثين آخرين، حيث أن فكرة تكرار النتائج هى فكرة أساسية فى العلم، بما فى ذلك علم القياس التاريخى.

أهداف القياس التاريخى

فالقياس التاريخى، وهو العلم المكرس لاكتشاف المبادئ الناموسية العامة، من خلال تطبيق الاساليب الكمية على قطاعات العينات التاريخية، يقصد منه بشكل خاص استخلاص تلك الخصائص المنتظمة من بين ذلك الكم الهائل من الأسماء والتواريخ والاماكن.

- إن الهدف الأساسى للقياس التاريخى هو التعميم الموضوعى واختزال ذلك العدد الكبير المحير من الحقائق التاريخية، إلى مجموعة أصغر من البيانات المجردة الخاصة بالكيفية التى تتمكن من خلالها فئة خاصة من الأفراد فى إعادة تنظيم اتجاه التاريخ الانسانى، كما أن مقاصد القياس التاريخى موجهة بشكل أكثر مباشرة نحو آختبار فروض ناموسية كلية ومتحرك وراء التفسير والتنبؤ والتحكم.
- كما أن أحد الأهداف الرئيسية للقياس التاريخى هو تقديم تقدير كمى موضوعى لروح العصر والعبقرية والصدفة باعتبارها عوامل تفسيرية.

مساهمات بعض علماء الإسلام فى موضوع القيادة

(١) آراء ابن مسكوية

له آراء تتفق مع نظريات القيادة وكيف تكون القيادة الديمقراطية هى أحسن الأنماط القيادية التى يجب أن تؤتى.. فنراه يقول:

يجب أن يكون نسبة القائد " الملك" إلى رعيته نسبة أبوية ونسبة الرعية بعضهم إلى بعض نسبة أخوية حتى تكون السياسات محفوظة على شرائطها الصحية. ذلك أن مراعات

القائد (الملك) لرعيته الأب لأولاده، ومعاملته أياهم تلك المعاملة يجب أن تكون مثل عناية الأب بأولاده، شفقة وتحننا وتعطفا خلافة لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، بل لشوع الشرعية تعالى ذكره فى الرأفة والرحمة، وطلب المصالح لهم ودفع المكارة عنهم وحفظ النظام فيهم.. وبالجملة فى كل ما يجلب الخير ويمنع الشر.

فإنه عند ذلك تحبه رعيته محبة الأولاد للأب الشفيق وتحدث بينهما تلك النسبة، وإنما اختلفت المحبات بالتفاضل الذى يكون معظم المنافع، فيجب أن يكرم الأب كرامة أبوية، ويكرم السلطان، ويكرم الناس بعضهم بعضا كرامة أخوية.

ولكل مرتبة من هذه استئهال خاص بها، واستحقاق واجب لها، فإذا لم يحفظ بالعدالة زاد نقص وعرض الفساد وانتقلت لرياسات وانعكست الأمور فيعرض لرياسة الملك أن تنتقل لرياسة التغلب ويتبع ذلك أن تنتقل محبة الرعية إلى البعض له، ويعرض الرياسات من دونه مثل ذلك، فتصير محبة الأخيار إلى تباغض الأشرار، ونقود الألفة نفارا، والتودد نفاقا. ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له وإن اضرب بغيره، وتبطل الصداقات والخير المشترك بين الناس، ويؤول الأمر إلى الهرج الذى ضد النظام الذى رتبه الله لخلقة ورسمه بالشريعة وأوجبه بالحكمة البالغه.

والمتأمل إلى أراء ابن مكسوية فى القيادة وما تشيعه من أجواء نفسيه، يرى تطابقا بين آرائه ونتائج تجارب كل من ليبيت وهوايت ـ ١٩٤٣ فى أنماط القيادة والعلاقات التى سادت فى الأجواء الثلاثة (الديمقراطي والفوضوى والديكتاتورى).

(٢) آراء بن خلدون

أشار إلى ظاهرة القيادة فى المجتمعات الإنسانية وأسباب وجودها والسمات التى يجب أن يتحلى بها القائد، فيقول:

"على أن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر، ولم يكن لهم وازع يدفع بعضهم عن بعض. لم يتم بقاءهم. وسبب ذلك أن فى طباع البشر ميلا إلى العدوان والظلم. وعلى الفرد دفع هذا العدوان عن نفسه. إنه لا يستطيع دفعه إلا بالسلاح والسلاح موجود لجميع الناس. فلابد من شئ آخر يدفع عدوان الأفراد بعضهم عن بعض، وهو الذى يسميه ابن خلدون "وازعا" وهو الذى بنى عليه نظريته فى نشوء الملك والدولة، والملك عند ابن خلدون، أمر طبيعى للبشر، إذ أن كل اجتماع إنسانى بحاجة إلى وازع أو حاكم يقيم العدل، ويدفع بعض الناس عن بعض والملك الذى يحكم الأفراد، ويجبى الأموال ويبعث البعوث (يحارب العدو) ويحمى الثغور (الحدود التى يخشى منها مجئ العدو برا أو بحرا) ولا تكون فوق يدد قاهرة، ولمصلحة الرعية فى السلطات ليست فى ذاته وجسمه وحس شكله أو ملامح وجهه، أو عظم جنانه، أو اتساع علمه، وإنما مصلحتهم، أن يكون ملكه عليهم صالحا جميلا. فإن الملك إذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات، منقبا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم. شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة، فتخلقوا بها، وفسدت بصائرهم. وربما خذلوه فى مواطن الحروب، وربما اجمعوا على قتله (١٥: ٧٠٠-٧٠١).

هذه أراء ابن خلدون تراها أغفلت السمات الجسمية ولكنها متسقة مع نتائج نظريات القيادة التى أجراها ليبيت وهوايت فى الأجواء النفسية للقيادة.

(٣) آراء الفارابى

يرى الفارابى فى كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة":

إن سمات الشخصية التى ينبغى أن يتصف بها زعيم المجتمع أو من يحتل موقع القيادة فيه وهى إثنتا عشرة سمة على النحو التالى:

١- أن يكون تام الأعضاء سليم الجسم.

٢- أن يكون جيد الفهم والتصور.

٣- أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ويسمعه.

٤- أن يكون جيد الفطنة ذكيا، إذا رأى الشئ بأدنى دليل فطن إليه.

٥- أن يكون حسن العبارة يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره أنانة تامة.

٦- أن يكون محبا للتعليم والاستفادة.

٧- أن يكون معتدلا فى طلبه للملذات.

٨- أن يكون محبا للصدق وأهله مبغضا للكذب وأهله.

٩- أن يكون كبير النفس محبا للكرامة.

١٠- أن يكون بالطبع للعدل وأهله، ومبغضا للجور والظلم وأصلهما، يعطى الوصف الكتابة للداخل أسفل الرقم من أهله ومن غيره ويحث عليه ويؤتى من حل به بحور مؤاتيا لكل ما يراه حسنا وجميلا.

١١- أن يكون عدلا غير صعب القيادة ولا جموحها ولا لجوجا إذا دعى إلى العدل.

١٢- أن يكون قوى العزيمة على الشئ الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل، جسورا عليه مقداما غير خائف ولا ضعيف النفس (١٦: ١٣٦-١٣٧).

(٤) القيادة فى ضوء القرآن الكريم:

يعد القائد الناجح أساسا لدفع مسيرة الانتاج بشرط أن تنبع قوته من إيمانه بالله العزيز الحكيم، الذى وضع الأسس لصالح البشرية وعمارة الأرض. ومن خلال قصة "ذى القرنين" ورحلاته تتضح سمات القائد الجيد فى:

- تحويل القوة البشرية إلى قيادة جماعية.
- تحلى القائد بالرؤية المستقبلية المدروسة والمنطقية المخططة.
- إجادة التخاطب عند القائد وقوة حجته لتوجيه من يقادون.
- القيادة التحويلية التى تتخذ القرار.

وتتمثل صورة القيادة فى ضوء القرآن الكريم من قصة "ذى القرنين" ورحلاته. الذى مكنه الله فى الأرض فقاد شعوبها من مغرب الشمس إلى مطلعها محولا القوة البشرية لانقاذ الروم فى "قيادة جماعية" اتسم حديثه فيها بذكر الله والثناء عليه فبدأ حديثه إلى شعب "دون السدين" بقوله "ما مكنى فيه ربى خير" وعندما انتهى من إقامة الروم بضخامته واعجازه قال: هذا رحمة من ربى" فى ثقة بالآخرين أعينونى بقوة ليحثهم على الفكر والصنع وإجاجة العمل مما أكسبهم ثقة فى أنفسهم.

وتبرز السمة الثانية للقائد الجيد فى ضرورة تحلى القائد بالرؤية المستقبلية المدروسة والمنطقية المخططة. لقد كان الردم ردما ضخما على أعلى تقنية، فكيف استطاع القائد إدارة

اجتماع شعب فى أزمة؟ لقد استمع إلى قومه وهم يعرضون عليه ازمتهم ملتزما بالهدوء والسيطرة على زمام الموقف لاشاعة الطمأنينة فى نفوسهم قائلا: "ما مكنى فيه ربى خير" محترما رأى الآخرين دون توجيه أى نقد قبل الاستماع إلى آرائهم فى أزمتهم لجذب اهتمام الحضور واستئثار عقولهم قائلا : "فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما"

وتتضح صفة إجادة التخاطب عند القائد وقوة حجته لتوجيه من يقادون إلى صناعة حياتهم، وتمثل ذلك من خلال رسالة قوية ومختصرة خلف القيادة التحويلية (تغيير إلى الأفضل كمعايير لتقييم الأداء) التى تتخذ القرار وهى ذات مراحل:

وهى إغارة يأجوج ومأجوج على القوم والافساد فيهم ثم جمع البيانات وقد علم ذو القرنين افساد يأجوج ومأجوج ووضعه لأحسن البدائل لعلاج الموقف وهى إقامة مانع حصين بالموارد المتاحة ورسم خطط التنفيذ بقوة فى "أتونى زبر الحديد" انفخوا " افرغ عليه قطرا" مع أهمية متابعة تنفيذ القرارات فكانت الاتصالات الفعالة بين القائد والتابعين عند إدارة الازمات، فلا وقت يضاع، فاستثمار الوقت وضح فى بدايات ونهايات صنع الودم والتنقيب عن مناجم الحديد، كما طلب ذى القرنين تقسيم فريق العمل بحنكة وذكاء للمعاونة الكاملة، فنرى فريقا يمهد الطرق والمساواة بين الصدفين وفريق لاعداد مواد وخامات الاشتعال وأدوات النفخ، كما طلب القائد ذو القرنين، الذى شرح لكل فريق عمله ولا ننسى أن هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون قولا ومتابعة القائد لكل المراحل.

ولقد نفت نظرنا القرآن الكريم إلى إجادة التخاطب بلغة أهل مغرب الشمس لينشر دعوته إلى الله فتحدث بلغتهم لتحقيق هدفه.

الفصل الحادى عشر

البناء السوسيومترى لجماعة وسلوك الإنسان

خطة البحث المنهجية

- مقدمة.
- الإدراك الإجتماعى.
- تمهيد ـ أساليب دراسة الإدراك الإجتماعى ـ
  عملية الإدراك الاجتماعى وإنتاجية الجماعة ـ
  أهمية الإدراك الإجتماعى فى العملية الإجتماعية.
- الإطار المرجعى .
- المعايير الإجتماعية .
- الإختبار السوسيومترى وشروطه.
- السوسيوجرام "خريطة العلاقات".
- مثال لكيفية قياس العلاقات الإجتماعية.

مقدمة

البناء السوسيومترى لأى جماعة من الجماعات هو عبارة عن البناء الإجتماعى (محصلة العلاقات الاجتماعية السائدة فى الجماعة حيث تتأثر هذه العلاقات بكل أبعاد العملية الإجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد وقيم وإتجاهات ومعايير وأدوار يقوم بها) لها من الوجهة الكمية. أى أنه فى حالة وصف البناء السوسيومترى لجماعة معينة لا تقتصر على الناحية الكيفية فقط بل لابد أن تتعداها إلى الدرجة والكم والتقدير. عندما نتكلم عن البناء السوسيومترى فإننا نقصد كل ما سبق ذكره من ناحية كمية محددة حيث يكون منهج القياس هو منهج وصف هذا البناء ودراسته.

ودراسة هذا البناء من هذه الزاوية تساعد الدارس على أشياء كثيرة منها:

فهم حجم المؤثرات لإجتماعية التى تدخلت فى إعداد الفرد لحياة الجماعة. فالفرد فى حياته اليومية يتعامل مع الآخرين، عليه أن يفهم جيدا أسلوب الآخذ والعطاء ـ كذلك كيف يؤدى أكثر من دور اجتماعى واحد ـ أن يتقن استخدام مهاراته الاجتماعية التى تقوده إلى دراسة وضع المعايير فى المجتمع.

وعلى هذا وجب علينا أن نفرد جزء من مناقشتنا وعرضنا فى هذا الفصل عن: الإدراك الإجتماعى ـ الإطار المرجعى ـ الدور والمكانة ـ المعايير الإجتماعية.

أولاً: الإدراك الإجتماعى

يستخدم مصطلح الإدراك فى علم النفس الإجتماعى لدراسة إدراك أحد الأفراد (س) للفرد الآخر (ص) كما يتفاعل معه، وكيف يؤثر فى شخصيته ويتأثر بشخصية رفيقة وباتجاهاته كما تتضح فى تفاعله معه، كما تتضح فى تفاعله الاجتماعى معه. ولا يعتمد الإدراك على مجرد ما يراد الفرد فى الفرد الآخر وما يسمعه منه، بل يعتمد على خصائص الموقف ونوع العلاقات التى تصل ما بين المتفاعلين فى ذلك الموقف وعلى فكرة الفرد عن إدراك زميله له. والإدراك الاجتماعى يعنى من وجهة نظر كاهان Kahan ١٩٨٤، عملية تكوين إنطباعات Impressions عن الآخرين، وتقويمهم والحكم على سلوكهم وخصالهم (سواء ما يتعلق بمشاعرهم أو مقاصدهم، أو شخصياتهم أو استعداداتهم..الخ) كما أنه يتضمن وضع الفرد للأشخاص الآخرين وتصنيفهم فى فئات ذات معنى (كأن يصنف الفرد الآخرين على أساس المظهر الجسمى أو ملامح الوجه، أو فى ضوء بعض المتغيرات السيكولوجية مثل: العداوة والكراهية أو التسامح والحب. وأن الأشخاص الأكثر مهارة اجتماعية يتميزون بالإدراك الدقيق للأخرين والفهم الجيد للتعبيرات الوجهية والانفعالية للأخرين.

أساليب دراسة الإدراك الاجتماعى

تطورت وسائل بحث الإدراك الاجتماعى من مجرد سؤال الأفراد عن رايهم فى الأفراد الآخرين أو تعليقهم على صور أو لوحات يرونها لأفراد فى مواقف اجتماعية مختلفة. إلى ملاحظة ما يحدث من ادراك اجتماعى خلال التفاعل الذى ينشأ بين فردين فيقيم بينهما علاقات تصلح للتسجيل والدراسة والتحليل. ولا تقتصر مصادر المعرفة الإدراكية على مجرد

تعبيرات الوجه بل تمتد لتشمل نبرات الصوت وغير ذلك من المثيرات اللفظية وغير اللفظية فى اطارها الاجتماعى(١).

وقد عرض كوك ١٩٧١ ـ Cook' للمناهج أو الأساليب المستخدمة فى الإدراك الاجتماعي فى ضوء تناوله للأنظمة والقواعد المستخدمة فى الاستدلال وهى:

(١) قاعدة أو نظام الترابط Associative Rule

كأن نربط بين الذكاء والتوافق مثلا، فنقول أن الاشخاص الاذكياء يجيدون التوافق.

(٢) قاعدة التحديد أو المطابقة Identification Rule

كأن نصف الأشخاص الذين لا يؤدون التحية للآخرين بالبخل.

أولاً: الأساليب المستخدمة فى دراسة نظام الترابط:

وتتلخص فى أربع طرق نعرض لها على النحو التالى:

-١- **الوصف الحر** Free Description

وصف الشخص أو الأشخاص الأخرين بكلمات أو عبارات، ثم يلى ذلك مباشرة تحليل مضمون استجابات الشخص القائم بالوصف (العبارات أو الكلمات).

-٢- **اختبار التصنيف لمجموعات** The Role Repertory Gride Test

يطلب من الفرد تقسيم مجموعات كبيرة من الأشخاص (٣٠شخصا)، إلى جماعات صغيرة (٢-٣) فردا. ثم يطلب منه بعد ذلك الأسس التى استخدمها فى تصنيف هؤلاء الأفراد إلى فئات.

-٣- أسلوب السمة الهادية Gue - Trait

حيث يخبر الشخص الذى يصدر الحكم أن يفكر مثلا فى:

الشخص المنبوذ (المعزول) ويقدم له إلى جانب ذلك عدد كبير من الصفات (اجتماعى ـ انعزالى ـ عدوانى ـ أحمق ـ أنانى .. الخ). ويطلب منه أن يختار أكثر هذه الصفات ارتباطا بهذا الشخص.

-٤- **أسلوب المميز للمعنى:**

حيث يطلب من الفرد أن يصدر أحكامه على الآخرين فى ضوء أبعاد قطبية منها مثلا (متعاون) و (غير متعاون)، ثم يلى ذلك تحليل النتائج باستخدام التحليل العاملى.

ثانيا: الأساليب المستخدمة فى دراسة قواعد التحديد أو المطابقة:

تعتمد الأساليب المستخدمة فى دراسة قواعد الترابط على التقارير الذاتية إلا أنها تتأثر بالجاذبية الاجتماعية. فقد يعطى الشخصى وصفا أو حكما غير دقيقا فى ظلها، ولذلك فمن الضرورى أن تستخدم إلى جانبها أساليب دراسة قواعد التحديد أو المطابقة. وهناك ثلاث جوانب تؤخذ فى الاعتبار عند دراسة قواعد التحديد وهى:

(مضمون الأفعال ـ والسياق الذى تصدر فيه ـ والتعبيرات غير اللفظية سواء كانت ثابتة أو متحركة).

ومن أمثلة التعبيرات غير اللفظية الثابتة ما يأتى:

تعبيرات الوجه ـ شكل الجسم ـ نبرات الصوت ـ الملابس والشعر ومساحيق التجميل. أما التعبيرات غير اللفظية المتحركة منها ما يأتى:

- توجه الفرد أثناء التعامل والتفاعل مع الآخرين.
- المسافة بين الفرد والآخرين (كالاصدقاء والرؤساء والوالدين ..الخ).
- الإيماءات وحركة الجسم.
- فترة النظر إلى الآخرين.
- نغمة الصوت.
- طلاقة المتحدث أثناء الحديث كمؤشر لعمليات التفكير والقلق(٣٠٢:٤٢٥-٤٢٧).

أهمية الإدراك الاجتماعى فى العملية التعليمية والاعلامية

١-يساهم الإدراك الاجتماعى فى العملية التعليمية حيث يجب على المعلم ان يراعى إدراك التلاميذ حيث تتم عملية التفاعل الاجتماعى فيما بينهم ففهم مدركات الآخرين (المتعلمين) تعمل على زيادة فاعلية المعلم معهم وبالتالى تزداد فعالية العملية التعليمية.

٢-يعتبر الإدراك الاجتماعى ذى أهمية عملية فى ميادين العلاقات العامة والاعلان والبيع والشراء والتأمين على سلوك الأفراد والجماعات وخاصة فى المجالات السياسية.

وهناك عدة حقائق يشير إليها (سعد عبد الرحمن) تؤدى بنا إلى فهم عملية الإدراك عموما هى كما يلى(٣٧٤:٤-٤٥٦):

(١) **عملية الإدراك تساعد على تكامل الخبرة عند الفرد** من خلال مرحلتين مترابطتين متتاليتين هما الإحساس بالمثير ثم تفسير المثير حيث يؤثر المثير على عضو الاحساس المناسب مثل (الإذن) فى حالة مثير الصوت و (العين) فى حالة مثير الضوء. وأن الخبرة عند الفرد تنمو وتتكامل نتيجة إدراكه لمثيرات وعناصر جديدة.

(٢) **عملية الإدراك تحتاج إلى وجود الإطار المرجعى:**

- الإطار المرجعى يتضمن مجموعة العوامل الذاتية والموضوعية التى تحدد طبيعة الإدراك.
- يزداد احتمال التغير فى الإطار المرجعى، ومن ثم فى الاتجاه، يزداد إذا وجد الفرد الدافع إلى الانتماء إلى جماعات جديدة يشترك أعضاؤها فى اطارات مرجعية جديدة بالنسبة للفرد، وهو أمر بالغ الأهمية فى تغيير الاتجاهات نظرا لأن الفرد يكون لديه الدافع القوى إلى أن ينظر إليه أعضاء الجماعة كعضو فيها ولأن الناس ينظرون إلى الفرد كعضو فى جماعة إذا عبر عن الاتجاهات المشتركة فى تلك الجماعة.
- **من خصائص الإطار المرجعى: Frame of reference**

أ. إن لكل فرد إطار خاص به، لهذا فالأفراد يختلفون فى سلوكهم إزاء الموقف الواحد لأن لكل منهم إطار مرجعى يختلف فى مكوناته عن الإطار الذى يرجع إليه الآخر.

ب. لا يكون الإطار المرجعى دائما فرديا أى خاصا بالفرد، بل إن هناك أطر مرجعية عامة، بمعنى أن عددا كبيرا من الأفراد يشتركون فيها.

ج. له صفة الإنتقائية حيث أنه يحدد للفرد السلوك المناسب من بين عدد من الأساليب السلوكية الممكنة.

فالإنسان يدرك أن هذا طائر أو صفارة إنذار لأنه سبق أن تعرف عليها واعتادها وألفها فهناك عملية مقارنة ضمنية لما يراه أو يحس به الإنسان الآن وبين ذلك المدرك (الطائر – صفارة الإنذار) الذى سبق له أن كونه فيما مضى من خبرة.

على أن يتوفر فى عملية المقارنة التى يقوم عليها الإدراك الإجتماعى ما يلى:

- **تشابه الطبيعة:** (إنتقاء الإطار المرجعى الذى يقارن على أساسه المدركات الجديدة من طبيعة مشابهة لطبيعة تلك المدركات.
- **تقارب الشدة:** حيث يقوم بمقارنة صوت صفارة الإنذار ببوق السيارة ولم يقارنه بنقيق الضفادع وذلك لأن الشدة فى الحالتين مختلفة.
- **حصر الشدة:** أى تحديد كم المثير الجديد تحديدا يقوم على ما قبله وما بعده (أضعف أو أقوى منه).

(٣) عملية الإدراك الإجتماعى تحتاج إلى إطار مرجعى من نوع خاص:

حيث أن عملية الإدراك هى "عملية الإدراك التى تحدث تحت ظروف ومتغيرات اجتماعية تؤثر فيها". ويرى (سعد عبد الرحمن) أن الإدراك الاجتماعى هو "عملية الإدراك التى يتخذ الفرد فيها من نفسه وذاته – أو من ذات أخرى مماثلة إطارا مرجعيا يقارن به تلك المدركات أو المثيرات الاجتماعية الأخرى" وهو بمعنى أوسع إدراك الإنسان لأخيه الإنسان أما إدراك الإنسان للقلم اجتماعيا فإن هذا منطق ليس من السهل الدفاع عن صحة هذا الرأى وصدقه.

(٤) عملية الإدراك تحكم سلوك الإنسان:

فالإنسان لا يقدم على إتخاذ قرار ما فى موقف إلا بعد أن يتم إدراكه لهذا الموقف من جميع جوانبه.

- **عملية الإدراك الاجتماعى وإنتاجية الجماعة: Group Productivity**

إنتاجية الجماعة: هى قدرة هذه الجماعة أو تلك على تحقيق هدف قيامها وتكوينها سواء أكانت هذه الأهداف مادية أو إجتماعية.

وأن القدرة الإنتاجية للجماعة كتنظيم اجتماعى هى درجة التغير فى القيم الناتجة عن أداء وتوقعات أعضاء الجماعة أو درجة التغير فى هذا الأداء والتوقع.

فعلى سبيل المثال نجد أنه فى أى جماعة من الجماعات الإنتاجية (مؤسسة صناعية او إعلامية أو فنية) مثلا نجد أن أداء الأفراد يمهد دائما للتوقع ويرتبط به. فكلما تغير نمط الأداء وتغير مدرك ومفهوم الفرد عن أدائه ووظيفته تغير التوقع بالتبعية ولهذا فإننا نقيس إنتاجية الجماعة بمدى التغير فى توقعات أعضاء الجماعة وفى القيم الناتجة بناء على ذلك.

وبهذا يتضح أن أى تغير فى عملية إدراك الفرد للأخرين إدراكا إجتماعيا (إدراك للدور وللوظيفة) يحدث تغيرا فيما يتوقعه هذا الفرد من الآخرين وبالتالى يحدث تغيرا فى القيم القائمة على هذا التوقع. هذا بالإضافة إلى مدى مقاومة بناء الجماعة، وتنظيمها للضغوط الخارجية التى تهدف إلى تحطيم هذا البناء وهذا التنظيم (تكامل الجماعة Group integration) وعامل الروح المعنوية (درجة الطلاقة أو الحرية التى تتحرك بها الجماعة نحو أهدافها فى وجود العوائق والعوامل المعطلة لحركتها) (٤:٣٩٩-٤٠١).

الدور والمكانة Status

يقول "سميث وهول" بناء على التجارب التى قاما بها بالاشتراك مع آخرين فى سنة ١٩٥٧ أن إنتاجية الجماعة تزيد كلما اتضح دور كل فرد فيها نتيجة لتمايز الاوضاع النسبية بين الافراد. وتقل كلما كان تركيب الجماعة بسيطا أى لا يوجد تمايز بين أوضاع الأفراد فيها. وهذا الاستنتاج يتضمن فى ثناياه أن إنتاجية الجماعة دالة مباشرة لعملية الإدراك الاجتماعى حيث أن هذه الأخيرة تحتوى ضمنا على 'وضوح دور كل فرد فى الجماعة' سواء كان ذلك الوضوح يتصل به أو يتصل بغيره (٤:٤٠٣-٤٠٤). ويرى 'ارنوف. ويتيج' أنه من الضرورى أن نفهم المركز أو المكانة الاجتماعية ليتسنى لنا فهم الأدوار الاجتماعية. ويشير المركز أو المكانة إلى الوضع الذى يشغله الفرد أو الوظيفة التى يؤديها فى وقت معين، أما الدور فهو السلوك المتوقع من الفرد الذى يشغل مركز أو مكانة معينة وقد يتضمن مصطلح المركز أو المكانة الاجتماعية معنى آخر يشير إلى الامتياز أو الوضع الخاص، وقد لا يتماثل المعنيان بالضرورة رغم أن مركز الفرد أو مكانته قد تسبغ عليه شيئا من الامتياز (٥:٣١٤) وقد ميز "لينتون Linton" بين الدور والمكانة. حيث أوضح أن: المكانة الاجتماعية هى بإيجاز مجموعة من الحقوق والواجبات، فى حين أن الدور الاجتماعى يمثل المظهر الدينامى للمكانة الاجتماعية. والمفهومان فى الواقع مترابطان. فللطبيب مكانة اجتماعية، بينما يمثل تشخيصه للأمراض والعلاج جزء من الدور.

إن فكرة "الدور" فى العلوم الإنسانية تعنى ذلك النمط من الإتصال المتوقعة من شخص خلال ما يقوم به من أنشطة فى إطار تفاعله مع الآخرين. وبذلك يتحدد الدور وفقا للموقع الذى يشغله الفرد فى البناء الإجتماعى حيث يتفاعل مع غيره من الأفراد. ويقوم الدور فى هذا الصدد بوظيفتين أساسيتين:

(أ) **الوظيفة الأولى تتعلق بالضبط الاجتماعى**، فالمعايير الاجتماعية السائدة هى المصدر الرئيسى لتفاصيل الأدوار الاجتماعية ويقوم (المنشئون) بتدريب الأفراد على أداء أدوارهم المختلفة ثم متابعة مدى التزامهم بسيناريوهات تلك الأدوار وإنزال العقاب بهم إذا ما خرجوا عنها.

(ب) **الوظيفة الثانية تتعلق بتيسير عملية التفاعل الاجتماعى** من خلال توقعات سلوك الآخرين. فبمجرد معرفة الفرد لدوره أو لأدواره سيزوده ذلك بسيناريوهات جاهزة ومقبولة اجتماعية للتصرف فى مختلف مواقف الحياة، دون بذل جهد كبير فى محاولات قد تصيب وقد تخفق.

هذا ويؤدى الفرد أدوارا عديدة، فمثلما أشرنا فى فصل سابق أن لكل فرد أكثر من جماعة مرجعية (الأسرة ــ العمل ــ الدراسة) فهو يقوم بأدوار مختلفة كعامل أو رئيس عمل ــ أب أو ابن ــ أخت.

وقد يحدث ما يسمى بصراع أو نزاع الأدوار. حينما ينشأ صراع بين دورين أو أكثر. بحيث يؤدى تحقيق التوقعات المتصلة بأحد الأدوار إلى عدم القدرة على تحقيق التوقعات المرتبطة بالدور الآخر حيث نيشأ ما يسمى صراع الأدوار المتعددة، إلا أن هذا الصراع قد يرجع فى جانب كبير منه إلى سوء إدراك الفرد للسلوك المتوقع منه عند ممارسته لدور

إجتماعى معين، وقد يتطلب الدور الواحد ــ فى بعض الأحيان ــ أكثر من سلوك، وربما ينشأ صراع بين هذه الأساليب السلوكية المتعددة التى يتطلبها الدور، حينئذ يطلق على هذا الموقف "صراع المطالب المتعددة للدور" مثال: غالبا ما يخبر مدراء المدارس الثانوية صراع المطالب المتعددة للدور فمن بين مهام مدير المدرسة الثانوية توجيه تلاميذ الثانوية العامة إلى ممارسة الانشطة المختلفة الرعاية الصحية والاجتماعية والانفعالية والخلقية لهم، ومع ذلك فثمة مهمة أخرى له تتمثل فى ارتفاع نسبة الناجحين من حيث الاعداد والمجاميع المرتفعة بمستوى ترضى عنه الإدارة التعليمية. ولا يتفق هذان الهدفان دائما. ولذا يتعين على مدير المدرسة أن يختار أيهما سيعمل على تحقيقه فى موقف معين بحيث يصل فى المدى الطويل إلى نوع من "التوازن" المناسب بين ارضاء مطالب الادارة التعليمية واشباع حاجات التلاميذ.

هذا وقد أوضح (جوفمان Goffman) أن الفرد يستطيع أن يقوم بدوره الاجتماعى بصورة أفضل إذا حصل على معلومات صحيحة من هؤلاء الذين يتفاعل معهم، على هذا فإن الشخص يتفاعل أثناء ممارسته لدور معين مع مجموعة معينة فى مناسبات مختلفة ولفترة طويلة يستطيع أن يكون معلومات صحيحة منهم فيمارس دوره معهم بكفاءة أفضل.

ويعرف (حامد زهران ــ ١٩٨٤) الدور الاجتماعى بأنه عبارة عن نمط منظم من المعايير فيما يختص بسلوك فرد يقوم بوظيفة معينة فى الجماعة.

كما يعرف نادر فتحى ــ ١٩٩١" (٦:٩٠-٩١) الدور الاجتماعى بأنه عبارة عن نمط منظم من المعايير فيما يختص بسلوك فرد يقوم بوظيفة معينة فى الجماعة. فالدور الاجتماعى هو الجانب الدينامى لمركز الفرد أو مكانته فى الجماعة. وأن الدور هو الوحدة البنائية للشخصية، وأن السلوك هو الوحدة الوظيفية لها.

ولعل من أقوى الدلائل على تأثير الدور فى تشكيل السلوك توقعاتنا الجنسية أو توقعاتنا من الرجل والمرأة. وقد بين "سلوفك ــ Slovik" أنه عندما تكون الأدوار الجنسية غير محددة بعد، كما فى سن الطفولة، فإن الفروق بين الجنسين فى سمات الشخصية المرتبطة بالجرأة كالميل لحب المغامرة والمجازفة تختفى، بينما تبرز هذه الفروق فى صالح الذكر بعد سن العاشرة، مما يدل على أن الفرق بينهما فى هذه الخاصية أمر تمليه توقعاتنا عن الدور الاجتماعى لكل منها.

يشير مصطلح (مكانة) إلى ترتيب اعضاء الجماعات على واحدة أو مجموعة من الصفات التى تقدرها الجماعة، وهو يصف بناء غير متوازن حيث يكون الشخص (أ) أعلى من (ب)، و (ب) يجب أن يكون أقل من (أ) وغالبا ما يكون الأعلى مكانة أكثر نفوذا. ومن الممكن أن يحدث تغير للمكانات بتغير الأداء فى الأحوال التالية:

- إذا قدم العضو دليلا على تغير مقدار السمة التى يملكها وتحددت على أساسها مكانته.
- إذا أعيد تحديد السمات التى تكون موضوع تقدير الجماعة (٧:٥٤٢-٥٤٤).

والمكانة الاجتماعية تنبثق وترتبط بظاهرة تقسيم العمل. ويقصد (قدرى حنفى) بالمكانة ذلك الموقع الاجتماعى الذى يشغله الشخص بالنسبة لغيره من الأفراد الذين يشتركون معه

فى الإنتماء لمؤسسة اجتماعية كالمصنع مثلا ويفرق بين نوعين متمـــايزين مــن أنــواع المكانة:

(أ) **مكانة اجتماعية رسمية**: ويعنى بها ذلك البناء الهرمى المتدرج للوظائف أو للمواقـع كما يحددها بناء السلطة فى المؤسسة. وغالبا ما تستند تلك المكانـــة الرسـمية إلـى التشريعات واللوائح والقوانين والنظم المحددة لطبيعة الهيكل الوظيفى للمؤسسة.

(ب) **مكانة اجتماعية غير رسمية**: ويقصد بها تلك المرتبة الاجتماعية التى يسبغها الآخرون من أبناء المؤسسة على شخص ما، بسبب شعورهم واتجاههم نحوه. وليس حتما فـى هذه الحالة أن ترتبط المكانة الاجتماعية غير الرسمية لشخص ما بمكانته الرسمية.

ويرى أن علاقة المكانة تتطلب ابتداءاً إمكانية الترتيب والمقارنة، ولكى تتوافـر تلـك الامكانية فلابد من نوع من الوجود المشترك لشـــخصية أو أكــثر، والمقصـــود بـــالوجود المشترك هو عضوية نفس الجماعة، إننا لا نستطيع مثلا أن نقارن بين مكانة الأب والمحرر الصحفى والمعلم والعامل، فكل منهم ينتمى لجماعة تختلف اختلافا جوهريا عــن الجماعــة الأخرى، بينما تستطيع ببساطة أن تتحدث عن علاقة مكانة بين الأب والابـــن فـــى اطـــار الأسرة، ولا ينفى ذلك أننا نستطيع أن نقارن بين مكانة الأب والمحرر الصحفى والعـامل إذا ما نظرنا إليهم فى ترتيب أدوار كل منهم وفقا للمعايير الاجتماعية السائدة فى مجتمع معين وفى عصر معين.

ويرتبط الناس عادة بنظم هرمية، تتحدد فيها مرتبة كل فرد بالنسبة للأخرين فى النسق الاجتماعى، ومن الطبيعى أن يسعى الفرد إلى تحسين مكانتـــه الاجتماعيـــة ســـواء علـــى المستوى الرسمى وهو ما يعرف بالتطلع الاجتماعى، أو على المستوى غير الرسمى وهـــو ما يمكن أن نطلق عليه، السعى لتحسين السمعة الاجتماعية، وأن تنمية المكانة والحفـــاظ عليها يعد واحد من أهم الدوافع الاساسية المحركة لسلوك الأفراد بينما فقدانها فيعـــد مـــن أقصى الخبرات التى يمكن أن يعرض لها الفرد فى أى مجتمع (٨:١٠٣-١٠٥).

من خلال توقعات الدور **role expectaion** ويمكـــن أن يطلـــق عليـــها الســـلوكيات المقبولة من جانب الجماعة وأيضا السلوكيات المرفوضة وذلك تبعا للمحددات التى تضعـــها الجماعة والمعايير السائدة فيها، ويمكن تقسيم الدور إلى :

١ - **توقعات ثقافية**:

تتكون من خلال ثقافة المجتمع الذى يعتبر الدور جزء منه، وتتكون هـــذه التوقعـــات الثقافية من القيم والمعايير والقواعد الاجتماعية المتصلة بهذا الدور.

٢ - **توقعات موقفية**:

وهى تحدد من خلال عمليات التعلم الاجتماعى فى ضوء اشتراك فى مواقف اجتماعيـــة معينة، من خلال التعلم عن طريق العبرة **Vicarious reinforcement**(٩).

٣ - **توقعات شخصية**:

وهى التى يحددها الفرد لنفسه أثناء تأديته أحد الأدوار.

وهكذا تتضافر العوامل الثلاثة أو المحددات الثلاثة لكى تحدد للفرد ما ينبغى عليه القيام من افعال تتوافق والدور الاجتماعى المنوط به داخل الجماعة، ولا يستطيع الفرد القيام بدوره إلا بعد أن يتعرف على هذه التوقعات.

من هنا نجد أن الدور الاجتماعى هو عملية سلوك اجتماعى، إلا أنه يجب التفريق بين بعض المصطلحات الخاصة بالدور، مثل:

- **أداء الدور** أو سلوكيات الأدوار: حيث أن أداء الدور يمكن فى ضوء التوقعات المحيطة وفى ضوء تفاعلات الفرد مع الآخرين.
- **لعب الأدوار**: والدور هنا يؤديه الفرد ظاهريا أو تمثيلها حيث لا يرتبط هنا الدور بمركز أو مكانة الفرد الحقيقية.
- **أخذ الدور**: وهو نشاط عقلى مؤقت يضع الشخص أثنائه نفسه فى الدر الذى سوف يقوم به فرد آخر، حتى يستطيع أن يتنبأ بسلوك وأفعال الآخرين وإتجاهاتهم نحود.
- **صراع الأدوار**: وتأخذ محورين هما:
  - صراع داخلى ينشأ من التعارض بين مكونات واتجاهات شخصية الفود ومتطلبات الدور. مثل رفض الفتاة لدورها كإمرأة تحمل وتلد وترضع أطفالا فى المستقبل ويظهر ذلك من تعرضها بظاهرة (الوحم) فى بداية عملية الحمل.
  - صراع خارجى: وينشأ نتيجة مطالبة الشخص بأداء دورين متعارضين فى وقت واحد، معلم ومتعلم فى نفس الوقت. (١٠:٩٤-٩٥) ويتم حل الصراع فى كلتا الحالتين بالأساليب التالية:

أ. حل كلى إيجابى:

حيث ينخرط فى أداء كل توقعات الدور حتى تصبح من عاداته السلوكية برغم تعارضها مع اتجاهاته وهو بهذا اقرب إلى السواء فى حل الصراع.

ب. حل كلى سلبى:

إصراره على رفض الأدوار المتعارضة مع اتجاهاته وهو فى هذا يكون أقرب إلى التوتر والاضطراب والقلق فى حل الصراع.

ج. حل جزئى:

إنتقاء بعض جوانب سلوك الدور المتوقعة منه والتى تتوافق مع اتجاهاته نحو غيرها.

والأفراد الذين ينشأون فى بيئة واحدة ويتعاملون على أساس ثقافة واحدة يجدون أن هذه الثقافة تصنف كثير من أساليب السلوك بأعتبارها أساليبا مقبولة أو مرغوبة. كما تصنف أساليب أخرى كأساليب غير مقبولة أو غير مرغوبة، فتكتسب بعض أساليب السلوك درجة من الإلزام الاجتماعى. فإذا تخلى عنها الفرد أو أن ما يخالفها تعرض لنقد اجتماعى شديد وقوبل سلوكه باستهجان من كافة أفراد المجتمع.

صراع الأدوار وآثاره السلوكية:

يحدث صراع الأدوار فى أى موقف تثار فيه توقعات متعارضة لدورين أو أكثر، وتكون نتيجته التوتر والقلق. فالفتاة التى تتوقع منا أن تكون محافظة وتقليدية، قد تشعر بصراع الأدوار عندما تجد نفسها مرغمة على التخلى عن هذا الدور فى سبيل جذب إنتباه شخص تأمل أن يكون زوجا فى المستقبل. لهذا يعتبر النساء أكثر عرضة لصراع الأدوار بكل اعراضه كالإكتئاب، والارهاق السريع، والتوتر.

كذلك يحدث الصراع بين الأدوار عندما يوجد فرق واضح بين ما يتوقعه الأخرون من الشخص، وما يتوقعه الشخص من نفسه. وأكثر الناس عرضة لهذا النوع من الصراع:

الرؤساء، والمشرفون على الهيئات العامة والمنظمات الاجتماعية والسياسية. والمؤسسات. فناظر المدرسة الذى يجد نفسه مرغما على إرضاء التلاميذ والآباء وأجهزة الرقابة الشعبية، ومتطلبات الوزارة، قد يعانى من هذا الصراع بشدة مما يؤثر فى ثقته بنفسه ورضاءه عن عمله وغالبا ما يواجهون (المدراء) هذا الصراع بحل من الحلول الأربعة الآتية وهى:

١-الاستجابة للضغط والاستسلام.

٢-التمسك بمعايير المهنة ومتطلباتها.

٣-محاولة التوفيق بين الآراء المتعارضة وتقديم بعض التنازلات.

٤-تجنب اتخاذ قرارات حاسمة أو هامة (١٠).

المعيار الاجتماعى

الثقافة الواحدة هى التى تمهد لتكوين الإطار المرجعى المشترك أو "المعيار الاجتماعى".

وإذا كان المعيار الإجتماعى هو المرجع الذى يعود إليه الأفراد لكى يضمنوا أن سلوكهم يتمشى مع ما يتفق عليه المجتمع، فإن المعيار بذلك يشمل الاتجاهات الاجتماعية والقيم السائدة كما يشمل مفاهيم المجتمع عن الموضوعات الرئيسية فى الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية ويشمل أيضا أساليب التعامل بين أفراد المجتمع.

"فالمعيار الاجتماعى" إذن هو الإطار المرجعى العام أو المشترك بين أفراد المجتمع، ويشير مفهوم المعيار الاجتماعى إلى ما يقبله المجتمع من قواعد وعادات واتجاهات وقيم وغيرها من العوامل التى تحدد سلوك الأفراد. والمعيار أداة فى يد المجتمع ليوحد بها بين أفراده ويزيد من تماسكهم.

والمعيار الأجتماعى نتاج المعيشة فى المجتمع فهو لا يمكن أن يحدث خارج المجتمع والتزام الفرد بالمعيار هو دليل ولائه للمجتمع وانصياعه لاتجاهاته. وتختلف المعايير من مجتمع لآخر حسب الموضوعات الهامة لديه. فالوقت والتعامل بالوحدات الزمنية يختلف من المجتمعات الصناعية عنه فى المجتمعات البدائية المختلفة التى تتعامل بالوحدات الزمنية الكبرى.

والمعيار الذى تشكله كل جماعة هو عبارة عن مجموعة التوقعات المشتركة بين أفراد الجماعة كما يجب أن تكون انماط السلوك، والمشاعر والافكار الفردية ــ بعبارة أخرى

"يجسد المعيار اتجاد الجماعة أو المجتمع نحو الواقع الاجتماعى كما تراد تلك الجماعة أو المجتمع، ويحدد نتيجة لهذا انماط السلوك واتجاهات الفرد فى داخل الجماعة أو المجتمع".

والمعايير قد تكوو **عيانية أو رمادية** كالامتناع عن تدخين السجائر أمام الأباء والمعلمين فى المجتمعات العربية، أو قد تكون **معنوية** كالامانة العلمية التى تتوقعها جماعات البحث العلمى من أعضائها، وقد تكون **رمزية** كما فى الشارات أو اشكال الزى الخاص التى ترتديها بعض الجماعات مثل جماعة الكشافة ـ الهلال الأحمر ـ مؤتمر علمى.

وتتشكل معايير الجماعة من خلال الخبرات المتراكمة للجماعة عبر تطورها الزمنى. وقد تكون مكتوبة كما فى اللوائح وقد لا تكون مكتوبة. فنحن لا نتعلم الهدوء فى المكتبة أو المسجد من خلال قواعد مسجلة، وإنما من خلال استجابات أفراد المجتمع بالاستهجان أو التحبيذ لهذا التصرف أو ذاك.

أما وظيفة المعيار الاجتماعى فهى:

١-توفر أساسيات التعامل بين الأفراد فهى توفر اللغة المشتركة التى تسهل التعامل بين الأفراد.

٢-تخلق لأفراد المجتمع أهدافا مشتركة يعمل أفراد المجتمع فى سبيل تحقيقها.

٣-وجود المعايير العامة بين أفراد المجتمع يحقق له البقاء كجماعة متماسكة وبدونها يتهدد بالانقراض.

٤-تسهم المعايير في تحقيق التقدم والحركة إلى الأمام.

العوامل التى تؤدى إلى تقوية المعايير الإجتماعية	العوامل التى تؤدى إلى الخروج على المعيار الاجتماعى
(١) درجة تماسك المجتمع أو الجماعة.	درجة تفكك المجمتع أو الجماعة.
(٢) درجة الثواب والعقاب.	التسيب.
(٣) وضوح المعيار.	غموض المعيار.
(٤) إذا أحس الفرد أنه مراقب.	إذا أحس الفرد أنه غير مراقب.
(٥) إذا اقتنع الفرد بالمعيار.	عدم اقتناع الفرد بالمعيار.
(٦) قلة ثقة الفرد فى نفسه وفى قراراته.	ثقة الفرد فى نفسه وفى قراراته.

- **كيف يتكون المعيار:**

ويتكون المعيار الاجتماعى داخل المجتمع نتيجة التفاعل الاجتماعى بين أفراد المجتمع ويقوم حول الموضوعات التى لها أهمية فى حياتهم.

ولذا تتغير المعايير الاجتماعية بتغير الموضوعات. وتتبلور هذه المعايير حسب مبادئ الثواب والعقاب، فكما يكتسب الطفل معظم أساليب سلوكه تحت شروط الثواب والعقاب التى يوفرها الوالدان فإن أفراد المجتمع فيما بينهم يكونون المعايير الاجتماعية مرتبطة بحاجاتهم واستقرارهم وامنهم. وترسخ هذه المعايير تحت شروط الإثابة التى يوفرها المجمتع لمن ينصاع لاتجاهاته وتحت ظروف العقوبة التى ينزلها بمن يتمرد على اتجاهاته ويتحداها.

وعلى هذا فإن تكون المعيار الاجتماعى يمثل افضل مدى للضغوط التى يمارسها المجتمع على أفراده.

- **لماذا تقوم المعايير؟**

قدم فستنجر Festiner شرحا سيكولوجيا اجتماعيا لأسباب قيام المعايير والانصياع لها، نعرض لنوعين من العوامل أو الأسباب.

(١) الواقع الاجتماعى: Social reality

يفترض فى هذا النوع أن الأشخاص يسعون إلى الحصول على تأييد لآرائهم ومعتقداتهم إما عن طريق الاختيار العلمى أو الشكلى وهو ما أسماه بالواقع الفيزيقى. أو عن طريق الوصول إلى اتفاق مع زملائه على الرأى الصحيح أو العقيدة الصحيحة وهو ما أسماه بالواقع الاجتماعى.. وهذا لا يعنى انه لكى يصدق الرأى فى نظر شخص معين، يتعين أن يشاركه فيه الناس فاعلية، ولكن المقصود بذلك هو الأفراد فى الجماعة التى يرجع إليها فى رأيه او إتجاهه (الجماعة المرجعية).

(٢) حركة الجماعة: Group Locomation

وهو يفترض أنه لكى تتحرك الجماعة نحو توحيد الآراء أو الإتجاهات أو العقائد يزداد الدافع لدى أفراد الجماعة لتحقيق هذا التوحد كلما إزدادت أهمية الهدف. وكلما أدركوا أن حركة الجماعة ستكون أكثر يسرا فى ظل هذا التوحيد، وكذلك إزدادت حاجاتهم إلى الجماعة لتحقيق أهدافهم الفردية. كما أن معايير الجماعة تؤدى وظيفة هامة وهى الحفاظ على الجماعة وصيانتها من الانحلال (١١:٩٩).

القياس الاجتماعى Sociometric Measu rement

ما هو السوسيومترى؟

السيوسيومترى هو علم متفرع من علم النفس الاجتماعى يهتم بقياس العلاقات بين الأفراد فى الجماعة الواحدة وبتحديد أنماط العلاقات بين جماعات وجماعات أخرى. وقد عرفه غرفيتش Georges Gurivitch بأنه أداة جديدة ومبتكرة للقياس ولادراك العلاقات الانسانية النوعية المتميزة بعفويتها وبعناصرها المبدعة فالسوسيومترى هو إذن تقنية تهتم بجمع وتحليل معطيات الاتصال وأنماط التفاعل Interaction بين أفراد الجماعة وهو بصورة اوضح دراسة العلاقات القائمة على الاختيار والتجانس أو على النبذ والتنافر، يهتم بالكشف عن قدرة الفرد على التكيف مع التنظيم الرسمى السائد والمقرر ويفسح المجال للمقارنة بين المنظمات الرسمية وغير الرسمية القائمة على العلاقات العاطفية الصادقة والعفوية بهدف تحديد مدى التلاؤم بين التنظيمين ولهدف تحقيق أفضل التركيبات الاجتماعية وتغيير البنية الرسمية نحو الأفضل عن طريق ملاءمتها مع رغبة الاعضاء ودوافعهم ويقوم القياس السوسيومترى على الملاحظة وجمع المعلومات فهو أسلوب (تكنيك) بسيط ومرن يجعل الفرد داعيا لاختياراته من يفضل ومع من يرغب ان يكون. وهى تستعمل لدراسة الاختيار والقبول والسيطرة والتأثير والتفاعل والاتصال والصداقة ومراكز النفوذ ومواقع النبذ والتنافر فى الوضعيات الاجتماعية.

يتم قياس العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة (التعليمية أو الاعلامية أو الاجتماعية) عن طريق القياس الاجتماعى أو السوسيومترى.

ويشير (فؤاد البهى السيد ـ ١٩٨٠) إلى أن مصطلح سوسيومترى **Sociomettry** يعنى القياس الاجتماعى ويعنى مقطعه الأول **Socio** اجتماعى، يعنى مقطعه الثانى **Metry** القياس، وترجع سرعة إنتشار طريقة القياس السوسيومترى إلى بساطتها وخصوبة عمق النتائج التى يحصل عليها الباحث.

ويتمثل اهم أهداف الطريقة السوسيومترية فى القياس، قياس مظاهر الألفة والنفور التى تنشط وتسفر عن نفسها فى اجتماع الناس بعضهم مع البعض الآخر ـ ويكاد يقتصر ميدانها على دراسة الجماعات الصغيرة التى يعرف كل فرد من افرادها بقية أعضاء الجماعة معرفة واضحة أصلية تمكنه من اختيار من يصاحبه ومن لا يصاحبه ومن يستعين به ومن لا يستعين به.

- ويشير (فؤاد البهى اليسد) إلى أن أهم ما يميز القياس الاجتماعى أنه طريقة فى البحث أكثر منه نظرية فى العلم. ولقد أدت الطريقة السوسيومترية إلى اكتشاف حقائق علمية تصلح لتفسير بعض مظاهر الحياة النفسية فى آفاقها الاجتماعية (١٢).
- وأهم ما تستخدم فيه الطريقة السوسيومترية، دراسة التفاعل الاجتماعى الذى يحدث بين أفراد أى جماعة صغيرة، وبين الجماعات الأصغر التى تشتمل عليها الجماعات الصغيرة، وبين الأفراد والجماعات الأصغر.
- وبذلك تصبح الطريقة السوسيومترية هى الوسيلة العملية لقياس العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين فرد وفرد آخر وبين فرد وجماعة، أو بين جماعة وجماعة أخرى، ولقياس مكانة الفرد فى الجماعة، والزعامة، ومدى تماسك الجماعة وانحلالها، ومدى تأثر الفرد بتلك الخصائص فى تفاعله مع الجماعة أو مع غيره من الأفراد.
- هذا وتعتمد الطريقة السوسيومترية فى قياسها للتفاعل الاجتماعى على تسجيل وتحليل رغبة الأفراد فى صحبة الآخرين من خلال الاختبار السوسيومترى.

ويرى (سعد عبد الرحمن) أن الاختبار السوسيومترى يوضح بناء الجماعة والتركيب الداخلى لأقسامها ووحداتها الداخلية ويوضح كذلك المكانة الاجتماعية المختلفة فيمكن اكتشاف القادة (النجوم) والمنعزلين (المنطويين على أنفسهم) والأطراف المتنازعة أو المتنافسة من أجل سيادة الجماعة وقيادتها.

والاختبار السوسيومترى هو "مجموعة من الأسئلة تستفهم من المفحوص عن أختياره أو رفضه لأعضاء الجماعة التى ينتمى إليها فى مواقف اجتماعية محددة".

الشروط الواجب توافرها فى الاختيار السوسيومترى:

(١) توفر السرية التامة للأختبار سواء من ناحية الاختيار أو الرفض.

(٢) صياغة السؤال محددة ودقيقة وواضحة سهلة مفهومة ومناسبة لمستوى العمر الزمنى للأفراد.

(٣) ملاءمة الأسئلة المستخدمة لمستوى ثقافة وفهم أعضاء الجماعة.

(٤) امكانية استخدام نتائج الاختبارات السوسيومترية فى إعادة بناء الجماعة.

(٥) السماح للفرد باختيار ورفض ما يشاء من أعضاء الجماعة دون قيود.

(٦) ألا ينحاز القائم بتطبيق الاختبار لأى من المرشحين.

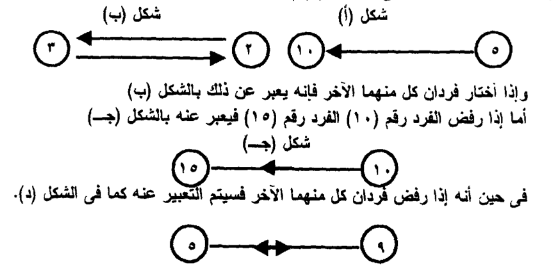
الطريقة التى أتبعها (مورينو) كانت تعتمد على توجيه الأسئلة التى تعبر عن بعض المواقف الاجتماعية لحياة الأفراد بحيث تعبر اجاباتهم عن اختيارات أو رفض اعضاء الجماعة فى هذا الموقف مثل:

١-من الزميل الذى تحب أن تخرج معه فى رحلة مدرسية؟

(إذا كان العدد أكثر من واحد فاكتب الأسماء حسب أفضلية الترتيب).

وتحسب لكل فرد فى الجماعة درجة سوسيومترية تعبر عن مكانته بين أفراد جماعته ويتم حسابها بأساليب رياضية معينة.

وقد ابتكر أيضا (مورينو) وسيلة لتوضيح نتائج الاختبار السوسيومترية بصورة معبرة، بحيث يمكن التعرف على طبيعة العلاقات فى الجماعة ومكانة كل فرد داخلها بشكل واضح ومبشر. ويسمى (مورينو) هذه الوسيلة "السوسيوجرام" وهو أشبه بخريطة العلاقات داخل الجماعة. وفيه يرمز لكل عضو بدائرة يكتب فيها رقم يشير إليه، يخرج من الدائرة سهم إلى دائرة الرقم الذى يشير إلى اختياره. فإن اختار الشخص رقم (٥) الشخص رقم (١٠) فإنه يعبر عنه كالشكل التالى: شكل رقم (١)

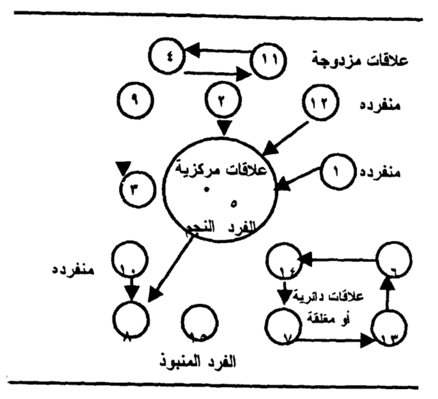


وإذا أختار فردان كل منهما الآخر فإنه يعبر عن ذلك بالشكل (ب)

أما إذا رفض الفرد رقم (١٠) الفرد رقم (١٥) فيعبر عنه بالشكل (جـ)

فى حين أنه إذا رفض فردان كل منهما الآخر فسيتم التعبير عنه كما فى الشكل (د).

ويمكن أن نفترض أن الشكل الآتى شكل رقم (٢) سوسيوجراما اجتماعيا لجماعة تبلغ خمسة عشر فرد لتوضح عليه بعض المفاهيم التى يمدنا بها الاختيار السوسيومترى.



ويلاحظ على هذا السيوسيوجرام الملاحظات الآتية:

(١) الفرد رقم (٥) حصل على أكثر اختيارات ويسمى **الفرد النجم**. وقد يكون بالجماعة نجم واحد أو أكثر من نجم.

(٢) **هناك بعض العلاقات المزدوجة** بمعنى أن اثنين من الجماعة يختار كل منهما الآخر مثل رقم (١١)، رقم (٤) ومثل رقم (٩)، (٣).

(٣) **هناك علاقات دائرية أو مغلقة** حيث يختار العضو عضوا آخر ويختار هذا العضو الآخير عضوا ثالثا. هكذا تنتهى هذه الاختيارات إلى حلقة مغلقة مثل ما حدث للأفراد (٦)، (١٤)، (٧).(١٣).

(٤) **علاقات منفردة**: وهى تشير إلى الفرد الذى اختاره أحد زملائه ولكن لم يقع اختيار أحد عليه. مثلما حدث للأفراد: (١)، (١٢) ، (٢) ، (١٠).

(٥) **ظاهرة الإنعزال**: هى تشير إلى الفرد الذى لم يستطيع أن يختار أحدا. كما أن أحدا لم يختره مثل الفرد رقم (١٥) ويسمى الفرد المنبوذ او المنعزل.

ويسمح السوسيوجرام بتحديد المكانة الاجتماعية لكل فرد وبمعرفة مراكز القيادة وموقع التأثير والجاذبية والجماعات المركزية والفرعية والهامشية (تتميز الجماعات المركزية يغلبه الاختيارات المتبادلة منها بعكس الجماعات الهامشية التى تتميز بغلبة الاختيارات غير المتبادلة) ونماذج الصراع والصداقة المتبادلة وغير المتبادلة ونماذج العزل والنبذ ـ وهو يظهر تنظيم العلاقات العاطفية والاجتماعية التى تقوم بين الأفراد. ويعتبر السوسيوجرام بمثابة صورة اشعاعية للصلات المتبادلة داخل الجماعة، أى أننا نستطيع من واقع الاجابات الكلية أن نرسم بيانا اجتماعيا يوضح شكل تفضيلات الاعضاء ومواقعهم. بشرط أن تكون الجماعة صغيرة.

والآتى يعد مثالا لقياس عدد العلاقات المتبادلة داخل الجماعة حيث تستخدم المعادلة

$$س = \frac{ص^{٢} - ص}{٢}$$

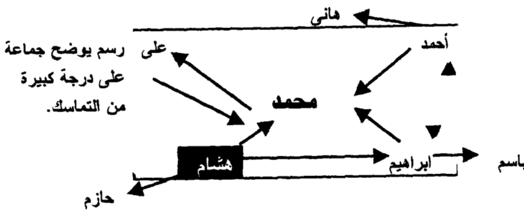
مثال للتدريب على قياس العلاقات الاجتماعية:

إذا افترضنا أن عدد تلاميذ الفصل ٤٠ تلميذا.

$$س = \frac{ص^{٢} - ص}{٢}$$

حيث أن س هى عدد العلاقات المتبادلة، ص عدد الأفراد فى الجماعة.

$$.. \; س = \frac{٢(٤٠) - ٤٠}{٢} = \frac{١٦٠٠ - ٤٠}{٢} = \frac{١٥٦٠}{٢} = ٧٨٠ \text{ علاقة متبادلة}$$



شكل رقم-(٣)

كمثال توضيحى، أنظر إلى الشكل السابق ولاحظ:

(١) تمثل اتجاه (الأسهم) اختيارات الأفراد، من وإلى من يتجه إليهم رأس السهم.

(٢) إن (محمدا) شخص محبوب، الفرد النجم، ذلك لأنه تم اختياره من أعضاء الجماعــــة (على، أحمد، إبراهيم، هشام).

(٣) إن (هشاما) لم يختاره أى شخص من أعضاء الجماعة (منعزل).

(٤) إن هناك تبادل بين كل من محمد وعلى، بين أحمد وإبراهيم.

(٥) لاحظ أن مجموع الاختيارات التى تمت داخل الجماعة ثمانية، أعلى من هؤلاء الذين تم اختيارهم من خارجها، إن هذا يدل على أن هذه الجماعة على درجة عالية وكبيرة من التماسك.

تحديد مكانة كل عضو من أعضاء الجماعة:

يمكن تحديدها بالمعادلة الآتية:

$$\text{مكانة الفرد فى الجماعة} = \frac{\text{مجموع عدد الاختيارات}}{\text{ن} + 1}$$ (١٣: ٤١٢)

حيث ن = عدد أفراد الجماعة

أولاً: مكانة محمد $= \frac{4}{8-1} = \frac{4}{7} = 0.59$ (٠,٥٩)

ثانيا: مكانة أحمد $= \frac{1}{8-1} = \frac{1}{7} = 0.143$ (٠,١٤٣)

ثالثا: مكانة علـى $= \frac{1}{8-1} = \frac{1}{7} = 0.143$ (٠.١٤٣)

رابعا: مكانة إبراهيم $= \frac{2}{8-1} = \frac{2}{7} = 0.285$ (٠.٢٨٥)

أهمية القياس الاجتماعى فى المجال التعليمى والتربوى:

- يعتبر السوسيومترى وسيلة قياس فعالة للطلاب فى مدارسهم، فهو يشير ليس فقط إلى الأفراد الذين يود أن يلعب ويعمل معهم، بل يشير أيضا إلى أنواع التكتلات التى يفترض بالمعلم أن يدخلها فى حسابه اثناء عمله مع طلابه سواء أكان فـى الفصـل أو فـى جماعات النشاط المختلفة.
- وهو يتيح للمعلم فرصة تكوين جماعات عمل مدرسى وفق أسس علمية قائمـة علـى الاختيارات الشخصية وليس على أسس إلزامية.
- ويكشف قياس العلاقات الاجتماعية عن مدى تآلف الاعضاء أو عـن مـدى تنـابذهم وتنافرهم. فكلما كثرت العلاقات المتنابذة نحو القائد أو فيما بيـن الاعضـاء وسـيطر الشعور بالتنافر والحسد وطغت التكتلات الصغيرة المغلقة وكثرت الاختيارات الخارجية، كان هذا دليلا على عدم تماسك الجماعة وعلى سيطرة الفتنـة والانقسـام والمطـامع الشخصية والعكس صحيح أى أنه كلما ظهرت اتصـالات ايجابيـة بقـائد الجماعـة واختيارات متبادلة فيما بين الأفراد وضعفت علاقات النبذ او وجهت نحو الخارج. كـان هذا دليلا على تماسك الجماعة وعلى تآلف الأعضاء.
- ويسمح السوسيومترى أيضا بالتعرف على مراكز التأثير والنفوذ والجاذبية فى جماعات النشاط أى على النجوم، وهم أفراد يحظون بأعلى شعبية فى الاختيار السوسـيومترى فمعرفة هؤلاء الأشخاص ومعرفة الخصائص التى يتمتعـون بـها يسـمح باكتشـاف العناصر القيادية داخل الفصول الدراسية وامكانية صقل هذه العناصر القيادية.
- من الممكن أيضا استعمال السوسيومترى فى المدرسة كمنطلق لمتابعة البحث والدراسة وللمعرفة الاسباب التى جعلت من طالب ما موضع نبذ من قبل رفاقه. أو للوقوف علـى

التغيرات التى تطرأ على الجماعة خلال فترة من الزمن، أى لمعرفة ما إذا كان الطلاب الذين سبق لهم أن اختاروا رفاقا من خارج فصولهم قد أخذوا الآن يهتمون ويتفاعلون ويختارون أصدقاء لهم فى نفس الصف.

- كما أن القياس الاجتماعى يتيح لنا امكانية اكتشاف الطلاب المعزولين والاهتمام بأسباب عزلتهم وفشلهم الاجتماعى بغية دمجهم فى الشلة المدرسية.
- ويفيد القياس الاجتماعى فى توزيع الاطفال فى المدارس الداخلية وفى قاعات النوم فى المعسكرات الصيفية والمخيمات وفى دراسة التجاذب بين الجنسين فى مختلف المستويات الدراسية.
- ويعد أفضل ما قدمه لنا القياس السوسيومترى هو أنه محور انتباهنا حول الصفوف الدراسية حيث هى المكان الذى يفترض أن تنمى فيه العلاقات الاجتماعية فالمدارس ملزمة بتنمية قدرات الاطفال الذهنية لمجابهة المشكلات الاجتماعية والانسانية حيث يستلزم حل مثل هذه المشكلات تنمية الحس العميق بالروابط الانسانية وتقويتها وبالتعاطف المتبادل وعلى احترام الرغبات واكتساب التوازن الانفعالى والتعرف على توقعات الفرد عن نفسه وتوقعات الآخرين عنه. ويتم ذلك عن طريق مقارنة تقديرات الفرد الذاتية المتعلقة بمكانته السوسيومترية فى الجماعة مع مكانته الواقعية، فكلما تباعدت هذه التقديرات، كان هذا دليلا عن نقص قدرة الفرد فى إعطاء تصور صحيح فى موقعه فى جماعة النشاط ولهذا الأمر فائدة علاجية كبيرة لأنه يسمح لكل عضو بمعرفة مدى تقبله مع الأقران وبمعرفة مكانته الفعلية فى الجماعة، وبمعرفة أثر سلوكه فى الآخرين مما يساعده على إصلاح نفسه والانتباه إلى أخطائه وتحسين علاقاته حتى لا ينبذ من الجماعة.
- فالسوسيومترى هو إذن تنقية الوعى والتغيير والتطور، لأن إدراك رغبات الآخرين واحترام حرياتهم فى الاختيار أو فى الرفض ووعى التفضيلات الشخصية التى لا تفرضها نماذج مصطنعة، وقوانين وأحكام ومعايير إلزامية. كل هذا يؤدى إلى إكتسلب حس إنسانى ومرونة فى التصرف ومعرفة صحيحة بالعلاقات الاجتماعية المدرسية وتوثيق الروابط بهدف بناء مجتمع مدرسى متطور لائق ديمقراطى متماسك.

مراجع الفصل الخامس : عربية وأجنبية

(1) Doby. J.I. **Introduction to Social Psychology**. New York. Appelton, Century Rofts. 1966.

(٢) يوسف عبد الفتاح: **مكونات العلاقة بين اتجاهات الأمهات فى التنشئة الاجتماعية** (كما يدركها الأبناء) وبين شخصياتهم (القاهرة) المؤتمر السنوى الخامس لعلم النفس فى مصر، الجمعية المصرية لعلم النفس، ١٩٨٩).

(3) Prontnoff. E.L. **The experience of Loneliness Selected Interpersonal And Experimental Aspects**. Diss, Abs, int.,1939, 2997).

(٤) توفيق مرعى ــ أحمد بلقيس: **الميسر فى علم النفس الاجتماعى** (عمان، الأردن ــ دار الفرقان للطباعة والنشر، ١٩٨٤).

(5) Hargie. O. **A Handbook of Communication Skills** (Ed). London Croom Helm. 1986.

(6) Gilbert. D.G. **A Personality Setting Biosocial Model of Interpersonal Affect and Communication**. (In) D.G. Gilbert & J.J. Connolly (Eds) **Personality, Social Skills and Psyco Pathology, An Individual Differences Approach**. New york, Plenum Press. 1991.

(7) Grahm. H. **Social Skills**. In A. Gellatly (Ed) **The Skilful Mind. An Introduction to Cognitive Psychology**, Milton Keynes. Open University Press. 1986.

(٨) عبد الحليم محمود السيد: **الاشارات الاجتماعية** (فى) عبد الحليم محمود السيد وآخرين: علم النفس الاجتماعى (القاهرة، دار آتون للنشر، ١٩٨٩).

(٩) عبد اللطيف محمد خليفه: **المهارات الاجتماعية وعلاقتها بالقدرات الابداعية وبعض المتغيرات الديموجرافية لدى طلبة الجامعة** (الكويت، حوليات كلية الآداب ــ الحولية السابعة عشر، ١٩٩٧).

(10) Riggio. R. E. **Social Skills Inventory**. New York: Consuling Psychologists Press. 1989.

(11) Man Lin: **The Study of Communication**. Merril Cop., Inc

(١٢) وليم لامبرت وولاس ١- لامبرت: **علم النفس الاجتماعى** (ترجمة) سلوى الملا (القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٩).

(١٣) طريف شوقى: **المهارات الاجتماعية وتوكيد الذات** (فى) عبد الحليم محمود السيد وآخرين علم النفس الاجتماعى (القاهرة، المؤلف، ١٩٨٩).

(14) Shan. A & Wing. L: **Cognitive Impairement Affecting Social Behavior In Autism**. (In) E Schopler & G. B. mesibov (Eds) Social Behavior in Autism. New York. Plenum Press. 1986.

(١٥) شاكر عبد الحميد: **الطفولة والابداع أ** (الكويت، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، سلسلة ١٥، الجزء الثانى، ١٩٨٩).

(١٦) عطوف محمود ياسين: **مدخل فى علم النفس الاجتماعى** (بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٨١).

(17) Krathwohl. D.R. **Taxonomy of Educational Objectives, Affective Domain.** N. Y. David Mckay. 1964.

(١٨) فؤاد أبو حطب ـ أمال صادق: **علم النفس التربوى** (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٠).

(19) Dewey. R. Humber. W.J. **Introduction to Social Psychology**. 1966.

(20) Rapaport. A. Chammah. A. M. **Prisoner's Dilemma, A Study in Conflict and Cooperation, An Aspar** Univ., of Mihigan Press. 1965.

(٢١) عادل أحمد عز الدين الأشول: **علم النفس الاجتماعى مع الاشارة إلى مساهمات علماء الاسلام** (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٧).

(22) Miller. N. **The Effectiveness of Punishment Power in Group Interaction, Sociometry**. 1969.

(٢٣) نبيل السمالوطى: **دراسة حول مجتمع الانسان، البناء والنظم والمشكلات** (القاهرة، كلية البنات جامعة الأزهر، ١٩٧٧).

(٢٤) مختار حمزه: **أسس علم النفس الاجتماعى** (جده، دار البيان العربى، ط٢، ١٩٨٢)

(٢٥) محمد أحمد النابلسى: الاتصال الانسانى وعلم النفس (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩١).

(26) Necomb. T.M. **The Acquaintance Process**. New York. Holt. Rinehart-Winston.1961.

(27) Curran. J.R. **Social Skills 'Methodological issues and Future direction"** (in) A.S. Bellack & Hersen (Eds) Research and Practice in Social Skills training. New York. Phenum Press. 1979.

(٢٨) جمعه سيد يوسف: **سيكولوجية اللغة والمرض العقلى** (الكويت، سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ١٤٥ يناير ١٩٩٠).

(29) Argyle. M. **'Methods of Social Skills Training** (in) M. Argyle (Ed) **Social Skills and Health**. London. Methuen & Co.. ltd.. 1981.

(30) Bales R. S. Interaction process Analysis. Cabridge. Addison-Wesley. 1950.

(٣١) حامد زهران: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧).

(32) Gulley. H.E. **Discusion of Conference and Group Process**. 1968.

(33) Feldman R A. **Interrelationsips Among Three Bases of Group Interaction Sociometry**. 1968.

(٣٤) جميل صليبا: **تاريخ الفلسفة العربية** ط٢ (لبنان، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٣)

(٣٥) **مقدمة ابن خلدون**: المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(36) W.S. Verplanck "**The Control of the Content of Conversation"; Reinforcement of Statements of Opinion.**" Journal of Abnormal and social Psychology. 51 (November 1955) 660-670

(37) M. Cowley "**The miserly Millionaire of Words**" The Reporter. 1957.

(38) C. Heinicke and R. F. Bales: **Developmental Trends in the Structure of small Group Sociometry** 16 (March 1953)

(39) R.F. Bales: **Personality and Interpersonal Behavior** (New York – Hal.. Rinehart and Winston. 1970).

(40) Shaw. M.E. **Changes in Sociometric Choices Following fored Integration of anelentary School Journal of Social Issues.** 1973.

(٤١) مارفن شو: **ديناميات الجماعة** (ترجمة) مصرى حنوه ــ محــى الديــن أحمــد حســين (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦).

(42) Ladd. G W. "**Social Networks of Popular, Average, and Rejected Children in School Settings.**" Merrill Palmer Quarterly. 1983.

(٤٣) اسامه أبو سريع: **الصداقة من منظور علم النفس** (الكويت، سلسلة عالم المعرفــة ــ ١٧٩ نوفمبر ١٩٩٣).

مراجع الفصل السادس : عربية وأجنبية

١. مارفن شو: **ديناميات الجماعة** (ترجمة) مصرى حنوره ومحــى الديــن أحمــد حســين (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦).

٢. عبد الحميد صفوت إبراهيم: **دراسة العوامل الشخصية فى ظاهرة التماسك الاجتماعى** ــ ماجستير غير منشورة ــ آداب عين شمس ١٩٧٧م.

٣. لطفى محمد فطيم: **المدخل إلى علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، المؤلف، ١٩٩١).

٤. فؤاد البهى السيد: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، النهضة العربية، ١٩٨٠).

٥. حامد زهران: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢).

٦. عبد الحميد لطفى: **علم الاجتماع** طه (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣).

٧. عبد الرحمن العيسوى: **نحو علم نفس التنمية** (القاهرة، الهيئة المصرية العامــة للكتــاب، مجلة علم النفس، العدد (٢٠) ديسمبر ١٩٩١).

8 Deutsch. M. **The Effect of Cooperation and Competition upon Group Process** – In Cartwright. D. & Zander. V (Eds) Group dynamics: research Row. 1968.

9 Webb. N **Task Related Verbal Interaction and Mathematics, Learning in Small Groups.** Jor of Research in Math. Edu. Vol 22 N.S. 1991.

10 Hyman. H.H. **The Psychology of Status.** Arch. Psychol. 1942.

11. T L ENGLE & Louis SNELL Grove: **Psychology – Its Principles and Applications.** Seventh Ed. Harcourt Brace Jovanvich Inc.. 1979.

١٢. إبراهيم أبو لغد ــ لويس كامل مليكه: **أثر التدريب فى تغيير الاتجاهات** ــ دراسة تجريبية (القاهرة، مركز التربية الأساسية فى العالم العربى ــ سرس الليان، ١٩٥٩).
١٣. أحمد عبد العزيز سلامه ــ عبد السلام عبد الغفار: **علم النفس الاجتماعى** (القــاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦).
١٤. عبــد المنعــم الحفنــى: **موسوعة علم النفس والتحليل النفسى** (القـــــاهرة، مكتبـــة مدبولى،١٩٧٥).
15. Lewise. D.J. Sientific Principles of Psychology.
١٦. عبد الرحمن العيسوى: **دراسات فى علم النفس الاجتماعى** (بيروت، لبنان، دار النهضـــة العربية، ١٩٨٦).
١٧. أسامه أبو سريع: **ديناميات الجماعة** (فى) عبد الحليم محمود السيد وآخرين (القاهرة، دار أتون للنشر، ١٩٨٩).
18. Berkawitz. L. **A Survey of Social Psychology**. New York. Halt. Rienhart Winston. 1986.
١٩. لويس كامل مليكه: **سيكلوجية الجماعات والقيادة** (القاهرة، النهضة العربية، ١٩٦٣).
20. Cratty. **Social Psychology in Atheletics**. Englewood. Prentice Hall. N.I.1980.
21. Reder. **A dictionary of Psychology**. London: The Peguin Book. 1985.
22. Middlebrook. Patricia Niles: **Social Psychology and Modern Life**. New York· Alfred. A. Knaf. 1974.
٢٣. حسنى أحمد الجبالى: **تكنولوجيا الاتصال** (القاهرة، المؤلف، ١٩٩١).
24. A. Bavelass & Barret "**An Experimental Approach to Organization Communication Personnel**. 27,9 (1951).
٢٥. صالح أبو أصبع: **التواصل فى المؤسسات الاعلامية** (الكويت، مجلة العلوم الاجتماعيـــة ــ العدد الثانى ــ المجلد الثالث عشر، ١٩٨٥).
26. Peter Mears. "**Structuring Communication in wrong Group**" Journal of Communication. 24. 1974.
٢٧. أحمد خيرى حافظ: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، المؤلف، د.ت).
28. Kahn. A. S. **Social psychology** (Ed) Dubuque. WMC Brown. Pup. 1984.
29. Micheal Argyle: **The Social Psychology of Work**. New Edition. Penguin Group. London. 1990.
30. English. H. & English A: **A Comperhensive of Psychogical and Psychoanalytical terms**. New York Longmans. Grean & Co.. 1958.
31. Kiesler & Kisler. S.B. **Conformity**. California Addison. Wesley. 1970.
٣٢. أمين أنور الخولـــــى: **الرياضة والمجتمع** (الكويــت، سلســلة عــالم المعرفــة، (٢١٦)، ديسمبر ١٩٩٦).

33. Groupe. O. et al eds.: **Sport in the Modern World**. N.Y Springer – Verlage, 1973.

٣٤. سيد أحمد عثمان: **علم النفس الاجتماعى التربوى** (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٤).

٣٥. جلين ويلسون: **سيكولوجية فنون الأداء** (ترجمة) شاكر عبد الحميد (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، يونيو ٢٠٠٠).

٣٦. سعد عبد الرحمن: **السلوك الإنسانى** (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧١).

37. Riesman – D. Glazer. J.: **The Meaning of Opinion**. Public Opinion Quarterly. 1948.

٣٨. ناهد رمزى: **المنحى النفسى.. اتجاه جديد فى دراسة الرأى العام** (القاهرة، مجلة دراسات اعلامية (العدد ٦٥) اكتوبر – ديسمبر ١٩٩١).

39. Scord. P.E. & Backman. C.W. & Slauitt P. **Understanding Social Life** New York – MC- Graw – Hill Co.. 1976.

٤٠. فيليب تايلور: **قصف العقول** (ترجمة) سامى خشبه (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ٢٥٦، إبريل ٢٠٠٠).

٤١. حسنى أحمد الجبالى: **أثر التعزيز البديل على التعلم وإكساب القيم التربوية عند الاطفال**، رسالة دكتوراه ١٩٩١ طبع وتداول بين الجامعات المصرية.

42. French. L.R. & Raver. B. **The Bases of Social Power, in Cartwright**. D & Zandeer V. (Ed.) **Group Dynamics: Researched Theory**. New York: Harper & Row 1968.

43. Second. P.E. Backman. C.W. & Slaunt R: **Understanding Social Life**. New York. Mc Graw-Hill Book Co. 1976.

44 Drevers. J. **A. Dictionary of Psychology**. London. Penguin Books. 1953.

45. Zander. V **Group Aspiration**. 1968.

٤٦. سعد جلال: **الطفولة والمراهقة** (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٥).

٤٧. عدلى سليمان: **العمل مع الجماعات بين التنشئة والتنمية** (القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٨٦).

48. Bandura – A & Walters R. **Social Learning and Personality Development**. New York. 1963.

49 Baron. Robert et al: **Social Psychology, Understanding Human Interaction**. Boston. Mass. Allyn & Bacon. Inc.. 1974

50. Zeigler. E.: **Physical Education and Sport**. An Introduction Lea & Fibiger. Philo. 1982.

٥١. محمود فتحى عكاشه: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، المؤلف، ١٩٩٥).

٥٢. ت.أ. انسكو، ج – سكوبلر: **علم النفس الاجتماعى التجريبى** (ترجمة) عبد الحميد صفوت إبراهيم (الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٩٣).

53 Martens. R. **Social Psychology and Physical Activity**. N.Y. Harper Row, 1975.

54. Henchy. T. & Glass. D.C. **Evaluation Apprehension and the Social Faciliation of dominant and Subordinate Responses**. Journal of Personality and Social Psychology. 1968.

٥٥. عبد الستار ابراهيم: **آفاق جديدة فى دراسة الابداع** (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).

٥٦. ميشيل ارجايل: **علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية** (ترجمة) عبد الستار إبراهيم (الكويت، دار العلم، ١٩٧٩).

٥٧. عبد الستار إبراهيم: **الإنسان وعلم النفس** (الكويت، سلسلة عالم المعرفة (٨٦) فبراير، ١٩٨٥).

٥٨. عطوف محمود ياسين: **مدخل فى علم النفس الاجتماعى** (بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٨١).

٥٩. عبد الحليم محمود السيد وآخرون: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، دار آتون للنشر، ١٩٨٩).

مراجع الفصل السابع : عربية وأجنبية

١. غالينا اندرييفا: **السيكولوجية الاجتماعية** (ترجمة) الياس شاهين (موسكو، منشورات دار التقدم، ١٩٨٨).

٢. محمد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع** (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦).

٣. أحمد جمال طاهر: **عمل المرأة فى الوطن العربى، الواقع والآفاق** (الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد (١٤) عدد (٣)، ١٩٨٦).

4. Coakly. Jay. J. **Sport in Society**. Issues and Conbroversies Mosby. Co. S. L 1978.

٥. أمين أنور الخولى: **الرياضة والمجتمع** (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، (٢١٦) ديسمبر، ١٩٩٦)

٦. هدى محمد قناوى: **الطفل تنشئته وحاجاته** (القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٨).

٧. على وطفة: **المظاهر الاغترابية فى الشخصية العربية: بحث فى اشكالية القمع التربوى**، (الكويت، سلسلة عالم الفكر، المجلد (٢٧) العدد (٢) أكتوبر ـ ديسمبر ١٩٩٨).

٨. على علوى شلتوت: **موضوعات جديدة فى التربية من الحضانة إلى الجامعة** (الكويت، دار القلم، ١٩٨٤).

9. Denham. S. **Child Competence and Maternal Emotion Socialization Correlates of Attachement**. American Psychological Association. N Y 1987.

10 Zigler. E and Child. I.I. **Socialization** (in) Glindzey and E. Aronson (Eds.) the Handbook of Social Psychology Wesley Publishing Co. Company. 1969.

11. Howes C. & Hamilton. C.E. **Children's Relationship With Caregivers, Mothers and Child Care Teachers** Child Development. 1992.

١٢. زين العابدين درويـــش: **ظروف التحول فى مجتمع الامارات والتغير فى اتجاهات التنشئة الاجتماعية للأبناء**، البحرين، المؤتمر الإقليمي الخامس للمرأة فى الخليج والجزيرة العربيـــة، وزارة العمل والشئون، ١٩٨٩).

١٣. أحمد كامل الرشيدى: **أبعاد التنشئة الاجتماعية المتصلة بحفظ النسق الثقافى لقبائل العبابدة** (فى) مجلة التربية والتنمية (القاهرة، مركز التنميـــة البشـــرية والمعلومـــات ــ العـــدد (٤) أغسطس، ١٩٩٣).

١٤. مرجريت كودلون دافيـــد: **مقدمة نقدية فى علم الاجتماع** (ترجمـــة) غريـــب ســـيد أحمـــد (الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٢).

١٥. زكى محمد إسماعيل: **أنثروبولوجيا التربية** ط١ (الإسكندرية، الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتاب،١٩٨٠).

١٦. عبد الباسط محمد حســـن: **علم الاجتماع**، الكتـــاب الأول ــ **المدخل** ــ (القـــاهرة، مكتبـــة غريب،١٩٧٧).

17 Talcot Parsons. **Social Structure and Personality**. 2nd Printing. London Macmulan Company, Inc., 1965.

١٨. محمد أحمد خليف الله: **التعلم بين عقلية الاستنساخ ومطالب الفاعلية الحضارية** (الربـــاط، مجلة الوحدة ــ ع ١٤ س ٢، ١٩٨٥).

١٩. حامد زهران: **علم النفس الاجتماعى** ط٤ (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧).

20 Orvil G.. Bmm. **Socialization, Flar Childhood**. N.Y.J. John Willey. Sons. Inc.. 1966

٢١. أحمد حسن عبيـــد: **فلسفة النظام التعليمى وبنية السياسة التربوية** (القـــاهرة، الانجلـــو المصرية، ١٩٧١).

٢٢. الســـيد ياســـين: **الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر**، (بـــيروت، دار التنوير،١٩٨١).

23 Easton David and Dennis. J. **Children in the Political System**. Chicago: The University of Chicago press. 1982.

٢٤. كمال المنوفى: **التنشئة السياسية فى الفقه السياسى المعاصر** (الكويـــت، مجلـــة العلـــوم الاجتماعية، العدد الرابع، ديسمبر ١٩٧٨).

٢٥. فاروق شوقى البوهى ــ محمد حسن المطـــوع: **أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء، كما تدركها الامهات البحرينيات** ــ دراسة ميدانية (فى) مجلة التربية والتنمية (القـــاهرة، مركـــز التنمية البشرية والمعلومات ــ السنة الثانية ــ العدد (٤) أغسطس ١٩٩٣).

26 Baumrind. D. **Parental Disciplinary Patterns and Social Competence in Children**. Youth and Society. 1978.

27. Steinberg. L. Elmen. J.D. & Mounts. N.S. **Authoritative Parenting Psychological Maturity and Academic Success Among Adolescents**. Child Development. 1989.

٢٨. محى الدين أحمد حسين ــ عائشة شرف الدين ــ مرفت شوقى: **أساليب تنشئة الأسر المصرية لفتياتها الجامعيات وعلاقتها بسلوكهن العدوانى واتجاهاتهن التسلطية** (فى) محى الدين أحمد حسن: دراسات فى شخصية المرأة المصرية (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣).

٢٩. محى الدين أحمد حسين: **التنشئة الأسرية والأبناء الصغار** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧).

30 Parson. J.E. et al: **Socialization of Achievement Attitudes and Beliefs: Parental Influnced** – Child Development. 1982.

٣١. عبد الستار ابراهيم: **الإنسان وعلم النفس** (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، فبراير، ١٩٨٥).

٣٢. عبد الستار إبراهيم: **البحوث عن القوة: التسلطية فى الشخصية والمجتمع** (القاهرة، المركز العربى للبحث والنشر والتوزيع، تحت الطبع).

٣٣. كافيه رمضان ــ فيولا الببلاوى: **التنشئة الأسرية وأثرها فى تكوين شخصية الطفل العربى** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة علم النفس ــ العدد ٤ ــ ١٩٨٧).

٣٤. محمد عماد الدين إسماعيل: **الطفل من الحمل إلى الرضاعة** ط١ (الكويت، دار القلم، ١٩٨٩).

35. Rohner. R. P. **The Wormth Dimension: Foundations of Parental Acceptance Rejection Theory**. Sage Publications Galef : Beverly Hills.1986.

٣٦. سيد أحمد عثمان: **علم النفس الاجتماعى التربوى** ــ الجزء الأول **التطبيع الاجتماعى** (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٠).

٣٧. عبد الحليم محمود السيد: **الأسرة وإبداع الابناء** (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠).

٣٨. خلدون حسن النقيب: **المشكل التربوى والثورة الصامتة: دراسة فى سوسيولوجيا الثقافة** (المستقبل العربى، عدد (١٧٤) أغسطس عدد (٨) ــ ١٩٩٣).

٣٩. عطوف محمود ياسين: **مدخل إلى علم النفس الاجتماعى** (بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٨١).

٤٠. سهير فهيم: التعلم (فى) عبد الحليم محمود السيد وآخرون: **علم النفس العام** (القاهرة، مكتبة غريب، ط٣، ١٩٩٠).

٤١. فاروق أحمد مصطفى: **التطبيع الاجتماعى فى الإسلام** (القاهرة، المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين، ١٩٨٧).

٤٢. قدرى حفنى : **لمحات من علم النفس** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة، سبتمبر ٢٠٠٠).

٤٣. محمد بن أحمد الصالح: **مقومات التربية الإسلامية**، المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين، ١٩٨٧).

مراجع الفصل الثامن : عربية وأجنبية

1- Allport. G.W. The Historical Background of modern social psychology. in G. Lendzy and E. Aronson (Eds), Handbook of social psychology. 1968.

٢- سعد عبد الرحمن: **السلوك الإنساني، تحليل وقياس المتغيرات** (القاهرة، ١٩٧١)

٣- زايد عجيز الحارثي: **بناء الاستفتاءات وقياس الاتجاهات**، المملكة العربية السعودية، كلية التربية جامعة أم القرى.

٤- سيد محمد الطواب: الاتجاهات النفسية وكيفية تغييرها (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة علم النفس، العدد (١٥) سبتمبر ١٩٩١).

5- Lott. Albert. J. **Social psychology.** New jersey prentice hall. inc.. 1973.

6- Harber et al: An introduction to psychology. New York. Holt R. 1979.

٧- حامد عبد السلام زهران: **علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤).

8- Oskamp. S. **Attitudes and opinions.** Englewood cliffs. N.S prentice – Halt. 1977

9- Maskowitz. G. **The Attitudes and teaching patterns of cooperating teachers.** (In) Adiman. E.J & Hough. J.B. **Interaction analysis: Theory, research and application.** London. Addison – Wesely Ruub. 1967.

١٠- سعد جلال: **علم النفس الاجتماعي**، القاهرة، ١٩٨٢.

11- Middlebrook. patricia Niles: **Social psychology and modern life.** New York. Alfred A. Knopf. 1974.

12- Bandura. A. **Analysis of modeling processes** (In) A. Bandura (Ed) modling conflicining theories. New York Liber – Atherton. 1974.

١٣- مارسيل بوستيك: **العلاقات التربوية** (ترجمة) محمد بشير النحاس، تونس، المنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم، ١٩٨١.

14- Rodeach. M.. **Beliefs Attitudes and values**: A theory of organization and chames. San Franeisco: Jossey- Bass pub. 1969.

15- Olson. J M & Zanna . M.P. **Attitudes and Beliefs** (in) R M Baran W.G. Crazians & C. stranger (Eds) **Social psychology** Fast worth. Holt. Rinehart & Winston. inxc. 1991.

١٦- عبد اللطيف محمد خليفه ــ عبد المنعم شحاته محمود: **سيكولوجية الاتجاهات** (القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٧٧).

17- Perlman & Cozly: **Social psychology**: New York: Holt. renhart and Winston. 1983.

١٨- عبد الحليم محمود السيد: **علم النفس الاجتماعي والاعلام**، ١٩٧٩.

١٩- سيد محمد الطواب: **الاتجاهات النفسية وكيفية تغييرها**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة علم النفس سبتمبر ١٩٩٠).

20- Wrightsman L.S. **Social psychology** (2nd Ed.), 1977
21- Baron et al: **Social psychology, understanding of Human interaction.** Botton: Allyn and Bacon inc, 1981.
22- Bem, D.J. Belifs, **Attitudes and human affairs**. Belmont calif. Books call, 1970.
٢٣- طلعت حسن عبد الرحيم: **علم النفس الاجتماعى المعاصر ط٢** (القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨١).
٢٤- عبد اللطيف خليفه: **الاتجاهات النفسية وأساليب قياسها** (فى) عبد الحليم محمود السيد، علم النفس الاجتماعى، ١٩٨٩).
25- Rokeach, M. **Some unresolved issues in theories of Beliefs Attitudes and valuues**, univ. of Nebrasko press, 1980.
26- Kretch, D., Crutchfield R.C& Ballachy, E.L. **Individual in Society** N.Y M.C. Graw Hill, 1962.
27- Rosenberg, S. et al: **A multidimensional Approach to the structure of personality impressions**, Journal of personality and social psychology.1968.
28- Aderson, S. M. & Klatzky, R. L. **Traits and social stereotypes levels of categorizations in personal perception.** Jouurnal of personality and social psychology, 1987.
٢٩- لويس كامل مليكه: **سيكولوجية الجماعات والقيادة ط٤** الجزء الأول (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩).
٣٠- لطفى محمد فطيم: **المدخل إلى علم النفس الاجتماعى**، (القاهرة، المؤلف، ١٩٩٢).
٣١- السيد محمد خيرى: **الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية** (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠).
32- David G. Myers. **Social psychology**, 1988.
33- Anastasi, **A. psychological testing** , New York. Pub. Co. Inc.,1968
٣٤- سيد محمد خير الله ــ ممدوح عبد المنعم الكنانى: **التقويم والقياس فى التربية وعلم النفس**، (القاهرة، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع الجامعات المصرية، ١٩٨٧).
٣٥- فؤاد البهى السيد: **علم النفس الاحصائى وقياس العقل البشرى**، (القاهرة، دار الفكر العربى ط٣، ١٩٧٩).
٣٦- أحمد محمد عبد الخالق: **استخبارات الشخصية**، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٩).
37- Oppenbien, A.N **Quuestionnaire design and attitude measuurement** London: Hieneman, 1970.
٣٨- مصطفى سويف: **مقدمة لعلم النفس الاجتماعى**، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٣).
٣٩- صفوت فرج: **التحليل العاملى** (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٠).

40- Selltiz et al: **Research methods in social relation.** U.S.A Halt Rinchart & Winston. 1961.

41- Adorno. T.W et al: **The authoritarian personality**, New York. Harper.1950.

٤٢- السيد محمد خيرى وآخرون: **تغيير الرأى العام وعلاقته بالاتجاه نحو الجريمة** (الرياض، دار النشر بالمركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٨٧)

43- Osgood. C.E et al: **The Measurement of meaning**. urban: univ. of illionis press. 1957.

٤٤- أحمد عطوة: الاتجاهات النفسية (فــى) **علم النفس الاجتماعى، أسسه وتطبيقاته**: زيــن العابدين درويش وآخرون.

٤٥- إبراهيم أبو لغد ــ لويس كامل مليكه: **البحث الاجتماعى**، ١٩٥٩.

٤٦- محمود السيد أبو النيل: **علم النفس الاجتماعى** ــ دراسات عربية وعالمية (بــيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٥).

٤٧- عبد اللطيف خليفه: **المعتقدات والاتجاهات نحو المرض النفسى**، (القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٢).

٤٨- هند سيد طــه: **بعض المتغيرات النفسية الاجتماعية المرتبطة بتدخين السجائر لدى طلاب الثانوية العامة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٤.

49- Inslo. C. A. & Scholopher. J. **Experimental social psychology**. New York. Acadamic press. inc. 1972.

50- Festinger. L. A **Theory of cognitive dissonce**. California. Stanferd University. press. 1957.

51- Mc Gaire. W.: **Attitudes and attitude Grouup** (in) Lindzey & E. Aronson (eds) the handbook of social psychology. vol2. New York Random House. 1985

52- Deaux. K. & Wrightsman: **Social psychology**. California. Books – cole-pub. Co.,1988.

٥٣- عبد المنعم شــحاته محمــود: **أثر النقاش الجماعى فى تطرف أحكام الفرد: الاستقطاب** (الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، ١٩٩٣).

54- Isenberg. D **Grouup polarization: A critical review and meta analysis.** Journal of personality and social psychology. 1986.

55- English. H.B. & English A.C: **A comprehensive dictionary of psychology and psychanaly tical terms**- New York Longmans Green & Co-inc. 1958.

56- Hovland. C.i. Janis. I. Kelley. H.H. **Communication and persuasion.** New havena. yale University press. 1953.

٥٧- غريب عبد الفتاح غريب: **موضوعات مختارة فى علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، المؤلف،١٩٨٦).

58- Hersen. M. & Eisler. R.M. **Behavioral approaches to study and treatment of psycho- genitics- Genetic psychology** 1973.

٥٩- عبد المنعم شحاته: **مكونات الاعلام وآثاره من منظور علم النفس**، (الكويت، مجلة عالم الفكر، أكتوبر ــ ديسمبر ١٩٩٥).

60- Middlebrook. patricia Niles. 1974.

٦١- عبد الستار إبراهيم: **الإنسان وعلم النفس** (الكويت، سلسة عالم المعرفة، فبراير ١٩٨٥).

٦٢- ميشيل ارجايل: **علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية** (ترجمة) عبد الستار إبراهيم، (القاهرة، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤) (والكويت، دار العلم، ١٩٧٩).

63- Lindgren. H.C. **An introduction to social psychology**. New York Wiley.1973.

٦٤- أحمد خيرى حافظ: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، المولف، د.ت).

65- Worchel and Cooper. **Understanding psychology**. Reviced Ed. the dorsey pres. Homewood. 1979.

٦٦- محى الدين أحمد حسين: **فى سيكلوجية الاتجاهات وتعاطى المخدرات** (القاهرة، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، العدد الثانى، ١٩٩١).

٦٧- أبو على بن سينا: **الاشارات والتنبيهات** (تحقيق) سليمان دنيا ج١ (القاهرة، دار إحياء التراث، الجزء الثانى، دار المعارف، ١٩٤٨).

٦٨- أبو اسحاق الشيرازى: **الطب الروحانى**، (القاهرة، مطبعة المقيد، ١٩٧٨).

مراجع الفصل التاسع : عربية وأجنبية

١- سعد مرسى أحمد: **التربية والتقدم** (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٠).

٢- عطيه محمود هنا: **القيم** : دراسة تجريبية مقارنة (القاهرة، المطبعة العلمية، ١٩٥٩).

٣- عبد الحفيظ مقدم: **علاقة القيم الفردية والتنظيمية وتفاعلها مع الاتجاهات والسلوك "دراسة امبيريقية"** (الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، ١٩٩٤).

٤- حسنى أحمد الجبالى: **أثر التعزيز البديل على التعليم وإكساب القيم التربوية عند الأطفال**، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة عين شمس، يناير ١٩٩٢. طبع وتداول.

٥- مصطفى سويف: **مقدمة لعلم النفس الاجتماعى** ط٢ (القاهرة، مكتبة الآنجلو المصرية،١٩٦٦)

٦- عبد اللطيف محمد خليفه: **ارتقاء القيم.دراسة نفسية**، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، أبريل١٩٩٢).

٧- مصطفى سويف: **مقدمة لعلم النفس الاجتماعى** ط٤ (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٣).

٨- محى الدين أحمد حسين: **القيم الخاصة لدى المبدعين** (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١).

9- Eisenberg- N.. **Development of children's prosocial moral judgement** . "Developmental psychology. vol. 15. No. 2. 1979

10- Dennis. W.. **Grouup values through children's drawings** New York: John Willy & Sons. inc. 1966.

١١- محمد إبراهيم كاظم: **تطورات فى قيم الطلبة، دراسة تتبعية لقيم الطلاب من خمس سنوات** (فى) لويس كامل مليكه (محرر) **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية**، الجزء الأول (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥).

١٢- ــــــــــــــ : **بحث القيم السائلة بين الشباب من معلمى المرحلة الابتدائية فى جمهورية مصر العربية** (القاهرة)، تقرير صادر عن وزارة الشباب، الإدارة العامة للبحوث، ١٩٧٠).

١٣- أحمد أحمد عيسى ومصرى حنوره: دراسة حضارية مقارنة لقيم الشباب من طلاب الجامعة الكويتيين والمصريين (الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد ١٥ ــ العدد الأول١٩٨٧).

14- Rokeach. M. **The Natuure of human values.** New York. the free press.1973.

١٥- فوزية دياب: **القيم والعادات الاجتماعية** (القاهرة، دار الكاتب العربى، ١٩٦٦).

١٦- ضياء زاهر: **القيم فى العملية التربوية** (القاهرة، مؤسسة الخليج، ١٩٨٤).

١٧- نجيب اسكندر وآخرون: **قيمنا الاجتماعية وأثرها فى تكوين الشخصية** (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٢).

١٨- عبد الباسط محمد: **بعض مظاهر صراع القيم فى أسر قرية مصرية** (القاهرة، المجلة الاجتماعية القومية، يناير ١٩٧١).

١٩- نادية حليم سليمان: **القيم الاجتماعية وعلاقتها بالاتجاه نحو تنظيم النسل**، (القاهرة، كلية الآداب عين شمس، ١٩٧٠).

٢٠- عصام الدين على هلال: **بناء مقياس لقيم مهنة التعليم لخريجى الكليات المتوسطة بسلطنة عمان قبل تسلمهم أعمالهم** (القاهرة، مجلة كلية التربية طنطا، ١٩٨٧).

21- Schaff, A. La Definition Fonctionnelle De L'ideologie, et Le Probleme de "Lafindu Slencle de L'ideologie" L'homme et la Societe, 1967.

٢٢- السيد ياسين: **تشريح العقل الإسرائيلى**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠).

٢٣- شاكر عبد الحميد: **التفضيل الجمالى: دراسة فى سيكلوجية التذوق الفنى**، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ٢٦٧، مارس ٢٠٠١).

24- William El – Kholy: A Short of Encyclopaedia of Psychology – Psychiatiy – Dar Al Masref, First Edition, 1976.

٢٥- زكى نجيب محمود: **أسباب خلخلة الانتماء**، جريدة الأهرام القاهرية، ١٩٩٢/٦/٢٤ رؤية ثقافية.

٢٦- حسنى الجبالى: **التعلم الاجتماعى وأزمة الإنسان المعاصر** ــ مقال عن الإنسان (القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٩٩).

مراجع الفصل العاشر : عربية وأجنبية

1- Ackman. L. **Leadership us managership.** Lodj .. 1985.

٢- ظريف شوقي: القيادة والسلوك القيادى (فى) زين العـابدين درويـش وآخريـن: **علم النفس الاجتماعى، أسسه، تطبيقاته** (القاهرة، المؤلفون، ١٩٩٣).

3- Wolman. B.W. **Dictionary of behavioral science** New York. 1975.

4- Hollanders. E.P. **Principles and methods of social psychology.** New York.976.

٥- سهيل فهد سلامه: **دوافع الانجاز والنجاح الادارى**، ١٩٨٣.

6- Secord. P.E et al: **Understanding social life.** New York: MC Graw-Hill Book Co.. 1986.

7- Nicholls. J.R. **Congurent leadership.** L.O.D.J.. 1986.

8- Shetty. Y K. **Leadership and organization character** (in) T.T (Merbert) Organizational behavior. New York. Mc.Millan Co. 1981.

9- Mc Call & Suumunons. J. I. **Social psychology: a Sociological approach.** New York. The press 1982.

10- Show. M & Costanzo. P. R. **Theories of social psychology** New York. Mc – Graw- Hill. Book Group. 1970.

١١- غريب عبـد الفتـاح غريـب: **موضوعات مختارة فى علم النفس الاجتماعى** (القـاهرة، المؤلف،١٩٨٦)

١٢- رجاء أحمد عيد: **مشكلة الانضباط الصفى** (القاهرة، مجلة العلوم التربوية، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة، أكتوبر ١٩٩٨).

13- Joseph. Y. Bello: **Basic principles of teaching.** New York. John Wiley & Sons.1981.

١٤- شاكر عبد الحميد: مقدمة المترجم (فى) **العبقرية والابداع والقيادة** (تـأليف) ديـن كيـث سايمنتن. (الكويت، سلسلة عالم المعرفة ــ ١٧٦، أغسطس ١٩٩٣).

١٥- عمر فروخ: **تاريخ الفكر العربى، إلى أيام ابن خلدون** (لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٧٢)

١٦- مصطفى سويف: **مقدمة فى علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٨).

مراجع الفصل الحادى عشر : عربية وأجنبية

١- فؤاد البهى السيد: **علم النفس الاجتماعى** (القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨١).

2- Cook. M. **Interpersonal perception.** Middle Sex Penguin books. 1971.

٣- عبد اللطيف محمد خليفه: **الإدراك الاجتماعي** (فى) عبد الحليم محمود السيد وآخـرون، علـم النفس الاجتماعي ط٢ (القاهرة، دار أتون للنشر، ١٩٨٩).
٤- سعد عبد الرحمن: **السلوك الانساني: تحليل وقياس المتغيرات** (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧١).
٥- أرنوف. ويتيج: **مقدمة فى علم النفس** (ترجمة) عادل عز الدين الاشول وآخرون (القـاهرة، دار ماكجروهيل للنش، ١٩٨٣).
٦- نادر فتحـــى: **محاضرات فى سيكولوجية الظاهرات والسلوكيات الاجتماعية**، (القــاهرة، دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٣).
٧- أنسكو. ج. سكوبلر: **علم النفس الاجتماعي التجريبي** (ترجمة) عبد الحميد صفـــوت ابراهيـم (الرياض ـ جامعة الملك سعود، ١٩٩٣).
٨- قدرى حفنى: **موضوعات فى علم النفس الصناعى لطلاب الخدمة الاجتماعية**، (القاهرة، المؤلـف، ١٩٩٤).
٩- حسنى الجبالى: **التعلم الاجتماعي وأزمة الانسان المعاصر** (القاهرة، المؤلف، ١٩٩٩).
10- Lindgren., T I C. **An introduction to social** psychology. New York. Wiley. 1973.
١١- محمد خليل: **دراسات فى علم النفس** (القاهرة، المؤلف، ١٩٨٥).
١٢- فؤاد البهى السيد: **علم النفس الاجتماعي** (القاهرة، دار الكتاب العربى، ١٩٥٤).
١٣- باسمه المقلا: **قياس العلاقات الاجتماعية وتطبيقاته فى الميدان التربوى** (بيروت، دار الفكر للملايين، ١٩٩٠).

مقدمة

يعرف انجلش وانجلش English & English (١٩٥٨) العلوم الاجتماعية بأنها العلوم التي تعنى بالنظر في موضوع الإنسان من حيث كونه يعيش في علاقة مع غيره من الناس في بيئة اجتماعية، وتخص بالذكر الانتروبولوجيا الاجتماعية، وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي (١) وسوف يكون حديثنا في إطار علم النفس الاجتماعي التطبيقي.

إذا بدأنا بدور علم النفس بعامة، وعلم النفس الاجتماعي بصفة خاصة في تناول القضايا والمشكلات الاجتماعية الملحة (الإدمان ـ التطرف والعنف والبلطجة والإرهاب ـ الصراع وصنع السلام ـ القيم المهزوزة ـ تلوث البيئة ـ المشكلة السكانية). فإننا نقرر أن علم النفس لم يقم بالدور المطلوب منه في هذا الصدد حتى الآن، وهذا ما ينادى به "زيور" في ختام عرضه لدراسته العميقة (أضواء على المجتمع الإسرائيلي)، دراسة في التحليل النفسي والتي قدمها عام ١٩٦٨ ونشرت في مؤلفه (في النفس ـ ١٩٨٣) يقول زيور (.. فإني أهيب بشباب علماء النفس العرب أن ينهضوا إلى مستوى المسئولية، إن عليهم واجبا وطنيا وقوميا وأمامهم رسالة علمية لابد أن يفطنوا إليها، وهى إسهامهم في إجراء البحوث السيكولوجية المتصلة بقضية المصير العربي) (٢) ويؤكد ذلك "قدري حفني" في مستهل عرضه لدراسته العميقة "الشخصية الإسرائيلية" في علم النفس حيث يتعرض لآراء علماء النفس في أزمة علم النفس المتمثلة في عدم التصدي للمشكلات الاجتماعية الملحة.. فنجده يقول:

(.. وإذا كان "كولمان" قد أبرز تحاشى العلوم الإنسانية التصدي للمشكلات الاجتماعية الملحة في العالم المعاصر، .. أما عالم النفس الأمريكي "فيورشتاين" فإنه لا يقف بالقضية عند حدود إحجام علم النفس عن التصدي للمشكلات الاجتماعية المعاصرة، بل إنه يصل إلى حد الاتهام الصريح بقوله: "يكفى أن يتحدث المرء إلى مناضل زنجي من أبناء الجيتو، أو إلى طالب ثائر.. أو إلى أحد الرافضين لأداء الخدمة العسكرية، لكي تتضح له ضآلة ما قدمه علم النفس لتلك القطاعات الكبيرة من أبناء امتنا.

ويتساءل كاتب هذه السطور عما قدمه علماء النفس من دراسات متعمقة لتلك المعضلة ألا وهى "قبول شعب إبادة غيره" جدير بعلماء النفس، الحديث عن الأسباب الواضحة والخفية كذلك عن تلك الظروف التي تحيل أمة كاملة إلى حالة من التوحش كما هو الحال في يوغوسلافيا ورمز لهذه الدولة "العدواني حتى النخاع ـ الجزار ميلوسوفيتشى" الذي يدرك تماما أن السياسة المناسبة هي التي تتمتع بتأييد الأغلبية، ألا يمكن أن نسميها الديمقراطية العدوانية ضد البوسنة والهرسك وكوسوفا. إن الشخصية كالبنيان، تبنى طبقة فوق طبقة وتتركز طبقاتها العليا على طبقاتها السفلي. ألم يبادر أحد علماء نفس الشخصية في القيام بدراسة متعمقة "للظاهرة الميلوسوفيتشية" من حيث القومية الفاشية ـ الدلالة النفسية لتأييد الرمز وتقليده وتمثله.

ترى أين كانت جهود علماء علم النفس والعنصرية والتطهير العرقي يتفشى في البلقان قبل قرار حلف الأطلنطي بضرب يوغوسلافيا وأثناءه وفيما بعد توقف الحلفاء لغاراته.

ترى ما طبيعة الدور الذي لعبه علم النفس وعلمائه عن الآثار النفسية التي لحقت بألبان كوسوفا "شيوخ وأطفال ونساء وعجزة" من جراء الحقد الصربي على هذا الشعب المسلم وعلى هذا الإقليم ومن قبله سراييفو..

إن علماء علم النفس لا يحتلون مكانة بارزة بين قادة التحرك من أجل تقوية ودعم النضال ضد تفشى الظلم الاجتماعي والتطهير العرقي. ويطالعنا "قدري حفني" بالأصول التاريخية وراء ابتعاد دور علم النفس ـ أحيانا ـ عن مهمته وموضوعه الأصلي ـ مشكلات المجتمع ـ مرجعا تلك الأصول إلى عام ١٨٧٩ وهو العام الذي افتتح فيه "فونت" معمله. فبدلا من أن ينتقل عالم النفس إلى الإنسان تاريخيا وواقعيا، فإن "فونت" نقل إليه الإنسان في معمل وبدلا من أن ينهل علم النفس من دراسة العمل الإنساني، أصبح سنده الأساسي هو المعمل التجريبي، وشتان بين هذا وذاك.

صحيح أن دراسة الإنسان في المعمل أمر ضروري لابد منه وأنها تمثل خطوة للأمام لاشك في ذلك، ولكن في أي اتجاه؟ لقد ابتعد علم النفس عن مهمته الأصلية وهى دراسة الشعور الإنساني واصطنع لنفسه مهمة جديدة هي دراسة السلوك الإنساني. (٣)

ولنا بعد عرض أراء لفيف من أقطاب علم النفس في مصر، وعلم النفس الأمريكي الخروج بعلم النفس من البوزرة الضيقة في دراسة الشعور والسلوك إلى دائرة أوسع تشمل كافة الظاهرات النفسية والاجتماعية والسياسية التي يدور العالم اليوم في فلكها. نريد علما نفسيا اجتماعيا يبحث في قضايا المجتمع الدولي المعاصر ـ قضايا الهيمنة الأمريكية ـ حرب البلقان ـ آثار حرب الخليج على الوطن العربي بعامة وشعب العراق خاصة ـ الصراع الاجتماعي ـ العولمة ـ الإرهاب كظاهرة عالمية ـ القيادات الفاشية وتمسك الشعوب بها.

ويبدو أنه قد بدأت الخطوات الأولى على هذا الدرب في أن تصور علماء النفس الاجتماعيين يوصى بالاتجاه نحو مزيد من الارتباط بينه وبين قضايا المجتمع الدولي المعاصر مثلما فعل "مورتون دويتش Morton Deutsch في عرضه لموضوع "الصراع وصنع السلام Application conflict and peace making وكما أشار أيضا Richard A. Lippa في مؤلفه مقدمة لعلم النفس الاجتماعي عن موضوع السلوك الاجتماعي والصراع اليوغوسلافي ـ ١٩٩٤ (٤:١-٧).

إن العلم الذي ليس له سند من الواقع لا خير فيه،وما أعنيه هنا بالواقع أن يكون العلم تطبيقيا بوصفه ضرورة اجتماعية ونفسية أيضا بمعنى أن يكون نابعا من حاجة اجتماعية وأن تعود نتائجه لخدمة المجتمع أيضا.

إن المقصود بالمشكلات النفسية الاجتماعية والتي سنتعرض لبعض منها في هذا الجزء التطبيقي من المؤلف هي تلك المشكلات (المعضلات) التي تشمل جماعة من الأفراد يؤثرون

ويتأثرون بها، بحيث تؤدى إلى إعاقة أو تهديد مسار التقدم الاجتماعي والتنمية وبحيث تكون جذور هذه المشكلة أو مسبباتها، ترجع ولو بشكل جزئي إلى قرارات يتخذها الفرد (حاكم أو محكوم، قائد أو تابع) بشأن حياته وسلوكه اليومي وتؤثر عليه وعلى الآخرين.

إن علم النفس بأوسع معانيه هو اتجاه أو طريقة فى التفكير وفى التصرف حيال مشكلات إنسانية. ويستطيع عالم النفس المعاصر أن يردد كلمات تيرنس التى مضت عليها قرون عديدة. "إننى إنسان إجتماعى بطبعة: وليس ثمة شئ ذا طابع إنسانى يتم فى وسط اجتماعى استطيع أن أكون لا مباليا حياله" ليس ثمة شئ إنسانى يمكن أن يبدو غريبا أو مغتربا فى نظر ذلك الإنساني: عالم النفس الاجتماعى الحديث.

المشكلة الاجتماعية وخصائصها

أولاً: تعريف المشكلة الاجتماعية: يذهب **Poplin** في تعريفه للمشكلة الاجتماعية إلى أنها:

"نمط من السلوك يشكل تهديدا للجماعات والمؤسسات التي يتكون منها المجتمع"(٥:٤-٧) يتضمن هذا التعريف ثلاثة عناصر أساسية ــ تشكل مفهوم المشكلة الاجتماعية وهى:

(١) نمط من السلوك:

يواجه أفراد المجتمع العديد من المشكلات ليست جميعها مشكلات اجتماعية، فعلى سبيل المثال فإن الزلازل والأعاصير والنيازك ليست مشكلات اجتماعية، فعلى الرغم من تدميرها للحياة أو الممتلكات إلا أنها لا تدخل في نطاق الأفعال الناتجة عن التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، "مثلما هو الحادث الآن في حرب البلقان بين الصرب وأحد الأقاليم التي تبغي الانفصال عنه "كوسوفا" أو مثلما حدث من قبل بين الصرب وإقليم سراييفو أو ما حدث بين العراق وجارتها وشقيقتها الكويت العربيتان من رغبة الأولى في ابتلاع الثانية وهما ضمن المجتمع العربي" ففي حالة الزلازل والأعاصير لا يمكن الحد أو القضاء عليها بتغيير سلوك أفراد المجتمع أو المجتمعات. فالمشكلة لكي تكون مشكلة اجتماعية لابد أن تتضمن نمطا من السلوك قابل للتدخل الإنساني. ولكن يجب أن نلاحظ ــ على أية حال ــ أن الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والأعاصير يمكن أن تؤدى إلى خلق مشكلات اجتماعية. فعلى سبيل المثال تزداد معدلات السلب والسطو والزنا خلال الزلازل والأعاصير مثلها في ذلك مثل ما حدث في حرب البلقان من الصرب ضد الأقاليم المناضلة التي سعت والأخرى التي تسعى إلى الانفصال عن يوغوسلافيا كذلك كان حال العراق ضد شقيقتها الكويت المتضررة والتي كان الهدف ابتلاعها وضمها للعراق.

(٢) يشكل تهديدا:

كل مجتمع من المجتمعات لديه من القواعد التي تحرم بعض الأفعال. هذه القواعد هي ما يطلق عليها المعايير الاجتماعية، هكذا هو الحال كذلك في المجتمع الدولي باعتبار العالم أصبح قرية صغيرة. وبالتالي فالمشكلة الاجتماعية تمثل ــ بدرجة ما ــ تهديدا للمجتمع أو

إحدى جماعاته أو مؤسساته. فالتطهير العرقي لالبان كوسوفا المسلمين تمثل مشكلة دولية تؤدى إلى انهيار البناء الاجتماعي العالمي.

(٣) المجتمع:

لم يحدث أن عانى مجتمع من المجتمعات من مشكلة اجتماعية خطيرة هددت استمراريته بسبب إصابة عدد من أفراده بالمرض العقلي، ولكن على العكس من ذلك يعانى المجتمع من مشكلة اجتماعية حادة عندما يدمن بعض أفراده على المخدرات أو الكحوليات. فإدمان المخدرات أو الكحوليات يعد مشكلة اجتماعية لأنه نمط من السلوك مكلف إلى حد كبير سواء بالنسبة لأفراد المجتمع أو جماعاته أو تنظيماته.

فعلى سبيل المثال فإن إدمان المخدرات أو الكحوليات يعد مشكلة اجتماعية خطيرة ومكلفة نظرا لما يترتب عليها – في مجال العمل مثلا – من ارتفاع معدلات غياب العمال المدمنين، هذا فضلا عما يؤدى إليه إدمان الكحوليات من حوادث للمرور.

ويطرح Poplin سؤالا هاما حول من الذي يحدد المشكلة الاجتماعية لباقي أفراد المجتمع؟

يرى Poplin أن الإجابة تتأثر بعدة عوامل وبالتالي ليس هناك فرد أو جماعة بعينها تلعب الدور الأساسي في تحديد المشكلة الاجتماعية، فأحيانا يحدد المشكلة الاجتماعية هؤلاء الذين يتأثرون بها مباشرة ويعانون منها بصورة قوية، وأحيانا يلعب العلماء الدور الأساسي في تحديد المشكلة الاجتماعية. وقد تلعب الحكومة دورا رئيسيا في تحديد المشكلة الاجتماعية.

ويرى Fuller and Myers أن المشكلة الاجتماعية هي حالة يحددها عدد معقول من الأفراد على أنها انحراف عن المعايير الاجتماعية التي يرتبطون ويتمسكون بها. وتتميز المشكلة الاجتماعية بأنها ذات حالة موضوعية، وتعريف ذاتي.

أما الحالة الموضوعية فهو موقف يمكن إثباته أو التحقق منه. ويتم اختبار هذا الموقف بواسطة ملاحظين مدربين ومؤهلين لذلك. أما التعريف الذاتي فهو اهتمام مجموعة من أفراد المجتمع بالمشكلة باعتبارها تمثل تهديدا لقيمهم. (٦: ٣٢٠-٣٢٨) فالمشكلة الاجتماعية داخل المجتمع تعبر عن التباين بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون، بين القيم المرغوبة والسوية الصحيحة والقيم المهزوزة داخل هذا المجتمع نتيجة تغير المثاليات الاجتماعية.

ولقد ورد في أحد التقارير الفنية الصادرة عن لجان الخبراء في بحوث تعاطى المخدرات التابعة لهيئة الصحة العالمية التعريف الآتي لمفهوم المشكلة:

يمكن تعريف المشكلة بأنها "أية ظاهرة تعتبرها إحدى مؤسسات المجتمع (كالأسرة أو القانون أو المؤسسة الطبية مثلا) مصدر ضرر يقع في الحاضر أو في المستقبل للفرد أو المجتمع(٧: ١٥٨-١٥٩).

وثمة تعريف آخر للمشكلة يأخذ في الاعتبار تكوينها الداخلي أكثر من الارتكاز على سياقها المجتمعي، وبناء على هذا التعريف تكون المشكلة هي أي موقف ينطوي على تضارب بين مكوناته. ومن المؤكد أن التعاطي مشكلة بحسب هذا التعريف، لأن فعل التعاطي يولد نتيجتين متعارضتين في وقت معا، إحداهما المتعة أو الراحة المباشرة، والثانية هي القدر من الضرر (وبالتالي المعاناة النفسية والبدنية ثم الاجتماعية) الذي يترتب أيضا على هذا التعاطي. ويلاحظ أن التعريفيين لا يتعارضان ولكنهما يكمل بعضهما الآخر، فالأول كما قلنا ينظر في الظاهرة من حيث السياق الذي يحيط بها ويكون شرط وجودها، والثاني يتناول الظاهرة من حيث بنيتها الداخلية، ولنا أن نجمع بين التعريفيين في منظومة عقلية واحدة حيث ينظر التعريف الأول إلى المشكلة من الخارج، بينما ينظر فيها التعريف الثاني من الداخل. وسوف نلتزم في معالجتنا للظواهر المرضية الأخرى التطرف والعنف والإرهاب وتلوث البيئة والقيم المهزوزة بالتعريفيين في آن معا.

ثانيا: خصائص المشكلة الاجتماعية:

تتميز المشكلة الاجتماعية في طبيعتها وأنواعها والظروف والعوامل التي تشكلها بخصائص ومميزات خاصة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١-المشكلة الاجتماعية تتميز بخاصية عدم الاتزان وهى التي تتمثل في وجود شعور بعدم الارتياح والرضى نحو وضع معين ليس في موضعه الصحيح أو الشعور بوجود وضع خطأ يحتاج إلى تصحيح.

٢-والخاصية الثانية وهى تشتق من الأولى ــ والتي تتسم بما تسببه من مظاهر نفسية وشعور بمظاهر القلق وسوء التوافق وما يترتب عليه من ضغوط نفسية اجتماعية.

٣-المشكلة الاجتماعية تتميز بأنها تمثل كل اهتمام أفراد المجتمع ومؤسساته وتنظيماته، لأنها تمس حياة الأفراد وتمس حياة المجتمع كله. ومن هنا نجد أن المشكلة الواحدة تمثل اهتمام المسئولين من رجال السياسة، ورجال الفكر والتربية وعلماء النفس، ورجال الأعلام والفنانين. فلكل منهم رؤية وموقف ورأى، يؤثر بطريقة أو بأخرى في المشاركة في الحل لهذه المشكلة أو التعبير عنها.

٤-المشكلة الاجتماعية تتميز بالصعوبة النسبية لقياس وضبط والتحكم والتنبؤ في متغيراتها، لأنها تنصب على الإنسان الفرد وعلى المجتمع في آن واحد، وكلاهما سريع التغير من لحظة لأخرى.

٥-والمشكلة الاجتماعية لا تعمل منفصلة عن المشكلات الاجتماعية الأخرى، وإنما ترتبط بها وتتفاعل معها، تؤثر فيها وتتأثر بها. لهذا فإن أهم ما يميز المشكلة الاجتماعية هي الترابط والتلازم بالمشكلات الأخرى.

٦-للمشكلة الاجتماعية الواحدة أبعاد مختلفة (تاريخي ــ جغرافي ــ مكاني ــ قانوني ــ اقتصادي ــ اجتماعي ــ ثقافي ــ تربوي ــ نفسي) تؤثر في مظاهرها ودرجة تأثيرها ومدى أولويتها (٨:٣٣-٣٥).

والحقيقة أن الظاهرة الاجتماعية تتصف بالتعقيد الشديد وتشترك فيها مجموعة من العوامل لكل منها دور في إحداث الظاهرة. ففي ظاهرة الإجرام مثلا هناك عوامل اقتصادية كالفقر، وعوامل تتعلق بالقيم السائدة كالشرف والثأر، وعوامل عضوية وراثية كوجود اختلال معين في الغدد، وعوامل تتعلق بالبيئة والتربية. ومعنى ذلك أن الإنسان، بحق، هو ابن البيئة والوراثة معا، ونتيجة محصلة للتفاعل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية ذلك لأن البيئة تؤثر في الوراثة وتتأثر بها. فالوراثة أشبه بالسعة الوعائية والعوامل البيئية أشبه بمحتوى هذا الوعاء، الأمر الذي لا يفيد معه اللجوء إلى فكرة السببية الواحدة. ولهذا يلجأ الباحث إلى فكرة الارتباط الإحصائي لتحديد نسبة كل عامل من العوامل في إحداث هذه الظاهرة، فنقول أن نسبة (أو معامل) ارتباط العوامل الوراثية بارتكاب الجرائم هي كذا.. ومن مزايا هذه الطريقة أنها تمكننا من تعليل الظواهر شديدة التعقيد، وخاصة تلك التي تحدث في مجال العلوم الإنسانية، حيث تتعدد عوامل الظاهرة الواحدة وتتشابك على نحو يستحيل فيه استخدام علاقة السببية المباشرة. كما أن من مزاياها أنها تتيح المقارنة، بطريقة رقمية دقيقة، بين هذا العوامل، بحيث نستخلص مثلا أن العوامل المكتسبة أقوى تأثيرا من ظاهرة الإجرام من العوامل الوراثية (٩: ٤٤-٤٥)، ذلك يوجب علينا أنه مهما كان أثر العوامل البيئية صغيرا فإننا لابد وأن نتمسك به ونحرص عليه ونسعى لتحسينه وتطويره، لأنه العامل الوحيد الذي نستطيع أن نعد له ونطوره ومن خلال تحسينه نستطيع أن نتصدى للظاهرة المرضية أما الوراثة فإن تغييرها أمر صعب نسبيا. وبهذه الوسيلة يمكن التعرف على حقيقة الدور الفاعل لكل عامل استنادا إلى الأرقام وليس استنادا إلى أحاسيس الباحث وقدرته على النفاذ إلى المشاعر.

لكل هذه الأشكالات التي صاحبت التفسير الواحد للظاهرة الاجتماعية انتهى التطور العلمي في التفكير إلى استخدام كل النظريات في التفسير أو ما يعرف باسم "سلة النظريات" بدلا من الاكتفاء بنظرية واحدة (١٠:٩-١٠).

وجدير بنا فى هذا الصدد المناداة بتكامل العلوم الاجتماعية فى دراسة الظواهر المرضية البيئية، لأن كلا منها على حدة يمثل جزيرة منعزلة، فتحليل الظاهرة الاجتماعية من منظور أحادى يمثل قصورا راهنا كبيرا. فلنا أن نتصور وجود أكثر من مصمم هندسى وأكثر من ملاحظ مبانى وأكثر من مجموعة عمال وكل منهم يبنى (على حده) وعلى قطعة الأرض نفسها المبنى نفسه، وأقصد بهذا "المبنى" التعامل مع الظاهرة الاجتماعية. ولنا هنا أن نتصور مثل هذا "المبنى" الناتج عن جهود كل مجموعات العمل والذى تشيد أجزاؤه بهذه الطريقة.. بالقطع سيكون مبنى (أفضل الظروف) لن تعرف له مدخلا من مخرج ولن يكون صالحا للإقامة والانتفاع به على النحو المطلوب. ومن ثم فإن مدخلى للاسهام فى التصدى لهذه الظواهر المرضية لابد أن يكون على هذا النهج.

ويحضرني هنا العبارة البليغة التي وردت في خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك الذي ألقاه أمام الجلسة الافتتاحية لقمة الدار البيضاء حيث وضع يده على نقطة جوهرية باتت تحكم هذا العصر، عندما قال:

"يجب أن نسلم بحقيقة أساسية تسيطر على شتى جوانب النشاط الإنساني – وتحكم حركة التاريخ إلى حد كبير. وهى أن تنوع الآراء، وتعدد الاتجاهات هما من الضروريات التي لا مفر منها ولا غنى عنها لصلاح المجتمعات والحضارات والأوطان".

الفصل الثانى عشر
الصراع وصنع السلام. دراسة نفسية اجتماعية
Conflict and Peacemaking
خطة الفصل المنهجية

- مدخل
- الصراع وصنع السلام
- الصراع Conflict
  - المعضلات الاجتماعية Social Dilemmas
  - معضلات معملية Laboratory Dilemmas
  - حل المعضلات الاجتماعية Resolving Social Dilemmas
  - المنافسة Competition
  - إدراك الظلم Perceived Injustice
  - معضلات عصرية Up-to- date Dilemmas
  - خطأ الإدراك Misperception
  - إدراك صورة المرآة Mirror – Image Perceptions
  - وهم البقعة السوداء The Black Top Illusion
  - الإدراك المتغير Shifting Perceptions
- صنع السلام Peacemaking
  - الاتصال Contact
  - هل عدم العزل يحسن الاتجاهات السلالية؟

Does Desegreation Improve Racical Attituudes?

  - متى يحسن عدم العزل للاتجاهات السلالية (العرقية)؟

When does Desegreation Improve Racial Attitudes?

  - التعاون Cooperation
  - التهديدات الخارجية المشتركة Common External Threats
  - الاهداف الفرعية Super Ordinate Goals
  - التعليم التعاونى Cooperative Learning
  - الاتصالات Communication
  - المساومة Bargaining
  - الوساطة Mediation
  - التسوية (الوفاق) Conciliation
- النظام العالمى الجديد وصنع السلام
- التلخيص
- خاتمة Summing Up

مقـدمة

كى تكون صانعا سلاما لابد أن تكون شخصا مسالما، أما إذا كنت تفتخر بالصراع وتشتهر بإثارة الخلاف فأنت لا تصلح لصنع السلام.

الحرب والسلام هما صنيعتان مختلفتان لصراع ما.. أو لحسم هذا الصراع بين طرفين أو أكثر. ولعل المقصود بالصراع هنا هو تلك العملية الاجتماعية أو الموقف الذى يحاول فيه اثنان أو أكثر من الجماعات الاجتماعية أن يحقق كلا منهم أغراضه وأهدافه ومصالحه.. ومنع الطرف الآخر من تحقيق ذلك (١). لأنه فى الصراع يفهم كل طرف الموضوع من وجهة نظره الخاصة ولا يضع اعتبارا لوجهة النظر الأخرى. ويعرفه محمد عاطف غيث بأنه كفاح حول القيم والسعى من أجل المكانة والقوة والموارد النادرة، حيث يهدف الأضداد إلى تحييد أعدائهم والقضاء عليهم(٢:٨٢). أما وجه الاختلاف بين الصيغتين فيتمثل فى طبيعة الأداة المستخدمة فى هذا الصراع فالحرب تتخذ من السلاح والمواجهة العسكرية سبيلا للمواجهة بين الطرفين يحاول كلا منهما أن يحسم الصراع لصالحه باستخدام القوة على حساب الطرف الآخر بينما يتخذ السلام من المفاوضات والحوار (على مائدة المفاوضات) سبيلا لحسم الصراع.. وتكون النتيجة فى الأغلب لصالح الطرفين.. طالما أنه يتوفر قدر من التكافؤ فى القوة بين الأطراف فى العدة والنفوذ السياسى والقدرة على إدارة الحوار.

وثمة فرق بين السلام بهذا المعنى المتكافئ والذى يستتبعه فى الأغلب حسم للصراع بشكل عادل يرضى كلا الطرفين، وبين الاستسلام الذى يتخذ من سياسة فرض الأمر الواقع.. من خلال شروط مسبقة يضعها الطرف الأقوى ويفرضها على الطرف الضعيف، ومن خلال سياسة الكيل بمكيالين من قبل الدولة الكبرى راعية السلام (الولايات المتحدة الأمريكية) بين العرب وإسرائيل. فهناك عقوبات مفروضة على كل من العراق (بسبب غزوها للكويت) وليبيا (بسبب قضية لوكيربى) دون فرض عقوبات على إسرائيل (لضربها المفاعل النووى العراقى ـ حرق المسجد الأقصى ـ تغيير معالم القدس الشريف ـ اجتياح جنوب لبنان قبل الانسحاب منه فرارا من المقاومة..الخ) وهذا هو النظام العالمى الجديد.

لقد رأى "برتراند راسل" الفيلسوف البريطانى أن السلام العالمى لن يتحقق إلا بحرية الشعوب، وليس باستعمارها لذلك هاجم سياسة بلاده الإستعمارية وندد برغبة أمريكا فى السيطرة على العالم، وقد أقام محكمة رمزية للسلام العالمى، تولى فيها مع زملائه الفلاسفة محاكمة من أسماهم بـ "مجرمى الحرب" وهم رؤساء وقادة الدول الذين يهددون بإعلان الحرب، ويثيرون الرعب بين الشعوب. أما "جان بول سارتر" فقد ربط الدعوة للسلام بفلسفته فى الدعوة للحرية الفردية. لأن السلام هو الحرية وكان أول ثائر على فرنسا، وعارض حربها الاستعمارية فى الجزائر على الخصوص. وكانت جهوده مع زملائه الفلاسفة والمفكرين من العوامل الأساسية التى أجبرت فرنسا على منح الاستقلال والحرية للجزائر. إن مصطلح "عملية السلام" **Peace Process** يعنى عملية معقدة متصلة لا تكتمل إلا بالوصول إلى الهدف منها، باعتبارها سلسلة من الأفعال والتفاعلات تماما مثل الحرب، فأنت تحدد الهدف أولا، ثم تضع استراتيجية الوصول إليه بالوسائل والادوات التى تستخدم

فى حالة الحرب. وجدير بالذكر هنا أنه رغم أن هدف السلام هو تحقيق أهداف يرضى عنها الطرفين إلا أن ذلك لا يعنى بالضرورة رضا الطرفين عن بعضهما. ولعل هذا ما يعبر عنه "قدرى حفنى" عند تناوله لقضية مفهوم السلام الهجومى حيث يقول: "إن الحوار أيا كان نوعه لا يعنى بالضرورة اعترافا أو تسليما بالوضع الراهن للطرف الآخر، بل يعنى على العكس سعيا لتغيير هذا الوضع"(٣). ومن هذا يتأكد أنه إذا كان السلام هدف فى حد ذاته فى بعض الأحيان، فإنه فى أحيان أخرى صورة من صور الصراع وليس نهاية له. وإن ما يميز هذه الصورة أنها تتخذ من الصراع الفكرى سبيلا، بعكس ما يتم فى حالة الحرب حيث يتغلب طابع الصراع العسكرى المسلح على تفكير الطرفين.

وقد يظن البعض أن صناعة السلام أمر سهل وميسور فهى من سمات الحضارة، وشيم الأخلاق الراقية، ولكن العبرة ليست بالشعارات وحسن الكلمات وإلقاء الخطب فى المناسبات والمجاملات، بل إن الاختبار الحقيقى لقدرتنا على صناعة السلام إنما نجدها فى معمل الحياة اليومية ويظهر فى الإحتكاكات الحقيقية مع من حولنا ومع الذين يختلفون معنا فى الرأى والفكر والذين لا يتقبلون ما نقول أو نفعل، بل ومع من يقاومون بشدة ما نزعم أننا على حق فيه (الأرض مقابل السلام.. حالة الصراع العربى الإسرائيلى) والسلام مع إسرائيل مثله مثل الحرب هو عملية صراع، مادامت عملية السلام هى تحرك يأخذ وقته، تجرى فيه مفاوضات. ومساومات، وضغوط، وخطوة للأمام وأخرى إلى الخلف. فالجانب الإسرائيلى يفهم عملية السلام على أنها صراع عملية السلام وبالتالى فهو لن يعطى الجانب العربى شيئا من حقوقه المقررة فى مرجعية مدريد/ ١٩٩١ إلا من خلال المراوغة والضغوط على أساس جنى ثمار لعبة سياسية "أكسب.. إخسر". وهنا تثبت معان السلام الذى نصنعه والقوة التى نقاوم بها أعداء السلام .. وهى إن إنتفاضة الأقصى مستمرة فإسرائيل لا تفهم إلا لغة القوة.. ولا تقتنع بالسلام إلا بقدر خسائرها البشرية فى أعمال العنف الذى يهز أمن الشارع الإسرائيلى الذى يقدس رؤساء الوزراء الأكثر عدوانية ضد العرب رغبة فى حصولهم على الأمن فإذا حدث العكس أعيد الشارع الإسرائيلى إلى صوابه وأفرز مولودا جديدا يبحث عن السلام من أجلهم.

الصراع وصنع السلام (٤:٥٧٠-٦٠٦)

إذا كنا بصدد دراسة سلوك الإنسان الحي، فإننا يجب ألا نرصد الواقع في حد ذاته. وإنما نرصد الواقع كما يدركه الإنسان ويتأثر به، أي أن رقعة الدراسة الحقيقية ليست الواقع وإنما التفاعل الإنساني معه.

قد يحدث جفاف مدمر **Desbuction Drain** فى الإمكانيات البشرية **Human Potential** ، وقد يحدث ما يحفز البشر على التنمية **Growth**، هكذا يكون الصراع – الصراع بين الأفراد **Individuals** ، بين الجماعات **Groups**، بين الأمم **Nations** – أنظر الأمثلة التالية على كل منها:

- **بين الأفراد:**

محمد ورفيقه **roommate** فى الغرفة لا يتحدثان معا إلا نادرا فيما عدا بعض العبارات العابرة **a few snide allusions** مثل:

'أين وضعت جوربى؟ ما هى الموسيقى الصاخبة Distracting Muusic' فكلاهما يخلد إلى الصمت فى ركنه. ويسود الصمت بينهما، وكلما ساد الصمت كلما أحس محمد بالعداء نحو زميله، وكذلك يشعر الآخر، إلى أين ينتهى بهما الأمر؟ هل يفترقان؟ هل يتوصلان إلى نوع من التفاهم يعيد الصداقة بينهما؟

- **بين الجماعات:**

العاملون فى أحد المصانع مضربون عن العمل بسبب ضعف الأجور وقلة الأرباح وهم مصرون على عدم استئناف العمل دون زيادة كبيرة في أجورهم. موقف الشركة: بالنظر إلى انقطاعكم الكبير عن العمل وقلة الإنتاجية فنحن لا نستطيع تلبية مطالبكم.. أين ينتهى الصراع؟ هل يؤدى الإضراب بالشركة إلى الإفلاس وبالعمال إلى فقد وظائفهم؟ هل يمكن تغيير هذه العلاقة بين الموظف وصاحب العمل بحيث تزيد الإنتاجية وتزيد أرباح صاحب العمل، وترتفع أجور العاملين؟

- **بين الأمم:**

معضلة قبول شعب إبادة غيره!!

القومية المتطرفة .. التعصب .. الدفاع عن النفس

عندما نتحدث عن تلك المعضلة 'قبول شعب إبادة غيره' يجدر بنا الحديث عن تلك الظروف التى تحيل أمة كاملة إلى حالة من التوحش ورمز لهذه الدولة تماما أن السياسة المناسبة هى التى تتمتع بتأييد الأغلبية. ولنا أن نرصد ثلاثة ظروف على الأقل.

الظرف الأول: القومية المتطرفة (الحالة الفاشية) وهى تلك الحالة العقلية التى يقبل فيها مجتمع بأسره التسليم لقالب وحيد للتفكير وطريقة واحدة لإعمال النظر فى أحوالة الاجتماعية والسياسية، وخاصة فى مجال علاقاته الخارجية. هذه الواحدية أو التجانسية الكاملة فى طراز التفكير ونتائجه لابد أن تفقد هذا المجتمع القدرة على مراجعة أفكاره أو أستنتاجاته، وأن تستبعد عن عقلة الجماعي كل إمكانية لبحث بدائل لمساراته أو حتى مجرد الشك فى يقينية إجاباته على الأسئلة الحائرة. فروسيا التى طالما إنتظر البعض عودتها إلى الساحة لكى تعدل الميزان الدولى المختل بعد إنتهاء الحرب الباردة، عادت بالفعل وبقوة شديدة، ولكن لصالح بلجراد التى كانت تقوم فى ذات الوقت بعمليات التطهير العرقى والإبادة الجماعية فى كوسوفا. والأهم من ذلك أن العراق التى تعانى من الحصار سارعت إلى تحية الرئيس ميلوسوفيتش من أخيه صدام حسين لأنه توافق كثيرا مع أخيه فى النضال ودعت صحيفة الثورة الناطقة باسم حزب البعث العراقى إلى تكوين جبهة عربية صربية لمقاومة الامبريالية وسحق أهل كوسوفا ونهب ممتلكاتهم واغتصاب الاعراض كما حدث تماما مع الكويت وقد نجح الاثنان بامتياز فى بعث الضمير العالمى ليتحمل تبعاته وينهض بمسئولياته فى مواجهة الخارجان عن الشرعية، ثم أن واحدية طرز التفكير وقوامها قد تدفع إلى الظرف الثانى.

والسؤال الذي يلح بنفسه علينا ونحن نتحدث عن اغتصاب الأعراض. ألا يوجد نص قانوني لحماية وصون كرامة المرأة أثناء الحرب؟ إن جميع الأديان طالبت بحماية المرأة وصون كرامتها. أما اللجنة الدولية للصليب الأحمر فقد أعلنت أن جرائم الاغتصاب أو أى

اعتداء جنسي تعد جرائم حرب بمقتضى أنها تعتبر معاملة غير إنسانية وتسبب الآلام للصحة العامة للمواطنين، ولذلك أدرجت ضمن جرائم الحرب. النص القانوني موجود ولكن ما أسباب انتهاك هذه القوانين ــ العبرة بالتطبيق وباحترام القاعدة القانونية (الآن ميلوسوفيتشي تم إلقاء القبض عليه في فجر الأحد ٢٠٠١/١/٤ من قبل الشرطة الصربية متهما بالفساد وسوء استخدام السلطة واختلاس بضع مئات من ملايين الدولارات ومن المنتظر أن يقدم إلى محكمة مجرمي الحرب الدولية في لاهاى لأنه مجرم حرب أما شارون فلا لأنه رئيس وزراء إسرائيل وهى الطفل المدلل لولايات المتحدة الأمريكية).

الظرف الثاني: التعصب الذى يفرضه التجانس الاجبارى فى أسلوب التفكير، ويوجهه إلى عدو أو خصم بعينه يجعله أصل كل شر أو إيذاء. والواقع أن المجتمع الصربى قد واجه وأدار كل الصراعات التى ترافقت مع تفكك يوغوسلافيا بكثير من القسوة التى اعتبرها هو نفسه "بطولة" ولا ندرى إن كان أحد قد سأل هؤلاء جميعا عن رأيهم فى المذابح ضد الألبان (ومن قبلها ضد البوسنة والهرسك) أم لا. ولكن من المؤكد أنهم سيبررون هذه المجازر كمجرد حالة "دفاع عن النفس" وهذا هو الظرف الثالث.

الظرف الثالث: الدفاع عن النفس: إن الديماجوجين من المثقفين والفنانين والسياسيين يعتدون على عقولنا. إنهم يحاولون جعل الأكاذيب تبدو صادقة والإجرام يبدو جديرا بالإحترام .."جورج أورويل"...

إن كل الجرائم الكبرى في التاريخ قد بررت "جماعيا" و"نفسيا" و"فكريا" على السواء، كحالة دفاع عن النفس. ونادرا ما يصور حتى أشد المجرمين خبثا وخبلا أعمالهم الدموية كنوع من العدوان والمناخ الفكرى والنفسى الذى ترتكب فيه جرائمهم حتى نجد أنها تميزت بسيادة قدر هائل من الخوف وعدم الأمان.

إن ثقافة الخوف وعدم الأمان هى التى تجعل كل الجرائم الآثمة والأشد إيلاما للنفس البشرية مجرد دفاع عن النفس (حالة إسرائيل). وتخطئ إسرائيل حينما تتصور أن تشديد الحصار علي الفلسطينيين واتباع سياسة القتل والقمع فى حق الأبرياء سوف يساعدانها علي تأمين المستوطنين اليهود والمنشآت الإسرائيلية، فلقد تصاعدت حدة الصراع، وانتقل التوتر إلى داخل إسرائيل وفى عاصمتها تل أبيب وفى نتانيا، وأصبح الإسرائيليون فى عهد شارون (الذى يتفق مع بن جوريون فى عديد من السمات منها المراوغة والالتواء والخداع والكذب) فى حالة رعب مستمر أصعب بكثير مما حدث فى عهد باراك أو أخيه في المماطلة نيتنياهو، حيث لم يعد أحد في إسرائيل يشعر بالأمن في أي مكان يذهب إليه. ومن الطريف أنه فى حالة الصرب ومأساة البوسنة والهرسك، وكوسوسوفا وغيرها، كان الشعور الطاغى والمشترك منذ نهاية الثمانينات هو نوع من "الإستهداف" أى الاعتقاد بأن الغرب وأمريكا بالذات تستهدف ضرب الصرب وتقويض استقلالهم والطعن فى مكانتهم وسرقة أرضهم.

وقد تولد عن عقيدة الاستهداف هذه حالة نفسية فكرية أصبح فيها كل شئ جائزا على سبيل الدفاع عن النفس، بما فى ذلك جرائم الإبادة والتطهير العرقى وإجبار البشر على أكل لحم ليس أخيه ميتا، بل إبنه ميتا، كما حدث مع السيدة الألبانية التى أجبروها على أكل لحم إبنها بعد أن نحروه أمامها بعد خيارها بأكل لحمه وإلا قتلوا الثلاث الأخرين. إذا كان

ميلوسوفيتش جزارا فإنه قد نجح كرمز لأبناء شعبه مسئول عن جرائم التطـــهير العرقـــى والإبادة الجماعية، وهو ما اعتبره أغلبية شعب الصرب رمزا للبطولة إلا أنه قد خلق نمطـا من الأفراد يمكن أن يطلق عليه ملكى أكثر من الملك.

هناك خطاب نُقل بلغات عديدة على لسان قادة عدد من الدول وهو يســير علـــى هــذا النحو: إن اتجاهات بلدنا اتجاهات سليمة ولكننا على علم بما يــدور حولنـــا مـــن أحــداث وبالتهديدات التى تشكلها لنا الأمم الأخرى بما تملك من أسلحة. ومن ثم فنحن مخطئـون إذا لم نتخذ الخطوات اللازمة لزيادة قدراتنا الدفاعية وهكذا نحمى أسلوبنا فى الحياة ونحـــافظ على السلام "L.F. Richardson 1969" وكل الدول تقريبا تزعم أنـــها تريــد الســـلام وتسيئ الظن بالدول الأخرى وتسلح نفسها. والنتيجة: أن العالم فيه جندى واحد مقابل كـــل ٢٥٠ نسمه، وطبيب واحد مقابل كل ٣٧٠٠ نسمة؛ عالم ينفق كل تسع ساعات على السلاح ما ينفق فى العالم كله على الأمم المتحدة.

وكما تشير هذه الأمثلة فإن الصراع يختلف. فهو يشتد حينا ويضعف حينا آخر، ويكون خفيا فى بعض الأحيان صريحا فى أحيان أخرى ومع هذا الإختلاف فيمكن القول بكل تـــأكيد أنه أذا اجتمع الناس معا فى أى وقت وتأثرت مصالحهم فإن الصراع بينهم لابد أن يحـــدث كرد فعل طبيعى ــ ويمكن ردع الصراع. ولكن ما لم يكـــن هنـــاك توافـــق فـــى الحاجـــات والرغبات فلابد أن يحدث الصدام. إن العلاقة أو التعامل الذى لا يولد الصــــراع إنمـــا هـــى علاقة مريضة فليس الصراع شرا بالضرورة ــ إنه يحفز اهتمامات النـــــاس ومشـــاركتهم وأهدافهم، وإذا فهم الناس طبيعة الصراع، فيمكنهم أن يحسنوا علاقاتهم ببعض بغير نـــزاع ويواجهوا مشاكلهم ويحلوها.

"We ... are not the creators of tension, we merely bring to the surface the hidden tension that is already alive. We bring it out in the open, where it can be seen and dealt with" Martin Luther King.

"إننا لا نخلق التوترات.. ولكننا نرفع إلى السطح هذه التوتـــرات الموجـــودة فعـــلا.. ونخرجها إلى النور بحيث نراها ونتعامل معها. (مارتن لوثر كنج).

ولتوضيح هذه الأقوال: الصراع هو إدراك عدم التكافؤ بين أفعال أو أهداف **Conflict: A perceived incompatibility of actions or goals**. وسواء كان الإدراك صحيحا أم خاطئا فالناس يعرفون أن ما يكسبه طرف يخسره الطرف الآخر "أنا لا أحب سماع هـــذه الموسيقى" "وأنا أحب سماعها" "نحن نريد رفع أجورنا" "نحن لا نستطيع أن نعطيكم" "نحـــن نريد السلام والأمان" "ونحن نريد ذلك ولكنكم تهددوننا".

أما السلام فى أجلى وأسمى معانيه فهو أكثر من مجرد إخماد الصراع الصريح، هـــو أكثر من مجرد السكون السطحى الهش. إن السلام يأتى نتيجة التعامل مع الصراع بطريقـــة خلاقة. ونتيجة العمل على التوفيق بين الاختلافات والرغبات ثم الوصول إلى اتفاق راسـخ. "نحن نحصل على الزيادة فى أجورنا وانتم تحصلون على زيادة الإنتاجية والأرباح" فنحـــن نساعد بعضنا لنبلغ أهدافنا. نحن نحصل على كل شبر من أراضينا المحتلة وأنتم تحصلـــون على الأمن. أن يكون الهدف هو التفاعل الإيجابى والعادل بين الشعوب بما يحقق مصالحها

ويؤدى إلى رخائها. فالسلام لا يعنى الاستسلام أو التفريط فى الحقوق، لكنه يعنى تطبيق الأساليب السلمية والتمسك بالمقاومة السلبية. إن جوهر ثقافة السلام هو تعليم الناس إدارة تناقضاتها فى إطار سلمى أو على أن يتصارعوا مع بعضهم البعض بشكل سلمى.

ولكن ما الذى يذكى Kindles الصراع (أو يشعله)؟ وما هى الخطوات التى تحول الأسلحة المشرعة إلى أيدى مفتوحة للمصافحة؟ إن الدراسات النفسية/ الاجتماعية قد استطاعت أن تتبين عدة عوامل تؤدى إلى الصراع. والغريب فى هذا أن هذه العوامل شائعة فى كل الصراعات الاجتماعية؛ سواء منها ما كان بين الأفراد أو بين الجماعات أو الصراعات الدولية.

◆ **الصراع Conflict**

الصراع ليس معناه القتال لأن الأخير جزء منه. والغرض من الصراع هو الوصول إلى اتفاق فى آخر الأمر باستخدام "لغة" معروفة واللغة لها "لهجاتها" المتعددة، فالحوار بالكلمة حول مائدة المفاوضات "لهجة" فإذا أغلقت الطرق وأصبح الحوار بين "طرشان" تغيرت اللهجة وانتقلت إلى ميادين القتال باستخدام الحجارة والطائرات والدبابات، وهذه لهجة أخرى. ومثالنا (الصراع العربي الإسرائيلي) فقد أوصل "إيهودباراك" مفاوضات الحل النهائي إلى طريق مسدود بسبب تمسكه بلاءاته الخمسة:

- لا عودة لحدود ١٩٦٧
- لا للدولة الفلسطينية.
- لا تنازل عن القدس الشرقية
- لا للتفريط فى المستوطنات
- لا لعودة اللاجئين

وبمساعدة اللولى اليهودي الأمريكي المكون من "دينيس روس مبعوث الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط ومادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية" استطاع تأكيد لاءاته الخمسة طوال فترة رئاسته للوزارة الإسرائيلية.

ثم جاء من بعده رئيسا لوزراء إسرائيل ارئيل شارون "وجهان لعملة واحدة" وأكد فى أول تصريح له بعد فوزه على إيهود باراك باعتبار القدس العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل. وجدير بنا أن نزيح الستار عن موقف حزب العمل الإسرائيلى فهو يشارك حكومة الليكود فى "لاءاتها الخمسة الشهيرة"

والكلام والقتال لا يمكن أن يستمر إلى مالا نهاية ـ وتصبح لغة الصراع كلام.. قتال للوصول إلى موقف سياسي يرضي عنه الأطراف رضاءا ناقصا يحقق الأغراض الناقصة تضمن وثيقة يوقع عليها الأطراف في نهاية الأمر. وهو كفاح حول القيم والسعى من أجل المكانة والقوة والموارد النادرة، حيث يهدف الاضداد إلى تحييد اعدائهم أو القضاء عليهم. وللصراع درجات فهو يبدأ بالخلاف ثم يتحول الخلاف إلى نزاع حتى يصل إلى حد الاشتباك. فالحرب أولها كلام أي أن الاقتتال أوله نزاع.

- **الخلاف**: عندما يختلف الأفراد أو الجماعات فى وجهات نظر معينة تتعلق بشئونهم الفردية أو الاجتماعية مثل الخلاف بين الزوجين على طريقة تربية الأبناء أو الخلاف بين الدول على الحدود.
- **النزاع**: فإذا اشتدت حدة الخلاف في الآراء وأسفرت عن توجيه التهم واستخدام الشتائم والتهديد على المستوى الفردى أو على مستوى الدولة (أجهزة الإعلام) سمى نزاعا.

- **الاشتباك:** فقد يختلف فردان في الرأي فيتنازعان فيضرب أحدهما الآخر.

ويقع الصراع فى الأصناف الآتية:

(١) **الصراع الشخصي:** عندما يكره شخصان أحدهما الآخر، وقد يكون لهذه الكراهية سبب واضح وقد لا يكون، إذ أن هناك من الأشخاص من يكره شخصا آخر لمجرد النظرة الأولى، وقد تنقلب هذه الكراهية إلى صراع يظهر تدريجيا على شكل إدعاءات أو تبادل الشتائم والتهديد، وقد تنتهي بالاشتباك الجسمى فى بعض الحالات.

(٢) **الصراع السياسي:** ويبدو فى مظهرين أولهما قومى فى داخل المجتمع الواحد وثانيهما دولى بين مجتمع وآخر أو دولة وأخرى، ويمكن أن نمثل للنوع الأول بما يحدث فى بعض الأحيان بين الأحزاب السياسية، ويبدو فيما يتبادل أعضاء الأحزاب المتصارعة من قذف وشتائم، أو فيما يستخدمونه من العنف والاشتباكات الجسمية أو مهاجمة أماكن الاجتماعات، أما المظهر الدولى للصراع فيبدو واضحا فيما تتبادله الدول المتصارعة من اتهامات وتهديد ونقد لسياسة الدولة الأخرى وقد يكون كل هذا تمهيدا إلى اعمق صور الصراع بينها، حينما تعلن احداها الحرب على الأخرى.. وكما يحدث على الساحة الدولية حيث التهديد الأمريكى لسيادة العراق وليبيا والسودان وأحكام الحصار على هذه الدول بخلق مبررات لا يقبلها المنطق أو العقل أو العدل أو حقوق الإنسان التى تنادى بها فى حين إنها تترك إسرائيل تصول وتجول بالمنطقة متحدية بسفور كل القوانين الدولية. وإذا أدانت الأمم المتحدة تصرفات إسرائيل الإجرامية مع الفلسطينيين العزل أو طلبت حمايتهم من حرب غير متكافئة هددت أمريكا باستخدام حق النقض "الفيتو".

(٣) **الصراع الطبقي:** ويظهر هذا الصراع فى المجتمع الواحد كما قد يظهر على نطاق دولى وهو يأتى فى العادة نتيجة لشعور إحدى الجماعات بإنها أرقى من الأخرى، ومحاولة السيطرة عليها لتحقيق مصلحة معينة قد تكون نفوذا اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا ومن أشهر الأمثلة على هذا الشكل من الصراع الصراع بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة.

(٤) **الصراع الديني:** هو شكل من أشكال الصراع عرفته المجتمعات الانسانية منذ أقدم عصورها ولا تزال تعرفه حتى اليوم ومن اقدم أشكاله ما عرفته مصر الفرعونية بين عبادة أمون وعبادة أتون فى عهد امنحتب الرابع، ومن ابرز اشكال الصراع الدينى ما عرف بالحروب الصليبية بين المسيحيين والمسلمين.. وما تلمسه على الساحة الدولية من الصراع فى البوسنة والهرسك والمذابح الجماعية للمسلمين فى كوسوفو وكذلك الهند بحجة القضاء على الزحف الأخضر كما يسمونه.

(٥) **الصراع الجنسي:** ونلمس هذا الشكل من الصراع بصورة واضحة فيما يحدث بين حين وآخر بين السود والبيض فى الولايات المتحدة الأمريكية.

(٦) **الصراع الثقافي:** صراع عقلى عند مجموعة أفراد تنتمى إلى ثقافتين مختلفتين، مثال القروى الذى يعيش ثقافة المدينة ولا يزال يحمل رواسب ثقافية من مجتمعه.

وللصراع آثار سيئه فهو:

-يزيد من المرارة والقسوة والضعف.

الجزء الثالث

علم النفس الاجتماعي التطبيقي

* الفصل الثاني عشر

الصراع وصنع السلام

-يؤدى إلى إراقة الدماء والدمار.
-يؤدى إلى التوتر داخل الجماعة.
-يمزق أواصر التعاون.
-يصرف الأفراد والدول عن الاهتمام بالأهداف والخطط التنموية.

والصراع كصنف من أصناف التفاعل يمثل مظهرا قائما بشكل مستمر في العلاقات الإنسانية، وهو قد يحسم أو يسوي عندما يتوصل الأفراد إلى اتفاق حول الأهداف ولكنه ينشأ ثانية بسبب الاختلاف حول الوسائل الموصلة إلى تلك الأهداف. وقد يتساءل البعض لماذا يكون الصراع في شكلية الكلي والجزئي مظهرا مستمرا فى المجتمع البشري على الرغم من أنه يمثل اتجاها يرفضه معظم الناس وينتقدونه. ويتصل الجواب عن هذا السؤال بعدد من الأشياء. فالمجتمع الإنساني هو ليس حالة متسمة بالرتابة والتماسك أو التلاحم المطلق بل إنه يتسم بتماسك ناقص ولا يعتمد هذا التماسك على أساس بيولوجي (Biological Level) أو حيوي وإنما يكون أساسه عقليا أو فكريا. ويعمل المجتمع على ابقاء تماسكه وتكامله فى حالة من التجديد بوسائل نفسية متعددة أبرزها التلقين أو التوجيه العقيدى (Indoctrination) والإيحاء والتكرار. ولا يتهيأ للمجتمع دعم تماسكه إلا إذا اشترك سكانه بأهداف عامة تتجاوز مصالحهم الشخصية إلى النفع العام. ولا يخفي أن هذه الأهداف المشتركة لا تنبع من الطبيعة البيولوجية للبشر، بل من الاتصال اللغوي والفكري المستمر بينهم في المجتمع الواحد، الأمر الذي يفسر لنا ما بين هذه الأهداف من اختلاف وتباين في المجتمعات المختلفة نتيجة لاختلافاتها الحضارية أو الثقافية.

إن أبرز أشكال الصراع هو النموذج الذي ينشأ عن المواقف السلبية التي يقفها الأفراد من أنماط السلوك الغريبة السائدة في المجتمعات الأخرى، ويطلق على هذا النموذج بالتعصب العرقي. إن رفض العادات المختلفة السائدة في المجتمعات الأخرى كان ولا يزال أحد أسباب العداء والصراع بين الجماعات الإنسانية ذات الثقافات المختلفة.

ويتعدى الصراع المجتمعات المتباعدة جغرافيا والمتباينة ثقافيا إلى الجماعات داخل المجتمع الواحد عندما تقوى عوامل تضامنها المقطعي على حساب عوامل تضامنها الاجتماعي الأوسع الهادف لتقوية الوحدة الوطنية.

ولا ننسي أن الجماعات البشرية تسعي دائما إلى إزالة أسباب الصراع في صفوفها بقدر ما تستطيع. ولا شك أن هناك وسائل اجتماعية محددة تسهم في تلطيف حدة الصراع. ومن أبرز هذه الوسائل ممارسة النكتة والفكاهة (٥ : ٩٠-١٠٤) باعتبارها تقلل من التوتر في العلاقات وتجنب بلوغ نقطة العنف.

ومن الوسائل الاجتماعية الأخرى التي تخفف من الصراع أو النزاع هي المسافة الاجتماعية أو تجنب الاتصال. أما الأسلوب الآخر فيتضمن تكوين عاطفة تتركز على تحقيق هدف التلاؤم والانسجام بدلا من التركيز علي المصالح الجزئية الخاصة بالجماعات المتنازعة. أما الأسلوب الأخر فيعتمد على خلق الأجواء المؤدية إلى المنافسات البناءة التي تستحدث لتحويل الاتجاهات العدائية بين الجماعات المتصارعة من اتجاد العنف إلى التباري المشروع في مجالات نافعة كالرياضة والعلوم والفنون (٥ : ١٤٣-١٤٤).

وهناك عدة أساليب لحل الصراعات نجمل أهمها:

(أ) إصرار الفرد على تحقيق هدفه والقضاء على غريمه.

(ب) اتفاق الغرمان على حل وسط.

(ج) الإنسحاب من الموقف وتناسى الصراع.

(د) تجميد الموقف على ما هو عليه (٦:٤٢٧).

سوف نفحص ــ أولاً ــ عددا من مكونات Ingredients الصراع، ونحن بهذا ــ نضع فى اعتبارنا أن علم النفس الاجتماعى يقدم لنا منظورا واحدا حول الصراع الاجتماعى الهام. مثلا: إن الصراع الدولى ــ أيضا ــ ينشأ عن اختلاف التاريخ، والايديولوجيات، والاقتصاد وهذه جميعا تمت دراستها دراسة جيدة بواسطة علماء السياسة. أما وقد تعرفنا على بعض العناصر الهامة للصراع فيمكننا أن نتدبر الطرق التى تمهد إلى السلام. We can then ponder ways to promote peace

◆ المعضلات الاجتماعية Social Dilemmas

إن العديد من المشكلات التى تهدد Threaten مستقبل البشرية مثل: الإرهاب Terrorism، سباق التسلح النووى The nuclear arms race، التلوث Pollution، زيادة السكان Over Population، واستنزاف الموارد الطبيعية Depletion of natural resouurces، هذه المشكلات تنشئ عن رغبة كل طرف من الأطراف حماية وتحقيق مصالحه، ولكن هذا للأسف يؤدى إلى خسارة المجتمع وقد يقال: "إن شراء موانع التلوث Expensive Pollution Control يكلف كثيرا، هذا صحيح ولكن نسبة التلوث عندى ضعيفة" وربما يقول الآخرون مثل هذا القول والنتيجة هواء ملوث وماء ملوث. وهناك مجتمعات تستفيد من زيادة النسل لمساعدة الأسرة فى كسب عيشها ولكن اذا حدثت زيادة النسل فى كل مكان فإن النتيجة زيادة مدمرة فى عدد السكان، وإذن فلدينا مشكلة ملحة: كيف يمكن أن نوفق بين رخاء الفرد ورخاء المجتمع؟

إننا الآن نستطيع أن ندمر الاتحاد السوفيتى ١٦ مرة وهم يستطيعون تدميرنا ٩ مرات فهل نحن بحاجة إلى أن نجعلها ١٧، ١٠ مرات؟ عضو مجلس الشيوخ الأمريكي:

بول سيمون(١٩٨٠)

"Right now we can destroy the soviet Union about 16 times and they can destroy us about nine times. Do we really need to increase it to 17 and 10?" U.S. Senater Paul Simon (1980).

◆ مشكلات معملية Laboratory Dilemmas

علماء النفس الاجتماعيين يستخدمون الألعاب المعملية فى عزل هذه المشكلة، وكذلك الألعاب التى تكشف قلب الكثير من الصراعات الاجتماعية ــ وهذا يبين لنا كيف أن الكثيرين من ذوى النوايا الطيبة ينساقون إلى سلوك مدمر على نحو مشترك (متبادل) Mutually destructive, behavior إنهم يضيئون بعض الجوانب الممتعة لكنها تسبب مشكلات مستعصية للوجود البشرى إليك هذه الأمثلة من أكثر نماذج التفاعل الاستراتيجي شيوعا Models of strategic interaction .

إن نماذج التفاعل الاستراتيجي يتم التركيز من خلالها علـــى تحديـد الاســتراتيجيات التفاوضية لتعظيم المنافع وتقليل الخسائر لطرف ما.

♦ **معضلة السجين The Prisoner's Dilemma**

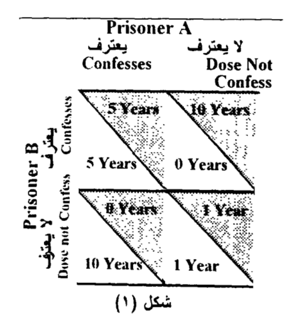
إن أول الألعاب وأوسعها إنتشارا كان مستمدا من قصة تتعلق باثنين مــن المتــهمين Suspects (مشبوهان أو مشكوك فى أمرهما) يجرى استجواب كـل منـهما علـى حـدة بواسطة ممثل النيابة إنهما مذنبان فعلا ولكن ممثل النيابة لديه الدليل فقط على إنهما ارتكبا جنحة بسيطة ومن ثم فإن ممثل النيابة يهيئ لكل منهما أن يعترف على حدة ويقول لـو أن أحدهما اعترف فإنه سوف يمنح حصانة وأن إعترافه سوف يستخدم لإدانة الآخـر بـأعلى تهمة. وإذا اعترفا معا ـ فإن كل منهما سوف يحكم عليه بعقوبة متوسطة على جنحة أقل. وإذا لم يعترف أى منهما فسوف يعاقب كل منهما معاقبة خفيفة والمعضلة التى تواجه كـلا منهما يمكن تمثيلها بالمصفوفة التالية (شكل ١)

فإذا واجهتك مثل هذه المعضلة هل كنت تعترف؟

شكل (١) معضلة السجين

فى كل صندوق، الرقم أعلى الخط المـائل هـو حصيلة السجين A. إذا اعترف السجينان حصل كل منهما على خمس سنوات، وإذا لم يعـترف أى منهما يحصل كل منهما على سنة واحدة، إذا اعترف أحدهما يطلق سراحه كشاهد على إدانـة الآخر.

إذا كنت واحد منهما، هل تعترف؟

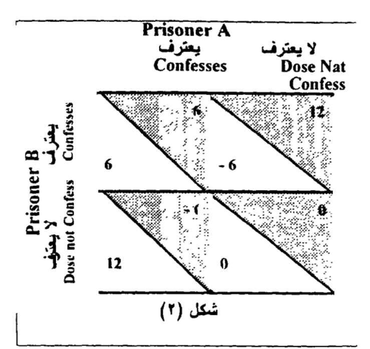


شكل (١)

مصفوفة السجينين

الكثيرون قد يعترفون على الرغم من أن اعتراف الاثنين قد يوقع عليهما عقوبة أشـد مما لو لم يعترفا هما الاثنان. ويلاحظ من المصفوفة أنه مهما كان قرار السجين الآخر فـلن من الأفضل لأى منهما أن يعترف ـ وإذا اعترف الآخر فإن الواحد منهما يحكم عليه بعقوبة متوسطة بدلا من عقوبة شديدة، وإذا لم يعترف الآخر فإن الأول سوف يطلـق سـراحه ـ وكل مسجون سوف يفكر على هذا النحو ومن هنا تتكون المعضلة. ويشير "ديفيد مـايرز" إلى أنه قد تكرر إجراء هذه التجربة مئات المرات على طلبة الجامعات مع تغيير الموقـف فبدلا من السجن هناك نقود أو نقاط، وكما يبين (الشكل ٢) فإن أى قرار يتخـذه الشـخص

فهو فى وضع أفضل إذا لم يتعاون، ومع ذلك فإن لم يتعاون الطرفان معا فإن كـلا منـهما ينتهى إلى وضع أسوأ مما لو وثق الطرفان فى بعضهما وتعاونا.



شكل (٢)

مثل هذه المعضلة تؤدى إلى الحيرة الشديدة ــ وتجعل كلا مـن السـجينين يـدرك أن بإمكانه أن يستفيد، لكن عدم الثقة ببعضهما ــ يجعلهما لا يتعاونان.

ومن هنـا علـى حـد تعبـير "Kathleen Archibald" (٨،٧: ٤٠-٤١) فـإن استراتيجيات المتهمين ستتجه فى الغالب إلى الاعتراف بارتكاب الجريمة على الرغم من أن هذا الاعتراف من كليهما سيتسبب لكل منهما في قضاء خمس سنوات فى السجن، (كما فـى ثانيا) وهو الأمر غير المرغوب فيه نسبيا، ولكنه من الناحية العملية أفضل الاختيارات لأنه يتيح أكبر قدر من الامان المفتقد، ففي هذه الحالة يعترف كل منهما ويمضيان خمس سنوات في السجن، بدلا من أن يضع أحدهما ثقته فى الآخر بعدم الاعتراف لكي يكون الناتج لكليهما سنة واحدة فقط (وهذا ما قد يسمى بعقلانية الأمان).

إننا أإذا ما قمنا بتأمل هذه المعضلة فسنجدها تتركز حول موضوع الثقة فى الآخر وإلى أي مدى يمكن ذلك، فالمعضلة هنا شبيهة إذن بما قدمه البـاحث **Archibald** تحـت مـا أسماه بمعضلة الثقة والتعاون **Trust & Co-operation Dilemma**.

وفى مثل هذه المواقف فإن عدم ضبط عواطفه والسعى وراء المنفعة الشخصية يمكـن أن يؤدى إلى ضرر الجميع، وهكذا الموقف بين الولايات المتحدة والاتحـاد السـوفيتى. إن المراقب من كوكب آخر يرى أن "سياسة التدمير المؤكد" تؤدى إلى الجنـون كمـا يقـول إيزنهاور: إن كل بندقية تصنع، وكل سفينة، وكل صاروخ يطلق يعنى فى نهاية الأمر سرقة من الجانعين العراة. هذا العالم المدجج بالسلاح لا يعنى استنزاف المال فقط، إنه يسلب مـن العاملين سعادتهم ومن العلماء عبقرياتهم ومن الأطفال آمالهم.. إن هذا ليس أسلوب حيـاة أبدا.. وفى ظل هذا التهديد بالحرب تصلب البشرية على صليب من الحديد".

وقد يكون صحيحا أن المحافظة على "توازن من الرعب" قد يمنع من نشوب الحـــرب، إذا ما ظنت إحدى الدول إنها تستطيع الاستفادة من ضعف الدولة الأخرى. ولكن المؤكـــد أن شعوب كلا من الدولتين سوف يكونون فى حال أفضل لو لم يكن هناك تهديد بالسـلاح، وإذا سخرت المليارات التى تنفق يوميا على التسليح فى أغراض الانتاج لا فى أغراض التدمير.

ولكن من السهل أن نطلق الأقوال.. إن المعضلة التى يواجهها قـــادة الـــدول وطلبـــة الجامعات فى معاملهم ــ فى سباق التسلح ــ تؤكد أن نزع السلاح من جانب واحـــد (مـــن العرب دون إسرائيل) يجعل من إحدى الدول عرضة لعدوان الأخرى ــ ومن هنـــا يستمر سباق التسلح، وهذا ما أكدته مصر ودعي إليه مرارا وتكرارا الرئيس حسنى مبارك.

وعلى خلاف سباق التسلح بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى فإن كثـــيرا مـــن معضلاتنا الملحة تتضمن أطرافا عديدة ــ مثلا :

- **معضلة الجبان Chicken's Dilemma**

وهناك أوجه شبه بين هذه المباراة وبين معضلة السجين فيما عدا أن أسوأ نتائج لكـلا اللاعبين يحدث عندما يتخلى اللاعبان عن التعاون، ولكن في معضلة السجين، فـــإن هـــذا الناتج يأتي بعد الناتج الأسوأ، حيث أن الأسوأ في معضلة السجين يذهب إلى اللاعب الـــذي يتخلى عن التعاون، على حين يتعاون خصمه، و"معضلة الجبان" تشابه معضلة السجين في أن كلا اللاعبين عندما يقرران التعاون باختبارهما فهما هنا يتجنبان الوصول إلى مرحلـــة الطريق المسدود. ولكن الناتج فى حالة معضلة الجبان غير مأمون لأنـــه إذا اختـــار أحـــد اللاعبين استراتيجية قبول طلبات الطرف الآخر ــ كليا أو جزئيا ــ فـــإن اللاعـــب الآخـــر سيكون لديه حافز اختيار استراتيجية رفض الوســـط والإصـــرار علـــى تحقيـــق أهدافـــه فقط(٩ :٣٣).

- **مبدأ التحالف والتنازع Alliance & Deversary game**

تتداخل أفعال الأطراف فى اللعبتين ولكن تختلف طبيعة ذلك التداخل، ففـــى مباريـــات التنازع تتسم طبيعة التداخل بمقدار الأذى الذى قد يلحقه طرف ما بالخصم. ويتوقف هـــذا الأمر على درجة حدة صراع المصالح، فكل طرف يحاول أن يجبر الخصم علـــى الخضـــوع لمطالبه.. وعملية المساومة هنا عادة ما تتضمن محاولات السيطرة على قدرة الآخر علـــى الحسم من خلال التهديد، وإلا فإن تقديم الحلول الوسط بشأن الصراع وتقديم التنازلات يكون هو الخيار الآخر لذلك الطرف. أما فى "مباريات التحالف" فإن التداخل يرجع إلى القدر الذى يحتاج فيه المتحالفون بعضهم لبعض، وهذا يعنى مدى حاجة كل المتحالفين واعتماده علـــى قوة الاخرين لمواجهة التهديدات التى يرسلها الخصم (٩ :١٣١).

- **مباراة "القائد" و"الحامى" و"الزبون"**

هذه المباراة تعتمد ببساطة على مبدأ قائل أنه بمجرد أن يقوم القائد بتحريك ما فـــإن حلفاءه سيتبعونه لعوامل كثيرة راسخة فى طبيعة التحالف بينهم. وأشهر أمثلة التحالف

- ذلك الذى بين بعض القوات العربية والأجنبية المسمى بعاصفـــة الصحـــراء لتحريـــر الكويت ومحاولة التخلص من صدام حسين، والتحالف الذى تم لقـــوات حلـــف النـــاتو لضرب صربيا ومحاولة التخلص من سلوبيدان ميلوسوفيتش الذى أطيح بـــه فـــى ٦

أكتوبر ٢٠٠٠. وأشهر الأمثلة التي توضح تعقيدات هذا النوع من المباريات هو ما حدث في أزمة السويس عام ١٩٥٦ بين صفوف التحالف الغربي، حيث تصور كل من قادة انجلترا وفرنسا أنه بمجرد قيامهم بالعدوان على مصر فإن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تتبنى موقفهما من منطلق التحالف القائم بينهم جميعا للتخلص من "جمال عبد الناصر" وعلى أقل التوقعات إن لم تكن ترفض فقط أن تؤيدهما بل عارضت وبشدة العدوان وذهبت إلى ممارسة الضغوط الدبلوماسية والاقتصادية عليهما.

- وفي حالة مثال العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦، فإن كلا من فرنسا وإنجلترا (الزبون Client) قد تصوروا أن دور الولايات المتحدة سيكون دور (الحامي Protector) أي الحامي لحلف الأطلنطي من أي انشقاق أو "ضرب إسفين" في التحالف القائم بينهم من خلال حلف شمال الأطلنطي ككل ليس في مصلحة الحلف كله وكذلك دور الحامي ضد أي تدخل سوفيتي محتمل ضدهما.
- مشكلة الذين يلوثون ويستنزفون الموارد الطبيعية المحدودة، وهم غير معروفين على وجه التحديد ومن ثم تتوزع المشكلة على شعوب كثيرة، ومن هنا فإن الباحثين طوروا بعض المشكلات في معاملهم بحيث تشمل أطرافا كثيرة.

◆ **المشكلة المشاعة The Commons Dilemma (الشائعة)**

هناك تشبيه قوي يطلق على المعضلات الاجتماعية الخطيرة هو **مأساة العامة** "Tragedy of the commons" وهو تشبيه أطلقه العالم الايكولوجي Garret Hardin وقد استمده من اللغة الدارجة الإنجليزية. وهذه العامة Commons قد تكون الماء أو الهواء، أو الحيتان، أو أية مصادر مشاعة محدودة. فإذا استخدم الكل هذا المصدر استخداما معتدلا فيمكن أن يتجدد المصدر بالقدر الذي يؤخذ منه، فتنمو الأعشاب وتتوالد الحيتان ولا يتم اصطياد الحيوانات والطيور النادرة ويكثر الخير.

ولكن تخيل أن هناك مائة من الفلاحين يستغلون المرعى الذي يكفي لإطعام مائة من الأبقار، فإذا أطعم كل منهم بقرة واحدة فإن المرعى يستغل لأقصى طاقته، دون استنزاف، فإذا أضاف أحدهم بقرة أخرى، وفعل مثله الآخرون تحدث المأساة ويستنزف المرعى.

وهناك موارد طبيعية كثيرة على غرار هذا المرعى؛ إن تلوث البيئة هو مجموع عدد كبير من التلوثات الصغيرة، كل منها نتيجة منفعة فردية ــ ولو توقف كل فرد عن إحداث التلوث لاستفاد الجميع ــ إننا نلوث الأماكن العامة والحدائق ونملؤها بالقاذورات ولكننا نحتفظ ببيوتنا نظيفة. ونستنزف الموارد الطبيعية لأننا نستفيد شخصيا من ذلك وفي النهاية يتوزع الضرر على الجميع.

لقد أمكن عزل عناصر المعضلة الشائعة في الدراسات المعملية ممثلة على النحو التالي: ضع نفسك مكان أحد طلاب جامعة أريزونا الذين يلعبون لعبة "بلي" جوليان ادني ــ الطلبة جالسون حول إناء ضحل يحتوي على عشرة "بليات". الباحث يشرح الغرض من اللعبة فيقول إن الغرض هو أن تجمعوا من البلي قدر ما تستطيعون والكل يأخذ قدر ما يريد وإن البلي الباقي في الوعاء سوف يتضاعف عدده كل عشر ثوان ــ هل سوف تترك البلي في الوعاء يتضاعف فيكثر المحصول؟!

ربما لا ـ إلا إذا أتيح للجميع الوقت ليتفقوا على استراتيجية معينة ـ إن ٦٥% من مجموعات إدنى Edney لم ينتظروا حتى العشر ثوانى الأولى ليتضاعف العدد بل إن المجموعة تقلب الوعاء على الأرض لتأخذ كل ما فيه. (Davaid. G. Myers-1988)

إن وعاء إدنى Edney يذكرنى بالوعاء الذى تحتفظ فيه بالفاكهة (المانجو) فى المنزل وعلينا أن نحتفظ بشئ من الفاكهة (المانجو) فى الوعاء خلال الأسبوع حتى ينال كل منا واحدة أو اثنين خلال أيام الأسبوع ـ ثم تنظر حتى يمتلئ الوعاء من جديد.

ويذكرنا المثال الخاص بوعاء إدنى Edny الذى عرضه لنا "ديفيد مايرز" بالصندوق الذى نحتفظ فيه بزجاجات المياه الغازية بالمنزل فى أيام الصيف الحارة وعلينا أن نحتفظ بعدد من الزجاجات المملوءة فى الصندوق خلال الأسبوع حتى ينال كل منا واحدة أو اثنين خلال أيام الأسبوع ثم ننتظر حتى يمتلئ الصندوق من جديد.

إن الألعاب التى تمثل معضلة السجينين والمشكلات الشائعة بينها جوانب تشابه عديدة:

أولاً: ففى كل منهما يميل الناس إلى تفسير سلوكهم حسب المواقف "كان على أن أحمى نفسى ضد استغلال خصمى" وتفسير سلوك الخصم فى غير ملابسات الموقف "لقد كانت شرهة". "لقد كان غير جدير بالثقة" ولاشك أن الآخرين ينظرون إليهم نفس النظرة.

ثانياً: خلال الفترة الحرجة تتغير الدوافع: فى البداية يميل الناس إلى تحقيق الربح السريع وتقليل خسائرهم وأخيرا إلى حفظ ماء الوجه وتفادى الهزيمة. إن هذه الدوافع المتغيرة تشبه دوافع الرئيس جونسون خلال اشتعال حرب فيتنام. فى البداية كانت خطبه تحمل إشارات كثيرة إلى عناية الولايات المتحدة بالديمقراطية والحرية والعدالة. وحين إحتدم الصراع كانت خطبه تشير إلى ضرورة حماية الشرف الأمريكى وتفادى عار الهزيمة.

وأخيرا فإن معضلة السجينين ـ شأنها شأن الصراعات الحقيقية فى الحياة، هى معضلات لا تنتهى حاصلاتها إلى الصفر. إن خسارة الطرفين أو مكسبها ليس حاصلها الصفر ـ كلا الطرفين يمكن أن يربح وكلاهما يمكن أن يخسر وكل لعبة توازن المنافع العاجلة The immediate interests للأفراد مقابل رخاء المجموعة ـ وكلاهما مصيدة اجتماعية خطيرة A diabolical social trap تبين متى وكيف يتصرف الناس بعقلانية ـ ولكن النتيجة تكون ضارة أحيانا ـ إن أحدا لم يكن يخطط للدمار الذى خلفته حرب فيتنام ولا ما بعرضت له لوس أنجلوس من خراب وأن أحدا من قادة العراق لم يكن يخطط للدمار الذى خلفته حرب الخليج ١٩٩١ ولا ما تعرضت له مدن العراق من خراب وشعبه من تجويع.

ولكن يجب ألا تغطى المشكلة بالكلام فقط، فليس كل السلوك الذى يهدف إلى منفعة الفرد ينتهى إلى دمار المجموعة ـ فإن الأفراد الذين كانوا فى زمرة آدم سميث فى القرن الثامن عشر كانوا يهدفون إلى منافعهم الشخصية وإلى فائدة المجمتع ـ "إننا لا نأخذ طعامنا من حسنات الجزار أو الخباز أو الطباخ ولكنهم ينفعون أنفسهم أولا ويطعموننا.

ولكن كيف نقنع الناس بالتعاون لمصلحتهم فى مثل هذه المواقف الاجتماعية المحرجة؟

How can we induce people to co-operate for their mutual better ment?

كيف نقنع الدول العربية بسوق عربية مشتركة لمصلحتهم جميعا وسط هذه التكتلات العالمية.

◆ إعادة حل المعضلات الاجتماعية Resolving Social Dilemmas

إن الابحاث المعملية فى المعضلات الاجتماعية قد كشفت لنا عن عدة أساليب للتعاون.

◆ قاعدة Regulation

إن التفكير فى المعضلة الشائعة، جعل "جاريت هاردن ١٩٦٨" "Garret Hardin" يلاحظ أن "الناس يتدافعون نحو الدمار، إذ يبتغى كل منهم مصلحته الشخصية فى مجتمع يؤمن بالحرية للجميع. إن الحرية فى الأمور العامة تنتهى إلى دمار المجتمع Freedom in a commons brings ruin to all " إن من العوامل التى تؤدى إلى الخروج عن المعيار الاجتماعى هو أحساس الفرد بأنه غير مراقب. خذ مثلا كذلك: لو كانت الضرائب تدفع اختيارا فكم من الناس كان يبادر إلى دفعها؟

الكثيرون سوف يمتنعون، ومن ثم فإن الناس يخترعن القوانين من أجل صالحهم العام. وقد تكونت جمعية دولية لصيد الحيتان للإتفاق على مقدار الصيد الذى يمكن الحيتان من التكاثر وتعويض الفاقد فى الصيد، وقد التزمت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بالاتفاقية التى تهدف إلى تقليل الاشعاع فى الغلاف الجوى Test Ban Treaty . فإذا التزم الجميع بالتعليمات البينية كان ذلك لمصلحة الجميع. وكذلك، فإن المشاركين فى التجارب المعملية ينظمون سلوكهم لمصلحتهم العامة. مثلا: المشاركون فى لعبة البلى Nuts Game ربما يتفقون على أن يأخذ كل واحد واحدة أو اثنين كل عشر ثوان، ويتركون الباقى ليتكاثر وربما ينتخبون قائدا منهم يحدد نصيب كل منهم.

وهكذا نرى أن **تنظيم السلوك** يمكن أن يكون حلا للمعضلات الاجتماعية، ولكن التنظيم فى الحياة اليومية قد يكون مكلفا لتطبيق التعليمات وقد يكون مكلفا للحرية الشخصية. Personal Freedom وهنا ينشأ التساؤل التالى: متى تكون تكاليف التعليمات أكثر مما تؤدى إليه من منافع؟.

◆ **الصغير جميل** Small is Beautiful

عرفنا أن التعليمات مكلفة وإذن فالمطلوب طرقا أخرى لحل المشكلات الاجتماعية وهناك اقتراح: لتكن المجموعة صغيرة ـ ميكرو ـ فى الألعاب المعملية لحل المشكلات فإن المجموعة الصغيرة تتفاعل وتتعاون ويكون لديها دافعية أكبر لإنجاز الأعمال بطريقة أفضل من المجموعات الكبيرة "Dawes, 1980" وكلما كانت المشكلات العامة صغيرة كلما أحس كل فرد بأنها مسئوليته.

فى جزيرة Puget Sound حيث نشأت (الحديث هنا لـ "ديفيد مايرز" D.Myers) كان حينا الصغير يشترك فى مصدر للمياه، وفى أيام الصيف الحارة حين كان يقل منسوب الماء، كان يصدر ضوء ينبهنا إلى ضرورة الاقتصاد فى استخدام الماء. ولم يحدث أبدا أن نضب معين الماء. فقد كنا جميعا نحس بالمسئولية تجاه بعضنا البعض. وفى الموارد المشتركة الكبيرة، فى المدن مثلا مثل هذا السلوك فى الاقتصاد والمحافظة لا ينجح كثيرا فإن الضرر الذى يحدثه فرد ما يوزع على الآخرين الكثيرين، إن المرء يستطيع أن يتملص

المسئولية الشخصية. ويذهب بعض علماء السياسة وعلماء النفس بأنه يجب إذا أمكن تقسيم المنافع العامة إلى قطاعات صغيرة "Edney, 1980"، لأن رئاسة الأحياء قد تتحمل مسئولية أكبر تجاه الصحة العامة وتجميل الأحياء وهكذا .. "M.O.Hatfield, 1972,1975" ثم إن تقوية إحساس الناس بالمصير المشترك يمكن أن يقلل من السلوك الأنانى ويقوى الإحساس بفائدة الجماعة. "Kramer & Brewer, 1984"

◆ الاتصالات **Communication**

لكى يتفادى الناس المآزق الاجتماعية Social Trap فعليهم أن يتصلوا ببعضهم — ففى الدراسات المعملية فإن الذين يتصلون ببعضهم ربما يتنابذون بالألقاب ويهدد بعضهم بعضا "Deutsch & Krauss, 1960"، ولكن فى أغلب الأحيان فإن الاتصال يؤدى إلى مزيد من التعاون "Dawes, 1980, Jorgenson & Papciak, 1981" ، ثم إن مناقشة المشكلات والتعهد بالتعاون يزيد من التعاون القائم فعلا.

إن الاتصال الصريح الواضح يقلل من سوء الظن بالناس، وبدون الاتصال فإن الذين يتوقعون من الغير عدم التعاون هم أنفسهم غير متعاونين "Mess's & Sivacek, 1979, Pruitt & Kimmel, 1977". إن الذى لا يثق فى الغير هو فى غالب الأحيان غير متعاون (ليحتمى ضد الاستغلال Exploitation) وعدم التعاون يزداد بعدم الثقة.

"What else could I do? It's a dog – eat – dog world"

"ماذا أفعل، إنه عالم يأكل بعضه بعضا" وفى الدراسات المعملية فإن الإتصال يبدو أنه يزيل عدم الثقة ويجعل الناس يتفقون لمصلحتهم.

"My own belief is that Russian and Chinese behavior is as much influenced by suspicion of our intentions as ours is by suspicions of theirs. This would mean that we have great influence on their behavior – that , by treating them as hostile, we assure their hostility" U. S. Senator J, William Fulgbright 1971."

"إننى أعتقد أن سلوك الروس والصينيين يتأثر إلى حد كبير بالشك فى نوايانا كما يتأثر سلوكنا بالشك فى نواياهم، وهذا يعنى أننا نؤثر إلى حد كبير فى سلوكهم وأننا حين نعاملهم كأعداء إنما نقوى هذه العداوة — "سناتور وليم تولبرايت." وفى أوقات الصراع اليومى كيف نؤسس الإتصال لنصل إلى نتائج مماثلة؟ وسنجيب عن هذا السؤال فيما بعد.

◆ تغيير العواقب **Changing the Payoffs**

تبين للمختبرين (للمجربين) من الدراسات المعملية (التجارب) Experimenters أن التعاون يزداد إذا كان التعاون مثمرا ويعود بالفائدة ولكن الاستغلال يقلل التعاون. "Pruitt & Rubin, 1986, Komorita & Barth, 1985" وإذا تغيرت النتيجة فقد تساعد على حل المشاكل الواقعية، وفى بعض المدن الرئيسية يمنح السائقون حوافز فى حالة الاقتصاد فى استهلاك الوقود والتقليل من ازدحام الحركة. والذين يقودون سيارات تحمل العاملين إلى مقار أعمالهم يسمح لهم بالقيادة فى طرق سريعة أما الذين يركبون سياراتهم بمفردهم فيقودون سياراتهم فى المسارات المزدحمة Crowded lanes. وكذلك كان الحافز الإضافى

من تكاليف الوقود (الجازولين) المتوفر، وعندما زادت أسعار الوقود عن دولار لكل جالون قل استهلاك الوقود حتى بدأت الأسعار تنخفض من جديد.

◆ الانجذاب نحو نماذج الإيثار Appeals to Altruistic Norms

إن زيادة إحساس الناس بالمسئولية نحو غيرهم يمكن أن يزيد حب الإيثار Boost altruism وفي ضوء هذا الاكتشاف هل يمكن أن نقول أن حب الإيثار سوف يقلل من الأنانية عند الناس ويدفعهم للعمل لمصلحة الجميع؟

الأمر مختلط هنا ـ فمن ناحية يبدو أن مجرد معرفة العواقب الوخيمة لعدم التعاون تبدو ضعيفة الأثر. ففي الدراسة المعملية يدرك الناس أن الاختيارات التي يختارونها لأنفسهم قد تكون مدمرة لهم ولكنهم يستمرون في هذه الاختيارات "Cass & Edney, 1978; Edney & Harper, 1978" وفي الحياة العملية فإن التحذيرات من العواقب الوخيمة لا تلقى غير استجابة ضعيفة. إن معرفة الخير لا يؤدي بالضرورة إلى فعل الخير (القيم تؤكدها الممارسة) ومع ذلك فلا يزال الناس يشعرون بالمسئولية الاجتماعية والمشكلة هي كيف تثير هذه المشاعر. وعندما يسمح للمشاركة في الدراسات المعملية بالاتصال ببعضهم فهم يلجأون بقوة إلى أنماط المسئولية الاجتماعية، وقد لاحظ هذا الباحث 'Robyn Dawes, 1980' وزملاؤه وحاضروا المشاركين في المنافع التي تعود على الجماعة، والاستغلال والأخلاق ـ ثم لعب هؤلاء لعبة تمثل معضلة، وأفلح الدرس واستطاع هؤلاء التضحية بالمنفعة الشخصية العاجلة من أجل صالح الجماعة.

هل تنجح مثل هذه التجربة في المعضلات الكبيرة؟ إنني أستطيع الإجابة بـ نعم ـ إذا كانت المنافع التي تعود من وراء التعاون كبيرة وإذا كانت نتيجة عدم التعاون وخيمة فإن الناس يميلون إلى التعاون والمسئولية الإجتماعية ـ إن لاعبي كرة السلة يتعاونون في إعطاء تمريرة جيدة لأحد اللاعبين حتى يسجل منها هدف ـ إن الكفاح من أجل الحقوق المدنية، ومسيرات الاحتجاج ـ هي من أجل مصلحة الجماعة رغم ما ينتج عن هذه المسيرات والاحتجاجات من متاعب. وفي زمن الحرب يميل الناس إلى التضحية من أجل مصلحة المجموع. إن انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني أكتوبر ٢٠٠٠ والتي بدأت بعد اقتحام مجرم الحرب إرئيل شارون للمسجد الأقصى يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨ بترتيب مع إيهود باراك راح ضحيتها أكثر من مائة شهيد في أسبوعين وجرح الآلاف. وأعلن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في اجتماعه مع المجلس التشريعي الفلسطيني في ٢٠٠٠/٣/١٠ بأن الضحايا قد وصل عددهم إلى خمسمائة شهيد وعشرون ألف مصاب. لكن وقائع انتفاضة الأقصى والسلوك العدواني الإسرائيلي تجاهها قد أكدا أن نموذج الدولة الفلسطينية المقترح في تسوية مدريد وأوسلو لا يمكن أن يصلح للقيام والاستمرار واقعيا. فأي دولة تلك التي تقيم قوات دولة أخرى معسكراتها بداخل حدودها وعلى أراضيها؟ وأي دولة تلك التي لا تملك جيشا يدافع به عن أراضيها وشعبها إذا وقع عليها عدوان خارجي؟ وأى دولة تلك التي تجتاحها في لحظات قليلة قوات دولة أخرى مستخدمة مختلف أسلحتها البرية والجوية الثقيلة والخفيفة في ضرب شعبها الأعزل الذي خرج للتظاهر دفاعا عن أرضه ومقدساته؟ وأي دولة تلك التي تصدر حكومة دولة أخرى قرارات بإغلاق حدودها

ومطاراتها وموانيها وتمنع تحرك مواطنيها بين أقسامها المختلفة؟ لقد تقرر عقد قمة رباعية يشترك فيها الرئيس حسنى مبارك والرئيس كلينتون والرئيس عرفات وباراك ويحضرها الأمين العام للأمم المتحدة كوفى أنان بمنتجع شرم الشيخ المصرى فى ٢٠٠٠/١٠/١٦ وتقرر عقد مؤتمر قمة عربى ٢١،٢٢/١٠/٢٠٠٠ لإعادة النظر فى نموذج الدولة الفلسطينية القديم الهش الذى لا يصلح لأن يكون أساسا لأى سلام حقيقى ودائم وعادل ويوجب طرح نموذج لدولة فلسطينية حقيقية ذات إقليم محدد وشعب حر وسيادة واضحة وحكومة مسئولة تمارس سلطانها على الجميع.

وبإيجاز فإن المعضلات الاجتماعية العويصة يمكن تقليلها بوضع قواعد تنظم السلوك الذى يهدف إلى المنفعة الشخصية ـ بأن نجعل الجماعات صغيرة، وأن نشجع الاتصال بين الناس وأن نغير النتائج لنجعل التعاون أكثر فائدة وأقل استغلالا وأن نثير دوافع الإيثار **Invoking altruistic norms**

والسؤال الذى يلح علينا هنا.. هل وجهة النظر النفسية الاجتماعية هذه تصلح فى جعل التعاون أكثر فائدة وأقل استغلالا فى حالة الصراع العربي الإسرائيلي؟ الاجابة بالنفي.. ويؤكد ذلك ما حدث فى حالة تشجيع الاتصال عن طريق العمل أو السياحة أو الزواج بين مواطنين مصريين مسلمين ومسيحيين واسرائيليات تمخض عنها:

١- انتشار مرض الإيدز من خلال السياحة القذرة.

٢- انتشار عقار البانجو بين المصريين.

٣- تجنيد البعض منهم لحساب إسرائيل.

٤- احداث شرخ فى وطنية البعض من المصريين.

- **المنافسة Competition**

بالمقارنة مع الصراع الذي يهدف إلى تدمير الخصم أو إزاحته من الميدان، تعتبر المنافسة أداة غايتها المركزية الفوز على الطرف المنافس فى إنجاز هدف مشترك مرغوب (١٩٧،٤٨٩:١) وعليه فالمنافسة هى شكل محور للصراع. فهى تتضمن قواعد للنشاطات التى تتخللها المنافسة لابد للمتنافسين من مراعاتها مع بعض المعايير التى تحفظ تلك القواعد، كما ينتفى فيها عنصر الغش والإكراه، يضاف إلى كل ذلك أن هذا الصنف من التفاعل لا يسمح باللجوء إلى الاحتيال والتزوير لبلوغ الأهداف المتنافس عليها. وتتسم المنافسة بدرجات عالية من الدينامية (Dynamism) باعتبارها تحفز الميل إلى الانجاز عن طريق رفع مستوى الطموح والتهديد بالفشل فى الوقت الذى تحمل فيه إمكانيات النجاح، ولهذا فهى تزداد قوة وتأثيرا مع زيادة تعقيد المجتمعات وسرعة تبدلها. وقد اعتبرها البعض أبرز مظاهر مدنية هذا العصر(١٩٧،٤٨٩:١٠).

إن العداوات العرقية (السلالية) تثور كلما حدث تنافس على فرص العمل والإسكان، وعندما تتعارض المصالح تثور الصراعات، وقد تجلى هذا بوضوح فى معسكر شانتونج فى الحرب العالمية الثانية حين اعتقل العسكريون اليابانيون الأجانب الذين كانوا يقيمون فى الصين ـ ووضعوهم فى ذلك المعسكر، وطبقا لما يرويه أحد رجال الدين المعتقلين آنذاك فإن الصراع كان ينشب بين المعتقلين على توزيع خبز الشعير وعلى الحصول على مكان

للنوم على الأرض بين رجال منهم الطبيب والمحامى ورجال الارساليات والأساتذة والحثالة والعاهرات. وكان الصراع على فرص العمل والسلطة السياسية واضحا فى إيرلندا الشمالية، حيث اشتدت العداوة منذ عام ١٩٦٩ بين غالبية حاكمة من البروتستانت وأقلية من الكاثوليك (ولا زالت حتى عام ١٩٩٨) وكانت النتيجة الآلاف من الضحايا.

ولابد أن نتساءل: هل هى المنافسة وحدها التى ولدت مثل هذه العداوة الشديدة؟ إن مشاكل الحياة اليومية الصعبة تجعل من الصعب التأكد من هذا. فإذا كانت المنافسة هى المسئولة فيمكن اخضاع هذا للتجربة العملية ـ يجب أن نقسم المشاركين ـ بطريقة عشوائية ـ إلى مجموعتين. وندفعهم إلى التنافس على مورد قليل ثم نسجل ما يحدث، وهذا ما فعله الباحث مظفر شريف (١٩٦٦) وزملاؤه فى سلسلة من التجارب على عدد من التلاميذ ما بين ١١،١٢ سنة من العمر، وبعد التأكد مما يثير العداوة بين التلاميذ، قام شريف بتجاربه فى معسكرات صيفية يستمر الواحد منها ثلاثة أسابيع.

وفى احدى هذه التجارب كان عدد المشاركين ٢٢ طالبا من أوكلاهوما Oklahoma لا يعرفون بعضهم من قبل، وتم تقسيمهم إلى مجموعتين فى أحدى معسكرات الكشافة. Scout comp ونقلوا فى اتوبيسات منفصلة إلى المعسكر وكانت كل مجموعة تقيم فى معسكر يبعد عن المجموعة الأخرى بـ (نصف) ميل وظلت كل مجموعة تجهل وجود المجموعة الأخرى لمدة أسبوع تقريبا. وتم ايجاد تعاون بين أفراد كل مجموعة، فى أنشطة مختلفة مثل إعداد الطعام والرحلات والسباحة وغير ذلك وأصبحت كل مجموعة مترابطة جدا وأطلقت واحدة على نفسها 'Eagles' (الصقور) والأخرى 'Rattlers' (المشاكسين).

وبدأت كل مجموعة تعرف باسمها، وأعد المسرح للصراع. وقرب نهاية الأسبوع الأول، أكتشف الـ 'Eagles الصقور' وجود الـ Rattlers المشاكسين' فى ملعب البيسبول الخاص بهم. وبدت العداوة بين الفريقين. فلما بدأ التنافس بين الفريقين فى العاب البيسبول، وشد الحبل، وتفتيش المعسكرات وغير ذلك من الألعاب استجاب كل فريق بحماس للمنافسة، وهى منافسة نتيجتها فائز وخاسر. والفريق الفائز يحوز كل الميداليات.

والنتيجة: تحول المعسكر إلى حرب مفتوحة، كما لو كانت أحد المناظر المأخوذة من رواية ويليام جولدنج Lord of the flies وهى تصور التنافر بين عدد من الأولاد فى سن واحدة معزولين فى جزيرة ـ وفى التجربة الى أجراها شريف بدأ الصراع بالتنابذ بالألقاب (كل فريق ينادى الآخر بأسماء تحقير) وبدأ الصراع الواضح فى صالة الطعام وحرق الأعلام والتلاحم بالأيدى ولما طلب من كل مجموعة أن تصف المجموعة الأخرى وصفوهم بأنهم جبناء، مخادعون، أقذار أما هم (المتحدثون) فهم شجعان، أقوياء أصدقاء.

وقد ولد هذا التنافس صراعا قويا بين الفريقين كما أدى إلى تماسك كل فريق بقوة. ولنلاحظ أن كل هذا حدث دون أن يكون هناك اختلاف ثقافى أو عرقى أو اقتصادى بين المجموعتين، وهم أولاد يعتبرون خلاصة مجتمعاتهم. يقول شريف إنك لو زرت المعسكر آنذاك لظننت أن الأولاد من حثالة المجتمع. ولكن الحقيقة أن سلوكهم الشرير سببه وجودهم فى موقف شرير. ولكن شريف كما أثار العداء بينهم، أثار الصداقة بينهم أيضا. كيف؟ هذا ما سنراه فيما بعد.

◆ إدراك الظلم Perceived Injustice

"That's un fair!" "What a ripoff!" "We deserve better"

"هذا ليس عدلا" " يالظلم" "نحن الأحسن".

مثل هذه الأقوال ينتج عن الإحساس بالظلم. ولكن ما هو العدل؟ يرى بعض علماء النفس الاجتماعى أن الناس يعتقدون أن العدل هو المساواة بين الناس وتوزيع الخير بالتساوى عليهم. فإذا كان بينى وبينك علاقة، فإنها تكون متساوية إذا كان:

My outcomes	=	Your outcomes	ما إنتجه = ما تنتجه
My inputs		Your inputs	ما أبذله = ما تبذله

ولكن إذا كان ما تبذله أكبر contribute more وما تجنيه أقل Benefit less مما أجنيه أنا فسوف تحس بالظلم (الاستغلال) وسوف تغضب Irritated وقد أشعر أنا بأننى مستغل Exploitative وأشعر بالذنب. ولكنك سوف تكون حساسا أكثر مما أشعر تجاه هذا الظلم وسوف تعمل على إزالتهremedy it .

لقد أكد المنظرون فى ميدان التنظيم أمثال (1957) Sofer (1972), Argyris. إن الصراع الذى يحدث فى التنظيمات سببه الرئيسى هو صراع فى القيم، وأن المصدر الرئيسى للرفض أو التفضيل الشخصى يرجع إلى التماثل والصراع فى القيم الشخصية للمديرين والعمال. والصراع بين القيم يظهر عادة فى عدة مظاهر وتعد الاضرابات المظهر الرئيسى للصراع. أما المظاهر الأخرى فتتضمن الامتناع عن بذل المجهود، التضييع، عدم الكفاية، التغيب، التنقل وغير ذلك. ويعد (إلتون مايو ورفقاوه) أول من درس ظاهرة تقييد الانتاج المتسق فى شركة هاوثورن بأمريكا. ومن بين الدراسات التى قاموا بها غرفة ملاحظة شبكة الاسلاك التى نبهت الباحثين إلى التقييد المنظم للإنتاج من طرف جماعة من العمال حيث حددت عدد الوحدات الواجب انتاجها يوميا بناءا على عدد من القواعد، وقد حافظوا على أن يكون إنتاجهم أقل مما هم قادرون على إنتاجه، وقد أرجع الباحثون هذا السلوك إلى الصراع الموجود بين التنظيم التقنى والتنظيم الاجتماعى (Sofer,1972) وبمعنى آخر بين قيم الكفاءة التى تفرضها الإدارة والقيم الاجتماعية التى يركز عليها العمال. إن دراسة عملية التفاعل بين الفرد والتنظيم بهذه الطريقة تقدم عدة فوائد منها:

- تسهيل عملية التشخيص للمشاكل وأسباب الصراع داخل المؤسسة وذلك بفحص عمليات التفاعل بين قيم الفرد وقيم التنظيم وتحديد القيم المتناقضة والمتصارعة.
- يساعد هذا التشخيص التنظيم على تحديد الاستراتيجية الضرورية للتخفيف من حدة الصراع وهذا سواء بتعديل بعض من قيمة أو تخطيط برامج للتوعية لتعديل قيم الفرد(١١: ١٥٤، ١٥٥).

إن العدل والمساواة قيمتان أساسيتان من قيم الإنسانية واحترامها أمر لا غنى عنه للسلم والتقدم، كما أن غيابهما يمكن أن يؤدى إلى إثارة الاستياء وزعزعة الاستقرار، وعلى الرغم من أن الناس يولدون فى ظروف اقتصادية واجتماعية غير متساوية إلى حد كبير، فإن التباين الكبير فى أحوالهم، أو فى فرص الحياة المتاحة أمامهم يعد إهانة لإحساس الإنسان بالعدل، وفى الحالات التى تلقى فيها أعداد كبيرة من المواطنين معاملة

غير منصفة، أو يحرمون من حقوقهم، وفى الحالات التى لا يتم فيها التصدى للظلم الفادح، فلا مناص من أن يتفجر السخط وربما الصراع.

وقد نتفق على تعريف العدالة justice ولكننا قد نختلف بشدة على مفهوم المساواة (العدالة والإنصاف) equitable فى علاقاتنا. مثلا: إذا كان هناك إثنان متزاملان فى العمل، فما هو مفهومهما عن العمل الجيد؟ إن الأكبر سنا قد يرى أن يكون الأجر بحسب السن أو الأقدمية أما الآخر فيرى أن يكون الأجر بقدر الإنتاج.

أى وجهة نظر من هذين يمكن أن تسود prevail ؟ إن الذين يتمتعون بسلطة إجتماعية أكبر يقنعون أنفسهم ويقنعون الآخرين بأنهم يستحقون ما يحصلون عليه(Nikula,1984). وهذا رأى كارل ماركس: "إن أفكار الطبقة الحاكمة هى الأفكار الغالبة فى كل عصر، أى إن الطبقة التى تحكم المجتمع من الناحية المادية تحكمه بأفكارها من الناحية العقلية. وهذا ما كان يسمى "بالقاعدة الذهبية" "A golden rule""إن من يملك الذهب يحكم" Rule whoever has the gold makes the rules. (هكذا تحكم الولايات المتحدة الأمريكية العالم)

إن المستغل Exploit يمكن أن يخفف الظلم بإعطاء مزيد من القيمة على هذا وتخفيض قيمة ذلك ليبرر ما يحدث، وبعض الرجال يرى أن الأجر المنخفض الذى تتقاضاه النساء نوعا من المساواة (الإنصاف)، لأنه يرى أن عطاء المرأة أقل. Given women's less important inputs. وهناك من يرى أن النساء ينجبن وبالتالى يتغيبن عن العمل لأسباب واضحة شرعية وهذا يبرر أجر أقل من الرجال.

إن الظالم قد يلوم الضحية ومن ثم يقنع نفسه بأنه يعيش فى عالم تسوده العدالة.

وماذا عن المستغلين Exploited ماذا يكون رد فعلهم. تقول: ايلين هاتفيلد Elaine Hatfield، ويليام والستر William Walster، ايلين بيرشيد Ellen Berscheid (1978) إن هناك ثلاث احتمالات Posibilities يمكن أن يتقبلوا ويقبلوا وضعهم المتدنى inferior position. "نحن فقراء، وهذا ما نستحقه، ولكننا سعداء" ويمكن أن يطالبوا بتعويض Compensation ربما بإحراج الذين يستغلونهم أو خداعهم أو بالمكر. وربما يحاولون الأخذ بالثأر أو الانتقام.

وهناك جانب تتضمنه نظرية المساواة، وهذا التضمين قد تم تأكيده عمليا، وهو: كلما أحس الناس بالقدرة وقيمة ذواتهم زاد احساسهم بأن ما يعود عليهم أقل مما يستحقونه ومن ثم يسعون إلى الانتقام"M.Ross et al 1971". إن أشد الاحتجاجات الاجتماعية تأتى عادة من أولئك الذين يظنون أنهم يستحقون أكثر مما يتقاضون.

ويرى النقاد إن المساواة ليست هى التعريف الوحيد للعدالة. مثلا: يقول إدوارد سامبسون "Edward Sampson (1975)" إن أصحاب نظريات المساواة يفترضون خطأ أن المبادئ الاقتصادية التى سادت فى الدول الغربية هى مبادئ كونية Universal وبعض الدول الغير رأسمالية ترى أن العدل ليس المساواة أو إشباع الحاجات "من كل قدر استطاعته ولكل قدر حاجته".

"From each according to his abilities, to each according to his needs"

إن "الاهتمام" بتحقيق الانصاف لا يساوى "الاصرار" على تحقيق المساواة، لكنه يدعو إلى بذل جهود مدروسة للحد من حالات الظلم الفادحة، والتصدى للعوامل التى تتسبب فى حدوثها أو ادامتها، وتشجيع اقتسام الموارد على نحو أكثر عدلا. فالالتزام بالانصاف فى كل مكان هو الاساس الوحيد الآمن من أجل إقامة نظام عالمى أكثر انسانية يمكن للعمل المتعدد الاطراف فى اطاره ـ من خلال كسر حدة التفاوت الحالى ـ أن يرتقى بالرفاهية والاستقرار العالميين. حقا وعند توزيع المنافع على أفراد المجموعة فإن الشعوب الذين يندرجون تحت ثقافة واحدة مثل الهند أو الصين تفضل مبدأ الحاجة أو المساواة "need or equality".

ويذكرنا صاحب نظرية الصراع؟ مورتون دويتش[*] (1985) Morton Deutsch بأنه حتى فى الحضارات التى تقوم على الفردية فإن هناك معايير أخرى تفسر بها العدالة. وفى الأسرة أو المؤسسات التى تساعد الغير قد يكون المعيار هو الحاجة need. أما فى الصداقة فقد تكون المساواة. أما فى العلاقات التنافسية competitive relation ship فإن الفائز يأخذ كل شئ.

"Awards should be according to merit, for all men agree that what is just in distribution must be according to merit in some sense, though they do not all specify the same sort of merit" Aristotle

"إن الجائزة لمن يستحقها، الكل متفقون على هذا، ولكنهم لا يتفقون على نفس معيار الاستحقاق". أرسطو

الحرية والمساواة كمقياسين للأنظمة السياسية فإننا نجد أن النظام الشيوعى يعطى الأولوية للمساواة على حسب الحرية، وأن الأنظمة الرأسمالية (الديمقراطية) تعطى الأولوية للحرية على حسب المساواة. وتبعا لذلك نجد أن كلا النظامين يسلك سلوكا يتوافق مع قيمه، فالنظام الشيوعى يتميز سلوكه السياسى والاقتصادى والاجتماعى والإدارى بتحديد الاستراتيجيات لفرض المساواة أو منع اللامساواة، وهذا يوضع قيود على حرية الأفراد فى التنافس والابتكار وإمتلاك وسائل الإنتاج حيث لا يتجاوز أو يفترق القوى والمبدع والطموح والمجد والذكى عن الضعيف والخامل والكسول. فى حين نجد أن النظام الرأسمالى يتميز سلوكه بوضع استراتيجيات لفرض اللامساواة أو منع المساواة وهذا برفع القيود أمام الأفراد فى التنافس والإبداع وإمتلاك وسائل الإنتاج الشئ الذى ينجم عنه فروق شائعة بين أفراد المجتمع. وتجدر الإشارة إلى أن ما ينطبق على المجتمع كتنظيم كبير منطبق على مؤسساته. وكما أن نظام قيم هذه المؤسسات يتوافق إلى حد كبير مع نظام قيم المجتمع الذى يوجد فيه. ومن هنا فإن قيم المجتمع وتنظيماته تؤثر فى اتجاهات الأفراد وسلوكهم وهذا من خلال التنشئة الاجتماعية والسياسية والتنظيمية إلا أن هذا التأثير يبقى محدودا

[*] مورتون دويتش: أستاذ علم النفس بجامعة كولومبيا ـ المتخصص فى ديناميات الجماعة والعلاج النفسى. ومن الذين تبنوا الدعوة إلى عقد المؤتمرات عن فيتنام فى طول البلاد وعرضها معبرين عن تزايد الاهتمامات الإجتماعية لعلماء النفس البارزين على نطاق الولايات المتحدة الأمريكية بأسرها. وله وجهة نظر قال فيها ""إن الحرب تخلق أولئك الذين يفتقدون أية سيطرة حقيقية على بيئتهم أو على المجريات الرئيسية لحياتهم".

بسبب تدخل الخصائص الشخصية للأفراد (١٢:١٥-١٥١) وعلى أهمية هذه القيم بالنسبة لكل واحد منهم. وفى هذا الصدد وجد ROKEACH (1973) عن طريق تحليل المحتوى لأعمال كل من هتلر ولينين أن كل واحد منهما يرتب الحرية فى المنزلة الأخيرة من سلم قيمها غير أنهما يختلفان فى ترتيبهما لقيمة المساواة التى يرتبها هتلر فى المراتب الأخيرة فى حين يرتبها لينين فى المراتب الأولى. وهنا قد يسأل سائل هل أن كل فرد يرتب قيمتى الحرية والمساواة فى المرتبة الأخيرة من نظام قيمة يشبه هتلر، وأن كل فرد يرتب قيمة الحرية فى المراتب الأخيرة وقيمة المساواة فى المراتب الأولى يشبه لينين؟ الجواب هو أن الترتيب وحده لا يكفى إذ نحتاج إلى معرفة المعنى النفسى الذى يعطيه الشخص لكل من الحرية والمساواة والذى يمكن معرفته عن طريق الاستنتاج من الملاحظات حول الطريقة التى يربط بها الفرد الحرية بالقيم الأخرى. وعليه فهتلر ينكر الحرية لغرض اللامساواة، أما لينين فإنه ينكر الحرية لغرض المساواة (١٣،١٤).

فعلا. إن معايير الشعوب لمفهوم العدل مختلفة. فإذا كانت المعايير المناسبة Appropriate criteria غير واضحة يميل الناس إلى أن تكون المكافأة متناسبة مع العطاء Input ، أما النساء فتميل نحو المساواة ـ مثلا: حينما يطلب من إمرأة تقسيم المكافأة بينهاوبين زميلة أقل عطاء منها فإن المرأة تقسم المكافأة مناصفة (٥٠ـ٥٠) أما بالنسبة للرجال فيميل الواحد منهم إلى القسمة بالعدل"Najor & Adams, 1983". فإذا ساد الوئام الاجتماعى Social Harmony Stressed فإن قاعدة المساواة هى التى تسود. إن زملاء الحجرة الواحدة يميلون إلى التقسيم بالتساوى، وحينما تسود قاعدة الانتاجية بالنسبة للناتج فإن العدالة تسود. إن أنظمة المكافآت المختلفة تحدث آثارا مختلفة. لنفترض أن هناك حوافز بالنسبة لمجموعتك لجهودها فى مهمة معينة، فأى نظام تتبعه فى توزيعها؟ هل يأخذ الفائز كل شئ؟ (الذى يكون أداؤه أفضل يأخذ الحافز Whoever performs best gets the entire bonus) العدالة؟ (وكل يأخذ على قدر جهده each paid according to contribution) المساواة (الكل متساوون All paid the same). أو الحاجة؟ إن مورتون دويتش Morton Deutsch (1985) لم يجد ما يؤيد أن الناس يزيدون إنتاجيتهم حين يرتبط الأداء بالأجر. إن طلبة جامعة كولومبيا الذين شاركوا فى هذه الدراسات العملية ـ يبدو أنهم كانوا مندفعين بحاجاتهم الشخصية على الامتياز أكثر مما كانوا مدفوعين إلى ذلك بقدر ما يتربحون على أساس أن الفائز يأخذ كل شئ أو بمبدأ العدالة. وهناك تجارب عديدة تبين أن السلوك يتقوى بوجه عام بواسطة التشجيع الايجابى Positive Reinforcement، كما تثبت أن هناك الكثيرين (الأنماط الفهلوية الانتهازية) ممن يريدون التسلق على اكتاف الآخرين، والسؤال هنا هل يمكن تطبيق نتائج دويتش على مواقف الحياة اليومية؟ ويقول دويتش أن مقارنة انظمة الأجر التعاونى مع أنظمة الأجر التنافسى فى توزيع المكافآت يثبت أن التوزيع على الأساس التعاونى له تأثير كبير على روح الجماعة Group morale والمشاعر الودية وتحقيق الذات self-steem ثم إن الذين يعنون كثيرا بهذا الأمر يفضلون التوزيع على أساس المساواة أو بقدر الحاجة وهذا يفسر لماذا تفضل النساء مبدأ المساواة أو الحاجة لأن النساء أقل تنافسا من الرجال

وأكثر اهتماما بمشاعر الغير من الرجال وأقدر على العلاقـات المنسـجمة Harmonious relations "Kahn & Gaeddert, 1985" ما هو قدر العمومية إذن فى تعريف العـدل بالقسطاط؟ وعلى أية أساس يتم توزيع المكافآت."هل هو الاستحقاق؟ المساواة؟ أو مزيـج بين الإثنين؟" لا تزال هذه الأسئلة محل جدل ــ ولكن هناك شيئا واضحا. إن أحـد أسـباب الصراع البشرى هو اختلاف إدراك ما هو عدل fair وما هو ظلم Unjust.

"Soluutions to the sistribution problem are non trivia. Children fight, colleaguues complain, grouup members resign, tempers flare, and nations battle over issues of fairness. As parent, employers, teachers, and presidents know, the most frequuent response to an allocation decision is "not faire"

"Arnold Khan & William Gaeddert (1985)"

إن حل مشكلة التوزيع ليس سهلا، فالاطفال يتعاركون، والزملاء يشتكون، وأعضـاء الجماعات يستقيلون، وتحتد المشاعر، وتتحارب الدول حول موضوع العدالة ــ والكل يعرف أن الاستجابة الشائعة على أى قرار لتوزيع مخصصات أنه "غير عادل".

"أرنولد كاهن، وليم جايدرت (١٩٨٥)"

◆ **معضلات عصرية Up-to- date Dilemmas ونظرية الألعاب Came theory**

وهناك على حد قول "محمد سيد أحمد" (١٥) نظرية معروفة بنظرية الألعاب وهى كثيرة الاستخدام فى مجال الدراسات الاستراتيجية.. ومن تطبيقاتها دراسة حالات "النزاع.. وقياس من الرابح ومن الخاسر فيها". وليس شرطا، حسب مستخلصات هذه النظرية، أن يفضـي نزاع معين إلى طرف منتصر وطرف مهزوم.. وهو ما يعـرف بـــ **"اللعبة الصفرية"**، لأن حاصل جمع حالتى الانتصار والهزيمة "صفر"، بل قد يسفر النزاع عن حالـة الكـل فيـها منتصر.. وهو ما يعرف بـ **"اللعبة اللاصفرية بالزائد"**، لأن حاصل جمع حالة الانتصار لـدى الطرفين المتصارعين معا هو أكثر من الصفر ــ وقد يسفر النزاع عن حالة الكل فيها خاسر ومهزوم ــ وهو ما يعرف بـ **"اللعبة اللاصفرية بالناقص"**، لأن حاصل جمع حالة الهزيمـة لدى الطرفين المتصارعين معا هو شئ دون الصفر.

و"نظرية الألعاب" مفيدة فى أنها ترسى نهجا فى معالجة حالات الصـراع.. المفـترض فيها إنها "لعبة لا صفرية بالزائد" فى مفاوضات كامب ديفيد الثانية والثالثة بين الحكومـة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية، فإذا أخذنا بالحلول الوسـط التـى يطرحـها المفـاوض الإسرائيلى بشأن القضايا الأخرى المختلف عليها "قضية اللاجئين الفلسـطينيين ــ قضيـة الحدود ــ قضية المعابر بين مكونات الدولة الفلسطينية المطروح قيامها.. فـلا ينتظـر أن يكون "الحل الوسط" المطروح بشأن القدس ــ والقدس بالذات "لعبة لا صفرية بالزائد" فقـد أكد باراك عدة مرات فى خطابه أمام الكنيست قبيل سفره إلى كامب ديفيد، أنه متمسك "ببقاء القدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية" وجاء من بعده "شارون" ليؤكد وبقوة هذا المبـدأ. وحول الأفكار المطروحة بشأن السيادة الدولية على المقدسات بمدينة القدس، صرح عمـرو موسى وزير الخارجية المصرية فى ٢٠٠٠/١١/١٩ إن الحديث عن السيادة الدولية يتعلـق

فقط بالأماكن المقدسة ـ أما القدس الشرقية فالسيادة المطلوبة عليها، سيادة فلسطينية كاملة لاشك فيها. وقال إن موضوع القدس كله والحرم جزء منه يجب أن يندرج عليه نفس ما يندرج على الباقى.. وهو ما يعنى أن يكون ذلك فى إطار الشرعية الدولية فكل ما أحتل عام ٦٧ يمثل جزءا لا يتجزأ من القرار ٢٤٢ الذى حرم الاستيلاء على الأراضى بالحرب. وقد رفض الرئيس مبارك هذه المزاعم بعد لقائه بعرفات قبل سفر الأخير إلى كامب ديفيد.. كان أسامه الباز قد صرح، عقب لقاء الرئيس مع كل من عرفات وباراك ـ بأن "الرئيس مبارك أشار إلى أن الرئيس الفلسطيني ليس حرا فى التصرف فى قضية القدس، لارتباط المدينة المقدسة بحقوق عربية وإسلامية ومسيحية، وليس بالحقوق الفلسطينية فقط" (٦:٣٥). وقد أكد الرئيس ذلك مرة ثانية فى خطابه أمام مجلس الشعب والشورى المصرى بالقاهرة يوم ٢٠٠٠/١٢/١٧

خلف الكواليس

BEHIND THE SCENES



MORTON DEUTSCH

Ceptual similarities between the large scale and the small, as the astronomers have between the planets and Newton's apple, we may be able to understand, predict, and influence large-scale social processes by experimenting with small-scale social situations. That is why the games people play as subjects in our laboratory may have relevance to important social concerns such as war, peace, and social justice. (Morton Deutsch, Columbia University)

أستطيع القول أن الدراسات المعملية عن الصراع يمكن أن تساعدنا على فهم ديناميكيات الحرب والسلام والعدل الاجتماعى إننى أفترض أنه من خلال الانماط المختلفة للوحدات الاجتماعية، من المجموعات الصغيرة إلى الأمم فإن العملية الاجتماعية واحدة. إن علماء علم النفس الاجتماعى الذين يدرسون الصراع شأنهم شأن علماء الفلك ـ إننا لا نستطيع إجراء التجارب على الأحداث الاجتماعية الكبيرة ولكن إذا أمكن إدراك التشابه النظرى بين الحدث الكبير والحدث الصغير ـ كما يفعل علماء الفلك بين الأجرام الكبيرة وبين تفاحة نيوتن. فقد نستطيع أن نفهم وأن نتنبأ وأن نؤثر فى العمليات الاجتماعية الكبيرة بإجراء التجارب على المواقف الاجتماعية الصغيرة. ولهذا قد يكون للألعاب المعملية صلة بالأحداث الاجتماعية الهامة مثل الحرب والسلام والعدالة الاجتماعية.

"مورتون دويتش ـ جامعة كولومبيا"

سوء الإدراك أو الفهم Misperception

تذكر أن الصراع هو خلاف فهمى للأحداث والأفعال والأهداف، من المهم أن ندرك أن الصراعات تحتوى غالبا على مركز صغير من الأهداف الخلافية الحقيقية. المشكلة الأكبر هى أنها محاطة بعدد من سوء المفاهيم لأهداف وبواعث الآخرين. إن "الملائكة" و"الثعابين"

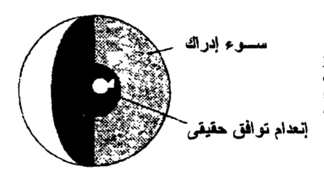
كان لديهم فعلا بعض الأهداف الخلافية العظيمة. ولكن مفاهيمهم المكروهة لبعضهم البعض قد هولت تلك الخلافات والاختلافات وجدانيا. والصراع قد يحسم أو يسوي عندما يتوصل الأفراد إلى إتفاق حول الأهداف ولكنه ينشأ ثانية بسبب الاختلاف حول الوسائل الموصلة إلى تلك الأهداف. والنتيجة كما هو الحادث فى الصراع بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل المغتصبة للأرض. الإنتفاضة ومحاولة إسكاتها حيث الجراح النفسية نتيجة لممارسة العنف والقمع والتهديد حدوث مجموعة من ردود الأفعال نتيجة لتعرض الشخص أو أحد أفراد أسرته أو جيرانه لمواقف ينتج عنها ضغوط نفسية هائلة تصاحب مشاهد القتل والإصابات الجسدية وتدمير المنازل والممتلكات والبيئة المحيطة، ويمثل ذلك صدمة كبيرة خارج نطاق الخبرة الإنسانية العادية، ويؤدى ذلك فيما بعد إلى أعراض الاضطراب النفسى فى صورة قلق وتوتر دائم، وتظل ذكريات المواقف الأليمة ماثلة فى ذاكرته تقتحم تفكيره فى كل وقت بما يجعله يعيش هذه التجربة الأليمة فى اليقظة وبعد النوم فى صورة كوابيس تعيد مواقف الصدمة، ويتبع ذلك شعور بالإجهاد والألم النفسى والضيق والعزلة واليأس ومن ردود الأفعال التشتت الذهنى والانتباه الزائد ورد الفعل العصبى لكل شئ يذكر الإنسان بمشاهدة الصدمة النفسية الأليمة (عصاب الحرب) ويفقد النفس الاستمتاع بالحياة لتحل مشاعر الإكتئاب الجماعى، وقد لا تظهر هذه الأعراض مباشرة كما يشير بذلك "لطفى الشربينى" عقب التعرض للصدمة ويتأخر ظهورها لشهور أو سنوات. ويكفى أن نعلم أن حالات اضطرابات الضغوط التالية لصدمة الحرب **Posttraumatic stress disorder** وتعرف إختصارا **PTSD** وهى حالات تنشأ من التعرض لأحداث وصدمات نفسية تمثل خبرات أليمة تفوق الاحتمال وتتضمن تهديدا خطيرا للحياة نتيجة للضرر الذى يلحق بالفرد وبأسرته أو تدمير منزله أو ممتلكاته ومازال يعانى منها جنود حرب فيتنام رغم مرور أكثر من ٤٠ عاما على تعرضهم لمواقف الرعب أثناء القتال. وإذا نظرنا إلى ما يحدث لأشقائنا فى العراق وفى الأراضى الفلسطينية المحتلة والذى تقوم وسائل الإعلام بنقله إلى كل أرجاء العالم وما تتضمنه من مشاهد عنف ودمار قاسية تثير المشاعر لكل من يشاهدها بل ويستنكرونها حيث تتجاوز الحدود واللغة وينشأ عنها آثار سلبية عميقة مثل المشهد الذى شاهده العالم للطفل "محمد الدرة" الذى تم اغتياله بين أحضان والده. كما أن استمرار الشعب الفلسطينى لفترة طويلة تحت التهديد والتعرض للضغوط الفردية والجماعية فى صورة القهر والظلم الذى يفرضه الاحتلال، وحالة الإحباط العامة وفقدان الأمل مع الوقت فى الخروج من الأزمة التى يمثلها الوضع الحالى. حيث أن سمة العدوان قد رسخت فى قلوب الأغيار حيث يكشف عنها رأيهم العام فى اختيار من يقودهم فمنذ بن جوريون إلى السفاح بيجن فهم لم يختاروا بعد إلا سفاحا مثله أو قد يفوقه سلسلة من مجرمى الحرب تنتهى بارئيل شارون سفاح صبرا وشاتيلا وإنتفاضة الأقصى.

لقد أكد آخر استطلاع للرأى أجرته جريدة "جيروزليم بوست الإسرائيلية" أثناء انتفاضة الاقصى وعلى عينة عشوائية من الإسرائيليين أن ٧٩% من أفراد العينة يوافقون على أعمال الجيش الإسرائيلى واطلاق النار الحى على المتظاهرين الفلسطينيين العزل. إن الممارسات العدوانية الوحشية ما هى إلا تصرفات طبيعية ومقبولة بل وبطولية تتطلبها

العقيدة الصهيونية، سلوك يخلو من الاحساس بالذنب والخجل بل ويبدو لـــهم إنـــه إنجـــاز عقائدى متوقع ومرغوب من شعب عدوانى، إذن نحن إزاء كيان عنصرى دما ولحما ولـــن تفلح معه سوى منهجية جديدة قائمة على الاستنزاف الممنهج لغرور وغطرسة القوة. نحن نتحدث دائما عن حكامهم العدوانيين جميعا وننسى أنهم كذلك ليرضوا حاجة شعب عدوانى.

ولعل ما يجرى الآن من قبل حكومة شارون وما جرى من قبل حكومات سابقة تصـــل إلى عهد بن جوريون يجعلنا نؤمن إيمانا راسخا بأن لا فرق بين إسرائيلى مـــن الليكـــود.. وإسرائيلى من حزب العمل.. لا فرق بين إسرائيلى من ينتمى إلى الصقور وإسرائيلى ينتمى إلى الحمائم فكلهم مخلوقات مؤذية تنتمى لفصيلة العقارب.. وهم من جانبهم لا يفرقون بين عربى يدعو إلى السلام وعربى يلجأ إلى الحجارة. عربى من دول الطوق وآخر من خارجه، فكلنا فى عيونهم صورة واحدة.

كل ذلك يؤدى إلى ظهور حالات الاضطراب النفسى وتفاقمها ويتبع ذلـــك مضاعفـــات وخيمة وبالرغم من أن أوضاعا مشابهة قد تحدث فى مناطق أخرى من العالم فـــى الـــهند والسلفادور وتركيا نتيجة للتعرض لكوارث طبيعية مثل الزلازل والفيضانات ونتيجة للحوادث الفردية والجماعية فإن هذا النوع من الأزمات الذى هو من صنع الإنسان مثـــل الحـــروب والقمع والحصار والعقاب الجماعى، تفوق فى تاثيرها المدمر على الأفراد والجماعات، تلـــك الأزمات التى تنشأ فى ظروف طبيعية لا دخل للإنسان فيها ولا سلطان له عليها.



Most conflicts contain a core of truly incompatible goals surrounded by a larger exterior of misperceptions.

بذور سوء الادراك هذا. تقود محاباة خدمة النفس للأفراد والجماعات لتقبـــل الصـــدق لأفعالهم الطيبة وإزالة المسئولية عن الأفعال الشريرة، بدون تولية الآخرين نفـــس مـــيزة الشك. يميل النزوع إلى إرضاء النفس، لدى بعض الناس لإنكار خطأ الأفعال الشريرة التى لا يمكن إزالتها. يفند الفرد المعلومات ويفسرها لتتناسب تصوراته السابقة وتتفق مع أهوائـــه الشخصية. تركز المجموعات دائما على خدمة أنفسهم وإرضاء ومحاباة ميولهم الخاصـــة. دليل واحد على تفكير الجماعات هو الميل لفهم المجموعة الخاصة بهم كـــ (أخـــلا قـــى، قوى)، عكس (شرير وضعيف). **Terrorist acts that are despicable brutality to most people are "Holy war" to some Middle Eastern Sects.** إن الأفعال الارهابية الوحشية والحقيرة هى 'حرب مقدسة' بالنسبة لبعض الناس فى بعـــض طوائـــف الشرق الأوسط. وأقرب مثال على ذلك الإرهاب الوحشى والعمليات العسكرية الإســـرائيلية الشاملة ضد الشعب الفلسطينى الأعزل الشعب الذى تظاهر اعتراضا علـــى اقتحـــام مجـــرم الحرب الإرهابى أرييل شارون للمسجد الأقصى فى ٢٠٠٠/٩/٢٨ ولمواجهة هذه الانتفاضة

الشعبية شنت إسرائيل عمليات عسكرية بالطائرات والدبابات فى رام الله وغزة كما قصفت المروحيات مدينتي الخليل ونابلس وسط تصعيد لم يسبق له مثيل منذ اندلاع انتفاضة الأقصى، إن حقيقة كون الفرد فى مجموعة، قد تطلق النار لمحاباة فرد فى المجموعة، وتكون النماذج التى تشكلت فورا مستعدة بالدليل المتناقض.

بتقديم بذور سوء الإدراك الاجتماعى تلك، فلا ينبغى أن يدهشنا، رغم أنه ينبغى أن يرشدنا، أن تكتشف أن الناس المرتبطين بصراعات يشكلون دائما صور تآمرية ومشوهة لبعضهم البعض، ولكن إن أنواع سوء الفهم يمكن التنبؤ بها.

◆ سوء المفاهيم الانعكاسية المتبادلة: Mirror – Image Perceptions

إلى درجة تستوقف النظر، فإن سوء الفهم لهؤلاء المتصارعين يكون متبادلا. فهم يقصدون أن ينسبوا (يعزو) Attribute المميزات The same virtues لهم والمساوئ Vices للآخرين (أطراف التفاوض الإسرائيلى ينسبون المميزات (المرونة فى التفاوض) لهم والمساوئ للفلسطينيين لإصرارهم على إعادة القدس الشرقية المحتلة واعلان الدولة الفلسطينية)، العراقيون الغازيون لأراضى الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ (ينسبون الشجاعة والوطنية والقومية والانتماء للأمة العربية) لهم والخيانة لشعب الكويت وقادته لسماحهم لقوات التحالف 'عاصفة الصحراء' لرد المعتدى العراقى وتحرير الكويت، وأن الكويت سبب الابادة الجماعة للشعب العراقى بفعل الحصار والعقوبات المفرطة. عندما زار عالم النفس الأمريكى يورى برونفبريز Urie Bron fenbrenner (١٩٦١) روسيا فى عام ١٩٦٠ وتحدث مع المواطنين الروس بالروسية، اندهش عندما سمع أن معظم الروس يقولون نفس الأشياء عن أمريكا التى يقولها الأمريكيون عن روسيا. قال السوفييت أن الحكومة الأمريكية كانت قوية وشرسة عسكريا، إنها استغلت الشعب الأمريكى وخدعته، إنه فى الدبلوماسية لا يمكن الوثوق بها. 'ببطء وبألم' فقد وجُد الشخص نفسه يقول إن الصورة المشوهة للروس عنا كانت متشابهة جدا لتصورنا عنهم، صورة انعكاسية A mirror Image. إن تحليلا حديثا عن المفاهيم السوفيتية والأمريكية قام به علماء النفس (مثل رالف وايتRalbe White ١٩٨٤) والعلماء السياسيين (مثل روبرت جيرفيسJervis ١٩٨٥) يشير إلى أن سوء الفهم المتبادل الإنعكاسى يتمادى Persist. تنظر الحكومة الأمريكية إلى تورط السوفييت فى أفغانستان مثلا تنظر الحكومة الروسية إلى التدخل العسكرى الأمريكى فى فيتنام. كما يعتبر السوفييت الأمريكيين هم محرضى الحرب بمساندة الثوار لمحاولة التمرد على حكومة نيكاراجوا، فإن الأمريكيين يعتبرون الامبراطورية الشيوعية الشهيرة بمساندتها للثوار على التمرد على حكومة السلفادور. ينتج عن مثل سوء الفهم المتبادل هذا سباق تسلح مرير. إن دراسات السياسيين والبيانات السياسية توضح أن الشعب فى كلتا الأمتين:

أ) يفضل عدم التسلح المتبادل على العواقب الأخرى.

ب) ويريد فوق كل هذا أن يتجنب عدم التسلح بينما يتسلح الجانب الآخر ولكن.

ت) يدرك أن الجانب الآخر يفضل الأفضلية للعسكرية (بلوسPlous ١٩٨٥).
إذن برغم أن الأمتين يدعون أنهم يفضلون عـدم التسـلح Disarmament فإنـهما يشعران أنهم مضطرون لتسليح أنفسهم لمواجهة البناء النووى للجانب الآخر.

"The present tensions with their threat of national annihilation are kept alive by two great illusions – the one, a complete belief on the part of the soviet world that the capitalist countries are preparing to attack it; that sooner or later we intend to strike. And the other, a complete belief on the part of the capitalist countries that the Soviets are preparing to attack us; that, sooner or later, they intend to strike." "General Douglas Mac Arthuur 1966"

تظل التوترات الحالية بتهديداتها بالإبادة القومية حية عن طريق وهميين كبيرين: الأول هو اعتقاد كامل من الجانب السوفيتى بأن الدول الرأسمالية مستعدة للهجوم عليه: عاجلا أم أجلا لتضرب، الثانى هو اعتقاد كامل من الجـانب الرأسـمالى أن السـوفييت يسـتعدون لمهاجمتنا. عاجلا أم آجلا أولا ينون أن يغيروا. جينرال دوجلاس ما كآرثر ١٩٦٦

- **عندما يرى جانبان الأشياء باختلاف كبير، فعلى الأقل واحد من الاثنين يسئ فهم الآخر.**

وعندما يوجـد مثـل سـوء الفـهم هـذا، أضـاف بـرون فينبريـنر "Bron Benberenner" "فإنها ظاهرة نفسية بدون التوازى فى عواقبها وخطورتها.. بسـبب أنها خاصية لمثل هذه الصور التى يؤكدونها بأنفسهم ولا تحتمل التغيير". كما رأينا مـن قبل، لو توقع أ من ب أن يكون عدائيا، فإن أ قد يعامل ب بنفس الطريقة الى يحققها ب لتوقعات أ، هذا التوقع إذن بداية لدائرة شريرة. يفسـر مورتـون دويتـش Morton Deutsch (١٩٨٦) "تسمع الاشاعة الخاطئة The False Rumor أن صديقا يقـول أشياء سخيفة Nasty عنك، تحتقره، ثم يحتقرك هو، يثبت توقعاتك. مشابها لذلـك، إذا اعتقد صناع السلام فى الشرق والغرب أن الحرب وشيكة وهناك محاولات لزيادة الأمـن التسليحى ضد الآخر، فإن رد الفعل للآخر سوف يرضى الحركة الأولى".

استنتج بعض الملاحظين للصراع العربى ـ الاسرائيلى أن سوء الفهم السلبى المتبادل هو عائق أساسى للسلام. يصر كلا الجانبين "إننا" متحركين باحتياجنا لحماية أمتنا وبلادنـا بينما "هم" يريدون أن يمحونـا ويلتـهموا أرضنـا (ر.ك. وايـت R.K. White ١٩٧٧، هيرادستفي Heradstvei ١٩٧٦). لدى كلا الجانبين صعوبة فـى استحسـان كيـف أن أفعالهم الخاصة تدعم خوف وغضب الآخر. بتقديم عدم الثقة المتزايد، تكون المفاوضـات Negotiation مستحيلة. فلا شك أن أعتى الصراعات فى هذا العالم لم تحل ولن تحـل إلا إذا تم الأخذ بعين الاعتبار منطق ومنطلقات المعطيات الثقافية التى تمثل الأطـر المرجعيـة Frames of reference (العوامل الذاتية والموضوعيـة التـى تحـدد طبيعـة الإدراك)

للمفاوضين. فالإطار المرجعى يختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى، فإذا أصرت الدولة العبرية مثلا على اعتبار القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل لمعتقدات دينية وثقافية، فإن العرب والمسلمين لن يرضوا أبدا أيضا من منطلق معتقدات دينية وثقافية كذلك. فإذا لم تدرج الشروط والمعطيات الثقافية والأطر المرجعية للمفاوضين فى عملية السلام بصورة عادلة سيظل الصراع قائما والسلام هشا ولن تكون له صفة الدوام.

ويظهر التعصب Prejudice بوضوح فى أوقات الصراع. وعادة ما يرى الشخص اعدائه على أنهم أقل آدمية (متدنيين) ويطلق عيهم ألقاب تهين آدميتهم. غالبا ما يرى الفرد عدوه كأقل آدمية ويميزهم بألقاب مهينة (إنها طبيعة البشر ـ كراهية الذين أساءوا إلينا (أذونا). لذلك فخلال الحرب العالمية الثانية فإن اليابانيين أصبحوا (اليابانيين خبثاء) من وجهة نظر الأمريكان. وبعد نهاية الحرب أطلق عليهم (اليابانيين الأذكياء) الذين يحترمهم الأمريكان. الآن الاتجاهات متكيفة بدهشة. (٤:٤٩٨).

مفاهيم متبادلة: (كما تراهم، يرونا)(×):

ادعاءات	نموذج بيان للرئيس ريجان	نموذج بيان للسكرتير العام السوفيتى
١-نحن نفضل عدم التسلح المتبادل.	• لا نريد أكثر من أن نشترك معهم فى تقليل عدد القنابل (مجلة نيويورك تايمز ٨٤/٦/١٥)	• لا نحاول السعى للأفضلية العسكرية عليهم: نريد الحسم وليس الاستمرار فى سباق التسلح (مجلة نيويورك تايمز ٨٥/٣/١٢)
٢-يجب أن نتجنب عدم التسليح بينما يتسلح الجانب الآخر.	• نرفض أن نكون أضعف بينما تظل القوة العسكرية لهم ولمغامراتهم الإمبريالية (مجلة نيويورك تايمز ٨٢/٦/١٨)	• بلادنا لا تريد الأفضلية النووية، ولكن لا نسمح بالأفضلية لهم (برافاد ٨٤/٤/٩).
٣-على عكس ما يريد الجانب الآخر الأفضلية العسكرية	• بالنسبة للقادة السوفييت فإن السلام ليس المسألة الحقيقية، ولكن المسألة هى محاولة نشر سيطرتهم باستخدام القوة العسكرية (نيويورك تايمز ٨٤/٦/٢٨)	• العائق الأساسى ـ والموضوع الكامل لمحادثات جنيف دليل على ذلك ـ هو محاولات الأمريكان وخلفائهم لتحقيق الأفضلية العسكرية (برافادا ٨٤/١/١٣).

(×) بتصرف من بلص Plous – ١٩٨٥.

إن سوء المفاهيم المتبادلة التدميرية تعمل أيضا فى الصراعات بين المجموعات الصغيرة وحتى بين الأفراد. كما رأينا فى لعبات المعضلة، قد يقول كلا الجانبين "نريد التعاون ولكن رفضهم للتعاون يضطرنا للتعامل دفاعيا". فى دراسة للمنفذين (ذوى مناصب كبيرة)(كشف كينيث توماس، ولويس بوندى ـ ١٩٧٧)، انتسابات مماثلة تخدم النفس. عند السؤال لوصف السلوك خلال صراع حديث مميز، ٧٤% يرون أنفسهم متعاونين، فقط ٢١% كمتنافسين. فقط ٢١% يشعرون أن الجانب الآخر متعاون مثلهم، ٧٣% يرون الجانب الآخر متنافس. فسر المنفذون ذلك أنهم "اقترحوا، أعلموا" ، "رشحوا" بينما أعداؤهم طالبوا، "لم يوافقوا على أى شئ قلناه"، و "رفضوا".

- **سوء الإدراك الانعكاسى المتبادل:**

Mirror – Image perception

For example, each may view itself as moral and peace – loving and the other as evil and aggressive.

كمثال: كل واحد يرى نفسه فاضل (طاهر) ومحب للسلام والآخر شرير (خبيث) وعدوانى.

The Blacktop illusion وهم الرأس العليا السوداء

إن الصراعات الدولية يتم تموينها وتمتد أيضا بما سماه رالف وايت (١٩٦٩) بـ "وهم الرأس العليا السوداء: القادة الأعلى للعدو يعتبرون الآخرون أنهم شريرون وعصبيون؛ بالرغم من كون شعبهم محكوم ومستغل، فهم يعتبرون منا وميالون لنا، ميزت مثل تلك الاعتقادات رؤى الروس والأمريكان لبعضهم البعض. تماما مثل الآخر، دخلت الولايات المتحدة حرب فيتنام معتقدة أن هي مناطق يحكمها "الإرهابيون" الشيوعيون الفيتنام، هناك أناس حلفاء ينتظرون. كما وضحت معلومات كانت مطموسة، كانت تلك الاعتقادات أفكار، أمنيات. تساءل وايت: افرض أن صناع الدبلوماسية الأمريكيين عرفوا أن الشعب الفيتنامى العاطفى المعتدل كان ضدنا، وعرفوا ذلك واضحا، فى وقت عملهم لـ "عهود" قدرية والمخاطرة بالمركز الأمريكى وعواقب ذلك، هل كان سيصبح لدينا كل هذه المأساة من حرب فيتنام؟ اشك فى هذا..

يمثل وهم الرأس العليا السوداء وظائف نفسية متعددة. تدعم النوايا الطيبة للشخص ـ تقدم قادة شريرين ملائمين convenient ـ لتركيز العداء عليهم، وتقدم الأمل بأن شعب الجانب الآخر، لو لم يُرهبوا قد يتمردون بسعادة على هؤلاء الذين يتحكمون فيهم، ثم يهرعون للجانب الآخر.

Shifting perceptions:تغيير أو تحويل المفاهيم

لو لازمت سوء المفاهيم الصراع، فإنها ينبغى أن تظهر وتختفى كلما تصاعدت الصراعات وتدانت. وهكذا بسهولة مدهشة إن نفس العمليات التى تخلق صورة العدو تستطيع أن تحول هذه الصورة حيث يصبح العدو حليفا. إذن فإن "اليابانيين المتوحشين المتعطشين للدماء والسفاحين فى الحرب العالمية الثانية أصبحوا بعد ذلك ـ فى عقول الأمريكان (جالوب ١٩٧٢) وفى الاعلام الأمريكى ـ "حلفاءنا الأذكياء العاملين بجد واسعى الحيل" أصبح حلفاءنا فى الحرب العالمية الثانية (الروس)، السفاحين المناهضين لنا حتى

الألمان الذين كرهم الأمريكان بعد الحربين العالميتين ثم أعجبوا بهم ثم كرهوهم مرة أخرى وأعجبوا بهم أخيرا، من الواضح أنهم لم يعودا مصابين بالوحشية فى شخصيتهم الوطنية. وفى ذاكرة عدد منا، أصبح الصينيون الحمر الذين حاربناهم فى كوريا الشمالية كرماء وصناع لجمهورية الصين الساحرة. من الواضح أن تصوراتنا لهؤلاء الذين نصارعهم لا ترضى أفعالنا ولكن أيضا تتغير وتتحول بسهولة مذهلة.

يزودنا تمادى سوء الفهم خلال الصراع بشئ يذكرنا أن الناس لا تحتاج أن تكون أشرارا مجانين أو غير عاديين ليشكلوا تصورات تآمرية ومشوهة عن أعدائهم. عند الصراع مع أمة أخرى، جماعة أخرى أو حتى زميل غرفة أو أب، فنحن نطور مجموعة من سوء المفاهيم تسمح لنا أن نفهم أن بواعثنا وأفعالنا كلها جيدة، وتصرفات الآخرين شريرة. ويكون عدونا مفهوما متبادلا عنا. لذلك يستمر الصراع حتى يسمح لشئ ما لإزالة سوء مفاهيمنا ونعمل على إعادة تآلف اختلافاتنا الحقيقية.

- **التبعية الإدراكية والنماذج المغلوطة:**

أى أن تكون مقولات المرء الإدراكية مستقاة من الاخر، فيرى الإنسان نفسه متخلفا مهما بذل من جهود ومهما أنتج من روائع ويحكم على نفسه بالهزيمة حتى قبل دخول الصراع من خلال تبعية اداركية كامنة تنصرف إلى أسلوب الحياة وإلى رؤية الذات ورؤية الآخر. مثل وصف الصهيونية بالعالمية وهى لا أثر لها فى الصين أو الهند أو اسيا (باستثناء الجيب الاستيطانى فى فلسطين). بل أفضل لنا أن نسميها "الصهيونية الغربية" لأن كلمة عالمية تضفى على الصهيونية هيبة لا تستحقها ورهبة لا تنبع منها وقوة لا تملكها. ويعد قولنا "معاداة السامية" اقتران بين اليهود والساميين والصح اقتران العرب بالسامية نظرا لأن اللغة العربية هى أم اللغات السامية على الإطلاق حسب رأى علماء اللغات السامية. وهذه كلها محاولات تستهدف فرض نماذج إدراكية علينا فلا نرصد سوى ما يواد لنا أن نرصده بعيدا عن الواقع.

ولكن هناك ما يسمى "لوبى صهيونى" وهى جماعة الضغط المصلحية التى تتغنى بامجاد إسرائيل من خلال أنه شعب سامى وأنه الجيش الذى لا يقهر فكل لوبى فى العالم يعلن أنه يضغط من أجل مصالح محددة، فها هى منظمة مهمة مثل الكونجرس اليهودى العالمى، دوره فى الدفاع عن مصالح أفراده، وتنشط جمعياته الضاغطة للتأثير سياسيا على الحكومات فى أمريكا من أجل مصلحة اليهود. ولا ننسى القلاقل التى سببتها هذه المنظمة (الكونجرس اليهودى العالمى) للرئيس النمساوى الأسبق كورت فالدهايم بسبب عدم رضاها عن مرحلة من تاريخه الشخصى، وكادت غضبتها تهز قواعد البنوك السويسرية. ثم تأتى خطورة من جانب آخر وهى قدرة بعض هذه المنظمات على التغلغل داخل وسائل الإعلام.. واضطلاع البعض منها بأعمال مافاوية وإجرامية عبر استغلالها طرق العولمة التى لا تعرف حدودا أو سدودا.

ترى ما هى علاقة علم النفس بقضايا الصراع عامة وبقضايا الصراع العربى الإسرائيلي بصفة خاصة؟ يلقى "قدرى حفنى" الضوء عى بعض تلك التصورات:

أولاً: إن علماء انفس يتباينون من حيث توجهاتهم الفكرية ومن ثم من حيث توظيفهم لعلمهم. إن من بين المتخصصين فى علم النفس من كرسوا أنفسهم لخدمة قوى الشر والتعصب والعدوان موظفين علمهم فى خدمة النازية، أو المكارثية، أو الستالينية، أو الصهيونية إلى آخره، ومنهم أيضا من دفعوا من أرزاقهم، وحريتهم، بل ومن قدموا حياتهم استشهادا فى سبيل قوى الخير والعدل والحرية، موظفين علمهم فى خدمة حركات التحرر أينما كان موقعها. وإذا كان أبناء الفريق الأول قد أقاموا لأنفسهم مكانا فى العديد من التنظيمات الحكومية الرسمية، فإن أبناء الفريق الثانى قد أقاموا لأنفسهم عشرات التجمعات غير الحكومية التى تعبر عن أهدافهم. ولعل أحدث تلك التجمعات "جماعة علم النفس الراديكالى" وتشير الوثيقة الرئيسية للجماعة إلى أنها تعبر عن علماء النفس الذين يعارضون استخدامه لخدمة سياسات القهر والاستغلال، يساندون المقهورين، ويستخدمون معرفتهم استخداما إيجابيا للعمل من أجل التغيير الاجتماعي اللازم لخلق مجتمع أفضل.

ثانيا: إن تيارات علم انفس جميعا لا تتعامل مع كافة الصراعات حتى تلك اتى تنشب بين الأفراد باعتبارها مجرد صراعات نفسية المنشأ، بل إن ثمة تفرقة واضحة بين الصراعات ذات المنشأ النفسى والتى قد تكون لها مترتبات مادية، وتلك الصراعات ذات المنشأ المادى الاجتماعى الاقتصادى التاريخى ذات المترتبات النفسية، وتبعا لذلك تختلف مواقف علماء النفس من تصنيف الصراع العربى الإسرائيلى تبعا لمواقفهم الفكرية السياسية.

ثالثا: إن تيارات علم النفس جميعا تتفق على التفرقة بين نوعين من تاثيرات التفاعل بين الجماعات يختلفان باختلاف طبيعة الصراعات بين تلك الجماعات، فإذا كانت تلك الصراعات صراعات نفسية المنشأ، فإن مثل ذلك التفاعل قد يسهم فى تذويب المشاعر العدوانية التى تفتقد فى هذه الحالة المبرر المادى، أما إذا كانت تلك الصراعات تدور حول قضايا مادية اجتماعية اقتصادية تاريخية، فإن نتائج التفاعل بين أفراد هذه المجتمعات يتوقف على موضوع التفاعل وطبيعة هؤلاء الأفراد، ومن ثم فقد يؤدى مثل هذا التفاعل فى كثير من الأحيان إلى رؤية صورة الآخر بشكل أكثر وضوحا مما يدعم من مشاعر الكراهية والرفض حياله. ومرة أخرى فإن مواقف علماء النفس من قضية الأسلوب الأمثل لإدارة العلاقات العربية ـ الإسرائيلية تتفاوت تبعا لرؤيتهم لطبيعة الصراع العربى الإسرائيلى، ومواقفهم حياله (١٦: ٢٠٠٥-٢٠٦).

- **صنع السلام: Peacemaking**

أشار الرئيس مبارك إلى ضرورة التركيز على نشر الثقافة المرتبطة بالسلام بين الأفراد والشعوب، وذلك فى خطابه بمناسبة مرور خمسين عاما على إنشاء هيئة اليونسكو فى الاحتفال الذى أقيم بباريس. إنها رؤية شاملة عن طريق الخير والمنفعة، وهى قفزة حضارية نحو الوعى الشامل للتآخى بين الناس وإختفاء الأحقاد ليحل محلها التآلف والوئام والتآخى لكل الناس مهما اختلفت ألوانهم وعقائدهم.

لقد رأينا كيف تشتعل Contact الصراعات بالمكائد الاجتماعية Social traps، ملاحظة أو إدراك الظلم Perceived in justics ، المنافسة، سوء الإدراك والمفاهيم الاجتماعية، والصورة نفسها تظهر قائمة مروعة. ولكن الواقع غير ميؤس منه. فى بعض الأحيان تتحول العداءات إلى صداقات، الصراعات إلى تآلف. ركز علماء النفس الاجتماعيون أبحاثهم على سياسات أربعة ممكنة لمساعدة الأعداء ليكونوا رفقاء. قد يسمى ذلك الأربعة "

C's " لصنع السلام: الاتصال، التعاون، التواصل، التصالح أو التآلف.

(١) الاتصال: Contact

هل من الممكن وضع مجموعتين متصارعتين فى اتصال متقارب من أجل أن يعرفوا بعضهم أفضل ويحبوا بعضهم؟ لقد عددنا من قبل بعض الأسباب لإمكانية حدوث ذلك رأينا أن التقارب Proximity والتفاعل المصاحب له والتوسع فى التفاعل أو التحريض النادر قد يصعد الحب. إن الانقلاب الحديث فى التمييز العنصرى "التعصب" الفاضح فى الولايات المتحدة تتبعه جيدا ميول عدم التمييز desegregation. يشبه ذلك إلى حد كبير المبدأ أن "**الاتجاهات تتبع السلوك**" لو أن هذا المبدأ الاجتماعى النفسى اتضح الآن، تذكر، هكذا تظهر الأشياء عادة ـ بمجرد أن تعرفها. بالنسبة للمحكمة العليا الأمريكية عام ١٨٩٦ (بليسى ف فيرجسون Plessy V. Ferguson)، تبنى فكر، أن سلوك عدم التمييز قد يؤثر على الإتجاهات العنصرية كان واضحا جدا. الذى ظهر واضحا بمرور الوقت كان أن "التشريع لم يكن قويا ليستأصل الغرائز العنصرية".

خلال الثلاثين عام الماضية فى الولايات المتحدة، قد قل كل من التفرقة العنصرية والتعصب Segregation and prejudice. ولكن هل كان السبب فى هذه المواقف المتحسنة، ذلك الاتصال العنصرى المتبادل؟ هل تأثر فعلا هؤلاء الذين جربوا عدم التفرقة بهذا الاتصال؟ **هل عدم التفرقة العنصرية(×) تحسن الاتجاهات العنصرية؟**

Does Desegregation Improve Racial Attitudes?

الدليل مختلط. على جانب واحد، بعض الدراسات التى تمت خلال أو بعد عدم التفرقة الذى تابع الحرب العالمية الثانية اكتشفت تحسنا ملحوظا فى مواقف البيض تجاه السود. سواء كان الناس موظفى محلات أو عملاء، تجار بحر، عمال حكومة، ضباط شرطة أو جيران أو تلاميذ، الاتصال العنصرى قاد إلى التعصب القليل (أمير ١٩٦٩: ت. ف. بيتجرو Pettigrew ١٩٦٩) على سبيل المثال، قرب نهاية الحرب العالمية الثانية لم يميز الجيش بعضا من سرايا البنادق (ستوفر ١٩٤٩). عند السؤال عن رأيهم فى عدم التفرقة العنصرية هذا، ١١% من الجنود البيض فى السرايا المنفصلة و ٦٠% منهم فى السرايا الغير منفصلة وافقوا.

(×) تقوم العنصرية على فكرة رئيسية مؤداها أن مجموعة محددة من البشر يتسمون بكونهم طبيعيا اسمى من غيرهم. مثال ذك غلاة المفكرين الصهاينة حين يقررون أن هناك فروقا اساسية بين اليهود من ناحية وبين الاغيار Gentiles من ناحية أخرى ولهذا فهم يشكون فى كل من هو غير يهودى.

عندما أخذ كل من مورتون دويتش ومارى كولينز (١٩٥١) فرصة إجــراء التجربــة الطبيعية (التنظيمية) لاحظوا نتائج مشابهة. طبقا لقانون الولاية، تم عدم التقيد بالتفرقة فى وحدتين للإسكان الشعبى فى مدينة نيويورك: تم تسكين العائلات فى شقق عشــوائيا علــى غير تعيين دون الاعتبار للعنصر أو الجنس. فى تطور مشابه بالقرب من نيوأرك تم تسكين البيض والسود فى مبانى منفصلة. فعندما تم استطلاع عن طريــق النســاء البيــض فــى التطويرين، هؤلاء فى التطوير غير العنصرى كانوا مســتعدين لتفضيــل الاسكــان غــير العنصرى ويمكن القول إن مواقفهم تجاه السود قد تحسنت. تم ذبول (نبذ) النماذج المبــالغ فيها فى وجه الواقع. كما قالتها إمرأة " لقد أصبحت أحبها. أرى أنهم بشر مثلنا".

كتشجيع أقل، على الجانب الآخر، كانت نتائج عدم التفرقة المدرسية. راجع عالم النفس الاجتماعى والتر ستيفان Walter Stephan (١٩٨٦) كل الدراسات السابقة واســتنتج أن الاتجاهات العنصرية لم تتأثر كثيرا بعدم التفرقة العنصرية. أحيانا يتبع عدم التمييز تعصــب متزايد (خاصة عن طريق البيض تجاه السود) وأحيانا يتبع تعصب متناقص (عــن طريــق السود تجاه البيض). ولكن على التوالى تبدو التأثيرات محدودة لكل من التلاميــذ الســود والبيض. جرب التلاميذ السود فى المدارس غير المميزة عامة فقــط الدفعــات الأكاديميــة المحلية (فى القراءة وليس تحصيل الحساب) ولا تقدير أو إجلال الــذات علــى الإطــلاق. بالنسبة للسود فإن النتيجة الملحوظة أكثر فى المدارس غير الممــيزة هــو تــبرم طويــل واحتمال متزايد للإدراج أو التسجيل فى الكليات المندمجة (أو المسيطر عليها عن طريــق البيض) والحياة مع جيرة مندمجة والعمل فى مجموعات مندمجة.

قد يكون بعض القراء مشوشين بهذا الدليل المثير؛ أحيانا يحسن عدم تفرقة الاتجاهات العنصرية (العرقية)، وأحيانا لا. ولكن هذه الاكتشافات هى تماما النوع الــذي يثــير روح الاستخبار للعالم. عندما تشير مجموعة من اكتشافات الابحاث إلى نتيجة واحــدة وأخــرى مختلفة عنها. فإن عاملا ما من المحتمل أن ينشط. حتى ذلك الوقت، لقد كتلنا عدم التميــيز كله معا. يوجد عدم التمييز فى طرق متعددة وتحت ظروف مختلفة جدا. لذلك فإنــــه لمــن المؤكد التبسيط المفرط an oversim plification حين القول بأن عدم التفرقة له هـــذا التأثير أو ذلك علينا.

متى يحسن عدم التمييز (التفرقة) الاتجاهات العنصرية؟

When does desegregation improve racial attitudes?

لتوضيح الاختلافات الجوهرية بين مجموعتين من الدراسات، نستطيع أن نقارن بينهما بالتفصيل. ولكن هناك طريقة أسهل. بالاشتقاق من النظريات التى تطــورت مــن أبحــاث المعامل، نستطيع أن نفكر **ما هى العوامل التى قد تصنع فرقا (تمييزا)؟** ثم نرى ما إذا كــانت هذه العوامل فقط موجودة فى مجموعة من الدراسات وليست فى المجموعة الاخرى.

دعنا نرجع إلى حيث بدأنا. هل كمية الاتصال العنصرى عامل؟ فعلا تبدو كذلك. ذهــب الباحثون إلى عشرات من المدارس الغير مميزة ولاحظوا مع من يأكل الأطفال من عنصــر معين ومع من يتباطأون ويمشون. بالرغم من كونه أقل حسما من الجنس، إلا أن العنصــر عامل قوى المفعول. يتجمع البيض على غير تناسب مع البيض، وكذلك السود مع الســود

(شوفيلد Schofield ١٩٨٢). وتوسع البرامج النظرية المتتابعة عادة مثل هذه التفرقة عن طريق فصل التلاميذ البيض المتميزين نظريا فى فصل معظمه بيض. يستنتج الباحثان "أندرو ساجار وجانيت وارد شوفيلد ١٩٨٠" **أن دمج المجموعات المتباعدة معا فى نفس المدرسة يقدم أملا صغيرا من تبديد سوء الفهم والتحاملات والمخاوف التى تستمر فى تقسيم الشعب الامريكى.** على العكس من هذا، فإن الدراسات الأقدم المشجعة أكثر عن موظفى المحلات، الجنود، وجيران مشاريع الاسكان تضمنت اتصال عنصرى معقول. إن دراسات حديثة أكثر تضمنت اتصال شخصى ممتد بين المساجين البيض والسود، وبين البنات السود والبيض فى معسكر صيفى غير عنصرى ـ قد أوضحت فوائد مشابهة من الاتصال (كلور ١٩٧٨، فولى ١٩٧٦).

من المهم أن نلاحظ أن علماء النفس الاجتماعيين الذين دافعوا عن عدم التفرقة لم يدعوا أبدا أن الاتصال من أى نوع قد يحسن الاتجاهات. قبل ١٩٥٤، كان بعض البيض المتعصبين لهم اتصال واسع مع السود ـ السود فى أدوار ثانوية كعبيد، ماسحى أحذية وعمال منزل. ولكن فإن الاتصال على هذا الأساس الغير متساوى قد يولد اتجاهات لا ترضى استمرار مثل تلك العلاقات. لذلك فإنه من المهم أن يكون الناس المتصلين لهم حالة متساوية. هذا كان مثل الاتصال بين موظفى المحلات، الجنود، الجيران والسجناء وزملاء المعسكر الصيفى. هذا النوع من الاتصال لم يكن موجودا فى المدارس الغير مميزة. قال الباحثون إن التلاميذ البيض عامة أكثر نشاطا، أكثر نجاحا، أكثر تأثيرا (كوهين ١٩٨٠، يوردران وروجيرو ١٩٨٠) عندما تم نقل تلميذة سوداء فى المستوى الثامن من مدرسة أكاديمية أقل مرتبة إلى مدرسة للطبقة المتوسطة معظمها بيض مع مدرسين بيض ينتمون للطبقة المتوسطة ويتوقعون قليلا منها، فإن الفرص هى أنها سوف تستقبل عن طريق زملاءها ونفسها على أنها حالة أكاديمية أقل منهم.

(٢) التعاون: Cooperation

- يميل البعض إلى الاعتقاد بأن التعاون هو نقيض المنافسة وهذا غير صحيح إذا كان المقصود به أن أحد الطرفين فى ظروف معينة يقتضى زوال الطرف الآخر. فعندما تتعاون جماعة من الجماعات فإنها تبذل جهدا مشتركا للوصول إلى غاية معينة يرغب كافة أعضائها فى بلوغها. وفى كثير من الأحيان قد يضاعف نظام المنافسة داخل الجماعات من فرص نجاحها فى تحقيق أهدافها الأساسية. والواقع إن الصراع هو نقيض التعاون وليس المنافسة. ومع ذلك فقد يحصل التعاون دون وقوع المنافسة داخل الجماعات. وقد يتناسى أو ينسى المتنافسون لياقة التعاون فيها بينهم (١٧: ٢٤٥-٢٥٥).
- بالرغم من أن الاتصال المتساوى فى الحالة قد يساعد، على الوفاق والتآلف فإنه غير كافى أحيانا. فإنه لم ينجح عندما حسم العمدة (الشريف) المنافسة بين "الملائكة والثعابين" وجمع المجموعتين معا فى أنشطة غير تنافسية مثل مشاهدة السينما أو المنافسة فى تنظيم المعسكر، أو إطلاق النار والطعام فى هذا الوقت، كان العداء بينهم قويا جدا إلى درجة أن أى اتصال يقدم الفرصة لتهكمات ومهاجمات! عندما اصطدم

واحد من "الملائكة" بواحد من "الثعابين"، زمــلاؤه الملائكــة حرضــوه "أن لا يكنــس الزبالة". من الواضح أن عدم التمييز بين المجموعتين لم ينجح فى تنمية تكاملـــهم أو اندماجهم الاجتماعى.

- بتقديم مثل هذه العداءات الموجودة، فإنه يبدو أن السلام مستحيل. ماذا يستطيع صــانع السلام أن يفعل؟ فكر مرة أخرى فى بعض جهود عدم التفرقة الناجحة والغير ناجحــة. إن الاختلاط العنصرى فى سرايا البنادق فى الجيش ليست فقط تجميع البيض والســود فى حالات اتصال متساوية، ولكن أيضا جعلهم متكافلين معا، كانوا يحاربون ضد عــدو مشترك،
- قارن بين هذا التكافل مع الموقف التنافسى الموجود فى أى فصل دراسى، سواء ممــيز أو غير مميز. هناك يتنافس التلاميذ من أجل الدرجات الجيدة، استحســـان المــدرس، ومفاخر ومزايا متعددة. هل المشهد التالى مألوف (أرونسون ١٩٨٠)؟! يسأل المدرس سؤالا، يتم رفع عدة أيادى: يجلس التلاميذ الآخرون، العين فــى الأرض محــاولين أن يكونوا غير مرئيين. عندما ينادى المدرس على واحد من الوجود المتحفــزة، يتمنــى الآخرون إجابة خاطئة منه، مع إعطائهم الفرصة لعرض معلوماتهم. هؤلاء الذين فشلوا فى الاجابة وهؤلاء الذين نظروا فى الأرض شعروا كأنهم خاسرون فى تلك الرياضـــة النظرية عادة ويستاؤن من هؤلاء النين نجحوا. يكثر وجود هذا الموقف فى التنـــافس والحالات الغير متساوية الواضحة. **أن نخلق إنقسام بين التلاميذ، فإنه موقف غير مصمم جيدا.**

هل هذا يمثل عاملا ثانى يتنبأ عما إذا كان تأثير عدم التمـــيز ســيكون مفضـــلا؟ **هل الاتصال التنافسى يقسم والاتصال التعاونى يوحد؟** دعنا نفحص ما يحـــدث للنـــاس الذيــن يواجهون معا وضعا محرجا مشترك أو يعملون معا تجاه هدف مشترك.

تهديدات خارجية مشتركة: Common External threats

مع الاخرين، هل كنت ضحية لموقف تميزي كجزء من معاملتك "كبش فداء": عوقبــت عن طريق مدرس: أو إضطهدت أو تم السخرية منك بسبب هويتك الاجتماعية أو العنصرية أو الدينية؟ لو كذلك، قد تستدعى مشاعر مشتركة من التقارب مع هؤلاء الذيـــن واجــهوا الوضع الحرج Predicament معك. ربما تم اسقاط الحواجز الاجتماعية الطبيعية السابقة كلما ساعد كل منكما الآخر لتحفر فى الثلج أو تصارع لتقوى على عدوكم المشترك.

مثل هذه الصداقة هى ما تقودنا الأبحاث على تجربة تهديد مشترك لأن نتوقعها. لاحــظ جون لانزيت Lanzetta (١٩٥٥) مثل هذه الظاهرة منذ ٣٠ عاما عندما وضع مجموعات من أربع رجال من تلاميذ المدرسة البحرية ROTC للعمل فى تدريبات حـــل الصعوبــات المتعددة، ثم بدأ يخبرهم بمكبر صوت أن إجاباتهم كانت خاطئة، نسبة إنتاجهم منخفضة جدا، تفكيرهم غبى. لم تتلق مجموعات أخرى هذا الانزعاج. لاحظ لانتريتا أن أعضاء المجموعة المكرهين أصبحوا أكثر صداقة لبعضهم البعض، أكثر تعاونا، أقل مجادلة، أقل منافسة. كانوا معا وكانت النتيجة هى روح مترابطة a cohesive spirit. (اتجاه المظلومين).

كان التأثير الموحد من العدو المشترك دليلا لمجموعات الأولاد المتنافسين فى تجارب العمدة العسكرية، وفى تجارب متعاقبة عديدة (ك.ل. ديون Dion ١٩٧٩) إن صراعات أمريكا معع ألمانيا واليابان خلال الحرب العالمية الثانية، ومع إيران عام ١٩٨٠ رفعت الشعور الأمريكى بالوطنية وشددت احساسهم بالوحدة. **إن الصراعات بين المجموعات تدعم الوحدة بين الجماعات.** أصبحت أوقات الصدام العنصرى دائما أوقات الكرامة المزايدة لذلك. مجرد التذكر بمجموعة خارجية يزيد استجابة الناس لجماعتهم (ويلدر وشابيرو ١٩٨٤). إننا نعرف من "نحن"، كما هم واعون من "هم". ترى من هم هؤلاء النحن؟

إنهم فى النهاية جماعة من البشر. قد يتسع نطاق هذه الجماعة لتصبح الشعب أو الأمة أو حتى البشرية، كما قد يضيق نطاقها لتصبح العائلة الكبيرة أو العائلة الصغيرة أو حتى أضيق من ذلك فى بعض الأحيان المرضية، ورغم أن الأفراد يختلفون كل عن الآخر فإن جماعة النحن ينتمون لبعضهم البعض متجاوزين اختلافاتهم الموضوعية، بعبارة أخرى فإنهم يقبلون بوجود هذه الاختلافات ولكنهم يرون أن ثمة أوجه تشابه تجمعهم، وأن لأوجه التشابه تلك اليد الطولى. وأن قبول الاختلافات وتجاوزها فى إطار جماعة النحن، إنما يعنى التمييز بين مستويين من مستويات الصراع: الصراع داخل الجماعة، والصراع بين الجماعة وغيرها من الجماعات. ولكل من هذين المستويين قواعده وقوانينه، وأدواته، وحدوده أيضا. وفى نفس الوقت الذى تقوم فيه الجماعة – من خلال عملية التنشئة الاجتماعية – بتدريب أفرادها على تقبل اختلافاتهم وتجاوزها، فإنها تدربهم أيضا على أساليب تمييز الآخرين وسبل التعامل معهم (١٦: ٢٣٠-٢٣١) ومنها الرموز باعتبارها أطر مرجعية (Frames of Refrence) تنظم عملية الإدراك الذهنى إزاء ظواهر واقع التفاعل الحاضر إضافة إلى أحداث وملابسات الحياة الاجتماعية الماضية.

- عرف أيضا عن القادة أنهم يخلقون عدو خارجى مهدد كأسلوب لبناء ترابط الجماعات. توضح القصة الروائية لجورج أورلويل G. Orwell ١٩٨٤ هذا التكتيك. يستخدم مرشد قوم الجماعات (قائد الدولة). البطلة صراعات خارجية مع القوتين الرئيسيتين ليقلل النزاع (الشقاق) الداخلى. من وقت لآخر يتغير العدو، ولكن هناك دائما عدو. حقا، إن الدولة تحتاج عدوا. بالنسبة للعالم، أو دولة، أو مجموعة، إن الشعور بوجود عدو مشترك هو موحد قوى. يصبح عدو عدونا فورا صديقا (أرونسون ١٩٦٨ Aronson & cope).

"لم استطع أن أمنع نفسى من القول لـ (السيد جورباتشوف) فكر فقط كيف ستكون مهمتنا سهلة فى هذه الاجتماعات التى عقدناها لو أن هناك تهديد مفاجئ لهذا العالم من بعض الكواكب الأخرى. سوف نكتشف مرة واحدة وللأبد أننا كلنا بشر على هذه الأرض. رونالد ريجان ٤ ديسمبر ١٩٨٥"

- **أهداف فوق عادية: Super ordinate Goals**

إن القوة الموحدة للأهداف فوق العادية متعلقة جدا بالقوة الموحدة للتهديد الخارجى، وهى الأهداف المفروضة على الكل فى مجموعة ما وتتطلب جهدا تعاونيا. قدم العمدة مثل هذه الأهداف كجهد لخلق تجانس بين المعسكرين المتحاربين. على سبيل المثال، لقد خلق

مشكلة إمداد المياه للمعسكر. بما أن هذا الوضع الحرج أثر عليهم جميعا، غالى بما فيه الكفاية حيث يتطلب مشاركة المصادر فى كلتا الجماعتين فقد تعاونوا مرة أخرى. عندما تعطلت شاحنة فى رحلة معسكر، ترك أحدهم عن غير قصد حبلا بالقرب منها، وحرض ولدا ليقترح عليهم أن يسحبوا الشاحنة لتشغيلها. عندما اشتغلت تلا ذلك احتفال بنصرهم فى شد الحبل ضد الشاحنة. بعد العمل معا لانجاز مثل تلك الأهداف فوق العادية Super ordinate، بدأ الأولاد فى الأكل معا واستمتعوا حول نيران المعسكر، نبتت الصداقة عبر خطوط المجموعات. تعلقت العداءات. وفى اليوم الأخير، وافق الأولاد أن يسافروا لبيوتهم معا فى أتوبيس واحد. خلال الرحلة لم يجلسوا فى مجموعات ولكن بعد الآن. كلما اقترب الأتوبيس من مدينة أوكلاهوما وبيوتهم، غنوا بتلقائية معا "أوكلاهوما" وشاركوا بعضهم البعض الوداع.

بالعزل والمنافسة صنع العمدة من الأغراب أعداء. بالأهداف فوق العادية صنع من الأعداء أصدقاء.

هل الدفع معا لانجاز هدف فوق عادى يكون مفيد مع المجموعات المتصارعة من البالغين؟ تساءل كل من روبرت بلاك وجين موتون Ropert Blake and Jane Mouuton ١٩٧٩' ولذلك ففى سلسلة من التجارب كل أسبوعين تضمنت أكثر من ١٠٠٠ منفذ فى ١٥٠ مجموعة مختلفة، أعادوا خلق الخواص الرئيسية فى الموقف الذى مر به "الملائكة و "الثعابين" ارتبطت كل مجموعة أولا بأنشطة خاصة بها، ثم تنافست مع مجموعة أخرى، ثم تعاونت مع المجموعة الأخرى فى العمل معا تجاه أهداف فوق عادية قررها الإثنان. فعلا كانت نتائجهم مشابهة لنتائج العمدة وزيادة على حد قول الباحثين "دليل غير مبهم أن ردود فعل البالغين توازى ردود فعل تلاميذ العمدة الأصغر".

الآن، ورغم ذلك، استدعى أن كل الجهود التعاونية من "الثعابين والملائكة" إنتهت بنجاح. هل كان سيحدث نفس التجانس لو بقيت المياه أو كان الفيلم غير متاح، أو ظلت الشاحنة مشتغلة؟ بالتأكيد لا. فى تجارب تلاميذ جامعة فيرجينيا، أكد ستيفين ورشيل وزملائه (١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٨٠) أن التعاون الناجح بين مجموعتين يصعد انجذابهم لبعضهم البعض. مع ذلك، لو فشلت مجموعات متصارعة سابقا فى مجهود تعاونى،ولو سمحت الظروف أن ينسب كل منهما الفشل على الآخر، قد يسوء صراعهم أكثر. علي سبيل المثال، لأن مجموعات العمدة كانوا فعلا يشعرون بالعداء تجاه بعضهم ، نستطيع أن نتأمل أن فشلا ما لرفع ميزانية كافية للفيلم قد تنسب إلى البخل أو الأنانية من المجموعة الأخرى. وهكذا قد تزيد بدلا من أن تخفف من صراعهم.

- **التعلم التعاوني: Cooperative Learning**

حتى الآن لاحظنا الفوائد الاجتماعية الضئيلة من عدم التمييز المدرسى، والفوائد الاجتماعية الدراسية من الاتصالات التعاونية الناجحة بين أعضاء المجموعات المناهضة. هل يقترح وضع هذين الاكتشافين معا بديلا بناءا لتدريبات عدم التمييز التقليدية؟ فكرت فرق أبحاث مستقلة متعددة وأجابت "نعم" تساءل كل منهم عما إذا كان، بدون إيذاء الانجاز الاكاديمى النظرى، من الممكن أن يرشح شخص ما صداقات غير عنصرية عن طريق تبديل

المواقف التعليمية التنافسية بمواقف تعاونية. بتقديم شتى هذه الطرق، فإن نتائجها الإيجابية المتوافقة رائعة ومشجعة.

هل التلاميذ المشتركون فى أنشطة تعاونية موجودة فعلا، مثل فرق الرياضة غير العنصرية ومشاريع الفصل، أقل تعصبا؟ حلل روبرت سلافن ونانسى ماديين (١٩٧٩) معلومات استطلاع من ٢٤٠٠ تلميذ من ٧١ مدرسة ثانوية أمريكية ووجدوا نتائج مشجعة. هؤلاء من العنصر المختلف الذين يلعبون ويعملون معا مستعدون أكثر لذكر أن لهم صداقات من عنصر آخر والتعبير عن اتجاهات عنصرية إيجابية.

من نتائج هذا الارتباط المتبادل هل يمكن أن نستنتج أن النشاط غير العنصرى التعاونى فى مدرسة ما يحسن الاتجاهات العنصرية؟ طريقة واحدة لاكتشاف هذا هو أن نجرب. إنتدب عشوائيا بعض التلاميذ ليعملوا معا فى مجموعات مختلطة عنصريا. على سبيل المثال، قسم سلافن Slaven وزملاؤه عشرات من الفصل إلى فرق غير عنصرية، كل فريق يتكون من أربع أو خمس تلاميذ من كل مستويات التحصيل. يجلس أعضاء الفريق معا، يدرسون عددا من الموضوعات معا، وفى نهاية كل أسبوع يتنافسون مع فرق أخرى فى بطولة فى الفصل، يستطيع كل أعضاء الفريق أن يتعاونوا فى نتيجة فريقهم عن طريق الأداء الجيد، أحيانا عن طريق التنافس مع تلاميذ آخرين مستويات تحصيلهم الحديثة مقاربة لهم، أحيانا بالتنافس مع نتائجهم السابقة (مقارنة المجموعة بنفسها). لذلك كل واحد يخلق فرصة للنجاح، وأعضاء الفريق متحفزون لمساعدة بعضهم البعض للاستعداد للبطولة الأسبوعية ـ ربما بتمرين بعضهم البعض على الكسور، الهجاء أو الأحداث التاريخية ـ أيا كان الحدث التالى. تستخدم المنافسة إذا ليس لعزل التلاميذ عن بعضهم ولكن لتجميعهم فى إتصال أقرب وإدراج مساندتهم المتبادلة. استخلصت فرق أبحاث أخرى، قادها إليوت أرونسون (٧٨، ١٩٧٩) مجموعات تعاون مشابهة بأسلوب 'جيجسو' 'Jigsaw Technique' وفى تجارب المدارس الابتدائية فى تكساس وكاليفورنيا تم تعيين الأطفال لينوعوا مجموعات من ستة أعضاء عنصريا وأكاديميا. ثم تقسيم المواد التى تدرس إلى ستة أجزاء، حيث كل تلميذ أصبح خبيرافى جزءه الخاص به.على سبيل المثال، وحدة خاصة بـ 'شيلى' قد يكون أحد التلاميذ خبيرا فى تاريخها والآخر فى جغرافيتها وثالث فى ثقافتها وهكذا أولا، أصبح 'المؤرخون' والجغرافيون' وغيرهم متحكمين فى جزءهم. ثم عاد كل منهم إلى مجموعته ليعلم كل ذلك لزملاءهم فى الفصل. عقد كل عضو من المجموعة جزء من الحدوتة "Jigsaw" إن جاز القول. لاحظ أن التلاميذ الواثقين فى أنفسهم كانوا مضطرين أن يسمعوا من التلاميذ قليلى الكلام، الذين أدركوا بدورهم أن لديهم شيئا مهما ليشاركوا نظرائهم فيه.

فرق أبحاث أخرى ـ قادها ديفيد جونسون وروجرجونسون فى جامعة مينيسوتا، إليزابيث كوهن (١٩٨٠) فى جامعة ستانفورد، شلوموشاران ويائل شاران (١٩٨٦) جامعة تل أبيب، وستيوراكوك (١٩٨٥) فى جامعة كلورادو ـ قد استنبطت طرقا إضافية للتعلم التعاونى. من كل هذه الأبحاث، ماذا نستنتج؟ يتحدث المحققون لأنفسهم. يلاحظ سلافن (١٩٨٠)، على سبيل المثال، **أن التعلم التعاونى هو "وسيلة مؤثرة لزيادة العلاقات العنصرية**

الإيجابية والتحصيل فى المدارس الغير مميزة. يكتب أرونسون أن "الأطفال فى الفصول المستقلة الخاصة بـ Jigsaw ينمون ليحبوا بعضهم البعض أفضل، يطوروا حبا عظيما للمدرسة ويطوروا تقديرا للنفس أفضل من الأطفال فى الفصول التقليدية". (١٩٨٠). ويلاحظ الباحثون أيضا أن الصراعات غير العنصرية تبدأ فى النمو، وأن نتائج الاختبار للتلاميذ الأقلية تتحسن (ربما لأن التحصيل النظرى تم مساندته عن طريق زملائهم) وأن مدرسين كثيرين يستمرون فى استخدام التعلم التعاونى بعد نجاح التجارب وانتهاءها (د.و. جونسون ١٩٨١) "هو التدريب الأكثر تأثيرا لتحسين العلاقات العنصرية فى المدارس الغير مميزة التى نعرفها حتى الآن".

هل "عرفنا كل شئ عامة"؟ فى وقت قرار المحكمة العليا عام ١٩٥٤، تحدث **جوردون ألبورت** من علماء النفس الاجتماعيين فى التنبؤ بأن "التعصب Prejudice قد يقل عن طريق الاتصال المتساوى الحالة بين مجموعات الأغلبية والأقلية فى تعقب أهداف عامة. لسوء الحظ، لا يحقق عدم التمييز المدرسى هذه الشروط أو الحالات. ولكن، تم تنفيذها تحت ظروف معروفة لتقليل تأثيرها، ولعمل أى شئ ولو قليل لتحسين تحصيل التلميذ، تقدير الذات، والعلاقات العنصرية (كوك Cook ١٩٨٥). على الجانب الآخر، فإن التجارب التى صممت وأختبرت نتائج طريقة بناءة أكثر لعدم التفرقة أكدت رؤية ألبورت Allport's insight. تفاعل لذلك روبرت سلافن (فى الصحافة): ثلاثين عام بعد وضع ألبورت المبادئ الرئيسية العملية فى طرق التعلم التعاونى، لدينا أخيرا طرق عملية مبرهنة لتنفيذ نظرية الاتصال فى الفصل الغير مميز". لذلك، ولأن الاتصالات التعاونية المتساوية الحالة ينتج عنها تأثيرا إيجابى على الأولاد المعسكرين، المنفذين الصناعيين، تلاميذ الكليات وأطفال المدارس، هل ندعى أن المبدأ يمتد لكل المستويات فى العلاقات الانسانية؟ هل تتحد العائلات بالدفع أو السحب معا لزراعة الأرض، أو تصليح منزل قديم أو تنكيسه، يقطنون فيه أو غرس شجرة أمام منزلهم، أو إيجار سفينة صغيرة؟ هل تذوب الهويات العامة برفع مخازن الغلة، أو الغناء الجماعى، أو البهجة لفريق كرة قدم؟ هل يتولد التفاهم الدولى بالتعاون الدولى فى مجال العلوم والفضاء، أو الجهود المشتركة لإطعام العالم وإدخار الموارد أو بالاتصالات الشخصية الحميمة بين الناس فى دول مختلفة؟ هناك اهتمامات عن كيفية جمع الناس لتعميم تفاعلاتهم الايجابية مع أشخاص محبوبين خارج المجموعة (أكثر من تلقى هؤلاء الاشخاص كاستثناءات) ــ "أنا أحب جون فعلا: هو ليس مثل الآخرين تماما". (روبرت وجون ١٩٨٥) لذلك، فإن تحديا مهما يواجه عالمنا المقسم هو التعرف والموافقة على أهدافنا فوق العادية وإنشاء جهود تعاونية لتحقيق تلك الأهداف والشروع فى إقامة السوق العربية المشتركة.

- **التواصل:**

لدى الأحزاب المتصارعة وسائل متعددة أخرى عن طريقها يمكن أن يحاولوا أن يحلوا خلافاتهم. عندما يتعارض زوج وزوجة، عمال وإدارة، دولة ودولة، (حزب سياسى وآخر ــ مرشح ديمقراطى وآخر جمهورى)، فهم يستطيعون أن يساوموا بعضهم البعض مباشرة: يمكن أن يطلبوا شخصا ثالثا للتوسط لعمل اقتراحات ولتسهيل مفاوضاتهم؛ أو يمكن أن يلجأ

للتحكيم عن طريق إخضاع تعارضهم لشخص يدرس المساعل ويفرض تسوية ما (هولـــدن ١٩٧٨) سوف نأخذ فى الاعتبار الاختياريين الأولين، حيث تم دراستهما عن طريق علمـــاء النفس الاجتماعيين.

• **المســـاومة: Bargaining**

عندما لا تكون الصراعات شديدة ولا صعوبة الحل، يفضل الناس عـــادة أن يســـاوموا على ما يخصهم (روبين Rubin ١٩٨٠) لو أردت أنا وأنت أن نشترى أو نبيع ســـيارة أو منزل جديد، هل من الأفضل أن نتبنى وقفة تساومية حازمة قوية ــ البداية بعرض مغـــالى فيه حيث أن تمزيق الفارق سوف يثمر نتيجة مفضلة؟ أو هل من الأفضل أن نبدأ بعـــرض "يحمل مشاعر طيبة صادقة"؟

لا تقترح التجارب إجابات بسيطة على الجانب الأول، هؤلاء الذين يطلبون أكثر عـــادة يأخذون أفضل (دويتش ١٩٨٠) هذا الاستنتاج، (عن طريق دراسات معملية) أكده روبـــرت كيالدينى Robert Cialdini وليونارد بيكمان Leanard Bickman وجون كاســـتيوبو John Cacioppo (١٩٧٩) فى مزاد أو أوكازيون سيارات حقيقى فى ظـــرف محكـــم أو شرط جزائى، تقدموا من وكلاء شيفروليه وسألوا عن ثمن سيارة رياضية كوبيـــة مونـــت كارلو بكماليات مميزة. فى حالة تجريبية، تقدموا من وكيل آخر وأطلقوا وقفـــة تســـاومية أقوى، يسألون ويرفضون سعر السيارة المختلفة (احتاج سعر أقل .. هذا كثـــيرا) عندمـــا سألوا عن ثمن السيارة مونت كارلو، تماما كما فى حالة التحكم، تلقوا عرضا بمتوسط ٢٠٠ دولار أقل. قد تقلل المساومة الحازمة القوية توقعات الجانب الآخر، جعل الجـــانب الآخـــر يرحب بالتسوية الأقل (يوكلYukl ١٩٧٤). ولكن الحزم قد يأتى بخلاف المطلوب أحيانا. قد تكون المشكلة ليس عن ثمن محدد لفطيرة، ولكـــن علـــى فطـــيرة تتقلـــص لـــو تســـتمر المشكلة.عندما يتم تمديد إضراب، كل "من العمال والإدارة هم الخاسرون. إن الحزم أيضا قد يقلل من فرص الوصول حقيقة إلى اتفاق. لو كان رد فعل الجانب الآخر بموقف مساوى.

• **التوسط: Mediation**

فى مثل هذه المواقف، قد يكون وسيط ثالث قادرا على تقديم اقتراحات تمكن الجـــانبين المتصارعين لعمل تنازلات لانقاذ الوجه (بروت Pruitt١٩٨١ ب) لو كان تنازلى مصاحبـــا لوسيط، سوف يحصل على تنازل من مناهض، فإن أيا منا لن ينظر إليه على أنـــه يتكـــدر لمطالب الآخر، (لو حدث ذلك من المفاوض الإسرائيلى مع الجانب الفلسطينى لمـــا تعـــثرت كامب ديفيد الثانية أغسطس ٢٠٠٠ ولكن الجانب الإسرائيلي اعتاد أن يتكدر مـــن مطـــالب الجانب الفلسطينى المشروعة).

يمكن أن يساعد الوسطاء أيضا لحل الصراعات بتسهيل التعامل البناء. مهمتهم الأولى هى مساعدة الجانبين على إعادة التفكير فى الصراع. عن طريق استنهاضهم لمعرفة ثمـــن استمرار الصراع وفوائد الحل، يأمل الوسيط أن يبدل مسلك "اكســـب ــ أخســـر" التنـــافس بمسلك "اكسب + اكسب" التعاونى ليقود الجانبين للبحث عن حل مفيد متبادل. فى تجارب مع التلاميذ فى جامعة الولاية بنيويورك وبافلو، اكتشف العميـــد بـــروت وزمـــلاؤه أن أفكـــار المساومين لتبنى مثل هذا المسلك عادة تقودهم للتعامل أكثر انفتاحا وتقديم عروض أكـــثر

لبعضهم البعض (بروت ولويس ٧٥، ٧٧، كيميل ١٩٨٠) تكون النتيجة النهائية عادة صفقة جيدة لكل منهما، (لو تبنت أمريكا هذه المهمة بحيادية لأمكن حل الصراع بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلي) ولكن الرد الأمريكى اعتاد أن يكون هو المسارعة لإرضاء اليهود فى أمريكا من أجل ضمان أصواتهم فى انتخابات الرئاسة الأمريكية، وأن إسرائيل تحمى آبار البترول ومصالح أمريكا فى الشرق الأوسط على حد تعبير الرئيس ريجان، أى أن المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة هى التى تحدد القرار الأمريكى وهذه هى الحقيقة لا اللوبى اليهودى الصهيونى ولا القرار الإسرائيلى هو الذى يحدد القرار الأمريكى فى دوره كوسيط فى التسوية بين الصراع العربى الإسرائيلى فى نهاية الأمر فهذا من قبيل الأكاذيب والأوهام للإيحاء إلينا بقبول ما يقدموه لنا من حلول خوفا من ضياع الفرصة كما يدعى باراك دائما وكأن لسان حاله يريد أن يقول لنا ليس لكم ظهر تستندون عليه فارضوا بما نقدم لكم. ولكن العرب لو استخدموا سلاح النفط فى إدارة الصراع لأصبح اللوبى عربيا لا صهيونيا. ففى حين أن الوسيط يتم اللجوء إليه باعتباره محايدا ومتحررا من قيد عديدة لابد أن تخدم عملية التوفيق، إلا أن المنظرين والمحللين لهذا النوع من تفاوض الطرف الوسيط يذهبون إلى أن هذا الوسيط يكون فى كثير من الحالات متميزا خاصة فى المجال السياسى (١٨).

لقد شكل كلينتون الفريق الذى يمسك بملف الشرق الأوسط من يهود أمريكيين معروفين بولائهم للصهيونية ولإسرائيل علنا فى مقدمتهم دينيس روس مبعوث السلام الأمريكى ومارتن انديك وكيل الخارجية الأمريكية ثم سفير واشنطون لدى إسرائيل.. وحتى مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية أمها يهودية وطبقا للشريعة اليهودية كل من يولد ليهودية يظل يهوديا، (فهى بدورها يهودية من خلال التنشئة الاجتماعية)، حتى لو اعتنق ديانة أخرى لأسباب تخصه وتخص مساعيه للكسب.. وهذا الفريق كان يعمل بالتعاون الوثيق مع إسرائيل حتى فى صياغة أوراق المواقف التفاوضية.. بل وفى صياغة بنود الاعداد للمفاوضات واللقاءات الخاطفة. وقد اتضح ذلك من خلال مقترحات كلينتون الأخيرة قبل تركه البيت الأبيض.

ولقد رأى توفال Towval Sadia (١٩) على سبل المثال، أن الطرف الوسيط، وهو الولايات المتحدة فى حالة عملية السلام فى الشرق الأوسط هو فى واقع الأمر طرف متميز فى عملية الوساطة نظرا للعلاقة الاستراتيجية والخاصة بين أمريكا وإسرائيل.. فلا شك إذن فى أن هناك تصورات مختلفة لدور الوسيط وديناميكيات التفاعل المرتبطة بهذا الدور. ولقد اجمع العديد من الخبراء على أن مصر على وجه الخصوص كانت ناجحة إلى أبعد الحدود فى استغلال ميكانيزمات وجود طرف ثالث أو وسيط فى إدارتها للأزمات خاصة فى فترة عالم القطبين (٢٠).

ولا شك أن السادات (ثعلب السياسة المصرية) قد بدأ فى حرب أكتوبر وقرر التعامل مع الولايات المتحدة من منطلق قدراته على القيام بحرب ناجحة محدودة ضد رغبة القوتين العظمتين حينذاك، وكان فى تعامله مع الولايات المتحدة قد استغل "الإتحاد السوفيتى" السابق إلى حد بعيد، فعندما طرد الخبراء الروس استطاع أن يحصل على سعى الروس تجاهه

وحصل من خلال هذا السعي على أكبر صفقة سلاح من الروس عام ١٩٧٢، وكانت حيوية لشن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم إنه بعد ذلك وبعد نزول القوات الأمريكية إلى أرض المعركة لانقاذ إسرائيل، قام السادات بخطوتين لحماية قواته من معركة غير متكافئة مع أمريكا. الخطوة اولى تمثلت فى طلبه من الأمم المتحدة إصدار قرار بوقف إطلاق النار. وهنا يقول السادات: "لقد كان منطلق طلب وقف اطلاق النار إننى كنت وعلى مدى عشرة أيام أحارب وبمفردى تماما الولايات المتحدة، ورأينا فى المعركة أسلحة تستخدم لأول مرة (٢١:٢٦١)، وكانت الخطوة الثانية هى طلب نزول كل من قوات الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى معا لتنفيذ وقف اطلاق النار.. وهذه الخطوة تبعها تحرك عسكرى سوفيتى، ودفع ذلك الولايات المتحدة لإعلان حالة الاستعداد النووى القصوى ردا وردعا لأى تحرك سوفيتى.. ولقد أكدت هذه الخطوة للمسئولين الأمريكيين خطورة استغلال السادات للتناقضات بين القوتين، ورغم أن اختياره كان هو التعامل مع الولايات المتحدة حيث أن مقولته الشهيرة إن ٩٩% من أوراق اللعبة فى أيدى الولايات المتحدة توضح بجلاء هذا الاختيار فإنه قد بدأ التعامل مع الوسيط الأمريكى بهذه الطريقة التى لعب فيها على تناقضات القوتين العظميين وهذا التصرف أجاده السادات. ويعرف فى أدبيات العلوم السياسية بـ "طغيان الضعيف" Tyrany of the Weak إن السادات فى واقع الأمر كان له نظرتان للولايات المتحدة، الأولى على كونها اللاعب الذى يراهن عليه للمساعدة على تحقيق السلام، ولكنه كان يدرك فى النظرة الثانية أن هناك صورة الصديق الحميم الحامى لإسرائيل والمعادى له بطبيعة الحال، ومن ثم كانت استراتيجياته فى محاولة استقطاب هذا الوسيط تذهب إلى الحد الذى يمكنه من الضغط على إسرائيل لتحقيق المصالح العربية. حقا لقد كان ثعلب السياسة المصرية السادات رجل دولة وسابقا لعصره. والفرق بينه وبين من رفضوا نهجه من الاشقاء العرب، هو الفرق بين وضع سيناء الآن وكل من الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة. حيث أن معارضى السادات قد أساءوا اختيار توقيت التفاوض وحسن الاختيار من الطرف الأقوى فى هذا التوقيت والذى جعل الهدف من التفاوض مرحليا. ولعل اجتماع شرم الشيخ فى ٥ أكتوبر ٢٠٠٠ بحضور الرئيس مبارك والرئيس ياسر عرفات ووزيرة الخارجية مادلين أولبرايت ووزير الخارجية المصرى عمرو موسى ورفض إيهود باراك الحضور بغرض إيقاف إساة دماء الفلسطينيين المتظاهرين برصاص الإسرائيليين (بسبب زيارة شارون المشئومة للحرم القدسى الشريف). لعل هذا الاجتماع قد استقطب الوسيط الأمريكى بعض الشئ.

إن الإسرائيليين يريدون مشاركة الفلسطينيون فى القدس الشرقية ويريدون أن يؤكدوا السيادة عليها ومعهم القدس الغربية. عن طريقة أكسب.. أخسر ويؤكد ذلك إشلومو بن عامى فى حوار تم عرضه على القناة الأولى لتليفزيون جمهورية مصر العربية فى ٢٠٠٠/٩/١٦ مع المتألق دائما على نفسه عمرو موسى وزير الخارجية المصرى الناجح ويؤكد أشلومر فى هذا الحديث أننا قدمنا الحد الأقصى. والسؤال الذى يطرح نفسه وماذا بعد فى عملية التوسط خلال الخمس أسابيع القادمة، هل فى إمكان أمريكا التوصل إلى حل للصراع. لقد كشف "عمرو موسى" خلال مناظرة حية مع شلومو بن عامى الوزير

الإسرائيلى للخارجية بالإنابة أكاذيب اليهود ونزعاتهم العدوانية وخلطهم للأوراق وتزوير التاريخ بإدعاء أن القدس مدينة إسرائيلية. لقد ملك موسى قدرة الإقناع والتأثير الصادق بالحجج والبراهين وشرح بموضوعية حقة المواقف الفلسطينية والعربية مما جعل ابن العامى لا يستطيع التنفس عندما أكد موسى أن القدس مدينة عربية احتلت بالقوة العسكرية عام ٦٧ ولابد من انسحاب إسرائيل منها(*).

يساعد التعامل الصادق بين الأطراف عادة فى تفسير سوء المفاهيم الخاصة بتحقيق وإرضاء الذات. ربما يمكن أن تتذكر تجارب مشابهة لتلك الخاصة بتلاميذ الكلية الآتية:

"عادة، بعد فترة من التواصل القليل، أتلقى صمت رشا كإيحاء على عدم إعجابها بى. وهى بدورها تعتقد أن هدوئ نتيجة لغضبى منها يستدرج صمتى صمتها مما يجعلنا أكثر صمتا.. حتى ينكسر هذا التأثير المتزايد بوجود شخص ما يجعل من الضرورى لنا أن نتفاعل ثم يحل التواصل عندئذ عقد سوء التفسيرات التى صنعناها عن بعضنا". إن نتيجة مثل هذه الصراعات يعتمد على كيفية تواصل الناس مع مشاعرهم تجاه بعضهم. دعا روجر نوكنودسون وزملاؤه (١٩٨٠) أعداد من الأزواج ليأتوا معمل جامعة إلينوى النفسى لإحياء، خلال لعب الأدوار، واحدة من صراعاتهم الماضية. قبل وأثناء وبعد محادثاتهم (التى عادة ولدت مشاعر عديدة مثل صراعهم السابق). ثم ملاحظة الأزواج وسؤالهم جيدا. كشفت تلك الملاحظات أن هؤلاء الذين فروا من المساءلة ـ بالفشل فى جعل مواقفهم واضحة أو الفشل فى الاعتراف بموقف الزوج الآخر تعمدوا أن يكونوا على النقيض، هؤلاء الذين أرتبطوا بالمسألة ـ عن طريق جعل مواقفهم واضحة وأخذ وجهة نظر الآخر بجدية ـ حققوا اتفاق حقيقى أكثر وحصلوا على معلومات أكثر عن مفاهيم كل منهما.

يعتقد هؤلاء الذين عملوا أبحاثا متعلقة بالصراع أن عاملا أساسيا هو الثقة إذا اعتقدت أن الآخر نيته حسنة، ليس هناك من يستغلك ستكون مستعدا أكثر لتبوح باحتياجاتك واهتماماتك.على الرغم من ذلك، لو فقدت تلك الثقة، ستكون حذرا ربما، متخوف من كونك صريحا سوف تقدم للجانب الآخر معلومات قد تستخدم ضدك. (هكذا هو الحال فى عمليات التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين من جهة وبين السوريين والإسرائيليين من جهة أخري فهناك عدم ثقة فى نية الإسرائيليين ولهذا توقفت المفاوضات لعدم جديتها.

عندما يفقد كلا الجانبين الثقة فى الآخر ويتعاملون بدون فائدة، فإن وسيط ثالث قد يكون مستشار زواج، وسيط معملى أو ديبلوماسى ـ قد يساعد أحيانا. بعد تلبية الجانبين المتصارعين لإعادة التفكير فى صراع "اكسب ـ أخسر"، يجعل الوسيط عادة كل جانب يعرف ويقدر أهدافه. لو أن عدم التلازم للأهداف ليس كبيرا، قد يجعلها الاجراء التقديرى

(*) القرار ٢٤٢ الذى أصدره مجلس الأمن الدولى فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ فى أعقاب حرب يونيو التى أدت إلى إستيلاء إسرائيل على بقية أراضى فلسطين واحتلالها شبه جزيرة سيناء، ومرتفعات الجولان. أكد القرار على عدم شرعية الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب. وهو ما يقتضى انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها، وأن تنهى كل الدول حالة الحرب، وتقر وتحترم الاستقلال السياسى، والسيادة الأقليمية لكل دولة فى المنطقة، وحقها في أن تعيش فى سلام، فى نطاق حدود آمنة ومعترف بها، متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها. أكد القرار أيضا تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين. وافقت جميع أطراف النزاع على القرار ٢٤٢ الذى تنص مجمل بنوده على مبدأ مبادلة الأرض بالسلام.

أسهل لكل منهما ليقر أهداف أقل أهمية قد يتمكن كل منهما من تحقيق أهدافهم الرئيسة (اريكسون وآخرون Erickson etal ١٩٧٤) (شولز بروت Schulz & Pruitt ١٩٧٨) على سبيل المثال، بمجرد أن يعتقد كل من الإدارة والعمال أن هدف الإدارة من الانتاج الإعلى والفائدة هو ليس بالضرورة غير ملائم مع هدف العمال من الأجور الأفضل والحالات العمالية الأحسن، يمكن أن يبدءوا العمل من أجل حل "اكسب ـ اكسب". Win-Win-Approach.

عندما يتم دعوة الجانبين للاجتماع للتعامل مباشرة، فهم عادة ليسوا مخلخلين من الأمل، لأنهم مجتمعين العين فى العين، الصراع سوف يحل نفسه. فى وسط التهديد، الصراع المضغوط Stressful conflict، تشوش عواطف الناس دائما قدراتهم على فهم وجهة نظر الجانب الآخر. إذن يمكن أن يصبح التعامل أكثر صعوبة كلما كان أكثر احتياجا له (تتلوك Tetlock ١٩٨٥). لذلك سوف يبنى الوسيط دائما المضاد على آمال تأكيد أن كل جانب سوف يكون مفهوما للآخر وسوف يفهم الجانب الآخر.

على سبيل المثال، فى سبيل بناء تفاهم متبادل قد يتم تشجيع الجوانب المتصارعة لتحديد مجادلاتهم إلى بيانات واقعية، تتضمن بيانات عن كيفية شعورهم ورد فعلهم عندما يفعل الآخر كالآتى: استمتع بسماع الموسيقى. ولكن عندما تكون صاخبة، أجد صعوبة فى التركيز Concentrate. هذا يجعلنى سئ الطباع Crabby. أيضا، قد يطلب منهم تحويل الأدوار والتجادل فى مواقف بعضهم أو إعادة تقييم مواقف كل منهم قبل الرد مع أنفسهم: "إن تشغيلى للكاسيت يبدو أنه يزعجك" قد يقطع مثل هذا التواصل عددا من سوء المفاهيم التراكمية accumulated misperception، لأن كل جزء يفيض Flooded بمعلومات تناقض سوء مفاهيمه. هذا يختلف عن الحياة اليومية حيث نتلقى معلومات متناقضة خطوة خطوة، وجعلها أسهل أن نتعقل أو نرفض كل خطوة متناقضة (جيرفسJervis ١٩٧٣).

إن تلك المبادئ لصنع السلام، القائمة على تجارب معملية جزئيا، أو القائمة جزئيا على التجربة العملية، كانت ناجحة فى توسط كل من الصراعات الدولية والصناعية (بلاك وموروتونBlake & Mouton ١٩٦٢، ١٩٧٩، بورتونBurton ١٩٦٩، فيرWebr ١٩٧٩) على سبيل المثال، إن فريقا صغيرا من العرب واليهود الأمريكان، قادهم علماء النفس الاجتماعيون هيربرت كيلمان وستيفن كوهنKelman Stephn Cohen (١٩٧٩) أهدى إلى ورش عمل متعددة تجمع أصحاب نفوذ عرب وإسرائيليين. باستخدام مثل تلك الطرق التى ذكرناها، أراد كيلمان وكوهين أن يحذفا سوء المفاهيم وأن يكون هناك شركاء ويبحثون بجدية عن حلول مبتكرة لصالحهم المشترك. كمنعزلين، المشتركون أحرار للتحدث مباشرة إلى أعداءهم بدون الخوف من ردود أفعالهم التكوينيةConstituents' reactions لما يقولونه. النتيجة؟! أصبح المشتركون من كلا الجانبين متفهمين جيدا لمنظور البلد الآخر وكيفية رد فعل شعبيهما لأفعال بلدهم.

عندما يستحيل التواصل المباشر، قد يتقابل طرف ثالث مع الجانب الأول، ثم الآخر انتجت "الديبلوماسية المكوكية" لهنرى كيسينجرHenry Kissinger "Shuttle diplomacyu" فى العامين التاليين للحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣(عبور القوات

العسكرية المصرية المانع المائى والقضاء على أسطورة الجيش الإسرائيلي الذى لا يقهر)، انتجت ثلاث اتفاقيات تخليص بين اسرائيل وجيرانها العرب سياسة توسط كيسينجر أعطته تحكما معقولا فوق التواصلات ومكنت الجانبين من الإذعان بدون الاستسلام لكل منهما (بروت ١٩٨١).

إن العملية المعقدة للتفاوض الدولى من الممكن أحيانا أن تتلقى دفعة إضافية من جهود توسطية أخرى أصغر. فى عام ١٩٧٦، قاد كيلمان عالم الاجتماع قاد المصرى بطرس غالى إلى مطار بوسطن. ثم عقد المؤتمر لاحقا، وبحث كيلمان النتائج الواعدة إلى المسئولين الإسرائيليين. بعد عام، أصبح غالى ممثلا لوزير الخارجية، وقام الرئيس السادات برحلته التاريخية لإسرائيل وبداية طريق السلام. بعد ذلك، قال غالى بسعادة لكيلمان:" أرأيت العملية التى بدأناها فى مطار بوسطن العام الماضى" (أرمسترونج Armstrong ١٩٨١). بعد عام، عزل الوسيط جيمى كارتر الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلى بيجين فى كامب ديفيد Camp David (جميعهم فى مكان نائى منعزل)، بعد ١٣يوم، خرج الثلاثى بـ "إطار عام للسلام فى الشرق الأوسط" بين يديهم. بعد ستة شهور، وبعد زيارات لكلتا البلدين قام بها كارتر للتوسط أكثر، تم توقيع معاهدة تنهى حالة الحرب التى بدأت منذ عام ١٩٤٨(بين مصر وإسرائيل).

الصراع قدر البشر منذ وجدت الحياة، ولإدارة الصراع سبل شتى لعل أبرزها سبيلين: استخدام القوة البدنية والمادية، والتفاوض هو محاولة أن تكسب إلى جانبك أولئك الذين ترى أن بيدهم تحقيق مصلحة لك، ولكنهم لا يمنحونها لك طواعية ولا تستطيع أنت الحصول عليها عنوة. كما أن حقائق علم التفاوض السياسى تؤكد أنك لا تستطيع أن تحصل من خلال المفاوضات على أكثر مما تسمح به موازين القوى الفعلية، فمهارة التفاوض ليست قوة سحرية تمكن المفاوض الماهر من الحصول على ما يريد كاملا ولا فى كل وقت. وهكذا استعادت مصر "طابا" عن طريق التحكيم الدولى وباستعادتها لهذا الجزء فقد استعادت كاملا كل شبر من أراضيها المغتصبة فى يونيو ١٩٦٧.

حين تكون المبادئ والأسس موضع اتفاق.. لا يحتاج المتفاوضون إلى وقت كبير لمناقشة التفاصيل. وحين يكون هناك التزام بالشرعية الدولية وقرارتها.. لا يكون أمام المفاوضين سوى ايجاد آليات التنفيذ. وحين تصدق النوايا.. تجد كثير من المشاكل طريقها ـ بسهولة ـ للحل. هكذا انهت محكمة العدل الدولية نزاعا حدوديا بين البحرين وقطر دام ٦٠ عاما وبدأ التطبيع الكامل للعلاقات بين البلدين من خلال قمة قطرية يوم الثلاثاء ٢٠٠١/٣/٢٠. فحين يشعر صاحب الحق بأن من يتصدى للفصل فى قضيته، حكم عادل ونزيه، فسوف يطمئن إلى ما يقدمه هذا الحكم من مقترحات. وكل ذلك، لا يتوفر بين الفلسطينيين وإسرائيل والسبب الأساسى هو الوسيط وراعى السلام "الولايات المتحدة الأمريكية" التى من اتجاهاتها نحو طفلها المدلل إسرائيل قد استخدمت حق النقض "الفيتو" فى ٢٠٠١/٣/٢٨ ضد قرار إرسال قوة دولية لحماية الفلسطينيين دونما مراعاة لحقوق الإنسان الذى طالما بحثت عنه وأكدته عندما تحاول التدخل فى الشئون الداخلية للدول ذات السيادة. أما السبب الثانى فيبرز لنا على السطح حيث يقرر بعض الباحثين الإسرائيليين

صراحة: "إن استمرار الصراع العربى الإسرائيلى هو فى صالح إسرائيل، لأنه يمنحها القوة والوحدة". ويؤكد هاركابى "إن هذا هو السبب فى أن إسرائيل ليست حريصة على الوصول إلى حل الصراع". وأن دوامن الصراع من شأنه أن يحقق الوحدة المفتقدة بين الجماعات اليهودية المتنافرة، ويضفى على المجتمع الإسرائيلى التماسك الذى يسمح للصفوة الحاكمة الإسرائيلى بتحقيق كل مخططاتها العدوانية والتوسعية التى تهدف فى نهاية الأمر إلى السيطرة الفعالة على العالم العربى وذلك فى ضوء مكونات ثلاثة:

- **تلاحم المصير:** باعتبار أن الخسارة القومية نظر إليها باعتبارها ستكون خسارة لكل الجماعات السلالية فى إسرائيل.
- **وجود هدف مشترك:** باعتبار أن التعاون بين الجماعات المتصارعة نظر إليه باعتبارد ضروريا للبقاء.
- **الاتجاهات العدائية مشروعة ضد العرب:** كان الصراع بالنسبة للجماعات اليهودية المتصارعة فى إسرائيل، بمثابة منفذ للعدوان باعتبار أن الإتجاهات العدائية ستركز شحنتها على هدف مشروع من وجهة نظر المجتمع وهو العرب.

ويقرر بعض الباحثين الإسرائيليين صراحة: "إن استمرار الصراع العربي الإسرائيلي هو فى صالح إسرائيل، لأنه يمنحها القوة والوحدة" ويؤكد هاركابى "أن هذا هو السبب فى أن إسرائيل ليست حريصة على الوصول إلى حل الصراع" فدوام الصراع من شأنه أن يحقق الوحدة المفتقدة بين الجماعات اليهودية المتنافرة، ويضفى على المجتمع الإسرائيلى التماسك الذى يسمح للصفوة الحاكمة الإسرائيلية بتحقيق كل مخططاتها العدوانية والتوسعية التى تهدف فى نهاية الأمر إلى السيطرة الفعالة على العالم العربى. لقد كان شن الحرب عاملا حاسما فى جمع شتات الجماعات السلالية المتصارعة، الذى تم فى جو مصطنع من التهديد والتخويف، حيث صور الصفوة الحاكمة الإسرائيلية الموقف فى ١٩٦٧ لجماهيرها بأنها حرب الحياة أو الموت (٢٤:٨٨،٨٩) ولكن هل تنجح الصفوة الحاكمة فى فرض مناخ الحرب على المجتمع الإسرائيلى إلى ما لا نهاية، عن طريق تعويق كل فرص حل الصراع العربى الإسرائيلى؟

- **التصالح أو التآلف:** Conciliation

إذن، التعامل المباشر يساعد عادة، لكن أحيانا يجرى التوتر والشك بسرعة لدرجة أن التواصل الصادق يصبح مستحيلا. فى تلك الأوقات، قد يقوم كل جانب بالتهديد، الإرغام أو الانتقام من الجانب الآخر. لسوء الحظ، مثل تلك الأفعال تكون متبادلة وتزيد الصراع. لذلك، هل تنجح سياسة مضادة ـ إرضاء الجانب الآخر عن طريق أن يكون متعاونا بدون شروط ـ نتيجة مرضية؟ عادة لا (حالة كامب ديفيد الثانية. الجانب الفلسطينى متعاون تماما والجانب الإسرائيلي مراوغ). فى التجارب المعملية؟ هؤلاء الذين يتعاونون ١٠٠% يتم استغلالهم دائما. سياسيا، فإن الحل السلمى من جانب واحد هو خارج عن الحدوث، لا السوفييت ولا الأمريكان على وشك عدم التسليح بدون التأكيد أن الجانب الآخر يفعل المثل.

هل هناك بديل ثالث ـ تصالحى أكثر منه اقتناصى أو انتقامى، ولكن قوى بما فيه الكفاية. لعدم تشجيع الاستغلال؟ إن تشارلز أوسجود Charles Osgood (١٩٦٢، ١٩٨٠) وهو عالم نفس اجتماعى فى جامعة إلينوى Illinois، قد دافع لمدة ٢٠ عام عن هذا البديل. يسميه أوسجود "**المبادرات المتبادلة المتخرجة فى خفض التوتر**". خطة استراتيجية لتجنب (لتحاشى) التوترات الدولية العالمية). Graduated and Reciprocated initiatives in Tension –reduction to avoid international tensions. ويلقب بـ GRIT وهو اسم يقترح، بسعادة وبرؤيا، نوع التحديد الذى يتطلبه. يأمل GRIT أن يعكس سباق التسلح، عن طريق إطلاق النار على الأفعال المتناقضة المتبادلة. لعمل ذلك، يضع مفاهيما اجتماعية ـ نفسية، مثل قياس التبادل والبحث على نسبة أو تناسب البواعث.

يتطلب GRIT من جانب واحد أن يبدأ أفعال غير متوترة قليلة صغيرة، تتم بعدة طرق لتشجيع تبادل الجانب المضاد. تعلن الخطوات الأولى فى تلك السياسة عن نية الجانب الأول التصالحية. يذكر المبادر رغبته فى تقليل التوتر، يعلن عن كل فعل تصالحى قبل فعله، ويدعو الجانب المضاد ليفسر جيدا ما قد يبدو على خلاف ذلك أفعال ضعيفة وخادعة، ويستخلص الضغط العام على الجانب المضاد ليتشبث بقياس التبادل ومعدله.

بعد ذلك، يؤسس البادئ انتمانا وصدقا عن طريق تنفيذ، تماما كما تم الاعلان عنه، أفعال تصالحية متعددة يمكن تحقيقها. يزيد بذلك الضغط على المضاد ليتبادل. إن جعل الأفعال التصالحية متنوعة ـ ربما بعرض معلومات طبية، أو غلق قاعدة عسكرية أو إلغاء مستوطنات وعدم بناء مستوطنات جديدة أو فى المقابل التوقف عن الأعمال الانتقامية، أو رفع حظر تجارى ـ يحفظ البادئ من عمل تضحيات معينة ويترك ذلك المضاد حرا لاختيار وسائله الخاصة للتبادل. إذا تبادل الجانب المضاد تطوعا، فإن فعله التصالحى قد يخفف أيضا من اتجاهاته العدائية Hostle attituudes.

إن سياسة GRIT هى تصالحية conciliatory ولكنها ليست "استسلام surrender فى تخطيط البداية" تحمى الظواهر المتبقية من الخطة اهتمام الواحد بنفسه عن طريق حفظ أو الإبقاء على القدرة الانتقامية تقتضى الخطوات الأولى التصالحية ـ بعض المخاطرة البسيطة، ولكن لا توقع أمن الواحد فى الخطر: بل يتم حسابها لتبدأ فى إبعاد الجانبين أسفل عن سلم التوتر. لو اتخذ جانب واحد فعلا عدائيا، يتم تبادله بمثله، ومع توضيح أن أى استغلال لا يغتفر. ولكن، إن هذا التصرف التصالحى لن يكون مغالى فيه وفى رد فعله مما قد يزيد الصراع. لو عرض الجانب المضاد أفعاله التصالحية، فإن هذا أيضا متناسق جدا، أو حتى متجاوز إلى حد ما.

هل فعلا ينجح ذلك؟! فى سلسلة من التجارب فى جامعة أوهايو، اختبر سفين ليندسكولد وزملاؤهSvenn Lindskold (١٩٧٦، ١٩٨٦) مظاهر متعددة من ترتيبات GRIT استنتج ليندسكولد (١٩٧٨) أن دراساته ودراسات غيره تقدم "مساندة قوية للخطوات المتعددة فى عرض GRIT. فى التجارب المعملية، يدفع إعلان التعاون إلى التعاون. إن الأفعال التصالحية المتكررة تولد ثقة عظيمة (بالرغم من أن تصرفات محاباة

النفس عادة تجعل تصرفات الشخص تبدو أكثر تصالحية وأقل عداءا أكبر من تصرفات الجانب المضاد). إن الإبقاء على التساوى فى القوة يحمى الجانب من أن يتم استغلاله.

إن ليندسكولد لا يجادل أن عالم التجارب المعملية يعكس عالم الحياة اليومية الأكثر تعقيدا. ولكن، كما لاحظنا، تمكننا التجارب من تشكيل والتحقيق من المبادئ النظرية القوية مثل معدل التبادل reciprocity norm، محاباة خدمة النفس the serving bias، والمبادئ التى تتنبأ عما إذا كان الجانب سوف ينسب (يعزو) البواعث التعاونية أو الخداعية لبعضهما البعض.

إن السياسات المشابهة لـ GRIT قد تم تجربتها عن غير قصد أحيانا خارج المعمل، وبنتائج واعدة. خلال أزمة برلين فى بداية الستينات، واجهت الدبابات الأمريكية والسوفيتية بعضها. تم إنهاء الأزمة عندما سحبت القوات الأمريكية دباباتها خطوة خطوة. بادل الروس كل خطوة. أكثر حداثة، فإن تنازلات صغيرة من إسرائيل ومصر (على سبيل المثال، تسمح إسرائيل لمصر بفتح قناة السويس ومصر تسمح للسفن المتوجهة لإسرائيل بالمرور) قد ساعدت على تقليل التوتر إلى درجة حيث أصبحت المفاوضات بين البلدين ممكنة. (روبين I.Z.Rubin ١٩٨١).

بالنسبة للكثيرين، فإن التجربة الأكثر دلالة فى GRIT هى المسماة "بتجربة كينيدى" (اتزيونى Etzioni ١٩٦٧). فى ١٠ يونيو ١٩٦٣، قدم الرئيس كيندي خطاب رئيسى **"سياسة من أجل السلام"** خلال هذا الخطاب قال إن "مشاكلنا هى من صنع الإنسان.. ويمكن حلها عن طريق الأنسان" ثم أعلن أول فعل تصالحى له: فى الولايات المتحدة أوقفت كل التجارب النووية ولن تعاودها إلا إذا فعلت دولة أخرى ذلك. فى الاتحاد السوفيتى، تم نشر النص الكامل للخطاب. وبعد خمسة أيام، رئيس الوزراء كراشيف Khrushchev تبادل، وأعلن عن وقف إنتاج القنابل الاستراتيجية strategic bombers. ثم تبع ذلك أعمال تبادلية أكثر: وافقت أمريكا على بيع القمح لروسيا، ووافق السوفييت على فتح "خط ساخن" بين البلدين، وفورا وقع الجانبان معاهدة حظر تجارب لقد دفأت تلك المبادرات التصالحية، لوقت طويل، العلاقات بين البلدين. هل مثل هذه الجهود التصالحية تساعد على تقليل التوتر بين الجماعات أو الأفراد؟ إن المبادئ النظرية التى تكون الاستراتيجية مشتقة من أبحاث على الأفراد والجماعات الصغيرة، وتطبيقها على التوترات فى العالم اليومى يبدو واعدا. عندما تتوتر علاقة ما ولا يوجد التواصل أو الإتصال، فإنها أحيانا تستغرق محلا تصاليحا ــ إجابة رقيقة، وإبتسامة دافئة، أو لمسة رقيقة ــ لكلا الجانبين ليبدأ فى إزالة التوتر إلى درجة حيث يمكن إعادة بناء التعامل وحل الصراع إبداعيا (لقد أعاد الرئيس محمد حسنى مبارك مصر للعرب والعرب لمصر ــ أطفأ فتيل الأزمة بين تركيا وسوريا بابتسامة دافئة وإجابة رقيقة واستحق أن تلقبه مجلة لـ فيجارو الفرنسية بحكيم الشرق). ويعد الجهد الكبير الذى بذله فى إقامة مؤتمر شرم الشيخ فى ٢٠٠٠/١٠/١٦ قمة السلام والتعايش والاستقرار على حد قول الرئيس لهو خير دليل على تأكيد اللقب عليه (حكيم الشرق وزعيم العرب) بعيدا عن الشعارات والانفعالات غير المحسوبة، لقد استطاع بدبلوماسيته الباحثة دائما عن العائد للعرب والفلسطينيين محاصرة إسرائيل دوليا بجرائمها وعربيا بالسلام.

- **علم النفس السياسى وقضايا الصراع وحكمة مبارك:**

علم النفس السياسى هو ذلك الفرع من علم النفس الذى يتفاعل مع السياسة آخذا وعطاءا ـ ينقل من السياسى لتبعية فروع علم النفس الأرضية التاريخية السياسية اللازمة لفهم وتفسير نشأة وتطور وذبول مختلف النظريات والتطبيقات النفسية، باعتبار أن تكون النظريات والتطبيقات جميعا إنما تنبثق في سياق اجتماعى تاريخى سياسى. وينقل إلى السياسة كافة التقنيات والنظريات النفسية التى تساعد الساسة على تفسير الظواهر السياسية وتنفيذ الخطط السياسية فى الحرب والسلم على السواء.

إن لعلم النفس السياسى دورا فى تزويد صاحب القرار بما يلزمه من بيانات موضوعية تتعلق باتجاهات الرأى العام المحلى والعالمى، الراهنة والمتوقعة، بحيث يضمن للقرار السياسى أكبر قدر ممكن من التقبل والتأثير. كذلك فإن لعلم النفس السياسى دورا فى تزويد المفاوض بما يلزمه من معلومات عن فنيات التفاوض، وسمات الطرف الآخر التى تؤثر فى أسلوبه التفاوضى، واتجاهات الجماعات الضاغطة حيال الموضوع محل التفاوض إلى آخره. ويلعب علم النفس السياسى أيضا دورا أساسيا فى مجال إدارة الأزمات الدولية بما يتيحه لصاحب القرار من معلومات تتعلق برؤية الجماهير فى الداخل والخارج لطبيعة الأزمة، وتوقعاتهم لمسارها، مما يسهم فى ترشيد قرارات إدارتها (١٦:٢٠٣-٢٠٤).

ولقد كان الرئيس محمد حسنى مبارك سباقا فى الاعتراف بأهمية هذا العلم على المستوى العربى والأفريقى والعالمى (حيث لم يسبقه زعيم فى هذا الشان) حين كلف عالم النفس المصرى قدرى حفنى (صاحب الدراسة العميقة للشخصية الإسرائيلية) عضوا فى مباحثات السلام بمدريد بين مصر وإسرائيل. هكذا يؤكد مبارك أنه بحق رجل دولة وحكيم الشرق وصاحب رؤية ثاقبة مدققة فى إدارة الصراعات سواء كانت صراعات داخلية (بين رجال القضاء ورجال الصحافة الذين احتكموا إليه) أو خارجية (السودان ـ الصومال ـ الجزائر والمغرب ـ الجزائر وفرنسا ـ سوريا وتركيا ـ السلطة الفلسطينية وإسرائيل) بالإضافة إلى لم شمل العرب فى مؤتمر القمة العربى نوفمبر ٢٠٠٠ بحضور وفد العراق الشقيق.

النظام العالمى الجديد وصنع السلام

يرى "اسامه الباز"(*) أن العالم لازال يمر بمرحلة انتقالية عاصفة، لازالت فيها عوامل التغيير تتفاعل وتحدث آثارها تباعا، بحيث أنه يمكن أن يقال أن النظام العالمى الجديد لم يتكون بعد. وإنما هو لا يزال فى مراحل التكوين والنشوء، فما هو إذن النظام العالمى الجديد الذى لازال فى مرحلة النشوء؟ إن النظام العالمى يقوم على قاعدتين اساسيتين:

الأولى: التوازنات التى تحكم النظام العالمى.

والثانية: مجموعة القيم والمبادئ التى تحكم العلاقات فى ظل نظام معين.

(*) المستشار السياسى للرئيس محمد حسنى مبارك.

وإذا شئنا أن ننظر إلى التوازنات التى ينتظر أن تتبلور فى السنوات القليلة القادمة بعد إنتهاء المرحلة الانتقالية، فيمكن أن نقرر أن العالم سينتقل من مرحلة الاستقطاب الثنائى إلى مرحلة القوى المتعددة، وليس إلى مرحلة القوة الواحدة كما يتجه تفكير بعض المفكرين والمراقبين. أصبحنا نتجه بسرعة نحو نظام متعدد القوى، ويمكن أن نرصد هذه القوى فيما يلى:

(أ) **الاتحاد الجمركى فى أمريكا الشمالية:** ويضم الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، وهو ما يعرف باسم "نافتا".

(ب) **الاتحاد الأوربى:** يتزايد عددا وقوة كل يوم فبعد أن كان يضم ١٢ دولة أصبح الأن يضم ١٨ دولة. فى منطقة لها أهميتها الاستراتيجية وموقعها الفريد فى قلب العالم فضلا عن التقدم التكنولوجى والثقافى.

(ت) **تجمع الشرق الأقصى:** ويضم اليابان والدول التى تعرف باسم "النمور".

(ث) **الصين:** تجمع بشرى منضبط ومتماسك يضم خمس سكان العالم (١١٥٠ مليون نسمة).

(ج) **روسيا الاتحادية:** تتمثل فى ١٨٠ مليون نسمة

تلك هى القوى العالمية الكبرى وهى توصف بالعالمية لان لها وجودا ومصالح حيوية فى مختلف انحاء العالم مميزا لها عن القوى الاقليمية، المرشحة للعب دور أساسى حاكم فى مطلع القرن الحادى والعشرين، ويستطرد (أسامه الباز) فيقول: وعلى جانب هذه القوى العالمية، ليس من المستبعد أن تظهر على الساحة قوى اقليمية كبرى تلعب دورا أساسيا نشطا فى المنطقة التى هى جزء منها، ويذكر منها على وجه التحديد:

- الهند واندونيسيا وباكستان فى القارة الأسيوية.
- مصر ونيجيريا وجنوب افريقيا فى القارة الافريقية.
- البرازيل والارجنتين فى أمريكا اللاتينية.

تلك ـ باختصار ـ هى قوى التوازن المحتملة فى النظام العالمى الجديد.

أما القيم والمبادئ التى تحكم النظام العالمى الجديد، فتبرز منها القيم التالية المرتبطة بموضوع دراستنا:

١. التشدد فى تحريم استخدام القوة لفض المنازعات، واعتبار السلام هو الوضع الوحيد الذى يتمتع بالشرعية، وتنامى الاتجاه إلى تقييد حق الدفاع الشرعى عن النفس، بحيث يطلب من الدول التى تتعرض لعدوان حال أو محتمل أن تلجأ إلى مجلس الأمن للحصول على موافقته على التصدى للعدوان وردعه.

٢. ويترتب على هذا تناقص نسبى فى أهمية القوة المسلحة كعنصر فى تحديد مكانة الدول على الصعيد العالمى، وتزايد مقابل فى أهمية الاقتصاد والثقافة والدبلوماسية، بحيث تصبح دولة مثل اليابان ـ التى تبدو غير قوية عسكريا بالمقارنة بباقى القوى العالمية ـ قوة يحسب حسابها، بسبب متانة بنيانها الاقتصادى وتماسك شعبها اجتماعيا وشعور قوى بالانتماء للوطن.

٣. القومية والدين عنصران هامان ليس من المحتمل أن يستغنى عنهما الإنسان المعاصر، أو ينحسر دورهما فى تشكيل رؤيته لنفسه ومجتمعه وللعالم من حوله. ونتج عن هذا أن حلت الصراعات العرقية بين الدول والدول الأخرى، وهو كما يشير بذلك "أسامه الباز" ما لمسناه فى البوسنة والهرسك (حرب الإبادة الجماعية التى قام بها الصرب للمسلمين فى البوسنة وتصفية جيش تحرير كوسوفو) وسائر اقاليم روسيا السابقة، وفى روندا والصومال (حيث استمرت نيران الحرب القبلية)، وتولد عن بروز الصراعات الدينية نشوء ظاهرة خطيرة، وهى استغلال الدين لشن عمليات إرهابية بهدف الانقضاض على السلطة والاستيلاء على الحكم، أى لتحقيق أهداف سياسية لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد.

٤. أدت التغيرات والاقليمية فى السنوات الأخيرة إلى الاقتراب من نموذج "المواطن العالمى" وبالتالى فقد انكمشت المسافة بين المواطن فى الدول المتقدمة ونظيره فى الدولة النامية وساعد على هذا ثورة المعلومات وسطوة وسائل الاعلام بحيث أصبح العالم قرية صغيرة، وأصبح الفرد فى القارة الأمريكية أو فى الشرق الاقصى مطالبا بالاطلاع على ما يدور فى الصومال وروواندا والبوسنة (وفى القدس والجولان المحتلتان).

٥. واخيرا، فإن الممارسات التى برزت مؤخرا على الصعيد الدولى: استحدثت قيود على مفهوم سيادة الدولة ونطاقه، واعطاء المجتمع الدولى – أو على الأصح القوى الفاعلة فيه – حق التدخل فى الشئون الداخلية للدول، وخاصة فى المجالات الآتية:

- "الديمقراطية" بمفهومها الغربى الذى يراد له أن يكون عالميا.
- "حقوق الإنسان" من المنظور الغربى، سواء فى الفكرة نفسها، أو فى آليات مراقبة الالتزام (اعطاء صلاحيات واسعة للمنظمات غير الحكومية، ومعظمها قائم فى الدول الغربية).
- حماية البيئة.
- الحد من التسلح ونزع السلاح (٢٢:٢٨-٣٥).

وليس من المستبعد أن تضاف إلى هذه القائمة مجالات أخرى فى المستقبل القريب" ومنها صنع السلام..

ولقد أشار إيليا سوف إلى الصراعات الداخلية باعتبارها واحدة من ملامح عالم اليوم، عالم القرن الحادى والعشرين، ولعلها تمثل الملمح الأقرب إلى اهتمامه كدبلوماسى محترف. ولكن لهذا العالم ملامح أخرى لعلها لا تقل أهمية عن ذلك الذى أشار إليه ايلياسوف.

الملمح الأول: من عالم القطبين إلى عالم القطب الواحد:

لقد عاش العالم لحقبة طويلة فى ظل صراع العملاقين الكبيرين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى. وفى ظل هذه الحقبة تمكن الاتحاد السوفيتى من قيادة دول حلف وارسو، كما تولت الولايات المتحدة الأمريكية فى المقابل قيادة دول حلف الأطلنطى ولكن بعد إنهيار الاتحاد السوفيتى، إنهارت التحالفات القديمة، وأصبح النظام العالمى الجديد له قطب أوحد هو الولايات المتحدة الأمريكية التى بدأت عمليا فى خدمة مصالحها وحدها وبشكل مباشر، حيث لم تعد الولايات المتحدة عمليا فى نفس الحاجة القديمة إلى الحليف

الأوروبى التقليدى الذى كان يمثل بالنسبة لها خط الدفاع المتقدم لمواجهة القطب السوفيتى، غير أن التململ من الهيمنة الأمريكية الطاغية على مقدرات العالم قد بلغ غايتـــه واتســع نطاق المضارين ليشمل بجانب القطب الأوروبى (التى أخفقت أعلامه تحت العلم الأمريكـــى مدمرة العراق بعد غزوة الكويت) دول العالم الثالث واليابان إلى جانب الدول العربية التـــى يحتاج القطب الأوروبى لموقف واضح ومساند منها لتقف فى مواجهة القطب الأوحد.

الملمح الثانى: من التحكم الأعلامى إلى الثورة الاتصالية:

لم يعد فى مقدور المؤسسات الاجتماعية فى أى بقعة من بقاع العالم أن تحجــب عــن أبنائها أية معلومات تبثها أجهزة الإعلام الخارجية بصرف النظر عن موافقتها أو معارضتها لمضمونه تلك المعلومات.

الملمح الثالث: من حقوق السلطة إلى حقوق الإنسان:

تلك الحقوق التى ينبغى كفالتها للإنسان الفرد فـــى مواجهـــة ســلطات المؤسســات الاجتماعية التقليدية وعلى رأسها الدولة وهو الأمر الذى يعد خروجا عن المألوف. وينبغى أن نلاحظ أن الطرح الدولى العام لقضايا الحقوق الإنسانية هذه يبرر التدخل فـــى الشــئون الداخلية للآخرين إذا ما إنتهك هؤلاء الآخرون حقوق الإنسان. إلا أن خبث نوايا أصحـــاب النظام العالمى الجديد أدى بهم إلى التجنى من أجل تصفية حسابات فى بعض الأوقات فـــى استخدامهم لذلك الحق لإقتحام الشئون الداخلية للدول المستقلة ذات الســيادة، بدعــوى أن حقوق الإنسان لم تعد شأنا داخليا خالصا (١٦:٢٠٨-٢١٤)، وخير مثال: (الكاتب الأمريكى "توماس فريدمان" الذى هاجم مصر فى مقال له بأنها بلد غير ديمقراطى من خلال محاكمـــة القضاء لسعد الدين إبراهيم بحجة أن هذا تقييد لحرية الرأى) لقد اكتشف فريدمان فجأة إلى أن مصر بلد غير ديمقراطى لأنها فى الأساس لم تضغط على الفلسطينيين لقبول تنـــازلات لصالح المفاوض الإسرائيلى، بل إن مصر دعمت المفاوض الفلسطينى بـــل وحذرتـــه مـــن إجراء أى تنازلات وباللخبث الذى أفرزه مقال الصحفى الأمريكى إما الضغط على المفـــاوض الفلسطينى لتقديم تنازلات فى كامب ديفيد الثانية وعدم دعمـــه للحصـــول علـــى حقوقـــه المشروعة وتطبيق الشرعية الدولية، وإما التشهير بأن مصر بلدا غير ديمقراطى ويتقاضى مساعدات أمريكية لا يستحقها.

تلخيص Summing Up

❖ **الصـــراع: Conflict**

عندما يتعامل ويتفاعل شخصان أو مجموعتان أو أمتان، قـــد تتصـــارع احتياجاتـــهم وأهدافهم فى هذا الفصل، عرفنا بعض المكونات العامة للصراع، وحللنا طرقا لحـــل تلـــك الصراعات بسلام ودوام.

• **المعضلات الاجتماعية: Social Dilemmas**

تنتج مشكلات اجتماعية عديدة كلما سعى الناس وزادت اهتماماتهم الفردية الخاصـــة ويفضلونها على الضرر العام المشترك إن تجربتى معمل، معضلة السجين ومعضلة العامة. تأسر الفرد ضد المجتمع العام. فى كل تجربة، يختار المشـــاركون إمـــا أن يســـعوا إلـــى إهتماماتهم الفورية أو أن يتعاونوا لصالحهم العام. تهكميا ومأســـاويا Ironically and

tragically، عادة تنصب كل تجربة المكيدة للمشاركين المميزين بقرارات تقصر أو تساعد على انكماش أفكارهم. فى الحياة الواقعية، كما فى التجارب المعملية، يمكن تجنب مثل تلك المكائد بتأسيس قواعد تنظيم سلوك خدمة الذات: بجعل المجموعات الاجتماعية صغيرة حتى يشعر الناس بالمسئولية تجاه بعضهم البعض؛ بتمكن الناس من التعامل ومن ثم تقليل عدم الثقة؛ وبتغيير الجزاءات لجعل الاستغلال أقل مكافأة وجعل التعاون أكثر محبة؛ وباستحضار معدلات إيثارية على النفس (غير أنانية).

- **المنافسة: Competition**

عندما ينافس الناس على موارد نادرة، من الممكن أن تغرق العلاقات الانسانية فى التعصب والعداء. فى سلسلة شهيرة من التجارب، اكتشف مظفر شريفMuzafer Sherif أن منافسة "اكسب ــ اخسر" جعلت الغرباء أعداء سريعا، مع إشعال نيران الحرب حتى بين الأولاد المستقيمين طبيعيا.

- **الظلم الواقع: Perceived Injustice**

تشتعل الصراعات أيضا عندما يشعر الناس بالمعاملة الظالمة طبقا لنظرية مبادئ الحق أو الإنصاف equity theary، يعرف الناس العدل Justice أنه الإنصاف ــ توزيع الجزاءات أو المكافآت حسب مشاركات الناس. تحدث الصراعات عندما يعترض الناس على مدى مشاركاتهم ثم إنصاف وعدالة نتائجها. منظرون thearists أخرون يتجادلون أن الناس أحيانا تعرف العدل ليس على أنه إنصاف، ولكن على أنه مساواةequality، أو حتى من حيث احتياجات الناس.

- **سوء الفهم: Misperception**

تحتوى الصراعات دائما على مركز صغير من الأهداف الخلافية الحقيقية، محاطا بطبقة كثيفة من سوء المفاهيم من بواعث وأهداف الجانب المضاد. عادة، يكون لدى الجوانب المتصارعة سوء مفاهيم متبادلة ــ كل ينسب الميزات لنفسه والمساوئ للجانب الأخر. عندما يعتقد الجانبان أننا تحب السلام، هم عدائيون" فقد يعامل كل منهما الآخر بطرق تشير تأكيد لتوقعاتهم. يتم اشعال الصراعات الدولية أيضا عن طريق وهم الرأس السوداء: قادة العدو يتم تقبلهم على أنهم أكثر براءة أو حتى يتم التعاطف والشفقة عليهم. تزداد أو تقل معدل سوء المفاهيم تلك من نفسها بسهولة كلما تصاعدت الصراعات وتدانت.

❖ **صنع السلام: Peacemaking**

تشتعل الصراعات وتنمو جيدا بهذه المكونات، ولكن لحسن الحظ قد تحول بعض القوى المساوية فى القوة العداء إلى توافق وتجانس.

- **الاتصال: Contact**

هل وضع الناس فى اتصال متقارب يقلل عداءهم؟ هناك أسباب جيدة للاعتقاد بذلك. ولكن، برغم من وجود دراسات سابقة مشجعة عن عدم التمييز، توضح دراسات أخرى أكثر حداثة فى الولايات المتحدة أن عدم التمييز القليل أو النادر فى المدارس له تأثير قليل جدا على الاتجاهات العنصرية. على الرغم من ذلك، فى معظم المدارس، فإن الاتصال العنصرى

نادرا ما يمتذ أن يكون حميما. عندما يوجد، وعندما يكون مساويا للحالة، تقــل العــداءات عادة.

- **التعاون**: Cooperation

إن الاتصال يكون مفيدا خاصة عندما يعمل الناس معا للتغلب على تهديد مشــترك أو لإنجاز هدف فوق عادى. فى تجارب معسكر الأولاد الخاص به، اســتخدم العمــدة المؤثــر الموحد لعدو مشترك ليخلق مجموعات مترابطة. ثم استخدم القوة الموحدة للجهد التعــاونى لإعادة تآلف المجموعات المتحاربة. بأخذها مغزاها من تجارب الاتصال التعاونى، بدلت فرق أبحاث متعددة من مواقف التعلم التنافسية فى الفصل بفرض للتعلم التعاونى. تقترح نتائجهم الجيدة كم يكون التعاون وعدم التمييز منفذا بناءا، ويقوى ثقتنــا أن الأنشــطة التعاونيــة تستطيع أن تفيد العلاقات الانسانية على مختلف المستويات.

- **التواصل**: Communication

يمكن أيضا أن تقصد الأطراف المتصارعة أن تحل خلافاتهم بالمساومة سواء مباشــرة مع بعضهم، أو من خلال طرف ثالث وسيط. عندما يراد تقسيم فطيرة بحجم معين، فإن تبنى وقفة حازمة تفاوضية قاسية تقصد الحصول على جزء أكبر (على ســبيل المثــال) ســعر أحسن) عندما تتنوع الفطيرة فى الحجم، كما فى المواقف المعضلة، فإن القســوة والحــزم يأتى بخلاف المطلوب عادة. يستطيع الوسطاء أن يساعدوا باستنهاض المضادين ليبدلــوا نظرتهم التنافسية "اكسب ـ اخسر" لصراعاتهم بمسلك تعانى أكثر: اكســب ـ اكسب قــد يؤسس الوسطاء أيضا تعاملات تزيل سوء المفاهيم وتزيد التفاهم والثقة المتبادلة.

- **التصالح أو التآلف**: Conciliation

أحيانا يجرى التوتر سريعا حتى أن التعامل الصادق يصبح مستحيلا فى تلك الأوقــات، قد تستخلص أفعال تصالحية من طرف واحد أفعالا تصالحية متبادلة من الطرف الآخر قد يتم تقليل التوتر إذن إلى مستوى حيث يمكن حدوث التعامل. إن سياسة تصالحية واحدة وهــى المبادرات المتبادلة والمتخرجة فى تقليل التوتر (GRIT) تهدف إلــى تخفيــف المواقــف الدولية المتوترة.

هؤلاء الذين يتوسطون فى الصراعات الدولية، والخاصة بالإدارة والعمال، يســتخدمون أحيانا سياسة صنع سلام أخرى. ويعلمون المشاركين، كما علمنا هذا الفصل، ديناميكيــات الصراع وصنع السلام. الأهم هو أن الفهم والتفاهم ـ فهم كيــف أن الصراعــات تشــتعل بالمكائد الاجتماعية، والظلم الواقع والمنافسة وسوء الفهم، وفهم كيف أن الصراعات يمكن حلها من خلال الاتصال المتساوى الحالة والتعاون والتواصل والتصالح ـ يمكن أن يساعدنا فى تأسيس والتمتع بعلاقات هادئة سليمة محبة.

خاتمة

إن على المجتمع العالمى أن يؤكد من جديد أهمية التسامح واحترام "الآخر": أى احترام الأشخاص الآخرين، والاجناس الأخرى، والمعتقدات الأخرى، والتوجهات الجنسية الأخرى، والثقافات الأخرى ـ كما ينبغى أن يعقد العزم على دعم هذه القيم وتوفير الحماية ضد الأعمال التى يقوم بها أولئك الذين يدنسونها مع الأخذ بصيغة التفاوض سبيلا إلى حل النزاعات والخلافات بدلا من الحروب وبناء ثقافة السلام التى تحتوى من بين ما تحتوى عليه من قيم، احترام الآخرين، والبعد عن العنف، وقيمه العالمية. وينبغى أن يكون المبدأ المرشد هو أن لجميع الجماعات والأفراد الحق فى الحياة بالشكل الذى يناسبهم ماداموا لم ينتهكوا مبدأ الحقوق والحريات المتكافئة للآخرين. وأهمية التعاون الدولى فى تحقيق أهداف التربية من أجل السلام والديمقراطية وحقوق الانسان وبخاصة فى الدول التى تعانى أزمات ذات صلة بهذا الجانب وأن تتخذ الدول المختلفة من الشخصيات التى أسهمت فى بناء السلام نموذجا نحتفى به ونعلمه لأجيال المستقبل.

الفصل الثالث عشر
التعصب
PREJUDICE: DISLIKING OTHERS
خطة الفصل المنهجية

- مدخل
- ما هو التعصب
- خلط فى المفاهيم وتداخل بينها
- التنشئة التعصبية
- المظاهر الدالة على التعصب
- خصائص (سمات) الفرد المتعصب
- أشكال التعصب
- المصادر الاجتماعية للتعصب
- نظريات التعصب وتفسير نشأته وارتقاءه.
- ما مدى انتشار التعصب؟ **How Pervasive is prejudice?**
- مثال: حالة التعصب فى الولايا المتحدة الأمريكية.
Prejudice in the United States
  - التعصب العنصرى **Racial prejudice**
  - التعصب ضد المرأة **Prejudice against women**
    - × القوالب الجنسية **Gender stereotypes**
    - × الاتجاهات الجنسية **Gender attitudes**
- الخلاصة
- كيفية مواجهة التعصب وتخفيف حدته.
- المراجع: عربية وأجنبية

مقدمة

إن أول دلائل التطرف هو التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح لنا برؤية واضحة وموضوعية لمقاصد الآخرين (يضع غمامة على عينه) ولا يفتح نافذة للحوار معهم وموازنة ما عنده بما عندهم. وأن قدراً كبيرا من المعايير الاجتماعية اكتسبناه عن طريق العضوية، رسمية كانت أو غير رسمية في جماعات كثيرة من مجتمعنا. وقد تبين هارتلى وزوجته Hartley في دراستها لنمو الاتجاهات نحو الزنوج أنه ليس الاحتكاك بالزنوج، ولكن الاحتكاك بالاتجاه السائد في المنزل والجيزة والجماعات الأخرى نحو الزنوج هو الذي يقرر التعصب.

ويجدر بنا أن نشير إلى بعض التعريفات التي أوردها أصحابها عن التعصب:

ما هو التعصب؟ What is prejudice?

- يرى "**ديفيد ج. مايرز** – Daid, G-yers" أن التعصب Prejudice "هو اتجاه سالب لا مبرر له نحو جماعة وأعضائها (٢:٤٨٣).
- يرى "**كرتشي وكرتشفيلد** – Cretch & Crutchfield ١٩٤٨" إن التعصب هو تلك المعتقدات والاتجاهات المتعلقة ببعض المساوئ التي يراها فرد أو جماعة ضد أقلية عنصرية أو قومية – وقد يكون مشكلة اجتماعية تولد التنافر وتعوق التقدم(٣).
- ويحدد "**شريف وشريف** – Sharif and Sharif ١٩٥٦" التعصب أنه موقف معاد ضد الجماعات الخارجية وخاصة عندما لا يكون هناك تفاعل مباشر بين هذه الجماعات وبين الجماعة التي ينتمي إليها الفرد المتعصب (٤).
- في حين يورد "**حامد زهران**" التعريف التالي للتعصب فيقول:"التعصب هو اتجاه نفسي حاقد مشحون انفعاليا، أو هو عقيدة أو حكم مسبق مع أو ضد جماعة أو شئ أو موضوع. وهو لا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية، وإن كنا نحاول أن نبرره. ومن الصعب تغييره أو تعديله، وهو يجعل الإنسان يرى ما يحب أن يرى فقط ولا يرى ما لا يحب أن يرى، فهو يعمى ويصم، ويشوه إدراك الواقع، (ويهيئ) الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والإدراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب"(٥:١٧٦).
- ويرى "**أولبورت** Allport, G" أن أكثر تعريفات التعصب إيجازا هو التعريف التالي:"التفكير السيئ عن الآخرين دون وجود دلائل أخرى" (٦:٧)
- ويتفق "**إيرليك** H.Ehrlick" مع "جوردون أولبورت" في أنه اتجاه عرقي يتسم بعدم التفضيل" (٧:٨)
- ويتفق "**ماردن**" و "**ماير**" Marden & Meyer" على أن التعصب "اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل أعضائها (٨).
- ويؤكد "**روز** A.Rose" على أن التعصب "اتجاه سلبي نحو جماعة عنصرية أو دينية أو قومية (٩).

- ويرى "نيوكمب وآخرون Newcomb, T.N et al" أن التعصب "اتجاه بعدم التفضيل يمثل استعداد للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد للأشخاص الآخرين بوصفهم أعضاء في جماعات معينة (١٠: ٤٣٠).
- كما يرى "زاندن J. Zanden" أنه "نسق من الادراكات والمشاعر والتوجهات السلوكية السلبية المتصلة بأعضاء جماعة معينة (١١).
- ويطرح "زيور" تعريفا للتعصب "يشير إلى أنه الحكم المسبق الذي يتخذ صاحبه إزاء جماعة أو أحد أفرادها، دون سند من الخبرة أو الواقع، ويتسم بالجمود وعدم المرونة والتعميم المطلق، دون سند من الخبرة السابقة. والتعصب بوصفه مشكلة من مشاكل الصحة النفسية إذا وصل إلى درجة معينة من الحدة يصبح عاملا من عوامل تقويض وحدة المجتمع، وينم عن اضطراب في ميزان الصحة العقلية الاجتماعية، مما يفسد تماسك المجتمع ويهدد كيانه"(١٢: ١١).

وهذه التعريفات تنطوي على بعض المقومات الأساسية لمفهوم التعصب هي:

١-حكم مسبق لا أساس له من الصحة ولا يقوم على سند منطقي وغير قابل للتغيير بسهولة.

٢-مشاعر سلبية تتسق مع هذا الحكم أو الاعتقاد غير المبرر.

٣-التعصب هنا يحمل العداء والسوء حيال أعضاء الجماعات موضوع الكراهية.

٤-قد لا يكون هناك تفاعل بين المتعصب ومن يتعصب ضدهم.

إلا أن هذه التعريفات تؤكد وتشير فقط إلى نوع واحد من نوعى التعصب هو التعصب السلبي Negative prejudice، معضلة التعصب الإيجابي، فالأشخاص ربما يتعصبون في تفضيلهم للآخرين، ويعتقدون اعتقادات حسنة عنهم دون توفر دلائل كافية على ذلك. لذا فالتعريف الذي يقدمه القاموس الإنجليزي الجديد يضع في الحسبان التعصب الإيجابي فضلا عن التعصب السلبي على النحو التالي: "مشاعر التفضيل أو عدم التفضيل تجاه شخص أو شئ ما سابقة للخبرة، أو لا تقوم على أساس الخبرات الفعلية (٦: ٧)

ومن التعريفات التي عنيت بذلك التعريف الذي قدمه "كلينبرج" ومؤداه أن التعصب هو: "مشاعر أو استجابات خاصة لدى بعض الأشخاص، توجه نحو أي موضوع من الموضوعات، لا تقوم على أساس واقعي، وقد تكون إيجابية أو سلبية" ومشابه لذلك تعريف **سيكورد وباكمان** ومؤداه أن التعصب هو:"اتجاه يجعل صاحبه يفكر، ويشعر، ويسلك بطرق مفضلة أو غير مفضلة، نحو جماعة معينة، أو نحو أعضائها من الأفراد" (١٣: ١٦٥) تخلص من ذلك إلى أن التعصب يمكن تصوره على أنه "متصل" أو بعد يتراوح بين أقصى درجات التفضيل (التعصب الإيجابي) وبين أقصى درجات النفور (التعصب السلبي).

ومما سبق يمكننا تبنى تعريف "**معتز سيد عبد الله**" إلى أن التعصب هو ميل انفعالي ربما يؤدى بصاحبه إلى أن يفكر ويدرك ويسلك طرائق وأساليب تتفق مع حكم التفضيل أو (في الغالب) عدم التفضيل لشخص آخر أو جماعة خارجية، أو موضوع يتصل بجماعة

أخرى، ويحدث هذا الحكم سابقا لوجود دليل منطقي مناسب أو من دون أي دليل. وهو غير قابل للتغير بسهولة بعد توفر الدلائل المعارضة التي تشير إلى عدم صحته لأنه ينطوي على نسق من القوالب النمطية" (١٤:٧٧).

وقبل أن نشير إلى الملامح الإجرائية التي ينطوي عليها التعريف السابق أود أن أتعرض إلى ما أشار إليه "جورن أولبورت" في مؤلفه "طبيعة التعصب The Nature of Prejudice" وبين أن مفهوم التعصب يشتق في أصله الأوروبي ـ من الاسم اللاتيني "الحكم المسبق Praejudicium. وقد مر هذا المفهوم بعدة تغيرات في معناه إلى أن وصل إلى المعنى الحالي. وتمثلت هذه التغيرات في ثلاث مراحل هي:

- **المعنى القديم:** ويقصد به الحكم المسبق الذي يقوم على أساس القرارات والخبرات الفعلية.
- **وفيما بعد،** اكتسب المفهوم في الإنجليزية معنى الحكم الذي يصدر عن موضوع معين قبل القيام باختبار وفحص الحقائق المتاحة عن هذا الموضوع. فهو هنا بمثابة حكم متعجل مبتسر Premature.
- **وأخيراً** اكتسب المفهوم خاصيته الانفعالية الحالية، سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل، التي تصطحب الحكم المسبق الذي ليس له أي سند يدعمه (٦:٧).

نستطيع العودة إلى الملامح الإجرائية التي ينطوي عليها تعريف "معتز سيد عبد الله" وهى:

١-حكم مسبق لا أساس له، ولا يوجد أي سند منطقي يدعمه ويؤدى إلى تشويه المعرفة Distortion of cognition.

٢-قد يكون هذا الحكم إيجابيا (بالتفضيل) أو سلبيا (بعدم التفضيل).

٣-لا يقوم هذا الحكم على أساس الخبرات الفعلية بموضوعات الحكم.

٤-يوجه نحو جماعة معينة ككل، أو نحو أشخاص معينين لأنهم أعضاء في هذه الجماعة.

٥-يقوم هذا الحكم على أساس مجموعة من المعتقدات أو التصورات أو القوالب النمطية أو التعميمات المفرطة.

٦-توجد مشاعر تتسق مع هذا الحكم، سواء بالتأييد والتفضيل.

٧-يستطيع صاحبه التعبير عنه في صور عديدة من أشكال السلوك طبقا لشدته.

٨-يؤدى بعض الوظائف غير العقلانية لصاحبه، وخصوصا في حالة التعصب السلبي.

٩-يتضمن الاتجاه التعصبي عن شكل التعصب مع أو تفضيل الجماعة التي ينتمي إليها الشخص (التعصب الإيجابي)، والتعصب ضد أو عدم تفضيل الجماعات الخارجية الأخرى وأعضائها (التعصب السلبي) في ضوء جميع الملامح الإجرائية التي عرضنا لها في النقاط السابقة (١٤:٧٧-٧٨).

في ضوء السمات المشتقة والملامح الإجرائية التي ينطوي عليها التعريفات السابقة، حاول الآن صياغة تعريف إجرائي خاص بك يشتمل على كل السمات المستخلصة.

خلط في المفاهيم وتداخل بينها

والتعصب Prejudice والنمطية (القوالب النمطيـــة) Stereotype وهـى المكـون المعرفي للاتجاهات التعصبية والتمييز Discrimination وهو المكون السلوكي للاتجاهات التعصبية والعنصرية Racism والجنسية Sexism والتصلب والجمود عدة مصطلحات قـد تتداخل، لذا فبعد معرفة ما هو التعصب فلنزيد من قوة لغتنا ونوضح هذه المصطلحات.

كل موقف من المواقف السابقة تحوى على أشخاص يكن كل منهم مشـاعر سـلبية تجـاه جماعة، وهذا هو جوهر التعصب كما أشار بذلك "ديفيد مايرز" اتجاه سلبي لا مبرر له تجاه جماعة وأفرادها. والتعصب يتضمن حكم مسبق ويؤثر فينا عند الحكم على شخص، وأساسه الوحيد كون الشخص عضو في جماعة معينة وقد يكون التعصب معلنا واضحا وقد يكـــون خفيا مستترا.

- والتعصب هو اتجاه Prejudice is an attitude والاتجاه هو مجموعة من المشاعر المتميزة المختلفة، ونزعة في الأداء والأفكار والمعتقدات. فالاتجاه شعور (مشـــاعر). وميل للتصرف (نزعة في الأداء) ــ وإدراك (معتقدات).
- وأن اتجاه أحد الأشخاص نحو موضوع أو فئة من الموضوعات يتحدد بصورة معرفيـة من خلال المدى الذي يمكن من خلاله تميز مجموعة من المعتقدات على أنها ســائدة، ويتم تقويمها وتحديد درجة شدتها ومركزيتها (٧:٥-٦) والمركزية يقصد بها "درجـة أهمية المعتقد بالنسبة للشخص، أو انتظامه حول بعد المركزية ــ الهامشية".
- ولا ترتبط المعتقدات، دائما، بالحقيقة الموضوعية، بل إنها قد لا تستند إلى أي دليـــل منطقي. وفى هذه الحالة نكون بصدد القوالب النمطية، وما يرتبط بـــها مـــن أشـكال التعصب المختلفة (٣:١٦٩). حيث أنها تلك المعتقدات الناتجة عن المشاعر المتعصبة. والقوالب تعميم عن جماعة من البشر مميزون عن الآخرين والقوالب قد تكون أكـــثر تعميما وغير دقيقة ورافضة للمعلومات الجديدة

Stereotype: A generalization about a group of people that distinguishes those people from others. Stereotypes can be overgeneralized, inaccurate, and resistant to new information.

وبمعنى آخر، فإن ما نقصده بالقالب النمطي يتمثل في المعتقد البسيط الذي يستند إلـى حجج غير مناسبة، على الأقل عدم مناسبة جزئية، ويعتنق بتأكيد معقول لدى العديـد مـن الأشخاص (١٥). فالقالب النمطي ــ إذاً ــ هو "تصور يتسم بالتصلب والتبسيط المفرط عن جماعة معينة، يتم في ضوئه وصف وتصنيف الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الجماعـــة بناء على مجموعة من الخصائص المميزة لها (١٦ ــ الملحق) أو أنـــه يمثـل تعميمـات مفرطة عن خصائص مجموعة من الأشخاص الذين ينتمون إلى فئة اجتماعية معينة، وعن الطريقة التي يسلكون بمقتضاها. وقد تقوم هذه التعميمات المفرطة علـى أسـاس سـلوك شخص معين أو مجموعة قليلة من الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الفئة.(١٧:٥٣٢).

ويعرف "هيلجارد Hilgard" بأنه "معتقد أو تصور من جماعة معينة، يتم في ضوئه وصف وتصنيف الأشخاص المنتمين إلى هذه الجماعة، بناء على مجموعة من الخصائص المميزة لها، ورغم أن هذه الظواهر يمكن أن ينطوي على بعض الحقيقة، إلا أنه يتسم بالتعميم الزائد أو التبسيط المفرط (١٨:٥٤٨).

فنحن نميل إلى تصنيف الأشخاص في فئات أو جماعات عسى أن يساعدنا هذا على سهولة فهمهم والاستجابة لهم. وتتم هذه العملية بناء على أوجه الشبه الحاسمة Critical Similarities التي تميز كل فئة من الفئات الاجتماعية فنحن نحتاج مثلا إلى معلومات عديدة لكي نقر بأن فلانا شخص يهودي، ويكن بعدما نصفه في فئة اليهود، يبدو الأمر بالنسبة لنا كما لو كان قد تعاملنا معه تعاملا وثيقا من قبل. ونعرف عنه كل شئ. وذلك بالشكل الذي يمكن القول معه إننا نعرف الكثير عن الأشخاص اليهود، هكذا كانت مصر موفقة في التفاوض مع اليهود حين أصدر الرئيس مبارك قرارا بإشراك عالم النفس المصري الشهير "قدري حفني" رائد دراسات الشخصية الإسرائيلية ضمن وفد مصر في مباحثات السلام في مدريد بين مصر وإسرائيل ١٩٩١. والواقع أن الدراسة العميقة للشخصية الإسرائيلية تمثل في حد ذاتها مطلبا أساسيا لفهم العدو الصهيوني فهما علميا دقيقا وتوظيف هذا البحث العلمي في خدمة الأهداف القومية لامتنا العربية في صراعها المصيري مع الدولة الصهيونية دون الوقوف عند عتبات البحث السيكولوجي الخالص، أو الدراسة الاجتماعية المحدودة حيث يعد تأثير مكونات هذه الشخصية على الصراع العربي الإسرائيلي من وجهة النظر السياسية والاجتماعية يعد ضرورة حيوية.

وفى حالة لتبسيط العالم يتجه الناس إلى النمطية:

البريطانيون متحفظون والأمريكان متحررون والأساتذة شاردو الذهن والمرأة التي لا تحب أن يطلق عليها لقب آنسة أو سيدة هي الأكثر ميلا للحزم وأكثر طموحا (Dion,1987). وهذه الاختصارات الموجزة للعالم قد تقدم العون أحيانا، لكن تظهر المشكلة عندما تكون غير دقيقة أو شديدة التعميم أو رافضة للتغيير (٢:٤٨٣-٤٨٤).

والتعصب اتجاه سلبي والتميز سلوك سلبي Prejudice is a negative attitude, &discrimination is negative behavior.

فإذا كان التعصب يشير إلى اتجاه معين، فإن التميز هو السلوك الفعلي المعبر عن هذا الاتجاه.

والتمييز سلوك لا مبرر له تجاه جماعة وأفرادها Discrimination: Unjustifiable negative behavior toward a group and its members.

وعلى الرغم من أن التصرف الذي به تمييز يكون سببه اتجاه تعصبي، إلا أنه لا يكون السبب دائما. إن الاتجاهات والسلوك ليسوا دائما مرتبطين وذلك لأن تصرفاتنا لا تتأثر فقط بقناعاتنا الداخلية inner convictions ولكن باحتياجاتنا (متطلباتنا) في مواقف محددة ــ فالاتجاهات التعصبية Prejudiced attitudes لا تنتج فقط من التصرفات العدوانية، ولا

كل الاضطهادات ناتجة عن التعصب. فالعنصرية والجنسانية Racism and Sexism على سبيل المثال لا تشير إلى أفراد ذات اتجاهات تعصبية، ولكن إلى تصرفات مؤسسية institutional practices تقوم بالتمييز حتى لا يكون هناك نية تعصبية.

تخيل أن القوة البوليسية a state police forcer تتطلب طول (٥) أقدام و(١٠) بوصة لكل ضباطها. وإذا كان هذا المطلب ليس له علاقة بالفاعلية في الوظيفة ولكن الغرض منها منع سكان أمريكا اللاتينية والشرقيون والنساء منطبق على هذا الشرط عنصري وجنسي، ولكن قد يقوم أحد بادعاء ذلك حتى لو كانت التفرقة غير معتمدة. وبالمثل إذا كانت ممارسات التعيين في مؤسسة كل موظفيها من البيض، شفهيا لها التأثير في منع موظفين مختلفين عن المعينين، قد تكون ممارسات عنصرية حتى لو كان الموظفون متفهمون ولا يتعمدون التمييز (٢:٤٨٤).

وفيما يتعلق **بالتصلب**: فيقصد به تلك السمة التي تكشف عن نفسها في "مدى السهولة أو الصعوبة التي يلقاها الشخص من إحداث تغييرات في مجرى سلوكه في الاتجاه المناسب"، وفي الوقت المناسب (١٩:٢١٤-٢١٩) أو هو العجز النسبي عن تغيير الشخص لسلوكه أو اتجاهاته عندما تتطلب الظروف الموضوعية ذلك، والتمسك بطرائق يغر ملائمة للشعور، والسلوك، أي مقاومة اللجوء إلى أنواع جديدة من الاستجابات التكيفية (١٩:٤٦٦-٤٦٧)، وتشير الدلائل إلى العلاقة الوثيقة بين التصلب والاتجاهات التعصبية ويشير مفهوم **الجمود** والذي يعتبر مرادفا لمفهوم الانغلاق الذهني حيث يشير الجمود إلى مجموعة المظاهر المعرفية والسلوكية المتعلقة بالأفكار والمعتقدات المنظمة في نسق ذهني مغلق نسبياً، بالتالي إذا كان التصلب يشير إلى مقاومة التغيير بالنسبة لمعتقد ما، أو مجموعة من المعتقدات أو العادات، بينما يشير الجمود من ناحية أخرى إلى مقاومة النصير بالنسبة للأنساق الكلية للمعتقدات تعوق صاحبها عن إحداث التغيير ومعنى ذلك أن الشخص الذي يكون جامد الذهن، أو يسلك بجمود، حينما يتمسك، أو يلتزم أو يعتنق، أو يدافع عن بعض الأنساق العامة من المعتقدات (في الدين أو السياسة أو العلم.. الخ) وهو ما يمكن معه استنتاج أن مرجع سلوك هذا الشخص هو النسق الكلي للأفكار، أكثر منه فكرة واحدة بعينها. وعادة ما يكون هذا الشخص ذو وجهة تسلطية في الحياة، ولا يتحمل الأشخاص المخالفين له في الرأي، أو المعارضة لمعتقداته، بينما يسمح مع من يعتنقون معتقدات مشابهة بمعتقداته. ولذلك يمثل هذا التفكير الجامد أرضية خصبة لتكون الاتجاهات التعصبية(٧:١٤٤).

وإذا كنا قد تطرقنا إلى مفهومي القوالب النمطية والتمييز والتصلب والجمود. فمن واجبنا أن نكمل الإشارة إلى باقي المصطلحات المتداخلة، لذا وجب علينا الإشارة إلى مصطلحي العنصرية Racism والجنسانية Sexism. فالنزعة العنصرية تعبر عن:

(١) أشخاص ذوى اتجاهات تعصبية وتصرفات سلوكية تمييزية تجاه شعب ذا سلالة أو عرق معين Given race.

أو(٢) ممارسات مؤسسية (حتى لو لم يكن سببها التعصب) تضع أفراد ذوى جنس معين في مرتبة أقل.

أما الجنسيانية أو الجنسية Sexism فهي تعبر عن:

(١) أفراد ذوى اتجاهات تعصبية وتصرفات سلوكية تمييزية تجاه أفراد من جنس محدد.

أو (٢) ممارسات مؤسسية (حتى لو لم يكن سببها التعصب) تضع أفراد ذوى جنس معين في مرتبة أقل (٢:٤٨٤).

التنشئة التعصبية

يولد الطفل دون تعصب، وينمو في مناخ عائلي يعكس مواقف المجتمع واتجاهاته السائدة عن طريق ذوى الشأن في حياته (الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والقرناء) ويتخذ أبعاداً جديدة ويقوى أكثر فأكثر مع التقدم في السن والتفاعل الاجتماعي، والتعلم، ولكن دون وعى أو إدراك من الطفل بأنه يتعصب أو يمارس التعصب، ودون مقدرة على تحديده أو تفسيره قبل سن الثانية عشرة. ومن الحقائق المعروفة في علم النفس الاجتماعي أن التعصب كظاهرة اجتماعية نفسية يمكن أن يوجد في عديد من المجتمعات كنتاج لتفاعل عمليات ونظم اجتماعية وممارسات سياسية مختلفة وينمو من خلال تطبيع الأفراد لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه وينمو التعصب من خلال التنشئة الاجتماعية ومنذ أيام الطفولة. والتعصب يعد بمثابة "معيار" في ثقافة الشخص يتم اكتسابه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

وهكذا يمكن القول بأن التعصب يعتبر نتيجة مباشرة لعملية التنشئة الاجتماعية حيث تتراكم القيم والمواقف تجاه الأشياء والأفعال والأفكار والأشخاص شيئا فشيئا، وتتفاعل فيما بينها لتشكل عند الطفل نسقا من الأفكار والاتجاهات والمعتقدات ينطلق منه التعصب سلبا وإيجابا.

ويؤكد العالمان (البورت، وكرامر Allport – Kramer – ١٩٤٦) بأن حوالي ٦٩% من أفراد العينة التي أجريت عليهم دراسات وبحوث قرروا أن التعصب لديهم مأخوذ ومكتسب من الوالدين (٢٠:٩-٣٩). فالوالدين أوضح النماذج التي يحاكى الأطفال سلوكها، ويتوحدون معهما منذ فترات العمر المبكرة، لأنهما يمثلان الإطار الثقافي المصغر الذي يعيش فيه الطفل، بما ينطوي عليه من قيم ومعايير ينبغي تمثلها والاستجابة وفقا لها، ويقوم المدرسون، كذلك، في مراحل التعليم المختلفة بدور لا يقل أهمية عن دور الوالدين، بل يكمله. فهم بمثابة نماذج اجتماعية تمارس تأثيرا لا يمكن إنكاره في تشكيل اتجاهات الأطفال عموما بما فيها اتجاهه التعصبي. ومع تقدم العمر بالأطفال تزداد أهمية جماعات الأقران Group peers. ففي أغلب الأحيان تدعم جماعة الأقران وجهات نظر الوالدين، لأن هناك تشابها بينهم في الخلفية الاجتماعية والثقافية وما يسودها من قيم. فالتعصب إذن نتاج اجتماعي تلعب الخبرة والتعميم دوراً أساسيا في تنميته وتثبيت دعائمه سواء أكانت خبرات إيجابية أم سلبية، وإن بروز التعصب، في فترة تاريخية ما، كان يمهد، على مستوى

الشعوب لحروب مدمرة ـ أو يتزامن معها ـ وتنتهي بغلبة شعب على شعب آخر أو قبيلة على قبيلة أخرى، وفي العصور القديمة كانت العبودية هي الثمن الذي يدفعه الشعب المغلوب، أما على مستوى الجماعات البشرية، داخل الشعب الواحد، في حدود بلد ما، فكانت تظهر الحروب الأهلية التي تخلف وراءها الدمار والتشتت والفقر، والتفكك الاجتماعي. فالتعصب تفرق لا تجمع، وانعزال عن المجتمع لا تفاعل مع حركة الحياة، تلك الحياة التي من مقوماتها الأساسية أن تؤدى كل الموجودات مهمتها منها كما أرادها الله سبحانه وتعالى. وهنا يبرز على السطح ما يسميه المؤلف **التعصب الخفي Hidden prejudice** وملخصه أن تسعى الأقليات في المجتمعات التي تعيش فيها أن تخلق حالة من العزلة في العمل بألا تعين في العمل إلا من هم في نفس عقيدتها دون تعيين أفراد للقيام بالعمل في مشروعاتهم الخاصة من العقائد الأخرى من أجل إشباع الحاجة إلى الأمن والتمايز والاستقلالية كما يراها هم لا كما يراها غيرهم في الواقع. وكلما زاد مستوى المقارنة بين هذه الأقلية داخل المجتمع وبين الأغلبية زادت حدة التعصب الخفي ببروز عدم الرضا عن الوضع القائم متسق مع القيم الخفية للمتعصب. وإذا وصل التعصب إلى درجة معينة من الحدة يصبح عاملا من عوامل تقويض وحدة المجتمع، وينم عن اضطراب في ميزان الصحة النفسية الاجتماعية مما يفسد المجتمع ويهدد كيانه(٢١:٧،٣،٢٨٥-٣٠٠). وفي مقابل ذلك، إذا سادت اتجاهات التسامح **Tolerance** والمودة والتعاون (التعصب الإيجابي) بين أعضاء الجماعات في مجتمعات معينة، من دون تمييز ولا تفضيل، فسنجد أن الاستقرار النفسي الاجتماعي هو السمة المميزة لهذه المجتمعات مما ينعكس في نهاية الأمر على الصحة النفسية لأبنائها وينتج فرصا أكبر للتقدم والازدهار. ويلخص **'أرجايل' Argyle** نتائج عدد من الدراسات التي عنيت بأساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالتعصب، في أن التنشئة الاجتماعية للأطفال المتعصبين اتسمت بثلاث خصائص، هي:

١-تعرض هؤلاء الأطفال لأساليب صارمة وقاسية من التدريب.
٢-رغبة الأباء أن يجارى أبناءهم المعايير السائدة.
٣-وجود علاقة بين هؤلاء الأطفال وآبائهم يسودها التبعية، وتمجيد الوالدين (٢٢).

المظاهر الدالة على التعصب

١-الحديث الذي يغلب عليه طابع الإثارة.
٢-عدم إعطاء الفرصة للآخرين للتعبير عن آرائهم أثناء الحديث معهم.
٣-التشدد في الرأي وعدم أخذ المواقف ببساطة.
٤-إقناعه للآخرين بتسم بالعنف والغلظة.
٥-عدم إعطاء الفرصة للآخر للاشتراك معه في عمل أو نشاط إذا لم يكن ينتمي إلى عقيدته أو فكره أو حزبه أو ناديه.
٦-الدعوة إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين.

خصائص (سمات) الفرد المتعصب

١-الانتماء الشديد لأفكار وآراء جماعة معينة ـ دينية كانت أم حزبيــة ـ أم طبقيــة أم رياضية دون أخرى ويتجلى ذلك في عدم التنازل عنها حتى في ضوء الشواهد المنافية لذلك.

٢-الإحساس بتفرد وسيادة جماعة التعصب، والنظر إلى الجماعات الأخرى على غير ذلك، والذي ينعكس على طبيعة العلاقة بين هذه الجماعات بما يتضمنه من عنف وعدوانيــة بأخذ صورتها الجسمانية مثل الضرب والقتل والإيذاء البدنــي (الفتنــة الطائفيــة ـ التعصب الكروي) أو في صورتها اللفظية مثل الإهانة والتلفــظ بكلمــات خارجــة أو استخدام النكات).

٣-عدم القدرة على إدارة الحوار مع الأفراد المخالفين لجماعة التعصب ولا يتطلع علــى كتبهم أو جرائدهم وأفكارهم..الخ.

٤-اعتناق الفرد لأفكار ومعتقدات بصرف النظر عن مضمون هــذه الأفكــار والمعتقــدات ونظرة تسلطية في الحياة مع معارضة المعتقدات التــي تخــالف معتقداتــه والجمــود الذهني. ويشير الجمود هنا إلى عدة خصائص هي:

أ- طريقة متعلقة على التفكير ترتبط بأي أيديولوجية بصرف النظر عن مضمونها.

ب- نظرية تسلطية في الحياة.

ج- عدم تحمل الأشخاص الذين يعارضون المعتقدات الخاصة بأصحابها.

د- تسامح مع الأشخاص الذين يعتنقون معتقدات خاصة.

٥-التبرير الدائم للأحداث والأمور ـ سواء كانت له أو ضده ـ فدائما ما يحاول الظــهور بمظهر المتفوق حتى وإن كان ذلك عكس ذلك تماما.

٦-المسايرة Conformity وسهولة الانسياق وراء أفراد الجماعة المنتمى إليها، مــع عدم القدرة على التحكم في النفس. فالشخص المتعصب في معالجته للأمور الاجتماعية يعد مجاريا مجاراة عمياء، حيث يتماثل التعصب هنا مع مختلف قيم واتجاهات الجماعة أو الجماعات التي ينتمي إليها. وينطبق هذا القول على التعصب العنصري وباقي أشكال التعصب الأخرى (٦:١٢).

٧-ويؤكد العالمان (كرتش وكرتشفيلد Krech _ Crutchfield ـ ١٩٤٨) أن التعصــب لا يوجد في الغالب إلا بين الشخصيات التي تعاني من الســادية، ومشــاعر العــدوان والإحباط وحالات الهذاء (البارانويا)، كمــا أظــهرت أبحــاث (فــيرنون Vernon ـ ١٩٦٣) بأن الأفراد الذين يتصفون بالتفكير النمطي الجامد يميلون أيضا إلى أن يتصفوا بالتعصب والتسلط وعدم التسامح مع السلالات والأجناس والجماعات الأخرى، ويؤكــد فرنون أن ذلك يرجع إلى عدم الأمن Insecurity الذي يطغى على تكوين الشــخصية لديهم.

وتتمثل هذه السمات بعدد من الحاجات الشخصية عند الأفراد نوردها فيما يلي:

- **الحاجة إلى تحقيق مكانة متفوقة:** وتبرز في تصنيفه لجماعة من الناس على أنهم دون مستواه فيتعصب ضدهم ويصنف نفسه في مستوى جماعة أخرى فيقوى انتمائه لهم.
- **الحاجة إلى الأمن:** فالصراع بين جماعة وأخرى يؤدى إلى تماسك الجماعة الواحدة وتعصب أفرادها لها ضد الجماعة الأخرى.
- **الحاجة للتمايز والاستقلالية:** إن شعور الفرد والجماعة بأنهم فئة متمايزة عن غيرها يؤدى إلى تعصب أفرادها لها ضد غيرها.

أشكال التعصب

من أشكال التعصب:

(١) **التعصب الطبقي** Class أو الطائفية Caste: وهو الذي يقوم بين الأغنياء والفقراء والرؤساء والمرءوسين وأصحاب العمل والعمال. ولقد أشارت بعض الدراسات في الولايات المتحدة إلى وجود بعض القوالب النمطية والتحيزات بين سكان المناطق الشمالية والمناطق الجنوبية، أو بين المناطق الريفية والأخرى الحضرية(٢٣:٤٠١-٤٠٢) وأشارت دراسات أخرى إلى وجود تعصب شديد بين الطوائف التي تمثل طبقات عديدة يتكون منها المجتمع الهندي على وجه الخصوص(٢٤).

(٢) **التعصب العنصري:** وهو اتجاه عدائي نحو الاقليات العنصرية Racial Minorities ويقوم بين البيض والسود والأجناس. وقد برز كمثال واضح في أمريكا في معاملتها للزنوج داخل أمريكا ومعاملة الدول الاستعمارية للسود في جنوب وغرب أفريقيا (٢٤:٩٩). ويكون سلبيا في أغلب الاحيان باعتباره نمط للعداوة في العلاقات الشخصية يوجه مباشرة ضد جماعة كلية أو ضد الأفراد أعضاء هذه الجماعة. وكمثال للتعصب العنصري (التعصب العنصري للصهيونية ضد العرب)، حيث أن الفكر الصهيوني يقسم البشر إلى يهود (ساميين)، وأغيار (غير اليهود من البشر أو الساميين). وعلاقة اليهود بالأغيار (أو غير الساميين) لا تتسم بالمودة أو التعلون. إذ أن الاغيار من وجهة نظرهم "ذئاب" وقتله يتربصون دائما باليهود ويحاولون الفتك بهم. والعرب (الفلسطينيون والمصريون والسعوديون) هم كلهم من الأغيار الذين يتسمون بهذه السمات (٣٠:١٤١-١٤٩). ويرى الصهيونيون أن العرب يمثلون أقوى أعداء السامية الذين يهددون حياتهم ومستقبلهم. فكانت "جولدا مائير" في أواخر أيامها تجد صعوبة في أن تنام على حد قولها بسبب عدد الأطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل يوم (٣١). كذلك فاليهود يؤمنون بأنهم أنقى الشعوب من الناحية الوراثية، وما يترتب على ذلك من تمييز في مختلف القدرات والخصال الشخصية، وفي الوقت نفسه يؤمنون بأن من عداهم يتسمون بالانحطاط والتخلف وغيرهما من السمات التي تقترب

بهم من مستوى الحيوانات الدنيا، فمن يسلم بنقاء شعبه يسلم كذلك بدونية أو انحطاط الشعوب الأخرى التي يعتقد أنها معادية (٣١:٢٤-٦٤) بمعنى أنهم كجماعة لم يتعرضوا لما تعرض غيرهم من تداخل بين السلالات المختلفة (١٥١:٣٢) وهذا هو لب مضمون التعصب العنصري للصهيونية.

(٣) **التعصب الديني:** مثال لما تقوم به حاليا الحكومات في يوغوسلافيا السابقة (صربيا) ضد المسلمين في البوسنة والهرسك وحكومة مقدونيا ضد الألبان والاتحاد السوفيتي السابق ضد الشيشان ومثاله موقف اليهود من العرب والمسلمين وعشرات الأماكن الأخرى منها ما هو بين المسلمين والهندوس في المجتمع الهندي ينجم عنها في أحيان كثيرة، أشكال من العنف. وعدم الموافقة على إقامة علاقات مع أفراد الدين الآخر، سواء في شكل علاقات صداقة، أو علاقات عمل، أو علاقات تتصل بتقديم أو تلقى خدمات معينة.

(٤) **التعصب الجنسي:** وهو السائد بين الذكور والإناث ويعد التعصب لجنس دون الآخر Sex prejudice من أشكال التعصب المهمة في الوقت الحاضر وقد وجد الباحثون أن ثمة ما يشبه الإجماع على الخصال التي تبدو مميزة من القوالب النمطية التي تنطوي على مختلف أشكال التحيز ضد المرأة. فالرجال يتسمون بالكفاءة والاستقلال بينما تتسم النساء بالتعاطف والتعبيرية Expressiveness وأشار البعض إلى أن العديد من الخصال الشخصية التي تمثل قيمة للمجتمعات ترتبط بالرجال أكثر من النساء. وربما يكون الوضع أكثر حدة في المجتمعات الشرقية وخصوصا في مجتمعنا العربي حيث مازال العديد من أبناء أقطاره ينظرون إلى المرأة نظرة أقل قيمة من نظرتهم للرجل، ويضعونها في مرتبة أقل على الرغم من تقلدها العديد من المناصب المهمة سواء في الوزارات أو الجامعات. ولقد ظهرت حاليا (جمعيات لتحرير المرأة) Women Liberation Movements غايتها تخليص المرأة من ظلم المجتمع التكنولوجي وعلى الوجه الآخر بدأت تتكاثر (جمعيات تحرير الرجل) Man Liberation Movements في أمريكا وأوروبا: وغايتها تخليص الرجل من أنياب المرأة وطغيانها.

(٥) **التعصب الكروي:** بين جماهير كرة القدم التي تشجع الأندية. وقد تظهر حدته كما حدث في مباراة المنتخب القومي لجمهورية مصر العربية والمنتخب القومي لجمهورية الجزائر والتي أقيمت على إستاد عنابه ضمن التصفيات المؤهلة لكأس العالم ٢٠٠٢ والتي اعتدى فيها جمهور الجزائر على لاعبي الفريق القومي المصري واداريه قبل وأثناء وبعد المباراة مما أدى إلى لجوء الاتحاد المصري لتقديم شكوى للاتحاد الأفريقي وقد تظهر حدته أيضا بين بعض الأندية في داخل الوطن مثل ناديا الأهلي والزمالك القاهريان وكذلك بين بعض أندية إنجلترا. وقد تصل حدة التعصب بين بعض مشجعي هذه الأندية في حدوث حالات وفاة كثيرة وإصابات وتخريب.

(٦) التعصب السياسي والأيديولوجي: مثال موقف اليهود من العرب والمسلمين وآخرها أحد الحاخامات الإسرائيليين 'موفاديايوسف' يبارك مهاجمة خان يونس بالجرارات والدبابات والصواريخ والمروحيات وتشريد أكثر من ٥٠٠ فلسطيني وتجريف أراضى فلسطين في ليلة الأربعاء ٢٠٠١/٤/١١ وكذلك موقف الشيوعية من الرأسمالية والعكس وموقفهم جميعا من المسلمين. ويدور مضمون التعصب فيه حول تبنى فكر سياسي معين، والسعي إلى الانضمام إلى الحزب السياسي الذي يتبنى هذا الفكر السياسي وصعوبة تقبل الأفكار الأخرى المغايرة له.

(٧) **التعصب بالحب**: حيث يتمثل التعصب في حب الوطن والغيرة عليه، والعمل لصالحه قبل المصلحة الشخصية، والشعور بالانتماء له والتضحية من أجله، والسعى إلى العيش والعمل في مودة وسعادة وحب مع سائر المواطنين، فهما اختلفت دياناتهم بعيدا عن التعصب الخفي القميء، مع الثقة في المنتجات الوطنية 'صنع في مصر'، وكراهية الدول الأخرى التي تحاول نشر الشائعات العدائية ضد الوطن من خلال وسائل إعلامها، ورفض الزواج من أجنبيات، والعزوف عن شراء البضائع المستوردة، والالتزام بالتعامل بروح الإخاء، والمساواة (عدم التمييز) في التعامل بين أبناء الوطن الواحد حيث يسعى المتعصب إلى منع أعضاء الجماعات المتعصب ضدها من الحصول على التسهيلات والامتيازات التي يتمتع بها الآخرون سواء في العمل أو التعليم أو السكن، أي منع كل أعضاء الجماعات موضوع الكراهية من الحصول على بعض الوظائف، أو الإقامة في أماكن معينة، أو سلب حقوقهم السياسية، أو حرمانهم من فرص التعليم، أو الترقي، أو العلاج وعدم التميز بين أبناء الوطن الواحد بسبب اللون أو الجنس أو الدين أو الرأي السياسي ودون أية تفرقة بين الرجال والنساء، ويعد عدم التمييز بين أبناء الوطن هو تعصب بالحب كذلك.

المصادر الاجتماعية للتعصب

Social Sources of Prejudice

ينبع التعصب من عوامل متعددة متشابكة. مجموعة من العوامل ساعدت في تفسير كيف ظهر التعصب واستمر عن طريق البيئة الاجتماعية **Social environment**

- **عدم المساواة الاجتماعية Social Inequalities**

التعصب يصنع (يولد) عدم المساواة **Prejudice rationalizes inequalities**

- **المبدأ الأول**: عدم تساوى الأحوال يولد التعصب ـ العبيد دائما ما يصورهم السادة على أنهم كسالى وغير مسؤولين وينقصهم الطموح. وذلك ما جعل تلك التركيبة الاجتماعية: العبودية نتيجة لذلك التصور. ما هي القوى التاريخية التي خلقت حالة عدم المساواة ذلك سؤال لعلماء التاريخ. ولكن عند حدوث عدم المساواة، فإن التعصب قد يستعمل لتبرير التفوق الاقتصادي والاجتماعي لأولئك الذين لديهم الثروة والقوة. لذلك، وبالرغم

من أن التعصب والتميز يرتبطان معا، فإن أحدهما دائما بدون الآخر، ويقويان بعضهما البعض.

Discriminations breeds prejudice, and prejudice legitimizes discrimination (Pettigrew, 1980).

إن التمييز (التفرقة) يولد التعصب، والتعصب يبرر التمييز (بتجراو ـ ١٩٨٠).

ويظهر التعصب بوضوح في أوقات الصراع. وعادة ما يرى الشخص أعدائه على أنهم أقل آدمية (متدنين) ويطلق عليهم ألقاب تهين آدميتهم.

Prejudice is evident in times of conflict. One often views one's enemies as subhuman and depersonalizes them with a label.

(غالبا ما يرى الفرد عدوه كأقل آدمية ويميزهم بألقاب مهينة. (إنها طبيعة البشر، كراهية الذين أساءوا إلينا (أذونا). لذلك فخلال الحرب العالمية الثانية فإن اليابانيين أصبحوا (اليابانيين الخبثاء) كما يميزهم الأمريكان، وبعد نهاية الحرب أطلقوا عليهم (اليابانيين الأذكياء) الذين يخدمهم الأمريكان. الآن تكون الاتجاهات متكيفة بدهشة (بذهول) ويشير 'ديفيد ماير **David Myers**' إلى أن التجارب المعملية قد أوضحت أن الأفعال الاضطهادية في الحقيقة تولد اتجاهات سالبة.

- أمثلة على أن التعصب يولد حالة عدم المساواة:

• حتى وقت قريب فإن الانحياز كان بصورة كبيرة في مناطق بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت تمارس العبودية. سياسيو القرن ١٩ والكتاب برروا التوسعات الإمبريالية عن طريق وصف شعوب المستعمرات المستقلة على أنهم تابعون يحتاجون إلى حماية

as "inferior" "requiring protection and a burden to be borne altruistically (G.W.Alloport 1958, PP.204-205)

وتحملهم المنفعة الذاتية (الإيثار ـ حب الغير) يعد عبئا ثقيلا (واجب صعب) عليهم.

في عام (١٩٥١) لاحظت عالمة الاجتماع 'هيلين ماير **Helen Mayer Hacher**'

- كيف أن القوالب النمطية **Stereotypes** للسود والنساء ساعدت على تكوين (حالة) صورة لهم على أنهم تابعون (أقل). كلتا المجموعتين، كان ينظر إليهم على أنهم أقل ذكاء. يظهرون في كونهم عاطفيون وبدائيون، وأنهم مشغولون تماما بدورهم الثانوي. السود كانوا 'متدنيين'، النساء كن ضعفاء. السود كانوا مناسبين لأماكنهم الطبيعية في المنزل. تلك الاتجاهات كان تسهل توافقهم للإبقاء على العلاقات الاجتماعية الواقعة (عدم تناسبها) وكذلك كأدلة في أوقات الصراع.

• في الجزء الثاني لاحظنا أن التجارب المعملية قد أوضحت أن الأفعال الاضطهادية في الحقيقة تنتج اتجاهات سالبة. إيذاء ضحية بريئة يؤدى تماما إلى أن يقوم المعتدون باحتقار ضحاياهم. لذلك ساعدوا على تبرير سلوكهم المؤذى. وفى تجربة بجامعة فرجينيا **University of Virginia** وجد ستيفن ورشيل وفرجينيا أندريولى

Stephen Warchel and Virginia Andreali (1978) وجدوا أنه بمقارنة الطلاب الذين كانت مهمتهم مكافأة شخص ما عند الإجابة الصحيحة وذلك خلال الدراسة. على العكس أولئك الذين أعطوا صدمات عند الإجابة الخاطئة قد أهملوا ذلك الموضوع، لقد أصبحوا أقل قدرة على تذكر صفاته الفريدة (على سبيل المثال الاسم والصفات البدنية) وكانوا أكثر تذكرا لاتجاهات الشخص مثل العرق والدين التي ساعدت على التقليل من شأن الضحية عن طريق تعريفه فقط عن طريق المجموعة التي ينتمي إليها.

لذلك فإن القسوة تولد الاتجاهات القاسية وتؤدى إلى تفتيت المشاعر والأحاسيس الشخصية للمعتدى (٢:٤٩٧-٤٩٩).

• الدين والتعصب: Religion and prejudice

أولئك المستفيدون من عدم المساواة الاجتماعية يعترفون (يقرون) بأن الجميع خلقوا سواسية "قد يحتاجون بصورة خاصة إلى بناء (تكوين) مبررات شخصية لذلك الواقع. ومن هنا جاءت المقولات والأمثال الشعبية المصرية التي تؤكد ذلك ومنها:

"العين متعلاش عن الحاجب ــ الميه ما تجريش في العالي"

لكل أنواع الأعمال القاسية لاحظ "وليام جيمس William James" أن الإيمان هو القناع Piety is the mask القناع الذي يصور ويظهر التعبيرات اللطيفة بينما يخفى الدوافع القبيحة.

إن دور الدين كما أوضح ذلك "جوردون البورت G.Allport" دور تناقضي أنه يسبب أو يزيل التعصب، لقد أمكن استخدام الدين لتبرير الظلم، وأحد التفسيرات المحتملة لاثنين من النتائج:

(١) أن أعضاء الكنيسة الأمريكية أكثر تعصباً عنصريا عن غير الأعضاء.

(٢) أولئك الذين يلتزمون بالإيمان المسيحي التقليدي يكونون أكثر تعصبا عن أولئك الذين هم أقل تقليدية (Baston et al, 1985). وقد لا يكون هناك أي ارتباط على الإطلاق بين الدين والتعصب. ربما على سبيل المثال.

الناس قليلو التعليم يكونون أكثر جمودا في معتقداتهم، وأيضا لأسباب ليس لها علاقة بالدين يكونون أكثر تعصباً في اتجاهاتهم. أو ربما قد يؤدى الدين إلى التعصب وذلك يجعل الناس يؤمنون بأنه حيث أن الناس لديهم إرادة حرة، فإن فقر الاقليات عليهم ألا يلوموا إلا أنفسهم لنقص القيم الخلقية والإنجازات.

لو كان في الحقيقة أن الدين يسبب التعصب، فإنه إذا زاد تدين الفرد زاد تعصبه وهذا ليس صحيحا من وجهة نظرنا.

عموما فإنه من الواضح أن بعض أنواع الناس المتدينين يكون أقل بكثير تعصباً عن الآخرين السطحيين دينيا.

• لوم الضحية: Blaming the Victim

قد تتوافق الاتجاهات مع الواقع الاجتماعي، ليس فقط كتبرير لذلك، ولكن أيضا لأن التمييز يؤذى ضحاياه. ولقد كتب جوردون البورت "إن سمعة الفرد لا يمكن أن تضرب وتضرب hammered برأسه دون أن تترك أثرا على شخصيته" (G. Allport, 1958, P. 139) . وفى كتابه الكلاسيكي "طبيعة التعصب The Nature of prejudice" صور "ألبورت" (١٥) تأثيراً محتملا للضحية. اعتقد "البورت" أن ردود هذه الأفعال قد انخفضت إلى نوعين أساسيين:

– أولئك الذين يلومون أنفسهم – على سبيل المثال – الانسحاب Withdrawal، كراهية النفس Self-hate، العدوان ضد مجموعة الفرد (aggression against one's own group) وأولئك الذين يقومون بلوم الآخرين – (على سبيل المثال – الشجار fighting back، الشك suspiciousness، التفاخر الزائد Increased group pride). إذا كانت النتيجة النهائية سلبية: على سبيل المثال، ارتفاع معدلات العلاقات غير المشروعة، أسر مفككة، Broken families والإهمال والتقصير. قد يستعمل ذلك لتبرير استمرارية التعصب والتمييز، تلك التي ساعدتهم على الاستمرار. إذا تركنا أولئك الناس من جيراننا اللطيفة، فإن قيم العقار سوف تنهار. ولكن هل يؤثر التميز على ضحاياه؟ هل يفترض ذلك تلك التحليلات؟ يجب أن نكون حريصين ولا نضخم هذه النقطة على الأقل إننا نغذى الفكرة، إن الضحايا بسبب التعصب يكونون بالضرورة لديهم نقص اجتماعي. إن روح ومظهر البيئة (التراث) للسود بالنسبة للجميع يعتبر ميراث يفتخر به وليس فقط كرد فعل للوقوع ضحية (Jones, 1983). إن الاختلافات الثقافية تحتاج ليس ببساطة نقص اجتماعي. في نفس الوقت فإن علم النفس الاجتماعي أظهر بتكرارية أن معتقدات الناس عن الآخرين تميل إلى إثبات الذات. إن مشكلة أداء السود تكمن ليس تماما بين السود، ولكن أيضا مع الموجودات المتداخلة نفسها.

إن عدم المساواة الاجتماعية ليست السبب الوحيد للتعصب خلف معاداة السامية لهتلر ومعاداة المورمون Mormon (نوع من الديانة المسيحية نشأ بأمريكا عام ١٨٣٠) في القرن الـ ١٩. أمريكا أضافت شيئا آخر. وليس أقل من أن التعصب يؤدى إلى تفوق مجموعة ما اجتماعيا واقتصاديا ويعمل بقوة كنبوءة الذات الكاملة as self-fulfilling prophecy (٢:٥٠٠-٥٠٢).

• داخل الجماعة وخارجها: In group and out group

فالأول يتضمن الأفراد الذين يخبروا معنى الانتماء وهو عبارة عن شعور أو إحساس فإنه يكون لهم هوية مشابهة ومصطلح "خارج الجماعة" يعتبر من وجهة نظر الأعضاء داخل الجماعة بمثابة مجموعة من الأشخاص الذين لديهم بعض الخصائص المميزة، والتي تضعهم كجزء مستقل داخل الجماعة (١٢٢:٢٥)

التعريف الاجتماعي 'من أنت Who you are' ـ عنصرك ـ دينك ـ جنسك ـ التخصص الأكاديمي. قد يقصد به أيضا من لا تكون الدائرة التي تتضمن (نحن) تزيل (هم). لذلك فإن الخبرة الكاملة لتقسيم الناس لمجموعات تنفصل تماما عن أي علاقة مع المجموعات، وقد يؤدى إلى التعصب داخل المجموعة.

اسأل الأطفال. أيهما أحسن الأطفال (بمدرستك أم الطلاب بمدرسة قريبة؟) حقيقة وبكل تأكيد الجميع سيقولون أن مدرستهم بها أحسن أطفال.

في سلسلة متتالية من التجارب، علماء النفس الاجتماعيون الإنجليز ـ هنري تاجفيل وميشيل بيليج Henri Tajfel & Michael Billig ـ (1974, Tajfel, 1970,1981,1982) وجدوا أنهم حتى عندما (نحن) و(هم) التعرف عليهما غير مستمر وغير متتابع، فإن الناس على الفور يفضلون مجموعتهم.

- المسايرة: Conformity

عندما يحدث التعصب فإنه يستمر غالبا عن طريق القوى الاجتماعية الداخلية. إذا كان التعصب حاله اجتماعية ـ إذا كان متوقعا ـ لذلك فكثير من الناس سوف يتبعون نفس الطريق للمقاومة الاجتماعية الضئيلة. سوف يتأقلموا على الشكل الاجتماعي. سوف يعملون ليس كثيرا عن الحاجة إلى الكراهية وإنما للحاجة في أن يكونوا محبوبين ومقبولين. (حتى يحظى سلوكهم بالقبول الاجتماعي، وتجنب الرفض أو الاستنكار وهنا تحدث المسايرة أو المجاراة كاستجابة لمواقف الضغوط الاجتماعية).

وقد أشارت دراسات عديدة إلى أن المجاراة (المسايرة) السلوكية، سمة أساسية للشخص المتعصب وترتبط باتجاهاته التعصبية ارتباطا موجبا (١٤:٨٦).

دراسات توماس بيتجراو Thomas Pettigrew ـ ١٩٥٨' للبيض بجنوب أفريقيا وأمريكا الجنوبية، وضحت أن أولئك الذين تأقلموا مع المظاهر الاجتماعية الأخرى، كانوا أيضا أكثر تعصبا، وأولئك الذين كانوا أقل تأقلما أظهروا قليلا من التعصب الخارجي، التوافق أيضا يساعد على استمرارية أنواع التعصب.

'إذا كنا قد اعتقدنا أن الحضانة ـ المطبخ هما المناخ المناسب للمرأة' فإننا قد فعلنا بالضبط كما يعتقد الأطفال الإنجليز من أن القفص هو المناخ المناسب للببغاء لأنهم لم يروا مطلقا أي واحد أخر بمكان ثاني. الأطفال من أمهات عاملات يميلون إلى أن يكون لديهم وجهات نظر للتفرقة النوعية بدرجة أقل عن الرجال والنساء.

في كل يوم في الحياة، الانحياز داخل الجماعة يتم تعظيمه عن طريق القابلية للناس للتعامل مع أفراد من مجموعتهم. أعضاء الجماعة المتفاعلين غالبا مع بعضهم البعض دائما ما يركزون على ولائهم للمجموعة وإحساسهم العاطفي (الروحي) للاستقلال.

على سبيل المثال (الفصل) التباعد كان وسيلة لتركيز الإحساس للتعاطف والمساواة لأولئك الذين بالمجموعة (جوردون أولبورت ـ ١٩٥٨ ص ٢٠٥). كذلك عندما يحدث التفاعل غالبا بين المجموعة الواحدة، فإنها تؤدى باستمرار إلى تضخيم التفرقة النوعية

للمجموعات الأخرى وأصحاب المصالح في استمرار فصل المجموعة وأن تفكر وتشعر وتنفعل بطرق منفردة لكل مجموعة.

لذلك فإن التعصب للمجموعة دائما ما يتم تعظيمه بطرق الاندماج التي تزيد من المسافة بين المجموعات (٢:٥٠٤-٥٠٥).

نظريات التعصب وتفسير نشأته وارتقاءه

تعددت النظريات المفسرة للتعصب باختلاف أصحابها والمناخ الفكري الذي عاش فيه، وفيما يلي عرض لأهم هذه النظريات التي حاولت تحديد وتفسير الأسس النفسية والإجتماعية والثقافية وتفسير نشأته وارتقاءه.

أولاً: النظريات الدينامية النفسية (التحليلية النفسية):

يرى علماء التحليل النفسي أن التعصب يؤدى وظيفة نفسية خاصة تتلخص في التنفيس عما يتفاعل في النفس من توتر وكراهية وإحباط مكبوت في ضوء بعض الميكانيزمات مثل "الإسقاط"، و "الإزاحة Displacement "، و"الإبدال Substitution " و"التبرير" دفاعا عن الذات وعمن تحب. واعتقد فرويد أ ن التعصب دالة على الميول البشرية للإسقاط، ويقصد به الميل الموجود لدينا جميعا إلى أ، نسقط اندفاعاتنا غير المرغوب فيها على الآخرين، حيث يساعدنا ذلك على أن نرى الآخرين يفعلون الأشياء التي نخاف أن ننسبها إلى أنفسنا، وهذا الميكانيزم "الإسقاط" يسمح في رأى "فرويد" للشخص أن يقاتل ويفسق، أو يفعل أفعالا مشينة لاعتقاده أن الأشخاص الآخرين هم الذين بدءوا بذلك، أفضل مثال على ذلك استخدام المحتل الإسرائيلي العنف بحرية ضد المواطنين الفلسطينيين اعتقادا منهم بأن عنفهم كان مطلوبا لمواجهة العنف "الانتفاضة" أكثر من اعتقادهم أن ذلك يرجع، بصورة صحيحة، إلى ميولهم العدوانية تجاه الفلسطينيون والعرب عموما. وتختلف دوافع التعصب وأسبابه من جماعة إلى جماعة ومن بيئة إلى بيئة أخرى. فقد يكون التعصب ناتجا من إسقاط نقائص الفرد ومشاعر الذنب لديه Feeling of Guilt على الآخرين الذين يعتبرون كبش فداء Scapegoatأو ضحايا Victimsبمثابة هدف بديل Substitute Target يوجه إليه الأشخاص سلوكهم العدواني دون توقع تلقى أي شكل من أشكال العقاب من الكبار. ومن ثم فإنه يعتبر نمطاً من أنماط الحيل الدفاعية اللاشعورية Defence Mechanisms . وتقول نظرية الإحباط ـ العدوان (كبش الفداء) Frustration aggression- Scapegoat أن الإحباط يسبب العدوان، فلعجز المحبط عن توجيه عدوانه نحو المصدر الحقيقي لإحباطه، وقد لا يعرف هذا المصدر، نراه يعمد إلى إزاحة هذا العدوان وإسقاطه على جماعة أخرى. وقد يتخذ التعصب القائم على الإحباط مظهر العدوان المادي أو العداء الكلامي المتمثل في الإشاعة والسخرية والتهكم على مصدر الإحباط. ويرى بعض الباحثين في التعصب نمطا من النرجسية أو حب الذات والتسلطية.

ثانياً: نظريات الصراع بين الجماعات Group Conflict Theories

تركز هذه النظريات جل اهتمامها على معرفة متى وكيف ينشأ التعصب في مجتمع معين، أو ثقافة معينة، أو جماعة معينة نتيجة أشكال الصراع المختلفة التي تنتج من تفاعل الجماعات ككل، وليس على الأفراد، ولكن بوصفهم أعضاء في جماعات معينة ينبني قيمها (معاييرها) على أساس أن هذه المعايير هي وسيلته الأساسية في تنظيم خبراته وسلوكه. فلها كيان خاص ومميز، وهذه النظريات تؤكد على أهمية عومل البيئة الثقافية وتعرف أحيانا بنظرية مجاراة معايير الجماعة. فما يتعلمه الطفل يتم دعمه من خلال المعايير التي تعتنقها أسرته وجماعة أقرانه أو جيرانه.

وهناك أطر نظرية فرعية عديدة قدمت تفسيرات متباينة لنشأة التعصب تدور جميعها حول أهمية الصراع بين الجماعات بشكل أو بآخر في هذا الجانب. وأهم هذه الأطر هي:

(١) **نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات:** فإذا حدث أن جماعتين هددت كل منهما الأخرى، بصورة واقعية، فحينئذ يمثل التهديد أقوى سبب سيكولوجي لنشأة التعصب لدى الأفراد، على أساس درجة التهديد. بمعنى أن الأفراد الأكثر عرضة للتهديد يكونون أكثر عرضة لنشأة التعصب لديهم.

(٢) **نظرية الصراع بين الريف والحضر:** إن انتقال الأشخاص من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية في المدن يصحبه أنواع كثيرة من الخوف والقلق من أن لا يستطيع الأشخاص الوصول إلى هذا المستوى الذي تتطلبه الحياة الحضرية أو من الفشل في الوصول إلى المستوى الجيد الذي وصل إليه قاطني المناطق الحضرية الذين يصبحون مصدر كراهية بالنسبة لهم، فاليهود مصدر كراهية من قبل البيض في المجتمعات الغربية، لأنهم يمثلون رمز الحياة المدنية وأن البيض يتخوفون من منافستهم.

(٣) **نظرية الحرمان النسبي:** حيث يؤدى الحرمان النسبي إلى الخصومة بين الجماعات حيث يشعر الأشخاص بالرغبة في تحقيق موضوع معين لا يتوفر لديهم، لكنه يتوفر لجماعات أخرى تمتلكه، ويشعرون بأن في مقدورهم تحقيقه، إلا أن الظروف لا تساعدهم فهم أقدر من الآخرون، لكنهم لا يمتلكون رأس المال الذي يمكنهم من إقامة مشروعاتهم. ويعد ذلك أحد التفسيرات للعدوان الذي يوجه نحو اليهود، على وجه الخصوص في بعض المجتمعات الغربية على أساس أنهم أغنى وأرقى من حيث المستوى الاقتصادي من غيرهم. وفى العديد من الثقافات يكون ذلك هو شعور المرأة، حيث تعتقد أن المجتمع ينظر إليها نظرة أقل تقديرا من الرجل من حيث الأجر أو تولى المناصب العليا وأن مكانها الطبيعي هو البيت.

وتنطبق هذه النظرية على ما هو سائد في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في المناطق الجنوبية منها، حيث يمنع اختلاط البيض والسود ويخصص للسود مدارس خاصة ومتنزهات وملاه وأماكن "عامة" أخرى خاصة بهم ويمنعون من ارتياد الأماكن المماثلة المخصصة للبيض. ولاشك أن عزل أو فصل السود بهذا الشكل عزز مشاعر التعصب عند

الطرفين وجعلها سمة من سمات البيئة الأمريكية وخاصة بيئة المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة. ورغم التشريعات الأمريكية المتتالية بمنع التعصب العنصري ضد السود إلا أن نمط الحياة الاجتماعية التي يحياها السود والبيئة الفقيرة المتخلفة التي يعش فيها معظمهم تبقى على الاختلاف الطبقي وتعزيز مشاعر التعصب المتبادل الذي يؤدى إلى مزيد من التباعد بين الجماعات الملونة من جهة والبيض من جهة أخرى، ويؤدى إلى زيادة الشعور القبلي فيما بينهم.

نخلص مما سبق إلى أن التمييز العنصري الناجم عن التعصب يخلق ظروفا اجتماعية وخصائص فردية تدعم اتجاهات التعصب وتعززها وأن التعصب يحدث نتيجة الصراع القائم بين الجماعات، سواء لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ونتيجة ما ينشأ عن هذا الصراع من الشعور بالتهديد، الذي يمثل أقوى سبب نفسي لنشأة التعصب لدى أفراد الجماعات المختلفة. وتزداد حدة التعصب كلما كان هناك اختلاف أو تباين بين الجماعات النوعية التي يتكون منها المجتمع. ويعتبر الاستغلال والمنافسة عاملان هامان لنشأة وزيادة التعصب. وقد تلجأ الأفراد الأغلبية إلى التعصب واضطهاد أفراد الأقليات بقصد توحيد وتقوية العلاقات بينهم، وخصوصا إذا كانت هناك أخطار تهددهم من قبل جماعة من جماعات الأقليات خاصة إذا شعرت الأغلبية بأن الأقلية تستخدم التعصب الخفي ضد أفراد الأغلبية من حيث التعليم والعمل والجيرة بقصد الارتفاع بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي والعلمي لأفراد الأقليات دون الأخر ويزداد التعصب كلما ازداد حجم الأقلية. إلا أنه كلما ازدادت معرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعصب ضدها قل تعصبه.

ثالثا: النظريات المعرفية Cognitive Theories

تؤكد هذه النظريات أهمية العمليات المعرفية Cognitive Procuress التي تحدث لدى الأفراد في نشأة ونمو الاتجاهات التعصبية وإن اختلفت طبيعة هذه العمليات وديناميباتها من نظرية لأخرى. ومن النماذج الممثلة لهذا الفئة من النظريات.

نظريات السلوك بين الجماعات: وتؤكد هذه النظريات على الدور الذي تؤديه العمليات المعرفية في تحديد أفكار الأفراد عن الجماعات الداخلية (التي ينتمون إليها) والجماعات الخارجية (التي لا ينتمون إليها) والموجودة في المجتمعة. وتستعين هذه النظريات بمفاهيم معرفية مثل التصنيف إلى فئات Categorization ، وبالإدراك الاجتماعي Social Perception إلى دراسة القوالب النمطية Stereotypesالتي يكونها أفراد الجماعات المختلفة عن بعضهم بعض، وأشكال التحيزات التي توجد بين هذه الجماعات، وما يترتب على ذلك من تمييز (٢٦:٢٣٤). أي أنها تهتم بدور التصورات الفعلية Mental Representation والمخططات العقلية Mental Schema في توجيه معالجة المعلومات عن الأشخاص والأحداث الاجتماعية. وما قد يطرأ عليها من تشويهات ادراكية تؤدى إلى تحيزات معرفية منظمة تصاحب، غالبا، عملية تكوين الانطباعات عن الأشخاص الآخرين. فحينما تقوم مجموعة من الأشخاص بتكوين انطباع محدد عن شخص أخر يغلب أن يؤدى

ذلك إلى حدوث تشوهات في الإدراكات، مما يجعلهم يستجيبون غالبا، لمعظم المنبهات السائدة، استجابات مفرطة. وتؤدى هذه المحاولات نفسها إلى حدوث التعصب وتكوين القوالب النمطية (٢٤:٣٠٤) فعلى سبيل المثال تمثل المرأة منبها سائدا بدرجة مرتفعة، لذلك تتعرض للعديد من القوالب النمطية. فإذا حدث وتعطلت عن العمل بسبب المرض فسنجد أن الآخرين سيقولون عليها إنها متمارضة أو مهملة أو أنها تتهرب من أداء الواجب، بينما إذا تعطل الرجل للسبب نفسه عزا الآخرون ذلك إلى المرض الشديد بل ربما يتعاطف البعض معه إلى تحمل القيام بأعباء عمله (٢٦:٤٠٤).

رابعاً: نظريات التعلم Theories of Learning

إن التعلم يعد أساسا من الأسس المهمة التي يفسر بها السلوك في سويته وانحرافه وفى بساطته وتعقيداته. فبواسطة التعلم يكتسب الإنسان كثيرا من القيم والاتجاهات والمهارات والعادات السلوكية المرغوبة وغير المرغوبة. والتعصب اتجاه يتم تعلمه واكتسابه بالطريقة التي يتم بها اكتساب سائر الاتجاهات الاجتماعية، حيث يتم تناقله بين الأشخاص كجزء من المحصلة الكبرى لمعايير الثقافة يتم اكتسابه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. فالأطفال الذين يتوحدون بالراشدين يكونون عرضة لاستدماج Internalize أشكال التعصب التي توجد لدى الراشدين، وبوجه خاص الوالدين والمدرسين، لأن ذلك يمثل بالنسبة لهم دعما للأشكال المرغوب فيها من السلوك. ويميل الأطفال دون تدعيم خارجي إلى اكتساب أشكال التعصب السائدة حولهم في بيئتهم الاجتماعية من خلال النماذج ذات التأثير الفعال وأهمها سلوك الوالدين في بيئتهم المحيطة بهم، وهذا هو لب منحى التعلم الاجتماعي Social Learning الذي يمكن تطبيقه على نشأة وارتقاء التعصب.

خامساً: النظرية البيئية:

لاحظ الباحثان الاجتماعيان كرنش وكرتشفيلد (١٩٤٨) إن التمييز العنصري الناجم عن التعصب يخلق ظروفا اجتماعية وخصائص فردية تدعم اتجاهات التعصب وتعززها. ومع مرور الوقت يكتسب تعصب جماعة معينة ضد جماعة أخرى صفة معيارية اجتماعية في المجتمع الذي تسود فيه هذه المشاعر. وقد تمثل هذا في الحرب العالمية الثانية عندما كان الجنود السود يعينون في وحدات منفصلة عن الوحدات الأخرى ويكلفون بمهمات خاصة تختلف عن التي يكلف بها غيرهم، مما أدى إلى تعزيز بل تخليد التعصب ضدهم عند جماعات البيض الأخرى. وينطبق منطوق هذه النظرية البيئية على ما هو سائد في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في المناطق الجنوبية منها.

سادساً: النظرية الحضارية الاجتماعية:

ينمو التعصب مع نمو الفرد في حضارة ينتشر فيها التعصب سواء أكان تعصبا دينيا أم طبقيا أم لونيا أم عشائريا أم عنصريا. والطفل يتعلم ذلك من خلال التفاعل مع أفراد مجتمعه وتعلمه أفكارهم وآرائهم وملاحظة لسلوكهم ومواقفهم واتجاهاتهم. وهكذا يتشرب الطفل تدريجيا المعايير الاجتماعية السائدة في الحضارة أو الثقافة التي يحياها في جماعته

ويقتبس عنها مشاعر التعصب ضد الفئات الأخرى. وفى مثل هذا الحال لا يتطلب التعصب وجود احتكاك مباشر مع الجماعة الأخرى ولا وجود خبرات أليمة مع أعضائها، بل إنه يسود ويقوى دون مبرر حسي. ويقوى التعصب عند تلك الجماعات وأفرادها، رغم حرصها على الالتزام بمعايير الجماعة والتقاليد الحضارية السائدة في المجتمع، وبغض النظر عن مستواها الثقافي. ولعل ما يسود في الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا وايرلنده وفلسطين المحتلة يمثل أنماط التعصب الحضاري خير تمثيل.

يشتق من هذه النظرية أن التعصب متعلم ومكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية وينمو مع نمو الفرد في الحضارة التي ينتشر فيها التعصب ودون وجود خبرات أليمة مع أعضاء الجماعات الأخرى ويقوى عند الأفراد الملتزمين بمعايير الجماعة والتقاليد الحضارية السائدة في مجتمعهم (٢٧:٢٧٥-٢٧٦).

سابعاً: نظرية تبادل المنافع Exploitation or Exchange Theory:

تستند هذه النظرية إلى مجموعة من الافتراضات التي تقول بوجود علاقة بين تفاعل الأشخاص وبين مستوى النتاجات المتوقعة حصيلة هذا التفاعل وتحدد عواقب هذه النتاجات وآثرها في صيانة التفاعل أو تغييره وهذه النظرية تفسر الكثير من أنواع التعصب الطبقي والعنصري. ولكي نوضح ذلك نفترض ما يلي:

هناك جماعتان معينتان تعتقد كل جماعة منهما أن مصلحتها ترتبط ارتباطا عكسيا بمصلحة الجماعة الأخرى وتقتصر عليها دون غيرها. ففي هذه الحال سيعمد أفراد كل من الجماعتين إلى حماية مصالحهم وضماناتها وزيادة فرص تحقيقها ضد مصلحة ومكاسب الفئة الأخرى. وبعبارة أخرى ستعمد كل فئة إلى التقليل من فرص الفئة الثانية لتحقيق أية مكاسب على حسابها، أي أن كل فئة ستبذل قصارى جهدها لزيادة فرص تحقيق مكاسب على حساب الأخرى. ويشكل هذا أساسا قويا للتعصب الحاد الذي ينشأ عند كل فئة ضد الفئة الأخرى، وستحاول الفئة أو الجماعة الأخرى أن تستغل قوتها لتحقيق مصالحها على حساب الجماعة الأخرى ما لم يكن هناك أعراف أو قوانين أو معايير تحول بينها وبين هذا الاستغلال، وتعتمد حدة قوة التعصب بينهما على مستوى المقارنة Comparison Level عند كل منهما. ويعرف 'باكمان Backman' مستوى المقارنة بأنه النتاج الذي يعتقد الفرد أنه يستحق تحقيقه (٢٧:٢٢٠). وتزداد حدة الصراع والعداء والتعصب في حالة تساوى مستوى المقارنة عند الجماعتين ويقل التعصب بينهما إذا كان الفارق بينهما كبيرا. ولعل هذا يفسر سبب ضعف قوة التعصب بين الأمريكيين البيض والسود عندما كانت مطالب السود (مستوى المقارنة) متدنية وكانت مطالب البيض عالية جداً وكان الفارق كبيرا والهوة واسعة. ولما أخذ مستوى المقارنة يزيد عند السود أدى ذلك إلى زيادة حدة التعصب(٢٧:٢٧٧).

ما مدى انتشار التعصب؟

How pervasive is prejudice?

من الحقائق المعروفة في علم النفس الاجتماعي، أن التعصب كظاهرة اجتماعية نفسية يمكن أن يوجد في عديد من المجتمعات، كنتائج لتفاعل عمليات ونظم اجتماعية وممارسات سياسية مختلفة.

والآن تراودنا الأسئلة التالية:

- هل التعصب حتمي؟ Inevitable
- هل يمكن استئصاله؟ Can it be eradicated?

ولنأخذ كمثال حالة:

- **التعصب في الولايات المتحدة الأمريكية:**

فلنتأمل الاتجاهات في كلا من التعصب العنصري والجنسي:

- يقول الأمريكان أنفسهم أن التعصب العنصري يبدأ منذ الأربعينيات، في عام ١٩٤٢، اتفق معظم الأمريكان على وجوب تخصيص جزء للسود Negroes في الترام والأتوبيسات (Hyman & Sheatsley, 1956)، أما اليوم فتعتبر هذه المسألة شاذة لمعظمهم. في عام ١٩٤٢ شجع أقل من ثلث البيض (١ من كل ٥٠ في الشمال) المدارس المختلطة بينما بلغ الذين شجعوها ٩٠% عام ١٩٨٠. هناك شبه إجماع بين البيض الناضجين على أنه يجب أن يكون للسود فرص مثل البيض للحصول على أي وظيفة وقد يوافقوا على إرسال أبنائهم إلى مدارس مختلطة. وهم على الأقل في مواقف المواجهة لا يضعوا المسألة العنصرية حجر عثرة أمام مساعدة أي شخص يحتاج للمساعدة.

وفى استفتاء شمل عينة من بنسلفانيا، بدءا من خريجي المدارس العليا حتى الكهنة. وجد كلارك ماك كولى، كرستوفر ستت Clark Mc Cauley and Christopher Stitt 1978) أنه عند تقييم البيض لمسألة تناسب العيشة الرغدة بين البيض والسود، لديهم امرأة على رأس العائلة أو لديها أربع أولاد أو أكثر، إنهم إذا أخطاؤا فإنه بغرض الاستخفاف بالفروق الحقيقية بين البيض والسود، في الأجيال السابقة، كانت **القوالب النمطية**(×) التي تتعلق بمثل هذه الاختلافات شديدة (Karlins, et al 1969).

وانحصار التعبير عن التعصب حدث قبل عام ١٩٧٢. ومنذ ذلك الحين كانت قد هدأت الاتجاهات العنصرية racial attitudes. ومازلنا نتأمل الفترة القصيرة من التاريخ منذ

(×) القوالب النمطية: هو تصور يتسم بالتصلب المفرط عن جماعة معينة، يتم في صونه وصف وتصنيف الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الجماعة بناءا على مجموعة من الخصائص المميزة لها (١٦: الملحق). أو أنه يمثل تعميمات مفرطة عن خصائص مجموعة من الأشخاص الذين ينتمون إلى فئة اجتماعية معينة، وعن الطريقة التي يسلكون مقتضاها. وقد تقوم هذه التعميمات المفرطة على أساس سلوك شخص معين أو مجموعة قليلة من الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الفئة (١٧: ٥٣٢).

١٩٤٢ أو منذ كانت فكرة استعباد البشر **Human enslavement** كـانت مقبولـة فـي أمريكا ومنذ ذلك الحين حدثت تغيرات كبيرة.

وقد حدثت تغيرات في آراء الأمريكان السود أنفسهم، وكان لهذا تأثير واضح على قرار المحكمة العليا (١٩٥٤) بأن المدارس المعزولة عنصريا غير قانونية. وكان هـذا التـأثير ناتج عن بحث قام به كينيث كلارك وما ميى كـلارك **Kenneth Clark and Mamie Clark(1947)**. أوضح فيه أن الأمريكان السود لا يحملون أي تعصـب عنصـري. عنـد تخيير الأطفال السود بين العرائس البيضاء والسوداء فإنـهم كـانوا يختـارون العرائـس البيضاء. في دراسات منذ الخمسينيات وحتى السبعينيات يفضل الأطفال السـود العرائـس السوداء، على الرغم من بحـث حديـث يشـير إلـى تراجـع هـذا الاتجـاه **(Fine & Bowers,1984)**. وأصبح البالغين السود يعتقدون أن البيض والسـود متسـاوون فـي الصفات مثل الذكاء والكسل والاعتماد على النفـس **Semedley & Bayton(1978) ; Jackman & Senter, 1981.**

فهل بهذا نصل إلى النتيجة إلى أن التعصب العنصري يتلاشى في أمريكا؟ قـد يـهيئ الأمريكان أنفسهم اليوم لكون التعصب العنصري لم يعد موجها كما كان في الماضي علـى الأقل. فإذا قام أحد القضاة بسؤال لجنة المحلفين "هل لدى أحدكم تعصب عنصري قد يؤثـر على نظرتكم للمتهم؟

"Do any of you have racial prejudice that would bias your consideration of the defendant?

حتى المتعصبين **Bigots** سوف يحتفظون بأيديهم في جيوبهم. لكن هناك عدة إيماءات بوجود التعصب العنصري في الخفاء **Underground** ، تظهر على السطح عندما يكـون الجو آمنا.

أولا: يظهر التعصب العنصري في البقية الباقية من الأمريكان البيض الذين لا يخجلوا مـن كره السود. واتجاههم هذا ينعكس بدوره على نسبة قليلة مـن الأمريكـان السـود الذيـن يكرهون البيض ويتحاشونهم **(Farley et al., 1978)** كما يظهر في الشكل (١) مقرونـا بتلك العبارات "قيام الاتجاهات العنصرية للأمريكان البيض من عام ١٩٤٢ حتى ١٩٨٥:

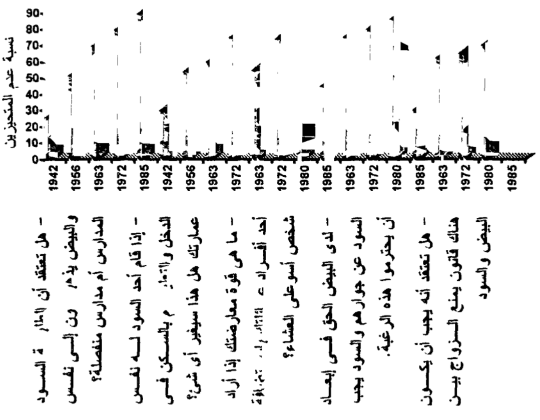
(١) هل تعتقد أن الطلبة السود والبيض يذهبون إلـى نفـس المـدارس أم مـدارس منفصلة.

(٢) إذا قام أحد السود له نفس الدخل والتعليم بالسكن في عمارتك. هل هـذا سـيمثل مشكلة لك؟

(٣) ما هي قوة معارضتك إذا أراد أحد أفراد عائلتك باستضافة شخص أسـود علـى العشاء؟

(٤) لدى البعض الحق في إبعاد السود عن جوارهم والسود يجـب ن يحـترموا هـذه الرغبة؟

(٥) هل تعتقد أنـــه يجـــب أن يكـــون هنـــاك قـــانون يمنـــع الـــزواج بيـــن البيـــض والسود؟(٢:٤٨٦)



شكل (١) يوضح

التعصب العنصري للأمريكان البيض

من ١٩٤٢ حتى ١٩٨٥

ثانياً: هناك بعض الأسئلة التي لم تعد تبين التعصب مثل:

"هل تضطهد أمريكا السود؟ **Should America Oppress Blacks?**

بالرغم من الاختلافات حول مثل هذا السؤال. بينما أسئلة أخرى حول العلاقات العنصرية الحميمة قد تظهر هذا التعصب فقول "قد أشعر بعدم الراحة عند الرقص مع شخص أسود في مكان عام" قد يكون أكثر دلالة على التعصب من قول "قد أشعر بعدم الراحة عند ركوب الأوتوبيس مع شخص أسود" معظم البيض يعلنون رفضهم إذا أراد أحد أبنائهم الزواج من سوداء. **(Smith & Dempsey, 1983)**.

ثالثاً: إذا تم قياس الاتجاهات العنصرية مستخدما وسائل **Techniques** تشير إلى ما يرجحه البشر باعتباره مرغوبا، في هذه الحالة تظهر العنصرية. فعندما أشار بعض طلبة الجامعة البيض إلى اتجاهاتهم العنصرية وهم مكبلين بماكينة حديثة، من المفترض أنها تكشف الكذب، فإنهم عادة ما يعترفوا بتعصبهم أكثر من الطلبة الذين يجيبون في ظروف عادية. كما قام باحثون آخرون بدعوة مجموعة من الناس طالبين منهم تقييم **evaluate**

سلوك أحد الأشخاص سواء كونه أبيض أو أسود. مثلا فقد قام كل من Birtt Duncanc1976, Also Safar & Schofield, 1980 بدعوة الطلبة البيض بجامعة كاليفورنيا لمشاهدة ما اعتقدوا أنها مواجهة حية بين رجلين على شاشة التليفزيون. وتطور الحديث بين الرجلين إلى مشادة انتهت بأحد الرجلين بدفع الأخر دفعة خفيفة. عندما قام الرجل الأبيض بدفع الأسود. أقر ١٣% من المشاهدين أن هذا التصرف تصرف عنيف 'عدائي' Violent behavior. ولكن أكثرهم قاموا بتفسير هذا التصرف بكونه مداعبة Playing around أو تمثيل Dramatizing ولكن لم يكن هذا هو الحال عندما قام الرجل الأسود بدفع الأبيض حيث فسر ٧٣% من المشاهدين هذا التصرف على أنه 'عدوان' "Violent'

رابعاً: عدد من التجارب قامت بتقييم سلوك الناس تجاه البيض والسود بدقة، فقد اتضح من خلال دراسة جرت في السبعينيات أن الأمريكان على استعداد لمساعدة شخص أسود يحتاج إلى مساعدة (مثلا شخص أسقط مواد بقالة dropped groceries) كأنه أبيض – إلا إذا كان الشخص طالب المساعدة بعيد (منفصل remote) (مثلا، شخص اتصل هاتفيا برقم خاطئ ويريد التحويل). وفى دراسات أخرى قام بها Edward Donnerstein and Marcia Donnerstzein and others) (إدوارد دونير ستاين ومارسيا دونير ستاين وآخرين، طلب البيض استخدام الصدمات الكهربائية لتعليم 'مهمة شاقة' سواء لشخص ابيض أو أسود. وفى دراسات مساعدة لم يكن المعلم دائم التأثير بجنس المتلقي إلا إذا كان هذا التعدي آمنا أو عندما لا يمكن للمتلقي الانتقام أو عندما يكون المتعدى مجهول anonymous (Crosby et al., 1980). وفى تجربة في جامعة آلاباما Alabama، وجد رولاند روجرز وستيفن بربيتس – دن – ١٩٨١. (Ronald Rogers and Steven Prentice-Dunn,1981) أن المعلم الغير غاضب الأبيض لم يظهر صدمه أقل تجاه ضحية سوداء Victim من كون الضحية بيضاء، لكن عندما يكون الأبيض غاضبا فإنهم يسلكون سلوكا مختلفا. أما عندما تقوم الضحية بسببهم Insulted them فإنهم يردون بصدمة أكبر إذا كانت الضحية سوداء من كونها بيضاء. (أنظر الشكل(٢)).

شكل رقم (٢)

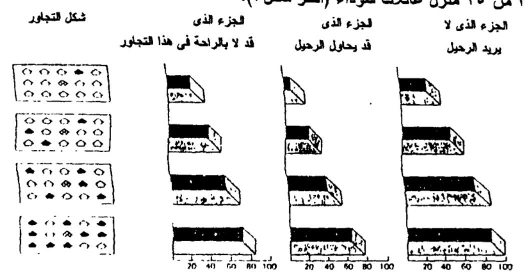
هل الغضب يثير التعصب الكامن، عندما عوقب الطلبة البيض بالصدمات الكهربائية كجزء من تجربة تقييم السلوك' فقد كان سلوكهم تجاه الضحية السوداء أقل عنفا عن سلوكهم تجاه الضحية البيضاء، لكن عندما يعترض المتلقى على هذه الصدمات ويقوم بسب المعلم فيكون رد فعل المعلم أكثر عنفا تجاه السود عن البيض.

خامساً: وأخيرا هناك دراسات أوضحت أن الأصدقاء والجيران وزملاء الفصل الواحد يفضلون أن يكونوا من نفس الجنس فمثلا قام جانيت سكوفيلد، وأندرو ساجار وزملائهم.
(Janet Schofield, Andrew Sagar, and their Colleagues)
بمتابعة مئات من التلاميذ في مدارس بها اختلاط عرقي في الفصول بمدرسة متوسطة (Sagar & Schofield, 1980; Schofield, 1982). فقد وجدوا أن البنات على وجه أخص تفضل قضاء معظم وقتهم مع من هم من نفس جنسهن.

وكما يوضح "شكل ٢" أن معظم الأمريكان البيض يزعمون انتقال شخص أسود له نفس الدخل والقدر من التعليم إلى نفس المبنى الذي يسكنون فيه، لا يشكل لديهم مشكلة. كما يظهر أن كلهم تقريبا يرفضون التمييز العنصري في السكن. وفي المسوح التي قامت بها شبكة CBS الإخبارية (١٩٧٨) وشبكة ABC (١٩٨١). اتضح أن ٩٣% اتفقوا أن "السود لهم الحق في السكن في المكان المناسب لهم مثلهم مثل البيض" (على الرغم من أن ٥٥% منهم فضل القانون الذي ينص على أن لصاحب البيت الحق في إقرار من سيبيع له البيت حتى لو كان يفضل عدم البيع للسود).

لكن عندما قام رينولدز فارلي Renolds Farley، وهاوارد شومان Howard Schuman وزملائهم (١٩٧٨) بتوجيه سؤال آخر في منطقة "بيتروتيت Detroit" شديدة العزل العنصري اكتشفوا وجود أساس متين للتعصب العنصري من جانب البيض.

فعلى عكس الاتجاه القائل بأن العزل العنصري قائم لأن السود يفضلون أن يبقوا مع من هم مثلهم، فإن معظم سكان ديترويت أظهروا تفضيلهم للسكن في مكان مختلط عنصريا، وبالمثل في تحقيق على نطاق الدولة (١٩٨١) جالوب بول Gallup Poll، فقد فضل الأمريكان السود السكن بمكان به عائلات بيضاء بنسبة ٨ إلى أكثر من السكن بمكان به السود فقط. أما البيض الذين يسكنون في منطقة ديترويت فقد وجدوا أن الأماكن المختلطة عنصريا غير مغرية Unappealing، قال نصفهم أنهم مستعدون للانتقال إلى مكان يسكن به ٣ من ١٥ منزل عائلات سوداء (انظر شكل٣).



شكل رقم (٣) فضلية التجاور لبيض منطقة ديترويت الأشخاص يظهرون على شكل رسوم يمثلون التجاور

إذا كان كل البيض في ديترويت لهم نفس الاتجاهات، بمعنى أن عدد البيض الذي يترك المجاورة يزيد عن عدد الداخلين ـ يجب أن يكون ٧٠% من السكان بيض، ٣٠% سود. إن المجاورات التي بها أكثر من ٧٠% بيض يجب أن تظل نسبة الاختلاط العنصري بها ثابتة (موحدة)، لكن قلما يحدث ذلك. لماذا؟ أرجع فيرلى Farley وتشومان Schuman وزملائهم أن سبب ذلك هو اختلاف اتجاهات البيض. قلما يسبب انتقال عائلة سوداء إلى الجوار، مشاكل (متاعب) للبيض أنفسهم، لكن ٧% قالوا أن ذلك قد يضايقهم مما يجعلهم يتركون المجاورة كما يوضح شكل (٣). إذا قام السود بشغل هذه الأماكن الشاغرة وهو احتمال قائم طالما تم كسر الحاجز العنصري racial barrier was broken (كما أن السود يفضلون السكن في أماكن مختلطة عنصريا) بذلك يزيد عدد السود بحيث يشكل ذلك بداية ترك عدد أكبر من البيض من المجاورة حتى تتحول المجاورة لتصبح كلها سوداء في النهاية. وهذا من سوء الحظ خاصة لأن معظم البيض معرضون للاختلاط العنصري، كما أن السود يفضلون الاختلاط العنصري إذا كان نسبة تعرض البيض للاختلاط العنصري أقل أو إذا كان لدى السكان البيض أفكار أكثر تحررا مما كان عليه الحال عام ١٩٤٠ أو إذا كان عدد البيض المهاجرين إلى المدن موازى للعدد المهاجر منها. لكن كما استنتج فارلى وسبكمان Farley and Schuman أن ما يحدث في الواقع يتلخص في كلمات أغنية البوب القائلة. مدينة شيكولاته، ضاحية فانيليا Chocolate City, Vanilla Suburbs

وجد الباحثون أيضا أن التعصب بالرغم من أنه لم يعد صارخا إلا أنه مازال موجودا في أشكال أخرى واضحة (Mc Conahay et al., 1981) وأحد هذه الأشكال قد يكون معارضة أوتوبيس المدرسة فى الحصول على توازن عنصري أفضل. إذا تم قبول فكرة أوتوبيس المدرسة بهدوء عندما يقوم بتوصيل الطلاب من سنوات محددة بين مدرستين بيضاء فإنها تقابل بالرفض الشديد إذا تضمنت مدرسة مسجل بها أقلية مما يثير الشك بأن هناك شئ أخر يتدخل أكثر من التعهد بمدارس المجاورة.

[في ١٩٨٠ كانت معارضة أوتوبيس المدرسة لأسباب عنصرية ٨٢% من البيض الأمريكان بينما عارضه ٣٣% من السود فقط جالوب Gallup)]

في مسح قم به (جون ماك كوناهى Jon McConaay ـ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣) حول سكان منطقتي لوسفيل وكنتاكى Louisville, Kentucky اتضح أن المعارضين لأوتوبيس المدرسة بسبب التعصب العنصري أظهروا علامات أخرى تدل على التعصب الواضح ـ مثلا، فقد اتفقوا على أنه 'في السنوات القليلة الماضية أظهرت الحكومة ووسائل الإعلام احترام زائد للسود أكثر مما يستحقوا. كما سجل 'دونالد كيندر وديفيد سيرز "Donald Kinder and David Sears' (١٩٨١) أن البيض الذين أظهروا تعصباً واضح (مثل معارضة أوتوبيس المدرسة لم ينتخبوا المرشح الأسود توماس باردلى لمنصب المحافظ.

والخلاصة: الأخبار الجيدة ـ خلال الأربعين عام الماضية قل التعصب الصارخ ضد الأمريكان السود. وان الاتجاه العنصري للبيض يتجه إلى المساواة بشكل أكبر مما كان عليه في الجيل

السابق. الأخبار السيئة ـ التخوف العنصري racial fears والاستياء والمحاباة مـــازالت كامنة بالرغم من التمويه بالمظهر الخارجي المحبب (٢:٤٨٦-٤٩٠).

الآن أستطيع أن أضيف أنه تم تحريف التعصب من الداخل (من البيض ضد السود)إلى الخارج (من الأمريكان ضد العرب والفلسطينيين ـ كاتجاه تعصبي سلبى عدم التفضيل مــن الأمريكان مع الإسرائيليين كتعصب إيجابي (التفضيل). ولقد أثبتت حوادث الثلاثاء الدامـــي ٢٠٠١/٩/١١ (تفجير مركز التجارة العالمية بنيويورك وضرب وزارة الدفـــاع الأمريكيـــة بواشنطن) بما لا يدع مجالا للشك أن السياسة الأمريكية تجاه العرب والإسرائيليين والكيـــل بمكيالين لصالح الشعب الإسرائيلي والقهر والإحباط والضغط والحصار الذي يعيشه الشـعب الفلسطيني يولد الانفجار وكانت نواتجه هذا الزلزال الذي هز الكيان الأمريكـــي اقتصاديـــا ومعنويا. وكانت نتيجته أخبارا جيده تشير إلى إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش الابـــن ورئيس الوزراء البريطاني تونى بلير بأن للفلسطينيين الحق في إقامة دولتـــهم المســتقلة بشرط الحق لإسرائيل في الوجود. أما الأخبار السيئة فهي التعصب ضد العرب والمســلمين الأجانب والمسلمين الأمريكان من قبل الشعب الأمريكي علـــى اعتبــار أن بعــض العــرب والمسلمين تدربوا على أرض أفغانستان ضمن جماعة بن لادن المنشق السعودي الإرهــابي الذي يأويه نظام طالبان.

- **التحيز ضد المرأة: Prejudice against Women**

أنا أحب الرجال ليس لكونهم رجال لكن لأنهم ليسوا نساء

الملكة كرستينا ملكة السويد

ما مدى انتشار التعصب ضد المرأة

How pervasive is prejudice against women?

هل هناك تداخل بين رأى الناس في كيف يجب أن يختلف الرجل عن المرأة (نمـــاذج) وكيف يختلف الرجل عن المرأة (القالب gender stereotypes). لكن القوالب لا توحـــي بنماذج دور الجنس gender role . إذا اعتقد صاحب العمل أن معدل تقلب المرأة أعلـــى من الرجل المعين لنفس الوظيفة (قالب خاطئ عموما فإن هذا لا يعنى أن صـــاحب العمـل يعتقد أن النساء يجب أن تستقيل في أقرب فرصة. لكن هذا القالب قد يحوى على التعصـــب والتفرقة (التميز) ضد الإناث المتقدمات.

Recall that gender-role norms are prescriptions for how males and females ought to behave gender stereotype pes are descriptive beliefs about how they actually differ.	فلنتذكر أن نماذج دور الجنس هـــو ادعـــاء لكيف يتصرف الذكور والإناث في القوالـــب الجنسية وفى أفكار تصف كيف يختلفون في الواقع.

القوالب الجنسية: Gender stereotypes

وصل بحث عن القوالب إلى نتيجتين غير قابلتين للجدل: يوجد قوالب جنسية وعادة ما يقبل عدد من الموضوعيين في هذه القوالب. فالرجال والنساء يوافقون على أنه من الممكن الحكم على كتاب من خلال الغلاف الجنسي. ومن خلال تحليل رد بعض الأمريكان البالغين في تقرير قامت به "مارى جاكمان ومارى سينتر بجامعة متشجين ١٩٨١ Mary Jackman and Mary senter وجد أن القوالب الجنسية أكثر قوة من القوالب العنصرية Racial Stereotypes فمثلاً ٢٢% فقط من الرجال يعتقدوا أن الجنسين لديهم نفس القوة العاطفية. "emotional" أما النسبة الباقية الذين يمثلوا ٧٨% فأكثرهم يعتقدوا أكثر عاطفية بنسبة ١ إلى ١٥. وماذا يعتقدون النساء؟ بخلاف ١% كانت إجابتهم مماثلة للرجال الذين وجدوا اختلاف بين الجنسين سئلوا لماذا يختلف الرجال عن النساء. إي من هذه الآراء الأقرب لما نعتقده؟ فقط قل ما هو الحرف الذي اخترته.

All the pursuits of men are the pursuits of women ales, and in all of them a women is only a lesser man" "Plato Republic"

كل ما يسعى إليه الرجل تسعى إليه المرأة وفيهم كلهم المرأة ما هي إلا رجل أقل (جمهورية بلاتو)

أ- معظم الاختلافات موجودة لأنهم ولدوا مختلفين.

ب- معظم الاختلافات تظهر من طريقة التربية في المدرسة.

ج- معظم الاختلافات تظهر من الفرص التي يحصلون عليها في أمريكا.

كيف تجيب عل هذا السؤال؟ على الرغم من أن عدد الرجال (٢٨%) أكثر من عدد النساء (٢١%) فضلوا اختلاف الولادة "إلا أن معظمهم فضلوا السبب الثاني "الحياة الاجتماعية". وفى تقرير قام به روبر Roper ١٩٧٩. وجد أن الأمريكان بنسبة (٢) إلى (١) يعتقدوا أن الطرق الذكورية للرجل والطرق الأنثوية للنساء تنتج من طريقة التربية والتعليم ثم من الاختلافات الجسمانية الموروثة. لذلك فبالرغم من وجود قوالب واضحة عن كيفية اختلاف الجنس إلا أن معظمهم لا يرونها فطرية.

عندما قام انج بورفرمان Inge Broverman، بول روسنكرنتز Paul Rosenkrantz وزملائهم بتقرير حول طلبة جامعة إنجلترا الجديدة، وجدوا اتفاق مثير: الذكور أكثر تأهيلا (معتمدين على أنفسهم ومسيطرين وقادرين على اتخاذ القرار وطموحين) بينما النساء أكثر دفئا وتعبيرا (شاعرين بإحساس الآخرين ولبقات ورقيقات وقادرات على إظهار مشاعر رقيقة). نتالى مورتر Natalie Porter، وفلورنس جيس Florence Geis، وجويس جينجر Joyce Jennings (١٩٨٣) وأنه من الصعب التفكير في النساء كزعيمات. فلقد أظهروا للطلبة صور لمجموعة من الخريجين يعملون كفريق عمل في مشروع بحث وأقاموا اختبار "الانطباعات الأولى First impressions " طالبين منهم تخمين أي عضو فيهم أكثر إسهاما. عندما تكون المجموعة كلها من الإناث أو الذكور يغلب

تفكير الطلبة على أنه "الشخص" على رأس المائدة. إذا كانت المجموعة من الجنسين ورجل يشغل رأس المائدة منهم يختارونه بلا شك. لكن إذا كانت المرأة تشغل نفس المكان فإنه يتم تجاهلها ويقع الاختيار على أحد الرجلين أكثر من الثلاثة نساء مجتمعات. فقالب الرجل كقائد يعمل بلاوى وذلك بالنسبة للمرأة والرجل بل ولمؤيدي الحركة النسائية ومعارضتها nonfeminists.

ما مدى انتشار القالب الجنسي؟ انتشاراً دقيقا.

How pervasive are gender stereotypes? Quite pervasive.

ولكن من المهم أن نتذكر أن القوالب مجرد تعميم حول مجموعة من الناس، وبالتالي قد تكون حقيقية أو كاذبة أو مجرد تعميم لكن أساسها هو جوهر الحقيقة.

لاحظنا من قبل كيف يختلف الرجل عن المرأة في الواقع ولاحظنا أن الرجل العادي يختلف عن المرأة في الحدة والتعاطف والقدرة على ملء الفراغ والآراء الجنسية والقوة الاجتماعية. فهل بذلك نصل إلى النتيجة إلى أن القوالب الجنسية قد تكون دقيقة؟

لكن القوالب مجرد تعميم: إن القوالب قوية والاختلافات السلوكية ضعيفة. كما أن القوالب الجنسية موجودة حتى عندما لا يكون هناك اختلافات سلوكية. فقط استرجع خلاف قام حول إطلاق "هو" أو "هي" على طفل حديث الولادة. الاختلافات في حجم وشكل وسلوك الطفل حديث الولادة طفيفة جدا حتى يتمكن الشخص من التميز بين الجنسين وبالرغم من ذلك وُجد أن الآباء على وجه الخصوص تعتبر البنات حديثات الولادة أكثر رقة وأصغر حجما وأكثر جمالا أما الصبيان فأكثر صلابة وقوة واتساقا.

من المهم أن تتذكر أن القوالب (المعتقدات) ليست تعصباً (اتجاهات) القوالب قد تدعم التعصب (كما هو الحال في الانطباع حول تقلب الموظفات) لكن في هذه الحالة قد يعتقد الشخص بدون تعصب النساء والرجال مختلفون لكن متساوون ولهذا فلنرى كيف اخترق الباحثين التعصب الجنسي في شكليه الظاهر والباطن. هل هناك تعصب؟

التعصب ضد المرأة فكرة جار عليها الزمن؟ إن نسبة الأمريكان الذين يقولون أنهم يوافقون على المجهودات لتدعيم وضع المرأة وينتخبوا امرأة جديرة بمنصب الرئاسة في زيادة ثابتة منذ الثلاثينيات.

الاتجاهات الجنسية: Gender Attitudes

من خلال الحكم على ما قاله الأمريكان في تقارير بحثية نجد أن الاتجاهات نحو النساء قد اختلفت بنفس سرعة تغيير الاتجاهات العنصرية عام ١٩٣٧. قال ثلث الأمريكان أنهم قد ينتخبوا امرأة مؤهلة يرشحها حزبهم لمنصب الرئيس في ١٩٨٥ وكانت نسبة الموافقة ٤ إلى ٥ سواء للرجل والمرأة على السواء.

عام ١٩٣٨ (١) من (٥) وافقوا على أن تكسب المرأة مالا من عمل أو صناعة إذا كان زوجها قادرا على التكفل بها، في عام ١٩٧٣ ـ (٣) من (٤) وافقوا.

في عام ١٩٧٠ انقسم الأمريكان ٥٠/٥٠ على سواء بالموافقة أو المعارضة "للجهودات التي تدعم وضع المرأة" وهذا الاعتقاد الأساسي حول حركة المرأة تتزايد بنهاية السبعينيات ليصل إلى نسبة (٢) إلى (١). كذلك هل يجب أن يكون العائد واحد للرجل والمرأة اللذان يقومان بنفس العمل؟

كانت الإجابة بنعم بالنسبة للرجل والمرأة بفارق ١٦ إلى ١ بما يشبه الإجماع من الأمريكان. لقد خطت المرأة خطوات واسعة منذ أن كانت تعتبر مواطن من الدرجة الثانية محرومة من حظها في الانتخاب.

وهناك أخبار سعيدة للذين يضايقهم الأساس الجنسي. في بحثين منشورين حول التعصب ضد المرأة، أتضح أنه لم يعد يأخذ بجدية ولم يعدله نفس الإيماءات التي كانت متخوفا منها في البداية. في أحد الدراسات التي قام بها فيليب جولد برج (١٩٦٨) Philip Goldberg بإعطاء طالبات كلية كونيكتيكت Connecticut مجموعة من المقالات القصيرة طالبا حكمهم على هذه المقالات. وكان أحيانا ينسب المقال لمؤلف (جون ماكاى) John.T.Mcky وأحيانا أخرى لمؤلفه (جوان ماكاى) وعادة ما يحكم على المقالات التي نسبت للأنثى بأنها ضعيفة. ظاهرة الاضطهاد ـ الإنقاص من قدر الذات ـ القديم تظهر على السطح مرة أخرى. النساء تتعصب ضد النساء Women were prejudiced against women ولقد كانت نتائج بحوث جولدبرج ١٩٨٦ وجانيت سويم Swim تتعلق بالتعصب الجنسي في تقييم أعمال الرجل والمرأة والمدهش أن الانحيازات التي ظهرت على السطح كانت ضد الرجل كما كانت ضد المرأة. لكن النتيجة العامة هي عدم وجود اختلاف في ثلثي المقارنات وكان حكم الناس على عمل شخص ما لم يتأثر بكون العمل منسوبا للرجل أو المرأة.

الخلاصة:

إن النساء الناجحات بعالم الرجال ينظر إليها على إنهم إما لهن حظ غير طبيعي أو شديدي التحفز وذلك حتى تتوازن مع كفاءتهن المفروض أنها قليلة. على سبيل المثال عندما يكون هناك عمل يشتمل على أعمال خاصة بالرجولة مثل تغيير عجل السيارة. أن نجاح الرجل يعزى دائما إلى قدرته أما النجاح المماثل للأنثى فإنه يعزى بدرجة أقل إلى قدرتها وإنما أكثر إلى حظها.

التعصب بسب الجنس يكون دليلا قاطعا لآمال الآباء والأمهات عندما يسألوا عن جنس أول مولود لهم ماذا يفضلون؟ معظم الآباء والأمهات قالوا نفضل ولد. أكثر من ذلك فإن النساء اللاتي يكون أطفالهن الأوائل بنات يحملون بسرعة ويكونون سعداء بذلك الحمل أكثر من سعادة النساء الذين عندهم أبناء أولاد. وعندما قام الباحثون بسؤال الناس إذا كانوا يتمنون أن يولدوا كجنس آخر (الولد كبنت والبنت كولد).

إن عدد النساء اللاتي رغبن في التغيير، نستبهم في تناقص مستمر من ٢٥% عام ١٩٤٦ إلى ١٦% عام ١٩٧٠ إلى ١٠% عام ١٩٧٦.

وهذه النسب أعلى بكثير من نسبة الرجال ٤% الذين رغبوا في أن يكونوا نساء. كما أن التعصب ضد الاقليات العرقية والنساء يكون اقل بكثير شيوعا الآن عما كان عليه من ٤٠ عام. مع أن التفرقة النوعية بسبب الجنس والعرق المقصودة قد اختفت تماما.

فهل بذلك يهيئ الأمريكان أنفسهم لأن التعصب الجنسي يتلاشى بسرعة؟ هل أنهت الحركة النسائية عملها؟ لا. فبالرغم من النتائج السابقة هناك أبحاث أخرى تشير إلى أنه بالرغم من أن التعصب الجنسي الصارخ يموت فإن التعصب المتخفي مازال موجوداً. فعلى الرغم من أن (٣) من (٤) أمريكان يوافقون على توظيف المرأة المتزوجة إلا أن ثلثهم يعارض تناقص الافتراض القائل "المرأة مكانها المنزل" (قد يكون عمل المرأة مقبولا لكن من الأفضل بقائها في المنزل) وفى دليل أكثر وضوحا هو النتيجة المكررة للأبحاث وهى أن الناس لا تضع الرجال والنساء في قوالب فقط بل إنهم يميلون إلى الحكم على مواصفات المرأة على أنها أقل جذبا. الرجال منطقيين ومستقلين أما النساء فعاطفيات ومطيعات.

- ولهذا فمن الأفضل أن تكون كالرجل أكثر من أن تكون كالمرأة

It is considered better to be "like a man" than "like a woman".

- وعادة ما يتم التعبير المتخفي عن التعصب

Gender prejudice is usually expressed subtly

- ولماذا دائما ما نطلق على دخلي الخاص الدخل الثاني (٢:٤٩٠-٤٩٧)

"And just why do we always call my income the second income"

في إطار نسق المعتقدات يعد "تعصب المعتقدات Belief Prejudice" هو الظاهرة الأكثر عمومية والتي ينبغي توجيه الاهتمام إليها. بينما يعد التعصب العنصري أو العرقي ظاهرة نوعية، أي أن التعصب العنصري كما لاحظنا من عرضنا السابق للتعصب في الولايات المتحدة الأمريكية بين البيض والسود فهذا التعصب العنصري يمكن تحليله وإرجاعه إلى تعصب المعتقدات. وبمعنى آخر: يعد التعصب العنصري حالة خاصة من تعصب المعتقدات (٢٩:١٣٢-١٦٨)، وبالتالي فالتمييز هو في واقع الأمر تمييز معرفي للحسن والسيئ، يقوم على أساس تعصب المعتقدات، أي على أساس الاتفاق أو الاختلاف مع معتقدات الجماعة التي ينتمي إليها الشخص. فالشخص الأبيض يتفق مع الأسود الذي يتبنى نسق معتقداته نفسه، ويختلف مع الشخص الأبيض (من عنصره نفسه) الذي يختلف معه في نسق معتقداته. أي أن المبدأ الأساسي الذي يحكم الطريقة التي ينتظم في إطارها عالم الأشخاص ليس مفاهيم الفئات العنصرية أو العرقية المجردة، ولكن مفاهيم الكيفية التي يتم بها تطابق انساق معتقدات الآخرين معنا. **وهنا يؤكد "روكيتش" أن النظرية المناسبة لطبيعة التعصب يجب أن تكون قادرة على التصدي لظاهرة التعصب الكلية "تعصب المعتقدات" وليس فقط جزئية منها (التعصب العنصري)** (١٤:١٢٠).

كيفية مواجهة التعصب وتخفيف حدته

(١) إننا في حاجة إلى أن تتصدى الدول التي تعاني من التعصب لهذه الظاهرة بشجاعة من أجل اقتلاعها من جذورها التي تمتد في نفوس الأشخاص، حتى ننسى الفرق بين الأبيض والأسود وبين الأمريكي وأبناء العالم الثالث، وبين المسلم والمسيحي، وبين الريفي والحضري، وبين الرجل والمرأة، والاعتقادات الخاطئة بفكرة النقاء العنصري لليهود (التعصب العنصري للصهيونية).. الخ من أشكال التعصب البغيضة، ومن ثم ينتشر الحب والمودة والإخاء بين سائر البشرية في كل مكان من العالم الكبير مترامي الأطراف. والقضاء على مخاطر التعصب بمواجهة أسبابها الجذرية وإظهار عيوبها ومضارها النفسية حتى بالنسبة للمتعصبين.

(٢) محاولة التخلص من القوالب النمطية والمعتقدات الخاطئة التي تكونها كل جماعة عن الأخرى، وذلك بتصحيحها في ضوء الوقائع والمعلومات الحقيقية.

(٣) إقناع جماعات الأغلبية بتمثيل جماعات الأقليات، وقبول الفروق الموجودة من وجهة نظرهم قدر الإمكان، والتسامح معهم والعيش معا في ظل ما يطلق عليه التعدد الثقافي.

(٤) إقناع جماعات الأقلية بالعمل يدا واحدة مع جماعات الأغلبية وفي تكامل لرفاهية وتنمية وسعادة المجتمع دونما استخدام البعض للتعصب الخفي Hidden Prejudice، لأن مثل ذلك التصرف من الأقليات تجاه مجتمعات من شأنه تهديد وحدة المجتمع ووحدة المصير وتمزيق أواصر المجتمع وبالتالي سيعم الضرر على الجميع ساكني الأرض في النهاية.

(٥) تخفيف حدة مشاعر الكراهية والعداوة التي تكنها مختلف الجماعات نحو بعضها بعض وزيادة درجة الإيجابية في اتجاهات الجماعات.

(٦) غرس معاني التآخي الاجتماعي والتعاطف منذ الطفولة وخلال عمليات التنشئة الاجتماعية بين كافة جماعات المجتمع العنصرية وطوائفه الدينية واتجاهاته السياسية لإحلال مبدأ (التعايش المشترك) بصورة عملية. وقد دلت دراسات العالم (هاردنج Harding ١٩٥٤).. على وجود علاقة بين تعليم الفرد وتخفيف التعصب وحدته. فلكي نتقي شر التعصب والتمييز يصبح الحل الأمثل هو تغيير مسار عملية التنشئة الاجتماعية المبكرة إلى الاتجاه السليم.

(٧) نشر البيانات الموضوعية والدقيقة عن الجماعات والأفراد والفئات العنصرية للقيام بزيارات منظمة بتدعيم من وسائل الإعلام المختلفة لتنوير الأذهان بالحقائق، وتعلمهم عن طريق العبر Vicarious Learning نتائج ما حدث من جراء الفتنة الطائفية في بعض البلاد الأخرى حتى يتم تبصيرهم بعدم جدوى التعصب الخفي الذي تقوم به بعض الطوائف في مجتمعاتها. فإذا تمت التنشئة الاجتماعية بشكل سوى متسامح من خلال قنواتها أو عناصرها الأساسية، وخاصة الآباء والأقران والمدرسين، فإننا نتوقع أن

تنخفض التحيزات إلى أقل قدر ممكن، ونقل حدود القوالب النمطية وتتناقص مشاعر الكراهية إلى أدنى حد.

(٨) إشراك العضو في عضوية (جماعة) ليس فيها تعصب ضد الجماعة التي يتعصب الفرد ضدها وتعتبر أساليب الاستجابات التمييزية التي تسلك بعض الجماعات في ضوئها ضد الجماعات الأخرى في شتى النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وإصلاح الجماعات التي يصدر منها التوتر بدراسة جذوره ومعالجتها في حدود الإمكان.

(٩) إنقاص التعصب والتميز أو خفضهما يتطلب القيام بتجديد أنماط الشخصية التي تضع لها استراتيجية بعينها تختلف عن استراتيجية أخرى نضعها لنمط مختلف.

المراجع العربية والأجنبية

(١) ابراهيم مدكور وآخرون: **معجم العلوم الاجتماعية** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥).

(٢) محمد عاطف غيث: **علم الاجتماع** (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨).

(٣)قدرى حفنى: **الشخصية الإسرائيلية** ـ ط٢ (القاهرة، دار الشايع للنشر، ١٩٧٨).

(4) David G. Myers: **Social Psychology**, Second Edition, New York. MC. Graw-Hill Book Co. 1988.

(٥) قيس النورى: **التفاعل الرمزى** (الكويت، سلسلة عالم الفكر، المجلد (١٥)، اعدد (٤)، ينـاير ـ مارس ١٩٨٥).

(٦) أحمد ذكى بدوى: **معجم العلوم الإجتماعية** (القاهرة، مكتبة لبنان، ١٩٨٥).

(7) Archibald. Kathleen: **Strateic interaction and conflict**. Institute of international studies. Universithy of California: Berkley.1966.

(٨) حسن محمد وجيه: **مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى**، (الكويت، سلسلة عـالم المعرفة، (١٩٠) أكتوبر ١٩٩٤).

(9) **Snyder Glenn & Paul Diesing: Conflict Among Nations, princeton University press.N.Jersey, 1977.**

(10) **Swanson, Guye, New Comb. T.M. Reading in Social Psychology Revised, Henry Holt, New York, 1952.**

(١١) عبد الحفيظ مقدم: **علاقة القيم افردية والتنظيمية وتفاعلها مع الاتجاهات والسلوك**، "دراسـة إمبيريقية" (الكويت، مجة العلوم الإجتماعية، صيف ١٩٩٤).

(12) **Levinson, H. Price C.R. Manden, H.S. and Solly, C.M. Men Management and Mental Health. Combridge Harvard University Press, 1962.**

(13) **Rokeach, M. The Nature of Human Values New York. The Free Press (1973).**

(14) **______________ Understanding Human Values New York. The Free Press, 1979.**

(١٥) محمد سيد أحمد: **حول آليات بلوغ "حلول وسط"** جريدة الأهرام القاهرية فى ٢٠/٧/٢٠٠٠.

(١٦) قدرى حفنى: **لمحات من علم النفس: صورة الحاضر وجذور الماضى**، (القاهرة، الهيئة المصريـة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠).

(17) **Lundberg et al: Sociology Revised Edition, Harper Brothers, New York, 1951.**

(18) **Young O.R. The Intermediaries, Third Parties, In International Crisis Princeton University Press N.Jersey, 1977.**

(19) **Jouval Sadia: Biased Intermediaries: Theoretical and Historical Considentions. Jerusalem Journal Of International Relations, Vol. P.51, 1975.**

(20) **Brown, Carl: International Politics and the Middle East. Old Rules, Dangerous Games. Princeton University Press. 1984.**

(21) **Sadat Anwar: In Search of Identity: An Auto-Biography, Harper Colophon Boons, N.Y., 1977.**

(٢٢) أسامه الباز: **التطورات الدولية الأخيرة وأثرها على إصلاح نظم التعليم مع التركيز على الإصلاح فى مرحلة التعليم الإعدادى** (فى) مجلة العلوم التربوية ـ مجلد(١)ـ العدد (٣،٤)، ديسـمبر ٩٤ ومارس ١٩٩٥)؟

(٢٣) عطـوف محمـود ياسـين: **مدخل فى علم النفس الإجتماعى**، (بـيروت، دار النـهار للنشر، ١٩٨١).

(٢٤) السيد ياسين: **تشريح العقل الإسرائيلي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، (مكتبـة الأسرة ٢٠٠٠)

مراجع الفصل الثالث عشر: عربية وأجنبية

1. Hartley and R. Hartley, **Problems in prejudice**. New York: Kings Crown press, 1946.
2. David Meyers: **Social Psychology** Mc Graw-Hill Book Company, 1988
3. Kretch, Dand Crutchfield, R.H. **Theory and problems of Social Psychology**, N.Y., Mc Graw-Hill Inc, 1948.
4. Sharif M and Sharif, C. **An Outline of Social Psychology**, Rev. Ed, N.Y. Harper, 1956.

٥. حامد زهران: **علم النفس الاجتماعي**، ط٤ (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤).

6. Allport, G., **The Nature of Prejudice**, Garden City: Addison-Wesley Publishing Company, inc. 1958.
7. Ehrlick, H., **The Social Psychology of Prejudice**, London John Willey & Sons, 1973.
8. Marden, C. & Meyer, G., **Menoriities in American Society**, New York: American Book company, 1962.
9. Rose, A., **Sociology**, New York: Knopf, 1965.
10. Newcomb, T.N. et al, **Social Psychology: The Study of Human interaction**, New York: Holt & Rinehart and Winston, Inc, 1965.
11. Zanden, J., **American Minority Relations**, New York: Ronald Press, 1966.

١٢. حسين عبد القادر: في ذكراه الثاني: **مصطفى زيور ومقال في التعصب**، جريدة الأهرام القاهرية "قضايا وآراء" الإرهاب والتطرف في فكر المثقفين (٧٩) في ١٩٩٢/٩/٢٧.

13. Secord, P.E & Back man, C.W. **Social Psychology**, Tokyo, Mc. Graw-Hill. (1974).

١٤. معتز سيد عبد الله: **الاتجاهات التعصبية** (الكويت، سلسلة عالم المعرفة ـ ١٣٧، مايو ١٩٨٩).

15. Harding, J. et al., **"Prejudice and Ethnic Relation"** (in): G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), The Handbook of Social Psychology, New Delhi: Amerind Publishing Co. Pvt. L.T.D, 1975, Vol. 5, 1-76.
16. Wrightsman, L.S & Deaux, **Social Psychology in the 80**. California: Brooks Co Le Publishing Company 3rd ed., 1981.
17. Hothersall, D., **Psychology**, Columbus: C.E. Merrill Publishing Company, 1985.
18. Hilgard, ER. & Bower, G.H. **Theories of Learning** New Delhi; Prentice-Hall of India, 1977.

١٩. مصطفى سويف: علم النفس الحديث: معالمه ونماذج من دراساته. (القاهرة، مكتبـــة الأنجلـــو المصرية، ١٩٦٨)
20. Allport, G.W. and Krammer, B.M. **Some Roots of Prejudice**. J. Psychol., 22, (1946).
٢١. مصطفى زيور: **سيكولوجية التعصب**، (القاهرة، مجلة علم النفس، ١٩٥٢).
٢٢. ميشيل ارجايل: **علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية** (ترجمة) عبد الستار إبراهيم (القـــاهرة، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٣).
23. Rokeach, M. (Ed) **The Open and Closed Mind**, New York, Basic Book, Inc, 1960.
24. Hassan, M., **Religions Prejudice Among college Students: A Socio-Psychological Study, Mines Department of Psychology**, Ranchi University, Ranchi, 1974.
٢٥. عادل عز الدين الأشول: **علم النفس الاجتماعي مع الإشارة إلى مســـاهمات علمـــاء الإســـلام**، (القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٧).
26. Brewer, M., **"Ingroup Bias in the Minimal Inter Group Situation: A Cognitive-Motivational Analysis"** Psychol, Bull, 1979.
٢٧. توفيق مرعي ــ أحمد بلقيس: **الميسر في علم النفس الاجتماعي**، (عمان، دار الفرقان للطباعـــة والنشر، ١٩٨٤).
28. Bachman, S., **Social Psychology**, Mc Graw-Hill Book Company, 1974.
29. Rokeach, et al., **Tow Kinds of Prejudice or One?** In, N. Rokeach (Ed) **The Open And Closed Mind**, New York: Basic Books, Inc., 1960.
٣٠. عبد الوهاب المسيرى: **العربي الفلسطيني في الفكر الصهيوني** (القاهرة، كتاب العربـــي ــ ١٩، العدد (٤١).
٣١. نبيل ذكي: **العنصرية الإسرائيلية في الفكر والممارسة**، مجلة المنار، العدد (٤١) ايار ١٩٨٨.
٣٢. قدري حفني: **الإسرائيليون .. من هم؟** (القاهرة، دراسات نفسية، ١٩٨٣).

رقم الايداع : ١٦١٦١ / ٢٠٠١



المؤلف

د. حسنى أحمد الجبالى

- قسم العلوم التربوية والنفسية
- كلية التربية النوعية جامعة القاهرة .
- دكتوراه الفلسفة فى دراسات الطفولة قسم علم النفس - جامعة عين شمس
- دبلوم فى التربية - كلية التربية - جامعة عين شمس .
- دبلوم فى الدراسات الإسلامية - معهد الدراسات الإسلامية - التعليم العالى
- ليسانس آداب - علم نفس - جامعة عين شمس .
- بكالوريوس تربية رياضية - جامعة حلوان .

أهم المؤلفات

- علم النفس ومشكلات سوء التكيف (الإدمان - التطرف - مقال فى الإنسان) .
- تكنولوجيا الإتصال فى المجالين (الإعلام التربوى - تكنولوجيا التعليم) .
- علم النفس الإجتماعى بين النظرية والتطبيق - ثلاث أجزاء .
- الصراع وصنع السلام : دراسة نفسية إجتماعية .
- موضوعات فى علم النفس الإجتماعى .
- توظيف تكنولوجيا الإتصال فى المجال التعليمى .
- البحث العلمى فى الدراسات النوعية - جزءان .
  الأسس والمبادىء - المناهج والأدوات .
- مدخل إلى علم النفس .
- نظرية الإتصال فى تكنولوجيا التعليم - المبادىء والتطبيق فى حجرة الدراسة .
- سلسلة علم النفس التعليمى .
  1) التعلم مبادىء ونظريات وتطبيقات تربوية .
  2) الفروق الفردية فى القدرات العقلية .
  3) التعلم الإجتماعى : نظرية التعزيز البديل .
  4) اللوبى اليهودى الصهيونى وقياس العقل البشرى .
  5) الذكاء بين التخلف والتفوق العقلى والإبداع . (تحت الطبع) .
- الثالوث المدمر " الإدمان - التطرف - الإرهاب " (تحت الطبع) .